دِيوَان
ابْنُ زَمْرَكَ الأَنْدَلُسِيّ

مُحَمَّد بن يُوسُف الصَّرِيحِي

حَقَّقَ الديوان وَقَدَّمَ لَهُ وَوَضَعَ فَهَارِسَه
الدكتور مُحَمَّد توفيق النَّيفر
الأستاذ المحاضر بالجامعة التونسيّة



دار الغرب الإسلامي

ديوان

ابن زمرك الأندلسي

ديوان ابن زمرك الأندلسي

محمد بن يوسف الصريحي

(733 هـ - بعد 797 هـ / 1333 م - بعد 1395 م)

بالاعتماد على مخطوط فريد عنوانه

"البقية والمدرك من شعر ابن زمرك"

جمعه يوسف الثالث (810 هـ - 820 هـ / 1408 م - 1417 م)

حفيد محمد الخامس الغني بالله

من سلاطين بني الأحمر بغرناطة

حقق الديوان وقدم له ووضع فهارسه

الدكتور محمد توفيق النيفر

الأستاذ المحاضر بالجامعة التونسية



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787 - 113 بيروت

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

ديوان «البقيّة والمدرك من شعر ابن زمرك»[1] للشاعر الأندلسي أبي عبد الله[2] محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد[3] الصّريحي[4] الفريضي[5] المعروف بابن زمرك[6] من آخر ما وصل إلينا من

---

(1) كذا جاء عنوانه عند المقّري (أزهار الرياض II/ 21)، لكنه يشير في موطن آخر من نفس المرجع (II/ 11) إلى أنه «البقية والمدرك من كلام ابن زمرك»، ورجّحنا العنوان الأول لأن «الكلام» يشمل الشعر والنثر بينما هذا السّفر «ليس فيه إلا نظمه فقط» (المقّري، المرجع السابق).

والديوان من جمع ابن الأحمر، يوسف بن يوسف بن محمد حفيد الغنيّ بالله (توفي 820 هـ)، ولا يجب الخلط بينه وبين ابن الأحمر، أبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن محمد (توفي 807 هـ) صاحب كتاب «نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان».

لذلك سنفرّق بينهما كما يلي، فنقول ابن الأحمر صاحب البقيّة والمدرك وهو جامع الديوان الذي يعنينا، وابن الأحمر صاحب نثير الفرائد وهو الثاني.

(2) أبو عبيد الله عند بروكلمان ولم يذكر مصدره (التاريخ: II/ 259)

(3) كذا نسبته عند ابن الخطيب (الإحاطة: II/ 221) وهي الكاملة، وقد أسقط المقّري اسم الجدّ الأعلى وهو السادس (أزهار II/ 7)، كما حذف ابن الأحمر من مقدمة الديوان الجدّين الرابع والسادس (أزهارII/ 11).

(4) تردّدت هذه النسبة في كل المراجع ولم نهتد إلى تفسيرها.

(5) هي نسبة انفرد بها ابن الأحمر صاحب نثير الفرائد (ص 327) ولم يذكر الصريحي. فهل هي تحريف لها؟

(6) نجهل أصل هذا الاسم وشكله الصحيح وإلى ذلك ذهب بلاشير في مقاله: «الوزير الشاعر ابن زمرك وآثاره» المنشور بحوليات معهد الدراسات الشرقية بالجزائر سنة 1936 ص ص 291 ـ 312، وسنعتمد في الإحالات الترجمة العربية لهذا المقال بحوليات الجامعة التونسية العدد 25 السنة 1986 ص ص 131 ـ 156.

أما شكله فنرجّح زُمرك ـ بضم الزاي ـ وهذا رأي بروكلمان (المصدر المذكور سابقاً)=

دواوين شعراء الأندلس إذ عاش صاحبه في المائة الثامنة للهجرة قرناً أو أقلّ قبل سقوط غرناطة في آخر المائة التاسعة[1].

إن هذا الديوان «الملوكي»[2] قيّم نفيس لأنه مرجع ضروري للمختصّ في شعر ابن زمرك إذ يحوي مادة غزيرة بكراً[3] تكمّل ما جاء مبثوثاً في المصادر المطبوعة كالإحاطة[4] وأزهار الرياض[5] ونفح الطيب[6].

كما أنه شهادة على خصائص الشعر الأندلسي في آخر مراحل تطوّره[7] نلمحها في شعر آخر فحول الأندلس كابن زمرك أو شيخه ابن الخطيب[8]ولا مناص لمن رام استكمال البحث في هذه الخصائص من العودة إلى هذا الديوان.

والديوان كذلك صورة تعكس ملامح العصر في أحداثه السياسية

= وبلاشير (المقال المذكور سابقاً ص 132 التعليق، (4)) ولم يعللا اختيارهما، ونرجّح الضم حتى يتحقق الجناس الذي قصده جامع الديوان في تسميته بـ «البقية والمُدرك من شعر ابن زُمرك».

أما أصل هذا الاسم فغامض، هل أن زمرك اسم لأب الشاعر أو لأحد أجداده؟ أم هو صفة لأبيه تشير في الغالب إلى عيب خلقي نفسيّ سواء نحتنا الكلمة من الجذر زرك (ساء خلقه) أو زمر (قلّت مروءته) أو زملك (حمق) بما أن الجذر الرباعي زمرك غير موجود، أو نسبناها إلى أصل إسباني ZAMACUCO (أحمق) أو ZAMARRO (ثقيل الظل) أو ZAMARRICO (لباس من فروة غنم) (القاموس الجديد إسباني - عربي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1988).

(1) 897 هـ/ 1492 م.

(2) كذلك سمّاه المقّري (أزهار II / 11) إشارة إلى نفاسته أو أن جامعه «ملك» هو يوسف الثالث حفيد الغني بالله وقد تولى بعد أخيه محمد السابع (أنظر فيما يلي، جامع الديوان).

(3) أنظر فيما يلي، الديوان المخطوط.

(4) II/ 221 - 240.

(5) في أجزاء كثيرة وخاصة II/ 7 - 206.

(6) في أجزاء من الكتاب وخاصة X/ 4 - 126.

(7) كذلك اعتبر بلاشير قيمة أشعار ابن زمرك «فهي قد تساعد على إلقاء أنوار... على تطوّر الأدب الكلاسيكي عند عرب إسبانيا في القرن الذي سبق سقوط غرناطة (المقال ص 132).

(8) أبو عبد الله لسان الدين (713 هـ - 776 هـ) الوزير الشاعر الناثر المؤرخ. تولّى وزارتين مع أبي الحجاج يوسف ثم مع الغنيّ بالله. مات مقتولا بفاس ولابن زمرك علاقة خاصة به (انظر ما يلي) وقد الف المقّري «نفح الطيب» في ذكر فضائله، نُشِر ديوانه «الصيّب والجهام والماضي والكهام» بالجزائر سنة 1973 بتحقيق محمد الشريف قاهر.

الكبرى[1] وخصائصه الحضارية التي تحدّد صفات المجتمع الأندلسي في القرن الثامن الهجري في مدينة غرناطة بالخصوص[2] وهي ملامح وخصائص تكاد تخلو منهما كتب التاريخ الرسمية[3].

مولده ونشأته:

أصل ابن زمرك من شرقيّ الأندلس ومنه نزح أسلافه إلى غرناطة[4] وبحيّ من أحيائها وهو ربض البيّازين[5] ولد في 14 من شوال 733 هـ[6]/ 9 من جوان 1333 م. وهي نفس السنة التي فيها بويع لسابع سلاطين بني الأحمر[7] أبي الحجاج يوسف الذي لم يصرفه صراعه مع ألفونس الحادي عشر ملك قشتالة عن تشجيع الآداب والفنون[8].

---

(1) سياسة الغني بالله الداخلية في مواجهته للإسبان النصارى خاصة، وسياسته الخارجية في علاقته بسلاطين بني مرين بالمغرب (انظر ما يلي: نشاطه السياسي).

(2) في المادة الشعرية صدى للأعياد الدينية: الفطر، الأضحى، المولد، ولحفلات القصر الخاصة: المواليد، الإعذار، وللمنجزات المعمارية والنقوش بقصر الحمراء.

(3) لقد عبّر عبد الله كانون عن ذلك بقوله «لقد أحاطت بهذا العهد [القرن VIII هـ و IX هـ] ظروف غامضة وانطمست معالمه التاريخية، فلا الأحداث المؤسفة التي توالت فيه وكانت خاتمتها فاجعة غرناطة ولا الأشخاص الذين لابسوا هذه الأحداث... نجدها مبسوطة في كتاب... اللهم إلا لمحات قليلة جداً لا ارتباط بينها ولا كبير فائدة فيها تراها مبثوثة هنا وهناك» (مقدمة ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ص «ج» من طـ 2. القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية 1965).

(4) ابن الخطيب، الإحاطة II/ 221، المقري أزهار II/ 14، نفح X/ 4.

(5) هو على الضفة اليمنى لنهر الدارو (Le Darro) مقابل قصر الحمراء، كان صيادو البازي يسكنونه.

(6) اتفق ابن الخطيب وابن الأحمر على هذا التاريخ (المصدران المذكوران سابقاً)

(7) أصل «بنو الأحمر» من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف في أبناء الجند، ويُعرَفون كذلك ببني نصر ويُنسَبون إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج من الأنصار (أنظر ابن خلدون، التاريخ IV/ 266 ـ 384 (طـ بيروت)، ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص 24 وما بعدها، دائرة المعارف باللغة الفرنسية ط جديدة: فصل بني نصر IV/ 1022 ـ 1031).

(8) لقب بالمؤيد بالله (733 هـ ـ 755 هـ/ 1333 م ـ 1354 م) من منجزاته تشييد مدرسة غرناطة، باب القضاء، قاعة السفراء بقصر الحمراء (ابن الخطيب: المصدر السابق ص 89 وما بعدها، ابن الخطيب: أعمال ص ص 304 ـ 305 بلاشير: المقال ص 132 التعليق 1).

إن هذا الثراء الثقافي والأدبي الذي ترعرع فيه الطفل لم يساوقه ثراء مادي إذ نشأ في حماية أب كان يمتهن الحدادة[1] أراد أن يلقّنه مبادئها[2] لكنه لم يفلح إذ الطفل كان «ضئيلاً مختصر الجرم»[3] بيد أنه كان حادّ الذكاء[4] ثاقب الذهن كلفا بالقراءة[5] فلم تخف نجابته عن أبيه فوجّهَهُ لطلب العلم.

تكوينه العلمي:

لقد قصد الكُتّاب وبه تلقّى دراسة قرآنية تقليدية ومنذ ذلك الحين لفت إليه الأنظار فكان سيّدُه «المكتبُ يُؤْثِرُه»[6] ثم ترقّى في درجات المعرفة والاطّلاع واشتغل بطلب العلم والدؤوب على القراءة فأمّ حلقات التدريس وافتتح أبواب الكتب النحوية بأبي عبد الله ابن الفخّار[7] ثم تردد لأعوام عديدة على القاضي الشريف أبي القاسم الحسني[8] وعنه استكمل التعمّق في الفنون اللسانية.

وقرأ اللغة والفقه خاصة على أبي سعيد ابن لُبّ[9] ودرس علم الأصول على

---

(1) لا نجد ذلك إلا في تعليق خطي فريد على ترجمة ابن زمرك في كتاب الإحاطة من إنشاء «ابن» لسان الدين بن الخطيب المدعو «عليا» نقله المقري وفيه شتم ابن زمرك وعدد مساوئه لأنه المتسبّب في قتل أبيه فقال: «ابن حداد بالبيازين» (نفح VIII/ 41، X/ 20 ـ 21).

(2) بلاشير، المقال ص 132.

(3) ابن الأحمر، أزهار II/ 14.

(4) كالشهاب يتوقّد (ابن الأحمر: المصدر السابق)، تكاد تحتدم جوانبه (ابن الخطيب: الإحاطة II/ 221).

(5) ابن الخطيب، المصدر المذكور سابقاً.

(6) المقرّي: أزهار II/ 14، والمكتّب الذي يعلم الصبيان الكتابة.

(7) الاستاذ الإمام، رحلة المغرب في فن العربية (ابن الخطيب، الإحاطة II/ 221) وهو محمد بن علي بن أحمد الخولاني ويعرف بالألبيري النحوي، ولد بالبيرة ومات بغرناطة سنة 754 هـ/ 1353 (انظر ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة ص 70، السيوطي: بغية الوعاة ص 74).

(8) إمام الفنون اللسانية، محمد بن أحمد ولد بسبته سنة 697 هـ / 1297 م، تولى قضاء غرناطة سنة 737 هـ/ 1337 م، توفي سنة 760 هـ/ 1359 م (ابن الخطيب: الإحاطة II/ 129).

(9) الأستاذ المتفنّن، فرج بن علي بن قاسم بن أحمد، كان عارفا مبرزاً في التفسير، ولد بغرناطة سنة 701 هـ/ 1301 م ومات سنة 783 هـ/ 1382 (ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة ص 57، السيوطي: المصدر المذكور ص 372).

أبي علي منصور الزواوي[1].

وبرع في الأدب بعد انقطاعه إلى لسان الدين بن الخطيب وتردّده على ابن لبّ والشاعر ابن اَللّوْشِي[2].

واختصّ بالفقيه المحدّث أبي عبد الله ابن مرزوق[3] فأخذ عنه الكثير من الرواية، كما أخذ الحديث والإجازة عن أبي البركات ابن الحاج[4] وابن اللّوشي وابن بِيبِش العبدري[5].

ولم يكتف ابن زمرك في هذه الفترة بتكوين شرعي لغوي أدبي بل طمحت همّته إلى تكوين علمي فروحي رياضي. فقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس ـ وقد أعمل الرحلة إليها لطلب العلم[6] ـ على أبي عبدالله التلمساني[7] واختص به اختصاصاً، كما كان «متشوّقاً إلى السلوك آخذاً نفسه بارتياد ومجاهدة» فانضوى إلى شيخ الفرق الصوفية في عهده أبي جعفر ابن الزيات[8] وأخيه الناسك ابن مهدي[9].

---

(1) هو بارع في الأصول الفقهية (الإحاطة II/ 221).

(2) أبو عبد الله محمد اليحصبي من لوشه ولد في حدود 678 هـ/ 1278 م وتوفي بغرناطة 752 هـ/ 1352 م وكان شاعراً كاتباً وخطيباً بليغاً (الإحاطة II/ 197، الكتيبة الكامنة ص 175).

(3) محمد بن محمد التلمساني، ولد بتلمسان سنة 710 هـ/ 1310 م وارتحل إلى المشرق ثم قصد المغرب من جديد سنة 733 هـ/ 1333 م واتصل بالسلطان المريني أبي الحسن، ثم وفد بعد وفاة سلطانه إلى الأندلس سنة 753 هـ/ 1353 م وفي هذه الفترة اتصل به ابن زمرك وإليه انقطع (ابن الأحمر: أزهار II/ 15).

(4) محمد بن محمد، عالم بالحديث، قاض وشاعر، ولد بالمرية وتنقل بينها وبين مالقة وفاس وتوفي بها سنة 771 هـ/ 1369 م (الإحاطة II/ 101).

(5) أبو عبد الله محمد ولد بغرناطة سنة 680 هـ/ 1281 م وبها مات 753 هـ/ 1333 م خطيب وشاعر (المقري: نفح III/ 200، IV/ 155، ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة ص 90)

(6) الإحاطة II/ 221، أزهار II/ 15.

(7) الشريف، قدوة الزمان (الإحاطة II/221، أزهار II/ 15).

(8) أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي، من أهل بلّش مالقة خطيب ومتصوف ولد 649 هـ ومات 748 هـ (الإحاطة II/ 152، الكتيبة الكامنة ص 34).

(9) ابن الأحمر: أزهار II/ 16.

فكان ابن زمرك بشهادة ابن الأحمر «لم يبلغ حدّ وجوب المفترضات إلا وهو متحمّل الرواية وملتمس لفوائد الدراية»[1].

الكتابة في الديوان:

إن هـذا التكوين الذي ضمّ ثقافة العصر سيؤهّل ابن زمرك الشاب للتدرج في سلّم الوظائف الديـوانية ـ وأولاهـا الكتابة في ديوان ابن الخطيب ـ فالمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية والثقافية في غرناطة في القرن الثامن الهجري.

بيد أن هـذا التكوين لم يكن ليؤهّله لكـل ذلك لولا جمـلة من الخصال الموروثة والمكتسبة عدّدها شيخه ابن الخطيب[2] وعرضها ابن الأحمر معرض الإعجاب[3] ومن أهمها أنه كان هشّاً خلوباً عذب المفاكهة حلو المجالسة خفيف الروح حاضر الجواب، كما كان جواداً بما في يده مشاركاً لإخوانه بارّاً مُؤثِراً بما مُنِحَ . . . إنها خصال الجليس الظريف والمثقّف المشارك والصديق الوفيّ.

إن شخصيّة ابن زمرك هذه العلمية والاجتماعية والأخلاقية لم تغب عن عيني أمثال شيخه ابن الخطيب الذي ما إن ألقيت إليه مقاليد الوزارة في عهد يوسف الأول سنة 749 هـ/ 1349 م حتى سماه كاتباً في ديوانه[4] وعمره لم يتجاوز سبعة عشر عاماً.

إن هذه العلاقة بشيخه ووليّ نعمته ستمتدّ عقدين من الزمان على الأقـل

---

(1) ابن الأحمر: المصدر المذكور سابقاً.

(2) وذلك عندما كان راضياً عنه زمن تأليفه للإحاطة (II/ 221 وما بعدها)، أما عندما ألّف الكتيبة الكامنة زمن العداوة فقد تغيّـرت لهجة الخطاب تماماً (أنظر ص ص 282 ـ 283).

(3) أزهار II/ 11 ـ 21.

(4) أخذنا ذلك عن بلاشير (المقال المترجم ص 133) لأننا لم نجده صريحاً واضحاً في المراجع القديمة اللهم إن استنتجنا ذلك من تعليق عليّ بن الخطيب على ترجمة ابن زمرك في الإحاطة (انظر ما سبق) وفيه ذكر أن أباه «قد استخدمه» (نفح X/ 20).

وستكون إلى حدود سنة 770 هـ/ 1369 م[1] علاقة ودّ وإعجاب متبادلين[2].

الرحلة المغربية الأولى:

لقد بقي ابن زمرك في الديوان مدة خمس سنوات لا نعلم عنها شيئاً إذ لم يحدث فيها ما جلب انتباه أصحاب كتب التراجم. لكننا نعلم أن الشاب قد جنح إلى مصاحبة ابن مرزوق الوافد من تلمسان إلى غرناطة سنة 753 هـ/ 1352 م وقد كُلِّف بإمامة مسجد الحمراء، وعن طريق ابن مرزوق سيحقّق رغبتين: تعميق معارفه الصوفية بحضور دروس هذا العالم المتصوّف[3]، وتمكّنه من التعرف على الأمير المريني أبي سالم إبراهيم الذي استقرّ بغرناطة فأصبح ابن زمرك من خوّاصّه[4].

هل كان تعرّفه على ابن مرزوق واتّصاله بأبي سالم سببين دفعا به إلى «التغرّب» إلى برّ العدوة طمعاً في البروز والوجاهة وطموحه يتجاوز خطّة كاتب الديوان التّي كان يتقلّدها؟ أم هي الرحلة في طلب العلم والازدياد منه؟[5].

نرجّح الافتراض الأول ولا نستبعد أن يكون الثاني تعلّة بها يُبرّر هجرانه لخطته في الديوان في نظر شيخه ابن الخطيب وما يدعم ذلك أن ابن زمرك في هذه الفترة أي بين 753 هـ و755 هـ قد تولّى الكتابة لأحد أبناء السلطان المريني أبي سالم إبراهيم قبل أن يترقّى إلى الكتابة عن السلطان نفسه[6].

إن هذه الفترة المغربية الأولى لن تتجاوز ثلاث سنوات ذلك أنه ما إن تولّى

---

(1) ذلك أنه انهى الإحاطة في شعبان 770 هـ/ 1369 م وقد اطرى بن زمرك فيها.

(2) أما ابن الخطيب فإعجابه واضح من خلال ترجمته لابن زمرك في الإحاطة (II/ 221 ـ 240)، وقد كان اعتراف ابن زمرك بجميل شيخه وولي نعمته نثراً (المصدر السابق 237 ـ 239) وشعراً (نفح VIII/ 184).

(3) أزهار II/ 15.

(4) المصدر السابق، الإحاطة II/ 222.

(5) الإحاطة II/ 221.

(6) المصدر السابق، نستغرب كون بروكلمان وبلاشير لم يستغلا أمر هذه الرحلة في طلب العلم أو الكتابة في بلاط السلطان المريني الأول في تاريخه، والثاني في مقاله المذكور.

السلطان الغنيّ بالله محمد الخامس سنة 755 هـ/ 1354 م[1] وكلّف ابن الخطيب بالوزارة حتى دعاه شيخه وحاميه فاستخدمه في الكتابة السلطانية[2] في حاشية الغني بالله.

الرحلة المغربية الثانية:

لقد خُلع الغني بالله بعد أن ثار به أخوه أبو الوليد الملقّب باسماعيل الثاني في رمضان سنة 760 هـ/ 1359 م[3] ففرّ ولحق بوادي آش[4] ثم استقر بفاس ونزل ضيفاً على حليفه السلطان أبي سالم المريني[5]. وكان ابن زمرك مع شيخه ابن الخطيب في جملة من شارك الغني بالله محنته[6] فاستقر معه بالمغرب لمدة سنتين إلى 20 جمادى الثانية سنة 763 هـ/ 17 أفريل 1362 م[7].

وبالعدوة التقى ابن زمرك بأستاذه المحدّث الصّوفي ابن مرزوق فجدّد معه العهد، كما اتّصل بالسلطان أبي سالم الذي احتفى به وقرّبه فمدحه بقصائد عديدة[8].

لقد كانت المحنة المغربية «نعمة» استغلّها ابن زمرك للتقرّب من الغني بالله

---

(1) هو محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر ثامن سلاطين بني الأحمر، شهر بالمخلوع لأنه تولى الحكم مرة أولى (755 هـ - 760 هـ) ثم خلع وفر إلى المغرب ثم رجع إلى الحكم وبقي ثلاثين سنة (763 هـ - 793 هـ)، امتاز عهده بالفتن الداخلية وبحروبه مع الاسبان (ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 306، اللمحة البدرية ص 24 وما بعدها، ابن خلدون: التاريخ IV/ 366).

(2) المقري، نفح VIII/ 190، X/ 20.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة II/ 221، المقري: أزهار II/ 16 - 17، ولم يبق أبو الوليد في الحكم إلا أشهراً معدودات خلعه أخوه محمد السابع.

(4) هي قرية من أعمال غرناطة تحدّق بها البساتين والأنهار.

(5) إبراهيم بن الحسن استحوذ على الحكم بالمغرب سنة 760 هـ.

(6) ابن الخطيب: المصدر المذكور سابقاً، ابن الأحمر: أزهار II/ 16.

(7) بلاشير: المقال المترجم ص 136.

(8) الإحاطة II / 227، نفح الطيب VII / 95. ومن هذه القصائد التي انفرد بها مخطوطنا نذكر القصيدتين رقم 110؛ رقم 3.

حتى «كلف به لحلاوة منطق ورفع استيحاش ومراوضة خلق»[1] فعلت منزلته عنده.

الخطط السلطانة السامية: «الكتابة والرسالة والحجابة»[2].

لمّا استرجع الغنيّ بالله السلطان المخلوع ملكه وعاد إلى غرناطة خصّ ابن زمرك بكتابة سرّه سنة 763 هـ / 1362 م[3]. وقد كانت الكتابة الدرجة الأولى التي منها ارتقى إلى الخطط السلطانية إلى الرسالة بعد أن فوّض له السلطان عقد الصّلح بين الملوك بالعدوتين فكان رسوله إلى سلاطين بني مرين كما كان سفيره إلى ملوك النصارى الإسبان وقد عقد الصّلح معهم تسع مرات[4] ثم ارتقى إلى الوزارة في حدود سنة 773 هـ / 1372 م. عوضاً عن ابن الخطيب الذي فرّ إلى سبتة بالمغرب[5] بعد أن فسدت العلاقة بينه وبين الغني بالله سلطانه في غرّة صفر 793 هـ / 1391 م[6]. وقد تجاوزت علاقة ابن زمرك بسلطانه الخدمة والوفاء إلى نوع من الخلّة والزّلفى وبذلك كان يفتخر مردّداً في إحدى رقاعه: «خدمته

---

(1) الإحاطة II / 21؛ ابن الأحمر: المصدر المذكور سابقاً.

(2) جاء في مقدّمة الديوان مدح ابن الأحمر لابن زمرك بقوله: «وحسبك من ارتضاه مولانا الجدّ لكتابته وصرّفه في الوجوه المتعددة من رسالته وحجابته» (أزهار II / 12) ويقصد بالحجابة الوزارة لأن بني الأحمر لم يتّخذوا حجّاباً؛ ومن هذا القول استوحينا عنوان الفقرة.

(3) لقد نقل المقّري في نفح الطيب (VII / 62 ـ 64) الظهير الذي به كلّف الغني بالله ابن زمرك بكتابة سرّه وهو من إنشاء ابن الخطيب؛ والغريب أن ابن الأحمر قد حدّد سنة 773 هـ تاريخاً لتسمية ابن زمرك في هذه الخطّة (أزهار II / 17) ونرجّح تحريف الناسخ أو سهو المقّري فنقل أحدهما (سبعين) وهو يقصد (ستين)؛ ذلك أنّ ابن الخطيب قد أشار في الإحاطة (II / 221) إلى تولّيه هذه الوظيفة مباشرة بعد عودة الغني بالله إلى غرناطة ولم يحدّد التاريخ لكننا نعلم أنها كانت سنة 763 هـ، وما يدعم ذلك أنّ ابن الخطيب قد أشار إلى هذه التسمية في كلّ من كتابيه اللمحة البدرية وقد أنهاه سنة 765 هـ والإحاطة وقد أتمّه سنة 770 هـ أي قبل سنة 773 هـ في كلا الحالتين.

(4) ابن الأحمر: أزهار II / 17. ولم يحدّد تاريخ عقود الصلح المشار إليها ذكر أنها «بعد أعوام» من تكليفه بكتابة السرّ.

(5) ابن خلدون: التعريف ص ص 157 ـ 159.

(6) ابن الأحمر أزهار II / 18.

[أي الغني بالله] سبعاً وثلاثين سنة ثلاثاً بالمغرب وباقيها بالأندلس. . . وكنت أُؤاكِلُهُ وأُؤَاكِلُ ابنه مولاي أبا الحجّاج وهما كبيرا ملوك أهل الأرض»[1].

هذه المدّة الطويلة التي قضاها في خدمة الغني بالله كانت حافلة بالأحداث السياسية الداخلية والخارجية وكان له فيها تأثير وأيّ تأثير.

نشاطه السياسي

لقد أحسن ابنُ الأحمر وصف الدّور البالغ الخطورة الذي كان لابن زمرك في هذه المدّة فحدّده بـ «الاستغراق في غمار الفتن أندلساً وغرباً»[2].

إنّ هذا الاستغراق في الفتن المحلية والمغربية يلوح على الأقل في مظاهر ثلاثة:

الأول: التأثير في سياسة الغني بالله الخارجية الظاهر في مساعدته على مدّ نفوذه على المغرب الأقصى وهي سياسة تخلّى عنها أمراء الأندلس منذ ثلاثة قرون إثر تَفَكُّكِ الخلافة بقرطبة[3] فاستغلّ السلطان **محمد الخامس** ضعف بني مرين لمناصرة بعضهم على بعض ولإذكاء نار العداوة بينهم فكان يتدخّل بالقوّة تارة وبالمصالحة طوراً. وكان ابن زمرك يده المؤثرة في المؤامرات[4] والمصالحات[5].

الثاني: التصدّي للفتن الداخلية بتنفيذ أوامر سلطانه في القضاء على وزير مشاغب خطير هو لسان الدين بن الخطيب.

لقد فرّ ابن الخطيب بسبب مكائد البلاط إلى العدوة والتجأ إلى بني مرين

---

(1) ابن الأحمر: المصدر المذكور سابقاً (أزهار 11/ 16 ـ 17).

(2) أزهار II / 18.

(3) مقال بلاشير ص ص 137 ـ 138.

(4) لم يتوان في وقت ما عن التدخّل مباشرة لنصرة أحد مواليه بحدّ السّيف؛ وكان ابن زمرك يدبّر بنفسه تلك المؤامرات وفي عديد المناسبات عبر إلى العدوة ليدير عن كثب شؤون سيّده (بلاشير: المقال المذكور سابقاً).

(5) فقد تولى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين (ابن الأحمر: أزهار II / 17).

وقد بلغ إلى الغني بالله أنّه كان يُغري السلطان عبد العزيز[1] بغزو الأندلس. لكنّ هذا السلطان لم يتمكّن من تحقيق أطماعه الأندلسية إذ قضى عليه سلطان مرينيّ آخر هو أبو العباس كان لاجئاً بالأندلس فتمكّن من استرداد ملكه بإعانة من الغني بالله الذي كان اشترط عليه مقابل ذلك أن يسلّمه ابن الخطيب. وقد وفّى أبو العباس بوعده فسجن ابن الخطيب إثر دخوله فاس سنة 776 هـ. وأعلم الغني بالله بالأمر فبادر بإرسال كاتبه ووزيره ابن زمرك سفيراً مفاوضاً[2].

لقد أجمعت كلّ المراجع على مسؤولية ابن زمرك في مقتل شيخه ابن الخطيب إن لم يكن بالتنفيذ المباشر فبنسج التّهمة والتأثير في إصدار الحكم على الأقل. ولئن أشفق عليه ابن الأحمر المعترف صراحة «بالميل إليه في كلّ ما له وما عليه»[3] فأومأ إيماء إلى الفتنة التي هاجت «وكانت سفارته [أي ابن زمرك] أعظم أسبابها»[4] فلم يصرّح ولم يحلّل فإن المقري يقرّ بوضوح بأنه «كان أحد الساعين في قتله [أي ابن الخطيب]»[5] بينما لا يترك ابن خلدون ـ رغم صداقته الحميمة لابن زمرك[6] ـ مجالاً للشكّ في تحديد دور صديقه الحاسم في قتل أستاذه فيورد بالتفصيل هذه الواقعة ويشير إلى سعي ابن زمرك في إدانة ابن الخطيب فأحضره بمجلس الخاصّة وأهل الشورى «وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابته... فوُبِّخ وامتُحِن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ من الناس»[7] وأفتى بعض الفقهاء بقتله بسبب تلك المقالات فقتله بعض الأوغاد في سجنه.

(1) أبو فارس (767 هـ ـ 774 هـ).

(2) لقد فصّل ابن خلدون هذا الموضوع في تاريخه (VII / 707 ـ 710) في فصل «الخبر عن مقتل ابن الخطيب».

(3) أزهار II / 14.

(4) المصدر السابق II / 17.

(5) نفح VI / 300.

(6) فهو يذكر في «التعريف» (ص 282) قوله: «[وَصَله وهو بينبع في طريقه إلى الحج] كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سرّ السلطان ابن الأحمر الحظي لديه أبي عبد الله ابن زمرك».

(7) الفصل المشار إليه من تاريخه.

إنّ فعلة ابن زمرك هذه توحي على الأقلّ بأمرين:

- بولائه المطلق لسلطانه فاختار الانتصار له على نصرة شيخه والدفاع عنه. لكن هل كان يمكنه أن يفعل غير ذلك وهو رجل البلاط الروفيّ لوليّ نعمته؟ أم لعلّه كان يفكّر في حقن دماء المسلمين لو اشتعلت الفتنة بين بني الأحمر وبني مرين؟

- وبأنه لم يراع إلاّ «خطوط نفسه»[1] فقد اختار ما يحقّق ماطمحه ويخلّصه من منافس على النفوذ والوجاهة لا يُغلَب.

الثالث: المواجهة لدسائس البلاط وهي من أشد مظاهر استغراقه في الفتن الداخلية وهي مواجهة امتدت طيلة حياته السياسية ولم تنته إلاّ بقتله.

إن هذه الدسائس قد تفاقمت طيلة عهد الغنيّ بالله وأسبابها تعود إلى جرأته وشراسة لسانه واعتزازه بمكانه واستخفافه بأولياء الأمر من حُجّاب الدّولة وأعوانها[2] لكنّ حظوته العجيبة لدى سلطانه منعت الأعداء من النّيل منه. لذلك ما إن توفّي الغني بالله سنة 793 هـ حتى عزله خلفُه يوسف الثاني عن خطته وأودعه «المعتقل بقصبة المريّة» بسبب مكيدة في البلاط؟ وبقي بالسجن عشرين شهراً من غرّة صفر 793 هـ إلى أوّل رمضان 794 هـ[3]. ثمّ أعاده يوسف الثاني إلى خطته لأسباب نجهلها ولعلّ منها حظوته لدى أبيه أو طول المعاشرة بينه وبين ابن زمرك[4]؛ لكنّ السلطان توفيّ في نفس الشهر وتولّى محمد السابع بعده فعزله وعيّن الفقيه ابن عاصم مكانه في خطّة الوزارة[5] ثم عزلة بدوره بعد سنة من ذلك وأعاد ابن زمرك إلى سالف حظوته وخطته بعد أن خمدت شراسته

---

(1) الوصف اقتبسناه من ابن الأحمر نفسه وهو عليم بنفسية ابن زمرك وأخلاقه (أزهار II / 18).

(2) ابن الأحمر: (أزهار II / 17).

(3) وهي مدّة ولاية يوسف الثاني وكانت قصيرة. وتلقّب بالمستعين بالله.

(4) وقد أشرنا سابقاً إلى افتخار ابن زمرك بأنه كان يؤاكله على مائدة أبيه (أنظر التعليق رقم 1 ص 14).

(5) وقد تولّى محمد السابع من 794 هـ / 1392 م إلى 810 هـ / 1408 م؛ فقدم قبل ابن زمرك لخطّة الوزارة الفقيه ابن عاصم لمدّة عام (794 هـ ـ 759 هـ) (ابن الأحمر: المصدر السابق II / 19).

ودمثت أخلاقه. لكن ما بالطبع لا يتخلّف إذ عاد إلى سالف أعماله «فرتّب على المشتغلين ـ كبيرهم وصغيرهم ـ ذنوباً لم يقترفوها ونسب إليهم نسباً من التّضييع لم يعرفوها وأنهم احتجنوا الأموال وأساؤوا الأقوال والأفعال»[1] رغم قلّة معرفته بأمور المال والجباية بشهادة معاصره ابن الأحمر[2] فضاق السلطان ذرعاً بمكائده وأفعاله وأصبح في ريب من أمره ودَسِّه فأوعز لبعض أعوانه بالقضاء عليه فـ «هلك في جنح الليل في جوف داره على يدي مخدومه [هو السلطان محمد السابع] تلقّاه عند الدخول عليه وهو بالمصحف رافع يديه فجدلته السّيوف فقضي عليه وعلى من وجد من خدّامه وبنيه وكل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته»[3].

وقد رأى المقّري في هذه النهاية آية من القَصَاص الإلاهي فكان «الجزاء له من جنس عمله»[4] في شيخه ابن الخطيب، بينما تفجّع ابن الأحمر على مقتله واعتبره «آزفة أورثت القلوب شجناً طويلاً»[5].

التحقيق في تاريخ وفاته:

إنّ أقدم ترجمة لابن زمرك أُنشِئت وهو ما زال حيّاً وكانت بقلم شيخه ابن الخطيب في اللمحة البدرية ثم في الإحاطة قبل سنة 770 هـ[6]. وقد ترجم له بعد ذلك معاصره ابن الأحمر في نثير فرائد الجمان ولم يشر إلى سنة وفاته[7]؛ أما ابن الأحمر حفيد الغني بالله وجامع ديوان ابن زمرك فقد أشار إلى حادثة

(1) ابن الأحمر: أزهار II/ 18 ـ 19).

(2) المصدر السابق: II / 18 ـ 19).

(3) المصدر المذكور سابقاً II / 20؛ نفح الطيب X / 30.

(4) نفح الطيب VI / 350.

(5) أزهار II / 13؛ لذلك ما إن تولّى الأمر سنة 810 هـ حتى عطف على أبنائه شفقة عليه فأغدق عليهم عطاياه اعترافاً بفضله وخدمته (المصدر السابق).

(6) لقد أتمّ اللمحة سنة 765 هـ؛ والإحاطة سنة 770 هـ (انظر مقال بلاشير تعليق: 29؛ تعليق 33).

(7) توفيّ سنة 807 هـ ولعله ألف كتابه قبل وفاة ابن زمرك.

موته وفصّل فيها القول لكن لم يحدّد تاريخها وإنّما ذكر أنّها كانت في عهد أخيه السلطان محمد السابع وبأمر منه أي بين 794 هـ و810 هـ[1] وهي فترة حكمه.
إنّ هذه الإشارة الغامضة هي التي حملت المقّري على التردّد في تحديد سنة وفاته: فهو في أزهار الرياض ـ تأليفه الأوّل[2] ـ يرى أنّ ابن زمرك قد «مات مقتولاً بعد التسعين والسبعمائة»[3] ثم يضبط هذا التاريخ بدقة أكبر في نفح الطيب[4] بعد تفكير وتروّ من قول ابن الأحمر فينتهي إلى أنّه «قد يُفهم من مضمون ما سبق [أي كلام ابن الأحمر] أنّ قَتْلَ ابن زمرك بعد عام 795 هـ»[5].

إنّ صمت ابن الأحمر ثم تردّد المقّري كانا سببين حملا المتأخّرين إمّا على الاعتراف بالعجز عن تحديد وفاته كصاحب نيل الابتهاج الذي صرّح بأنّه «لم يقف على وفاته»[6]؛ أو إلى ترجيح تاريخ ما: فبروكلمان اختار سنة 795 هـ[7]؛ وبلاشير ضبط ذلك بين أواخر 795 هـ أو أوائل 796 هـ[8]؛ أما بلنثيا فذهب إلى سنة 796 هـ[9] بل أنّ محقّق ديوان ابن الخطيب توهّم أنّها كانت سنة 793 هـ[10] أي قبل وفاة الغني بالله بينما نعلم بأنّ زمرك قد حضر وفاة سلطانه ورثاه بل عاصر كامل عهد خلفه يوسف الثاني فسنوات من عهد حفيده محمد السابع.

لقد كدنا أن نأخذ بقول المقّري في نفح الطيب فنذهب إلى أن ابن زمرك قد

---

(1) أزهار II / 20.
(2) ألّفه في فاس بين 1013 هـ و1027 (مقدّمة المحقّق ص «د»).
(3) (II / 11).
(4) أنهى تحريره بعد «الأزهار» قبل وفاته بثلاث سنوات أي سنة 1038 هـ (فصل مقّري بدائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية ط جديدة VI / 170 ـ 172).
(5) X / 30.
(6) ص ص 282 ـ 283.
(7) التاريخ II / 259؛ الملحق II / 37.
(8) المقال ص 143 التعليق 68.
(9) تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة حسين مؤنس) ص 139.
(10) محمد الشريف قاهر (مقدمة الصيّب والجهام ص 305 تعليق: 1).

قُتِل فعلاً بعد 795 هـ إذ أنّ محمد السابع قد استوزر في أوّل حكمه الفقيه ابن عاصم لمدة عام أي من 794 هـ إلى 795 هـ ثمّ أعاد ابن زمرك في هذه السّنة إلى خطّته[1] فإنّ قدّرنا أنّه بقي مدّة يباشرها رجحنا أنّه مات بعد 795 هـ لولا أنّ المخطوط الذي سنحققه ـ وهو «البقية والمدرك» ـ قد حملنا على تجاوز هذا القول ـ وبالتالي الأقوال السابقة ـ إلى ضبطٍ لتاريخ الوفاة أدقّ وأصوب يقرّبنا منه ولا يجعلنا ندركه. فلقد جاء في الصفحة 44 قفا من المخطوط تقديم ابن الأحمر جامع الديوان للقصيدة رقم (69) بقوله:

«وقال يخاطب أخانا أيضاً [هو محمد السابع] ـ رحمه الله ـ وقد أعمل الرّكاب لتفقّد البلاد الشرقية، وورده لأوّل يوم من الرحلة قتل طاغية النصارى المفسدين في البحر كان قد قاتل بعض الركّاب بأصطبونة وذلك يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شوّال من عام سبعة وتسعين وسبعمائة [797 هـ]».

فقد كانت وفاة ابن زمرك إذا بعد سنة 797 هـ.

لقد عاش ابن زمرك أربعاً وستين سنة ـ تزيد أو تنقص ـ قضى منها قرابة نصف قرن في خدمة دولة بني الأحمر. وقد لاحت من خلال هذه الخدمة ملامح ابن زمرك الديوانية والسياسية وقد حلّلناها عند تولّيه الكتابة في ديوان ابن الخطيب فكتابة السرّ والوزارة للغنيّ بالله؛ لكنّ لابن زمرك ملامح علمية تعليمية وأخرى أدبية لا تقلّ عن الأولى ظهوراً وإشعاعاً تتجلّى في شخصيته فقيهاً مدرّساً فكاتباً ناثراً فشاعراً.

الفقيه[2]:

لقد حدّد ابن الأحمر صاحب نثير الفرائد هذه الملامح العلمية التي اكتسبها ابن زمرك بقوله واصفاً إيّاه: «[هو] المكثر في مسائل الفقه... والقائم بالأصول والمتوصّل للقراءات السّبع غاية الوصول والمستعمل من معرفة المنطق

---

(1) ابن الأحمر: أزهار II / 19.

(2) هذا اللقب تردّد في كلّ المراجع: نثير الفرائد ص 326؛ أزهار II / 11، نفح X / 24.

في ميدانه رَمْيَ النُّقُول والمتكلم في النحو بما يُستَملَح من الفصول[1]. . .

إنّ هذا التضلّع في العلوم الشرعية والعقلية واللغوية أهّله للانتصاب للتدريس فتجاوز بذلك وظيفته الرسمية في بلاط الغنيّ بالله وهو شاب قد استكمل تكوينه العلمي[2] نرجّح أنّ ذلك كان بين 750 هـ و753 هـ[3] إبّان تقلّده لمنصب الكتابة في ديوان ابن الخطيب وقبل رحلته المغربية الأولى[4] واستمرّ إلى تولّيه خطّة كتابة السرّ سنة 763 هـ[5] ولعلّه قطع ذلك أثناء الرحلة المغربية الثانية لمدّة سنتين. فقعد في كامل هذه الفترة بجامع مالقة ثم بمسجد الحمراء بغرناطة يدرّس التفسير والإعجاز والتوحيد والتصوّف والأخبار والعربية والبيان[6] فقصدته «أمم طمى منهم البحر»[7] وتخرّج على يديه الكثيرون نذكر منهم الفقيه الذائع الصيت أبا اسحاق الشاطبي[8] الذي كان يحلو له أن يستعرض ما جناه من فوائد عن شيخه.

إن هذا الانصراف عن الديوان والسياسة إلى التعليم لم يكن لرغبة ذاتيّة في

---

(1) ص 327.

(2) لم يحدّد أيّ مرجع تاريخ بدايته في مجال التدريس لذلك يضطّر الباحث إلى التأويل والاجتهاد.

(3) لأن ابن الأحمر يحدّد هذه الفترة بقوله: «ولما بلغ الأشدّ» (أزهار II / 17) «أي ما بين الثامنة عشرة والثلاثين» (الفيروزآبادي: القاموس المحيط I / 305 ط 4 مصر 1357 / 1938).

(4) نفهم ذلك من قول ابن الخطيب الذي أشار الى انتصابه متكلماً فوق الكرسيّ قبل رحلته لطلب العلم للاستزادة (الإحاطة II / 221).

(5) ذلك ما نفهمه من فقرة في النفخ (VII / 62) يذكر فيها المقّري أنّ السلطان الغني بالله قد «نقله [أي ابن زمرك] من كرسيّ التدريس والتعليم إلى مراقي التنويه والتكريم» وذلك عندما عيّنه في كتابة سرّه سنة 763 هـ.

(6) مواد التدريس استنتجناها من الجمع بين كلامَيْ ابن الأحمر (أزهار II / 17) وابن الخطيب (الإحاطة II / 221).

(7) ابن الأحمر: المصدر المذكور سابقاً.

(8) ابراهيم بن موسى؛ فقيه مالكي (توفي 790 هـ / 1388 م) يعرض في كتابه الإفادات والإشارات بعض ما أفاده من ابن زمرك ؛ إثر إيابه إلى وطنه من رحلة العدوة أي في حدود 763 هـ؛ من نكت في علم البيان (المقري: نفح X / 139 ـ 140).

نشر العلم أو لطلب الوجاهة العلمية[1] فحسب بل كان ناتجاً عن أزمة نفسية حادّة عاشها ابن زمرك ولا نعلم عن أسبابها شيئاً[2].

الرئيس[3] الناثر:

لقد أشـاد ابن الخطيب بحسن اضطلاع ابن زمرك بوظيفة كتابة سرّ الغنيّ بالله «خطّـا وإنشاء»[4] كما أشار إلى اتّساع باعه في النظم والنثر[5]؛ أمّا ابن الأحمر فوصفه بأنّه «عَلَم الكتابة»[6]. لكن لم يبق لنا من نثر ابن زمرك شيئاً مذكوراً يمكننا من دراسة خصائصه ناثراً باستثناء رسالة قصيرة حرّرها في استنهاض همم المسلمين ضدّ النصارى[7] وثانية نثرية شعرية راسل بها صاحبه عبد الرحمان بن خلدون[8] وثالثة من مخاطباته الموجزة لشيخه ابن الخطيب[9].

الشاعر:

لقد نوّه ابن الخطيب بشاعرية ابن زمرك عندما وصف شعره بأنه «مترامٍ إلى هدف الاجادة، خفاجيّ النزعة، كلف بالمعاني البديعة والألفاظ الصقيلة، غزير

---

(1) الرغبة في الوجاهة نفهمها من قول ابن الخطيب: «ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي... مستظهراً بالفنون التي بعد فيها شأوه» (الإحاطة II / 221).

(2) هي «تقلبات» عرضت لأفكاره؛ وآفات «أبعدته عن السياسة»؛ و«شراك وقعات».

(3) لقب تردّد في المراجع (ابن الأحمر: أزهار II / 11؛ المقّري: المصدر المذكور II / 176) ولا يعني لقباً سياسيّاً أو عسكرياً بل ينطبق على خطّة الكاتب في الديوان أو موظف القلم (بروفنسال: نقوش عربيّة بإسبانيا ص XX).

(4) الإحاطة II / 221.

(5) الإحاطة II / 221.

(6) نثير فرائد الجمان ص 327.

(7) أزهار I / 63 ـ 64؛ والغريب ان بلاشير لم يهتد إلى هذه الرسالة الأولى ولا إلى الرسالتين الاخريين فيذكر في مقاله (ص 138) «لم يبق لنا من سجع ابن زمرك شيئاً؟».

(8) التعريف ص ص 282 وما بعدها.

(9) الاحاطة II / 239 ـ 240.

المادة»[1]. وخصّ إجادته «بالقصائد التي تطول»[2]. كما أعجب ابن الأحمر صاحب نثير فرائد الجمان بابن زمرك «الذي تقلّد سيف الشعر المحلّى وبالإجادة فيه تجلّى»[3] هذا التنويه والإعجاب عبّرا عنهما ابن الأحمر حفيد الغني بالله تعبيراً غير مباشر عندما جعل «ضمّ ما نثرته الحوادث من منظوماته من أكيد أعماله»[4] فصرف همّته في جمع شعره في ديوان ضخم؛ كما عبّر المقري عن الموقف ذاته عندما خصّص لابن زمرك في أزهاره ما يناهز المائتي صفحة[5].

هذه الغزارة اعتبرها عبدالله كانون علامة على «كون ابن زمرك أشعر من أتى بعد ابن الخطيب من أدباء الأندلس»[6] وهذا ما ذهب إليه بلنثيا عندما قرّر أن «ابن زمرك آخر علم من أعلام الشعر الأندلسي»[7] بيد أن بلاشير مع اعترافه بقيمة شعر ابن زمرك في «إلقاء أنوار على تطوّر الأدب الكلاسيكي عند عرب الأندلس قرنا قبل سقوط غرناطة»[8] يعتبره شهادة على «الفاقة التي آل إليها شعر البلاط بالأندلس»[9].

شعره

لقد انتقى معاصرو ابن زمرك نتفا من أشعاره دوّنوها منذ حياته أو بعد وفاته بقليل نذكر منهم ابن الخطيب في إحاطته[10] وابن الأحمر في نثير فرائده[11]

---

(1) الاحاطة II / 223.

(2) الكتيبة ص 283.

(3) ص 327.

(4) أزهار II / 11.

(5) II / 7 ـ 206.

(6) ديوان ملك غرناطة: المقدمة ص «و».

(7) تاريخ الفكر الأندلسي (الترجمة) ص ص 139 ـ 142

(8) المقال ص 132

(9) المقال السابق ص 156.

(10) II / 223 ـ 241 وذكر سبع قصائد وسبع مقطوعات ضمّت 366 بيتا وقد أعاد بعضها في الكتيبة الكامنة (ص 283 وما بعدها)

(11) ص ص 328 ـ 329 ولم يرو إلاّ قصيدة واحدة رائية من الطويل ضمّت 20 بيتاً خاطب بها شيخه ابن الخطيب.

وعبد الرحمان بن خلدون في رحلته[1].

لكنّ أحد أحفاد السلطان ابن الأحمر الغني بالله «المظهر الميل إليه في كل ما له أو عليه»[2] المعجب بما «جُمِع فيه من أدوات الكمال»[3] التي جعلت جَدَّه يرتضيه للكتابة والرسالة والحجابة[4] المتفجّع على حادثة موته الفظيعة المشفق على أبنائه من بعده الخائف على اندثار ذكره وضياع شعره ـ هذا الحفيد ـ صرف همّته للبحث والتفتيش عن شعره وجعل جمعه من أوكد أعماله[5].

ولقد تمّ له ذلك بعد أن اعتمد مصدرين: **الذاكرة** فسجّل ما تعلّق بمحفوظه من أشعار ابن زمرك، **والمكتوب** المستمد من رقاع تركها الشاعر فحالت وكادت أن تندثر[6].

فاجتمع له من كل ذلك ديوان ضخم [7] جمع أشعار ابن زمرك ومقدّمة عرّف فيها بحياته وشعره واختار له عنواناً هو «البقية والمدرك من شعر ابن زمرك» أمّا البقية فما بقي بعد هلاكه من شعره المشاع بين الناس وأمّا المدرك فلأجل ما أضافه ابن الأحمر من أشعاره التي تركها في مبيّضاته ولم يخرجها في حياته[8].

لقد انفرد المقّري دون غيره من أصحاب المختارات والتراجم الأندلسية والمشرقية بنقل «نبذ انتقاها من مواضع شتّى»[9] من هذا السفر الملوكي «البقية والمدرك» الذي رآه بتلمسان في مجلّد ضخم؛ وتجاوزت هذه النّبذ في

---

(1) ص ص 282 ـ 298 وذكر قصيدة واحدة دالية من الطويل ضمّت 76 بيتاً.

(2) أزهار II / 14.

(3) المصدر المذكور سابقاً ص 12

(4) المصدر السابق II / 12

(5) المصدر السابق II / 11.

(6) المصدر المذكور سابقاً

(7) «وهو سفر ضخم ليس فيه إلا نظمه فقط».(المقري: أزهار II / 11)

(8) المصدر السابق II / 11.

(9) أزهار II / 34.

أزهار الرياض المائتي صفحة.

ولم يُشِر من جاء بعد المقّري من القدامى والمحدثين إلى اليوم ـ أي طيلة أربعة قرون ـ إلى هذا الديوان بل اكتفوا بالاقتباس من مختارات المقّري في كتابَيْه.

فهل ضاع هذا الديوان ضمن ما ضاع من تراث أندلسي أو عربي مكتوب نثري أو شعري؟

ذاك ما يفكر فيه الباحث. وما كنا نفكّر فيه قبل أن نكتشف في مكتبة الجدّ الشيخ. محمد النيفر[1] ـ رحمه الله ـ سفراً فريداً جمع أشعار ابن زمرك وأشتاتاً من أزجاله تبيّن لنا بعد التمحيص والبحث أنه إن لم يكن البقية والمدرك نفسه فهو نسخة منه على الأقل.

لكنّ الإشكال الأوّل الذي اعترضنا هو أنّ هذا الديوان متلاشي الأوّل والآخر فلا نعثر له على عنوان يعرّفه، ولا على مقدّمة تضيء ما فيه، ولا على خاتمة تشير إلى جامعه أو ناسخه أو تاريخ نسخه. فكيف انتهينا إلى أنه لابن زمرك؟ وكيف أقررنا بأنه هو البقية والمدرك نفسه أو نسخة منه؟

الديوان المخطوط هو البقية والمدرك:

إنّ هذا الديوان المخطوط هو لابن زمرك أوّلاً. نستنتج ذلك من جملة من العلامات الظاهرة والحجج القاطعة:

1 ـ منها ما كُتِب على الصفحة الأولى من المخطوط وإن كان بخطّ مغاير لخطّ الناسخ وبلون يختلف قليلاً عن اللّون الأصلي. فقد جاء في هذه الصفحة ما يلي:

«الحمد لله وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

(1) صاحب كتاب التراجم المعروف بـ«عنوان الأريب» وكتاب «حسن البيان» في تاريخ إفريقية؛ المدرس والمؤرّخ والشاعر (توفيّ 1330 هـ / 1920 م).

صاحب هذا الديوان هو الإمام ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد ابن يوسف الصريحي المعروف بابن زمرك وهو من علماء المائة الثامنة».

فالمخطوط بسند الرواية وعند مالكيه أو قرّائه ينسب إلى ابن زمرك بلا شكّ.

2 ـ ومن هذه العلامات أنّ كل القصائد المدحيّة الواردة فيه لا يمكن أن تكون إلاّ من نظم شاعر اختصّ بالسلطان الغنيّ بالله: فكلّها في مدحه[1] أو في مدح ابنه أبي الحجّاج يوسف الثاني[2] أو حفيده أبي عبد الله محمّد السابع[3]؛ وكلّ قصائد التهنئة أو الشكر على الهدايا[4] فقد وجهت إليه؛ وكل الأحداث التاريخية الواقعة بالأندلس[5] أو بالعدوة[6] فقد كان مركزها الغنيّ بالله؛ وكلّ قصائد المناسبات من عيديّات[7] ومولديّات[8] وإعذاريّات[9] إنّما كان إطارها قصر الغنيّ بالله بغرناطة. فصاحب هذا الديوان إنّما هو «شاعر الغنيّ بالله». ولا يمكن أن يكون هذا الشاعر غير ابن زمرك لأنّ كتب التاريخ والمختارات الأندلسية لا تخبرنا عن شاعر لازم الغنيّ بالله سواه ألم يقل في إحدى رقاعه مفتخراً: «خدمته سبعا وثلاثين سنة [أي الغنيّ بالله]... أنشدته فيها ستّاً وستين قصيدة في ستّة وستين عيداً؟»[10]

3 ـ ومن هذه العلامات أشعار النقوش على قصر الحمراء وقد أحصينا منها في الديوان المخطوط تسعاً وعشرين مقطّعة نُقِشَت على طاق أو قوس أو باب أو

(1) انظر مثلاً القصائد: 2،3،4،25،70،86،103،106،218،268،288.

(2) 207،247،وهما مدحيتان في الغنيّ بالله وفي ابنه يوسف معاً.

(3) 5،72،73،74،76،207،305.

(4) 23،43،63،151،153،178،202،206،262.

(5) 45،57،69،126،127.

(6) كمدائحه في سلاطين بني مرين: انظر القصائد: 125،126،127،131،304.

(7) 1،259،345.

(8) 102،128،150.

(9) 107.

(10) ابن الأحمر: أزهار II / 16 ـ 17.

خصّة أو برطل[1]. . . ومن هو ناظم هذه الأشعار إن لم يكن «شاعر الحمراء» ابن زمرك[2] الذي تباهى بأن كلّ ما في منازل الغنيّ بالله «من القصور والرياض والدّشار والسّبيكة من نظم رائق ومدح فائق في القباب والطاقات والطّرز فهو له»[3]؟

4 ـ ومن أجلى العلامات أيضاً خصائص ظاهرة في أسلوب هذه الأشعار لا تختلف عن خصائص أشعار ابن زمرك المتناثرة في المصادر المطبوعة وتظهر خاصّة في المدحية: في أقسامها وفي طرق المدح وفي المقدمات والخواتم فهو ينقل مقدّمة قصيدة إلى أخرى ويورد قسماً كاملاً في قصيدة يقتطعه من ثانية ويختم دوماً بتقبيل يد ممدوحه إلخ. . .[4].

5 ـ أمّا ما يثبت أنّ هذا الديوان المخطوط هو لابن زمرك قطعاً فما يلاحظه المتأمّل من أبيات أو مقاطع أو قصائد كاملة يجدها في مخطوطنا ثم يجدها نفسها أو مع فروق جزئية في المصادر المطبوعة كالإحاطة وأزهار الرياض ونفح الطيب[5].

لكل ذلك لا نشكّ في أن ديواننا المخطوط هو لابن زمرك بل لا نشك في أنه البقية والمدرك نفسه.

6 ـ فلو كان لابن زمرك ديوان آخر غير البقية والمدرك لأشار إليه المقّري أو أصحاب المختارات الأندلسية أو المتأخرون من الدارسين[6].

7 ـ ثمّ إنّ جملة من القصائد الموجودة في ديواننا المخطوط نجدها ضمن ما انتقاه المقري من البقية والمدرك نفسه.

---

(1) انظر مثلاً المقطّعات: 97، 115، 116، 118، 119، 276، 277، 278.

(2) لقد ترددت هذه التسمية في كثير من المراجع (انظر مثلاً غارسيا غومز وكتابه حول ابن زمرك شاعر الحمراء IBN ZAMRAK, et poeta de la AL hamra dans cinco poetas musulmanes; Madrid 1944 pp 169-271).

(3) ابن الأحمر: المصدر المذكور سابقاً.

(4) انظر القصائد: 1، 2، 3، 4، 147، 148.

(5) نذكر خاصّة القصائد: 116، 134، 147، 154، 155، 173، 267، 274.

(6) لا يشير بروكلمان في تاريخه ولا بلاشير في مقاله أو بلنثيا أو غومز فيما ألّفوا أو غيرهم من الباحثين في الأدب الأندلسي أنّ لابن زمرك ديواناً مخطوطاً أو مطبوعاً.

وهنا يواجهنا إشكال ثان: فلماذا نجد في ديواننا المخطوط قصائد كثيرة لا نجدها ضمن ما أورده المقّري في الأزهار والنفح من أشعار نقلها من البقية والمدرك؟ ولماذا لا نجد في ديواننا كثيراً ممّا أورده المقّري من قصائد كان انتقاها من نفس المصدر أي من السّفر الملوكي الذين كان رآه بتلمسان؟ فلماذا لا تتطابق المادتان؟

الجواب بديهي فمن جهة لاحظنا أن مخطوطنا متلاشي الأوّل والآخر سقطت منه بعض أوراق من وسطه ففي هذا المفقود الكثير مما نقله المقّري من البقية والمدرك. ومن جهة أخرى فإن المقّري كان ينتقي من البقية «بعض صفحات ويسقط أخرى»[1] بل كان ينقل من القصيدة الواحدة بعض الأقسام ويترك الأخرى[2] وهو بصريح عبارته يذكر أنه «ينقل من مواضع شتى»[3] وينتهي إلى أن «تتبّع هذا الديوان الضخم يطول»[4] لذلك فقد «ترك أكثره»[5] وفي هذا الأكثر المتروك نضع الأشعار الكثيرة التي وُجِدت في مخطوطنا ولم توجد لا في الأزهار ولا في النفح.

وهذا ما يضفي على مخطوطنا سمة التفرّد والنفاسة إذ يحوي في جانب كبير منه مادّة بكراً أهملها المقري خشية الإطالة والإضجار.

8 ـ إنّ ما يجعل الباحث يطمئن كلّ الاطمئنان إلى أنّ مخطوط ديواننا هو البقية والمدرك فعلا هو أنّ جامعه هو نفسه جامع «البقية» فجامع البقية هو حفيد ابن الأحمر السلطان المخلوع الغنيّ بالله[6] وجامع ديواننا

---

(1) يقول مثلاً: «ثم قال بعد ذكر كثير من نظمه وبعض ميلادياته» (أزهار II / 42)
أو قوله: «ثم قال بعد إيراد عدة مقطوعات وقصائد من نمط سابق (المصدر السابق II / 132)

(2) يذكر مثلاً «. . . ومنها بعد نيّف وستين بيتاً» (المصدر السابق II / 146)

(3) المصدر السابق II / 34.

(4) المصدر السابق II / 34.

(5) المصدر المذكور سابقاً II / 175 ـ 176؛ كما يذكر في المصدر نفسه II / 176: «. . . ما نقلته من ذلك كان عندي عدّة أوراق فخفت عليه الدروس فلذا جمعت بعضها هنا».

(6) المقّري: نفح II / 22 ـ 31؛ أزهار II / 11.

المخطوط هو هذا الحفيد نفسه.

فهو يقول في مقدمة بعض القصائد: «ومن ثنائه على نعم مولانا الجدّ»[1] ويقول في أخرى: «وقال ينعم صباح مولانا الجدّ»[2] وهو يصرّح باسم جدّه قائلاً «ومن عيدياته الحافلة يمدح مولانا الغنيّ بالله[3] وقد تكرّر ذلك مرّات عديدة، فالجد هو الجدّ والحفيد هو الحفيد.

وهو أحياناً يشير إلى أبيه بدون ذكر اسمه: مولانا الوالد[4] وأحياناً أخرى يذكر اسم العمّ نصر: «وقال يمدح... ويهنىء بمولود لعمنا الأمير نصر»[5] وفي مرات عديدة يذكر اسم الأخ أبي عبدالله محمّد: «... وقال في مدح أخينا السلطان أبي عبدالله»[6].

ويعترضنا في هذا المجال إشكال ثالث: من هو جامع الديوان حفيد الغنيّ بالله؟

جامع الدّيوان:

إنّ المقّري في الأزهار والنفح لا يذكر اسم هذا الجامع ولا ما يضيء شخصيته. فهو يُغمِض في النفح عند قوله[7] «ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الأحمر»... فيذكر الابن تعميماً وهو يريد الحفيد لذلك يصرّح في الأزهار بأنّ هذا الكتاب نفسه هو من «تأليف بعض سلاطينها بني الأحمر وهو حفيد ابن الأحمر المخلوع سلطان الأندلس»[8] فهو لا يصرّح باسم الحفيد

(1) القصيدة رقم 61.
(2) رقم 78
(3) القصيدة رقم 1
(4) القصيدتان 257،207.
(5) رقم 102
(6) رقم 5،2.
(7) X / 22 ـ 31.
(8) II / 17.

ويُلغِز في ذكر لقب الجدّ ولا يحلّ الباحث هذا اللغز إلاّ بالرجوع إلى كتب تاريخ بني الأحمر ليعلم منها أنّ «المخلوع» إنّما هو الغنيّ بالله محمد الخامس[1].

إنّ هذا الغموض والتردّد أحدثا التباساً عند بعض الباحثين جعلهم يخلطون بين ابن الأحمر هذا حفيد الغنيّ بالله وابن أحمر ثان له معاصر هو اسماعيل بن يوسف صاحب كتاب «نثير فرائد الجمان»[2].

إن ديواننا المخطوط يزيل هذا الالتباس وينفي بالتالي الإشكال الذي أشرنا إليه إن حلّلنا مقدمات القصائد[3] وإن تأمّلنا في المادة الشعرية نفسها؛ كما أنّ ابن الأحمر في المقدمة التي صاغها للتّعريف بابن زمرك ـ والتي نقلها المقّري في كتابَيْه ـ يخبرنا عن نفسه بنفسه. فمن هو هذا الحفيد إذن؟

أ ـ إنّه حفيد الغنيّ بالله بذلك صرّح في مقدمة القصيدة الأولى من الديوان.

ب ـ وهو ابن السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني رغم أنه لم يصرّح باسم والده وإنّما أشار مرتين بقوله: «مولانا الوالد «كما أشار إلى ولاية أبيه للعهد في حياة والده[4] ولم يكن وليّ عهد الغنيّ بالله إلا ابنه أبا الحجاج يوسف، كما ذكر في مقدمات قصائد عديدة أنها في مدح «أخينا أبي عبدالله»[5] وأبو عبدالله هذا هو محمد بن يوسف تولّى الأمر من بعده.

إنّ أبا جامع الديوان ـ وهو يوسف الثاني ـ ترك أبناء ثلاثة: محمداً وعلياً ويوسف[6].

---

(1) راجع ما سبق «الرحلة المغربية الثانية»

(2) وهذا ما وقع لشكيب أرسلان فنسب البقية والمدرك إلى إسماعيل بن الأحمر صاحب نثير فرائد الجمان (خلاصة تاريخ الأندلس ص 166)؛ كما انزلق عبدالله عنان في نفس الوهم (نهاية الأندلس ص ص 161، 364).

(3) القصيدتان: 207، 257 مثلاً.

(4) جاء ذلك في البيت الخامس من القصيدة 207 وهي من البسيط ورويّها الصاد:

مـا كنـت أحسـب أنّ البـدر ذو قنـص   حتّـى رأيـت ولـيّ العهـد مقتنصـاً

(5) القصيدة: 2.

(6) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص 24؛ ابن خلدون: التاريخ فصل «دولة بني الأحمر» =

إنّنا نُقصي محمّدا الذي تولّى الأمر بعد أبيه، ذلك أنّ الجامع يشير إلى أنّ محمّداً أخوه. فقد تردّد في مقدمة قصائد عديدة قوله[1]: «قال في مدح أخينا السلطان أبي عبدالله» أو قوله:[2] «وقال مخاطباً لأخينا السلطان أبي عبدالله» وأبو عبدالله هو محمد السابع هذا.

كما ننفي أن يكون الجامع عليّا لأنّ المقّري يشير إلى أنّه أحد سلاطين بني الأحمر وعليّ لم يتولّ الحكم أبداً[3].

فلا يمكن أن يكون جامع البقية والمدرك إلاّ السلطان يوسف الثالث الذي حكم بعد أخيه محمّد ولقّب بالناصر لدين الله.

إنّ المقّري يشير إلى ذلك عندما ينعت الديوان الذي رآه بتلمسان بأنّه «تأليف ملوكي» فمؤلفه ملك أو سلطان؛ كما نستنتج ذلك أيضاً من عبارات ذكرها الجامع نفسه في مقدمة البقية والمدرك[4].

لقد امتدّ حكم يوسف الثالث من 810 هـ / 1408 م إلى 820 هـ / 1417 م وشهد في بدايته صراعاً عنيفاً مع الملك الإسباني فرديناند انتهى قبل سبع سنوات من موته بعقد هدنة[5].

= ص 384؛ دائرة المعارف باللغة الفرنسية (ط. جديدة) فصل بني نصر ج. VII ص ص 1022 وما بعدها)

(1) القصيدة 2

(2) القصيدة 5

(3) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص 24؛ ابن خلدون: التاريخ فصل «دولة بني الأحمر» ص 384؛ دائرة المعارف باللغة الفرنسية (ط. جديدة) فصل بني نصر ج. VII ص ص 1022 وما بعدها)

(4) يقول: «... ولما تبلّج الصبح لذي عينين وتلقّينا راية الفرج بالراحتين عطفنا على أبنائه [أي ابن زمرك] عواطف الشفقة وأطلقنا لهم ما عاثت الأيدي عليه صلةً لرحم طالما أضاعها من جهل الأذمّة». (أزهار II/13) فتلقّي الراية إشارةً إلى الولاية، وإطلاق العطاء وإنصاف المظلوم علامتان على الحكم والتفرّد بالقرار.

(5) راجع خاصة فصل دائرة المعارف المذكور سابقاً.

إنّ يوسف الثالث جامع الديوان ملك كما أنه عالم وشاعر.

ولقد أشار في مقدمة البقية إلى اشتراكه مع ابن زمرك في التتلمذ على كبار شيوخ غرناطة في العلوم الشرعية واللسانية والأدبية(1).

كما أنّه شاعر رَثَى في مقدمة «البقية» ابن زمرك بأبيات مؤثّرة(2) ونعلم أن له ديواناً مطبوعاً يدل على جودة شعره(3).

إنّ هذه الملامح التي اتّصف بها يوسف مكّنته من أن يحسن الجمع والتأليف والتحقيق لشعر ابن زمرك.

فهو ـ باعتباره أميراً فملكاً ـ عليم بأسرار البلاط وبأدقّ أسرار الحياة السياسية وبدور ابن زمرك في هذا البلاط وفي هذه الحياة. لذلك ربط المادة الشعرية بالظرف التاريخي وبالمناسبة الذاتية. ولكونه شاعراً معجباً بعبقرية ابن زمرك فقد أهّله ذلك لحفظ شعره: من الذاكرة أوّلاً فمن الرقاع المكتوبة التي عثر عليها ـ دون غيره ـ ثانياً، كما أهّله ذلك لحسن رواية هذه الأشعار وللتدقيق في ضبطها وتحقيقها نحوياً ولغوياً وعروضياً.

ومن كل ذلك يستمدّ ديواننا المخطوط قيمته ونفاسته.

متى جمع يوسف الثالث ديوان البقيّة والمدرك؟

لا يسعنا إلا أن نقرّب ونفترض. ذلك أنّ ابن الأحمر لم يذكر تاريخ جمعه ولا المقّري، كما أنّ ديواننا المخطوط وهو المبتور الآخر لم يشر إلى ذلك.

إنّ أوّل ما نلاحظه هو أنّ الديوان جُمِع ولا شك بعد وفاة ابن زمرك أي بعد

---

(1) انظر ما سبق (تكوينه العلمي)، كما يضيف جملة من المشايخ انفرد بالأخذ عنهم «مثل الامام الحافظ ـ ابن جُزَي، ومعلّمنا المجتهد أبي عبدالله الشريشي، والقاضي الإمام ابن علاّق» (أزهار II / 131)

(2) خمسة أبيات بحرها البسيط ورويّها الراء (المصدر السابق II / 131)

(3) هو «ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث».

سنة 797 هـ[1] لأنّ الجامع يتعرّض إلى حادثة قتله في مقدمة الديوان. وكنا سنرجّح أنّ تاريخ الجمع إنما كان بين 797 هـ و 810 هـ وذلك لسببين: أولهما أنّ الجامع يوسف الثالث إنّما تولّى الحكم سنة 810 هـ واشتغاله بأمور السياسة وانصرافه خاصّة إلى محاربة الاسبان عائقان يمنعانه من التفرّغ لهذا العمل الشاق، ثانيهما إعجاب ابن الأحمر بشعر ابن زمرك وإشفاقه على تلاشيه وضياعه كانا عاملين يدفعانه إلى المبادرة بهذا الجمع بمجرّد وفاته ـ كنا سنرجّح ذلك ـ لولا أنّ عثرنا في ديواننا المخطوط في مقدمة القصيدة رقم 5[2] على ما يدل على أنّ تاريخ الجمع إنّما كان في مدّة ولاية هذا الجامع يوسف الثالث أي بين 810 هو 820 هـ فقد جاء في المقدمة: وقال [أي ابن زمرك] من كلامه السمح السهل المقاصد في النسيب والمدح مخاطباً لأخينا السلطان أبي عبدالله رحمه الله. فأخوه السلطان أبو عبدالله ـ وهو محمد السابع ـ توفّي قبل جمع الديوان، ونعلم أنه قد توفّي سنة 810هـ وقد حكم بعده أخوه يوسف الثالث وهو جامع الديوان نفسه.

فقد كان تاريخ الجمع إذن بين 810 هـ و 820 هـ ونرجح أنّه في النصف الثاني من هذا العقد (أي بين 815 هـ و 820 هـ) لأنّها كانت فترة هدوء وسلم عقد فيها يوسف الثالث الصّلح مع الملك فرديناند.

الديوان المخطوط:

يحتوي المخطوط على مائة وستين ورقة كُتبت من الوجه والخلف أي يضم ثلاثمائة وعشرين صفحة. جُمعت في سفر أخضر اللون يرجع تاريخ تسفيره إلى ما يقارب ثلاثة أرباع القرن وقام بذلك الجد رحمه الله.

وهو متلاشي الأول والآخر، فلا يوجد ما يدلّ على بدايته أو نهايته وقد سقطت قصائد أو أجزاء من قصائد كانت بين ثناياه. كما اختلطت بعض صفحاته نتيجة خلل في التسفير حاولنا التنبيه إليه في موطنه بمحاولة إرجاع الترتيب

---

(1) انظر ما سبق: التحقيق في تاريخ وفاته.

(2) ص 57، وما يدعم ذلك ما نجده في مقدمة القصيدة رقم 2 ص 49 أيضاً.

الأصلي كما اجتهدنا في ملء بعض الفراغات الناتجة عن سقوط أبيات أو بيت أو صدر أو عجز إما لنقص في الأصل وإما لتلاشٍ طارئ.

وقد ضم المخطوط ثلاثمائة وخمساً وأربعين قصيدة تتراوح الأبيات فيها بين بيت واحد ومائة وعشرين بيتاً وبلغت مجموع الأبيات أربعة آلاف وخمسمائة وأربعة وثمانين (4584).

وقد جاءت القصائد مشكولة شكلاً تاماً سليماً في الغالب إلا ما يلاحظ من أخطاء نبّهنا إليها في مكانها.

أما معدل مساحلة الصفحة فهي 25,5 سم × 19 سم ومساحة المكتوب منها 20 سم × 12 سم. ومعدّل عدد الأسطر في كل صفحة ستة عشر ومعدل عدد الأبيات لا يتجاوز الأربعة عشر.

ونوع ورق المخطوط أندلسي شاطبي وحبره بنيّ اللون والخط أندلسي مغربي[1] تميّز بأشكال بعض حروفه كالكافات والدّالات والرّاءات. واتّسم هذا الخط بالوضوح وحسن التناسق ورقة الذوق وتغليظ الكتابة أو ترقيقها بين مقدمة القصيدة والقصيدة نفسها.

وقد أتت كل هذه القصائد مصدّرة بتقديم من وضع الجامع يذكر فيه تاريخ القصيد أو المناسبة التي قيلت فيه أو المخاطَب الذي إليه توجّه أو موضوع القصيد أو كل ذلك مجتمعاً.

إنّ تاريخ مخطوطنا يرجع إلى القرن التاسع الهجري ولا يتجاوز العاشر[2] ونرجّح أن نسختنا هذه هي النسخة الملوكية الأصلية التي كان رآها المقري بتلمسان وعنها نقل، كما أنها ـ على حدّ علمنا ـ النسخة الوحيدة[3] لديوان البقية والمدرك.

---

(1) استنتاجاتنا لنوع الخط وتاريخ النسخ إنما كانت باستشارة أهل الذكر في ميدان المخطوطات من العاملين بالمكتبة الوطنية بالعطارين خاصة.

(2) أنظر التعليق السابق.

(3) لقد منيت مجهوداتنا المضنية للتفتيش عن نسخة ثانية للمخطوط بالفشل سواء بالتنقيب في المراجع كجداول فهارس المخطوطات بالعواصم الأروبية، أو المغربية ونخصّ بالذكر جداول=

إنّنا نرجّح أنها الأصلية لعلامات لاحظناها عند تأملنا في ثنايا الخطوط، منها بعض الحذف والتشطيب للأبيات أو الكلمات[1] ومنها التعويض أو الإثبات لقراءة ثانية للبيت بنفس الخطّ الأصلي[2] ومنها خاصة الإضافات العديدة في الطرة مما يدل على عملية استكشاف متواصلة للمادة الشعرية ولو كانت النسخة ثانية لأضيفت إلى النص الأصلي[3].

ومنها ما أضيف ـ لا من الرقاع المكتوبة أو الذاكرة ـ بل من اللوحات المنقوشة مباشرة على جدران قصر الحمراء وطيقانه وقبابه وهي إضافة تدلّ على أن صاحبها من سكّان القصر العليم بما فيه[4].

ومنها الإشارة إلى مبيّضات الشاعر التي منها نقلت بعض الأشعار[5] وهي إشارة تتفق مع ما ذكره ابن الأحمر من رجوع إلى «ما تركه [أي ابن زمرك] في مبيّضاته ولم يخرجه في حياته»[6].

ومنها ـ وهذا غريب ـ نقل مقطّعة بخط ابن زمرك نفسه كأنها نسخت من رقاعه أو قَلَّد فيها الناسخُ خطّ الشاعر وجاءت بخط يخالف خَطَّ الجامع في خصائصه وحجمه أُثبِتت أو أُلصِقت على النص الأصلي؟[7].

لقد جاءت قصائد المخطوط في الظاهر غير خاضعة إلى منطق ما في

= مخطوطات مدرسة تلمسان (لأوغست كور، أنظر قائمة المراجع)، أو بالاتصال المباشر أو بالمراسلة للمكتبات الوطنية بالجزائر والمغرب.

(1) كما جاء في القصيدة رقم 104 بالصفحة وجه 61 من المخطوط، فقد شطب على بيتين من مدحية لامية من الطويل.

(2) القصيدة 63 الصفحة قفا 43، 223 الصفحة قفا 113، 258 وجه 128 الخ . . .

(3) وهذا كثير، من ذلك ما أضيف للقصيدة رقم 127 في الصفحة وجه 73، وللقصيدة 131 في الصفحة وجه 78 الخ . . .

(4) جاء في مقدمة القصيدة رقم 281 الصفحة قفا 139، «ووجدت ثابتة في محلها من النقش».

(5) جاء في مقدمة القصيدة رقم 280 الصفحة قفا 139 نفسها «وقال أيضاً في مثل ذلك [في النقش] في الطاقة الأخرى حسبما نقل من المبيّضة».

(6) أزهار II/ 11.

(7) يقول في مقدمة المقطعة رقم 60 الصفحة قفا 42 : «ومن مقطوعاته الموجودة بخطه» . . .

الترتيب لا حسب النظام الألفبائي، ولا وفق تواريخ نظمها، ولا بالرجوع إلى الأغراض الشعرية التي فيها قيلت وإن كان الترتيب حسب الأغراض هو الأظهر والأكثر تواتراً لكن ينقصه الاطرّاد[1] فكأنما همّ جامع الديوان إنما كان الإثبات والتدوين بأي طريقة كانت. فهل تفسر ظروف جمع المادة الشعرية التي عاشها السلطان يوسف الثالث ـ وهي ظروف الفتن والاضطرابات ـ فقدان هذا العمل للإحكام والصرامة في التنظيم؟

فإن تتّبعنا القصائد العشرين الأول مثلاً كما جاءت في المخطوط للاحظنا: تواتر ست مدحيات، فصباحية، فمدحية، فجوابان عن رسالتين، فمقطّعة في الفصاد، فأخرى في التهنئة فأربع في القدوم من السفر، فتحية، فصباحيتان في الشكر، فوصف للبرد؛ فلا يلوح أي ترتيب فيما عرضناه. بيد أن المتأمل يلاحظ أن بعض القصائد أو المقطّعات قد تتواتر متتابعة إذا كانت تنتمي إلى غرض واحد، كالقصائد من 1 إلى 6 في المدح، ومن 48 إلى 50 في التخميس، ومن 90 إلى 101 في النقوش ومن 115 إلى 123 كذلك، ومن 141 إلى 144 في المداعبة، ومن 156 إلى 163 في الاخوانيات، ومن 189 إلى 195 في العِذَار، ومن 222 إلى 229 في الغزل، ومن 283 إلى 287 في الغزل بالمذكر.

التحقيق:

لقد اجتهدنا في هذا التحقيق ما استطعنا لإخراج أشعار «البقية والمدرك» في أوضح صورة وأدقّها. فعمدنا إلى المقارنة بين أشعار المخطوط والأشعار الموجودة في بعض المصادر المطبوعة كالإحاطة والأزهار والنفح. وراجعنا شكل الأبيات فنبّهنا إلى الخطإ إن وجد، واستخرجنا بحور كل القصائد.

---

(1) لقد أشار جامع الديوان إلى ذلك عند قوله في تقديم القصيدة رقم 309 (ص 328): «... من قصيدة تقدّمَ تغزُّلُها في السّلطانيات قبلُ».

فقد جُمعت إذن القصائد السلطانية في غرض المدح مستقلّة عن غيرها؛ بيد أنّ ذلك غير مطرّد بالفعل إن تناثرت في كامل المخطوط (؟) (انظر كذلك ص 444 القصيدة 67 من المطبوع) ولأكثر الأغراض والبحور والرويّ تواتراً.

وشرحنا ما غمض من الكلمات أو المعاني في صدور بعض الأبيات أو أعجازها، كما عرّفنا بكل أسماء الأعلام والاماكن وضبطنا تواريخ كثير من القصائد وحاولنا تحديد ظروفها وتَبيُّـن ما فيها من فوائد تاريخية، كما أشرنا إلى بعض القصائد التي سقط أوّلها أو آخرها أو التي اختلطت بقصائد أخرى لتلاشي بعض الصفحات أو للخلط بينها أثناء التسفير وحاولنا إرجاعها إلى الترتيب الأصلي وقد اجتهدنا في ملء الفراغات الموجودة في الأصل ووضعناها بين معقّفين [] وهي إما ناتجة عن بياض في الأصل أو عن طمس لبعض كلمات أو عن تمزيق لجزء من الصفحات. وقد استعملنا قواعد الإملاء الحديث مثل ذلك (لاكن) جعلناها (لكن) حيث وقعت وكذلك الألف الممدودة مثل (ارتضا، اقتضا) جعلناها مقصورة أو العكس دون الإشارة إلى ذلك في كل موطن وهكذا كان الحال في كتابة الهمزة وغير ذلك من الأمور الإملائية.

ثم أننا وضعنا فهارس مفصّلة للقوافي والبحور وللأعلام والأماكن. ولأهم الأحداث التاريخية في عصر ابن زمرك ولأسماء النقوش المُحلاّةِ بالأشعار وختمنا بقائمةٍ للمصادر والمراجع.

ملحق لأشعار ابن زمرك المطبوعة:

لقد رأينا حتّى نخرج للقارئ ديـوان ابن زمرك كاملاً أن نضمّ إلى أشعار مخطوطنا الذي حقّقناه في قسم أول مستقل، رأينا أن نضم، أشعار ابن زمرك المتناثرة في المصادر المطبوعة على أن نُفِردها في قسم ثانٍ أو ملحقٍ. فلم ندمج لذلك بين المدونتين حتى يكون تحقيق المخطوط مستقلاً.

لقد جمعنا أشعار ابن زمرك المطبوعة من مصدرين:

الأول: ممّا انتقاه المقّري في أزهار الرياض ونفح الطيب من أشعار ديوان البقية والمدرك والتي سقطت من نسختنا.

الثاني: ممّا جمعناه من أمهات المختارات الأندلسية والأفريقية وخلا منه ديوان البقية والمدرك: من اللمحة البدرية والإحاطة، من نثير فرائد الجمان،

من رحلة ابن خلدون، من ديوان ابن الخطيب.

فاجتمع لنا 123 نصاً جديداً ـ منها 15 موشحة ـ ضمّت ما يفوق3000 بيت فتصبح بذلك مجموع النصوص الشعرية 468 تتجاوز الأبيات فيها 7500. إنّ هذه المادة التي ضمّها عملنا تمثّل كل ما وصل إلينا في الوقت الحاضر من أشعار ابن زمرك مخطوطة كانت أو مطبوعة.

لقد استفدنا في هذا القسم الملحق من عمل المحققين لهذه المصادر المطبوعة، كما اعتمدنا على عمل قام به الجد الشيخ محمد النيفر ـ رحمه الله تعالى ـ وأثبته في كراسين مخطوطين أدمج فيه أشعار ابن زمرك المخطوطة والمطبوعة ورتّبها على النظام الألفبائي فاستلهمنا من قراءة الجدّ الشخصية لهذه المادة الشعرية ورجّحناها أحياناً على قراءتنا أو قراءة محقّقي المصادر المطبوعة رغم أنه لم يستقص في عمله هذا كامل الأشعار ولم يعمد إلى تخريجها كما لم يُثبت هوامش مساعدة.

وقد تمثّل تحقيقنا لهذا القسم الملحق في المقارنة بين القراءات مع الترجيح في الغالب لإحداها، كما تمثل في تبويب هذه الأشعار على نسق الترتيب الألفبائي مع ما يستلزمه التحقيق العلمي من تحديد لبحور كامل القصائد، ومن تعريف بما لم يُعرَّف به من أعلام وأماكن، ومن ضبط لتواريخ بعض القصائد ومن شرح وتوضيح للألفاظ والمعاني.

ومن الله نسأل قبول هذا العمل من القارئ نلتمس الإغضاء عما فيه من نقص والسلام.

محمد توفيق النيفر
تونس، محرّم 1418

أفريل 1997



وقال يمدح أيضا
مولانا الغني بالله رحمه الله
ويعدد محاسن من خلاله وآثار جلاله

صورة من الوجه (و16) من المخطوط

نلاحظ خاصة أنّ القصيدة في مدح «الغنيّ بالله»

صورة من الوجه (و57) من المخطوط

نلاحظ كلمة «مولانا الجدّ» ممّا يشير إلى أن جامع الديوان

هو حفيد الغنيّ بالله السلطان المخلوع

صورة من قفا (160) من المخطوط

وهي آخر صفحة منه

نلاحظ تَمَزُّقَ أسفل الصفحة من اليمين وما نتج منه من تلاشٍ لجانبٍ من صدور الأبيات كما نلاحظ خلقَ ما يدلّ على نهاية الديوان.



(1)

و(16)[1] / وَمِنْ عِيديَّاتِهِ الحَافِلَةِ يَمْدَحُ أَيْضاً[2]
مَوْلاَنَا الغَنِيَّ بِالله رَحمَةُ اللّه عَلَيْه
وَيُعَدِّدُ مَحَاسِنَ مِنْ خِلاَلِهِ وآثَارِ جَلاَلِهِ

[الكامل]

بُشْـرَى بِهَـا أَعْـلاَمُ مُلْكِـكَ تُنْشَـرُ ... وَسُيُوفُ نَصْرِكَ فِي الْمَعَاقِلِ تُشْهَرُ
طَلَعَ البَشِيرُ بها عَلَى أَهْلِ الهُدَى ... فَمُهَلِّـلٌ لِطُلُـوعِـهِ وَمُكَبِّـرُ
تُتْلَـى عَجَـائِبُهَـا لِكُـلِّ مُـوَحِّـدٍ ... فتَكَـادُ أَعْـوَادُ المَنَـابِـرِ تُـزْهِـرُ
مَـا إِنْ سَمِعْنَـا قَبْلَهَـا بِبِشَـارَةٍ ... فُـضَّ الكِتَـابُ بِهَـا فَهَـشَّ الْمِنْبَـرُ
سَحَبَتْ عَلَى رَوْضِ التَهَانِي ذَيْلَهَا ... فَـالْجَـوُّ مِـنْ أَنْفَـاسِهَـا مُتعطِّرُ
أَهْـدَتْ مِـنَ الأَنْصَـارِ تُحْفَـةَ قَـادِمٍ ... أَنَّ الهُدَى بِكَ يا ٱبْنَ نَصْرٍ يُنْصَرُ
وَإِذَا غَـرَسْـتَ بِـأَرْضِ مَـنْ عَـادَيْتَـهُ ... شَجَـرَ ٱلْقَنـا بِجَنَـى ٱلْبَشَـائِـرِ يُثْمِـرُ
وَإِذَا تَجَلَّى صُبْحُ عَزْمِكَ فِي ٱلْوَغَى ... فَبِنُجْـحِ رَأْيِـكَ عَـنْ قَـرِيـبٍ يُسْفِـرُ

---

(1) نشير بالواو إلى وجه المخطوط (و) وبالقاف إلى قفاه (ق)

(2) هذا يدلّ على قصائد سابقة في مدح الغني بالله فأوّل الديوان إذاً سقط أو ضاعت منه أوراق لا ندري عددها، ويمكننا تحديد تاريخ هذا القصيد. فقد جاء في البيت الثاني من الوجه 17 من هذا القصيد قوله:

ورفعـت إصـر ضـريبـة مـرّت علـى ... إعطـائهـا مـن قبـل عصـرك أعصـر

وقد امتنع الغني بالله عن دفع الجزية إلى الجلالقة منذ سنة 772، فلا يبعد أن تكون القصيدة قد قيلت بمناسبة عيد سنة 772 (راجع ابن خلدون: تاريخ المجلد 4/378).

يَا ٱبْنَ ٱلأَيِمَّةِ مِنْ بَنِي نَصْرٍ وَمَنْ ... وَرِثُوا ٱلْعُلَى وَٱلْمَجْدَ أَكْبَرُ أَكْبَرُ
كُلٌّ يقُولُ: بِأَنَّكَ ٱلْمَوْلَى ٱلذِّي ... لِزَمَانِهِ ٱلنَّصْرُ المُؤَزَّرُ يُذْخَرُ
إنْ كُنْتَ أحْرَزْتَ ٱلْمَفَاخِرَ مُفْرَداً ... تَدْرِي عِدَاتُكَ أَنَّ سَعْدَكَ عَسْكَرُ
وَلَقَدْ ظَهَرْتَ مِنَ الكَمَالِ بِمُسْتَوًى ... مَا بَعْدَهُ لِذَوِي ٱلْخِلاَفَةِ مَظْهَرُ
أَنْتَ الصَّبَاحُ أَنَرْتَ كُلَّ دُجُنَّةٍ ... والصُّبْحُ لاَ يَخْفَى وَلاَ يَتَسَتَّرُ
ق(16)/ وَإِذَا الصَّبَاحُ تَبَلَّجَتْ أَنْوَارُهُ ... بِالله مَا عُذْرُ ٱمْرِئٍ لاَ يُبْصِرُ؟
وَكَذَا العَوَالِي في المَعَالِي أَسْنَدَتْ ... عَنْ رَاحَتَيْكَ حَدِيثَ فَخْرٍ يُؤْثَرُ
مَنْ قَالَ عَنْ يُمْنَى يَدَيْكَ غَمَامةٌ ... فَأَزِيدُهُ: أَنَّ الأَنَامِلَ أَبْحُرُ
حَسَدَتْكَ شَمْسُ الأُفْقِ يا مَلِكَ العُلَى ... فَالوَجْهُ مِنْهَا بِالعَشِيَّةِ أَصْفَرُ
وَلِذَاكَ مَا مَرِضَ الأَصِيلُ فَعَادَهُ ... لِلآسِ آسٍ جَاءَ وَهُوَ مُعَذَّرُ
وَٱزْوَرَّ عَنْهُ بِالغُرُوبِ فَزَارَهُ ... نَفَسٌ صَحِيحٌ مِنْ ثَنَاكَ مُعَطَّرُ
يَا مَنْ إِذَا نَفَحَتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ ... فَالمِسْكُ يَحْسُدُ طِيبَهَا وَالعَنْبَرُ
يَا مَنْ إذَا تُلِيَتْ مَفَاخِرُ قَومِهِ ... فَالدَّهْرُ يُمْلِي وَالمَعَالِي تَسْطُرُ
يَا مَنْ إِذَا جُلِيَتْ مَحَاسِنُ مُلْكِهِ ... فِي مَرْقَبٍ بَصَرَ البَصَائِرِ يَبْهَرُ
لَكَ طَلْعَةٌ قَدْ أَخْجَلَتْ بَدْرَ الدُّجَى ... فَلِذَاكَ سِيمَا النَّقْصِ فِيهِ تَظْهَرُ
لَكَ رَاحَةٌ فَضَحَ الغَمَامَ سَخَاؤُهَا ... فَلِذا تَجَهَّمَ وَجْهُهَا إِذْ تُمْطِرُ
لَكَ عَزْمَةٌ نَثَرَ الصَبَاحُ لِوَاءَهَا ... فَبِهَا تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ تُبَشِّرُ
لَكَ فِكْرَةٌ مِشْكَاتُهَا قُدُسِيَّةٌ ... مِنْ نُورِ مَا يَقِدُ السِّرَاجُ الأَزْهَرُ
لَكَ سَطْوَةٌ فِي رَأْفَةٍ لَكَ هَيْبَةٌ ... فِي رَحْمَةٍ لَكَ ذِمَّةٌ لاَ تُخْفَرُ
أَمُضَاهِياً فَلَقَ الصَّبَاحِ بِعَزْمِهِ ... مَنْ مِنْكُمَا يَطْوِي الجِهَادَ وَيَنْشُرُ؟
أَمُحَاسِناً شَمْسَ النَهَارِ بِوَجْهِهِ ... مَنْ مِنْكُمَا بَعْدَ الغُرُوبِ النَيِّرُ؟
أَمُكَاثِراً شُهْبَ السَّمَاءِ أَسِنَّةً ... مَنْ مِنْكُمَا نَصَرَ الإلاَهَ وَيَنْصُرُ؟
هَيْهَاتَ مَا هَزْلُ الحَدِيثِ كَجِدِّهِ ... الأَمْرُ أَوْضَحُ وَالحَقِيقَةُ أَظْهَرُ

عُــوِّدْتَ نَصْــرَ الله يـا مَلِـكَ الهُـدَى　　　وَهْوَ الجَزَاءُ لِقَوْلِهِ: إنْ تَنْصُرُوا[1]

و(17) / كَـمْ مِـنْ لِـوَاءٍ لِلجِهَـادِ عَقَـدْتَـهُ　　　فَـالفَتْــحُ أَشْهَــرُ واللِّــوَاءُ مُشَهَّــرُ

وَرَفَعْـتَ إِصْـرَ ضَـرِيبَـةٍ مرَّتْ عَلَـى　　　إعْطَـائِهَـا مِـنْ قَبْـلِ عَصْـرِكَ أَعْصُـرُ

وَمَـآذِنٍ أَخْـرَسْـتَ مِـنْ نَـاقُـوسِهَـا[2]　　　فَتَشَهَّدَتْ فِيهَا الجُيُوشُ وَكَبَّرُوا[3]

وَلَكَمْ جَنَبْتَ الخَيْلَ تَعْثُرُ في الوَغَى　　　مِـنْ فَـوْقِهَـا الأُسْـدُ العـوَابِـسُ تَـزْأَرُ

مِـنْ كُـلِّ مَصْقُـولِ العَـزِيمَـةِ أَرْوَعٍ　　　نَـارُ الـوَغَـى مِـنْ بَـأْسِـهِ تَتَسَعَّـرُ

لَمْ يُرْضِهِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ صَاحِبٌ　　　إلاَّ الحُسَــامُ وَدِرْعُــهُ وَالمِغْفَــرُ

كَـمْ لَيْلَـةٍ ـ والله يَكْتُـبُ أَجْـرَهَـا ـ　　　وَالكُفْـرُ مَحْصُـورٌ وَجَيْشُـكَ يَحْصُـرُ

أَذْكَيْــتَ فِيهَــا لِــلأَسِنَّــةِ أَعْيُنــاً　　　بَـاتَـتْ عُيُونُ الشُّهْـبِ مِنْهَـا تَخْـزَرُ

وَٱحْمَرَّ حَدُّ السَيْفِ مِنْ أَثَرِ الوَغَى　　　فَبِــهِ لِمَــنْ عَــادَاكَ مَــوْتٌ أَحْمَـرُ

وَالمُسْلِمُـونَ تَنَـامُ مِـلْءَ عُيُـونِهَـا　　　لَمَّــا دَرَتْ أَنَّ الخَلِيفَــةَ يَسْهَــرُ

كَـمْ مَـوْقِـفٍ لِلفَتْـحِ غَيْـرِ مُـذَمَّـمٍ　　　مَـا فِيـهِ مِـنْ عَيْـبٍ لِمَـنْ يَسْتَخْبِـرُ

إلَّا الـرِّمَـاحَ فَـإِنَّهَـا قَـدْ حُطِّمَـتْ　　　وَالخَيْـلُ في جُثَثِ الأَعَـادِي تَعْثُـرُ

وَالبِيـضُ عَـادَتْ بِـالـدِّمَـا مُحْمَـرَّةً　　　وَبِهَــا فُلُــولٌ وَقْعُهَــا لاَ يُنْكَــرُ

لَـوْ كَـانَ كِسْـرَى حَـاضِـراً لَكَسَـرْتَـهُ　　　قَسْـراً وَأَقْصَـرَ عـنْ لِقَـائِـكَ قَيْصَـرُ

عَجَبـاً لِسَيْفِـكَ فـي الـوَغَـى مُتَلَهِّبـاً　　　مَـا بَيْـنَ كَفِّـكَ والأَنَـامِـلِ أَبْحُـرُ

أَذْكَيْــتَ مِنْــهُ شُعْلَــةً فَتَهَــافَتَــتْ　　　منْهُــمْ فَــرَاشٌ حَــوْلَــهُ تَتَـذَمَّــرُ

فِـي جَـذْوَةٍ قَـدْ أُحْـرِقُـوا فِـي لُجَّـةٍ　　　قَدْ أُغْرِقُوا وَرَدُوا بِهَا لَمْ يَصْدُرُوا[4]

---

(1) في الاصل «تَنْصُرُ»، هكذا بدون واو الجماعة.

(2) لعله يشير إلى غزوات ابن الأحمر في هذه السنة للاسبان الذين كانوا يتناحرون على الملك بين الأميرين بطرة وألفونسْ فاغتنم ابن الأحمر هذه الفرصة واقتطع الكثير من ثغورهم وبلادهم واعتزّ عليهم (راجع ابن خلدون، المجلد 4، ص 378).

(3) في الأصل: وكَبَّرْ.

(4) في الأصل «يَصْدُرُ» هكذا بدون واو الجماعة.

آثَــارُ مَــنْ عَلِقَــتْ يَــدَاهُ بِــذِمَّــةٍ نَبَــوِيَّــةٍ مِنْهَــا الصَحَــائِــفُ تُسْطَــرُ

أَوَلَيْــسَ جَــدُّكُــمُ اللِــوَاءُ بِكَفِّــهِ[1] وَالفَتْــحُ أَعْظَــمُ مَــا يَكُــونُ وَأَكْبَــرُ؟

ق(17) / «إِنَّا فَتَحْنَا» أُنْزِلَتْ فِي وَصْفِهِ[2] وَكَفَــى بِهَــا ذِكْــرَى لِمَــنْ يَتَــذَكَّــرُ

وَمَلاَئِــكُ السَّبْــعِ الطِبَــاقِ تَنَــزَّلَــتْ وَالخَيْــلُ خَيْــلُ الله فِيــهِ تُحْضِــرُ

وَبِكَــوْنِــهِ أَعْطَــاهُ قَيْســاً نَجْلَــهُ[3] مِــنْ بَعْــدِهِ وَالفَخْــرُ فِيهَــا أَشْهَــرُ

إِيمَــاءُ صِــدْقٍ وَاضِــحٍ وإِشَــارَةٌ: أَنَّ السَعَــادَةَ فِــي بَنِيهِــمْ تُــذْخَــرُ

وَدَعَــا بِغُفْــرَانٍ لَهُــمْ وَبَنِيهِــمُ[4] وَبَنِــي بَنِيهِــمْ وَهــيَ نِعْــمَ المَفْخَــرُ

كَــمْ مَشْهَــدٍ زَحَــفَ النَبِــيُّ لِحَــرْبِــهِ فِــي مَعْشَــرِ الأَنْصَــارِ نِعْــمَ المَعْشَــرُ

مُتَســرْبِلِيــنَ مِــنَ الحَــدِيــدِ غَــدَائِــراً مِــنْ فَــوْقِهَــا دَوْحُ القَنَــا يَتَــأَطَّــرُ

وَتَــوَشَّحُــوا بِجَــدَاوِلٍ فِــي شَطِّهَــا لِــدِمَــاءِ مَــنْ لاَقَتْــهُ وَرْدٌ أَحْمَــرُ

تَنْسَــابُ يَــوْمَ الــرَّوْعِ وَهْــيَ جَــوَامِــدٌ وَالنَصْــرُ مِــنْ جَنَبَــاتِهَــا يَتَفَجَّــرُ

مَنْ شَاءَ يَعْرِفُ مَجْدَهُم وَفَخَارَهُم يَسْئَــلْ كِتَــابَ الله فَهْــوَ المُخْبِــرُ

هَــذِي المَكَــارِمُ لا خَفَــاءَ بِفَضْلِهَــا فَبِمِثْلِهَــا فَلْيَفْتَخِــرْ مَــنْ يَفْخَــرُ

لَــمْ يَحْــظَ قَبْلَــكَ يَــا خَلِيفَــةَ رَبِّنَــا بِفَخَارِهَا المَنْصُورُ[5] والمُسْتَنْصِرُ[6]

وَإِذَا المُلُــوكُ تَمَيَّــزَتْ بِصِفَــاتِهَــا أَلْفَيْتُهَــا عَــرَضــاً وَأَنْــتَ الجَــوْهَــرُ

---

(1) يشير إلى ما كان من تكليف النبي ﷺ لسعد بن عبادة بحمل الراية يوم فتح مكّة وهو من الخزرج، نقيب بني ساعدة، سيد جواد توفي سنة 15 هـ (انظر ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ترجمة 2012 ص 356).

(2) سورة: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ التي نزلت عند فتح مكة، ويقصد بنزلت في وصفه أي وصف سعد بن عبادة وكان من الأنصار (سورة 29: آية 1).

(3) هو قيس بن عبادة ابن الصحابي سعد سيّد الخزرج بالمدينة رضي الله عنهما وقد أخذ النبيّ الراية من أبيه يوم فتح مكة وأعطاها إياه (المصدر المذكور).

(4) ما كان من دعوة الرسول لسعد بن عبادة وذريته (المصدر السابق).

(5) الخليفة العباسي الثاني المعروف (136هـ ـ 158 هـ).

(6) هو أحد خلفاء العباسيين أيضاً (623 هـ ـ 640هـ) وهو يلمّح هنا إلى تفضيل بني أمية على العباسيين.

مَنْ قَدْ أَسَرَّ سَرِيرَةً[1] فَلِوَاؤُهَا مِنْ فَوْقِهِ دُونَ الخَلاَئِقِ يُنْشَرُ

قَسَماً بِمُجْتَمَعِ الحَجِيجِ بِمَكَّةٍ وَالبَيْتُ قَدْ آوَاهُمُ وَالمَشْعَرُ

مِنْ بَعْدِ مَا رَكِبُوا لَهَا خَطَرَ[2] السُّرَى وَالنَّجْمُ فِي بَيْدَائِهَا مُتَحَيِّرُ

مِنْ بَعْدِ مَا هَجَروا لَهَا أَوْطَانَهُم وتجشَّمُوا حَرَّ السَّمُومِ وَهَجَّرُوا[3]

سَمِعُوا النِّدَاءَ مِنَ الخَلِيلِ[4] فَبَادَرَتْ مِنْهُمْ رِجَالٌ فِي المَفَاوِزِ تَنْفِرُ

وَتَفَطَّرَتْ أَقْدَامُهُمْ وَلَطَالَمَا أَكْبَادُهُم مِنْ خَشْيَةٍ تَتَفَطَّرُ

و(18) / وَسَوَاهِمٍ شُعْثِ النَّوَاصِي قَدْ غَدَتْ تَسْرِي بِأَرْجُلِهَا القِلاَصُ الضُّمَّرُ

مِنْ كُلِّ حَرْفٍ مِثْلَ نُونٍ إنْ خَطَتْ خَطَّتْ بِهَا صَفْحَ المَفَازَةِ أَسْطُرُ

فَعَلَى المَشَاعِرِ دَمْعُهَا مُتَسَيِّلٌ وَعَلَى المَشَاعِرِ دَمْعُهُمْ مُتَحدِّرُ

قَدْ أُشْعِرُوا الهَدْيَ المُقَلَّدَ في السُّرَى وتَنَسَّمُوا رَوْحَ الرِضَا وَاسْتَشْعَرُوا[5]

حَطُّوا الرِحَالَ عَلَى جِوارٍ لَمْ يَزَلْ حَمْلُ الذُّنُوبِ بِهِ يُحَطُّ وَيُغْفَرُ

رَفَعُوا الأَكُفَّ لِرَبِهِمْ قَدْ أَخْلَصُوا نِيَّاتِهِمْ وَتَقَدَّسُوا وَتَطَهَّرُوا[6]

وَدَعَا الخَطِيبُ بِنَصْرِ أَعْلاَمِ الهُدَى وَعَلَيْكَ يَا فَخْرَ الأَيِمَةِ تُنْشَرُ

قَسَمٌ أُؤَكِّدُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ بِالصِّدْقِ مِنْ كلِّ المَوَاثِقِ أَجْدَرُ

مَا قَصْدُهُمْ إلاَّ الغَنِيَّ بِرَبِّهِ شَهِدَتْ بِذَاكَ دَلاَئِلٌ لاَ تُنْكَرُ

إنَّ القِيَاسَ مَعَ السَّمَاعِ تَعَاضَدَا خَبَرٌ يُصَدِّقُهُ لَدَيْنَا المَخْبَرُ

أنْ لاَ جِهَادَ بِغَيْرِ أَنْدَلُسٍ وَلاَ سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى الصَلِيبِ وَيُشْهَرُ

مَا ثَمَّ سُوقُ شَهَادَةٍ فِي غَيْرِهَا لِلْفَوْزِ فِيهَا والسَعَادَةِ مَتْجَرُ

---

(1) في الأصل «سريره» بدون نقاط على الهاء.

(2) في الاصل «خَطر» بسكون الطاء.

(3) (4) (5) في الأصل الأفعال بدون واو الجماعة.

(6) تفسير للآية «وأذّن في النّاسِ بالحَجّ. . .» (سورة الحجّ: 78، الآية: 27).

يا نَاصِرَ الوَطَنِ الغَرِيبِ وَمُؤْنِسَ الزَّمَـ ـنِ الـوَحِيـدِ بِفَضْـلِ رَبِّـكَ تُنْصَـرُ

لَم تُلْفِ فِي هَذَا الزَمَانِ مُسَاعِداً إلاّ السُعُـودَ[1] وَهُـنَّ نِعْـمَ العَسْكَـرُ

لاَ يُظْهِـرُ اللهُ العُـدَاةَ عَلـى ٱمْـرِئٍ أَضْحَـى بِعِـزَّةِ رَبِّـهِ يَسْتَظْهِـرُ

فَـاشْكُـرْ لَـهُ نِعَمـاً إذا عَـدَّدْتَهَـا قَـالَ الحِسَـابُ بِـأَنَهَـا لاَ تُحْصَـرُ

وَالشُكْرُ مِفْتَاحُ المَزِيدِ شِعَارُ مَنْ خُلُـقَ الـرِّضَـا مِـنْ رَبِّـهِ يَسْتَشْعِـرُ

وَٱهْنَـأْ بِعِيـدٍ عَـادَ مِنْـكَ خَلِيفَـةً أَلْفَـاهُ يَحْمَـدُ رَبَّـهُ وَيُكَبِّـرُ

وَافَـاكَ قَـدْ شَـقَّ النُّحُـولُ هِـلاَلَـهُ وَبَـرَاهُ شَـوْقٌ فِـي الليَـالِـي مُضْمَـرُ

ق (18) / قَطَعَ المَسَافَةَ وَهْـيَ عَـامٌ كَـامِـلٌ وَطَـوَى مَرَاحِلَهَـا وَهُـنَّ الأَشْهُـرُ

يَسْـرِي إلَيْـكَ مُبَـادِراً لِتُفِيـدَهُ مِنْـكَ الكَمَـالَ فَيَسْتَتِـمُّ وَيُبْـدِرُ

أَعْمَلْـتَ فِيـهِ خُطَـا مُنِيـبٍ قَـانِـتٍ يَـرْجُـو كَمَـا وَصَـفَ الإلاَهُ وَيَحْـذَرُ

وَرَتَعْـتَ مِـنْ بَيْـتِ الإلاَهِ بِـرَوْضَـةٍ بِـالـذِّكْـرِ والتَقْـدِيـسِ فِيهَـا تُحْبَـرُ

وَهَـوَى العَبِيـدُ لِلَثْـمِ رَاحَتِـكَ التِّـي فِي وِرْدِهَا لِذَوِي السَعَادَةِ مَصْدَرُ

سَـوَّغْتَهُـمْ يَـا بَـرُّ أَنْ يَـرِدُوا بِهَـا بَحْـراً بِـأَمْـوَاجِ المَـوَاهِـبِ يَـزْخَـرُ

شَمَلَتْهُـمْ مِنْـكَ المَبَـرَّةُ والغِنَـا فَـالجَـاهُ أَوْسَـعُ وَالحِبَـاءُ مُـوَفَّـرُ

فِـي هُـدْنَـةٍ لَبِسَـتْ مُـلاَءَةَ عِـزَّةٍ[2] فَـالخَلْـقُ فِيهَـا فِـي المُنَـى تَتَخَيَّـرُ

فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنْ زَمَـانِـكَ مَـوْسِـمٌ يَـرْضَـى الإلاَهُ بِـهِ وَعِيـدٌ أَكْبَـرُ

فَبَقِيـتَ مـا بَقِـيَ الـزَمَـانُ مُخَلَّـداً فِـي دَوْلَـةٍ تَنْهَـى الـزَمَـانَ وَتَـأْمُـرُ

مَـوْلاَيَ شِعْـرِي تُـرْجُمَـانُ مَحَبَّتِـي وَالحُبُّ فِي فَحْوَى التَخَاطُبِ يَظْهَرُ

تَـدْرِي الـدَرَارِي أَنَّنِـي سَـامَـرْتُهَـا مُتَفَكِّـراً مِـنْ دُرِّهَـا أَتَخَيَّـرُ

واللَيْلُ فِي مِسْحِ الدُّجَى مُتَرَهِّبٌ قَـدْ زَانَـهُ بِـالشُهْـبِ فَهْـوَ مُـدَنَّـرُ

---

(1) في الاصل «السعودُ» ـ بالضم ـ ولا وجه لذلك لانه استثناء مفرّغ.

(2) يشير إلى ما كان من الهدنة التي فرضها الغني بالله على أعدائه ويفسّر هذا البيت قول ابن خلدون: «فمنعهم ابن الأحمر الجزية وأعتز عليهم» (تاريخ: المجلد 4 ص 378).

أحْيَيْتُهُ فَأَفَادَنِي إحْيَاؤُهُ ... قُوتَ القُلُوبِ لِكُلِّ مَنْ يَتَدَبَّرُ

فَإلَيْكَهَا مِلْءَ الرِّيَاضِ مَحَاسِناً ... بِالفَخْرِ تُورِقُ وَالمَحَامِدِ تُزْهِرُ

قَلَّدْتَ جِيدَ العِيدِ مِنْهَا جَوْهَراً ... قَذَفَتْ بِهِ مِنْ فَيْضِ جُودِكَ أبْحُرُ

لَمْ تَفْتَخِرْ مِنْ ذَاتِهَا بِصِفَاتِهَا ... لَكِنْ بِوَصْفِكَ أَقْبَلَتْ تَتَبَخْتَرُ

وَنَظَمْتُ مِنْهَا لِلْبَيَانِ قَلاَئِداً ... وَعَلَى المَسَامِعِ فِي المَحَافِلِ تُنْثَرُ

أنَا شَاعِرُ العُلَمَاءِ غَيْرَ مُنَازَعٍ ... مَهْمَا مَدَحْتُكَ وَالشَّوَاهِدُ حُضَّرُ

و(19) / وَسِوَايَ يَهْذِي في المَقَالِ وَلَيْتَهُ ... لَوْ كَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ لاَ يَشْعُرُ

واللهِ مَا فَخْرِي بِشِعْرٍ صُغْتُهُ ... لَكِنْ بِذِكْرِكَ يَا إمَامِيَ أَفْخَرُ

شَرَّفْتَ بِالإنْشَادِ عَبْدَكَ دَهْرَهُ ... لاَ زِلْتُ أَنْشِدُ مَا تَوَالَتْ أَدْهُرُ

عَوَّدْتَنِي مِنْكَ الجَمِيلَ تَفَضُّلاً ... فَبَقِيتَ تُولِينِي الجَمِيلَ وَأَشْكُرُ

وَمَنَاقِبِ[1] زُهْرِ الثَّوَاقِبِ حُزْتَهَا ... فَالشُّهْبُ عَنْ غَايَاتِهِنَّ تُقَصِّرُ

وإذَا ٱمْرُؤٌ جَارَى الكَوَاكِبَ فِكْرُهُ ... وَغَدَا يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاهَا يُعْذَرُ

وَلَئِنْ أَطَلْتُ وَقَدْ أطَبْتُ فَإنَّهُ ... جُهْدُ المُقِلِّ وَمَا تَبَقَّى أَكْثَرُ

وَلَقَدْ خَجِلْتُ مِنَ القُصُورِ فَهَا أَنَا ... أهْوِي أُقَبِّلُ رَاحَتَيْكَ وَأُقْصِرُ

(2)

وَنَقَلَ[2] هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ إلَى مَدْحِ أَخِينَا ٱلْسُلْطَانِ أَبِي عَبْدِالله[3] رَحِمَهُ الله بِجُمْلَتِهَا إلاَّ مَا يَخْتَصُّ بِمَوْلاَنَا ٱلْجَدِّ رَضِيَ الله عَنْهُ مِنَ ٱلْوَصْفِ وٱلإِشَارَةِ إلى ٱلْوَقَائِعِ ٱلكَائِنَةِ مِنْ حُرُوبِهِ وَجِهَادِهِ فَإِنَّهُ عَوَّضَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ فِي أَثْنَاءِ ٱلْقَصِيدَةِ:

(1) في الأصل «مناقبُ» هكذا بضمة فوق الباء.

(2) وهذه طريقة متبعة عند ابن زمرك.

(3) قيلت بعد سنة 794/ 1392 لأن السلطان أبا عبدالله حكم منذ سنة 794.

[الكامل]

عَـامَلْـتَ وَجْـهَ الله فَـارْقُـبْ نَصْـرَهُ فَهُوَ الجَزَاءُ لِقَوْلِهِ: «إِنْ تَنْصُرُوا»[1]
وَعَقَـدْتَ صُلْحـاً أَصْـدَرَتْـهُ عِـزَّةٌ فَـالـدِّيـنُ والـدُّنْيَـا بِـهِ تَسْتَبْشِـرُ
أَجْهَمْتَ[2] بِيضَ الهِنْدِ فِي أَغْمَادِهَا وَتَـذَمَّـرَتْ فِيهَـا الجِيَـادُ الضُّمَّـرُ
وَرَفَعْـتَ إِصْـرَ ضَـرِيبَـةٍ مَـرَّتْ عَلَـى إِعْطَـائِهَـا مِـنْ قَبْـلِ عَصْـرِكَ أَعْصُـرُ
شِيَـمُ الغَنِـيِّ بِـرَبِّـه قَـدْ أُظْهِـرَتْ فِـي المَسْتَعِيـنِ بِـهِ وَنِعْـمَ المَظْهَـرُ
سَتُـزِيـرُ أَرْضَ الكُفْـرَ جُـرْدَ سَـوَابِـقٍ مِـنْ فَـوْقِهَـا الأُسْـدُ العَـوَابِـسُ تَـزْأَرُ

(. . .) وقال عوضاً عن قوله: مَا قَصْدُهُم إلاَّ الغَنِيُّ بِرَبِّهِ.

ق(19) / مَـا قَصْـدُهُـمْ مَلِـكٌ سِـوَاكَ وَرُبَّمَـا شَهِـدَتْ بِـذَاكَ دَلاَئِـلٌ لاَ تُنْكَـرُ
شَـرَّفْـتَ بـالإِنْشَـادِ عَبْـدَكَ مُنْعِمـاً لاَ زِلْـتُ أُنْشِـدُ مَـا تَـوَالَـتْ أَدْهُـرُ

(3)[3]

وَقَالَ أَيْضاً[4] فِي مِثْلِ ذَلِكَ مُتَفَنِّناً فِي مَحَامِدِهِ وَمُشِيراً إِلَى مَا أَظْهَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي مُدَارَاةِ مَلِكِ ٱلْمَغْرِبِ[5] وإِظْهَارِهِ مِنْ جَمِيلِ مَقَاصِدِهِ:

[الطويل]

أَوَجْهُـكَ أَمْ وَجْـهُ الصَّبَـاحِ تَهَلَّـلاَ تَجَلَّى عَلَى حَادِي الرِكَابِ فَهَلَّلاَ؟

---

(1) في الاصل «تنصُرُ» بدون واو الجماعة.
(2) هكذا في الأصل.
(3) يمكن ان يضبط تاريخ هذا القصيد بعيد سنة 789 وذلك لان القصيد يشير إلى إعانة ابن الأحمر لأبي العباس وقد أعانه مرتين، الأولى سنة 776 والثانية سنة 789، ولا يمكن أن يكون الحديث عن الإعانة الأولى لأن لابن زمرك قصيدة مدحية أخرى يذكر فيها ما كان من نجدة ابن الأحمر لملك المغرب سنة 776 وهي القصيدة رقم (110).
(4) أي قصيدة عيدية في المدح.
(5) هو أبو العباس المريني (انظر التعريف به سابقاً).

أراهُ مُحَيَّا الشَمْسِ قَبْلَ طُلُوعِهَا ... وَأَبْصَرَ بَدْراً لَا يَزَالُ مُكَمَّلَا
أَفَاضَ عَلَى الآفَاقِ نُوراً ورَحْمَةً ... وأَوْضَحَ مَا لَمْ تُوضِحِ الشَمْسُ فِي العُلَى
وَأَلْقَى عَلَى وَجْهِ النَهَارِ طَلَاقَةً ... بِأَشْرَقَ مِنْ شَمْسِ النَهَارِ وَأَجْمَلا
فَوَجْهُكَ، زَادَ اللهُ وَجْهَكَ نَضْرَةً، ... إِذَا لَاحَ يُعْشِي النَاظِرَ المُتَأَمِّلَا
وَمَا هُوَ إلَّا النُورُ نُورُ هِدَايَةٍ ... بِهِ ٱنْجَابَ لَيْلُ الشِّرْكِ مِنْ قَبْلُ وَٱنْجَلَى
تَجَلَّى مِنَ الأنْصَارِ في مَطْلَعِ الهُدَى ... وَحَسْبُكَ مَجْداً فِي العَلَاءِ تَوَقُّلَا[1]
تَوَسَّطَ مِنْ قَحْطَانَ فِي سِرِّ يَعْرُبٍ ... وَفي مُلْتَقَى الأشْرَافِ مِنْهُ تَأَصَّلا
فَإِنْ خَلَفَ الأَشْرَافُ مَالاً لِوَارِثٍ ... فَمَا أَوْرَثُوا إلَّا جَلَالاً مُؤَثَّلا
وَإِنْ أُضْرِمَتْ جَزْلَ الوَقُودِ لِطَارِقٍ ... فَمَا أوْقَدُوا إلَّا كِبَاءً وَمَنْدَلَا
و(20) / فَكَمْ مُعْتَدٍ مِنْ سَيْفِهِمْ قَدْ تَذَلَّلَا ... وَكَمْ مُعْتَفٍ مِنْ سَيْبِهِمْ قَدْ تَمَوَّلَا
نُسِبْتَ إلى مَاءِ السَّمَاءِ فَلَمْ تَزَلْ ... بَنَانُكَ سُحْباً تُرسِلُ الغَيْثَ مُسْبَلَا
وَكَم لَيْلَةٍ طَوْعَ الجِهَادِ سَهِرْتَهَا ... وَقَدْ قُقْتَ فِيهَا القَائِمَ المُتَبَتِّلَا
وَأَنَّسْتَ دِينَ اللهِ وَالدَارُ غُرْبَةٌ ... كَمَا أَنَّسَتْ أَسْلَافُكَ[2] الدِّينَ أوَّلَا
فَيَوْمَ حُنَيْنٍ لَمْ تَحِنَّ ظِمَاؤُهُمْ ... لِأَنْ يَرِدُوا غَيْرَ الشَهَادَةِ مَنْهَلَا
وَفِي يَوْمِ بَدْرٍ مِنْ بُدُورِ وُجُوهِهِمْ ... تَقَشَّعَ مِنْ لَيْلِ العَجَاجَةِ مَا ٱعْتَلَى
وَهُمْ نَصَرُوا فِيهَا الرَسُولَ وَحِزْبَهُ ... وَمَنْ شَاءَ فَلْيَتْلُ الكِتَابَ المُنَزَّلَا
وَمَا الفَخْرُ إلّا مَا أَفَادَ سَعَادَةً ... يُرَدِّدُهَا في مُحْكَمِ الذِّكْرِ مَنْ تَلَا
تُقِرُّ لَكَ الأَمْلَاكُ أَنَّكَ فَخْرُهَا ... فَكَمْ مَلِكٍ مِنْ بَابِكَ ٱعْتَزَّ مَنْزِلَا
تُعِدُّكَ يَوْمَ الحَرْبِ مَنْجىً وَمَلْجَئاً ... وَتَدْعُوكَ يَوْمَ السِّلْمِ مَوْلىً وِمَوْئِلَا
وَكَمْ بَلْدَةٍ لِلْكُفْرِ أَنْزَلْتَ أَهْلَهَا ... وَعَوَّضْتَ بِالنَّاقُوسِ فِيهَا مُهَلِّلَا
وَطَوَّقْتَ فِيهَا السَيْفَ مَنْ حَانَ حَتْفُهُ ... وَأَعْدَمْتَ تِمْثَالاً بِهَا وَمُمَثِّلَا

---

(1) وقَلَ في الجبل يَقِلُ صعد كتوقّل، وَرَفَعَ رِجْلاً وأثبَتَ أخرى (الفيروزبادي: القاموس المحيط 4/65).
(2) أي الأنصار.

وَنَفَّلْتَ فِيهَا المُسْلِمِينَ مَغَانِماً أَبَحْتَ بِهَا كُلَّ امْرِئٍ مَا تَنَفَّلاَ

فَأَثْرَى بِهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ مُثْرِياً فَلَسْتَ تَرَى إلاّ غَنِيّاً مُمَوَّلاَ

وَصَدَّقْتَ فَالَ الفَتْحِ فِي عَرَصَاتِهَا فَفَتَّحْتَ بَاباً كَانَ لِلْجُودِ مُقْفَلاَ

بِمَوْقِفِ بَأْسٍ أَخْرَسَ الغُلْبَ هَوْلُهُ فَكَانَ لِسَانُ السَّيْفِ أَفْصَحَ مِقْوَلاَ

خَطِيبُ حُسَامٍ كُلَّمَا خَاصَمَ العِدَى بِيَوْمِ جِلاَدٍ جَدَّ فِيهِمْ وَجَدَّلاَ

يَكَادُ يُذِيبُ البَأْسَ رَقْرَاقُ مَتْنِهِ فَلَوْلاَ نَدَى كَفِّ الإِمَامِ تَسَيَّلاَ

إِذَا اشْتَجَرَ الخَطِيُّ مِنْ فَوْقِ صَفْحِهِ تَقُولُ خَلِيجٌ تَحْتَ دَوْحٍ تَهَدَّلاَ

ق(20) / وَمُعْتَدِلٍ لَدْنِ القَوَامِ مُقَوَّمٍ إِذَا أَثْمَرَ الفَتْحَ الجَنِيَّ تَمَيَّلاَ

وَنَهْرِ حُسَامٍ سَالَ نَهْرُ نَجِيعِهِ فَأَبْصَرْتَ مِنْهُ جَدْوَلاً مَدَّ جَدْوَلاَ

وَدَوْحِ قَناً فِي ظِلِّهَا ذَلَّتِ العِدَى فَظِلّيلُهَا قَدْ عَادَ فِيهِ مُذَلَّلاَ

فَقُلْ لِعَمِيدِ الرُّومِ يَرْقُبُ فَتْكَةً تَقَارَبَ فِيهَا حَتْفُهُ وَتَعَجَّلاَ

فَقَدْ هَزَّ أَهْلُ العُدْوَتَيْنِ[1] سُيُوفَهُمْ وَفِي سَلِّهَا رُوحُ الضَّلاَلِ تَسَلَّلاَ

وَقَدْ أَشْرَبَ اللهُ القُلُوبَ مَحَبَّةً بِهَا يُعْجِلُ الفَتْحَ الذِي قَدْ تَأَجَّلاَ

وإِنَّ أَبَا العَبَّاسِ خُلِّدَ مُلْكُهُ وَوَالَى لَهُ اللهُ السُّمُوَّ والاعْتِلاَ

يُمِدُّكَ ـ مَدَّ اللهُ بِالطُّولِ عُمْرَهُ ـ وَيَشْكُرُ مِنْكَ الوَالِدَ المُتَفَضِّلاَ

فَبَيْنَكُمَا ـ واللهُ يَشْهَدُ ـ وُصْلَةٌ بِهَا الدِّينُ لِلنَّصْرِ العَزِيزِ تَوَصَّلاَ

أَبٌ وابْنُهُ والفَخْرُ يُسْنِدُ عَنْهُمَا أَحَادِيثَ يَرْوِيهَا عَطَاءٌ عَنِ العَلاَ

أَوَاصِرُ مُلْكٍ قَدْ تَعَاطَفَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضِهَا فِي ذِمَّةِ المَجْدِ والعُلاَ

تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى الإِمَامَ مُحَمَّداً مَكَارِمَ لاَ يَبْغِي بِهَا الفَخْرُ مَعْدِلاَ

هوَ الصَّارِمُ المَشْهُورُ فِي مَوْكِبِ الهُدَى هُوَ العَلَمُ المَنْشُورُ فِي هَضْبَةِ العَلاَ

تَلُوحُ عَلَيْهَا سِيمِيَاءُ[2] سَعَادَةٍ فَتَبْهَرُ أَبْصَارَ البَصَائِرِ مُجْتَلَى

---

(1) هما المغرب والأندلس.

(2) هكذا في الاصل، ولا وجود لهذه الكلمة في القواميس ولعلها «سيماء» قالها للوزن.

هُوَ الصَّارِمُ المَشْهُورُ في مَوْكِبِ الهُدَى ... هُوَ العَلَمُ المَنْصُورُ فِي هَضْبَةِ العَلاَ
وَقَارٌ إذَا مَا الشَّامِخَاتُ تَرُومُهُ ... يَرُضُّ بِهِ رَضْوَى وَيَذْبُلُ يَذْبُلاَ
وَحِلْمٌ يَظُنُّ المُجْرِمُ ٱلذَّنْبَ أَنَّهُ ... بِمَا قَدْ أَتَى مِنْ ذَنْبِهِ قَدْ تَوَسَّلاَ
وَكَفٌّ إذَا ضَنَّتْ غَمَامٌ بِغَيْثِهَا ... يُرَوِّضُ مَا قَدْ كَانَ بِالجَدْبِ أَمْحَلاَ
مَفَاتِيحُ أَرْزَاقِ العِبَادِ بِكَفِّهِ ... وَيُودِعُهَا حُمْرَ الطُّرُوسِ[1] مُسَجِّلاَ
إذَا خَطَّ فِيهَا «صَحَّ هَذَا»[2] مُوَقِّعاً ... يَصِحُّ مِنَ الآمَالِ مَا قَدْ تَعَلَّلاَ
و(21) / فَيَا زَاجِرَ الأَظْعَانِ يَحْفِزُهَا السُّرَى ... وَيُؤْنِسُهَا الوَحْشُ السَّوَانِحُ فِي الفَلاَ
يُجَاذِبُهَا الأَرْسَانَ فَرْطُ نُزُوعِهَا ... إلَى أَبْطَحٍ فِيهِ الكَلاَءَةُ وَالكَلاَ
عَلَيْهَا سِهَامٌ قَدْ رَمَتْهَا يَدُ النَّوَى ... فَأَصْمَتْ بِهَا مِنْ ثُغْرَةِ العَزْمِ مَقْتَلاَ
وَكُلُّهُمُ قَدْ أَمَّ بَيْتاً مُحَجَّباً ... يَحُطُّ بِهِ الوِزرَ الذِّي قَدْ تَحَمَّلاَ
وَقَدْ مَلأَتْ مِنْهُ ٱلْمَسَامِعَ دَعْوَةٌ ... دَعَاهَا خَلِيلُ الله لِلْبَيْتِ أَوَّلاَ
وَلَمَّا تَقَضَّوْا مِن مِنىً كلَّ حَاجَةٍ ... وَكَمَّلَ كُلٌّ حَجَّهُ المُتَقَبَّلاَ
ثَنَوْا عَزْمَهُم نَحْوَ الشَفِيعِ مُحَمَّدٍ ... يَرُودُونَ مِنْ أَكْنَافِ طِيبَةَ مَنْزِلاَ
يُحَيُّونَ مِنْ دَارِ الرَسُولِ مَثَابَةً ... بِهَا الرُوحُ[3] بِالذِّكْرِ الحَكِيمِ تَنَزَّلاَ
بِعَيْشِكَ قُلْ لِي هَلْ سَمِعْتَ خَلِيفَةً ... يُرَدِّدُ مِنْهُ الذِّكْرُ فِي ذَلِكَ المَلاَ؟
وَتُرْفَعُ لِلَّهِ الأَكُفُّ بِنَصْرِهِ ... وَقَدْ بَسَطُوهَا رَغْبَةً وَتَوَسُّلاَ
حَنَانَيْكَ فِي نَصْرِ الخَلِيفَةِ إِنَّهُ ... بِمَنْ حَلَّ فِي هَذَا الضَرِيحِ تَوَسَّلاَ
سِوَى ذَا الذِي أَعْلَى بِهِ اللهُ دِينَهُ ... وَجَدَّدَ مِنْ إعْزَازِهِ مَا تَمَحَّلاَ
يُؤَمِّلُ مِنْهُ النَصْرَ كُلُّ مُوَحِّدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ إلاَّ رِضَاكَ مُؤَمِّلاَ
إذَا المُلْكُ لَمْ يَعْضُدْ كِتَاباً وَسُنَّةً ... وَيَقْهَرْ عَدُوّاً جَاحِداً وَمُعَطِّلاَ

(1) الطروس الرسمية للدولة كانت حمراء.
(2) الإمضاء بالموافقة.
(3) أي جبريل عليه السلام.

فَمَا صَرْحُهُ إِلاَّ حَضِيضاً وَإِنْ عَلاَ ... وَلاَ سَرْحُهُ إِلاَّ مُضَاعاً وَمُهْمَلاَ

فَأَيْنَ وَلاَ أَيْنَ الحَسُودُ وَهَذِهِ ... مَفَاخِرُ أَعْيَا نَصُّهَا مَنْ تَأَوَّلاَ

فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ: إِنَّ إِمَامَنَا ... أَعَادَ لَهَا الأَمْلاَكَ أَوَّل أَوَّلاَ

فَمَنْصُورُهَا سَفَّاحُهَا وَرَشِيدُهَا ... وَمَأْمُونُهَا مَهْدِيُّهَا المُتَوَكِّلاَ

إِذَا ٱسْتَبَقَ الأَمْلاَكُ فِي حَلْبَةِ العُلَى ... سَبَقْتَ وَكُنْتَ الوادعَ المُتَمَهِّلاَ

ق(21) / تُنَاطَ بِكَ الآمَالُ وَهيَ هَوَاجِسٌ ... فَتَرْجِعُ أَمْوَالاً وَتُغْنِي المُؤمِّلاَ

وَتَهْوِي لَكَ الأَهْوَاءُ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ ... فَتَقْبُلُهَا[1] بِشْراً أَغَرَّ مُحَجَّلاَ

تَعَلَّمَ مِنْكَ الغَيْثُ شِيمَةَ جُودِهِ ... فَلَوْلاَ نَدَى كَفَّيْكَ كَانَ مُبَخَّلاَ

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ اليَزِيدَيْنِ[2] فِي النَّدَى ... فَجُودُكَ جُودَ الغَيْثِ بَذَّ وأَخْجَلاَ

فَمَا جَادَ إِلاَّ عَابِساً مَتَجَهِّماً ... وَلاَ جُدْتَ إِلاَّ بَاسِماً مُتَهَلِّلاَ

بِوَجْهٍ يُرِينَا البَدْرَ لَيْلَةَ تَمِّهِ ... وَيَجْلُو بُدُوراً لِلإِمَارَةِ كُمَّلاَ

بَنُونَ كَأَمْثَالِ الأنَامِلِ خَمْسَةٌ[3] ... فَتِلْكَ يَدٌ دِينُ الإلآهِ بِهَا ٱعْتَلَى

هَنِيئاً بِشَهْرِ الصَّوْمِ خَيْرِ مُوَدَّعٍ ... وَقَدْ زَارَ مِنْكَ الصَّائِمَ المُتَقَبَّلاَ

أَضَاءَ بِنُورِ الوَحْيِ لَيْلَ تَمَامِهِ ... وَأَرْسَلَ غَيْثاً لِلمَدَامِعِ مُسْبَلاَ

وَحَيّا بِرِضْوَانِ الإلآهِ وَعَفْوِهِ ... نُفُوساً رَجَتْ مِنهُ القَبُولَ المُؤَمَّلاَ

وَقَيَّدَ بِالطَّاعَاتِ مِنَّا جَوَارِحاً ... وَلَكِنَّ سُحْبَ الدَّمْعِ أَزْجَى وأَرْسَلاَ

وَجَرَّدَ فِيهِ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ... وأَلْبَسَ لِلتَقْوَى بِهِ أَشْرَفَ الحُلاَ

وَسَارَ وَأَمْلاَكُ السَّمَاءِ تَحُفُّهُ ... كَمَا قَدْ أَطَالَتْ فِي رَجَاهُ التَنَزُّلاَ

---

(1) في الأصل «فتقبلَها» بالنصب ولا وجه له.

(2) هذا البيت مقتبس من البيت:

لشتَّان مَا بَيْنَ اليزيدين في النَدَى ... يزيدِ سُلَيْمٍ واليزيدِ بن حاتم

(وفي راوية والأغرّ بن حاتم) والبيت للشاعر ربيعة الرقّي (ت 198 هـ) شاعر عبّاسي مدح الخلفاء كما عُرف بالغزل (راجع فهارس لسان العرب 2/1228).

(3) أبناء الغني بالله خمسة: يوسف ومحمد وسعد ونصر وآخر مات في حياته (انظر ابن الخطيب: اللمحة ص 24؛ ابن خلدون: التاريخ «فصل دولة بني الأحمر» ص 384).

وَشَارَكْتَ فِي الأَجْرِ الجَمِيعَ وَكُلُّهُمْ ... غَـدَا أَجْـرُهُ عِنْـدَ الإلآهِ مُكَمَّـلاَ

فَلَـوْلاَكَ مَا صَلَّى وَصَامَ جَمِيعُهُمْ ... وَلاَ وَرَدُوا لـلأَجْـرِ وَالفَـوْزِ مَنْهَـلاَ

ولاَ يَعْـرِفُـونَ الأَمْـنَ إِلاَّ أَمَـانِيـاً ... وَلاَ يَـأْمَلُـونَ العَيْـشَ إِلاَّ تَعلُّـلاَ

عَسَى رَحْمَةُ المَوْلَى الذِي عَمَّ جُودُهُ ... يُنِيلُكَ أُخْرَى ضِعْفَ مَا نِلْتَ أَوَّلاَ

وَيَجْعَلُ مَا خُوِّلْتَ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ ... طَـلاَئِـعَ فَضْـلٍ لاَ يَـزَالُ مُخَـوَّلاَ

وَيَـذْخَـرُ هَـذَا المُلْـكَ خَيْـرَ وَسِيلَةٍ ... لِمُلْـكٍ جَـدِيـدٍ لَيْسَ يُـدْرِكُـهُ البِـلاَ

و(22) / وَبُشْـرَى بِعيـدِ الفِطْـرِ أيْمَـنَ قَـادِمٍ ... بِمَقْـدَمِـهِ تَسْتَشْـرِفُ النَّصْـرَ مُقْبِـلاَ

أَهَـلَّ لِمِيقَـاتِ السُّعُـودِ هِـلاَلُـهُ ... وَأَمَّـكَ يَطْـوِي مَنْـزِلاً ثُـمّ مَنْـزِلاَ

وَأَنْحَلَـهُ شَـوْقٌ إِلَيْـكَ مُبَـرِّحٌ ... وَقِدْماً عَرَفْنَا الشَوْقَ أَضْنَى وأَنْحَلاَ

فَيَـا لَهِـلاَلٍ زَارَ بَـدْراً مُتَمِّمـاً ... وَيَمَّمَـهُ كَيْمَـا يَتُـمَّ وَيَكْمُـلاَ[1]

أَقَمْتَ بِـهِ مِـنْ فِطْـرَةِ الـدِّيـنِ سُنَّـةً ... شَرَحْتَ لِفَخْرِ الدينِ مِنْهَا المُحَصَّلاَ[2]

وَأَعْمَلْتَ فِيهِ الخَطْوَ إِعْمَالَ مُخْبِتٍ ... يُـوَافِـي المُصَلَّـى ذَاكِـراً ومُهَلِّـلاَ

وَكَـمْ مِنْ جَمِيلٍ قَدْ بَـذَلْـتَ وَمِنَّةٍ ... بِهَـا كُـلُّ مَـنْ مُلِّكْتَـهُ قَـدْ تَجَمَّـلاَ

وَأَوْسَعْتَ فِيهِ الجُنْدَ جُوداً وَرَحْمَةً ... وَسَـوَّغْتَهُـمْ بَحْـراً لِنُعْمَـاكَ مَنْهَـلاَ

وَأَطْلَعْـتَ فِيـهِ مِـنْ مُحَيَّـاكَ نَيِّـراً ... رَأَى العِيـدُ بَـدْرَ التَـمِّ مِنْـهُ فَهَلَّـلاَ

وَدُونَـكَ مِـنْ صَـوْنِ العُقُـولِ عَقِيلَـةً ... يَعِـزُّ عَلَـى الافْكَـارِ أَنْ تُتَعَقَّـلاَ

تَقُـولُ رُوَاةُ الشِّعْـرِ عِنْـدَ سَمَـاعِهَـا: ... «أَيَـا عَجَبـاً لِلسِّحْـرِ عَـادَ مُحَلَّـلاَ»

إذا ما رَوَتْ عَنِّي مدِيحَكَ مُسْنَداً ... أَضَـافَـتْ إِلَيْـهِ مِـنْ ثَنَـائِكَ مُـرْسَـلاَ

جَـوَاهِـرُ أَوْصَـافٍ نَظَمْـتُ سُلُـوكَهَـا ... وَمَـا تُنْظَـمُ الأَسْـلاَكُ إِلاَّ لِتَجْمُـلاَ

وَأَرْسَلْـتُ مِـنْ خَيْـلِ البَـدِيهَـةِ حَلْبَـةً ... أَجَـادَتْ بِمَيْـدَانِ البَيَـانِ التَخَيُّـلاَ

وَعِنْدِي خُلُوصٌ لَوْ تَحَلَّتْ بِنُورِهِ ... نُجُومُ الدُّجَا في الصُّبْحِ مَا كُنَّ أُفَّلاَ

---

(1) وقع هذا البيت بهامش المخطوط.

(2) تورية فهو يشير إلى الإمام فخر الدين الرازي وكتابه المحصّل في أصول الفقه.

فَعَادَتْ لَكَ الأَعْيَادُ تَنْقُلُ طَيَّهَا بَشَائِرَ عَنْ مَغْنَاكَ لَنْ تَتَنَقَّلاَ
وَلاَ زِلْتَ فِيهَا مُنْعِماً مُتَفَضِّلاَ وَلاَ زِلْتُ فِيهَا مَادِحاً مُتَوَسِّلاَ
أَنَا العَبْدُ قَدْ أَلْبَسْتَهُ حُلَلَ الرِّضَا فَصَارَ بِهَا بَيْنَ الوَرَى مُتَجَمِّلاَ
وَأَمْطَيْتَهُ مِنْ صَهْوَةِ العِزِّ مَرْكَباً وَبَوَّأْتَهُ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ مَنْزِلاَ
تُشَرِّفُ بِالإِنْشَادِ عَبْدَكَ دَهْرَهُ فَدُمْتَ عَلَيْهِ مُنْعِماً مُتَطَوِّلاَ
ق(22) / وَمَا هُوَ إِلاَّ سَاجِعٌ حَلَّ جَنَّةً مَدَدْتَ عَلَيْهِ ظِلَّهَا المُتَهَدِّلاَ
وَطَوَّقْتَهُ طَوْقَ الحَمَامِ أَيَادِياً فَأَسْمَعَكَ السَّجْعَ الغَرِيبَ المُفَصَّلاَ
وَلَمَّا رَأى أن البَلاَغَةَ تَنْتَهِي وَلاَ يَنْتَهِي مَا حُزْتَ مِنْ شَرَفِ الحُلاَ
وَأَعْجَلَهُ التَقْصِيرُ بَعْدَ اجْتِهَادِهِ تَرَامَى عَلَى يُمْنَاكَ يَدْعُو مُقَبِّلاَ

(4)

وَنَقَلَ أَيْضاً هَذِهِ القصيدةَ كمَا فعلَ في التِي قَبْلَهَا مُخْتَصِراً لِكُلِّ خُصُوصِيةٍ مَهَّدَ مَوْلانا الممدوحُ بِهَا أَوَّلاً، رَضِيَ الله عنهُ، سُبُلَهَا، قَلَبَ ظَهْراً لِبَطْنِ أَمْدَاحِهَا، وَجعلَ اَفْتِتَاحَهَا.

[الطويل]

أَجُودٌ يُزَجِّي العَارِضَ المُتَهَلِّلاَ وَعِيدٌ بِهِ وَجْهُ الزَّمَانِ تَهَلَّلاَ
أَهَلَّ لِمِيقَاتِ السُّعُودِ هِلاَلُهُ وَأَمَّكَ يَطْوِي مَنْزِلاً ثُمَّ مَنْزِلاَ

ثُمَّ اسْتَمرَّ على ما تَقَدَّمَ من أبياتِ الهَنَاءِ بِالْفِطْرِ والصِّيامِ، إلى أن يقولَ في المدْحِ أثناء النِظَامِ:

يُقِرُّ لَكَ الإِسْلاَمُ أَنَّكَ فَخْرُهُ فَكَمْ مَظْهَرٍ فِيهِ بِقَومِكَ قَدْ عَلاَ
تُعَدُّ بِيَوْمِ الحَرْبِ مَنْجًى ومَلْجَأً وَتُدْعَى بِيَوْمِ السِّلْمِ مَوْلًى وَمَوْئِلاَ
وَقَدْ رَامَ مَلْكُ الرُّومِ سِلْماً وهُدْنَةً وَأَمَّلَ مِنْكَ المُنْعِمَ المُتَفَضِّلاَ

تُرَاثٌ مِنَ المَوْلَى الخَلِيفَةِ يُوسُفٍ فَيَا طَالَمَا أَوْلَى ووَالَى وَأَفْضَلاَ
إمَامٌ أفَادَ المَعْلُوَاتِ زَمَانَهُ وأَجْزَلَ مِنْ صُنْعِ الإلاَهِ وَأَجْمَلاَ
وَلاَحَ بِآفَاقِ السَّعَادَةِ نَيِّراً عَلَى مَرْقَبِ العَلْيَاءِ قَدْ رَاقَ مُجْتَلَى
سَقَى تُرْبَهُ صَوْبُ الغَمَامِ وَقُدِّسَتْ مَلاَحِدُ فِيهَا الجُودُ وَالفَخْرُ وَالعُلَى
وَمِنْ قَبْلُ مَا سَنَّ الإمَامُ مُحَمَّدٌ مَفَاخِرَ أُخْرَى الدَّهْرِ تُجْلَى وتُجْتَلَى
و(23) / فَكَمْ مَعْقَلٍ بالسَّيْفِ فَتَّحَ عَنْوَةً وَعَوَّضَ بالنَّاقُوسِ فِيهِ المُهَلِّلاَ

ثُمَّ عَطَفَ على هذا بِضَميرِ الغَيْبَةِ ما تَقَدَّمَ منَ الإشَارَةِ إلى وَقَائِعِ مَوْلانَا رَضِيَ الله عَنْهُ فِي الأُخْرَى إلى أنْ قَالَ:

وَأَنْتَ الذي تَقْفُو سَبِيلَ جِهَادِهِ وَتُحْرِزُ إرْثاً في الفَخَارِ مُؤَثَّلاَ
وَتَفْتَحُ أَرْضَ الشِرْكِ فَتْحَ مُؤَيَّدٍ بِهِ الدِّينُ دِينُ الله قَدْ عَزَّ واعْتَلَى
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى الإمَامَ مُحَمَّداً مَكَارِمَ لا يَبْغِي بِهَا الدَّهْرُ مَعْدِلاً[1]

(5)

وَقَالَ مِنْ كَلاَمِهِ السَّمْحِ اَلسَّهْلِ اَلْمَقَاصِدِ في اَلنَّسِيبِ واَلْمَدْحِ مُخَاطِباً لأَخِينَا اَلسُّلْطَانِ أَبي عَبْدِالله رَحِمَهُ اللهُ:

[المتقارب]

إذَا مَا وَجَدْتُ لِسَلْمَى سَبِيلاَ رَشَفْتُ رُضَاباً لَهَا سَلْسَبِيلاَ
وَبِتُّ أَعَلُّ بِمِسْكٍ وَرَاحٍ بِثَغْرٍ أَقَاحٍ يُرَوِّي الغَلِيلاَ
وَضَايَقْتُ فِيهَا نِطَاقَ الوِشَاحِ وَلَمْ نَطْعَمِ النَّوْمَ إلاّ قَلِيلاَ
وَكَمْ مِنْ خَذُولٍ بِكَاسِ اللِّحَاظِ تُدِيرُ الشَّمَائِلَ مِنْهَا شَمُولاَ
وَشَكْوَى يَحِنُّ إلَيْهَا الجَمَادُ فَقُلْ لِفُؤَادِكَ: صَبْراً جَمِيلاَ
أُجِيلُ اللَّوَاحِظَ فِي حُسْنِهَا فَيَرْجِعُ طَرْفِيَ عَنْهَا كَلِيلاَ

(1) في الاصل «مُعْدِلاً» ـ بضم الميم ـ ولا وجه لذلك لأن الفعل عدل وليس أعدل.

قطَفْـتُ مِـنَ الخَـدِّ وَرْداً نَضِيـراً وَنَـرْجَـسَ لَحْـظٍ كَسَتْـهُ الـذُّبُـولاَ

ق(23) / فَيَـا عَجَبـاً زَهْـرُهُ قَـدْ ذَوَى وَدَمْعِـيَ يُجْـرِي عَلَيْـهِ السُّيُـولاَ

تَنَعَّمْـتُ مِنْهَـا بِـرَوْضٍ وَسِيـمِ تُـلاَقِـي النُّعَـامَـى عَلَيْـهِ القَبُـولاَ

جَنَيْـتُ بِلَحظِـيَ وَرْدَ الخُـدُودِ فَـأَوْرَثْـتُ قَلْبِـيَ دَاءً دَخِيـلاَ

أَتَجْنِـي عُيـونٌ وَتُجْـزَى قُلُـوبٌ لَقَـدْ ظَلَـمَ الحُسْـنُ قَلْبـاً حَمُـولاَ

عَـذَرْتُ خَيَـالَـكِ لَمَّـا جَفَـانِـي وَسُحْـبُ جُفُـونِـي تُـوَالِي الهُمُـولاَ

فَمَـا زَالَ يَسْبَـحُ إِذْ زَارَنِـي بِبَحْـرِ دُمُـوعِـيَ سَبْحـاً طَـوِيـلاَ

وَلَمْ يَرَنِي الطَّيفُ إذْ طَافَ[1] بي وَكَيْـفَ وَقَـدْ صِـرْتُ رَسْماً مَحِيلاَ

يُـلاَقِـي خَيَـالُـكِ مِنِّـي خَيَـالاً لَقَـدْ أَشْبَـهَ الخِـلُّ مِنَّـا الخَلِيـلاَ

كَسَـوْتُ النَّسِيـمَ ثِيَـابَ الضَّنَـا وَأَلْبَسْـتُ شَمْـسَ الأَصِيـلِ النُّحُـولاَ

وَعَلَّمْـتُ بَـرْقَ الغَمَـامِ الخُفُـوقَ وَعَلَّمْـتُ وُرْقَ الحَمَـامِ الهَـدِيـلاَ

وَكَـمْ بِـالسَّبِيكَـةِ[2] مِـنْ مَعْهَـدٍ يَشُـوقُ النُّفُـوسَ وَيَسْبِـي العُقُـولاَ

وَتَبْكِـي السَّحَـابُ بِـهِ عَهْـدَنَـا فَتُضْحِـكُ بِـالنَّـوْرِ رَوْضـاً بَلِيـلاَ

يَمُـرُّ النَسِيـمُ عَلَيْـهِ عَلِيـلاً فَيُطْفِـي غَلِيـلاً وَيُبْـرِي عَلِيـلاَ

وَتَهْفُـو الغُصُـونُ إِلَيْـهِ سُكَـارَى وَتَسْحَـبُ لِلـزَّهْـرِ فِيـه الـذُّيُـولاَ

أَظَبْيَـةَ إِنْـسٍ تَصِيـدُ الأُسُـودَ فَكَـمْ غِيـلِ أَسْـدٍ بِلَحْظِـكِ غِيـلاَ

وَكَـمْ مِـنْ عَـذُولٍ رَأَى وَجْهَهَـا فَـأَبْـدَى لَـهُ العُـذْرُ وَجْهـاً جَمِيـلاَ

وَخِصْـراً لَطِيفـاً وَكَشْحـاً رَهِيفـاً وَطَـرْفـاً كَحِيـلا وَخَـدًّا أَسِيـلاَ

---

(1) في الأصل «ظاف» بالظاء ولعله سهو في الكتابة.

(2) هي إحدى مقابر بني الأحمر جاءت في مرتفع جنوب هضبة نجد من نواحي غرناطة كما أنها حديقة ومدينة للأمراء وفيها دفن السلطان محمد الأول ومحمد الثالث والأمير نصر (ابن الخطيب: الإحاطة 116/1).

وَقَــدًّا يُمِيـلُ القَضِيـبَ الـرَّطِيـبَ وَرِدْفــاً يَهُــولُ الكَثِيــبَ المَهِيــلاَ

نَـزَلْـتِ مِـنَ القَلْـبِ فِـي مَنْـزِلٍ فَهَــلاَّ أَبَحْــتِ العُـيُونَ الحُلُــولاَ

و(24) / وَأَخْجَلْتِ بِالحُسْنِ شَمْسَ الضُّحَى وَعَلَّمْــتِ غُصْــنَ النَّقَـا أَنْ يَمِيــلاَ

تَمَلَّكْـــتِ رِقِّـــيَ فَلْتَـــرْفُقِـــي فَبِـالـرِّفْـقِ تُجْـزَيْ جَـزَاءً جَـزِيـلاَ

فَكَــمْ مَلَــكَ الحُسْــنُ حُـرًّا أَبِيًّــا وَصَيَّــرَ مِنْــهُ الأَعَــزَّ الــذَّلِيــلاَ

أَتَـرْضَـى عَـذَابِـي عِـذَابُ الثَّنَـايَـا وَلَمْ أَرْضَ[1] يَوْماً عَلَيْهَا العَذُولاَ

أَمَـا وَالهَـوَى ولَيَـالِـي الـوِصَـالِ أَبَـــرَّ يَمِينـــاً وَأَصْـــدَقَ قِيـــلاَ

لأَشْكُـوكِ إِنْ عُـدْتِ مِـنْ بَعْـدِهَـا[2] إِلَى المُسْتَعِينِ[3] الإِمَامَ الجَلِيلاَ[4]

لِهَــذْي الصَّبَــاحِ وَلَيْــثِ الكِفَــاحِ وَغَيْــثِ السَّمَــاحِ يُـرَوِّي المُحُــولاَ

وَبَـدْرِ الكَمَــالِ وَفَخْـرِ المَعَــالِـي وَبَحْــرِ النَّــوَالِ إِذَا مَــا اسْتُنِيــلاَ

شَفِيقــاً رَفِيقــاً مَهِيبــاً مُنِيبــاً رَحِيمـاً كَـرِيمـاً عَطُـوفـاً وَصُـولاَ

يُـوالِـي الجَمِيـلَ وَيُـولِـي الجَـزِيـلاَ وَيُغْنِـي النَّـزِيـلَ وَيَـرْعَـى الـدَّخِيـلاَ

إِذَا قِسْـــتَ أَنْمُلَـــهُ بِـــالغَمَـــامِ وَجَــدْنَــا الغَمَــامَ جَهَــامــاً بَخِيــلاَ

يُهَــابُ وَيُــرْجَــى كَبَــرْقِ الغَمَــامِ يُهَــابُ مَقِيتــاً وَيُــرْجَــى مُنِيــلاَ

يُفِيــدُ يُبِيــدُ بِسَيْــبٍ وَسَيْــفٍ فَيُـرْضِـي الإِلاَهَ وَيُـرْضِـي الـرَّسُـولاَ

مَنَــاقِــبُ زُهْــرٌ كَــزُهْــرِ النُّجُــومِ وَمَـا سَـامَهَـا الصُّبْـحُ يَـوْمـاً ذُبُـولاَ

تَسِيــرُ بِهَــا الـرِّيــحُ مَهْمَــا سَـرَتْ وَتَحْــدُو السُّــرَاةُ بِهِــنّ الحُمُــولاَ

إِذَا مَــا شَــدَتْهَــا حُــدَاةُ الرِّكَــابِ أَدَارَتْ عَلَـى الـرَّكْـبِ مِنْهَـا شَمُـولاَ

تَحُــومُ المُلُــوكُ عَلَــى فَخْـرِهَــا وَتَبْغِــي النُّجُــومُ إِلَيْهَــا الـوُصُـولاَ

---

(1) في الأصل، «أُرْضَ» بضم الهمزة.

(2) تخلص يبدو شكلياً وغير محكم إذ هو سيشكو محبوبه إلى سلطانه.

(3) هو لقب السلطان أبي عبد الله محمد السابع.

(4) الأقرب أن يكون «الإمامِ الجليلِ» بدلاً من المجرور «المستعين» لكن يجوز أن تقدر: أعني أو أخص «الإمام الجليلا» فيكون مفعولاً منصوباً على الاختصاص.

وَمَنْ رَامَ يَلْحَقُ بِالْمُسْتَعِينِ مَدًى ... فَذَاكَ مَرَامٌ غَدَا مُسْتَحِيلاَ

لَقَدْ جُزْتَ فِي الفَجْرِ أَقْصَى مَدىً ... يَرُدُّ مِنَ النَّجْمِ طَرْفًا كَلِيلاَ

ق(24) / مَقَامًا جَلِيلاً وَصُنْعاً جَمِيلاَ ... وَمَجْدًا أَثِيلاً وَمُلْكًا أَصِيلاَ

تَنَامُ السُّيُوفُ بِأَغْمَادِهَا ... وَسَيْفُ سُعُودِكَ يَقْضِي الذُّحُولاَ[1]

يَرُدُّ حُسَامَ العَدُوِّ كَهَاماً[2] ... وَيَتْرُكُ فِيهِ الصَّدَا وَالفُلُولاَ

لأَوْرَثْتَنَا بِالعَوَالِي المَعَالِي ... وَأَوْرَثْتَ أَهْلَ الضَّلاَلِ الخُمُولاَ

اذَا مَا أَجَلْتَ كُمَاةَ الطِّرَادِ ... تَجَلَّيْتَ بَدْراً لِشُهْبٍ مُجِيلاَ

تَلُوحُ مِنَ السُّرْجِ فِي هَالَةٍ ... جَعَلْتَ السُّعُودَ عَلَيْهَا دَلِيلاَ

مِجَنُّكَ بَدْرٌ وَسَيْفُكَ بَرْقٌ ... وَنَجْمُ سِنَانِكَ يَأْبَى الأُفُولاَ

فَإِنْ غَامَتِ السُّحْبُ سُحْبَ القَتَامِ ... تَهُزُّ بِهَا البَرْقَ سَيْفاً صَقِيلاَ

وَتَكْسُو الحُسَامَ نَجِيعَ الأَعَادِي ... كَوَرْدِ الرِّيَاضِ يَحُفُّ المَسِيلاَ

تُتَوِّجُ يَوْمَ السَّلاَمِ الهِلاَلَ ... وَتَطْلُعُ لِلنَّاسِ بَدْراً كَمِيلاَ

بِقَصْرِكَ مِصْرٌ وَأَنْتَ العَزِيزُ[3] ... أَلَمْ تُجْرِ فِيهِ نَوَالَكَ نِيلاَ؟

يَمُدُّ لَكَ النَّجْمُ كَفًّا خَضِيباً ... لِرَفْدِكَ يَوْمَ النَّدَى مُسْتَنِيلاَ

وَلَفْظُكَ يُزْرِي بِدُرِّ الدَّرَارِي ... وَإِنْ تُخْفِهَا الشَّمْسُ كَانَ البَدِيلاَ

وَخَطُّكَ رَوَّضَ أَرْضَ الطُّرُوس ... فَتَهْوَى الأَزَاهِرُ فِيهِ المُثُولاَ

فَطِرْسُكَ وَرْدٌ وَحِبْرُكَ مِسْكٌ ... تَوَدُّ العُيُونُ بِهَا أَنْ تَجُولاَ

جَعَلْتَ عَلاَمَتَهَا صَحَّ هَذَا[4] ... وَعَلَّمْتَهَا أَنْ تُصَحِّحَ العَلِيلاَ

وَرَأْيُكَ يَفْتِقُ نُورَ الصَّبَاحِ ... وَيَهْدِي لِقَصْدِ النَّجَاحِ السَّبِيلاَ

وَعَزْمُكَ يَجْلُو دَيَاجِي الخُطُوبِ ... وَيُطْلِعُ صُبْحاً أَغَرَّ جَمِيلاَ

---

(1) الذُّحْلُ: الثأرُ (القاموس 3/367).

(2) سيف كَهَامٌ: «كَليلٌ» (المصدر السابق: 4/171).

(3) هو لقب سلطان مصر في القديم ـ أو هو لقب العزيز الفاطمي.

(4) علامة الإمضاء بالموافقة.

حَمَيْتَ البِلَادَ كَفَيْتَ العِبَادَ ... وَمُذْ فَدَحَ الخَطْبُ كُنْتَ الكَفِيلَا

و(25) / قَضَيْتَ عَنِ الدَّهْرِ دَيْنَ المَعَالِي ... وَكَانَ لِدَيْنِ المَعَالِي مَطُولَا

وَرِثْتَ مِنَ الحِلْمِ مَا بَعْضُهُ ... غَدَا لِلْعِشَارِ مُقِيماً مُقِيلَا

تُوَالِي الجُنَاةَ بِسِتْرٍ جَمِيلٍ ... وَتُولِي العُفَاةَ عَطَاءً جَزِيلَا

كَفَى بِالإلَاهِ عَلَيْكَ حَفِيظاً ... كَفَى بِالإلَاهِ عَلَيْكَ وَكِيلَا

فَيَا ابْنَ الَّذِينَ إِذَا مَا انْتَمَوْا ... أَتَوْا بِنُجُومِ السَّمَاءِ قَبِيلَا

بِصَحْبِ النَّبِيِّ وَأَنْصَارِهِ ... وَمَنْ أَصْبَحَ الدِّينُ فِيهِمْ نَزِيلَا

فَعَزُّوا جِوَاراً وَصَانُوا ذِمَاراً ... وَآوَوْا غَرِيباً وَحَامَوْا دَخِيلَا

وَقَدْ ذَكَرَ الذِّكْرُ أَوْصَافَهُمْ ... فَأَكْرِمْ وَصْفاً وَأَقْوِمْ قِيلَا

وَقَدْ رَدَّدَ الوَحْيُ أَمْدَاحَهُمْ ... وَحَسْبُكَ فَخْراً وَمَجْداً أَثِيلَا

وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ أَمْثَالَهُمْ ... فَفَاقُوا النَّظِيرَ وَفَاتُوا المَثِيلَا

إِذَا مَا البَلِيغُ تَلَا حَمْدَهُمْ ... فَمَاذَا عَسَى بَعْدَهَا أَن يَقُولَا؟

أَطَلْتُ الثَّنَاءَ وَلَكِنْ أَطَبْتُ ... فَلَا زِلْتُ فِيكَ مُطِيباً مُطِيلَا

جَوَاهِرُ وَصْفِكَ عَرَّضْتُهَا ... لِجِيدِ الخِلَافَةِ تَبْغِي قَبُولَا

بُيُوتٌ مِنَ الشِّعْرِ لَكِنَّهَا ... قُصُورٌ تَرَكْنَ لِغَيْرِي الطُّلُولَا

فَلَا زِلْتَ شَمْساً بِأُفْقِ المَعَالِي ... وَدَهْرُكَ يُقْسِمُ أَنْ لَا تَزُولَا

وَمَلَّكَكَ الدَّهْرُ أَمْلَاكَهُ ... وَعُمِّرْتَ فِي المُلْكِ عُمْراً طَوِيلَا

(6)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ[1]:

[البسيط]

يا رَوْضَةَ الخَدِّ مِنْ وَرْدٍ وَمِنْ آسِ ... فِيكِ الشِّفَاءُ وَمِنْكِ المُمْرِضُ الآسِي[2]

(1) أي قصيدة عيدية بدأها بالنسيب.

(2) في الأصل «الآس» بدون ياء.

ق(25) / لَألاَءُ ثَغْرِكِ فِي لَـدْنِ القَوَامِ حَكَى زَهْـراً تَفَتَّـحَ فَـي غُصْـنٍ مِـنَ الآسِ
مَـا ضَـرَّ قَـدَّكِ إذْ لاَنَـتْ مَعَـاطِفُـهُ لَوْ كَانَ يُعْدِي بِلِينٍ قَلْبَكِ القَاسِي[1]
وَنُـورُ نَـوْرِكِ لَمَّـا أَنْ بَصُـرْتُ بِـهِ أُقْبِسْـتُ نَـارَ الجَـوَى مِنْـهُ بِمِقْبَـاسِ
وَمَوْرِدُ الثَّغْرِ كَمْ سَقَّى الرُّضَـابُ بِهِ زَهْرَ الأَقَاحِي وَكَمْ أَظْمَـا مِنَ النَّاسِ
مَاءُ النَّعِيمِ جَرَى مِن فَوْقِ جَوْهَرِهِ ويُمْنَعُ الصَبُّ مِنْهُ جُرْعَةَ الحَاسِي[1]
بَرِّدْ غَلِيلِـيَ واكْفُفْ عَن لِحَاظِكِ قَدْ أَذْوَيْتُ نَرْجِسَهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي[1]
يَا نَاضِرَ الوَرْدِ مَتِّعْ نَاظِرِي فَلَكَمْ سُقِيـتَ صَـوْبَ غَمَـامٍ مِنْـهُ بَجَّـاسِ
رَوْضٌ إِذَا رُمْـتُ أَنْ أَجْنِـي أَزْهِـرَهَ تَسُـلُّ أَلْحَـاظُـهُ أَسْيَـافَ حُـرَّاسِ
مَـدَدْتُ عَيْنِـي إِلَـى فَتَّـانِ زَهْـرَتِـهِ حَتَّى غَدَا زَهْرُهُ شَيْباً عَلى رَاسِي[1]
مَا جَالَ طَائِرُ قَلْبِي فِي حَدَائِقِهِ إلاَّ تخَبَّـطَ فِـي أَشْـرَاكِ وَسْـوَاسِ
وَلاَ جَرَى طِـرْفُ طَرْفِي فِي مَسَارِحِهِ ألاّ تَسَلْسَـلَ مِـنْ دَمْعِـي بِـأَجْـرَاسِ
وَمِسْكَةُ الخَالِ فَوْقَ الوَرْدِ قَدْ نَفَحَتْ كَالعَنْبَرِ الوَرْدِ إِذْ تُذْكَى بِأَنْفَاسِي[1]
بَلْ تِلْكَ حَبَّةُ قَلْبِي الوَجْـدُ أَحْرَقَهَا وَرُمْتُ أُطْفِيهِ مِنْ دَمْعِي بِرَجَّاسِ
وَقُلْتِ: دَمْعُكَ وَادٍ سَالَ مِنْ حَجَرٍ فقُلْتُ: مِنْ حَجَرٍ مِنْ قَلْبِكِ الجَاسِي[1]
لَوْ نِيلَ وَصْلُكِ مَا أَجْرَتْ مَحَاجِرُهُ نِيـلَ المَـدَامِـعِ لَـمْ يُسْبَـرْ بِمِقْيَـاسِ
كَمْ لَيْلَـةٍ مِنْ لَيَالِي التَمِّ قَصَّـرَهَـا طُـولُ المَسَـرَّةِ فِـي لَهْـوٍ وَإِينَـاسِ
سَامَرْتُ مِنْكِ بِلَيْلِ الشَّعْرِ بَدْرَ دُجَى بَـاتَـتْ تُقَبِّـلُـهُ شَمْـسٌ مِـنَ الكَـاسِ
شَمْسٌ إِذَا اشْتَعَلَتْ بِالكَاسِ نَحْسِبُهَا قَـدْ أُلْبِسَـتْ قَمَـراً مِـنْ غَيْـرِ إِلْبَـاسِ
يَجْلُو الظَّلاَمَ شُعَاعٌ مِنْ زُجَاجَتِهَا كَـأَنَّمَـا اقْتُبِسَـتْ مِـنْ ضَـوْءِ نِبْـراسِ
و(26) / لَهَا مِنَ الجَوْهَرِ الشَّفَافِ لَمْعُ سَناً مَـا لاَحَ بَـارِقُـهُ مِـنْ عَهْـدِ هُـرْمَـاسِ

---

(1) كلها في الأصل بدون ياء في آخرها.

تُـدَارُ بَيْـنَ نَـدَامَـى مَـا أُجَـالِسُهُـمْ ... إلاَّ تَخَيَّلْـتُ أَنَّ الـزَّهْـرَ جُـلاَّسِـي[1]

يَفْتَـرُّ عَنْهَـا حَبَـابٌ مِثْـلُ ثَغْـرِكَ قَـدْ ... أَهْـدَاكَ عِقْـدَ لآلٍ ذَاتِ أَجْنَـاسِ

حُيِّيتَ يَـا زَمَـنَ اللَّـذَّاتِ مِـنْ زَمَـنٍ ... كَـأَنَّ لَيْـلاَتِـهِ أَيَّـامُ أَعْـرَاسِ

يَا نَجْمَ حُسْنٍ وَمَا لِلنَّجْمِ مِنْ كَلِمٍ ... وَبَـدْرَ تَـمٍّ وَمَـا لِلْبَـدْرِ مِـنْ بَـاسِ

مَا بَالُ كَأْسٍ أَمَالَتْ مِعْطَفَيْكِ فَلَمْ ... تَمِـلْ عَلَـيَّ بِغُصْـنٍ مِنْـكَ مَيَّـاسِ

لَوْ شِئْتُ زُرْتُكَ فِي طَيِّ النَّسِيمِ وَلَمْ ... تَحْجُبْـكَ كَثْـرَةُ أَسْمَـارٍ وَجُـلاَّسِ

يَـا ظَبْـيَ أُنْـسٍ وَمَـا لِلظَّبْيِ طَلْعَتُـهُ ... أَفْدِيكَ مِنْهُ بِجَهْمِ الوَجْهِ خَنَّاسِ

يَا وَاعِدِي وَحَيَاتِي رَهْنُ مَوْعِدِهِ ... رَوْضُ الرَّجَاءِ ذَوَى مِنْ لَفْحَةِ اليَاسِ

إِنْ لَمْ تَجُدْ لِي بِوَصْلٍ أَشْتَكِيكِ[2] إِلَى ... خَلِيفَـةٍ قَـدْ سَمَـا بِـالجُـودِ وَالبَـاسِ

أَبَـرُّ مَـنْ شُهِـرَتْ بِـالعَـدْلِ سِيـرَتُـهُ ... مِـنَ المُلُـوكِ وَأَوْفَـاهَـا بِقِسْطَـاسِ

وَبِشْـرُ غُـرَّتِـهِ يَـوْمَ السَّمَـاحِ غَـدَا ... يُنْسِي مُلُوكَ الهُدَى مِنْ آلِ عَبَّاسِ

المُسْتَعِيـنُ وَمَـا أَدْرَاكَ مِـنْ مَلِـكٍ ... أَضْحَتْ مَحَبَّتُهُ فَرْضاً عَلَى النَّاسِ

تُنْسَى الفُتُوحُ سِوَى فَتْحٍ أُتِيحَ لَهُ ... فَمَالَهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ نَاسِ

يَـا خَيْـرَ مَـنْ وُسِمَـتْ أَيَّـامُ دَوْلَتِـهِ ... عِنْـدَ الأَنَـامِ بِـأَعْيَـادٍ وَأَعْـرَاسِ

تَهْـوَى المُلُـوكُ وَأَبْنَـاءُ المُلُـوكِ بِـأَنْ ... تَـؤُمَّ بَـابَـكَ حَبْـواً أَوْ عَلَـى الـرَّاسِ

فِـي كُـلِّ حِيـنٍ عَلَـى عِـزٍّ وَتَكْـرِمَـةٍ ... تُجْبَى إِلَيْكَ هَدَايَا المُلْكِ مِنْ فَاسِ

إِنْ أَبْطَـأَتْ مِنْـكَ كُتْـبٌ أَوْ مُـرَاسَلَـةٌ ... تَظَـلُّ تَضْـرِبُ أَخْمَـاساً بِـأَسْـدَاسِ

مَـوْلاَيَ مَـدْحُـكَ وَالأَقْـلاَمُ تَـرْسُمُـهُ ... صُبْـحٌ تَفَتَّـقَ عَنْـهُ لَيْـلُ أَنْفَـاسِ

ق(26) / لَوْلاَ عَجَائِبُ لُطْفِ اللهِ مَا وسِعَتْ ... تِلْكَ المَنَاقِبُ فِي صُحُفٍ وَأَطْرَاسِ

فَاصْفَحْ لِعَبْدِكَ عَنْ مَدْحٍ أَلَمَّ بِهِ ... وَخَطَّهُ عَجِلاً فِي صَفْحِ قِرْطَاسِ

إِذَا جَرَتْ حَلْبَةُ الآدَابِ فِي طَلَقٍ ... رَكَضْتُ فِي حَلْبَةِ السُّبَّاقِ أَفْرَاسِي[3]

---

(1) في الأصل بدون ياء في آخرها.

(2) تخلص كذلك شكلي، غير محكم.

(3) في الأصل «أفراس» بدون ياء.

(7)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضاً مِنَ الصَّبَاحِيَّاتِ[1] وَفَوَاتِحِ التَحِيَّاتِ ويَسْتَأْذِنُهُ فَي السَّفَرِ إِلَى تَفَقُّدِ أَمْلاَكِهِ ثَانِـيَ عِيدٍ.

[البَسِيط]

اِنْعَمْ صَبَاحاً بِثَانِي العِيدِ يَا مَلِكاً — أَيَّـامُـهُ كُلُّهَـا عِيـدٌ وَأَفْـرَاحُ
قَضَّيْتَ بِالأَمْس مَا قَضَّيْتَ مِنْ سُنَنٍ — بِهَـا تَنَعَّـمُ أَجْسَـادٌ وَأَرْوَاحُ
هَـذَا زَمَـانُ سُعُـودٍ لاَ انْقِضَـاءَ لَـهُ — فِـي وَجْهِـهِ غُـرَرٌ تَبْـدُو وَأَوْضَـاحُ
فَاسْتَقْبِلِ الدَّهْرَ بِالرَّاحَاتِ فَي دَعَةٍ — وَالرَّاحُ تُجْلَى عَرُوساً فَوْقَهَا الرَّاحُ
من يَصْطَبِحْ فَهْيَ مِنْ شَمْسِ الضُحَى عِوَضٌ — أَوْ يَغْتَبِقْ فَهْـيَ فِي الظَّلْمَاءِ مِصْبَاحُ
لَوْلاَ جُمُودُ زُجَاجَاتِ الكُؤُوسِ لَمَا — كَانَتْ لِأَرْوَاحِهَا فِي الكَفِّ أَشْبَاحُ
حَبَـابُهَـا دُرُّ ثَغْـرٍ رَاقَ مَبْسِمُـهُ — وَعَـرْفُهَـا بَيْنَهُـمْ مِسْـكٌ وَتُفَّـاحُ
وَفِـي النَّدَامَى مُدِيـرٌ غُنْـجُ مُقْلَتِـهِ — يُغْنِي عَنِ الرَّاحِ إِنْ لَمْ تُغْنِكَ الرَّاحُ
وَقَلَّمَا تَحْجُبُ الكَاسَاتُ عَقْلَ فَتًى — إِنْ لَمْ تُدِرْهَا مِنَ الأَحْدَاقِ أَقْدَاحُ
فِـي السَّيْـفِ مِنْـهُ إِذَا مَـا هَـزَّهُ قَـدَرٌ — مِـنَ الخَـلاَئِـفِ مَنْصُـورٌ وَسَفَّـاحُ
وَالعَبْدُ يَسْتَأْذِنُ المَوْلَى عَلى سَفَرٍ — بِالجِسْمِ وَالقَلْبُ فِي مَثْوَاكَ يَرْتَاحُ
بَقِيـتَ لِلـدِّيـنِ وَالـدُّنْيَـا إِمَـامَ هُـدًى — تُطَيِّـبُ الـدَّهْـرَ فِـي عَلْيَـاهُ أَمْـدَاحُ

(8)

[ ][2]

[الطويل]

و(27)/ تَلاَ صِنْـوُهُ مِنْـهُ شِهَـابٌ كَمِثْلِـهِ — فَـلاَ زِلْـتَ بَـدْراً يَسْتَحِـثُّ الفَـرَاقِـدَا

---

(1) جمع صباحية وهي قصيدة مدحية تنشد للأمير في الصباح، ولعلّها من استعمالات ابن زمرك.
(2) سقطت مقدمة هذه القصيدة ولم يبق منها إلا هذا البيت، ولعل الكثير من القصائد قد سقطت معها.

(9)

وَمِنْ ذَلِكَ جَوَاباً للأُسْتَاذِ أَبِي عُثمان الألْيُرّي[1].

[الطويل]

إِلَيْكَ أَبَا عُثْمَانَ مِنِّي تَحِيَّةٌ   تَخَيَّرَ زَهْرُ الزُّهْرِ مِنْهَا كَمَائِمَا
تَهُبُّ بِأَنْفَاسِ القَبُولِ قَبُولُهَا   فَتُرْسِلُ فِي رَوْضِ القُلُوبِ غَمَائِمَا
صَدِيقِي وَمَا أَدْرَاكَ مَا حَقُّ صِدْقِهِ   وَقَدْ ضَمَّ فِي ذَاتِ الإِلَهِ ضَمَائِمَا
وَوُدِّي وَلَوْ أَنْصَفْتُ قَدْرَ وِدَادِهِ   لَقَلَّدْتُهُ دُرَّ الدَّرَارِي تَمَائِمَا
صَحِيفَتُكَ البَيْضَاءُ لَوَّحَ بَنْدُهَا   فَلاَحَ مُحَيَّا الصُّبْحِ مِنْهَا غَمَائِمَا
وَمَا هِيَ إِلاَّ رَوْضَةٌ وَنَسِيمُهَا   يُبَرِّدُ مِنْ حَرِّ اشْتِيَاقِي سَمَائِمَا
وَأَدْوَاحُهَا أَسْطَارُهَا وَحُرُوفُهَا   تُرَجِّعُ فِيهَا بِالثَّنَاءِ حَمَائِمَا
يَنِمُّ بِسِرِّ الحَمْدِ وَشْيُ طُرُوسِهَا   فَنَحْمَدُ مِنْ وَاشِي اليَرَاعِ النَّمَائِمَا
وَكَانَتْ بَنَاتُ الفِكْرِ مِنِّي دَفَائِناً   فَأَنْشَرْتُ مِنْهَا بِالبَيَانِ رَمَائِمَا

(10)

وَمِن ذَلِكَ خِطاباً لِقَاضِي الجَمَاعَةِ ابْنِ الحسين[2] مِنْ جَبَلِ الْفَتْحِ[3] وَيُشِيرُ إِلَى صِحَّةِ مَولاَنَا الجَدِّ[4] رَضِي اللهُ عَنْهُ.

---

(1) هو صديق لابن زمرك، لم نجد تعريفاً به في كتب التراجم، ولعله الألبيري.

(2) هو محمد بن أحمد بن القاسم بن الحسين ولد بسبتة 697 هـ وتوفي بغرناطة 760 هـ كان مشهوراً في علوم البلاغة واللسان والفقه وهو من أبرز أساتذة الشاعر، قُلِّدَ القضاء والخطبة بغرناطة سنة 737 هـ (ابن الخطيب: الإحاطة 129/2).

(3) هو جبل طارق المعروف، وسماه «جبل الفتح» الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة 555 هـ.

(4) كان الجد وهو الغني بالله في طور النقاهة وقد صحبه ابن زمرك في سفره إلى قصر في مرتفع جبل طارق، ومن هذا المكان بعث الشاعر رسالته إلى القاضي ابن الحسين، ومولانا الجد تشير إلى أن الجامع هو حفيد السلطان الغني بالله.

[الطويل]

لِمُسْتَطْلَعِ الأَنْوَارِ تُجْلَى الغَيَاهِبُ وَمِنْ مَنْبَعِ الأَسْرَارِ تُمْلَى المَوَاهِبُ
تَجلَّتْ لأَبْصَارِ البَصَائِرِ لَمْحَةٌ مِنَ الحُسْنِ كَمْ حَامَتْ عَلَيْهَا الرَّغَائِبُ
وَهَبَّتْ لَنَا مِنْ حَضْرَةِ الجُودِ نَفْحَةٌ وَقَدْ عُطِّرَتْ مِنْهَاالصَّبَا وَالجَنَائِبُ
فَثَابَ بِهَا مِنَّا رَجَاءٌ مُحَقَّقٌ وَأُدْرِكَ مَطْلُوبٌ وَأُسْعِفَ رَاغِبُ
وهَلْ حَاجِبٌ لِلنُورِ يَوْماً إِذَا بَدَا عَلَى الأُفْقِ مِنْ شَمْسِ الظَّهِيرةِ حَاجِبُ
ق(27) / هِبَاتٌ مِنَ اللُّطْفِ الخَفِيِّ تَوَفَّرَتْ تَقَدَّسَ مَوْهُوبٌ تَبَارَكَ وَاهِبُ
أَيَا عَلَمَ الأَعْلَامِ وَالمَاجِدَ الذِي أَنَافَتْ بِهِ فَوْقَ النُّجُومِ المَرَاتِبُ
وَيَا مَنْ لَهُ فِي مُرْتَقَى الفَخْرِ أُسْرَةٌ تُعَظِّمُهَا أَقْيَالُهَا وَالذَّوَائِبُ
أَعِنْدَكَ أَنَّا قَدْ حَلَلْنَا بِذِرْوَةٍ تَسَامَتْ بِبَدْرِ الهَدْيِ فِيهَا المَرَاقِبُ
وَصَحَّ بِهَا بَعْدَ اعْتِلَالٍ وَإِنَّهَا نَتِيجَةُ مَا تَرْوِي الصِّحَاحُ الغَرَائِبُ
سَمَوْنَا لَهَا حِسّاً وَمَعْنًى وَزَاحَمَتْ بِهَا مَنْكِبَ الجَوْزَاءِ مِنَّا المَنَاكِبُ
يُحَلِّقُ نَسْرُ الأُفْقِ دُونَ بُلُوغِهَا وَتَسْحَبُ ذَيْلَ العَجْزِ عَنْهَا السَحَائِبُ
وَإِنْ جَاذَبَتْ أَيْدِي الرِيَاحِ بُرُودَهَا تُلَاثُ[1] عَلَيْهَا لِلْبُرُوقِ الذَوَائِبُ
تُجَالِسُنَا فِيهَا النُجُومُ الثَوَاقِبُ فَتُخْجِلُهَا مِنْكَ الحُلَى وَالمَنَاقِبُ
وَفَاءَتْ بِبَرْدِ الظِلِّ لَكِنْ قُلُوبُنَا عَلَيْكَ مِنَ الإِشْفَاقِ فِيهَا ذَوَائِبُ
أُنَاجِيكَ مِنْ بُعْدٍ وَلِلْقُرْبِ بَيْنَنَا مَرَاحِلُ تُنْضَى فِي سُرَاهَا الرَّكَائِبُ
أَرَاكَ بِعَيْنِ القَلْبِ فِي القَلْبِ حَاضِراً فَلَا أَنْتَ مَشْهُودٌ وَلَا أَنتَ غَائِبُ
وَإِنْ سَارَ فِكْرِي نَحْوَ مَغْنًى مُقَدَّسٍ فَإِنَّكَ فِيهِ دَائِمُ الفِكْرِ دَائِبُ
فَأَلْقَاكَ حَيْثُ الأَمْنُ مُدَّتْ ظِلَالُهُ لِتُسْتَدْفَعَ البَلْوَى وَتُكْفَى النَوَائِبُ
وَتُسْتَنْزَلَ الرُحْمَى وَيُلْتَمَسَ الغِنَى فَلَا الجَارُ مَخْفُورٌ وَلَا القَصْدُ خَائِبُ

---

(1) اللوث عَصْبُ العمامة، والالتياث: الالتفاف (القاموس 1/173).

وَتِلْـكَ إِشَــارَاتٌ لِمَعْنَـى أَفَدْتُــهُ ... تَكِـلُّ مِـنَ الأَفْكَـارِ فِيـهِ النَّجَـائِبُ
نَـوَالُ الـذِي عُـوِّدْتُ مِنْـكَ بِقُـرْبِهَـا ... مَسَـاعِيَ عِنْـدَ اللهِ فِيهَـا المَثَـاوِبُ
وَرِشْهَـا بِـإِخْـلاَصٍ وَسَـدِّدْ فَـإِنَّهَـا ... سِهَـامٌ لأَغْـرَاضِ القَبُـولِ صَـوَائِـبُ
بَقِيتَ كَمَـا تَـرْضَـى بِأَيْمَـنِ غِبْطَـةٍ ... تَقَضَّـى بِهَـا لِلْمَكْـرُمَـاتِ المَـآرِبُ

(11)

و(28) / وَكَتَــبَ إِلَيْــهِ إِثْــرَ فِصَــادِهِ[1]

[الخفيف]

كَيْـفَ أَصْبَحْـتَ لاَ بَـرِحْـتَ بِخَيْـرِ ... أَنْـتَ رُوحُ الحَيَـاةِ فِـي كُـلِّ رُوحِ
كُلَّمَــا يَطْــرُقُ المِــزَاجَ التِيَــاثٌ ... قَالَ لُطْفُ إِلاَلاَهِ فِي الحِينِ: رُوحِي[2].

(12)

وَقَالَ مُهَنِّئًا بِفَاتِحَةِ العَامِ:

[البسيط]

يَـا أَيُّهَـا المَلِـكُ المَيْمُـونُ طَـائِـرُهُ ... وَمَنْ تَسَامَى عَنِ الأَمْلاَكِ وَالدُّوَلِ
أَبْشِـرْ بِعَـامٍ جَـدِيـدٍ تَسْتَجِـدُّ بِـهِ ... لَكَ السُّعُودُ وَنَيْلُ السُّؤْلِ وَالأَمَلِ
حَتَّى يُرَى ثَغْرُ هَذَا الثَّغْرِ مُبْتَسِماً ... طَوْعَ المَسَرَّةِ مِنْ بِشْرٍ وَمَنْ جَذَلِ
وَالشِّرْكُ فِي خَبَلٍ وَالكُفْرُ فِي خَجَلٍ ... وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ يَهْلِكْنَ عَنْ عَجَلِ
إِنَّ الجُيُـوشَ إِذَا تَـرْمِـي العُـدَاةَ بِهَـا ... سَالَتْ نُفُوسُهُمُ مِنْهَا عَلى الأَسَلِ
فَـاسْتَقْبِـلِ الـدَّهْـرَ وَضَّـاحاً أَسِرَّتُـهُ ... وَمُـرْهُ بِـالنَّصْـرِ وَالتَّـأْيِيـدِ يَمْتَثِـلِ
وَاقْطَعْ زَمَانَكَ فِي أُنْسٍ وَفِي فَرَحٍ ... بَيْـنَ الغَـزَالِ المَلِيـحِ الـدَّلِّ وَالغَـزَلِ

(1) في الأصل، «فَصاده» هكذا بفتح الفاء، والفصاد هو شق العرق لسيلان الدم وهي عادة طبية قديمة (القاموس 1/320).

(2) في الأصل «رُوحِ» هكذا بدون ياء.

(13)

وَقَالَ وَقَدْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ إِثْرَ رَاحَـةٍ:

[المتقارب]

قُـــدُومُ السَّعَـــادَةِ وَالعَـــافِيَـــهْ ... وَبُشْـــرَاكَ بِـــالصِّحَـــةِ الـــوَافِيَـــهْ

سَتَـــدْخُـــلُ قَصْـــرَكَ فِـــي غِبْطَـــةٍ ... وَقَـــدْ لَمَسَتْـــكَ اليَـــدُ الشَّـــافِيَـــهْ

(14)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

[الطويل]

ق(28) / وَصَلْتَ عَلَى حُكْمِ السَّعَادَةِ دَارِكَا ... وَرَبُّكَ بِـالنُّطْفِ المُـوَاصِـلِ دَارَكَـا

وَعِنْـدَكَ لِلتَّسْلِيـمِ لِلَّـهِ جُنَّـةٌ ... بِهَـا اللهُ مِمَّـا تَتَّقِي قَـدْ أَجَارَكَـا

لأَنَّ إِلَـهَ العَـرْشِ وَلاَّكَ أَمْـرَهُ ... وَسَمَّـاكَ فِيمَـا قَـدْ أَتَـاكَ مُبَـارَكَـا

وَحَقَّـقَ مَـا تَـرْجُـوهُ مِـنْ نَصْـرِ دِينِـهِ ... تَعَـالَـى الإِلَـهُ المُـرْتَجَـىٰ وَتَبَـارَكَـا

وَحَاشَاكَ أَنْ لا تَرْتَضِي حُكْمَ خَالِقٍ ... بِمَا شَاءَ مِنْ أَقْدَارِهِ الغُـرِّ زَارَكَا[1]

وَنَسْمَـةُ تَـوْحِيـدٍ يَنِـمُّ بِهَـا الـرِّضَـا ... يَكُـونُ بِهَـا خَيْـرُ البَـرِيَّـةِ جَـارَكَـا

صَبَـرْتَ لِتُعْلِـي دِيـنَ أَكْـرَمِ شَـافِـعٍ ... فَأَعْلَى بِهَا ٱلرَّبُّ الكَرِيمُ مَنَارَكَا

جَبَرْتَ قُلُوباً قَدْ شَرَحْتَ صُـدُورَهَا ... فَـلاَ زَالَ لُطْـفُ اللهِ فِيهَـا صِـدَارَكَـا

فَبُشْرَى بِهَا مِنْ عَـوْدَةٍ عَادَ حَالُهَا ... لأَحْسَـنَ مِمَّـا قَـدْ أَلِفْـتَ اقْتِـدَارَكَـا

فلاَ زِلْتَ تَجْنِي الفَوْزَ مِنْ شَجَرِ الرِّضَا ... وَتَغْمُـرُ أَلْطَـافُ الإِلَـهِ دِيَـارَكَـا

(15)

وَقَالَ فِي مَقْدَمٍ أَيْضاً يُهَنِّئُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ نَزَلَ عَلى مَقْرُبَـةٍ مِنَ الحَضْرَةِ[2]:

---

(1) يشير إلى مرض الغني بالله لأن زيارة الله كناية عن مرض المزار (وهي كلمة شائعة عندنا في تونس).

(2) هي غرناطة عاصمة بني الأحمر (أنظر دائرة المعارف الإسلامية (طـ. جديدة): فصل غرناطة 2/1035ـ 1043).

[الكامل]

دَارُ الأَحِبَّـةِ قَـدْ بَـدَتْ أَعْـلاَمُهَـا وَأَتَـاكَ فِـي عَـرْفِ النَّسِيـمِ سَـلاَمُهَـا
نَفَحَاتُ طِيبٍ مِنْ رِيَاضِ شَمَائِلٍ مِسْكُ الثَّنَاءِ عَلَى الإِمَامِ خِتَامُهَا
وَتَبَرَّجَـتْ تَجْلُـو عَلَيْـكَ مَحَـاسِنـاً بِسَنَـاكَ يَـا بَـدْرَ التَّمَـامِ تَمَـامُهَـا
بُشْـرَى لَهَـا فَلَقَـدْ أُتِيـحَ سُـرُورُهَـا مِـنْ حِيـنِ خَيَّـمَ بِـالجِـوَارِ إِمَـامُهَـا
قَـدْ كَـانَ وَجْـهُ الجَـوِّ مِنْهَـا عَـابِسـاً وَمِـنَ الغَمَـامِ الجُـونِ فِيـهِ لِثَـامُهَـا
حَتَّى تَبَـدَّى وَجْهُهُ شَمْسَ الضُّحَى فَانْجَابَ عَنْ شَمْسِ النَّهَارِ غَمَامُهَا
و(29) فَـاقْـدِمَ عَلَيْهـا فِـي أَتَـمِّ مَسَـرَّةٍ وَعَلَـى السُّعُـودِ ضَمَـانُهَـا وَدَوَامُهَـا
وَاللهُ يَشْكُـرُ أَنْعُمـاً مَـوْصُـولَـةً بِنَـدَى يَـدَيْـكَ تَـوَفَّـرَتْ أَقْسَـامُهَـا
يَـا رَحْمَـةَ اللهِ اللَّطِيـفِ[1] بِخَلْقِـهِ قَدْ فَاضَ مِنْكَ عَلَى الوَرَى إِنْعَامُهَا
فَـاسْلَـمْ وَصِـحَّ فَفِـي العَـلاَمَـةِ آيَـةٌ قَـدْ صَـحَّ عِنْـدَ عَبِيـدِهَـا إِعْـلاَمُهَـا

(16)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ[2]:

[الخفيف]

عُـدْتَ بِـالفَخْـرِ وَالأُجُـورِ الجِسَـامِ فَـادْخُـلِ القَصْـرَ آمِنـاً بِسَـلاَمِ
وَهَنِيئَـاً لِـمَـدِينَـنَـا بِقُـدُومِ مِـنْ إِمَـامِ الهُـدَى وَأَيُّ إِمَـامِ!
لَـكَ ذَاتٌ تَـوَشَّحَـتْ بِـالمَعَـالِـي فَفِـدَاءٌ لَهَـا مُلُـوكُ الأَنَـامِ
أَنْـتَ مَنْ أَنْـتَ فَي عُلًـى وَافْتِخَـارٍ أَنْـتَ شَمْسُ الهُـدَى وَبَـدْرُ التَّمَـامِ
فَارْقَ مَا شِئْتَ فِي سَمَاءِ المَعَالِي وَابْـقَ فِـي صِحَّـةٍ وَيُمْـنِ مَقَـامِ

(1) في الأصل «اللَّطِيفَ» بفتح الفاء وهو جائز على أنه نعت مقطوع للمدح والتعظيم، والضمّ فيه جائز كذلك.

(2) أي في تمنّي العافية وقد أتى من مقدم.

(17)

وَقَالَ يُحَيِّيهِ، حَيَّاهُ اللهُ، وَرِكَابُهُ العَلِيُّ بِوَادي الخُرْسِ[1]:

[الطويل]

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً ضَاءَ مِنْكَ جَبِينُهُ	وَرَاقَ بِهِ الإقْبَالُ وَاقْتَبَلَ البِشْرُ
فَأَنْتَ لَنَا شَمْسٌ إذَا مَتَعَ[2] الضُّحَى	وَفِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلاَءِ أَنْتَ لَنَا بَدْرُ
نَرُوحُ وَنَغْدُو مِنْكَ تَحْتَ عِنَايَةٍ	تُظَلِّلُنَا الرُّحْمَى وَيَشْمُلُنَا البِرُّ
عَجِبْنَا لِوادِي الخُرْسِ قَدْ سالَ أَنْعُماً	فَلَمْ نَدْرِ وَادٍ مَا جَرَىٰ فِيهِ أَمْ بَحْرُ؟
ق(29) / وَرَدْنَا بِهِ لِلجُودِ كَفَّ خَلِيفَةٍ	تُجَرِّرُ أَذْيَالَ الغَمَامِ وَلاَ فَخْرُ
وَيَا بُعْدَ مَا بَيْنَ الغَمَامِ وَكَفِّهِ	فَأَنْمُلُ كَفَّيْهِ لَنَا أَبْحُرٌ عَشْرُ
تَجَمَّعَ فِيهِ مَا تَفَرَّقَ فِي الوَرَى	فَحَضْرَتُهُ الدُّنْيَا وَأَيَّامُهُ الدَّهْرُ
غَدَا وَارِثَ الأَنْصَارِ لاَ عَنْ كَلاَلَةٍ	وَمَنْ وَرِثَ الأَنْصَارَ حُقَّ لَهُ النَّصْرُ

(18)

وَقَالَ أَيْضاً يُنْعِمُ صَبَاحَهُ وَيَشْكُرُ جُودَهُ وَسَمَاحَهُ:

[الكامل]

اِنْعَمْ صَبَاحاً غَارَ مِنْكَ بِغُرَّةٍ	ضَاءَتْ بِهَا الآفَاقُ مِثْلَ عَمُودِهِ
وَكَذَاكَ بَنْدُ الصُّبْحِ غَارَ وَقَدْ رَأَى	مَلِكَا يَسِيرُ الفَتْحُ تَحْتَ بُنُودِهِ
وَأَعَزُّ مَنْ فَتَحَ الفُتُوحَ خَلِيفَةٌ	نُصِرَ النَبِيُّ بِقَوْمِهِ وَجُدُودِهِ
رَفَعُوا لِواءَ مُحَمَّدٍ فِي مَوْقِفٍ	جِبْرِيلُ وَالأَمْلاَكُ بَعْضُ جُنُودِهِ
شَهِدَتْ مَلاَئِكَةُ السَّمَاءِ بِصَبْرِهِمْ	لِلَّهِ فَخْرُ شُهُودِهِ وَشُهُودِهِ

---

(1) واد بالأندلس لم نجد تعريفاً به في المصادر.

(2) متع النهار متوعاً ارتفع قبل الزوال (القاموس 3/80).

يَا خَيْرَ مَنْ رَضِيَ المَحَامِدَ مَلْبَساً   يُهْدِي أَرِيجَ الطِّيبِ طَيُّ بُرُودِهِ

أَنْتَ الذِي رَحِمَ الإِلآهُ عِبَادَهُ   وَبِلاَدَهُ بِوُجُودِهِ وَبِجُودِهِ

لِلَّهِ سَيْفُكَ مَا تَسَهَّدَ جَفْنُهُ   إِلاّ وَنَامَ الخَلْقُ فِي تَسْهِيدِهِ

وَإِذَا تَجَرَّدَ فِي الوَغَى مِنْ غِمْدِهِ   كَانَتْ رُؤُوسُ الكُفْرِ بَعْضَ غُمُودِهِ

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ صَفْحِ نَهْرٍ جَامِدٍ   ظَمِئَتْ عُدَاةُ الدِّينِ عِنْدَ وُرُودِهِ

أَرْضَيْتَ فِي السِّلْمِ الإِلآهَ بِحَدِّهِ   لَمَّا غَدَوْتَ بِهِ مُقِيمَ حُدُودِهِ

أَنْتَ الَّذِي قَضَتِ السُّيُوفُ بِأَنَّهَا   تَمْضِي بِحُكْمِ سُعُودِهِ وَصُعُودِهِ

و(30) / أَنْتَ العَزِيزُ وَهَذِهِ مِصْرٌ وَفِي   شِنِّيلِهَا[1] نِيلٌ قَضَى بِوُجُودِهِ

الغَيْثُ يَخْجَلُ مِنْ نَدَاكَ عِهَادُهُ   لَمَّا رَأَى مَا لَيْسَ فِي مَعْهُودِهِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ تُحْفَةُ مُنْعِمٍ   حَسَدَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ فَخْرَ عَبِيدِهِ

وَإِلَيْكَ رَوْضًا مِنْ ثَنَائِي لَمْ يَزَلْ   يُهْدِيكَ شُكْرَ الجُودِ زَهْرُ مَجُودِهِ

سَجَدَ اليَرَاعُ بِهِ وَأَقْسَمَ أَنَّهُ   مَا زَالَ يَدْعُو اللهَ طُولَ سُجُودِهِ

قَدْ بَاتَ فِي مِحْرَابِهِ مُتَهَجِّدًا   أَكْرِمْ بِمُحْرِزِ أَجْرِهِ بِهُجُودِهِ

إِنَّ الغَنِيَّ بِرَبِّهِ لَخَلِيفَةٌ   عَجَزَتْ نُهَى الأَحْلاَمِ عَنْ تَمْجِيدِهِ

فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ تَحِيَّةٌ   قَدْ بَشَّرَتْ أَبْنَاءَهُ بِخُلُودِهِ

(19)

وَقَالَ فِي مِثْلِهِ[2] وَوَصَفَ مَا أَهْدَاهُ مِنْ مَوَاهِبِ بَذْلِهِ:

[الكامل]

اِنْعَمْ صَبَاحًا بِالبَشَائِرِ والسُّرُورْ   وَاحْمَدْ بِفَضْلِ اللهِ عَاقِبَةَ الأُمُورْ

---

(1) نهر من أنهار الأندلس (La Xenil) ينبع من جبال شلّير (Sierra Nevada) ويصب في الوادي الكبير ويمر قرب غرناطة وضفافه غاصة بالحدائق (ابن الخطيب: الإحاطة 1/118).

(2) أي صباحية فيها يشكره لكرمه.

فَـالسَّعْـدُ يَبْسِـمُ ثَغْـرُهُ عَـنْ غِبْطَـةٍ ضَحِكَتْ لَهَا عَنْ مَبْسِمِ النَّصْرِ الثُّغُورْ
يَا شَمْسَ هَذِي فِي سَمَاءِ خِلاَفَةٍ حَفَّتْـهُ مِـنْ أَوْلاَدِهِ غُـرُّ البُـدُورْ
هَلْ عِنْدَ بَدْرِ التِمّ فِي أُفْقِ العُلَى أَنَّ البُدُورَ اليَوْمَ هَالَتُهَا القُصُورْ؟
أَوْ عِنْـدَ أَوْدِيَـةِ البَسِيطَـةِ أَنَّهَـا إِنْ قَايَسَتْ شِنِّيلَ فِي فَيْضٍ تَغُورْ؟
كَـفُّ الغَنِيِّ بِـرَبِّـهِ سَـالَـتْ بِـهِ مِنْ فَيْضِ أَنْمُلِهِ المُبَارَكَةِ البُحُورْ
يُهْدِي العَبِيدَ مَعَ العَشِيَّةِ وَالبُكُورْ نِعَماً يُقَصِّرُ وَصْفَهَا شُكْرُ الشَّكُورْ
ق(30) / قَنَـصٌ تَصَيَّـدَهُ المَـوَالِـي تَحْتَـهُ لِبَهِيمَـةِ الأَنْعَـامِ خَـالِصَـةُ الجُـزُورْ
وَمُنَضَّـدٌ جَـاءَ الكِتَـابُ بِـوَصْفِـهِ فِي دَارِنَا الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الحُبُورْ
طَلْـعٌ نَضِيـدٌ قَـدْ تَنَظَّـمَ عِقْـدُهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ حَسَدَتْ قَلاَئِدَهُ النُّحُورْ
حُلْوُ المَرَاشِفِ فِي المَذَاقِ كَأَنَّهُ شَهْدُ الرُّضَابِ تَفَلَّجَتْ عَنْهُ الثُغُورْ
مَـا الـدَّهْـرُ إِلاَّ دَوْحَـةٌ فَـي رَوْضَـةٍ أَيَّـامُـكَ الغُـرُّ الأَزَاهِـرُ لِلـدُّهُـورْ
وَتَقَضَّـتِ الأَعْصَـارُ وَهِـي كَمَـائِـمٌ حَتَّى طَلَعْـتَ لَهَا تَبَسَّمَتِ العُصُورْ
فَاخْلُدْ بِمُلْكِكَ لِلْعِدَى صَرْفُ الرَّدَى وَلَكَ البَقَاءُ مَعَ المَكَانَةِ والظُّهُورْ

(20)

وَقَالَ يَصِفُ بَرَداً اسْتَرْدَفَ شِنِّيلُ مِنْ ذَوْبِهِ مَدَداً:

[الكامل]

مَوْلاَيَ يَا بَدْرَ السَّمَاحَةِ وَالهُدَى غَارَتْ سَحَابُ الجَوِّ مِنْ سُحْبِ النَدَا
فَاسْتَرْسَلَتْ بِالمَاءِ مِلْءَ شُؤُونِهَا لَمَّـا رَأَتْ بَحْـرَ المَـوَاهِـبِ مُـزْبِـدَا
لَمَّـا رَأَتْ مِنْـكَ البَنَـانَ تَفَجَّـرَتْ بِمَكَـارِمٍ تَنْهَـلُّ فِينَـا عَسْجَـدَا
أَهْـدَتْـكَ مِـنْ بَـرْدِ الغَمَـائِـمِ لُـؤْلُـؤاً فَكَـأَنَّ ثَغْـرَ البَـرْقِ مِنْـهُ تَنَضَّـدَا
مَـا سَـالَ مِـنْ شِنِّيـلَ فَيْـضُ عُبَـابِـهِ بَـلْ مَـدَّهُ مِنْـكَ المَـوَاهِـبُ وَالجَـدَا
فَـالنَّهْـرُ قَـدْ هَـزَّ الحُسَـامَ مُجَـوْهَـرًا وَالبَـرْقُ قَـدْ سَـلَّ الحُسَـامَ المُغْمَـدَا

وَالطَلُّ فِي جِيدِ الغُصُونِ مُنَظَّماً والزَّهْرُ فِي أَيْدِي النَّسِيمِ مُبَدَّدَا

زَمَنُ الرَّبِيعِ إِلَيْكَ رُدَّ شَبَابُهُ لِيَبُلَّ مِنْ حَرِّ الهَوَاجِرِ مَوْقِدَا

وَالرِّيحُ تَلْثِمُ ثَغْرَ أَزْهَارِ الرُّبَا فتَعُودُنَا فِي الرَّوْضِ عَاطِرَةَ الرِّدَا

و(31) / وَالشَّمْسُ تَنْتَقِبُ الغَمَامَ كَأَنَّهَا غَارَتْ بِشَمْسٍ مِنْكَ تَطْلَعُ أَسْعُدَا

فَانْعَمْ بَأَيْمَنِ دَوْلَةٍ فِي غِبْطَةٍ مَهْمَا انْقَضَتْ فِي اليَوْمِ تُخْلِفُهَا غَدَا

(21)

وَقَالَ أَيضاً يُحَيِّيهِ وَيَصِفُ مَنْزِلَةً فِي سَفَرٍ نَزَلَهَا وَرُقْعَةً بَخَطِّ يُمْنَاهُ الكَرِيمَةِ إِلَى كُتَّابِهِ أَرْسَلَهَا:

[المتقارب]

نَعِمْتَ صَبَاحاً وَمَنْ لِلصَّبَاحِ بِوَجْهِكَ أَبْهَى الوُجُوهِ الصِّبَاحِ

فَقَدْ كَانَ وَجْهُكَ مِنْ قَبْلِهِ يُنِيرُ الدَّيَاجِي بِبَدْرٍ لَيَاحِ

وَقَدْ خَصَّكَ اللهُ مِنْ كُلِّ فَخْرٍ بِخِصْلِ الرِّهَانِ وَفَوْزِ القِدَاحِ

إِمَامُ الجِهَادِ وغَوْثُ المُنَادِي وَمُولِي الأَيَادِي مُلُوكَ النَّوَاحِ

وَكَمْ مِنْ عُقَابٍ لِحِصْنٍ مَنِيعٍ رَفِيعِ الصَّيَاصِي فَسِيحِ النَّوَاحِي[1]

أَطَلَّتْ عَلَيْهِ لِتَصْطَادَهُ عُقَابُ اللِّوَاءِ خَفُوقُ الجَنَاحِ

بِحَقٍّ تَخَافُ ذِئَابُ النَّصَارَى مِنَ الأَسَدِ الوَرْدِ دَاهِي السِّلَاحِ

شَأَوْتَ المُلُوكَ مُلُوكَ الزَّمَانِ بِخَفْضِ الجَنَاحِ وَرَفْعِ الجُنَاحِ

تُقَبِّلُ يُمْنَى يَدَيْكَ العُفَاةُ فَيُورِدُهَا البَرُّ بَحْرَ السَّمَاحِ

أَحَادِيثُ جُودِكَ مَرْفُوعَةٌ رَوَاهَا عَطَاءٌ لَنَا عَنْ رَبَاحِ

نَزَلْتَ بِنَا مَنْزِلاً فِي الفَيَافِي فَأَذْكَرْتَنَا الرَّوْضَ غِبَّ افْتِتَاحِ

سَتَبْكِي السَّحَابُ بِهِ عَهْدَنَا فَتَضْحَكُ مِنْهَا ثُغُورُ الأَقَاحِ

(1) في الأصل «النواح» بدون ياء.

وَشِنَّيــلُ بــالنِّيــلِ فَجَّــرْتَــهُ ... فَعَــادَتْ بِــهِ الأَرْضُ ذَاتَ انْسِيَــاحِ

ق(31) / وَتُحْفَــةِ طِــرْسٍ أَتَتْنِــي عِشَــاءً ... فَقَــابَلْــتُ مِنْهَــا مُحَيَّــا الصَّبَــاحِ

سَكِــرْتُ عَلَيْهَــا بِكَــاسِ الحَــدِيــثِ ... وَمَــا مُــدَّ فِيهَــا إِلَــى الــرَّاحِ رَاحِــي

وَقَــدْ وَاصَلَــتْ لِــيَ مِــنْ ظَــرْفِهَــا ... زَمَانَ اغْتِبَاقِــي بِوَقْتِ اصْطِبَاحِي[1]

وَنَــزَّهْــتُ طَــرْفِــيَ فِــي رَوْضِهَــا ... وَغَــازَلْــتُ مِنْهَــا عُيُــونَ المِــلاَحِ

حَــدِيــثٌ أَتَــى مِــنْ إِمَــامِ الهُــدَى ... بِوَفْقِ اقْتِرَاحِي وَفَوْقَ اقْتِرَاحِي[2]

إِذا حَــرَّكَ الطَّــرْفُ طِــرْفَ اليَــرَاعَ ... بِصَفْحَــةِ طِــرْسٍ زَرَتْ بِــالصِّفَــاحِ

وإِن هُــوَ أَجْــرَى جِيَــادَ البَيَــانِ ... تُبَــارِي الــرِيَــاحَ بِفَضْــلِ ارْتِيَــاحِ

وَخَيْــلُ التَخَيُّــلِ مَهْمَــا جَــرَتْ ... فَيُحْمَــدُ مِنْهُــنَّ فَــرْطُ الجِمَــاحِ

أَرَبَّ البَــلاَغَــةِ قَــدْ أَخْجَلَــتْ ... بَــلاَغَــةَ لُسْــنِ العِــرَابِ[3] الفِصَــاحِ

فَصَــاحَــةُ قَيْــسٍ وَسَعْــدٍ[4] رَوَتْ ... طِبَــاعَــكَ عَنْهَــا مُتُــونُ الصِّحَــاحِ

وَبَحْــرُ المَعَــارِفِ إِنْ خَــاضَــهُ ... أَضَــاءَ الصُّــدُورَ بِنُــورِ انْشِــرَاحِ

وَيَسْبَــحُ فِــي لُــجِّ تَــوْحِيــدِهِ ... فَيَقْــذِفُ بِــالــدُّرِ بَعْــدَ السِّبَــاحِ

فَيَنْظِــمُ مِنْهَــا نَفِيــسَ السُّلُــوكِ ... لأَهْــلِ السُّلُــوكِ وَأَهْــلِ الصَّــلاَحِ

تَبَــارَكَ رَبِّــي فَكَــمْ مَفْخَــرٍ ... أَجَلْــتَ فَحُــزْتَ مُعَلَّــى القِــدَاحِ

وَدُرُّ الــدَّرَارِيِّ لَــوْ كَلَّلَــتْ ... نِطَــاقَ الثُّــرَيَّــا العَلِــيَّ الــوِشَــاحِ

وَقَلَّــدْتَ مَــدْحَــكَ مِنْهَــا عُقُــوداً ... لَقَــلَّ وَحَقِّــكَ فِيــكَ امْتِــدَاحِــي[5]

أَمَــوْلاَيَ كَــمْ لَــكَ مِــنْ نِعْمَــةٍ ... وَصَلْــتَ الغُــدُوَّ بِهَــا بِــالــرَّوَاحِ

---

(1) في الأصل «اصطباح» بدون ياء.

(2) في الأصل «اقتراح» بدون ياء.

(3) علق الناسخ فوق العراب بقوله «كذا» لأنه يقال عادة خيل عراب، وهنا نسب العراب الى اللسن أي الى الإنسان.

(4) هما سعد بن عبادة وابنه قيس الصحابيان المعروفان رضي الله عنهما.

(5) في الأصل «امتداح» بدون ياء.

كَتِيبَـــةُ كُتْبِـــكَ شَـــرَّفْتَهَـــا وَذَمَّـــرْتَ مِنْهَـــا لُيُـــوثَ الكِفَـــاحِ
وَنَبَّهْـــتَ مِنْهَـــا عُيُـــونــاً غَفَـــتْ فَهَبَّـــتْ لِمَـــدْحِـكَ هَـبَّ الـرِّيَــاحِ
و(32) / سَمَحْـتَ إِلَـى العَبْـدِ مِـنْ نَيْلِهَـا بِكُـــلِّ مَهَـــاةٍ لَعُـــوبٍ رَدَاحِ
فَـلاَ زِلْـتَ تُـوضِـحُ سُبْلَ الهُـدَى وَتَسْلُـكُ مِنْهَـا سَبِيــلَ النَّجَــاحِ

(22)

وَقَالَ أَيْضاً تَفَاؤلاً لَهُ بِالرَّاحَةِ مِنْ مَرَضٍ:

[الطويل]

نَعِمْتَ كَمَا شَاءَتْ عُلاَكَ صَبَاحَا وَلُقِّيـتَ أَيَّـامَ السُـرُورِ صِبَـاحَـا
وَأَسْنَدْتَ عَنْ فَأْلِ العَلاَمَةِ «صَحَّ ذا» أَحَادِيثَ يَرْوِيهَا الزَّمَانُ صِحَاحَا
فَـدَتْـكَ مُلُـوكٌ أَنْـتَ عَيْـنُ زَمَـانِهَـا وَأَخْـرَى عَبِيـدٌ تَفْتَـدِيـكَ سَمَـاحَـا
ودُمْتَ كَمَا تَرْضَى وَتَرْضَى بِكَ العُلَى مُـوقَّـى مُعَـافـىً غُـدْوَةً وَرَوَاحَـا

(23)

وَقَالَ أَيْضاً وَقَدْ أَهْدَاهُ تُفَّاحاً كَذَلِكَ:

[الطويل]

أَنَسِيـمُ حَمْـدٍ عَـاطِـرٌ نَفَّـاحُ أَمْ تُحْفَـةٌ وَافَـتْ بِهَـا التُّفَّـاحُ؟
أَشْبَهْـنَ نَـاعِمَـةَ الخُـدُودِ فـأَصْبَحَـتْ أَشْبَـاحُهَـا تَحْيَـا بِهَـا الأَرْوَاحُ
حَلَّتْ مِنَ المَوْلَى الكَرِيمِ بِرَاحَةٍ قَــدْ جَلَّلَتْهَــا رَحْمَــةٌ وَسَمَــاحُ
فَبِـرَاحَـةٍ قَـدْ بَشَّـرَتْ فِـي رَاحَـةٍ فَنُفُـوسُنَـا شَـوْقـاً لَهَـا تَـرْتَـاحُ

(24)

وأنْشَدَهُ وَقَدْ دَفَعَ جَفْناً[1] فِي البَحْرِ:

[البسيط]

فِي طَالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ المَيَامِينِ   دَفَعْتَ جَفْنَكَ يَا خَيْرَ السلاطِينِ
رِيحُ السَّلامَةِ تُجْرِيهِ وَتُرْجِعُهُ   مُبَلَّغَ القَصْدِ فِي أمْنٍ وَتَهْدِينِ
وَكُلُّ مَا شِئْتَ مِنْ أَمْرٍ سَتَبْلُغُهُ   طَوْعَ السَّعَادَةِ فَي عِزٍّ وَتَمْكِينِ

(25)

ق(32) وَقَالَ يَمْدَحُهُ[2] وَقَدْ رَكِبَ بَحْرَ مَالَقَةَ وَافِداً عَلَيْهَا مُؤكِّداً بِرَجْعِ التَّحِيَّةِ عَلَى مَنْ حُشِرَ لِلِقَائِهِ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَسْبَابُ الحُبِّ لَدَيْهَا رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ:

[الكامل]

مَوْلَايَ يَا فَخْرَ المُلُوكِ المُجْتَبَى   مِنْ دَوْحَةٍ دِينُ النَّبِي بِهَا انْتَصَرْ
أَعْمَلْتَ وِجْهَتَكَ التِي قَدْ أَعْرَبَتْ   مِنْ بَعْدِ نُجْحِ الوِرْدِ عَنْ نُجْحِ الصَّدَرْ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ تُسَوِّغُ أنعُمَا   قَدْ قَصَّرَتْ عَنْ كُنْهِ مَبْلَغِهَا الفِكَرْ
وَأَنَا الضَّمِينُ لِمَنْ تَكَلَّفَ حَصْرَهَا   أَنْ لَيْسَ يُدْرِكُ فِي البَيَانِ سِوَى الحَصَرْ
وَرَكِبْتَ خَافِقَةَ الجَنَاحِ إِذَا جَرَتْ   لَمْ تَسْتَبِنْ إلَّا كَلَمْحٍ بِالبَصَرْ
كَانَتْ مِنَ الفُلْكِ المَوَاخِرِ فَاغْتَدَتْ   فَلَكاً تَوَسَّطَ هَالَةً مِنْهُ القَمَرْ
يَا بَحْرَ مَاءٍ إنَّ فَوْقَكَ أَبْحُراً   لأَنَامِلٍ غَيْثُ النَّدَى مِنْهَا انْهَمَرْ
مُذْ مَدَّهَا رَبُّ الوُجُودِ بِجُودِهِ   لَمْ تَدْرِ بَعْدَ المَدِّ يَوْماً مَا الحَسَرْ

---

(1) مركب للتجارة أو للحرب من حراسة أو قرصنة.
(2) أي يمدح الغني بالله.

وَافَيْتَ رَيَّةَ[1] وَالسُّعُودُ مَوَاكِبٌ ... قَدْ حَفَّهَا التَّأْيِيدُ مِنْ جُنْدِ القَدَرْ
خَرَجُوا لَكَ الجَمَّ الغَفِيرَ فَأَبْصَرُوا ... مَا أَمَّلُوا مِلْءَ المَسَامِعِ وَالبَصَرْ
وَرَأَوْكَ مِلْءَ عُيُونِهِمْ فَاسْتَطْلَعُوا ... نُورَ الهِدَايَةِ وَالمَهَابَةِ قَدْ بَهَرْ
وَأَتَوْا بِأَبْنَاءٍ لَهُمْ فَكَأَنَّهُمْ ... دَوْحٌ أَتَى بِالزَّهْرِ مِنْهُ وَالثَّمَرْ
أَسْمَعْتَهُمْ مَنْ لَفْظِكَ الدُّرَّ الذِي ... تَهْوَى الدَّرَارِي أَنْ تَكُونَ لَهُ دُرَرْ
يَا رَحْمَةً وَالغَيْثُ مِثْلُكَ رَحمَةٌ ... وَافَيْتُمَا هَذَا الجَنَابَ عَلَى قَدَرْ
كُنَّا بِحَضْرَتِكَ العَلِيَّةِ نَجْتَنِي ... تُحَفَ الهَدَايَا فِي الأَصَائِلِ وَالبُكَرْ
و(33) / مِنْ كُلِّ مَا فِي البَرِّ مِنْ طُرَفٍ وَكَمْ ... يَا بَرُّ أَهْدَيْتَ العَبِيدَ مِنَ الأَثَرْ
وَأَتَيْتَ مَالَقَةَ لِتُتْحِفَنَا بِمَا ... فِي البَحْرِ يَا بَحْرَ السَّمَاحَةِ مِنْ عِبَرْ
فَاهْنَأْ بِهَا مِنْ وِجْهَةٍ فِي غِبْطَةٍ ... وَاسْتَقْبِلِ الأَيَّامَ أَوْجُهُهَا غُرَرْ
سَتَنَالُ كُلَّ مُؤَمِّلٍ أَمَّلْتَهُ ... وَتَعُودُ لِلْوَطَنِ المُبَارَكِ بِالوَطَرْ
يَلْقَاكَ مَنْ فِيهِ بِقُرَّةِ أَعْيُنٍ ... كُلٌّ يَقُولُ: «عَلَى السَّلَامَ مِنَ السَّفَرْ»

(26)

وَقَالَ يُصَابِحُهُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ بِالتَّحِيَّةِ فِي يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنَ التَّوْقِيعَاتِ بِالمَكَارِمِ طَوْعَ الأَرْيَحِيَّةِ:

[الكامل]

يَا رَحْمَةً عَمَّ الوَرَى بَرَكَاتُهَا ... اِهْنَأْ بِيَوْمٍ وَافِرِ البَرَكَاتِ
وَاسْتَقْبِلِ النَّصْرَ المُؤَزَّرَ بَعْدَهُ ... مُسْتَنْجِحًا فِي الرَّأْيِ وَالرَّايَاتِ
وَانْعَمْ صَبَاحاً يَا صَبَاحاً قَدْ بَدَا ... مُتَأَلِّقَ الأَنْوَارِ وَالآيَاتِ

(1) كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهي قبلي قرطبة، كثيرة الخيرات، لها مدن وحصون وبها عين حارة وهي الاسم القديم لمدينة مالقة (ابن الخطيب: الإحاطة 466/1، ياقوت: بلدان 397/4).

وَلَقَدْ سَمِعْتُ وَمَا سَمِعْتُ كَمِثْلِهَا وَقْعَتَهُ فِي ظَاهِرِ الرُّقَعَاتِ
أَدْرَرْتَ أَرْزَاقاً رَفَعْتَ مَظَالِمًا هَذَا وَكَمْ فَرَّجْتَ مِنْ أَزَمَاتِ
وَلَطَائِفٍ أَتْحَفْتَ مِنْهَا بِالَّتِي تَسْرِي بِهَا الرُّكْبَانُ فِي الفَلَوَاتِ
مِنْ كُلِّ مَعْنًى لَوْ تَجَسَّدَ لاَغْتَدَى يُغْنِي عَنِ الأَقْدَاحِ والكَاسَاتِ
أَبْقَاكَ رَبُّكَ لِلْمَعَالِي مَظْهَراً فَهْوَ المُهَيْمِنُ سَامِعُ الدَّعَوَاتِ

(27)

وَقَالَ أَيْضاً مِمَّا تَقَدَّمَ[1]:

[مجزوء الكامل]

اِنْعَمْ صَبَاحاً يَا صَبَاحْ وَاسْتَقْبِلِ الغُرَرَ الصِّبَاحْ
ق(33) / وَاسْتَجْلِ كُلَّ مَسَرَّةٍ وَاهْنَأْ بِأَيَّامِ النَّجَاحِ
فِي «صَحَّ هَذَا» آيَةٌ وَعَلاَمَةُ البُرْءِ المُتَاحْ
شَوْقِي لِوَجْهِكَ شَوْقُ مَنْ يَسْرِي إِلَى البَدْرِ اللِيَاحْ
أَبْقَاكَ رَبُّكَ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ رَافِعَةَ الجُنَاحْ

(28)

وَقَالَ أَيْضاً:

[المجتث]

لِوَاءُ صُبْحٍ تَجَلَّى يَحْكِي لِوَاءَ ابْنِ نَصْرِ
إِذَا هَفَا يَوْمَ حَرْبٍ بَرِيحِ فَتْحٍ وَنَصْرِ
فَانْعَمْ صَبَاحاً بِنُعْمَى تَجِلُّ عَنْ وَصْفِ حَصْرِ
وَدُمْتَ بَدْرَ سَمَاحٍ وَشَمْسَ رَبْعٍ وَقَصْرِ

(1) أي من الصباحيات.

(29)

وَقَالَ وَقَدْ أَهْدَاهُ:

[الطويل]

أَيَا خَيْرَ مَنْ يُهْدِي العَبِيدَ نَعَائِمَا ... تَحُومُ عَلَيْهَا الشُّهْبُ حَتَّى النَعَائِمْ

نُسِبْتَ إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ[1] وِرَاثَةً ... فَعَبْدُكَ فِي بَحْرٍ مِنَ الجُودِ عَائِمْ

بَعَثْتَ بِوَرْدٍ بَيْنَ زَهْرٍ كَأَنَّمَا ... تَفَتَّحَ عَنْهُ فِي الرِّيَاضِ الكَمَائِمْ

وَمَا هُوَ إِلَّا اللَّحْمُ والشَّحْمُ صَاغَهُ ... رَبِيعٌ سَقَتْهُ فِي البِطَاحِ الغَمَائِمُ

تَبَارَكَ مَنْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ ... لِتَشْمُلَهُمْ مِنْكَ اللُّهَى وَالمَكَارِمُ

وَوَجْهُكَ ـ زَادَ اللهُ وَجْهَكَ نَضْرَةً ـ ... تُغِيرُ بِهِ تَاجَ البُدُورِ العَمَائِمُ

فَلَوْ رَامَ وَجْهُ الصُّبْحِ شِبْهَ جَمَالِهِ ... حَكَمْنَا بِأَنَّ الصُّبْحَ فِي الأُفْقِ نَائِمْ

وَشَهْرُكَ[2] شَهْرٌ عَظَّمَ اللهُ قَدْرَهُ ... وَقَدْ وَضَحَتْ لِلرُّشْدِ فِيهِ المَعَالِمْ

بِهِ طَلَعَ الهَدْيُ المُبِينُ مُتَمِّمًا ... بِأَكْرَمِ مَنْ نِيطَتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ

و(34) / بِمَوْلِدِ خَيْرِ العَالَمِينَ مُحَمَّدٍ ... عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ مَا الزَّهْرُ بَاسِمْ

وَعِمْتَ صَبَاحاً أَنْتَ نَاصِرُ دِينِهِ ... وَكَافِلُهُ وَاللهُ كَافٍ وَرَاحِمْ

(30)

وَقَالَ أَيْضاً يَصِفُ صِنْهَاجِيّاً[3] أَهْدَاهُ:

---

(1) يشير إلى كونه يَمَنِيًّا من قحطان كالمنذر بن ماء السماء وهي تورية عن كرم الممدوح.

(2) يقصد بالشهر شهر ربيع الأول وهو الذي ولد فيه الرسول ﷺ والغني بالله اسمه أيضاً محمد.

(3) لم نجد لهذه الكلمة أثراً في القواميس؛ كما ان معناها غير واضح في الأبيات باستثناء، قوله «ويعزى إلى صنهاجة» غير اننا عثرنا على مقطوعتين لابن زمرك في نفح الطيب هما:
«وقال في غرض الشكر عن مُغَطّى صنهاجي أهداه إليه»:

[الطويل]

أَبَحْـرَ نَـوَالٍ سَـالَ فَيْـضُ نَـوَالِـهِ وَلاَ عَجَبٌ سَيْلٌ يَفِيضُ مِنَ البَحْرِ
وَقَـوْمُـكَ أَهْـلُ الله أَثْنَـى عَلَيْهِـمُ وَخَصَّهُمُ بِالجُودِ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ
أَلاَ إِنَّ أَدْنَى نِعْمَةٍ مِنْكَ خَطْرُهَا عَظِيمٌ فَمَنْ لِي أَنْ يَقُومَ بِهَا شُكْرِي؟
فَكَيْـفَ بِشَـيْءٍ فِيـهِ أَشْتَـاتُ أَنْعُـمٍ يَضِيقُ نِطَاقُ الوَصْفِ فِيهِ عَنِ الحَصْرِ
بَهِيمَـةُ أَنْعَـامٍ لَهَـا فِيـهِ مَسْـرَحٌ وَطَيْـرٌ أَوَتْ مِنْـهُ الغَـدَاةَ إِلَـى وَكْـرِ
وَوَحْـشٌ غَـدَا مِنْـهُ بِـأَنْعَـمِ رَوْضَـةٍ وَقَدْ كَانَ يَأْوِي قَبْلَ ذَاكَ إِلَى القَفْـرِ
وَمِنْ ثَمَرٍ لَمْ يَجْمَعِ الرَّوْضُ مِثْلَهَا وَلاَ خَطَرَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ عَلَى فِكْرِ
وَيُعْـزَى إِلَـى صَنْهَـاجَـةٍ وَمُلُـوكُهَـا ـ وَحَقِّكَ ـ لَمْ تَظْفَرْ بِهِ سَالِفَ الدَّهْرِ
مَـآثِـرُ مَـنْ وَلَّـى مُلُـوكَ زَمَـانِـهِ وَشَـرَّفَهُـمْ بِـالنَّهْـيِ مِنْـهُ وَبِـالأَمْـرِ
وَلَمَّـا تَسَمَّـى بِـالغَنِـيِّ بِـرَبِّـهِ فَذِكْرُ اسْمِهِ يُغْنِي العُفَاةَ مِنَ الفَقْرِ
فَلاَ زَالَ فِي رَوْضٍ مِنَ الجُودِ يَانِعٍ يَنُوبُ نَسِيمُ الحَمْدِ فِيهِ عَنِ الزَّهْـ[ـرِ]

= لِمَـنْ قُبَّـةٌ حَمْـرَاءُ مُـدَّ فَضَـاؤُهَـا تَطَـابَـقَ مِنْهَـا أَرْضُهَـا وسمـاؤُهـا
وَمَـا أَرْضُهَـا إِلاَّ خَـزَائِـنُ رَحْمَـةٍ وَمَا قَدْ سَمَا مِنْ فَوْقِ ذَاكَ غِطَاؤُهَا
(. . .)
تَرَى الطَّيْرَ فِي أَجْوَافِهَا قَدْ تَصَفَّفَتْ عَلَـى أَنْعُـمٍ عِنْـدَ الإِلاَهِ كِفَـاؤُهَـا
وَنِسْبَتُـهُ صَنْهَـاجَـةٌ غَيْـرَ أَنَّـهُ تُقَصِّـرُ عَمَّـا قَـدْ حَـوَى خُلَفَـاؤُهَـا

وفي مثله:
مَـا لِلْعَـوَالِـمِ جُمِّعَـتْ فِـي قُبَّـةٍ قَـدْ شَـادَهَـا كَـرَمُ الإِمَـامِ مُحَمَّـدِ
(. . .)
صُفَّـتْ عَلَيْهَـا لِلْفَـوَاكِـهِ كُلَّمَـا قَـدْ عَـاهَـدَتْـهُ بِـدَوْحِهَـا المُتَعَـوِّدِ
لَـوْ أَبْصَـرَتْ صَنْهَـاجَـةٌ أَوْضَـاعَـهُ دَانَـتْ لَـهُ أَمْـلاَكُهَـا بِتَعَبُّـدِ
(أزهار ج 2، ص 141 ـ 142) فالصنهاجي هو مُغَطًى لآنية وضع فيها صنوف اللحوم والفواكه.

(31)

وَقَالَ أَيْضاً يَصِفُ ٱلْمُجَبَّنَةَ[1] كَذَلِكَ:

[الكامل]

دَامَتْ لَكَ الخَيْرَاتُ يَا بَدْرَ السَّمَاحْ ... فَلَطَالَمَا كُوِّنْتَ[2] مِنْ بَدْرٍ لَيَاحْ

فَلَكٌ تَجَسَّدَ لِلْعِيَانِ وَجِسْمُهُ ... نُورٌ عَلَى نُورٍ وَأَوْجُهُهُ صِبَاحْ

ق(34) / هَلْ يَعْلَمُ الفَلَكُ المُكَوْكَبُ[3] أَنَّهَا ... خَلُصَتْ لَنَا مِنْ صَفْوِ أَلْبَانِ اللِّقَاحْ

نِصْفُ النَّهَارِ أَتَى بِهَا وَلَوْ أَنَّهَا ... فِي فَجْرِهِ لَزَهَا بِغُرَّتِهَا الصَّبَاحْ

لاَ تُنْكِرُوا مِنْهَا بَيَاضاً نَاصِعاً ... فَبَيَاضُهَا مِنْ لَوْنِ أَزْهَارِ البِطَاحْ

وَبَنَاتُهَا قَدْ قُدِّمَتْ مِنْ قَبْلِهَا ... مُحْمَرَّةَ الوَجَنَاتِ نَاعِمَةً رَدَاحْ

لَبِسَتْ غَلاَئِلَ عَسْجَدٍ مِنْ تَحْتِهَا ... ذَوْبُ اللُّجَيْنِ وَكُلُّ ذَلِكَ مُسْتَبَاحْ

وَهِيَ الشُّمُوسُ فَإِنْ نَزَعْتَ ثِيَابَهَا ... عَادَتْ بُدُوراً رَائِقَاتٍ فِي ٱلْتِمَاحْ

جَعَلَتْ مِنَ الشَّهْدِ المُشَارِ رُضَابَهَا ... وَجَلَتْ مَرَاشِفُهَا ثُغُوراً كَالأَقَاحْ

إِنْ عُذِّبَتْ بِالنَّارِ لَمَّا أُغْرِقَتْ ... أَهْدَتْ لَنَا مِنْهَا نَعِيماً مُسْتَمَاحْ

عَمَرَتْ بَيَاضَ اليَوْمِ بِيضُ مَكَارِمٍ ... فَمَعَ الغُدُوِّ وَفِي الظَّهِيرَةِ وَالرَّوَاحْ

نِعَمٌ عَلَى نِعَمٍ تَنَاسَقَ عِقْدُهَا ... قَدْ فُصِّلَتْ تَفْصِيلَ أَثْنَاءِ الوِشَاحْ

نَسَمَاتُ جَنَّاتِ العَرِيفِ[4] عَلِيلَةٌ ... صَحَّتْ وَرَوَيْنَا ٱلأَحَادِيثَ الصِّحَاحْ

عَنْ مُنْعِمٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ ... عَنْ وَاصِلٍ لِي عَنْ عَطَاءٍ عَنْ رَبَاحْ[5]

---

(1) أنواع من الفطائر تصنع بالدقيق وأنواع الجبن (أنظر ملحق دوزي ج 1 ص 172) وهي رائجة جداً في الأندلس ويستحب أكلها وهي حارة (راجع «الشعر الأندلسي» لبيريز ص 316).

(2) معنى العجز غير واضح؛ ولعله يشير إلى أشكال المجبّنة.

(3) لعله يقصد الطبق المليء بأنواع الأجبان.

(4) اسم لحدائق بني نصر بقصر الحمراء بغرناطة (Généralife).

(5) كلها توريات لمدح الغني بالله بالكرم والعطاء.

سَنَــدُ أَئِمَّتِــهُ صِفَــاتُ خَلِيفَــةٍ   جَمَعَ الجَلاَلَةَ وَالبَسَالَةَ والسَّمَاحْ
المُنْتَقَـى مِـنْ نُـورِ مُنْبَعَـثِ الهُـدَى   وَالمُجْتَبَى مَنْ عُنْصُرِ المَجْدِ الصُّرَاحْ
وَرِثَ المَعَـالِـي كَـابِـراً عَـنْ كَـابِـرٍ   وَالفَخْرَ مَا بَيْنَ العَوَالِي وَالصِّفَاحْ
عَـنْ كُـلِّ مَـنْ آوَى النَبِـيَّ وَدِينَـهُ   وَأَجَابَ دَاعِي الله «حَيَّ عَلَى الفَلاَحْ»
مَـاذَا عَسَى يُغْنِي الفَصِيحَ لِسَـانُـهُ   وَالوَحْيُ يَمْدَحُهُمْ بِأَلْسِنَةٍ فِصَاحْ
فَعَلَيْـكَ يَـا فَخْـرَ المُلُـوكِ تَحِيَّـةٌ   تَسْـرِي بِنَفْحَتِهَـا مُغَلِّسَـةُ الـرِّيَـاحْ

(32)

وَقَالَ أَيْضاً شَاكِراً لِهِبَاتِهِ فِي بَعْضِ مُتَوَجَّهَاتِهِ[1]:

[الكامل]

و(35) / يَـا خَيْـرَ مَـنْ نَصَـرَ الإِلآهَ وَدِينَـهُ   وَبِقَـوْمِـهِ انْتَصَـرَ الـرَّسُـولُ وَآلُـهُ
وَلِجَـدِّهِ مِـنْ جَـدِّهِ دُفِـعَ اللِّـوَا   وَكَفَـى بِهَـا شَـرَفـاً يَعِـزُّ مَنَـالُـهُ
فَـاتَحْتَنِـي بِهَـدِيَّـةٍ فِـي فَـالِهَـا   فَتْـحٌ مِـنَ الـوَهَّـابِ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ
وَزَجَـرْتُ مِنْهَـا الطَّيْـرِ أَيْمَـنَ طَـائِـرٍ   لِخَلِيفَـةِ اللهِ العَمِيـمِ نَــوَالُــهُ
وَبَشَـائِـرٍ مَـوْصُـولَـةٍ فِـي وُجْهَـةٍ   مَـا شِئْـتَ فِيهَـا مِـنْ رِضَـاكَ تَنَـالُـهُ
مَـاذَا عَسَـى يَصِـفُ امْـرُؤٌ بِمَقَـالِـهِ   إِحْسَانَ مَنْ مَلَكَ المُلُوكَ فَعَالُهُ؟
رَاقَ الـرِّيَـاضَ ثَنَـاؤُهُ وَجَمَـالُـهُ   فَـاقَ البُـدُورَ بَهَـاؤُهُ وَكَمَـالُـهُ
فَـانْهَـضْ لِـوِجْهَتِـكَ الَّتِـي يَمَّمْتَهَـا   فَـالسَّعْـدُ قَـدْ رَفَّـتْ عَلَيْـكَ ظِـلاَلُـهُ
وَمَتَـى نَـزَلْـتَ بِمَنْـزِلٍ فَخِيَـامُـهُ   بِـالخَيْـرِ قَـد مُلِئَـتْ لَنَـا وَحِـلاَلُـهُ

(1) لعلها لمدافعة العدو في بعض الحصون

(33)

وَأَنْشَدَهُ في بَعْضِ مَنَازِلِ تِلْكَ الوُجْهَةِ[1]:

[البسيط]

يَا مَنْزِلَ السَّعْدِ في أَرْضِ الجِهَادِ لَقَدْ حُزْتَ المَفَاخِرَ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ
مَا شِئْتَ مِنْ نُزَهٍ لِلصَّدْرِ شَارِحَةٍ تُزْهَى بِأَجْرِ جِهَادٍ غَيْرِ مَمْنُونِ
وَكَمْ مَآرِبَ تَقْضِيهَا النُّفُوسُ بِهِ طَيَّ الحَبِيبَيْنِ مِنَ يُمْنٍ وَتَأْمِينِ
حَتَّى النَّبَاتَ حَبَاهُ كُلَّ عَاطِرَةٍ تُهْدِي النَّوَاسِمُ مِنْهَا عَرْفَ دَارِينِ
وَنَهْرُ شِنِّيلَ مَدَّ النِّيلَ زَاخِرُهُ حَصْبَاؤُهُ الدُّرُ لَكِنْ غَيْرُ مَكْنُونِ
ذَوْبُ اللُّجَيْنِ بِمُخْضَرِّ الزُمُرُّدِ قَدْ سَرَّ النُّفُوسَ بِإِحْسَانٍ وَتَحْسِينِ
لاَ سِيَّمَا مُذْ أَتَى أَرْجَاءَ حَوْزَتِهِ مَوْلَى المُلُوكِ وَسُلْطَانُ السَّلاَطِينِ
ظِلُّ الإلاَهِ عَلَى دِينِ الإِلاَهِ وَمَنْ تُزْرِي حُلاَهُ بِمَنْصُورٍ وَمَأْمُونِ
بُشْرَاكَ مَوْلاَيَ هَذَا مَنْزِلٌ أَرِجٌ نَزَلْتَ فِيهِ عَلَى الطَّيْرِ المَيَامِينِ
ق(35) / فَابْلُغْ بِهِ كُلَّ مَا تَرْجُوهُ مِنْ وَطَرٍ[2] وَٱسْتَقْبِلِ البِشْرَ فِي كُلِّ الأَحَايِينِ

(34)

وَقَالَ في مَنْزِلَةٍ أُخْرَى وَقَدْ أَهْدَاهُ حَجَلاً وَيُشِيرُ إلى تَظَاهُرِ بَنِي بَشِيرٍ[3]:

[البسيط]

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ بَعَثْتَ بِالطَّيْرِ تَشْرِيفاً وَتَنْوِيهَا

---

(1) أي الوجهة المذكورة في القصيدة السابقة.

(2) في الأصل فوقها كلمة «أمل» مما يدل على وجود نسخة ثانية للمخطوط.

(3) من بني بشير وهم قبيل من الاربس من البرابرة الذين استقروا بالأندلس.

مِنَ اللَّوَاتِي لَبِسْنَ الرِّيشَ عَنْ حُلَلٍ مَوْشِيَّةٍ بِرُقُومٍ فِي حَوَاشِيهَا
قَدْ صَاغَتِ الرِّجْلَ[1] يَاقُوتاً وَقَدْ صَبَغَتْ مِنْقَارَهَا مِنْ عَقِيقٍ فِي مَآقِيهَا
صَادَتْ مَوَالِيَّ[2] لِلْمَوْلَى قَنَائِصَهَا فَصَارَ يَمْنَحُهَا جُوداً وَيُهْدِيهَا
رِضَاكَ عَنِّي وَرِضْوَانُ الإِلاَهُ بِهِ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
كَفَى خِلاَفَتَكَ الغَرَّاءَ مَنْقَبَةً أَنَّ الإِلاَهَ يُوَالِي مَنْ يُوَالِيهَا
كَمْ عَادَةٍ لَكَ لِلْعَادَاتِ خَارِقَةٍ لَمْ تَخْفَ لَكِنْ لِسَانُ الدَّهْرِ يُفْشِيهَا
حَتَّى السَّفِينَةُ[3] فَوْقَ البَرِّ مَاشِيَةٌ وَالخَلْقُ تَعْجَبُ مِمَا ظَلَّ يُمْشِيهَا
مِنْ غَيْرِ بَحْرٍ وَلاَ رِيحٍ تُحَرِّكُهَا تَبَارَكَ اللهُ مُرْسِيهَا وَمُجْرِيهَا
فِي بَحْرِ جُودِكَ يَا مَوْلاَيَ قَدْ سَبَحَتْ وَرِيحُ سَعْدِكَ يَا مَوْلاَيَ تُجْرِيهَا
فَانْهَضْ لِمَنْزِلِكَ الأَرْضَى فَقَدْ بَلَغَتْ فِيهِ النُّفُوسُ مِنَ السَّرَا أَمَانِيهَا
بَنُو بَشِيرٍ أَطَلَّتْ مِنْ مُخَيَّمَةٍ[4] عَلَى بَشَائِرَ تُرْضِينَا وَتُخْزِيهَا
صَنَائِعُ اللهِ فِيهِ كُلَّ آوِنَةٍ تَسُرُّ أَهْلَ الهُدَى وَالرُّومُ تُشْجِيهَا
بَلغْتَ أَنْدَلُساً مَا شَاءَ سَاكِنُهَا لاَ زِلْتَ كَافِلَهَا دَاباً وَكَافِيهَا

(35)

وَقَالَ أَيْضاً يُهَنِّئُ وُفُودَهُ وَيَصِفُ جَلِيداً كَسَا وَجْهَ الأَرْضِ بُرُودُهُ:

[الكامل]

لَمَّا أَتَى المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ مِنْ وِجْهَةٍ[5] تَقْضِي بِنَصْرِ لِوَائِهِ
و(36) / الفَحْصُ[6] أَصْبَحَ بِالجَلِيدِ كَأَنَّهُ لَبِسَ البَيَاضَ لِعِيدِ يَوْمِ لِقَائِهِ

(1) في الأصل «للرجل» هكذا؛ ولعلّه سهو.
(2) يقصد أتباعه من أبنائه.
(3) هو يقصد عربة جارة شبهها بالسفينة.
(4) لعلهم قوم معارضون للمسلمين في ذمة الإسبان ساءهم نصر الغني بالله.
(5) واضح أنها وجهة حربيّة.
(6) هي المروج الخَصْبَة المحيطة بغرناطة والتي تشقها شرقاً وغرباً.

أَوْ شَابَ تَوْقِيراً لَهُ ومَهَابَةً ... حَتَّى تَلَفَّعَ وَجْهُهُ بِرِدائِهِ
وَأَتَى شُعَاعُ الشَّمْسِ يَخْضِبُ شَيْبَهُ ... فَبَدَا عَلَيْهِ الصِّبْغُ مِنْ حِنَّائِهِ
وَسَرَى النَّسِيمُ مُعَطَّراً فَكَأَنَّهُ ... شِعْرِي وَقَدْ طَيَّبْتُهُ بِثَنَائِهِ
لاَ زَالَ شَمْساً فِي سَمَاءِ خِلافَةٍ ... يَجْلُو الأَهِلَّةَ مِنْ بَنِي أَبْنَائِهِ
وَلَهُ الهَنَاءُ بِعَوْدَةٍ قَدْ عَوَّدَتْ ... أَيَّامَهُ مَا شَاءَ مِنْ سَرَّائِهِ
وَاللهِ مَا بَدْرُ التَمَامِ بِهَالَةٍ ... بِأَتَمَّ حُسْناً مِنْهُ فِي حَمْرَائِهِ

(36)

وَقَالَ في مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الإِهْدَاءِ شَاكِراً:

[الطويل]

أَمَوْلاَيَ جَاءَ العَبْدُ لِلْبَابِ سَائِلاً ... عَنِ الذَّاتِ ذَاتِ العِزِّ والفَخْرِ وَالمَجْدِ
وَيَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ ... تَقَاصَرَ عَنْهَا مَا تَطَاوَلَ مِنْ حَمْدِ
فَلَحْمٌ حَكَى اليَاقُوتَ وَالشَحْمُ فَوْقَهُ ... يُحَاكِي لَنَا الزَّهْرَ الجَنِيَّ عَلَى الوَرْدِ
وَأَهْدَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ ذَاكَ أَهِلَّةً[1] ... يُكَوِّنُهَا الصُّنْعُ اللَّطِيفُ مِنَ الشَّهْدِ
لَكَ الخَيْرُ قَدْ أَوْلَيْتَنِي كُلَّ نِعْمَةٍ ... وَفَاتَحْتَ هَذَا العَامَ بِالعِيشَةِ الرَّغْدِ
بَقِيتَ كَمَا تَرْضَى وَتَرْضَى بكَ العُلَى ... مُعافًى مُوَقًّى بَالِغاً غَايَةَ القَصْدِ

(37)

وَقَالَ يَشْكُرُهُ وَقَدْ سَأَلَ عَنْهُ وَيَصِفُ ٱلْجُنْدَ في بعْضِ مَوَاكِبِهِمْ مُلْزِماً[2]:

[الكامل]

يَا طَلْعَةَ الصُّبْحِ المُبِينِ وَمُخجِلَ الْبَـــدْرِ المُنِيرِ إِذَا بَدَا فِي مَوْكِبِ

(1) لعلها نوع من الحلويات.
(2) يقصد حرف الكاف قبل الروي في كامل الأبيات.

الشَّمْسُ أَنْتَ إِذِ المُلُوكُ كَوَاكِبٌ وَالشَّمْسُ تُهْدِي نُورَهَا لِلْكَوْكَبِ
ق(36) / أَنوارُ وَجْهِكَ يَا مُحَمَّدُ زَاحَمَتْ عِنْدَ الصَّبَاحِ ضِيَاءَهُ بِالمَنْكِبِ
وَإِذَا غَمَامُ الأُفْقِ تَسْكُبُ صَوْبَهَا عَنْ مِثْلِ كَفِّكَ فِي النَّدَى لَمْ تَسْكُبِ
فَانْظُرْ عَسَاكِرَكَ الَّتِي جَنَّدْتَهَا تَجْرِي صَوَافِنُهَا بِأُسْدٍ رُكَّبِ
وَانْظُرْ مِنَ المَيْدَانِ يَجْلُوهُمْ إِلَى فَلَكٍ بِزَهْرِ النَّيِّرَاتِ مُكَوْكَبِ
وَسَأَلْتَ عَنِّي بَعْدَمَا أَرْكَبْتَنِي لِلْعِزِّ يَا مَوْلاَيَ أَوْطَأَ مَرْكَبِ
لله مِنْ فَضْلٍ عَمِيمٍ وَاضِحٍ فَضْلٌ عَلَى كَرَمِ الطِّبَاعِ مُرَكَّبِ
فَانْعَمْ صَبَاحاً بَالِغاً مَا شِئْتَهُ فَالصُّبْحُ طِرْفٌ أَشْهَبٌ فَلْتَرْكَبِ

(38)

وَأَنْشَدَهُ صَبِيحَةَ يَوْمٍ شَاكِراً أَيْضاً عَنْ نِعَمٍ وَصَلَتْهُ أَمْسَهُ:

[الطويل]

مُحَيَّاكَ مِنْ شَمْسِ الظَهِيرَةِ أَجْمَلُ وَأَنْتَ مِنَ البَدْرِ المُكَمَّلِ أَكْمَلُ
وَمَا رَاقَ وَجْهُ الصُّبْحِ إِلاَّ لأَنَّهُ رَأَى مِنْكَ وَجْهاً بِشْرُهُ يَتَهَلَّلُ
فَأَنْعَمَ رَبِّي فِيهِ صُبْحَكَ بِالرِّضَا وَأَعْطَاكَ فِيهِ كُلَّ مَا أَنْتَ تَأْمَلُ
فَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ نُعْمَى وَمِنَّةٌ يَظَلُّ بِهَا قَطْرُ النَّدَى يَتَسَيَّلُ
وَبِالأَمْسِ وَافَتْنِي هِبَاتٌ عَمِيمَةٌ تُكِلُّ بِهَا ظَهْرَ المَطِيِّ وَتُثْقِلُ
وَأَخَّرْتُ شُكْرِي كَيْ يَجِيءَ بِسُحْرَةٍ[1] يُحَيِّيكَ عَنِّي والبَنَانَ يُقَبِّلُ[2]
فَمَا أَنَا إِلاَّ طَائِرٌ حَلَّ جَنَّةً وَظِلُّ المُنَى مِنْ فَوْقِهِ يَتَهَدَّلُ
يُغَرِّدُ بِالأَسْحَارِ يهْدِي مَدَائِحاً لِمَوْلًى يُوَالِي بِالجَمِيلِ وَيُجْزِلُ
فَلاَ زِلْتَ شَمْساً لِلبُدُورِ مُكَمِّلاً وَنُورُكَ يُعْشِي كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ

(1) السُحرة، آخر الليل قبل طلوع الفجر مما يشير ربما الى تهجّد الخليفة (القاموس 2/44).
(2) يشير إلى عادة تقبيل اليد.

(39)

وَكَتَبَ إِلَيهِ قَدَّسَهُ اللهُ مَعَ ضِغْثٍ[1] نَرْجِسٍ:

[الكامل]

و(37) / يَا غَيْثَ كُلِّ مُهَلِّلٍ وَمُكَبِّرٍ   وَغِيَاثَ كُلِّ مُوَحِّدٍ ومُقَدِّسِ

اْشْتَقْتُ وَجْهَكَ فاسْتَنَبْتُ بُسُحْرَةٍ   كَيْمَا أُشَاهِدَهُ عُيُونَ النَرْجِسِ

(40)

وقَالَ يُخَاطِبُ مُهْدِيَ النَّرْجِسِ[2] أَوَّلاً إِيَّاهُ:

[الكامل]

يَا مَنْ إِذَا فَخَرَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ   فَبِطَارِفٍ مِنْ مَجْدِهِ وَتَلِيدِ

أَهْدَيْتَنِيهِ نَرْجِساً أَلْحَاظُهُ   تُزْرِي بِأَلْحَاظِ الحِسَانِ الغِيدِ

وَغَداً أُصَارِفُهُ بِزَهْرٍ يَانِعٍ   يَحْكِي خُدُودَ الْغِيدِ فِي التَوْرِيدِ

وَعُقُودُ مَدْحِكَ وَهِيَ أَنْفَسُ جَوْهَرٍ   قَدْ قُلِّدَتْ فِي نَحْرِهِ وَالجِيدِ

فِي طَالِعِ السَّعْدِ المُجَدَّدِ وَالرِّضَا   وَهَنَاؤُكَ المَقْصُودُ بَيْتُ قَصِيدِي

(41)

وَقَالَ يَصِفُ حَضْرَةَ زَهْرٍ وَثَمَرٍ لَدَيْهِ[3] رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ:

[الكامل]

هِيَ حَضْرَةٌ تُهْدَى لَهَا الأَرْوَاحُ   نَسَمَاتُهَا نَمَّتْ بِهَا التُفَّاحُ

---

(1) ضغث الحديث خلطه، والضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس (القاموس 7/168).

(2) لعل السلطان هو الذي أهدى له النرجس أولاً.

(3) يقصد في مجلس الغني بالله.

وَٱللهِ مَــا أَدْرِي أَفِــي حُلْــمٍ أَنَــا أَمْ مِــنْ جِنَــانِ الخُلْــدِ مَـا يَلْتَـاحُ؟
رَوْحٌ وَرَيْحَـــانٌ وَنُــزْهَـــةُ أَعْيُـــنٍ فَكَـــأَنَّهُـــنَّ تَنَـــاوُلَكَ النَّفَّـــاحُ
حُسْـنُ الخُـدُودِ مَعَ النُهُـودِ تَجَمَّعَـا تُــزْهَـى بِهَـا خَـوْدٌ هُنَـاكَ رَدَاحُ
وَالآسُ بَيْنَهُمَــا عِـــذَارٌ أَخْضَـــرٌ فَلِكُــلِّ صَـبٌّ ثَـمَّ مَـا يَــرْتَـاحُ
قُولُوا إِلَى الصَّحْبِ الكِرامِ إِذَا عَلَتْ رَاحُ النَّــدَامَـى لاَ عَلَتْهَـا الــرَّاحُ:
صُوَرٌ مِنَ النُورِ المُبِينِ تَجَسَّدَتْ وَمِـــنَ الغَنِـــيِّ بِـــرَبِّـــهِ الأَرْوَاحُ
يَـا مُظْهِـرَ الأَلْطَـافِ وَهِـيَ خَفِيَّـةٌ شَتَّــانَ مَـــا الإِخْفَـــاءُ وَالإِفْصَـــاحُ
ق(37) / سُلَّ السُعُودَ وَخَلِّ سَيْفَكَ مُغْمَداً وَٱنْـــوِ الفُتُـــوحَ وَرَبُّـــكَ الفَتَّـــاحُ
وَٱللهِ مَـــا الأَكْــوَانُ إِلاَّ أَلْسُـــنٌ تُثْنِـــي بِمَـــا أَوْلَيْتَهُـــنَّ فِصَـــاحُ
فَمَـــنِ الـــذِّي وَفَّـى ثَنَـاءَكَ حَقَّـهُ وَبِمَـدْحِ قَـوْمِـكَ تُسْطَـرُ الأَلْـوَاحُ
لاَ زِلْــتَ وَالأَيَّـامُ أَكْــرَمَ نَـاصِـرٍ مِـنْ جُنْـدِهَـا الإِمْسَـاءُ وَالإِصْبَـاحُ

(42)

وَقَالَ أَيْضاً شَاكِراً عَنْ طَعَامٍ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ:

[الطويل]

لَــكَ الخَيْــرُ زَادَ اللهُ مُلْكَـكَ عِـزَّةً وَرَدَّ مُلُوكَ الأَرْضِ طَوْعَ احْتِكَامِكَا
وَبَلَّــغَ مَــنْ وَالاَكَ أَقْصَــى مُـرَادِهِ وَأَوْرَدَ مَـنْ عَـادَاكَ نَهْـرَ حُسَـامِكَـا
وَزَادَ مُحَيَّـا الصُبْـحِ مِنْـكَ صَبَـاحَـةً وَأَطْلَـعَ زُهْـرَ الشُهْـبِ دُونَ مَـرَامِكَـا
فَمَا الخُلُـقُ الرُّحْمَى وَلاَ الشِيَمُ العُلَى سِـوَى زَهْـرَةٍ مُفْتَـرَّةٍ مِـنْ كِمَـامِكَـا
وَدُرُّ الــدَّرَارِي إِنْ تُفَـاخِـرْ حُلِيُّهَـا فَمَـا افْتَخَـرَتْ إِلاَّ بِــدُرِّ كَـلاَمِكَـا
أَمَـوْلاَيَ يَـا مَـوْلاَيَ وَٱللهِ مَـا رَأَى وَلاَ أَبْصَـرَ الـرَاؤُونَ مِثْـلَ طَعَـامِكَـا
فَكَــمْ فِيــهِ لِــلأَبْصَـارِ مِـنْ مُتَنَزَّهٍ وَقَدْ جَادَهُ غَيْثُ النَّدَى مِنْ غَمَامِكَا
تَــوَدُّ المُلُــوكُ الصِّيـدُ مِنْـهُ هَـدِيَّـةً فَكَيْـفَ إِذَا يُهْـدَى عُبَيْـدُ مَقَـامِكَـا
بِمَــاذَا عَسَــى أُثْنِــى عَلَيْـكَ وَإِنَّـهُ لَيُخْجِـلُ بَـدْرَ التَـمِّ فَـرْطُ تَمَـامِكَـا؟

سَيَجْـزِيـكَ عَنِّـي اللهُ خَيْـرَ جَـزَائِـهِ   وَيَشْكُرُ يَا مَوْلاَيَ فَضْلَ اهْتِمَامِكَا

(43)

وَقَالَ أَيْضاً وَقَدْ وَصَلَهُ مَكْتُوبٌ شَرِيفٌ مِنْ قِبَلِهِ:

[الطويل]

مَعَانِيكَ فِي التَّوْحِيدِ أَجْلَى وَأَوْضَحُ   وَقَـدْرُكَ عِنْدَ اللهِ أَعْلَى وَأَرجَـحُ

و(38) / وَقَلْبُكَ بِالتَّوْحِيدِ يَطْفَحُ حِكْمَةً   وَصَـدْرُكَ بِالتَّنْزِيـهِ يُجْلَى وَيُشْـرَحُ

وَأَنْـتَ أَمِيـرُ المُسْلِمِيـنَ بِحَقِّهَـا   وَإِرْثُكَ فِي الأَنْصَارِ إِرْثٌ مُصَحَّحُ

وَكَمْ حِكْمَةٍ جَلَّيْتَ عَنَّا بِهَا العَمَى   وَأَوْرَيْـتَ زَنْـداً بِـالْحَقِيقَـةِ يُقْـدَحُ

رِضَاكَ عَنِ المَوْلَى الكَرِيمِ هُوَ الَّذِي   بِهِ الخَلْقُ فِي رَوْضِ العِنَايَةِ تَسْرَحُ

وَمَا زِلْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُفَوَّضاً   وَمَـا زِلْـتَ لِـلأَدْنَى مِـنَ اللهِ تَجْنَحُ

أَتَانِي خِطَابٌ مِنْكَ فِي طَيِّ صَفْحَةٍ   يَقُـودُ إِلَـى التَّـوْحِيـدِ مَـنْ يَتَصَفَّـحُ

وَرَوْضٌ مِنَ التَّقْدِيسِ وَالشُّكْرِ يَانِعٌ   بِـهِ نَسَمَـاتُ اللُّطْـفِ تَهْفُـو وَتَنْفَـحُ

وَأَنْـوَارُ هَـذْي مِـنْ مَطَـالِـعِ رَحْمَـةٍ   وَلَكِـنْ بِـأَبْصَـارِ البَصَـائِـرِ تُلْمَـحُ

بِشُكْـرِكَ زَادَ اللهُ مُلْكَـكَ بَسْطَـةً   فَبَـابُ جَنَـابِ اللهِ بِـالشُّكْـرِ يُفْتَـحُ

كَمَـالُـكَ يُعْيِينِي إِذَا رُمْـتُ وَصْفَـهُ   وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِي بِفَضْلِكَ أَفصَحُ

تُطَـوِّقُنِـي طَـوْقَ الحَمَـامِ أَيَـادِيـاً   فَأُصْبِحُ فِي رَوْضِ المَحَامِدِ أَصْدَحُ

جَزَاكَ إِلاَهُ العَرْشِ أَفْضَـلَ مَا جَزَى   إِمَـامـاً يُـوَالِـي بِـالجَمِيـلِ وَيَصْفَـحُ

(44)

وَقَالَ أَيْضاً فِي شُكْرِ اعْتِنَائِهِ وَقَدْ أَهْدَاهُ مِنْ صَيْدِ الأُمَرَاءِ أَبْنَائِهِ رَحْمَـةُ اللهِ عَلَى جَمِيعِهِمْ:

[الكامل]

يَـا خَيْـرَ مَـنْ تَقِـفُ المُلُـوكُ بِبَـابِـهِ   كَـيْ يَفْتَحُـوا بَـابَ الـرَّجَـاءِ المُبْهَـمِ

وَتَـؤُمُّـهُ الأُمَـرَاءُ مِـن أَبْنَـائِهَـا	لِتَفُـوزَ بِـالمُلْـكِ المُنِيـفِ الأَعْظَـمِ
لاَ تَقْـدُرُ الأَمْـلاَكُ شُكْـرَكَ حَقَّـهُ	وَلَـوِ ارْتَقَـتْ نَحْـوَ السَّمَـاءِ بِسُلَّـمِ
وَمَـنِ اسْتَفَـادَ المُلْـكَ مَـاذَا بَعْـدَهُ	بِـاللهِ يَجْـزِي شُكْـرَ مَـوْلًـى مُنْعِـمِ؟
أَمَّـا عُبَيْـدُكَ[1] دَامَ ظِلُّـكَ فَـوْقَـهُ	فَلَـهُ بِبَـابِـكَ وَقْفَـةُ المُسْتَـرْحِـمِ
ق(38) / أَرْكَبْتَـهُ سُفُـنَ الـرَّجَـا لِنَجَـاتِـهِ	وَحَمَلْتَـهُ فِـي لُـجِّ بَحْـرِ الأَنْعُـمِ
تَجْـرِي بِـهِ جَـرْيَ المَشِيـبِ بِفَـوْدِهِ	لَمَّـا يَكُـرُّ بِـأَشْهَـبٍ فِـي أَدْهَـمِ
فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ تُحْفَـةٌ لَـوْ أَنَّهَـا	تُهْـدَى إِلَـى مَلِـكٍ أَغَـرَّ مُعَظَّـمِ
لاسْتَعْظَـمَ الجَـدْوَى وَكَـانَـتْ عِنْـدَهُ	مِـلْءَ اليَـدَيْـنِ وَشُكْـرُهَـا مِـلْءُ الفَـمِ
لاَ سِيَّمَـا هَـذِي الَّتِـي قَـدْ خَلَّـدَتْ	شَرَفاً إِلَى عُلُوِ الكَوَاكِبِ يَرْتَمِي[2]
تُهْدِي الحُزَاةُ[3] لِلْخِلاَفَةِ مَا سَبَتْ	مِنْ صَيْدِهَا المُسْتَطْرَفِ المُسْتَغْنَمِ
تَصْلَـى لَهَـا حَـرَّ الهَجِيـرِ وَقَيْظَـهُ	فَيُحِيلُهَـا بَـرْدُ الـرِّضَـا لِتَنَعُّـمِ
وَتَعُـدُّ فِيهَـا القَفْـرَ أَنْعَـمَ جَنَّـةٍ	تَهْفُـو لِـرُوحِ قَبُـولِهَـا المُتَنَسَّـمِ
تَبْغِـي رِضَـاكَ وَإِنَّـهُ لَغَنِيمَـةٌ	فَيَحُـوزُ مِنْهَـا العَبْـدُ صَفْـوَ المَغْنَـمِ
وَجَّهْتَ لِي سِرْباً تَغَارُ بِـهِ القَطَا	مَهْمَـا مَشَـى فِـي وَشْـيِ بُـرْدٍ مُعْلَـمِ
صَاغَتْ مِنَ اليَاقُوتِ حُمْرَ قَوَائِمٍ	وَمِـنَ العَقِيـقِ مَحَـاجِـراً لَـمْ تُنْجَـمِ
وَاسْتَحْكَـمَ المَـرْجَـانُ فِـي مِنْقَـارِهَـا	وَتَطَـوَّقَـتْ لِـذَكَـاتِهَـا بِـالعَنْـدَمِ
أَكْـرِمْ بِـدِيـوَانِ الصَّبَـابَةِ[4] إِذْ غَـدَا	بِـأُخُـوَّةٍ لَـكَ مَـنْ نَمَـاهُ يَنْتَمِـي[5]

(1) تصغير لعبد وهو لقب يستعمله ابن زمرك لنفسه عندما يخاطب مولاه.

(2) في الأصل «يرتم» هكذا.

(3) في الأصل «الحلاء» ومعناها غير واضح، ولعلها «الحزاة» كما أثبتناه وهم الصّيادون من الحزّ: القطع، والحزز: الشدة والكرم أيضاً (القاموس 2/171).

(4) هو ديوان الصبابة لابن أبي حجلة بن يحي التلمساني عالم وشاعر. وهي تورية للذي أهداه له الخليفة أي حجلاً.

(5) في الأصل «ينتم» هكذا بدون ياء في الآخر.

وَبِكُــلِّ لاَبِسَـــةٍ بِحَـــرٍ فَـــرْوَةً   قَـدْ حَـلَّ فِيهَـا صَيْـدُهَـا لِلْمُحْـرِمِ
مِـنْ كُـلِّ شَـارِدَةٍ تُسَـابِـقُ ظِلَّهَـا   وَتَكَـادُ تَسْبِـقُ نَظْـرَةَ الْمُتَـوَهِّـمِ
لَـوْ رَامَ نَجْلُـكَ صِنْفَهَـا لأَتَـى بِـهِ   حَتَّـى الَّتِـي فـي البَـدْرِ لِلْمُتَـوَسِّـمِ
مَوْلاَيَ شُكْرُكَ فَوْقَ مَا أَهْدِي بِهِ   وَلَـو أَنَّنِـي رَصَّعْتُـهُ بِـالأَنْجُـمِ
لاَ زِلْتَ شَمْسَ خِلاَفَةٍ قَدْ أَنْجَبَتْ   مِـنْ كُـلِّ بَـدْرٍ فِـي الكَمَـالِ مُتَمَّـمِ

(45)

وَقَالَ وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مَعَ الأَشْرَافِ وَالخَوَاصِّ مِنْ دَوْلَتِهِ لِدَعْوَةٍ حَافِلَةٍ لِمُحْدَثٍ[1] مَالَقَة وَاسْتَدْعَى وَلَدَهُ فِيهِمْ.

[ ] [ ][2]

(46)

و (39) / وَمِنْ أُخْرَى[3]

[الطويل]

إِذَا جَلَّـلَ اللهُ المَعَـاهِـدَ رَحْمَـةً   وَمَـدَّ بِهَـا ظِـلَّ الأَمَـانِ ظَلِيـلاَ
وَأَلْقَـى عَلَيْهَـا لِلسَّكِينَـةِ هَيْبَـةً   وَأَوْضَـحَ فِيهَـا لِلنَّجَـاةِ سَبِيـلاَ
وَهَبَّتْ بِهَـا رِيـحُ النُّعَـامَـى بَلِيلَـةً   تُبِـلُّ عَلِيـلاَ أَوْ تَبُـلُّ غَلِيـلاَ
يُخَلِّـقُ مِـنْ بُـرْدِ الصَّبَـاحِ عَبِيـرُهَـا   وَتَسْحَبُ لِلسُّحْـبِ الهُمُـولِ ذُيُـولاَ
وَتَمْسَحُ جَفْنَ الزَّهْرِ مِنْ سِنَةِ الكَرَى   بِـأَكْمَـامِ دَوْحٍ جَـاذَبَتْـهُ مَحِيـلاَ
وَقَدْ نَسَمَتْ رِيحُ القَبُولِ وَبَشَّرَتْ   بِـرَوْحٍ وَرَيْحَـانٍ يُفِيـدُ قَبُـولاَ

(1) هو بناء من الأبنية المستحدثة التي أضافها الغني بالله وهذا ما يفهم من السياق.
(2) القصيد غير موجود مما يشير إلى سقوط عدد من الأوراق بين الصفحة الماضية والتي أتت بعدها.
(3) أي من قصيدة أخرى ولعله ذكر منها البعض.

فلاَ بَرِحَتْ مَثْوى أَبِي عَمْرٍو[1] الرِّضَا وَحَيَّتْـهُ فِيـهِ بُكْـرَةً وَأَصِيـلاَ
إِمَامِي وَشَيْخِي وَالَّذِي إِنْ ذَكَرْتُهُ كَـأَنِّـي بِـذِكْـرَاهُ أَدَرْتُ شَمُـولاَ
وَإِنِّي لأَهْوَى مِنْهُ ـ وَاللَّهُ عَالِمٌ ـ وَإِنَّ مَقَـامَ الحَـقِّ أَقْـوَمُ قِيـلاَ
مُحَيَّـا لَـوْ انَّ الصُّبْـحَ جُلِّـلَ نُـورُهُ لَمَـا زَالَ عُمْـرُ اليَـوْمِ مِنْـهُ طَـوِيـلاَ
وَوِدًّا كَمَـا تَنْـدَى الشَّبِيبَـةُ نَضْـرَةً وَحُبًّـا كَمَـا شَـاءَ الخُلُـوصُ أَصِيـلاَ
وَخَلْقًـا كَمَـا تَهْـوَى العُيُـونُ مُكَمَّـلاً وَخُلْقًا كَمَا تَهْوَى الرِّيَاضُ جَمِيلاَ

ومِنْهَا:

فَدَتْكَ نُفُوسٌ قَدْ أَفَدْتَ رَشَادَهَا وَطَـوَّقْتَهَـا المَـنَّ الجَسِيـمَ جَـزِيـلاَ
وَأَنْطَقْتَ[2] مِنْهَا أَلْسُنَ القَوْلِ بَعْدَمَا عَقَلْـتَ بِجَنَّـاتِ العُلُـومِ عُقُـولاَ
وَللهِ مِنْهُـمْ وَالمَسَـاعِـي حَمِيـدَةٌ وَهَـذَا ثَنَـائِـي مَـا عَلِمْـتُ حَفِيـلاَ
نُجُومٌ تَحُفُّ البَدْرَ فِي أُفُقِ العُلَى فَـلاَ عَـرَفَـتْ بَعْـدَ الشُّـرُوقِ أُفُـولاَ
وَدِدْتُ وَمَنْ لِي لَوْ أُشَاهِدُ دَرْسَهُ فَـأُحْيِـي بِـهِ بَعْـدَ الـدُّرُوسِ طُلُـولاَ
ق(39) / أُجَدِّدُ بِابْنٍ[3] عَهْدَ وَالِدِهِ الرِّضَا وَأُبْلِـغُ نَفْسِـي فِـي الإِفَـادَةِ سُـولاَ

وَمِنْهَا:

وَعَظَّـمَ رَبِّـي فِـي تِلِمْسَـانَ أَعْظُمًـا وَوَالَتْ بِهَا سُحْبُ القَبُولِ هُمُولاَ
وَجَـادَ ضَـرِيحـاً ضَـمَّ سَيِّـدَ قَـوْمِـهِ وَهُـمْ مَـا هُـمْ يَـوْمَ الفَخَـارِ قَبِيـلاَ
وَيَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ يَنْضَحُهَا النَّدَى فَتُبْـدِي عَلَـى شُكْـرِ الغَمَـامِ دَلِيـلاَ
أَعِيرِي ثُغُورَ الزَّهْرِ وَهِيَ بَوَاسِمٌ وَكُونِي إِلَى سِبْطِ الرَّسُولِ رَسُولاَ
وَأَدِّي لَـهُ عَنِّـي تَحِيَّـةَ مُخْلِـصٍ يُقِيـمُ عَلَـى صِـدْقِ الخُلُـوصِ دَلِيـلاَ

---

(1) لعله أستاذه الفقيه المحدث ابن مرزوق (توفي 781 هـ) وهو من تلمسان (انظر البيت 19 من القصيد) [أبو عمرو كنية لعثمان؟].

(2) في الأصل فوق انطقت كتبت كلمة «اخلقت»

(3) أي بابن استاذه ابن عمرو.

(47)

وَمِنْ أَلْغَازِهِ جَوَاباً عَن لُغْزٍ فِي «حَنَّانٍ» مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى :

[السريع]

يَــا مُشْبِهــاً آبَــاءَهُ الأَكْــرَمِيــنْ حَـاجَيْتَنِـي بِـاسْـمِ كَـرِيـمِ مَكِيـنْ

إنْ أَنْــتَ قَــدْ صَحَّفْتَــهُ[1] تُلْفِــهِ: صِنْفَيْنِ [ذا] مِنْ جُمْلَةِ العَاقِلِينْ[2]

أَوِ اسْـمَ أُنْثَـى نَجْـلُ هَــانٍ بِهَــا مِـنْ جُمْلَـةِ العُشَّـاقِ وَالمُغْـرَمِيـنْ[3]

أَوْ وَالِــداً يُعْــزَى لَــهُ كَــاتِــبٌ مِـنْ عِلْيَـةِ الأَعْـلَامِ وَالكَـاتِبِيـنْ[4]

أَوْ وَلَــداً يُكْنَــى بِــهِ عَــالِــمٌ بِمَشْرِقٍ مِنْ قُدْوَةِ المُقْرِئِينْ[5]

أَوْ بَلَــــداً لِلْكُفْــــرِ [ ][6] عَــاجَلَــهُ اللهُ بِفَتْــحٍ مُبِيــنْ[7]

أَوْ جَمْـعَ رَوْضٍ بَـاهِـرٍ حُسْنُـهُ[8] أَوْ جَمْـعَ دَارِ الخُلْـدِ لِلْفَـائِـزِيـنْ[9]

أَوْ ذَاتَ سُـمٍّ نَـاقِـعٍ قَـاتِـلٍ[10] يُمْسِـي بِـهِ المَلْـدُوغُ فِـي الهَـالِكِيـنْ

أَوْ اسْـمَ حَـيٍّ مَـعَ ثَـانٍ يُـرَى[11] وَقَــدْ يَكُــونَــانِ مِــنَ المَيِّتِيــنْ

تَضْعِيـفُ وُدٍّ مِنْـهُ أَيْضـاً يَبِيــنْ[12] ووَصْفُ ذِي خَوْفٍ مِنَ المُحْجِمِينْ[13]

---

(1) أي غيرت حروفه أو حركاته أو غُيِّرَ ترتيبها.

(2) الوزن مختل في العجز فأضفنا [ذا] ليستقيم ولعله يقصد «اثنان».

(3) يقصد «جنان» وهي معشوقة أبي نواس الحسن بن هاني.

(4) لعله كاتب أندلسي: ابن حيان الأندلسي.

(5) أبو حيان الجياني النحوي المقرئ.

(6) بياض بالأصل.

(7) مدينة جيَّان.

(8) جِنَانٌ.

(9) جنَّات.

(10) حيَّات.

(11) حيَّان.

(12) حُبَّان مُثَنَّى حُبّ.

(13) أي جَبَان.

(48)

و (40) / وَلَهُ يُخَمِّسُ أَبْيَاتاً[1]:

[الرمل]

أَيُّ ظَبْــيٍ فِــي فُــؤَادِي احْتَكَمَــا فَــوَّقَــتْ أَلْحَــاظُــهُ لِــي أَسْهُمَــا
قُلْـتُ إِذْ أَضْحَـى بِـوَصْـلٍ مُنعِمَـا: (بِــأَبِــي مَــنْ زَارَنِــي مُكَتَتِمَــا)
(خَـائِفـاً مِـنْ كُـلِّ حِـسٍّ جَـزِعـاً)

خَــاضَ لَيْــلاً كَـدُجَـى وَفْـرَتِـهِ دُونَ صُبْــحٍ كَسَنَــا غُــرَّتِــهِ
لَــمْ يُـرَاعِ الشُّهْـبَ مِـنْ أُسْـرَتِـهِ (رَكِـبَ الأَهْــوَالَ فِــي زَوْرَتِــهِ)
(ثُــمَّ مَـا سَلَّــمَ حَتَّــى وَدَّعَــا)

زَهْــرَةُ الــدُّنْيَـا بِــهِ قَــدْ حَسُنَــتْ حَــرَّكَ الأَشْــوَاقَ لَمَّــا سَكَنَــتْ
جَــاءَ سِــرًّا وَحُــلاَهُ أَعْلَنَــتْ (رَصَــدَ الغَفْلَــةَ حَتَّــى أَمْكَنَــتْ)
(وَرَعَــى السَّــامِـرَ حَتَّــى هَجَعَــا)

أَيُّ غُصْــنٍ يَتَثَنَّــى لَــدْنُــهُ فِــي رِيَــاضِ الحُسْــنِ تَـمَّ كَـوْنُـهُ
أَرْبَــعٌ مِــنْ بَعْــدِ عَشْــرٍ سِنُّــهُ (قَمَــرٌ نَــمَّ عَلَيْــهِ حُسْنُــهُ)
(كَيْـفَ يُخْفِـي اللَّيْـلُ بَـدْراً طَلَعَـا)

(49)

وَلَهُ يُخَمِّسُهَا أَيْضاً:

[الرمل]

أَيُّ ظَبْــيٍ صَــادَ قَلْبِــي بِـالحِمَــى كُلَّمَــا أَشْكُــو إِلَيْــهِ رَحِمَــا

(1) الأبيات المخمسة لعلي بن جبلة المعروف بالعكوك (انظر الحصري: زهر الآداب ص: 744 وديوانه).

جَادَ لِي بِالوَصْلِ لَيْلاً مُنْعِمَا (بِأَبِي مَنْ زَارَنِي مُكْتَتِمَا)
(خَائِفاً مِنْ كُلِّ حِسٍّ جَزِعَا)

ق(40) / خَاضَ لَيْلاً كَدُجَى وَفْرَتِهِ وَمُحَيَّا الصُّبْحِ فِي طُرَّتِهِ
شُهْبُهُ تَعْجَبُ مِنْ جُرْأَتِهِ (رَكِبَ الأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ)
(ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا)

أَضْلُعُ الصَّبِّ عَلَيْهِ قَدْ حَنَتْ نَفْسُهُ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ بَيَّنَتْ
زَهْرَةُ الدُّنْيَا بِهِ قَدْ حَسُنَتْ (رَصَدَ الغَفْلَةَ حَتَّى أَمْكَنَتْ)
(وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَعَا)

(50)

وَلَهُ يُخَمِّسُ أَيْضاً أَبْيَاتاً:

[البسيط]

لِلَّهِ رَوْضٌ بِعَرْفِ الزَّهْرِ قَدْ نَفَحَا أَدَرْتُ فِيهِ كُؤُوسَ الأُنْسِ مُصْطَبِحَا
وَالطَّيْرُ يُهْدِي لَنَا مِنْ شَدْوِهِ مِدَحَا [ ][1]
[ ][1]

يَا حَبَّذَا عَرْفُهُ لَوْ كُنْتُ نَاشِقَهُ لَمْ تَنْسَ فَائِقَهُ عَيْنِي وَرَائِقَهُ
وَالجَوُّ يُضْحِكُ تَأْنِيساً بَوَارِقَهُ [ ][1]

(1) بياض في الأصل لم نهتد لملئه.

[ ][1]

فَصَارَ سِرُّ الهَوَى مِنْ نَشْرِهِ عَلَنَا وَالزَّهْرُ جَمَّعَ مِنْ أَشْتَاتِهِ فِتَنَا
وَمَنْظَرٌ كُلَّمَا أَبْصَرْتُهُ حَسُنَا [ ][1]

[ ][1]

أَغْضَيْتَ عَنْ رَدٍّ مَا قَدْ قَالَ مُحْتَشِمَا وَالزَّهْرُ مِنْ عَجَبٍ قَدْ ظَلَّ مُبْتَسِمَا
و(41) / وَالصُّبْحُ يَنْشُرُ مِنْ فَوْق الرُّبَا عَلَمَا [ ][1]

[ ][1]

(51)

وَلَهُ أَيْضاً مِنْ تَغَزُّلِ قَصِيدَةٍ:

[الكامل]

قُولُوا لِفَاتِكَةِ اللَّوَاحِظِ مَالَهَا قَدْ سَدَّدَتْ نَحْوَ القُلُوبِ نِبَالَهَا
مَا ضَرَّهَا، وَاللهُ يَمْحُو إِثْمَهَا، لَوْ أَغْمَدَتْ بَيْنَ الجُفُونِ نِصَالَهَا
كَانَتْ عُقُولُ العَاشِقِينَ سَلِيمَةً فَخَبَالَهَا عِنْدَ الجُفُونِ خَبَالَهَا
لَوْ أَجْمَلُوا فِي فِعْلِهِمْ قَبْلَ الهَوَى حَجَبُوا عَنِ الصَبِّ العَمِيدِ جَمَالَهَا
شَرَعُوا الرِّمَاحَ مِنَ القُدُودِ وَرَكَّبُوا فِيهَا مِنَ الزُّرْقِ اللِّحَاظِ نِصَالَهَا
صَيَّرْتُ جِسْمِيَ كَالخَيَالِ لَعَلَّهَا تُدْنِي إِلَيْهِ فِي المَنَامِ خَيَالَهَا

(1) بياض في الأصل.

(52)

وَلَهُ فِي العِذَارِ[1]:

[الطويل]

أُعِيذُكَ مِنْ خَدٍّ إِذَا اخْضَرَّ آسُهُ ... ذَوَى وَرْدُهُ فَازْوَرَّ عَنْهُ المُجَانِبُ
لَهُ وَجْنَةٌ قَدْ أَذْكَرَتْ مَثَلاً جَرَى: ... (إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ)[2]

(53)

وَفِيهِ[3]:

[الطويل]

عَجِبْتُ لِوَجْهٍ قَدْ ذَوَى وَرْدُ خَدِّهِ ... فَأَسْقَطَ فِيهِ الطَّلُّ مِنْ نَرْجَسِ اللَّحْظِ
فَأَكْسَبَهُ بَعْدَ الذُّبُولِ نَضَارَةً ... كَمَا اكْتَسَبَ المَعْنَى جَمَالاً مِنَ اللَّفْظِ

(54)

ق(41) / وَمِنَ المُلَحِ:

[الكامل]

يَا ظَبْيَةً يَجْلُو الظَّلاَمَ إِذَا دَجَا ... مِنْهَا جَبِينٌ وَاضِحٌ وَلَبَانُ
إِنْ لَمْ أُجِدْ فِيكِ الطِّعَانَ فَإِنَّنِي ... مَا بَيْنَ أَرْبَابِ الهَوَى لَجَبَانُ
وَأَكُرُّ مَخْضُوبَ القَنَاةِ وَقَدْ هَدَا ... مِنِّي فُؤَادٌ خَافِقٌ وَجَنَانُ

---

(1) عذر الغلام نبت شعر عذاره أي شعر جانبي اللحية. القاموس: II: (ص ص 84 ـ 85).
(2) عجز بيت لابن عبد ربه، وصدره: «أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةُ أَيْكَةٍ».
(3) أي في العذار أيضاً.

(55)

وَمِنْ قِطْعَةٍ تُرْقَمُ فِي طَرْزِ عِمَامَةٍ:

[مجزوء الرمل]

بَيْـــنَ أَنْصَـــارٍ وَنَصْـــرِ لِلْهُـــدَى عِـــزُّ انْتِصَـــارِ
بِـــإِمَـــامٍ غَـــالِبِـــيٍّ[1] سَـــاحِـــبٍ ذَيْـــلَ الفَخَـــارِ
حَسَـــدَتْ يَـــوْمَ المَعَـــالِـــي تَـــاجَـــهُ دُرُّ الـــدَّرَارِي

(56)

وَلَهُ أَيْضاً[2]:

[الكامل]

حَيَّـاكَ مِنّـي بِـالغُـدُوِّ وَبِـالأَصِيـلْ ثَغْـرُ المُنَـى يَفْتَـرُّ عَـنْ وُدٍّ أَصِيـلْ
تُحْيِي بِهَا حَيْثُ القِسِيُّ حَوَاجِبٌ وَمِنَ الثُّغُورِ الرَّاشِقَاتِ لَهَا نُصُولْ
وَأَنَا ٱبْنُ نَصْرٍ أُسْرَتِي الأَنْصَارُ مَنْ أَمْسَى لَهُـمْ عَبْداً بِحَقٍّ أَنْ يَصُـولْ

(57)

وَقَالَ يُهَنِّـىءُ بِمَوْتِ ٱلطَّاغِيَةِ[3]:

[الطويل]

هَنِيئًا فَأَهْلُ الكُفْرِ مَاتَ عَمِيدُهُمْ وَأَصْبَحَتِ الأَغْلَالُ فِي النَّارِ طَوْقَهُ
و (42) وَكُـلُّ ٱمْـرِىءٍ نَـاوَا مَقَـامَـكَ عَـامِـداً فَـإِنَّ حُسَـامَ السَّعْـدِ يَضْـرِبُ عُنْقَـهُ

---

(1) نسبة إلى الغالب بالله، مؤسس الدولة النصرية.
(2) أي من القطع التي ترقم في العمامة.
(3) هو طاغية النصارى، يذكر ابن خلدون أنه «صاحب أرغون (التاريخ، المجلد 4ص ص 366 ـ 384) ويذكر بروفنسال أنه بطرة القاسي (Pierre le Cruel) (دائرة المعارف (ط قديمة) فصل بنو نصر ص ص 938 ـ 942) توفي 770هـ 1368 م. وهو تاريخ القصيد.

فشُكْراً لِمَنْ أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا مِنْ يَدٍ إلاَّ يَدُ اللهِ فَوْقَهُ
وَدُمْتَ إلَى الإسْلاَمِ أَكْرَمَ نَاصِرٍ وَكُلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ تُوجِبُ حَقَّهُ

(58)

وَمِنْ قَصِيدَةٍ:

[الطويل]

سلاَ مَلِكَ الأَمْلاَكِ مُذْ حَلَّ فِي سَلاَ[1] أَقَامَ عَلَى عَهْدِ الأَحِبَّةِ أَمْ سَلاَ؟
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي قَيَّدَ العِشْقُ قَلْبَهُ وأَطْلَقَ فِي الخَدِّ الدُّمُوعَ وَأَرْسَلاَ
وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ في الغَرَامِ رَوَيْتُهُ عَنِ الخدِّ عَنْ عَيْني عَنِ الدَّمْعِ مُرْسَلاَ
وَأَوْضَحْتُهَا في شِرْعَةِ الحُبِّ حُجَّةً وَسُقْتُ حَدِيثَ الدَّمْعِ فِيهَا مُسَلْسَلاَ
وَبِالجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ فَاسَ مَلْحَدٌ سَقَى تُرْبَهُ غَيْثُ المَدَامِعِ سَلْسَلاَ
فَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ إنْ تَنْزِلاَ بِهِ فَعَنْ جَدَثِ المَحْبُوبِ في سَفْحِهِ سَلاَ
فَفِيهِ رَبَابُ العَيْنِ سَالَتْ مَسِيلُهَا فَلاَ تَذْكُرَا أُمَّ الرَبَابِ وَمأْسَلاَ

(59)

وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ:

[الطويل]

أَطَعْتُ الهَوَى بَعْدَ المَشِيبِ جَهَالَةً وَأَقْبَحُ حَالِ الشَّيْخِ يَوْماً إذَا صَبَا
فَأَشْبَهْتُ حَالَ اللَّوْزِ في حَالِ نَوْرِهِ إذَا شَابَ مِنْهُ الفَوْدُ يَسْتَقْبِلُ الصَّبَا

---

(1) مدينة في المغرب تقع في الجنوب من مراكش تبعد عنها 10 أميال يحاذيها البحر شمالاً والنهر غرباً (ياقوت: بلدان 3/ 231).

(60)

ق (42) وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ ٱلْمَوجُودَة بِخَطِّه، قَالَ رَأَيْتُ لَيْلَةَ ٱلثَّامِنِ لِرَبِيعِ ٱلأَوَّلِ مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَثَمَانِينَ وَسْبِعمائَةٍ كَأَنّي أُنْشِدُ بَدِيهَةً في النَّوْمِ.

[مخلع البسيط]

قَالَتْ وَقَامَتْ تُظِلُّ جِسْمِي ... مِنْ قُرْصَةِ الشَّمْسِ بِالْمِظَلِّ:
«مَوْلاَيَ هَذَا ظِلٌّ ظَلِيلٌ ... وَأَنْتَ دُونَ الأَنَامِ ظِلِّي»

(61)

وَمِنْ ثَنَائِهِ عَلَى نِعَمِ مَوْلاَنَا الْجَدِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ السَّفَرُ السَّعِيدُ مِنَ الحَضْرَةِ إلى مَالَقَةَ في خِدْمَةِ الرِّكَابِ العَالِي، أَسْمَاهُ اللهُ، في صُبْحِ يَوْمِ الخَمِيسِ التَّاسِعَ عَشَرَ لِذي حِجّةٍ مُخْتَتَمِ عَامِ أَحدٍ وتسعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ وَالنُّزُولُ بِغَسَّانَ[1] وَلِحِينِ حُلُولِنَا بِهَا وَجَّهَ لِي مَوْلاَنَا سُفْرَةً مِنَ الطَعَامِ المُعَدِّ لِغَدَائِهِ يَحْتَوِي عَلَى أَصْنَافٍ مِنَ الطَّيْرِ وَالجِدَاءِ وَأَنْوَاعٍ مِنَ الخُبْزِ المُنْتَخَبِ لِلسَّفَرِ مِنْ لُبَابِ الحُوَّارَى[2] مُلَفَّفٍ فِي مِنْدِيلِ تَشْرِيفٍ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بَدِيهاً:

قَالَ: وَلُزُوم السِّينِ رُبَّمَا سَلَبَهَا بَعْضَ التَّحْسِينِ:

[الطويل]

حَلَلْتَ عَلَى حُكْمِ السُّعُودِ بِغَسَّانِ ... فَأَوْلَيْتَنَا فِيَ رَبْعِهِ كُلَّ إِحْسَانِ
مَنَازِلُ قَوْمٍ مِنْ ذَوِيكَ تَقَدَّمُوا ... وَأَبْقَتْ لَهُمْ فَخْراً مَمَادِحُ حَسَّانِ
جِفَانُهُمُ فِي المَحْلِ تَحْسَبُ أَنَّهَا ... قِلاَصٌ إِلَى هَدْيٍ تُقَادُ بِأَرْسَانِ

(1) هي قرية من قرى غرناطة تحيط بها خلف السور بين المباني والجنات تقع في نهاية المرج في سفح جبل الجامة (ابن الخطيب: الإحاطة 1/134).
(2) أجود نوع من أنواع الدقيق المُصَفَّى.

غُيُوثُ سَمَاحٍ قَدْ دُعُوا بِخَلاَئِفٍ لُيُوثُ كِفَاحٍ يُعْرَفُونَ بِفُرْسَانِ
نَمَاكَ إلى قَحْطَانَ فَخْرُ قَدِيمِهِمْ وَشَادَ لَكَ المَجْدَ المُؤَثَّلَ قَيْسَانِ[1]
مَلِيكٌ تَسُوسُ النَّاسَ أَسْلاَفُهُ الَّتِي مَحَتْ مُلْكَ دَارًا في القَدِيمَ وَسَاسَان
فَيَا مَلِكاً مَنْ يَعْتَبِرْ حُسْنَ خُلْقِهِ رَأَى مَلَكاً يُبْدِي لَهُ خَلْقَ إِنْسَانِ
وكَمْ رَمَقَتْكَ الشَّمْسُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى فَأَتْحَفْتَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْكَ بِإِنْسَانِ
و(43)/هَنِيئاً بِهَا مِنْ وِجْهَةٍ أَسْفَرَ الرِضَّا بِهَا عَنْ مُحَيًّا بَاسِمِ الثَّغْرِ حَسَّانِ
وَيَا مَنْزِلَ الأَشْرَافِ بُورِكْتَ مَنْزِلاً فقَدْ خَصَّنِي التَّشْرِيفُ فِيكَ وَوَاسَانِي[2]
وَشُكْراً لِمَوْلاَيَ الخَلِيفَةِ إِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ جُودُهُ لَيْسَ يَنْسَانِي[3]

(62)

قَال وَنَزَلَ ثَانِيَ يَوْم بفَحْصِ رَيَّة وَوَجَّهَ مِنَ الأَطْعِمَةِ ضُرُوباً لاَ تُوجَدُ أَمْثِلَتُهَا بِدَارِ غَيْرِهِ مِنَ المُلُوكِ جَزَاهُ اللهُ أَفْضَلَ جَزَائِهِ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ:

[الكامل]

يَا مَنْ لَهُ فَوْقَ الكَوَاكِبِ مَنْزِلُ وَبِفَخْرِهِ شَهِدَ الكِتَابُ المُنْزَلُ
وَلِقَوْمِهِ فِي الفَخْرِ أَبْعَدُ مُرْتقىً وَلِحَيِّهِمْ آوى النَّبِيءُ المُرْسَلُ
مَهْمَا حَثَثْتَ السَّيْرَ تَقْصُدُ رَيَّةً فَبِفَحْصِ رَيَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ تَنْزِلُ
المَاءُ والمَرْعَى وَجَوٌّ أَفْيَحٌ تَنْدَى بِنَفْحَتِهِ الصَّبَا وَالشَّمْأَلُ
وَجِوَارُ مَوْلىً لاَ تُغِبُّ هِبَاتُهُ لِمُؤَمِّلٍ مِنْ رِفْدِهِ مَا يَأْمَلُ
لاَ سِيَّمَا العَبْدُ الذِي تَشْرِيفُهُ فِي كُلِّ حِينٍ فَوْقَ مَا يَتَخَيَّلُ
تَأْتِي لَهُ فَوْقَ الرُّؤُوسِ لَطَائِفٌ لاَ تَسْتَقِلُّ بِهَا المَطِيُّ الذُّلَّلُ

(1) مثنى قيس.
(2) (3) في الأصل «واسان» «ينسان» بدون ياء.

لَـوْ أَنَّهَـا تُهْـدَى مُلُـوكَ زَمَـانِـهِ   لَغَـدَتْ بِهَـا فـي حَفْلِهَـا تَتَمَثَّـلُ
يا مَنْ إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ قَدِ انْتَمَى   فَسَحَـابُـهُ بِـالجُـودِ دَأْبـاً تَهْمُـلُ
لاَ تَعْجَبُـوا أَنَّ البَنَـانَ غَمَـائِـمٌ   فَمِـنَ البِحَـارِ تُمَـدُّ وَهِـيَ الأَنْمُـلُ
يَـا رَحْمَـةَ اللهِ الّتِـي أَلْطَـافُهَـا   مِـنْ فَـوْقِ مَعْمُـورِ البَسِيطَـةِ تَشْمَـلُ
اللهُ أَعْطَـاكَ الكَمَـالَ سَجِيَّـةً   وَحَبَـاكَ بِـالفَخْـرِ الّـذِي لاَ يُجْهَـلُ

(63)

ق(43)   / وَكَتَبَ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وقَدْ أَهْدَاهُ قَصَبَ سُكَّرٍ :

[الطويل]

أَلاَ عِـمْ صَبَاحـاً أَنْـتَ غُـرَّةُ وَجْهِـهِ   بِهَـا نَشَـرَ الأَنْـوَارَ فـي كُـلِّ مَشْهَـدِ
وَمَـا أَنْـتَ إِلاَّ البَـدْرُ نُـوراً وَرِفْعَـةً   وَفِي كُلِّ مَغْنىً قَدْ حَلَلْتَ بِأَسْعُدِ
وَأَهْـدَيْتَنِـي وَاللهُ يُهْـدِيـكَ نَضْـرَهُ   هَدِيَّةَ بَحْرٍ لِلسَّمَاحَةِ مُزْبِدِ[1]
أَتَتْنِـيَ خُضْـراً نَـاعِمَـاتٍ كَـأَنَّهَـا   عِصِيٌّ وَلَكِنْ صُوِّرَتْ مِنْ زَبَرْجَدِ
عَـرَائِسُ قَـدْ رَاقَ العُيُـونَ جَمَـالُهَـا   مَطَارِفُهَا خُضْرٌ من الوَرَقِ النَدِيّ[2]
تَغَـارُ قُـدُودُ الغِيـدِ مِـنْ لِيـنِ قَـدِّهَـا   فَنِعْمَتُهَا مَا شِئْتَ في العَيْنِ واليَدِ
وَإِنْ رَشَفَتْ مِنهَا الرُّضَابَ شِفَاهُنَا   فَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ المُصَفَّى لِمُجْتَدِ
وَسُكَّـرُهَـا تَصْحِيفُـهُ لَـكَ وَاجِـبٌ[3]   فَلاَ زِلْتَ يَا مَوْلاَيَ تَهْدِي وَتَهْتَدِي[4]
فَسُوِّغْتَ مَا سُوِّغْتَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ   وَبُلِّغْتَ مَا تَخْتَارُ مِنْ كُلِّ مَقْصَدِ

---

(1) اخترنا هذه القراءة الثانية للعجز وقد أُثبتت في الطُرّة لأنَ القراءة الأصلية تعيد عجز البيت الثامن نفسه : «فلا زِلْتَ. . .».

(2) في الأصل «النَّدِ» بدون ياء.

(3) أي تصحيف «سُكّرُهَا» فيصبح «شُكْرُهَا».

(4) في الأصل «تَهْتَدِ» بدون ياءٍ.

(64)

وَوقَفَ عَلَى كِتَابٍ بِخَطِّهِ[1] فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

[الطويل]

أَلَا عِمْ صَبَاحاً رَاقَ فِي أُفُقِ السَّعْدِ ... وَجَاءَ مَعَ الصُّنْعِ الجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رأَى خَطَّكَ الَّذِي ... يَرُوقُ بِهِ الأَبْصَارَ وَشْيٌ عَلَى بُرْدِ
وَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ عَالِماً ... وَلِلْحُسْنِ فِيهِ مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْدِي[2]
أَحِبْرٌ أَمِ المِسْكُ النَّثِيرُ عَلَى وَرْدِ ... يَرُوقُ كَمَا رَاقَ العِذَارُ عَلَى الخَدِّ؟
بَنَفْسَجُ حِبْرٍ فَوْقَ وَرْدِ صَحِيفَةٍ[3] ... تَضَوَّعَ مِنْهَا الطِّيبُ عَنْ زَهَرِ الحَمْدِ
و (44) / تَهَادَى بِهِ المَنْشُورُ يَخْجَلُ هَيْبَةً ... فَأَهْدَاكَ مِنْهُ الفَضْلُ بَاكُورَةَ الوَرْدِ
وَلَا غَرْوَ أَنْ تَجْلُو الرِّيَاضَ بَنَانُهُ ... فَأَنْمُلُهُ سُحْبُ النَّوَالِ لِمُسْتَجْدِ
فَلَا زِلْتَ بَدْراً فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ ... وَبَاهَتْ بِكَ الأَمْلَاكُ بِالعَلَمِ الفَرْدِ

(65)

وقَالَ مِمَّا رُقِمَ فِي سَرْجٍ:

[الطويل]

أَيَا مَنْ رَآنِي هَالَةً فَوْقَهَا البَدْرُ ... تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَيَنْشَرِحُ الصَّدْرُ
لِيَ الوَشْيُ يَحْكِي الرَّوْضَ فِي عُنْفُوَانِهِ ... فَلِلنَّرْجِسِ المَطْلُولِ مِنْ تِبْرِهِ زَهْرُ
وَمَا أَنَا إِلَّا صَهْوَةُ العِزِّ قَدْ سَمَا ... بِمَظْهَرِهَا المَجْدُ المُؤَثَّلُ وَالفَخْرُ
وَرَاكِبِيَ المَوْلَى ابْنُ نَصْرٍ مُحَمَّدٌ ... يُحَالِفُهُ السَّعْدُ المُجَدَّدُ والنَّصْرُ

---

(1) أي بخط الغني بالله.
(2) في الأصل «تُبْدِ» بدون ياء.
(3) لعل الكاغد كان أحمر اللون والحبر بنفسجي.

(66)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ[1]:

[المتقارب]

أَنَا السَّرْجُ فَوْقِي سِرَاجُ المُلُوكِ ... وَوُسْطَى السُّلُوكِ وَبَدْرُ التَّمَامْ

غَمَامُ العُفَاةِ سِمَامُ العُدَاةِ ... إِمَامُ الهُدَاةِ وَمَوْلَى الأَنَامْ

وَشَكْلِيَ فِي الحُسْنِ شَكْلُ الهِلاَلِ ... وَرَقْمِيَ يُزْرِي بِزَهْرِ الكِمَامْ

تَقُولُ سُعُودِيَ لِلْمُسْتَعِينِ:[2] ... (سَلاَمٌ عَلَيْكَ عَلَيْكَ السَّلاَمْ)

(67)

وَقَالَ أَيْضاً فِي ذَلِكَ:[3]

[الطويل]

ق (44) / مُحَيَّاكَ بَدْرٌ بِالصَّبَاحِ مُعَمَّمُ ... وَطِرْفُكَ رِيحٌ بِالكَوَاكِبِ مُلْجَمُ

وَشُهْبُ الدَّيَاجِي لِلْعَوَالِي أَسِنَّةٌ ... وَسَيْفُكَ بَرْقٌ فِي الأَعَادِي مُصَمِّمُ

وَسَرْجُكَ يَحْكِي هَالَةً فَوْقَ مَرْقَبٍ ... وَأَنْتَ بِهِ بَدْرٌ مُنِيرٌ مُتَمَّمُ

وَفِيهِ رِيَاضُ الوَشْيِ قَدْ رَاقَ حُسْنُهَا ... عَلَيْكَ ثُغُورُ الزَّهْرِ مِنْهَا تُسَلِّمُ

(68)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ[4]:

---

(1) أي مما رقم في سرج.

(2) هو لقب أخي جامع الديوان حفيد الغني بالله أبي محمد السابع وهذه القصائد المتتالية قيلت كلها فيه.

(3) (4) أي مما رقم في سرج.

[مجزوء الخفيف]

أَنَــا فــي الشَّكْــلِ هَــالَــةٌ   فَــوْقَهَــا البَــدْرُ قَــدْ بَــدَا
أَيُّ بَــــدْرٍ مُتَمَّــــمٍ   لَاحَ فــي مَــرْقَــبِ الهُــدَى
تَحْسُــدُ الشَّمْــسُ فِــي الضُحَــى   نَجْــلَ نَصْــرٍ مُحَمَّــدَا
مُسْتَعِينــاً بِــرَبِّــهِ   مَلَــكَ البَــأْسَ وَالنَّــدَى

(69)

وَقَالَ يُخَاطِبُ أَخَانَا أَيْضاً[1] رَحِمَهُ الله، وَقَدْ أَعْمَلَ الرِّكَابَ لِتَفَقُّدِ البِلَادِ الشَّرْقِيَةِ وَوَرَدَهُ لأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الرِّحْلَةِ قَتْلُ طَاغِيَةٍ مِنَ النَّصَارَى[2] المُفْسِدِينَ فِي البَحْرِ كَانَ قَدْ قَاتَلَ بَعْضَ المَرَاكِبِ بِأَصْطَبُونَةَ[3] وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الثُلَاثَاءِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ لِشَوَّالٍ مِن عَامَ سَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ[4]:

[الكامل]

فَتْـحُ الفُتُـوحِ أَتَـى بِـأَوَّلِ مَنْـزِلِ   فَـالسَّعْـدُ مُتَصِّـلٌ كَـأَجْمَـلِ عَـادَتِـكْ
مَا حَلَّ رِجْلُكَ فِي الرِّكَابِ مُسَافِراً   حَتَّـى أَتَـتْ بُشْـرَى بِيَـوْمِ سَعَـادَتِـكْ

(70)

وكَتَبَ إِلَيْهِ وَقَدْ نَزَلَ بِوَادِي آشٍ[5]:

(1) أي أن القصائد الماضية خاطب بها الشاعر كذلك المستعين بالله حفيد الغني بالله.
(2) أمير من أمراء النصارى القراصنة ويُنْسب إليهم دائماً لقب «الطاغية».
(3) مدينة من أعمال مالقة على ساحل المتوسط على مسافة 41 ميلاً من مالقة إلى الجنوب الغربيّ.
(4) هذا القصيد أرّخ سنة 797 وقد استفدنا منه ان ابن زمرك لم يمت سنة 796 كما ذكر ذلك أغلب المؤرخين (راجع المقدمة).
(5) قرية من أعمال غرناطة أحدقت بها البساتين والأزهار.

[الكامل]

و(45) /عَجَباً لِوَادٍ كَانَ يُنْسَبُ لِلْأَشَا فَإِذَا بِهِ قَدْ صَارَ يُنْسَبُ لِلْبُدُورْ
بَدْرُ الهُدَى قَدْ لاَحَ فِي آفَاقِهِ وَالنَّيِّرَاتُ عَلَى مَطَالِعِهِ تَدُورْ
بَرَزَ الجَمِيعُ مُرَاقِبِينَ لِوَجْهِهِ حتَّى العَذَارَى اللاَّئِي مِنْ خَلْفِ الخُدُورْ
بَلَدٌ لَهُمْ حُكْمُ الوَفَاءِ سَجِيَّةٌ لَيْسَ الوَفَاءُ لَهُمْ عَلَى حُكْمِ النُّذُورْ
بِالمُسْتَعِينِ تَقَرُّ عَيْنُ زَمَانِهِ وَلِأَهْلِهِ بكمالِهِ شُرِحَتْ صُدُورْ

(71)

وَقَالَ وَقَدْ نَزَلَ بِبَسْطَةَ[1]:

[المجتث]

كَمْ لِلنُّفُوسِ بِبَسْطَةْ مِنِ ٱبْتِهَاجٍ وَبَسْطَةْ
مَا الدَّهْرُ أَجْمَعُ فِيهَا إِلاَّ سُرُورٌ وَغِبْطَةْ
وَالسَّعْدُ وَفَّرَ فِيهَا إِلَى الخَلِيفَةِ قِسْطَهْ
وَكُلُّ عَبْدٍ يَلِيهِ لَهُ السَّعَادَةُ خُطَّةْ
مَوْلاَيَ نَصْرُكَ[2] حَتْمٌ وَاللهُ فِي اللَّوْحِ خَطَّهْ
مَنْ ذَا يَحُلُّ قَضَاءً قَدْ أَحْكَمَ اللهُ رَبْطَهْ
يُمْنَاكَ بَحْرُ سَمَاحٍ والخَلْقُ تَنْتَابُ شَطَّهْ
وَسِعْتَ دَهْرَكَ حِلْماً والحِلْمُ أَوْسَعُ خُطَّةْ
فَاشْرُطْ عَلَى الدَّهْرِ فَتْحاً وَالسَّعْدُ يَضْمَنُ شَرْطَهْ

---

(1) هي (Baza) الحديثة مدينة تقع في الشمال الشرقي من غرناطة (ياقوت: بلدان 1/422).
(2) في الأصل «نصرَك» بفتح الراء ولا وجه لذلك.

وَرَأْسُ كُلِّ عَدُوٍّ ... يَقُولُ لِلسَّيْفِ: حِطَّهْ

أَخْمِدْ بِهِ مِنْ ذُبَالٍ ... مِقَصُّ سَيْفِكَ قَطَّهْ

ق(45) / وَمُفْسِدُ البَحْرِ فِيهِ ... قَدْ مَاتَ بِالسَّيْفِ عَبْطَهْ

أَقُولُ فِيهِ بِحَقٍّ: ... فِرْعَوْنُ أَغْرَقَ قِبْطَهْ

رَامَ الطُّلُوعَ وَلَكِنْ ... عُلُوُّ سَعْدِكَ حَطَّهْ

وَمَنْ لَهُ بِسِبَاحٍ ... لَوْ أَنَّهُ كَانَ بَطَّهْ

لَمْ تَتَّبِعْ بِجِهَادٍ ... إِلَّا النَّبِيَّ وَرَهْطَهْ

أَضْحَكْتَ لِلثَّغْرِ ثَغْراً ... لَمَّا حَلَلْتَ بِبَسْطَهْ

أَدَارَ عَزْمُكَ فِيهِ ... سِوَارَ سُورٍ وَحَيْطَهْ

غَمَامُ جُودِكَ رَوَّى ... مِنْ مَاحِلِ الشَّرْقِ قَحْطَهْ

فَالسُّحْبُ يَسْحَبُ فِيهِ ... عَلَى الأَبَاطِحِ رَيْطَهْ

مَوْلَايَ وَصْفُكَ دُرٌّ ... جَعَلْتُ شِعْرِيَ سِمْطَهْ

وَكَيْفَ لِي بِنِظَامٍ ... وَفَوْقَ رَأْسِيَ مَطَّهْ

فَالخَطُّ مِنِّي سَقِيمٌ ... وَاللَّفْظُ يَتْبَعُ خَطَّهْ

وَمَدْحُ كُلِّ بَلِيغٍ ... مِنْ بَحْرِ وَصْفِكَ نُقْطَهْ

لَكِنَّ عَفْوَكَ يَضْفُو ... فَيُلْحِفُ العَبْدُ مِرْطَهْ

فَاهْنَأْ بِوُجْهَةِ سَعْدٍ ... تَلْقَى بِهَا كُلَّ غِبْطَهْ

(72)

وَقَالَ مِمَّا رُسِمَ فِي طَاقَيْنِ[1] بِبَابِ قُبَّةِ البُرْجِ الجَدِيدِ[2] وَالقَلَهُرَّةِ[3] مِنْ سُورِ

---

(1) مثنى طاق وهي الفتحة في الحائط أو الشباك (ملحق لدوزي ج 2 ص 70).

(2) يشير إلى التحسينات التي قام بها الغني بالله في النصف الثاني من القرن الثامن (راجع فصل غرناطة في دائرة المعارف (ط. ج) E_I^1.

(3) كلمة أصلها بشكنسي Basque وهي مركبة من (كالا) و(غرّة) أي القصور الحمراء (Cala Garri) ومعناها=

الحَمْرَاءِ العَلِيَّة:

[المجتث]

لِلْمُسْتَعِيـــنِ[1] ابْـــنِ نَصْـــرِ أَعَـــزِّ مَـــوْلَـــى كَـــرِيـــمِ

و(46) / رُفِعَـــتْ قَـــوْسَ سَمَـــاءٍ مُكَلَّـــلٍ بِـــالنُّجُـــومِ

فَـــالبَـــدْرُ يَحْسُـــدُ تَـــاجِـــي وَالشُّهْـــبُ تَهْـــوَى رُقُـــومِـــي[2]

بِهَـــالَتِـــي قَـــدْ تَجَلَّـــى إِبْـــرِيـــقُ مَـــاءِ النَّعِيـــمِ

قَـــدْ قَـــامَ فِيهَـــا خَطِيبـــاً يَخْطُـــبُ وَفْـــدَ النَّسِيـــمِ

أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ إِمَـــامِ إِلَـــى الصَّـــلاةِ مُقِيـــمِ

(73)

وَقَالَ يَتَغَزَّلُ وَيَمْدَحُهُ[3]:

[الخفيف]

يَـا غَـزَالاً يَـرْعَـى بِـرَوْضِ الفُـؤَادِ فَهُـوَ مِـنْ مُقْلَتِـي مَكَـانَ السَّـوَادِ

أَنْـتَ فِـي العَيْـنِ وَالفُـؤَادِ مُقِيـمٌ وَأَنَـا أَشْتَكِـي أَلِيـمَ البِعَـادِ

أَطْلَـعَ ٱللهُ مِنْـكَ بَـدْرَ كَمَـالٍ نُـورُهُ فِـي القُلُـوبِ إِنْ غَـابَ بَـادِ

تَنْظُـرُ الصَّـبَّ عَـنْ لِحَـاظِ حَبِيـبٍ فِعْلُهَا فِي القُلُوبِ فِعْلُ الأَعَادِي[4]

مَـنْ رَأَى الحَـيَّ يُـرْهِبُـونَ الأَعَـادِي بِضِعَـافِ القُـدُودِ لاَ بِـالصِّعَـادِ

رَوْضُ وَرْدٍ بِـوَجْنَتَيْـكَ نَضِيـرٌ قَـدْ سَقَتْـهُ مَـدَامِعِـي كُـلَّ وَادِ

نَـاعِسُ اللَّحْـظِ مِـنْ فُتُـورٍ وَغُنْـجٍ قَـدْ حَمَـى مُقْلَتِـي لَـذِيـذَ الـرُّقَـادِ

= الحصون أو أبراج الحصون (راجع دوزي ملحق ج 2 ص 401).

(1) هو لقب أبي عبدالله محمد السابع ابن الغني بالله.

(2) في الأصل «رُقُومِ» بدون ياء.

(3) أي يمدح المستعين بالله.

(4) في الأصل «الأعَادِ» هكذا.

مَـنْ لِقَلْبِـي وَأَيْـنَ قَلْبِـيَ مِنِّـي؟ قَـدْ عَـدَتْنَـا مِـنَ البِعَـادِ العَـوَادِي[1]

تُرْسِلُ السُّحْبُ غَيْثَهَا مِنْ دُمُوعِي يَقْـدَحُ البَرْقُ زَنْـدَهُ مِـنْ فُـؤَادِي[2]

وَعُيُـونُ النُّجُـومِ فِـي الأُفْـقِ لَمَّـا سَـامَـرَتْنِـي أَغْـدَيْتُهَـا بِـالسُّهَـادِ

كَمْ جَلاَ الحُسْنُ مِنْ مَلِيحٍ وَلَكِنْ أَنْـتَ دُونَ المِـلاَحِ مِنْـهُ مُـرَادِي[3]

ق(46) /مَنْ عَذِيرِي مِنْ ظَبْيٍ إِنْسٍ رَبِيبٍ مَلَّكَتْـهُ أَيْـدِي الغَـرَامِ قِيَـادِي[4]

سَـدَّدَ الحُسْـنَ لَحْظُـهُ بِسِهَـامٍ أَوْضَحَـتْ لِلسِّهَـامِ طُـرْقَ السَّـدَادِ

وَإِذَا مَـا الجُفُـونُ أَصْمَـتْ فُـؤَاداً لَيْـس يَـدْرِي صَـلاَحَـهُ مِـنْ فَسَـادِ

يُسْكِـرُ الشَّـرْبَ مِـنْ كُـؤُوسٍ لِحَـاظٍ تَنْفُـثُ الـرُّوحَ فـي خِـلاَلِ الجَمَـادِ

حَسْبِـيَ اللهُ وَالإِمَـامُ ٱبْـنُ نَصْـرٍ فَعَلَيْـهِ بَعْـدَ الإِلاَهِ ٱعْتِمَـادِي[5]

مُسْتَعِيـنٌ بِـالله فـي كُـلِّ حَـالٍ هُـوَ رُحْمَـى العِبَـادِ سُقْيَـا البِـلاَدِ

كَفُّـهُ لِلْعُفَـاةِ إِنْ قَصَـدُوهُ بَحْـرُ جُـودٍ وَمَـالَـهُ مِـنْ نَفَـادِ

يُقْلِـعُ الغَيْـثُ مَـرَّةً وَنَـدَاهُ صَـوْبُـهُ لِلْعُفَـاةِ حِلْـفُ التَّمَـادِي

يَـا جَـوَاداً بِمَـا حَـوَتْـهُ يَـدَاهُ سَـابِقـاً فِـي الفَخَـارِ سَبْـقَ الجَـوَادِ

لَـكَ طُـولٌ عَلَـى المُلُـوكِ وَطَـوْلٌ بِحُلَـى الفَخْـرِ يَـا طَـوِيـلَ النِّجَـادِ

شَـامِـلٌ فَضْلُـهُ جَمِيـعَ العِبَـادِ شَـامِـخٌ مُلْكُـهُ رَفِيـعُ العِمَـادِ

وَشَّـحَ اللهُ فَخْـرَهُ بِـالمَعَـالِـي رَشَّـحَ اللهُ مُلْكَـهُ بِـالجِهَـادِ

عَـاوَدَ الـرُّومَ مِنْـهُ فِـي فَـجٍّ خَيْـرٍ عَـزْمَـةٌ لاَ تَنِـي لِيَـوْمِ المَعَـادِ

عَـرَفَ النَّـاسُ بَـأْسَـهُ وَنَـدَاهُ مِـنْ مُـوَالٍ فِـي ٱللهِ أَوْ مِـنْ مُعَـادِ

يَتَّقِـي ٱللهَ فـي جِهَـارٍ وَسِـرٍّ إِنَّ تَقْـوَى الإِلاَهِ أَكْـرَمُ زَادِ

جَـدُّهُ كَـمْ أَقَـامَ مِـنْ حَـدِّ بَغْـيٍ حَـاسِـمٌ بِـالحُسَـامِ دَاءَ العِنَـادِ

(1) (2) (3) (4) (5) في الأصل كلها بدون ياء في آخرها.

لَـكَ سَيْـفٌ قَـدْ سَلَّـهُ الله يُمْسِـي حُكْمُهُ الحَتْمَ في رِقَاب الأَعَادِي[1]

لَـكَ وَجْـهٌ إِذَا الشُّمُـوسُ رَأَتْـهُ فَضَحَتْهَـا أَنْـوَارُهُ بِـاتّقَـادِ

يَـا إِمَـامَ الهُـدَى وَتَـاجَ المَعَـالِـي وَغَمَـامَ النَّـدَى وَغَـوْثَ العِبَـادِ

و(47) / أَنْتَ رَوْضُ الجَمَالِ حُسْناً وَحُسْنَى يَضْحَـكُ الـزَّهْـرُ مِنْ بُكَـاءِ الغَـوَادِي

زَادَكَ اللهُ نَضْـرَةً وَجَمَـالاً بِخِـلاَلٍ جَمَـالُهَـا فِـي ٱزْدِيَـادِ

كُلَّمَـا هَـبَّ مِـنْ ثَنَـاكَ نَسِيـمٌ طَـابَ عَنْـكَ الثَّنَـاءُ فِـي كُـلِّ نَـادِ

نَصَـرَ اللهُ مِنْـكَ خَيْـرَ إِمَـامٍ قَـدْ هَـدَى قَـوْمَـهُ سَبِيـلَ الـرَّشَـادِ

هَـاكَهَـا بِنْـتَ سَـاعَتَيْـنِ[2] وَلَكِـنْ كَمُلَـتْ بِـالـوِدَادِ لاَ بِـالـوِلاَدِ

قَـدْ أَتَـتْ بِـالعُقُـودِ دُرًّا نَفِيسـاً كَـيْ تُبَـاهِـي بِـهِ جَمِيـلَ ٱعْتِقَـادِي

لَـوْ يُنَـادَى مِـنَ البَلِيـغُ المُفَـدَّى؟ لَـمْ يَكُـنْ غَيْـرُهَـا يُجِيبُ المُنَـادِي

(74)

وَقَالَ أَيْضاً يَمْدَحُهُ[3]:

[الكامل]

إِنَّ الإِمَـامَ المُسْتَعِيـنَ بِـرَبِّـهِ بَدْرٌ لِهَالاَتِ المَحَارِبِ وَالسُّرُوجْ

لَـوْ كُنْـتَ شَـاهِـدَهُ عَشِيَّـةَ يَـوْمِنَـا لَـرَأَيْتَـهُ بَحْـراً عَلَـى بَحْـرٍ يَمُـوجْ

لِلّهِ مِنْـهُ وَالمَنَـازِهُ حَـوْلَـهُ قَمَـرٌ جَـرَى بَيْـنَ المَنَـازِلِ وَالبُـرُوجْ

وَجْهٌ يَقُولُ إلى الشُّمُوسِ إِذَا بَدَتْ: إن كُنْتِ تَخْرُجُ أَوْ لأَسْبِقُ لِلْخُرُوجْ

لاَ زَالَ فِـي أُفُـقِ السَّعَـادَةِ نَيِّـراً فِي المُلْكِ مُتَّصِلَ المَصَاعِدِ وَالعُرُوجْ

---

(1) في الأصل «الأعادِ» بدون ياء.

(2) أي أنه لم يقض في نظمها سوى ساعتين، وهذا ما حمل بلاشير على انتقاد ابن زمرك وشاعريته (راجع مقاله المذكور سابقاً، ص 693 وما بعدها).

(3) أي يمدح المستعين بالله محمداً السابع.

(75)

وَقَالَ يَصِفُ لَبَناً:

[الطويل]

وَبَيْضَاءَ مِنْ صِنْفِ الشَّرَابِ أَدَرْتُهَا ... ولَمْ أَخْشَ إِثْماً لاَ وَلاَ حَاكَ فِي صَدْرِي[1]

ق(47) / تَطُوفُ بِهَا الأَقْدَاحُ حَوْلِي لِفِتْيَةٍ ... نَصِيبُهُمُ فِيهَا الجَزِيلُ مِنَ الأَجْرِ

تَحَسَّيْتُهَا صِرْفاً وَوَالَيْتُ شُرْبَهَا ... وعُذْتُ بِشُكْرِ الله فِيهَا مِنَ السُّكْرِ

غِذَائِي الذِّي أُطْعِمْتُ أَوَّلَ مَقْدَمِي ... عَلَى الكَوْنِ إِذْ أُنْشِيتُ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ

فَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا حَيِيتُ لِفَضْلِهَا ... وَلَسْتُ بِسَالٍ حُبَّهَا آخِرَ الدَّهْرِ

حَبَانِي بِهَا المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... حَبَاهُ إِلاَهُ العَرْشِ بِالفَتْحِ وَالنَّصْرِ

(76)

وَقَالَ كَذَلِكَ[2]:

[الطويل]

بَعَثْتَ بِهَا بَيْضَاءَ قَدْ دَرَّ رِسْلُهَا ... مِنَ الضَّرْعِ قَدْ شِيبَتْ بِمَاءِ الغَمَائِمِ

فَتِلْكَ التِّي قَدْ قَدَّمَ اللهُ عِنْدَمَا ... بَرَزْتَ لِهَذَا الكَوْنِ تُحْفَةَ قَادِمِ

وَتِلْكَ لِصُنْعِ اللهِ كَانَتْ تَمِيمَةً ... غَذَانِي بِهَا مِنْ قَبْلِ عَقْدِ التَمَائِمِ

وَإِنَّ كَرِيمَ القَوْمِ إِنْ طَالَ عَهْدُهُ ... فَحَاشَاهُ أَنْ يَنْسَى عُهُودَ الكَرَائِمِ

سَأَجْعَلُ مِنْهَا فِطْرَةَ الدِّينِ فِطْرَةً ... وَأَسْكُبُهَا لِلشُّرْبِ لَسْتُ بِآثِمِ

وَأَرْغَبُ فِيهَا مُذْ رَغِبْتُ عَنِ التِّي ... عَصَيْتُ لَهَا قِدْماً مَلاَمَ اللَّوَائِمِ

نَزَلْتَ بِوَادِي الخُرْسِ مَنْزِلَ رَحْمَةٍ ... وَأَنْسَيْتَ مِنْ نُعْمَاكَ نَوْءَ النَعَائِمِ

---

(1) في الأصل «صَدْرِ» بدون ياء.

(2) اي يصف لبناً.

تَحُطُّ بِهِ النُّعْمَى رَكَائِبَ سُحْبِهَا وَتَحْمِلُ عَنْكَ الشُّكْرَ رُسْلُ النَّواسِمِ
فَلاَ زِلْتَ تَجْلُو الشَّمْسَ شَمْسَ هِدَايةٍ وَتُرْسِلُ مِنْ جَدْوَاكَ سُحْبَ المَكَارِمِ

(77)

وَقَالَ يَصِفُ المُجَبَّنَةَ[1]:

[الكامل]

و(48) /مَوْلاَيَ أَهْدَيْتَ الَّتِي قَدْ أَطْلَعَتْ نَوْرًا تَجَسَّدَ لِلْعُيُونِ وَنُورَا
صَاغَتْ مَكَارِمُكَ المَطَاعِمَ عَسْجَداً فَبَعَثْتَ مِنْهُ لِلْعَبِيدِ شُذُورَا
نفسِي الفِدَاءُ لَهَا شُمُوساً كُلَّمَا جَرَّدْتُهَا أَلْفَيْتُهُنَّ بُدُورَا
مِنْ جَوِّ جُودِكَ أَشْرَقَتْ وَغُرُوبُهَا فِي الجَوْفِ يُطْلِعُ بَهْجَةً وَسُرُورَا
لَبِسَتْ غِلاَلَةَ عَسْجَدٍ مِنْ تَحْتِهَا جِسْمٌ حَكَى بِبَيَاضِهِ الكَافُورَا
فَكَأَنَّمَا شَفَقٌ عَلَى فَلَقٍ بِهِ قَدْ أَعْقَبَ الإِسْفَارُ مِنْهُ سُفُورَا
بِيضٌ نَوَاصِعُ وَالقَبُولُ يَزُفُّهَا قَدْ قَبَّلَتْ مِنْهَا ٱلثُّغُورُ ثُغُورَا
لاَ زَالَ صُنْعُ الله عِنْدَكَ بَاهِراً وَعَدُوُّ دِينِكَ خَاسِئاً مَبْهُورَا

(78)

وَقَالَ يُنْعِمُ صَبَاحَ مَوْلاَنَا الْجَدِّ[2] رَضِيَ الله عَنْهُ، وَيَصِفُ أَيْضاً لَبناً وٱنْعِقَادَهُ جُبنًا:

[البسيط]

اِنْعَمْ صَبَاحاً تَجَلَّى وَهو ذُو خَجَلٍ لمَّا رَأَى وَجْهَكَ الوَضَّاحَ شمْسَ ضُحَى
وغَارَتِ السُّحْبُ مِنْ يُمْنَاكَ فانْبَجَسَتْ لَمَّا رَأَتْ بَحْرَهَا بِالجُودِ قَدْ طَفَحَا
شَمَائِلٌ مِنْ حُلَى الأَنْصَارِ نَعْرِفُهَا أَثْنَى بِهَا الوَحْيُ وَحْيُ الله مُمْتَدِحَا

(1) هي أنواع من الفطائر تُصنع بالدقيق والجبن (ملحق دوزي I، 172).
(2) رجع لمدح الغني بالله.

مَفَاخِرٌ أَعْجَزَتْ وَصْفَ ٱلْبَلِيغِ مَتَى ... مَا رَامَ يُهْدِي إلى عَلْيَائِكَ المِدَحَا

لِلْبَحْرِ لِلْجُودِ جَدْوَاكَ التِّي طَفِقَتْ ... نَعْمَاؤُهَا تَشْمَلُ الغَادِينَ وَالرُّوَحَا

مَا زِلْتُ أَهْفُو إِلَى بَيْضَاءَ صَافِيَةٍ ... أُدِيرُ أَقْدَاحَهَا لِلشَّرْبِ مُصْطَبِحَا

مِنَ التِّي قَدْ غَذَتْنِي إِذْ قَدِمْتُ عَلَى ... هَذَا الوُجُودِ وَزَنْدُ الفَهْمِ مَا قُدِحَا

فَصَاغَهَا اللُّطْفُ صَوْغاً لاَ نَظِيرَ لَهُ ... أَهْدَى لِيَ البَدْرُ بِالمِقْدَارِ مُتَّشِحَا

ق(48) / وَظَلَّتِ السُّحْبُ تَبْكِي وَهْيَ جَانِحَةٌ ... لَمَّا رَأَتْ بَدْرَهَا قَدْ عَادَ حِجْرَ رَحَى

إِنْ كُنْتَ أَهْدَيْتَنِي بَدْراً فَهَا أَنَاذَا ... أَصُوغُ مِنْهُ شُمُوساً رُقْنَ مُلْتَمَحَا

لِلَّهِ لِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى عَجَباً ... الشَّمْسُ وَالبَدْرُ نَحْوَ الغَرْبِ قَدْ جَنَحَا

حُمْرُ الحُلِيِّ فَإِنْ جَرَّدْتَ مَلْبَسَهَا[1] ... عَادَتْ بُدُوراً وَعَادَ النُّورُ مُتَّضِحَا

مَزَجْتُهَا بِشَبِيهِ فِي خَلاَئِقِهَا ... وَأَورِدَا النَّارَ بَعْدَ المَزْجِ فَاصْطَلَحَا

أَوْرَدْتُهَا الشُّهْدَ مَغْسُولاً كَرَشْفَتِهَا ... وَسُغْتُهَا فَاسْتَجَدَّتْ عِنْدِيَ المِنَحَا

بَلَّغْتَ عَبْدَكَ مَا يَرْجُوهُ مِنْ أَمَلٍ ... بُلِّغْتَ فِي النَّفْسِ وَالأَبْنَاءِ مُقْتَرَحَا

(79)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ[2] مَعَ أَقْلاَمٍ وَهُوَ بِحَالِ شَكَاةٍ نَعَّمَهُ الله:

[الخفيف]

هَذِهِ عِدَّةُ الأَنَامِلِ خَمْسٌ ... كَاتِبَاتٌ لَنَا حُرُوفَ العَلاَمَهْ[3]

عُوذَةٌ لِلْغَنِيِّ بِالله مِمَّا ... يَشْتَكِيهِ وَضَامِنَاتُ السَّلاَمَهْ

(1) في الأصل «مِلْبَسَهَا» هكذا ـ بكسر الميم ـ ولا معنى لها، ولعلها سهو من الناسخ.

(2) أي إلى الغني بالله.

(3) هي ما عبر عنه في الماضي بـ «صَحَّ هَذَا» وهي عدد أنامل الأصابع أي خمسة وهو ما قصد في الصدر.

(80)

وَكَتَبَ أَيْضاً مَعَ مِثْلِ ذَلِكَ[1]:

[الخفيف]

هَــذِهِ خَمْسَــةٌ تُعَــوِّذُ مَــوْلَــى   زَادَهُ اللهُ فــي الخِــلاَفَــةِ بَسْطَــهْ
كُلَّمَـا خَـطَّ فِـي المَهَـارِقِ خَطَّـهْ   أَوْجَبَــتْ رِفْعَــةً وَسَجَّــلَ حُظَّـهْ

(81)

وَقَالَ مُضَمِّناً وَقَدْ سَمِعَ أَنَّـةً مِنْ شَكَاتِهِ[2] قَدَّسَهُ الله:

[البسيط]

و(49)/ إِنَّ الخَلِيفَـةَ لَمَّـا أَنَّ مِـنْ وَصَـبٍ   دَعَا القُلُوبَ إِلَى الأَشْجَانِ وَالكَمَدِ
وَقُلْتُ لِلنَفْسِ: قَرِّي؛ أَنْشَدَتْ مَثَلاً:   «وَلاَ قَـرَارَ عَلَـى زَأْرٍ مِـنَ الأَسَـدِ»

(82)

وَقَالَ يُهَنِّئُهُ بِالإِبْلاَلِ وَيَذْكُرُ قَصْرِ شِنِّيلٍ[3] وَنِعَماً أَهْدَاهُ:

[الكامل]

اِنْعَـمْ صَبَاحـاً بِـالبَشَـائِـرِ وَالنِّعَـمْ   وَادْعُ الزَّمَانَ يَقُولُ مُبْتَهِجاً: نَعَمْ
فَـالـدَّهْـرُ وَضَّـاحُ الجَبِيـنِ وَثَغْـرُهُ   بِالْبِشْرِ عَنْ شَنَبِ الثُّغُورِ قَدْ ابْتَسَمْ
يَـا وَاحِـدَ الـدُّنْيَـا وَمَـالِكَهَـا الـذِّي   تَفْدِيهِ مِنْ لَمَمِ الحَوَادِثِ بِالأُمَمِ
مَــدَّتْ لِـرَاحَتِـكَ السَّعَـادَةُ رَاحَـةً   لِتُزِيلَ عَنْكَ مِنَ الشَّكَايَةِ مَا أَلَمْ
فَـاسْتَقْبِـلِ الصُّنْـعَ الجَـدِيـدَ مُبَلَّغـاً   مَا شِئْتَ فِي النَّفْسِ النَّفِيسَةِ وَالحُرَمْ

---

(1) أي مع الأقلام.
(2) أي الغني بالله.
(3) هو قصر على نهر شنّيل.

هَلْ عِنْدَ ذَاتِكَ، مَدَّ رَبُّكَ عُمْرَهَا، / أَنْ المُلُوكَ لَهَا تُعَدُّ مِنَ الحَشَمْ

إِنْسَانُ عَيْنِ الدَّهْرِ أَنْتَ فَمُلِّئَتْ / مِنْكَ النَوَاظِرُ مَا نَسِيمٌ قَدْ نَسَمْ

وَنَدَى يَدَيْكَ وَإِنَّهَا لَأَلِيَّةٌ[1] / أَعْتَدُّهَا وَاللهِ مِنْ بَرِّ القَسَمْ

مَا أَنْتَ إِلاَّ رَحْمَةٌ مَبْثُوثَةٌ / فَضْلُ الإِلآهِ بِهَا عَلَى الإِسْلاَمِ عَمْ

سُبْحَانَ مَنْ وَلاَّكَ أَمْرَ عِبَادِهِ / وَحَبَاكَ بِالحُكْمِ العَزِيزِ وَبالحِكَمْ

لِلَّهِ قَصْرٌ قَدْ غَدَا لَكَ هَالَةً / بَدْرُ السَّمَاحِ بِهَا تَهَلَّلَ وَاسْتَتَمْ

لِلنِّيلِ فِي شِنِّيلَ أَلْفٌ زَائِدٌ[2] / قَدْ خَطَّهُ فِي صَفْحِ كَاتِبِهِ القَلَمْ

رَوْضٌ تَعَطَّرَ عَرْفُهُ بِمَحَامِدٍ / إِنْ يَكْتُمِ الرَّوْضُ الصَّبَا لاَ يُكْتَتَمْ

ق(49) / لِلْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ فِيهِ نَوَاسِمٌ / جَازَاكَ بِالإِحْسَانِ مَنْ بَرَأَ النَّسَمْ

دَامَتْ عَلَيْنَا مِنْ نَوَالِكَ دِيمَةٌ / فَلِذَاكَ غَارَتْ مِنْ تَوَالِيهَا الدِّيَمْ

هَيْهَاتَ كَفُّكَ يَمُّ جُودٍ زَاخِرٌ / كَمْ بَيْنَ رَشِّ غَمَامَةٍ أَوْ فَيْضِ يَمْ

أَهْدَيْتَنِي بِالأَمْسِ يَا مَلِكَ العُلَى / زَهْراً وَرَوْضاً مِنْ جَنَى رَوْضِ الكَرَمْ

لَحْمٌ عَلَى شَحْمٍ تَجَانَسَ حُسْنُهُ / لَكِنْ عَلَى الأَنْعَامِ قَدْ رَفَعَ العَلَمْ

وَبَدَائِعٌ قَدْ صَاغَهَا الشَّمَّاعُ[3] مِنْ / نُورٍ إِذَا يُجْلَى تُنِيرُ بِهِ الظُّلَمْ

مَاءٌ تَجَسَّدَ لِلْعَيَانِ كَأَنَّهُ / مِنْ جَوْهَرٍ فِي لَبَّةِ الحُسْنِ انْتَظَمْ

بَلَّغْتَ أَبْنَائِي المُنَى فَدُعَاؤُهُمْ / يُبْدَا بِهِ طُولَ الزَّمَانِ وَيُخْتَتَمْ

(83)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ[4]:

---

(1) الأَلِيَّةُ هي اليمين، وهي النعمة (القاموس 4/295).

(2) يقصد حرف الشين من شِنِّيل فهي في حروف الجُمَّلِ بالف أي أن شنيل يساوي ألفاً من نهر النيل.

(3) يشير إلى أنه أهدى له شموعاً.

(4) أي بتهنئته بالإبلال ووصف قصر شنِّيل، وقد وقعت الأبيات الثمانية الأولى منها في هذه الموضع أما سائر القصيدة فنقلناه من الورقة 107 لاضطراب في ترتيب الأوراق.

[الطويل]

هُوَ البَدْرُ أَوْ مِنْ دُونِ عَلْيَائِهِ البَدْرُ ... مَطَالِعُهُ مِنِّي الجَوَانِحُ وَالصَّدْرُ
تَطَلَّعَ مِنْ نَجْدٍ بِمَرْقَبِ قَصْرِهِ ... فَيَا حَبَّذَا نَجْدٌ وَيَا حَبَّذَا القَصْرُ
بِحَيْثُ القِبَابُ الزُّهْرُ تَسْتَشْرِفُ العُلَى ... إِلَيْهَا وَتَهْوَى أَنْ تَحُلَّ بِهَا الزُّهْرُ
بِحَيْثُ الوُجُوهُ الغُرُّ جَلَّلَهَا الحَيَا ... زَهَاهَا الكَلَامُ الحَرُّ وَالنَّسَبُ الحُرُّ
بِحَيْثُ الرِيَّاضُ الخُضْرُ قَدْ جَادَهَا الحَيَا ... وَنَافَسَ فِي طِيبِ الثَّنَاءِ بِهَا الزَّهْرُ
بِحَيْثُ اسْتَمَرَّ النَهْرُ فِي غُلَوَائِهِ ... يُجَرِّرُ أَذْيَالَ الغُصُونِ وَلَا كِبْرُ
بِحَيْثُ الجِيَادُ المُقْرَبَاتُ صَوَافِنٌ ... بِحَيْثُ السُّيُوفُ البِيضُ وَالأَسَلُ السُّمْرُ
بِحَيْثُ يَمُوجُ البَحْرُ(1) تَحْتَ ظِلَالِهَا ... وَلَكِنَّ ذَا عَذْبٌ إِذَا يَمْلُحُ البَحْرُ
بِحَيْثُ أَمِيرُ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٌ ... وَحَسْبُكَ فَخْرٌ لَا يُقَاسُ بِهِ فَخْرُ
وَمِنْ عَجَبٍ يَحْوِيهِ قَصْرٌ(2) وَقُبَّةٌ ... وَقَدْ ضَاقَ عَنْ أَدْنَى فَضَائِلِهِ الدَّهْرُ
يَمُدُّ ظِلَالَ العَدْلِ بَيْنَ ظِلَالِهِ ... وَيَصْدُرُ عَنْ أَبْوَابِهِ النَّهْيُ وَالأَمْرُ
عَمِيدُ بَنِي الأَنْصَارِ فَخْرُ مُلُوكِهَا ... كَبِيرُ بَنِي نَصْرٍ بِذَا شَهِدَ النَّصْرُ
يُفَجِّرُ مِنْ يُمْنَيْهِ(3) عَشْرَةَ أَبْحُرٍ ... لَهَا فِي النَّدَى مَدٌّ وَلَيْسَ لَهَا جَزْرُ
أَلَا أَيُّهَا القَصْرُ المُنِيفُ قِبَابُهُ ... بِشَنِّيلَ(4) مَا النِّيلُ المُشَهَّرُ أَوْ مِصْرُ؟
سَمَاءُ النَّدَى قَدْ ظَلَّلَتْكَ غَمَامَةٌ ... فَلَا قُطْرَ إِلَّا مِنْهُ قَدْ جَادَهُ قَطْرُ
وَنُورُ الهُدَى قَدْ لَاحَ مِنْكَ بِمَرْقَبٍ ... وَذَا اليَوْمَ فِيهِ مِنْ سَعَادَتِهَا فَجْرُ
لَقَدْ عَمَّتْ السَّرَاءُ يَوْمَ حُلُولِهِ ... بِقَصْرِكَ وَاسْتَهْوَى العَبِيدَ بِهَا البِشْرُ
وَقَلَّدْتَ دِينَ اللهِ حَلْيَ بَشَائِرٍ ... يَطِيبُ لَهُ أُخْرَى اللَّيَالِي بِهَا الذِكْرُ

(1) يظهر أن القصر كان بجانب النهر وكذلك البحر.
(2) يعني قصر الحمراء بغرناطة.
(3) أي يداه اليمنى واليسرى.
(4) شنّيل: نهر غرناطة وقد مضى التعريف به.

وَفِي طَالِعِ الإِسْعَادِ وَالفَوْزِ بِالمُنَى ... تَجَلَّى عَلَى آفَاقِ مَرْقَبِكَ البَدْرُ
هَنِيئاً وَبُشْرَى لِلْعَبِيدِ شِفَاؤُهُ ... فَرَاحَةُ مَوْلاَنَا الإِمَامِ هِيَ الذُّخْرُ
فَيَا قَصْرُ مَدَّ اللهُ فَوْقَكَ عِصْمَةً ... وَحَفَّتْ بِكَ الآمَالُ وَاتَّصَلَ العُمْرُ

(84)

[ ][1]

[الطويل]

و(50) / فأجْرُكَ أَجْرُ الشَّاكِرِينَ وَلَمْ يَزَلْ ... يُزَادُ مِنَ النَّعْمَاءِ مَنْ كَانَ يَشْكُرْ
وَإِنْ كَانَ مَنْ قَدَّمْتَ[2] أَصْغَرَ قَوْمِهِ ... فَأَجْرُكَ مِنْهُ فِي مَعَادِكَ أَكْبَرُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلاَّ مَا عَلِمْتَ وَذُو الحِجَى ... يَرَى فِيهِ حُكْمَ اللهِ يُرْجَى وَيُحْذَرُ
لَئِنْ كَانَ قَدْ أَذْوَى بِرَوْضِكَ زَهْرُهُ ... فَرَوْضُكَ بِالأَغْصَانِ يُزْهَى وَيُزْهِرُ
وَإِنْ عَاجَلَتْ أَيْدِي الغُرُوبِ هِلاَلَهُ ... فَإِخْوَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ[3] سَوْفَ تُبْدِرُ
فَنَفْعاً لِمَوْلاَيَ الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ[4] ... فَدَوْحَتُهُ الشَّمَّاءُ تَسْمُو وَتُثْمِرُ
وَإِنْ كَانَ قَدْ أَذْكَى الجَوَانِحَ فَقْدُهُ ... سَيُبْرِدُهَا مِنْ مَوْرِدِ الحَوْضِ كَوْثَرُ[5]
بَنُوكَ بُدُورٌ فِي سَمَائِكَ أُطْلِعُوا ... كَوَاكِبَ فِي أُفْقِ الخِلاَفَةِ تُزْهِرُ
جَوَاهِرُ فِي لَبَّاتِ مُلْكِكَ نُظِّمَتْ ... يُفَصَّلُ مِنْهَا عِقْدُهُ وَيُصَدَّرُ
فَبُلِّغْتَ فِيهِمْ مَا تَشَاءُ وَبُلِّغُوا ... رِضَاكَ فَفِيهِ كُلُّ خَيْرٍ مُيَسَّرُ
وَمَا كَانَ مَا بِالأَمْسِ إِلاَّ تَمِيمَةً ... تُغَمِّضُ عَيْناً بِالحَسَادَةِ تَنْظُرُ

---

(1) سقطت مقدمة هذه القصيدة وكذلك الأبيات الأولى منها لكن بعد التأمل في ما بقي منها يظهر أن ابن زمرك قالها بمناسبة موت أحد أبناء الغني بالله فهو يعزّيه ويحتسب له الأجر.

(2) أي وفاة أصغر أبناء الغني بالله.

(3) يشير إلى وفاة أصغر أبناء الغني بالله، وبقاء إخوته الآخرين من بعده.

(4) في الأصل، «مُحَمَّدٌ» بالرفع ولا نرى وجهاً لذلك.

(5) يشير إلى الحديث النبوي الذي مفاده أنه من مات له طفل وصبر واحتسب فإنه يسقيه يوم الحشر من ماء الكوثر.

فَقَـدْ هَـبَّ فِيـهِ لِلسُّعُـودِ نَـوَاسِـمٌ بِنَيْـلِ الأَمَـانِـي وَالأَمَـانِ تُبَشِّـرُ
وَجَـاءَ بَشِيـرٌ لاَ يُمَـلُّ حَـدِيثُـهُ يُصَـدِّقُ وَعْـدَ اللهِ مَـا هُـوَ يُخْبِـرُ
فَأَخْبَرَ عَنْ شَيْخَيْ ضَلاَلٍ[1] تَنَكَّبَا سَبِيلَ الهُدَى وَالبَغْيُ يَكْبُو وَيَعْثُرُ
بِـأَنَّهُمَـا قَـدْ أُلْبِسَـا ثَـوْبَ خِزْيَـةٍ وَفَـوْقَهُمَـا ثَـوْبُ المَنِيَّـةِ يُنْشَـرُ
فَقَـدْ كَفَـرَا حَـقَّ الجِهَـادِ وَمَلْكِـهِ وَكَـافِـرُ حَـقِّ اللهِ بِـالسَّيْفِ يُـزْجَـرُ
وَإِنَّ وَزِيـرَ الغَـرْبِ[2] رَامَ مَكِيـدَةً وَدَبَّـرَهَـا مِنْـهُ جَهُـولٌ وَمُـدْبِـرُ
أَمِـنْ بَعْـدِ مَـا أَوْلَيْتَـهُ كُـلَّ مِنَّـةٍ[3] يُقَـابِلُهَـا مِنْـهُ كَفُـورٌ وَمُنْكِـرُ
وَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ العِنَايَةِ يَجْتَنِي أَزَاهِـرَ رَوْضٍ بِـالفَـوَائِـدِ يُثْمِـرُ
ق(50) / أَقَامَ بِـهِ يَرْتَـاحُ عِشْرِيـنَ حِجَّةً[4] يُـدَرُّ لَـهُ مِنْـكَ الحِبَـاءُ المُـوَفَّـرُ
وَمَلَّكْتَـهُ دَارَ الخِـلاَفَـةِ[5] بَعْـدَهَـا وَحَسْبُكَ نُعْمَى آخِرَ الدَّهْرِ تُذْكَرُ
فَصَـارَفَهَـا كُفْـرَ الحُقُـوقِ بِغَـدْرِهِ وَمَا زَالَ عَبْدُ السَّوْءِ بِالغَدْرِ[6] يُشْهَرُ
فَهَا هُوَ فِي قَيْدٍ مِنَ الهُونِ رَاسِفٌ وَأَسْـوَدُهُ قَـدْ رَاعَـهُ المَـوْتُ أَحْمَـرُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي نَاوَاكَ فَاعْتَزَّ بَعْدَهَا وَلَـمْ تُـرِهِ الأَيَّـامُ مَـا كَـانَ يَحْـذَرُ
وَمَا زَالَ رَبُّ العَرْشِ يُبْلِغُكَ المُنَى كَـأَنَّـكَ فِـي نَيْـلِ الأَمَـانِـي تُخَيَّـرُ
بَقِيتَ كَمَا تَرْضَى وَتَرْضَى بِكَ العُلَى عَلَى مَرْقَبِ العَلْيَاءِ تَعْلُو وَتَظْهَرُ

---

(1) هما الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي ارتحل إلى المغرب بعد النفرة بينه وبين السلطان الغني بالله، أما الشيخ الثاني فهو الوزير ابن غازي الذي استبد بالأمر في فاس بعد موت السلطان أبي فارس عبد العزيز سنة 774 هـ. ولما طلب منه الغني بالله تسليم ابن الخطيب استنكف وأقبح الرد. (راجع ابن خلدون التاريخ المجلد 7 ص 701 وما بعدها).

(2) هو أبو بكر ابن غازي الكاسي المذكور.

(3) يشير إلى النعم التي نالها ابن الخطيب من الغني بالله.

(4) هي مدة بقاء لسان الدين بن الخطيب في الوزارة.

(5) لأن ابن الخطيب كانت بيده كل الأمور.

(6) يبرز تحامل ابن زمرك على أستاذه وحقده عليه.

(85)

وقَالَ يَمْدَحُهُ[1] رَضِي اللهُ عَنْهُ، وَيَصِفُ الجَيْشَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ:

[الكامل]

لِمَقَامِكَ التَأْيِيدُ وَالتأبِيدُ ... وَلَكَ المُلُوكُ كَمَا تَشَاءُ عَبِيدُ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِي السُّعُودِ غَرِيبَةٍ ... يَعْلُو بِهَا الإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ
فَبِكُلِّ حِينٍ مِنْ صَنِيعِكَ مَوْسِمٌ ... وَبِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ عِيدُ
فَإِذَا تُسَافِرُ فِي مَحَفَّةِ عِصْمَةٍ ... بِاليُمْنِ تَنْهَدُ وَالنَّجَاحِ تَعُودُ
وَكَتَائِبُ التَّوْفِيقِ مَهْمَا أَوْجَفَتْ ... فَسُيُوفُهُنَّ عَلَى العُدَاةِ سُعُودُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَأَمْسِنَا ... وَاللهُ يَعْلَمُ وَالأَنَامُ شُهُودُ
وَالبَدْرُ فِي صَدْرِ المَوَاكِبِ ظَاهِرٌ ... قَدْ ظَاهَرَتْهُ عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
ذُو هَيْبَةٍ فِي رَحْمَةٍ وَكِلاَهُمَا ... لِلْمُسْلِمِينَ مُحَبَّبٌ مَوْدُودُ
و(51) / كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعُيُونِ قَرِيبَةً ... وَمَحَلُّهَا لِلنَّاظِرِينَ بَعِيدُ
وَلَرُبَّ ذِي بَصَرٍ حَدِيدٍ قَدْ غَدَا ... يُعْشِيهِ مِنْ لَمْعِ الصِّقَالِ حَدِيدُ
وَالرَّايَةُ المَشْهُورُ فَخْرُ جِهَادِهَا ... تَسْرِي أَمَامَكَ لِلْعُلَى وَتَرُودُ
تُدْعَى عُقَاباً[2] فِي الحُرُوبِ وَمَالَهَا ... إِلاَّ نُفُوسُ الدَّارِعِينَ مَصِيدُ
وَإِذَا تُظَلِّلُكَ البُنُودُ فَفَوْقَهَا ... ظِلُّ الإِلاَهِ عَلَى الجَمِيعِ مَدِيدُ
كُلٌّ يَقُولُ لِصَحْبِهِ: هَذَا الَّذِي ... لِمَحَاسِنِ الدُّنْيَا بِهِ تَجْدِيدُ

(86)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ قَصِيدَةٍ بِمَالَقَة خَتَمَهَا بِحَمْدِهِ وَوَصَلَ نَسِيبَهَا بِمَقْصَدٍ جَمِيلٍ مِنْ صَالِحَاتِ جَدِّهِ:

---

(1) أي يمدح الغني بالله.

(2) هي راية الغني بالله.

[الكامل]

أَلِبَـارِقٍ مِـنْ ثَغْـرِهِ المُتَـأَلِّـقِ ... يَهْفُو فُؤَادِي عَنْ جَوَانِحِ مُشْفِقِ؟

نَـامَتْ جُفُـونٌ قَـدْ أَصَبْـنَ صَمِيمَـهُ ... وَالجَفْنُ مِنْ شَوْقٍ لَهَا لَمْ يُطْبِقِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالمُنَى خُدَعُ الهَوَى ... مِنْ بَعْدِ مَا جَنَتْ الهَوَى هَل نَلْتَقِي[1]؟

فَنُدِيرَ مِنْ صَفْوِ الحَدِيثِ مُدَامَةً ... مَمْـزُوجَـةً مِـنْ دَمْعِنَـا المُتَـرَقْـرِقِ

لَمْ أَجْرِ فِي طَلَقِ الهَوَى إِلاَّ جَرَتْ ... فِيـهِ مَعِـي خَيْـلُ الـدُّمُـوعِ السُّبَّـقِ

لَـمْ يَبْـقَ مِنِّي بِالضَّنَـى إِلاَّ ذَمَـا ... وَعَسَى يُسَامِحُنِي الهَوَى فِيمَا بَقِي[2]

وَأَرَى الفُـؤَادَ يُجِـدُّ أَخْـلاَقَ الهَـوَى ... لَيْـتَ الهَـوَى لِقُلُـوبِنَـا لَـم يُخْلَـقِ

وَافَيْـتَ مَـالَقَـةَ فَـأَصْمَـى ظَبْيُهَـا ... أَفْـلاَذَهُ مِـنْ لَحْظِـهِ بِمُفَـوَّقِ

ق(51) / قَالَ العَـواذِلُ: مِـمَّ قَلْبُكَ ذَائِبٌ؟ ... فَأَجَبْتُهُمْ: مِمَّا لَقِي مِنْ مَالِقِي[3]

لَـوْ أَرْتَـوِي فِـي رَيَّـةٍ مِـنْ رِيقِـهِ ... لَسَكِرْتُ مِنْ خَمْرِ اللَّمَى بِمُعَتَّقِ

وَرَشَفْـتُ كَـأْسَ الثَّغْـرِ بَيْـنَ أَقَـاحَـةٍ ... وَمُضَـاعَـفٍ مِـنْ وَرْدِ خَـدٍّ مُـونِـقِ

وَجَعَلْـتُ لَثْـمَ الخَـالِ نُقْلِي بَعْدَهَا ... وَخَتَمْتُهَـا مِـنْ مِسْكِـهِ بِمُفَتَّـقِ

وَاللهِ مَـا قَـوْلِـي لِـذَا بِحَقِيقَـةٍ ... كَـلاَّ وَلاَ عِلْمِـي بِـهِ بِمُحَقَّـقِ

لَكِـنْ أَطَعْـتُ الشِّعْـرَ فِـي أَغْـرَاضِـهِ ... وَجَـرَيْـتُ فِيـهِ لِغَـايَـةٍ لَـمْ تُلْحَـقِ

وَجَعَلْتُـهُ سَبَبـاً[4] لِمَـدْحِ خَلِيفَـةٍ ... مَـلأَ الـوُجُـودَ مَحَـاسِنـاً لَـمْ تُسْبَـقِ

وَعَـوَائِـدُ الشُّعَـرَاءِ عِنْـدَ نَسِيبِهَـا ... تَـأْتِـي بِـزُورٍ لِلـرُّوَاةِ مُلَفَّـقِ

وَاللهِ مَـا هَـذِي الحَيَـاةُ وَمَـا حَـوَتْ ... إِلاَّ مَنَـامٌ حُلْمُـهُ لَـمْ يَصْـدُقِ

شَيْـبٌ يَكُـرُّ عَلَـى شَبَـابٍ مِثْلَمَـا ... كَـرَّ الصَّبَـاحُ عَلَى الظَّلاَمِ المُطْبَـقِ

---

(1) (2) (3) في الأصل بدون ياء في آخرها.

(4) فالنّسيب شكلي كما صرّح هو بذلك.

وَأَمَـامَنَـا سَفَـرٌ يَطُـولُ بِـهِ المَـدَى وَتَكِـلُّ فِيـهِ سَـابِقَـاتُ الأَيْنُـقِ
وَالـزَّادُ تَقْـوَى اللهِ، جَـلَّ جَـلاَلُـهُ، يَـا وَيْحَـهُ، وَاللهِ، مَـنْ لَـمْ يَتَّـقِ
فَعَسَـى الجِهَـادُ مَـعَ الغَنِـيِّ بِـرَبِّـهِ مُتَكَفِّـلٌ بِغِنَـى الفَقِيـرِ المُمْلِـقِ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الجِيَادَ وَقَادَهَا نَحْـوَ الجِهَـادِ بِعَـزْمَـةٍ لَـمْ تُخْفِـقِ
بِلِـوَاءِ مَنْصُـورٍ وَعَـزْمَـةِ وَاثِـقٍ وَحُسَـامِ سَفَّـاحٍ وَرَأْيِ مُـوَفَّـقِ
يَتْلُـو الغَمَـامَ بِصَـوْبِ جُـودٍ مُغْدِقٍ يَجْلُو الظَّلاَمَ بِصُبْحِ وَجْهٍ مُشْرِقِ
وَإِذَا دَجَـا لَيْـلُ القَتَـامِ أَنَـارَهُ بِضِيَـاءِ لَمَّـاعِ الصَفِيحَـةِ مُبْـرِقِ
سُـلَّ السُّعُـودَ وَخَـلِّ سَيْفَـكَ نَـائِمـاً وَاضْرِبْ بِهَا بَدَلَ الحُسَامِ المُونِقِ
وَاحْكُمْ فَحُكْمُ اللهِ يُمْضِي كُلَّ مَا تَخْتَـارُهُ فِـي مَغْـرِبٍ أَوْ مَشْـرِقِ

(87)

و(52) / وَمِنْهَا فِي غَرَضِ الشُّكْرِ عَنْ ظَهِيرٍ[1] أَصْدَرَهُ إِلَى وَلَدِهِ[2]:

[الكامل]

مَـوْلاَيَ نُعْمَـاكَ العَمِيمَـةُ بَلَّـدَتْ ذِهْنِي الصَّقِيلَ وَأَخْرَسَتْ مِنْ مَنْطِقِي[3]
وَافَـى الظَّهِيـرُ لِنَجْـلِ عَبْـدِكَ مُنْعِمًـا بِمَـوَاهِـبٍ مِـنْ بَحْـرِكَ المُتَـدَفِّـقِ
طَـوَّقْتَنَـا طَـوْقَ الحَمَـامِ أَيَـادِيـاً فَنِـدَاؤُنَـا بِـالشُّكْـرِ سَجْـعُ مُطَـوَّقِ
أَنَـا دَوْحَـةٌ سَقَّيْتَهَـا وَغَـرَسْتَهَـا وَرِضَـاكَ عَنْهَـا غَـايَـةٌ لَـم تُلْحَـقِ
فَتَرَعْرَعَتْ فِي رَوْضِ جُودِكَ وَٱرْتَوَتْ حَتَّـى أَتَـتْ مِنْهَـا بِفَـرْعٍ مُـورِقِ
سَمَّيْتَـهُ[4] غَـذَّيْتَـهُ رَشَّحْتَـهُ وَشَّحْتَـهُ بِـوِشَـاحِ عِـزٍّ رَيِّـقِ

(1) أي شهادة أو منشور (القاموس 2/80 ـ 81).
(2) أي ولد ابن زمرك.
(3) في الأصل بدون ياء في آخرها.
(4) الغني بالله هو الذي سمى ولد ابن زمرك.

لَمْ يَدْرِ غَيْرَكَ يَا خَلِيفَةَ رَبِّهِ وَكَذَاكَ وَالِدُهُ وَأَنْتَ مُصَدِّقِي[1]

(88)

وَقَالَ مِن قَصِيدَةٍ هُنَالِكَ[2] أَيْضاً ويمدحه رَحمة الله عَلَيه:

[مجزوء الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي ذِي النَّوَى مِنْ بَعْدِهَا هَلْ نَلْتَقِي[3]
قَلْبٌ تَذُوبُ بِالجَوَى أَفْلَاذُهُ مِمَّا لَقِي[3]
مَنْ مُنْصِفٌ فِي ذَا الهَوَى غَرْنَاطَةَ مِنْ مَالِقِي[3]؟
مَالَقَةٌ مُذْ عُذْتُهَا قَدْ عَادَ جَفْنِي أَرِقِي[3]
مَصَايِدُ القَلْبِ بِهَا مَبْثُوثَةٌ فِي الطُّرُقِ
لَمْ يُضْمِ قَلْبِي بَيْنَهَا إلَّا سِهَامُ الحَدَقِ
مِنْ بَعْدِ مَا عَوَّذْتُهُ مِنْ وَجْهِهِ بِالفَلَقِ
ق(52) / أَشْكُو لِمَوْلَايَ الغَنِي بِاللهِ مِمَّا أَتَّقِي[3]
مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفِ الْملِكِ المُوَفَّقِ
مَنْ مَدَّ ظِلَّ عَدْلِهِ فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ
نَوَاسِمٌ مِنْ حَمْدِهِ عَلَى رِيَاضِ الخُلُقِ
قَدْ عُطِّرَتْ أَرْجَاؤُنَا مِنْ مِسْكِهِ المُفَتَّقِ
فَاللهُ يُجْرِي سَعْدَهُ لِغَايَةٍ لَمْ تُلْحَقِ

(1) في الأصل بدون ياء في آخرها.
(2) أي بمالقة.
(3) في الأصل في الآخر بدون ياء.

وقال ايضاً من قصيدة يمدحه[1] رضي الله عنه ويصف الرَّوْضَ[2] والدُّولاَبَ[3]:

[الكامل]

فَـاعْلَـمْ وَعِلْمُـكَ لاَ يُفَـادُ غَـرِيبَـةً   أَنَّ المُلُـوكَ لِفَضْـلِ مُلْكِـكَ حُسَّـدُ

وَالطَّيْـرُ أَلْسِنَـةٌ عَلَيْـكَ ثَنَـاؤُهَـا   وَالـدَّوْحُ أَلْـوِيَـةٌ لِنَصْـرِكَ تُعْقَـدُ

وَالنُّـورُ ثَغْـرٌ مِـنْ سُعُـودِكَ بَـاسِـمٌ   وَالغُصْـنُ جِيـدٌ مِـنْ حُـلاَكَ يُقَلَّـدُ

وَالأُفْـقُ فَـوْقَـكَ قُبَّـةٌ مَحْبُـوكَـةٌ   وَالبَـدْرُ تَـاجٌ وَالنُّجُـومُ مُقَلَّـدُ

وَالغَيْـثُ إِنْ وَافَـى رِيَاضَـكَ زَائِـراً   فَلَـهُ لِجُـودِكَ نِسْبَـةٌ لاَ تُجْحَـدُ

مَـا جَـاءَ إِلاَّ لِلْهَنَـاءِ أَمَـا تَـرَى   لِلْبَـرْقِ فِيـهِ تَبَسُّـمٌ يَتَـرَدَّدُ؟

فَـاشْكُـرْ صَنِيـعَ اللهِ فِيـهِ فَـإِنَّمَـا   نِعَـمُ الإِلاَهِ بِشُكْـرِهَـا تَتَـزَيَّـدُ

أَوَمَـا تَـرَى أَدْوَاحَهَـا وَظِـلاَلَهَـا   لِلَّـهِ خَـالِقِهَـا المُهَيْمِـنِ تَسْجُـدُ

و(53) / وَالغُصْـنُ فِيهَـا قَـائِـمٌ مُتَهَجِّـدُ   وَالنَّهْـرُ فِيهَـا سَـالِـكٌ مُتَجَـرِّدُ

وَمُـوَاصِـلٍ رَجْـعَ الحَنِيـنِ وَدَمْعُـهُ   يَسْقِـي الـرِّيَـاضَ جُمَـانُـهُ ٱلْمُتَبَـدِّدُ

حَمَـلَ المِيَـاهَ وَشَـوْقُـهُ مُتَلَهِّـبٌ   وَحَشَـاهُ مِـنْ حَـرِّ الجَـوَى مُتَـوَقِّـدُ

كَالعِيسِ فِي البَيْدَاءِ تَشْكُو بِالظَّمَا   وَالمَـاءُ فَـوْقَ ظُهُـورِهَـا مُتَـزَوَّدُ[4]

كَـالصَّـبِّ أَعْـوَزَهُ الـوِصَـالُ فَـدَمْعُـهُ   مُتَحَـدِّرٌ وَزَفِيـرُهُ مُتَصَعِّـدُ

فَلَـكٌ عَلَـى قُطْـبٍ يَـدُورُ لِحِكْمَـةٍ   عِنْـدَ الـرِّيَـاضِ ذِمَـامُهَـا يَتَـأَكَّـدُ

يُجْـرِي النُّجُـومَ فَبَعْضُهَـا مُتَغَيِّـبٌ   تَحْتَ الثَّرَى وَالبَعْضُ مِنْهَا يَصْعَدُ

---

(1) أي في مدح الغني بالله.

(2) أي حديقة القصر.

(3) هي ناعورة المياه واسْتِعْمَالُها كان شائعاً في الأندلس (ملحق دوزي ج 1 ص 477).

(4) مقتبسة من البيت:

كالعِيسِ فِي البَيْدَاءِ يَقْتُلُها الظَّمَا   والماءُ فـوْق ظُهُـورِهَا مَحْمُولُ

قُـلْ كَيْـفَ لاَ يُـزْهَـى بِبَـاهِـرِ حُسْنِـهِ   وَالبَـدْرُ تَـاجٌ وَالنُّجُـومُ مُقَلَّـدُ
يَسْقِي الرِّيَاضَ وَمَا حَفِظْنَ عُهُودَهُ   لَكِـنْ بِعَكْـسِ صِفَـاتِـهِ يَتَعَهَّـدُ
فَـإِذَا بَكَـى فَثُغُـورُهُـنَّ بَـوَاسِـمٌ   وَإِذَا شَكَـا فَطُيُـورُهُـنَّ تُغَـرِّدُ
وَإِذَا عَرُوسُ الرَّوْضِ يُبْصِرُ حُسْنَهَا   وَيُقِيـمُ مِـنْ شَـوْقٍ لَهَـا يَتَنَهَّـدُ
سَـلَّ السُّيُـوفَ وَفـي يَـدَيْـهِ رِيَـاسُهَـا   فَتَـرَاهُ يُبْـرِقُ بِـالـوَعِيـدِ وَيُـرْعِـدُ
إِنَّ السَّـوَانِـي فِـي المَغَـانِـي آيَـةٌ   بِـوُجُوبِ تَـوْحِيـدِ المُهَيْمِنِ تَشْهَـدُ
وَتَـرَى البُحَيْـرَةَ حَـوْلَـهُ مَصْقُـولَـةً   مِنْهَـا دُرُوعٌ بِـالصَّبَـا تَتَسَـرَّدُ
فَـإِذَا يَسُـلُّ حُسَـامَ نَهْـرٍ سَـائِـلٍ   لِلحِيـنِ فِـي دِرْعِ البُحَيْـرَةِ يُغْمَـدُ

(90)

وقال ونُقِش[1] دائراً بالقبة الكبرى[2] من الرياض السعيد الذي هو من عجائب المُلك في مباني مولانا الجد[3] رحمة الله عليه وقد تقدم أكثرها[4] ونصها: / ق(53)

(1) كل المقطوعات الموالية وهي من أشعار النقوش على قباب قصر الحمراء وجدرانه وطيقانه تُؤَكِّدُ قولاً لابن زمرك ذكره المقري نقلاً عن ابن الأحمر حفيد الغني بالله حين قال:
«(...) وكل ما في منازله السعيدة من القصور والرياض والدشار والسبيكة من نظم رائق ومدح فائق في القباب والطاقات والطرز وغير ذلك فهو لي [أي لابن زمرك] (...)» (راجع أزهار الرياض ج 2 ص 16 ـ 17).

(2) هـي القبـة الأساسية في قصور الحمراء التي جُدِّدت الكثير من معالمها في عهد الغني بالله (راجع دائرة المعارف: فصل «غرناطة» ط جديدة ج 2 ص 1041).

(3) هو الغني بالله.

(4) لم يتقدم ذكرها في المخطوط ممّا يؤكد سقوط جانب من المخطوط أو تلاشيه، وهي قصيدة وجدنا أبياتاً منها تطابق بعض الأبيات الموجودة في قصيدة أوردها المقري في أزهار الرياض: 69-71 ومطلعها:
سَلِ الأُفُقَ بِالزُّهْرِ الكواكِبِ حالِيا   فـإنّـي قَـدْ أَوْدَعْتُهُ شَـرْحَ حَـالِيَا

وهي قصيدة وصف فيها ابن زمرك آثار الغني بالله وواضح أن مطلعها يشبه إلى حد بعيد مطلع هذه القصيدة. أما الأبيات المتطابقة فهي ثمانية أبيات: الأبيات 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، من هذه القصيدة، وبينها فروق سوف نَعرض لها في أماكنها.

[الطويل]

أَنَا الرَّوْضُ قَدْ أَصْبَحْتُ بِالحُسْنِ حَالِيَا تَأَمَّلْ جَمَالِي تَسْتَفِدْ شَرْحَ حَالِيَا
أُبَاهِي مِنَ المَوْلَى الإِمَامِ مُحَمَّدٍ بِأَكْرَمِ مَنْ يَأْتِي وَمَنْ كَانَ مَاضِيَا
وَلِلَّهِ مَبْنَايَ الجَمِيلُ فَإِنَّهُ يَفُوقُ عَلَى حُكْمِ السُّعُودِ المَبَانِيَا
فَكَمْ فِيهِ لِلأَبْصَارِ مِن مُتَنَزَّهٍ تُجِدُّ بِهِ نَفْسُ الحَلِيمِ الأَمَانِيَا
تَبِيتُ لَهُ خَمْسُ الثُّرَيَا مُعِيذَةً وَيُصْبِحُ مُعْتَلُّ النَّوَاسِمِ رَاقِيَا
بِهِ القُبَّةُ الغَرَّاءُ قَلَّ نَظِيرُهَا تَرَى الحُسْنَ فِيهَا مُسْتَكِنًّا وَبَادِيَا
تَمُدُّ لَهَا الجَوْزَاءُ كَفَّ مُصَافِحٍ وَيَدْنُو لَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ مُنَاجِيَا
وَتَهْوَى النُّجُومُ الزُّهْرُ لَوْ ثَبَتَتْ بِهَا وَلَمْ تَكُ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ جَوَارِيَا
وَلَوْ مَثَلَتْ فِي سَاحَتَيْهَا وَسَابَقَتْ إِلَى خِدْمَةٍ تُرْضِيهِ مِنْهَا الجَوَارِيَا
ولاَ عَجَبٌ أَنْ فَاتَتِ الشُّهْبَ في العُلَى وَأَنْ جَاوَزَتْ فِيهِ المَدَى المُتَنَاهِيَا
فَبَيْنَ يَدَيْ مَوْلاَيَ قَامَتْ لِخِدْمَةٍ وَمَنْ خَدَمَ الأَعْلَى ٱسْتَفَادَ المَعَالِيَا
بِهَا[1] البَهْوُ قَدْ حَازَ البَهَاءَ وَقَدْ غَدَا بِهِ القَصْرُ آفَاقَ السَّمَاءِ مُبَاهِيَا
وَكَمْ حُلَّةٍ جَلَّلْتَهُ بِحُلِيِّهَا مِنَ الوَشْيِ تُنْسِي السَّابِرِيَّ اليَمَانِيَا
وَكَمْ مِنْ قِسِيٍّ فِي ذُرَاهُ تَرَفَّعَتْ عَلَى عُمُدٍ بِالنُّورِ بَاتَتْ حَوالِيَا
فَتَحْسِبُهَا الأَفلاَكَ دَارَتْ قِسِيُّهَا تُظِلُّ عَمُودَ الصُّبْحِ إِذْ لاَحَ بَادِيَا
سَوَارِيَ قَدْ جَاءَتْ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ فَطَارَتْ بِهَا الأَمْثَالُ تَجْرِي سَوَارِيَا
بِه المَرْمَرُ المَجْلُوُّ قَدْ شَفَّ نُورُهُ فَيَجْلُو مِنَ الظَّلْمَاءِ مَا كَانَ دَاجِيَا
و(54) / إِذَا مَا أَضَاءَتْ بِالشُّعَاعِ تَخَالُهَا عَلَى عِظَمِ الأَجْرَامِ مِنْهَا لآلِيَا
فَلَمْ[2] نَرَ قَصْراً مِنْهُ أَعْلَى مَظَاهِراً وَأَوْضَحَ[3] آفَاقاً وَأَفْسَحَ نَادِيَا

(1) أزهار: «به».
(2) أزهار: «وَلَمْ».
(3) أزهار: «أَرْفَع».

وَلَـمْ نَـرَ رَوْضـاً مِنْـهُ أَنْعَـمَ نَضْـرَةً ... وَأَعْطَـرَ أَرْجَـاءً وَأَحْلَـى مَجَـانِيَـا
مُصَـارَفَـةُ النَّقْـدَيْـنِ فِيـهِ بِمِثْلِهَـا ... أَجَازَ بِهَا قَاضِي الجَمَالِ التَّقَاضِيَا
فَإِنْ مَلأَتْ كَفَّ النَّسِيم مَعَ الضُّحَى ... دَرَاهِـمَ نَـوْرٍ ظَـلَّ عَنْهَـا مُكَـافِيـا
فيَمْلأُ حِجْرَ[1] الرَّوْضِ حَوْلَ غُصُونِهَا ... دَنَانِيرَ شَمْسٍ تَتْرُكُ الرَّوْضَ حَالِيَا
وَبَيْنِـي وَبَيْـنَ الفَتْـحِ أَشْـرَفُ نِسْبَـةٍ ... وَحَسْبُـكَ مِنْهَـا نِسْبَـةٌ هِـيَ مَـاهِيَـا

(91)

قال ونُقِشَ حول طيقان البهو من هذه القبة:

[الطويل]

لِيَ المَرْقَبُ الأَسْمَى لِيَ المَظْهَرُ الأَعْلَى ... وَأَفْلَحَ فِي نَصِّ الكِتَابِ مَنِ ٱسْتَعْلَى
وَقَدْ حُزْتُ مِنْ كُلِّ المَحَاسِنِ غَايَةً ... تُقَصِّرُ عَنْهَا الشُّهْبُ فِي الأُفُقِ الأَعْلَى
وَإِنِّـي بِهَـذَا الـرَّوْضِ عَيْـنٌ قَـرِيـرَةٌ ... وَإِنْسَانُ تِلْكَ العَيْنِ حقًّا هُوَ المَوْلَى
مُحَمَّـدٌ المَحْمُـودُ بِـالبَـأْسِ وَالنَّـدَى ... وذُو الصِّيتِ مَا أَعَلَى وَذُو الهَدْيِ مَا أَجْلَى
تَجَلَّـى بِـأُفْقِ المُلْـكِ بَـدْرَ هِـدَايَـةٍ ... فَـآثَـارُهُ تُتْلَـى وَأَنْـوَارُهُ تُجْلَـى
وَمَـا هُـوَ إِلاَّ الشَّمْـسُ حَـلَّ بِمَنْـزِلٍ ... أُفِـيءُ عَلَيْـهِ كُـلَّ حِيـنٍ بِـهِ ظِـلاَّ
يُطَـالِـعُ مِنِّي حَضْـرَةَ المُلْـكِ كُلَّمَـا ... تَجَلَّى بِكُرْسِيِّ الخِلاَفَةِ فَٱسْتَجْلَى
فيُرْسِلُ طَرْفَ الطَّرْفِ فِي مَلْعَبِ الصِّبَا ... فَيَرْجِعُ مُرْتَاحَ المَعَاطِفِ قَدْ جَلَّى
مَنَـازِلُ فِيهَـا لِلْعُيُـونِ مَنَـازِهٌ ... تُقَيِّدُ فِيهَا الطَّرْفَ أَوْ تَعْقِلُ العَقْلا
ق(54) / وَجَـاذَبَهَـا بُـرْدَ الهَـوَاءِ نَسِيمُهَـا ... فَصَحَّـتْ هَـوَاءً والنَّسِيـمُ قَـدِ ٱعْتَـلاَّ
وَأَبْـدَى بِهَـا أُفْـقُ الـزُّجَـاجِ عَجَـائِبـا ... تُخَطُّ عَلَى صَفْحِ الجَمَالِ وَتُسْتَمْلَى
تَعَـدَّدَ مِنْهَـا اللَّـوْنُ وَالنُّـورُ وَاحِـدٌ ... فإِنْ شِئْتَ قُلْ ضِدّاً وَإِنْ شِئْتَ قُلْ مِثْلاَ
فَمُتِّـعَ مَـوْلاَنَـا بِجَنَّـةِ خُلْـدِهَـا ... جَزَاءً بِمَا وَالَى الجَمِيلَ الذِي أَوْلَى

(1) في الأصل «حَجْر» هكذا بالفتح.

(92)

وقال ونُقِشَ على قوسَيْ الطاقين من البهو وكلاهما شكلٌ غيرُ مُجَوَّف:

[الخفيف]

كُـلُّ صُنْـعٍ أَهْـدَى إِلَـيَّ جَمَـالَـهْ ... وَحَبَـانِـي بَهَـاءَهُ وَكَمَـالَـهْ
مَـنْ رَآنِـي يَظُنُّنِـي كَلِـدَاتِـي ... (تَخْطُبُ الإبْرِيقَ تَبْغِي أَنْ تَنَالَهْ)[1]
فَـإِذَا مُبْصِـرِي تَـأَمَّـلَ حُسْنِـي ... أَكْـذَبَ الحِسُّ بِـالعِيَـانِ خَيَـالَـهْ
وَرَأَى البَـدْرَ مِـنْ شُفُـوفِ ضِيَـائِي ... حَـلَّ طَـوْعَ السُّعُـودِ مِنِّـيَ هَـالَـهْ
لَسْتُ وَحْدِي قَدْ أَطْلَعَ الرَّوْضُ مِنِّي ... عَجَبـاً لَـمْ تَـرَ العُيُـونُ مِثَـالَـهْ
ذَاكَ صَـرْحُ الـزُّجَـاجِ مَـنْ قَـدْ رَآهُ ... ظَنَّـهُ لُجَّـةً تَـرُوعُ وَهَـالَـهْ
كُـلُّ هَـذَا صُنْـعُ الإِمَـامِ ٱبْـنِ نَصْـرٍ ... حَـرَسَ اللّـهُ فِـي المُلُـوكِ جَـلَالَـهْ
آلُـهُ فِـي القَـدِيـمِ حَـازُوا المَعَـالِي ... وَهُـمُ آوَوُا النَّبِـيَّ وَآلَـهْ

(93)

وقال ونُقِش على الطاقين من باب القبة:

[الكامل]

هَـذِي القِسِـيُّ تُشَـابِـهُ الأَفْـلَاكَـا ... مِنْ صُنْعِ مَنْ قَدْ شَرَّفَ الأَمْلَاكَا
و(55) وَكَـأَنَّمَـا إِبْـرِيقُهَـا مَلِـكٌ وَقَـدْ ... نُظِـمَ المَـدِيـحُ بِتَـاجِـهِ أَسْـلَاكَـا
فَـانْظُـرْ جَمَـالاً يَسْتَفِـزُّ ذَوِي النُّهـى ... إِنْ كُنْـتَ تَهْـوَى غَيْـرَهُ أَسْـلَاكَـا
يَـا قَصْـرُ شُكْـراً لِـلإِمَـامِ مُحَمَّـدٍ ... فَهْـوَ الَّـذِي بِجَمَـالِـهِ حَـلَّاكَـا
وَحَبَـاكَ بِـالـرَّوْضِ الأَنِيـقِ فَـزَهْـرُهُ ... مُتَبَسِّـمٌ لَمَّـا ٱزْدَهَتْـهُ حُـلَاكَـا

(1) في الأصل علّق الناسخ في الهامش بقوله: «كذا وقع له عجز هذا البيت مخالفاً لعروض الأبيات». وصحيح أن القصيدة وزنها الخفيف وهذا من الرمل.

لَا زَالَ فِي أُفْقِ الخِلَافَةِ نَيِّراً   يَجْلُو بِبَاهِرِ عَدْلِهِ الأَحْلَاكَا

(94)

وقال ونُقِشَ في القبة الغربية منه:

[الطويل]

مَظَاهِرِيَ العُلْيَا طَرِيقَتِيَ المُثْلَا   أَبَى الحُسْنُ أَنْ تُلْفِي لَهَا أَبَداً مِثْلَا
وَخَاتَمِيَ الأَعْلَى عَلَيَّ تَمِيمَةٌ   مُعَوِّذَةٌ مَوْلَايَ بِالمَلَإِ الأَعْلَى
هُوَ الأُفْقُ يُبْدِي لِلزُّجَاجِ كَوَاكِباً   زَوَاهِرَ نُورُ الشَّمْسِ فِيْ صَفْحِهَا يُجْلَى
فَدَامَ قَرِيرَ العَيْنِ مِنْهُ بِغِبْطَةٍ   يُنَظِّمُ لِلإِسْلَامِ فِي رَبْعِهِ شَمْلَا
عَمِيدُ بَنِي نَصْرٍ مُحَمَّدُهَا المَوْلَى   بِكُلِّ فَخَارٍ فِي الوُجُودِ هُوَ الأَوْلَى
تُبَاهِي بِهِ الدُّنْيَا مُلُوكَ زَمَانِهِ   بِأَرْجَحِهِمْ حِلْماً وَأَوْفَرِهِمْ عَقْلَا
وَأَوْدَعَ مَوْلَانَا جَوَاهِرَ حِكْمَةٍ   مُفَصَّلَةٍ جِيدَ الزَّمَانِ بِهَا حَلَّى

(95)

وعلى طَاقَيْ الباب منها في الواحد[1]:

[الكامل]

إِنَّ الإِمَامَ مُحَمَّداً[2] وَرِثَ العُلَى   كَأَبِيهِ مَوْلَانَا أَبِي الحَجَّاجِ[3]
ق(55) / فَانْظُرْ إِلَى الإِبْرِيقِ قَامَ بِبَابِهِ   فَحَفَفْتُهُ بِالوَشْيِ كَالدِّيبَاجِ
وَقَدِ اعْتَلَى الكُرْسِيَّ تَحْسِبُ أَنَّهُ   سُلْطَانُ فَارِسَ قَاعِداً بِالتَّاجِ

(1) أي في كل واحد.
(2) هو الغني بالله.
(3) هو أبو الحجاج يوسف والد الغني بالله.

(96)

وفي الطاق الآخر:

[البسيط]

نَالَ ٱبْنُ نصْرٍ بِهَذَا القَصْرِ مَا ٱقْتَرَحَا   فَبَابُهُ لِعَزِيزِ النَّصْرِ قَدْ فُتِحَا
فانْظُرْ لإِبْرِيقِ مِحْرَابِي تَرَاهُ بِهِ   مِثْلَ الإمَامِ إِذَا صَلاَتَهُ ٱفْتَتَحَا[1]
أَدَامَ رَبِّي لِمَوْلاَيَ البَقَاءَ كَمَا   أَدَامَ لِلدِّينَ والدُّنْيَا بِهِ المِنَحَا

(97)

وقال وَنقش في خصّة الرخام القائمة هنالك على الأُسُودِ[2] الموضوعة كالمِثَالِ[3] لجمع وَاضِعِهَا رضوان الله عليه بين البأس والجود:

[الطويل]

تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى الإمَامَ مُحَمَّداً   مَعَانِيَ زَانَتْ بِالجَمَالِ المَغَانِيَا
وَإِلاَّ فَهَذَا الرَّوْضُ فِيهِ بَدَائِعٌ   أَبَى اللَّهُ أَنْ يُلْفِي لَهَا الحُسْنُ ثَانِيَا
وَمَنْحُوتَةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ شَفَّ نُورُهَا   تُحَلِّي بِمُرْفَضِّ الجُمَانِ النَّوَاحِيَا
بِذَوْبِ لُجَيْنٍ سَالَ بَيْنَ جَوَاهِرٍ   غَدَا مِثْلَهَا في الحُسْنِ أَبْيَضَ صَافِيَا
تَشَابَهَ جَارٍ لِلْعُيُونِ بِجَامِدٍ   فَلَمْ أَدْرِ أَيًّا مِنْهُمَا كَانَ جَارِيَا
و(56) / أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَاءَ يَجْرِي بِصَفْحِهَا   وَلَكِنَّهَا[4] سَدَّتْ عَلَيْهِ المَجَارِيَا
كَمِثْلِ مُحِبٍّ فَاضَ بِالدَّمْعِ جَفْنُهُ   وَغَيَّضَ ذَاكَ الدَّمْعَ إِذْ خَافَ وَاشِيَا

(1) الوزن لا يستقيم في العجز ولم نهتد لإصلاحه.
(2) الأسُود المعروفة الموجودة في قاعة الأسود والتي ينبع الماء من أفواهها.
(3) إنها ترمز إلى خَصْلَتَيْن في واضعها نفسه هما البأس والجود (تدفق الماء).
(4) في الأصل: لاكنّها، هكذا.

وَهَلْ هِيَ فِي التَّحْقِيقِ غَيْرُ غَمَامَةٍ تُفِيضُ إِلَى الآسَادِ مِنْهَا السَّوَاقِيَا
وَقَدْ أَشْبَهَتْ كَفَّ الخَلِيفَةِ إِذْ غَدَتْ تُفِيضُ إِلَى أُسْدِ الجِهَادِ الأَيَادِيَا
وَيَا مَنْ رَأى الآسَادَ وَهْيَ رَوَابِضٌ عَدَاهَا الحَيَا عَنْ أَنْ تَكُونَ عَوَادِيَا
وَيَا وَارِثَ الأَنْصَارِ لاَ عَنْ كَلاَلَةٍ تُرَاثُ جَلاَلٍ يَسْتَخِفُّ الرَّوَاسِيَا
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ فَاسْلَمْ مُخَلَّداً تُجَدِّدُ أَعْيَاداً وَتُبْلِي أَعَادِيَا

(98)

وقال مِمَّا نُقِشَ بالدِّشَارِ[1] على الطاقةِ الواحدةِ بباب القبة الشرقية:

[الكامل]

هَـذِي المَنَازِهُ لِلسُّعُودِ مَنَازِلُ وَبِهَا يُبَلَّغُ مَا يَشَاءُ الآمِلُ
يَا حَبَّذَا زُهْرُ الْوُجُوهِ بِأُفْقِهَا تُجْلَى بُدُوراً وَالقِبَابُ مَنَازِلُ
كَمْ سَائِلٍ عَمَّا حَوَتْهُ أَجَبْتُهُ: بَحْرُ النَّدَى وَالجُودِ فِيهَا سَائِلُ
أَوَمَا تَرَى الإِبْرِيقَ فِي أَبْوَابِهَا وَكَأَنَّمَا قَصَدَ الخَلِيفَةَ سَائِلُ
سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ المَحَاسِنَ كُلَّهَا فِيمَا يُشَيِّدُهُ الإِمَامُ العَادِلُ

(99)

وعلى التي[2] تناظرها:

[الكامل]

يَا مَنْ تَعَجَّبَ مِنْ مَحَاسِنِ مَجْلِسِ سَبِّحْ وَنَزِّهْ مَا ٱسْتَطَعْتَ وَقَدِّسِ
ق(56) / وَٱنْظُرْ عَجَائِبَ حَارَ فِي إِبْدَاعِهَا إِحْكَامُ كُلِّ مُهَنْدِمٍ وَمُهَنْدِسِ
/ تَهْوَى التَّشَرُّفَ وَالمُثُولَ بِسَاحَتِي مِنْ عُلْوِهَا زُهْرُ الجَوَارِي الكُنَّسِ

---

(1) يريد به الدَّسْكَرَة أو البستان (راجع دوزي، ملحق I، 443).
(2) أي على الطاقة التي تناظرها.

وَتَقُولُ مُنْشِدَةً بِأَلْسُنِ حَالِهَا: حَيْثُ ٱنْتَهَيْتُ فَثَمَّ صَدْرُ المَجْلِسِ
آثَارُ مَوْلاَنَا الإمَامِ مُحَمَّدٍ نُزَهُ العُيُونِ وَبَهْجَةٌ لِلأَنْفُسِ

(100)

وعلى الطاقة التي بباب القبة الغربية هنالك أيضاً:

[المجتث]

لِلَّهِ مَرْقَبُ تَاجِي مِنْ فَوْقِ تَاجِ السَّبِيكَهْ
كَأَنَّ شَكْلِي مَصُوغٌ مِنَ النُّضَارِ سَبِيكَهْ
فَالشَّمْسُ تَخْجَلُ مِنِّي بِضَرَّةٍ وَشَرِيكَهْ
لاَ سِيَّمَا إنْ تَبَدَّى مَوْلاَيَ فَوْقَ الأَرِيكَهْ
كُلُّ القِيَانِ عَبِيدٌ وَأَنْتِ فِيهُمْ مَلِيكَهْ

(101)

وعلى الأخرى[1] التي تقابلها:

[المجتث]

ٱنْظُرْ لِرَوضٍ مُحَلَّى مِثْلَ العَرُوسِ المُجَلَّى
وَقُبَّةَ المُلْكِ حَازَتْ فَوْقَ النُّجُومِ مَحَلاَّ
رُفِعْتُ قَوْسَ سَمَاءٍ تَرْمِي مِنَ السَّعْدِ نَبْلاَ
وَلُحْتُ مَظْهَرَ حُسْنٍ بِهِ الأَبَارِيقُ تُجْلَى
و(57) / فَخْرُ الإمَامِ ٱبْنِ نَصْرٍ جَدِيدُهُ لَيْسَ يَبْلَى

(1) أي على الطاقة الأخرى.

وقال يمدح أيضاً مولانا الجدّ[1] رضي الله عنه ويُهَنّئُ بمولود لعمنا الأمير نصر[2] رحمة الله عليه من قصيدة مطلعها:

[الطويل]

هَنَاءٌ بِنَصْرِ الدِّينِ أَنْجَزَ مَوْعِدَا ... زَجَرْنَا بِهِ الطَّيْرَ المَيَامِينَ أَسْعُدَا

وَقَامَتْ لَهُ فَوْقَ المَنَابِرِ دَعْوَةٌ ... يُنَظِّمُ مِنْهَا الفَتْحُ عِقْداً مُنَضَّدَا

وَمَدَّ عَلَى الإِسْلاَمِ ظِلَّ عِنَايَةٍ ... فَآوَى إِلَى أَفْيَائِهِ مُتَوَسِّدَا

وَبُشْرَى كَمَا شَعْشَعْتَ بَرْقَ غَمَامَةٍ ... يُضَاحِكُهَا بِشْراً فَتَسْمَحُ بِالنَّدَى

يُحَيِّي بِهَا الإِسْلاَمُ خَيْرَ خَلِيفَةٍ ... تَعَوَّدَ نَصْرَ الله فِيمَا تَعَوَّدَا

ومنها[3]:

هُوَ العَلَمُ الخَفَّاقُ فِي هَضْبَةِ العُلَى ... هُوَ النَيِّرُ المَرْقُوبُ فِي أُفُقِ الهُدَى

أَجَلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ قَدْراً وَرِفْعَةً ... وَأَشْرَفُهُمْ فِي أُسْرَةِ الفَخْرِ مُنْتَدَى

وَأَوْفَرُهُمْ حِلْماً وَأَبْهَرُهُمْ حُلَى ... وَأَوْسَعُهُمْ رِفْداً وَأَكْرَمُهُم جَدَا

وَأَسْمَاهُمُ جَدًّا وَأَشْرَفُهُمْ أَباً ... وَأَعْظَمُهُمْ فَخْراً وَأَسْمَحُهُمْ يَدَا

وغَوْثُ مَنِ ٱسْتَعْدَى وَلَيْثُ مَنِ ٱعْتَدَى ... وغَيْثُ مَنِ ٱسْتَجدَى وَبَدْرُ مَنِ ٱهْتَدَى

خِلاَلٌ كَمَا جَادَ الغَمَامُ خَمِيلَةً ... وَبَأْسٌ كَمَا سَلَّ الكَمِيُّ المُهَنَّدَا

ق(57) / وَبِشْرٌ إِذَا مَا جِئْتَ تَسْأَلُ رِفْدَهُ ... كَمَا ٱشْتَمَلَ الإِصْبَاحُ بِالنُّورِ وَٱرْتَدَى

وَقَلْبٌ كَسَاهُ النُّورُ فَضْلَ مُلاَءَةٍ ... فَعَادَ لَهُ غَيْبُ الحَقَائِقِ مَشْهَدَا

يَجُولُ وَرَاءَ الغَيْبِ مِنْهُ بِفِكْرَةٍ ... لَهَا كُلُّ مَسْتُورِ العَوَاقِبِ قَدْ بَدَا

---

(1) أي الغني بالله.

(2) ابن الغني بالله، مات مقتولاً مع أخويه محمد وسعد قتلهم أخوهم يوسف عند توليه الحكم بعد الغني بالله وقد شك في أمرهم سنة 793 هـ (راجع ابن الخطيب: اللمحة البدرية 24؛ ابن خلدون: التاريخ مجلد 4/384).

(3) هكذا جاء في الطرّة

تَرُوحُ وَتَغْدُو مِنْهُ سُحْبُ مَكَارِمٍ ... يَجُودُ نَدَاهَا كُلَّ مَنْ رَاحَ وَٱغْتَدَى

يُفَجِّرُ مِنْ يُمْنَيْهِ[1] عَشْرَةَ أَبْحُرٍ ... تُظَنُّ غَمَاماً كَوْنَهَا تَصْحَبُ اليَدَا

تَعَوَّدَ لِلْفَتْحِ المُبِينِ عَوَائِداً ... فَلاَ قَطَعَ الرَّحْمَنُ مَا كَانَ عَوَّدَا

وَحَقٌّ عَلَى الإِسْلاَمِ يُنْشِدُ أَهْلَهُ: ... (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا)[2]

تَقُولُ مُلُوكُ الأَرْضِ إِنْ ذُكِرَ ٱسْمُهُ: ... تَبَارَكَ مَنْ سَمَّى الإِمَامَ مُحَمَّدَا

فَيَا فَاتِحَ الأَمْصَارِ بِالسَّيْفِ عَنْوَةً ... وَيَا وَارِثَ الأَنْصَارِ مَجْداً وَسُؤْدَدَا

وَحَقِّكَ يَا ٱبْنَ السَّابِقِينَ إِلى الهُدَى ... وَكُلُّهُمُ فِي حَلْبَةِ الفَخْرِ أَبْعَدَا

لَقَدْ حُزْتَ مِنْ فَوْقِ الكَوَاكِبِ مُرْتَقًى ... وَجُزْتَ نِهَايَاتِ الكَمَالِ مَدًى مَدَى

فَشُكْراً لِمَنْ سَمَّاكَ بِاسْمِ نَبِيِّهِ ... وَحَسْبُكَ بِاسْمٍ فِي الكِتَابِ تَرَدَّدَا

وَسَنَّى لَكَ الفَتْحَ المُبِينَ بِجَاهِهِ ... وَأَوْرَثَكَ الفَخْرَ العَمِيمَ المُخَلَّدَا

وَرَفَّعَ مِنْكَ القَدْرَ فِي مَظْهَرِ العُلَى ... وَأَطْلَعَ مِنْكَ البَدْرَ فِي أُفُقِ الهُدَى

وَأَنْزَلَ فِي الأَنْصَارِ وَحْياً مُرَتَّلاً ... وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِالبَسَالَةِ وَالنَّدَى

وَمَا بَعْدَ سَعْدٍ[3] فِي السِّيَادَةِ مَفْخَرٌ ... فَسَيِّدُ هَذَا الخَلْقِ سَمَّاهُ سَيِّدا[4]

وَأَكْرِمْ بِيَوْمِ الفَتْحِ فَتْحِ تِهَامَةٍ[5] ... وَقَدْ أَتْهَمَ النَّصْرُ العَزِيزُ وَأَنْجَدَا

فَفِي يَدِهِ كَانَ اللِّوَاءُ وَإِنَّهُ ... لَيَقْدُمُ خَيْرَ العَالَمِينَ مُحَمَّدَا

وَخَافَتْ قُرَيْشٌ بَأْسَهُ وَحِفَاظَهُ ... لِذَاكَ أَتَى العَبَّاسُ[6] لِلْعَهْدِ مُنْشِدَا

و(58) / فَأَعْطَاهُ قَيْساً[7] بَعْدَ سَعْدٍ كَرَامَةً ... وَأَلْقَى عَلَيْهِ رَحْمَةً وَتَوَدُّدَا

---

(1) هكذا في الأصل.

(2) تضمين لصدر بيت مشهور للمتنبي، عجزه «وعادَةُ سَيْفِ الدولة الطَعْنُ في العِدَا» (الديوان (ط. البرقوقي) 2/3).

(3) هو سعد بن عبادة الصحابي رضي الله عنه.

(4) كان سيد الخزرج.

(5) أي فتح مكة.

(6) هو العباس بن عبد المطلب، عم الرسول عليه السلام وقد أسلم بعد فتح مكة.

(7) هو ابن سعد بن عبادة.

وتِلْكَ التَّي تَسْرِي إلى ضَوْءِ نُورِهَا فَتَنْصُرُ دِينَ الله نَصْراً مُؤَيَّدَا
فَكَمْ مِنْ لِوَاءِ يَوْمَ فَتْحِ نَشَرْتَهُ تُتَمِّمُ مَا قَد كَانَ مِنْ ذَلِكَ ٱبْتَدَا
أَمَا وَالذَّي سَوَّى السَمَاوَاتِ واْسْتَوَى عَلَى العَرْشِ رَحْمَاناً رَحِيماً مُمَجَّدَا
وَأَوْسَعَ هَذَا الكَوْنَ جُوداً وَرَحْمَةً وَمِنْ عَدَمِ هَذِي الخَلِيقَةَ أَوْجَدَا
وَيَسَّرَ لِلْيُسْرَى وَوَفَّقَ مَنْ هَدَى وَأَشْقَى عَلَى حُكْمِ القَضَاءِ وَأَسْعَدَا
وَقَيَّضَ لِلْخَلْقِ النَبِيِّينَ رَحْمَةً وَذِكْرَى وَلَمْ يَتْرُكْ خَلِيقَتَهُ سُدَى
لَقَدْ خَلَفَ الأَنْصَارُ مِنْكَ خَلِيفَةً جَرَى خَلْفَهَا فِي الفَخْرِ فَاسْتَبَقَ المَدَا
أَعَادَ لَهَا أَعْيَادَ نَصْرِ نَبِيِّهَا وَجَدَّدَ عَهْداً لِلْجِهَادِ مُؤَكَّدَا
يُعِيدُ وَيُبْدِي قَاصِداً وَجْهَ رَبِّهِ وَمَا ثَمَّ شَيْءٌ قَدْ عَدَا بَعْدَمَا بَدَا
بِمَنْ حَفَّتِ الرَّايَاتُ تَحْسِبُ أَنَّهَا أَزَاهِرُ رَوْضٍ دبَّجَتْهَا يَدُ النَّدَى
وَمَنْ أَعْقَبَ الفَتْحَ المُبِينَ بِمِثْلِهِ وَأَغْرَى بِذِي التَثْلِيثِ فِيهِ المُوَحِّدَا
وَمَنْ يُقْدِمُ الأَبْطَالَ يَسْرِي أَمَامَهَا مِنَ الرُّعْبِ جَيْشٌ لاَ يَزَالُ مُؤَيَّدَا
وَهَالاَتِ جَيْشٍ خَلْفَ سُحْبِ عَجَاجَةٍ تَحُفُّ بِبَدْرٍ بِالكَمَالِ قَدِ ٱرْتَدَى
سِوَى مَلِكٍ زَانَ الوُجُودَ وُجُودُهُ وَأَصْدَرَ فِي ذَاتِ الإلَهِ وَأَوْرَدَا

ومنها:

عَقَدْتَ بِأَعْرَافِ الجِيَادِ عَزِيمَةً تَلاَ حِزْبُكَ الأَنْفَالَ مِنْهَا مُجَوِّدَا
وَأَجْرَيْتَ فِي سُحْبِ القَتَامِ بَوَارِقاً تَرَى ٱلْبَرْقَ فِي آثَارِهَا مُتَرَدِّدَا
تَخُطُّ على ٱلْصُّمِّ الصِّلابِ مَحَارِباً أَقَامَتْ بِهَا صَرْعَى حُسَامِكَ مَسْجِدا
أَرَيْتَهُمُ نَارَ الظُّبَا فَتَمَجَّسُوا وَخَرُّوا لَهَا فَوْقَ البَسِيطَةِ سُجَّدَا
ق(58) / وَكَمْ ذَابِلٍ يَهْتَزُّ فِي كَفِّ دَارِعٍ فَقُلْتُ قَضِيبٌ فِي غَدِيرٍ تَأَوَّدَا
وَكَمْ دَارِعٍ يَأْوِي إلى ظِلِّ رَايَةٍ فَقُلْتُ غَدِيرٌ تَحتَ دَوْحٍ تَسَرَّدَا
وَكَمْ رَايَةٍ حَامَتْ عَلَى فَتْحِ مَعْقِلٍ فقُلْتُ عُقَابٌ حَوْلَ وَكْرٍ تَلَدَّدَا
وَنَجْمِ سِنَانٍ في دُجَا النَّقْعِ ثَاقِبٍ إذَا مَا خَبَا نَجْمُ السَّمَاءِ تَوَقَّدَا
وسُحْبِ قَتَامٍ بِالسِّهَامِ مُرِشَّةٍ إذَا أَمْطَرَتْ نَارَ الحُرُوبِ تَزَيَّدَا

وأَبْيَـضَ رَقْـرَاقِ الصَّفِيـحِ بِنَهْـرِهِ   قَد ٱسْتَعْذَبَتْ أَهْلُ ٱلْضَّلاَلَةِ مَوْرِدَا
اذَا مَا طَفَتْ فِيهِ حُبَابُ رُؤُوسِهِمْ   رَأَيْـتَ لَـهُ خَـدًّا أَسِيـلاً مُـوَرَّدَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ السَّيْفِ يَضْحَكُ فَاتِكاً   وَيَكْسُـو ثِيَابَ الفَخْـرِ مَهْمَـا تَجَـرَّدَا
صَفِيحَةُ هِنْـدٍ بَـلْ صَحِيفَـةُ كَـاتِـبٍ   تُخَـطُّ بِهَـا آجَالُ مَـنْ ضَـلَّ وَٱعْتَـدَا
إِذَا أَنْتَ جَرَّدْتَ السُّعُودَ عَلَى العِدَى   فَخَـلِّ الحُسَـامَ الهُنْـدُوَانِـيَّ مُغْمَـدَا
وَكَـمْ صَعْـدَةٍ تَسْمُـو لِأَبْعَـدِ مُرْتَقَـى   بِنَجْـمِ سِنَـانٍ رَامَ لِلْشُّهْـبِ مَصْعَـدَا
وَصَلْتَ بِهَا الكَفَّ الخَضِيبَ بِسَاعِدٍ   فَبَاتَ عَلَى الأَمْرِ الذي شِئْتَ مُسْعِدَا
عَقَدْتَ بِهَا بَنْدَ الصَّبَاحِ فَلَمْ يَزَلْ   يُظَلِّـلُ مِـنْ نَهْـرِ المَجَـرَّةِ مَـوْرِدَا
وَتُشْـرِعُ مِـنْ زُهْـرِ النُّجُـومِ أَسِنَّـةً   فَتَقْذِفُ شُهْبَ الرَّجْمِ فِي ثُغُرِ العِدَا
ولله مِـنْ أَبْنَـائِـكَ الغُـرِّ أَنْجُمـاً   يَزِيدُ بِهَا السَّارِي إِلى فَوْزِهِ هُدَى
أَشَارَتْ بِهِمْ مِثْلُ الأَنَامِلِ[1] عِدَّةً   يَدٌ طَوَّقَتْ جِيدَ الزَّمَانِ بِهِمْ يَدَا
سُيُـوفٌ مُحَـلاَّةٌ يَـرُوقُ مَضَـاؤُهَـا   بِهَـا عَـاتِـقُ الـدِّيـنِ الحَنِيـفِ تَقَلَّـدَا
وَإِنَّ بَنِيهِـمْ دُمْـتَ تُنْظِـمُ شَمْلَهُـمْ   وَتُـوسِعُهُـمْ[2] رِفْـداً وَبِـرًّا مُجَـدَّدَا
جَوَاهِرُ فِي أَعْطَافِ مُلْكِكَ نُضِّدَتْ   وَيَبْهَـرُ حُسْـنُ الـدُّرِّ مَهْمَـا تَنَضَّـدَا
و(59) / زَجَرْنَا بِنَصْرٍ نَصْرَ مُلْكِ مُحَمَّدٍ   أَبِيـهِ وَصِـدْقُ الفَالِ بِـالشَّـرْعِ وُكِّـدَا
وَأَطْلَعْتَ يَا شَمْسَ الخِلاَفَةِ بَدْرَهُ   فَـأَطْلَـعَ فِـي آفَـاقِ مُلْكِـكَ فَـرْقَـدَا
أَقَمْـتَ لَـهُ ـ وَالحَمْـدُ لله ـ سُنَّـةً[3]   مُـؤَكَّـدَةً تُـرْضِـي النَّبِـيَّ مُحَمَّـدَا
وَجَـاؤُوا بِـهِ مِـلْءَ العُيُـونِ وَسَـامَـةً   تَجَسَّـمَ مِـنْ نُـورِ الهُـدَى وَتَجَسَّـدَا
يُضِـيءُ بِهَـالاَتِ القُصُـورِ شِهَـابُـهُ   فَتُبْصِـرُهُ مِصْبَـاحَهَـا المُتَـوَقِّـدَا
وَرُحْمَىٰ لَـهُ مِـنْ عَـاذِرٍ بَـانَ عُـذْرُهُ   وَأَبْدَى لَهُ الوَجْهَ الجَمِيلَ المُمَهَّدَا

---

(1) يشير إلى أبنائه الخمسة.

(2) في الأصل «تُوسِعَهم» بالفتح ولا وجه لذلك.

(3) ليس القصيد في التهنئة بالمولود فقط كما ذكر في مقدمة القصيد بل أيضاً في التهنئة بحفل اختتان حفيد الغني بالله، وهو سنّة واجبة.

أَدَلَّ بِهَا مِن سُنَّةٍ نَبَوِيَّةٍ[1] إلى خَيْرِ مَنْ يَهْدِي وَفَخْرِ مَنِ ٱهْتَدَى

دَنَا مِنْ عَرِينِ الأُسْدِ يُولِمُ[2] شِبْلَهَا فَيَا مَنْ رَأَى مِنْهُ بُغَاثاً تَأَسَّدَا

وَلِلنَّجْمِ قَلْبٌ دُونَ ذَلِكَ خَافِقٌ وَطَرْفٌ وَرَاءَ اللَّيْلِ بَاتَ مُسَهَّدَا

وَلَوْ رَامَ ذَاكَ القَصْدَ فِي غَيْرِ سُنَّةٍ لأَوْطَأَهُ الجَيْشُ الوَشِيجَ المُقَصَّدَا

جَلاَ صَدَفاً[3] عَنْ جَوْهَرٍ شَفَّ نُورُهُ فَأَوْجَبَ عَنْ نَقْصٍ كَمَالاً تَزَيَّدَا

كمَا رَاقَ صَفْحُ السَّيْفِ مِنْ كَفِّ صَاقِلٍ إِذَا مَا جَلاَ عَنْ صَفْحِهِ أَثَرَ الصَّدَا

هَنِيئاً هَنِيئاً إِنَّهُ خَيْرُ سُنَّةٍ أَقَمْتَ بِهَا لِلدِّينِ وَالفَخْرِ مُنْتَدَى

دَعَوْتَ لَهَا الأَشْرَافَ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ ونَادَاهُمُ التَّخْصِيصُ فَابْتَدَرُوا النِّدَا

وَظَلَّلْتَ مَثْوَى العَرْضِ أَشْرَفَ قُبَّةٍ تَجَلَّى بِهَا الإِحْسَانُ مِنْ أُفْقِ الهُدَى

وَجَاءَ بِهَا التَوْفِيقُ أَكْرَمَ نِصْبَةٍ تَلَقَّتْ مِنَ السَّعْدَيْنِ بِاليُمْنِ مَسْعَدَا

إِذَا أَبْصَرَتْكَ العَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ تَرَى هَالَةً بَدْرُ السَّمَاحِ بِهَا بَدَا

وَمِنْ بَعْدِ يَوْمِ العَرْضِ فَازُوا بِجَنَّةٍ أَبَحْتَ لَهُمْ فِيهَا النَعِيمَ المُخَلَّدَا

وَبَوَّأْتَهُمْ مِنْهَا قُصُوراً مَشِيدَةً بِتَشْيِيدِهَا المُلْكُ العَزِيزُ تَشَيَّدَا

ق(59) / وَرَوْضاً رَوَى الضَحَّاكُ فِيهِ عَنِ العَلاَ حَدِيثَ ثَنَاءٍ عَنْ شَذَى الزَّهْرِ مُسْنَدَا

يُخَبِّرُنَا عَنْ مُنْعِمٍ أَنَّ نَافِعاً عنِ السَّمْحِ عَنْ بِشْرٍ عَنِ الفَضْلِ أَسْنَدَا[4]

وَمَا بَرِحُوا فِي رَوْضِ جُودِكَ قَبْلَهَا تُفِيضُ لَهُمْ رِزْقاً هَنِيئاً مُؤَبَّدَا

وَنَالُوا جَمِيعاً مِنْ نَوَالِكَ أَنْعُماً وَجَاءُوكَ يَوْمَ العَرْضِ أَوْحَدَ أَوْحَدَا

وَأَغْرَيْتَ فِيهَا الخَيْلَ بالرَّكْضِ فَانْبَرَتْ تَطِيرُ بِسُرْعَانِ الكُمَاةِ إِلَى مَدَى

بُرُوقٌ إِذَا أَجْرَيْتَهَا يَوْمَ غَارَةٍ تَسُومُ جِيَادَ البَرْقِ أَنْ تَتَقَيَّدَا

---

(1) انظر التعليق السابق.

(2) الولائم التي تصحب عملية الاعذار.

(3) وصف لعملية الختان.

(4) كلّها أسماء لرواة الحديث وهي كناية عن صفات الممدوح.

فَأَشْهَبُ كَالإِصْبَاحِ لَوْناً وَحِلْيَةً   جَلَوْتَ بِهِ لَيْلاً مِنَ النَّقْعِ أَرْبَدَا

تَوَدُّ حُلِيُّ الشُّهْبِ حَلْيَ لِجَامِهِ   فَتَنْقَضُّ رَجْماً لِلفَوَارِسِ مُرْصَدَا

وَأَدْهَمُ رُعْتَ اللَّيْلَ مِنْهُ بِمِثْلِهِ   وَلَكِنْ بِخَطِّ الفَجْرِ رَاحَ مُقَيَّدَا

وَقَدْ غَارَ بَدْرُ التِمِّ مِنْهُ بِغُرَّةٍ   وَقَدْ حَسَدَتْ مِنْهُ النُّجُومُ المُقَلَّدَا

رَكِبْتَ بِهِ بَحْراً يَجِيشُ مُدَفَّعاً   وَخُضْتَ بِهِ بَحْرَ الكَتَائِبِ مُزْبِدَا

وَأَحْمَرُ مِثْلُ الخَمْرِ مُنْتَشِياً بِهِ   إِذَا جَالَ مَا بَيْنَ الفَوَارِسِ عَرْبَدَا

ثَنَى عِطْفَهُ سُكْرُ ٱخْتِيَالٍ لأَنَّهُ   أَدَارَ عَلَى الأَعْدَاءِ كَأْساً مِنَ الرَّدَى

وَمَا هُوَ إِلاَّ البَأْسُ أَضْرَمَ جَمْرَةً   مَتَى ٱبْتَلَّ عِطْفاً فِي الطِّرَادِ تَوَقَّدَا

وَأَشْقَرُ كَالدِّينَارِ مَهْمَا نَقَدْتَهُ   أَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الحُسْنُ عَسْجَدَا

زَرَى بِجَوادِ البَرْقِ حَلْياً وَسُرْعَةً   وَخَلَّفَهُ مِنْ خَلْفِهِ يَسمَعُ الصَّدَى

يُشِيرُ عَلَيْهِ بِالذُّؤَابَةِ خَلْفَهُ   فَيَقْذِفُهُ بِالشُّهْبِ مَثْنَى وَمَوْحِدَا

وَأَصْفَرُ قَدْ أَعْدَى الأَصِيلَ شُحُوبُهُ   وَفِي ذَيْلِهِ بَدْءٌ مِنَ اللَّيْلِ قَدْ بَدَا

وَأَشْعَلُ تَرْمِي الحرْبُ مِنْهُ بِشُعْلَةٍ   مُؤَجَّجَةٍ مِنْ بَأْسِهَا تَحْرِقُ العِدَا

و(60) / وَأَشْهَبُ كَالقِرْطَاسِ أَوْدَعَ صَفْحَهُ   كِتَاباً عَنِ الأَنْصَارِ فِي الفَتْحِ أُسْنِدَا

سَيُورِدُهَا الفَتْحَ القَرِيبَ خَلِيفَةٌ   إِذَا شَاءَ فِي نَهْرِ المَجَرَّةِ أَوْرَدَا

فَهُنَّ أُولاَتُ الفَتْحِ تَحْمِلُ أُسْدَهُ   وَعَنْهَا وَلِيدُ النَّصْرِ قِدْماً تَوَلَّدَا

تَعَوَّدْتَ لِلصُّنْعِ الجَمِيلِ عَوَائِداً   أَنَلْتَ بِهَا الإِسْلاَمَ عِزًّا مُمَهَّدَا

وَخَاتِمَتُهَا[1]

وَدُونَكَ رَوْضاً بِالمَحَامِدِ مُزْهِراً   تَهُبُّ بِهِ الأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرَّدَا

يُقَيِّدُ فِيهَا السَّمْعَ إِحْسَانُ نَظْمِهَا   (وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا)[2]

وَجَادَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَدَاكَ غَمَائِمٌ   فَنَظَّمْتُ مِنْ دُرِّ النَّدَى مَا تَبَدَّدَا

---

(1) هكذا في الأصل، فهو لم يورد القصيدة بكاملها.

(2) هو عجز معروف للمتنبي وصدر هذا البيت: «وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذُرَاكَ مَحَبَّةً...» (الديوان 2/15).

وَأَجْرَيْتُ مِنْ خَيْلِ التَخَيُّلِ حَلْبَةً وأَحْرَزْتُ خَصْلَ السَّبْقِ فِي الحَفْلِ مُنْشِدًا[1]
عِرَاباً إِذَا ٱسْتَنَّتْ بِشَأْوِ بَلاَغَةٍ تَقُولُ لَهَا الأَعْرَابُ: نَفْسِي لَكِ الفِدا
يَقُولُ لِسَانُ الحَالِ إِنْ هِيَ أُنْشِدَتْ أَلاَ هَكَذَا فَلْيَشْدُ بِالشِّعْرِ مَنْ شَدَا[2]
وَفَخْرُكَ بِالأَنْصَارِ قَرَّرَ حُكْمَهُ ثَنَاءٌ جَمِيلٌ فِي الكِتَابَ تَرَدَّدَا
فَمَاذَا عَسَى يَجْرِي البَلِيغُ لِغَايَةٍ إِذَا مَا كِتَابُ اللَّهِ قَدْ فَسَحَ المَدَى
فَمُتِّعْتَ فِي أَبْنَائِكَ الغُرِّ بِالمُنَى وَبُلِّغْتَ فِي الإِسْلَامِ سُولاً وَمَقْصَدَا
وَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَقَدْ آنَ خَتْمُهَا أَقَبِّلُ بَحْراً لِلسَّمَاحَةِ أَمْ يَدَا

(103)

وقال من قصيدة يمدحه[3] أيضاً رضي الله عنه وقد وَصَلَتْه هديةُ صاحِبِ مِصْرَ[4] وكُتُبُ أَعْلاَمِهَا:

[الكامل]

ق(60) / بِاللهِ يَا لَمْيَاءُ مَا مَنَعَ الصَّبَا أَنْ لاَ يَهُبَّ نَسِيمُهَا المِعْطَارُ؟
يَا عَاذِلَ المُشْتَاقِ فِي نَفَسِ الصَّبَا رِفْقاً فَفِي طَيِّ الصَّبَا أَسْرَارُ
لَمْيَاءُ تُعْدِي عَرْفَهَا مِنْ طِيبِهَا وَتُعِيرُهَا أَنْفَاسَهَا الأَسْحَارُ
يَا سَاكِنِي نَجْدٍ وَمَا نَجْدٍ سِوَى دَارٍ كَلِفْتُ بِهَا وَنِعْمَ الدَّارُ
وَإِذَا عَفَتْ مِنْهَا المَعَاهِدُ لَمْ أَقُلْ: لاَ أَنْتِ أَنْتِ وَلاَ الدِّيَارُ دِيَارُ[5]
هَلْ تِلْكُمُ الظَّبْيَاتُ فِيهِ كَعَهْدِنَا يَلْوِي بِهَا قَبْلَ الدُّنُوِّ نِفَارُ

---

(1) يشير إلى ما كان من إنشاد بعض الشعراء الآخرين.
(2) في الأصل كتب في الهامش «صدق واللّه».
(3) أي الغني بالله.
(4) الراجح أنّه السلطان الظاهر سيف الدين برقوق (784 ـ 801) من المماليك البرجيّين وقد كانت بينه، وبين الغني بالله مودة وتبادل للهدايا (دائرة المعارف (ط. جديدة) 1/1082 ـ 1083).
(5) صدر بيت لأبي تمام وعجزه «فجعلت أنشد خيرَ سادة أهلها» (الديوان ج 2 ص 166).

دَعْ ذَا وَعَـدِّ القَـوْلَ لِلْمَلِـكِ الـذِّي ... تُـزْهَـى بِـهِ الأَعْصَـارُ وَالأَمْصَـارُ

مَلِـكٌ تَـوَلَّـى اللَّـهُ عِصْمَـةَ مُلْكِـهِ ... وَجَـرَتْ بِـرِفْعَـةِ قَـدْرِهِ الأَقْـدَارُ

قَسَمـاً بِمَكَّـةَ وَالحَطِيـمِ[1] وَزَمْـزَمٍ ... وَالبَيْـتِ تُسْـدَلُ دُوْنَـهُ الأَسْتَـارُ

لَقَدِ ٱسْتَجارَ المُلْكُ مِنْكَ بِأَوْحَدٍ ... تَـأْبَـى عُـلاَهُ أَنْ يَضِيـعَ الجَـارُ

أَخَـذَتْ بِـكَ الأَيَّـامُ أَجْمَـلَ زِينَـةٍ ... وَتَـأَرَّجَـتْ بِثَنَـائِـكَ الأَقْطَـارُ

نَشَرَتْ مَحَامِدَكَ الرِّفَاقُ فَأَصْبَحَتْ ... تُطْـوَى بِهَـا الأَنْجَـادُ وَالأَغْـوَارُ

وَعَـنِ ٱبْـنِ مَعْـنٍ وَالعَطَـاءِ وَيَـاسِـرٍ ... صَحَّـتْ لَنَـا مِـنْ جُـودِكَ الأَخْبَـارُ

فَـالغَيْـثُ إِلاَّ مِـنْ نَـدَاكَ مُبَخَّـلٌ ... وَالجُـودُ إِلاَّ مِـنْ يَـدَيْـكَ مُعَـارُ

نَسَبَـتْ لِغُـرَّتِـكَ ٱلْبُـدُورُ جَمَـالَهَـا ... نَفَحَـتْ بِعَـرْفِ ثَنَـائِـكَ الأَزْهَـارُ

هَـذَا وَبَـأْسُـكَ مَـا عَلِمْـتَ غَنَـاءَهُ ... حُمِـيَ الـذِّمَـارُ بِـهِ وَعَـزَّ الجَـارُ

كَـمْ مِـنْ عَبِيـدٍ غَـادَرَتْـهُ سُيُـوفُـهُ ... قَيْـدَ الـرَّدَى وَالقَلْـبُ مِنْـهُ مُطَـارُ

رَكِـبَ الفِـرَارَ مَطِيَّـةً فَكَبَـا بِـهِ ... هَيْهَـاتَ يُنْجِـي مِـنْ ظُبَـاكَ فِـرَارُ

وَإِذِ اسْتَعَنْتَ عَلَى العَظِيمَةِ مُنْجِداً ... فَـالمَشْـرَفِيَّـةُ وَالقَنَـا الخَطَّـارُ

و(61) /عَلِمَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا ... فَلَهَـا إِلَـى مَـا تَبْتَغِيـهِ بِـدَارُ

نَـاجَتْـكَ قَـاصِيَـةُ البِـلاَدِ بِشُكْـرِهَـا ... وَأَتَـى رَسُـولُـكَ بِـالَّـذِي تَخْتَـارُ

وَرَمَـى إِلَيْـكَ الشَّـرْقُ تُحْفَـةَ قُطْـرِهِ ... يَحْـدُو بِهَـا الإِجْـلاَلُ وَالإِكْبَـارُ

وَافَتْـكَ مِـنْ مِصْـرَ الهَـدَايَـا تَمْتَـرِي ... مِنْـكَ القَبُـولَ وَنِعْـمَ مَـا تَمْتَـارُ

خَطَبَـتْ نَـوَالَـكَ بِـالثَّنَـا أَعْـلاَمُهَـا ... فَـأَتَتْـكَ مِنْهَـا الكُتْـبُ وَالأَشْعَـارُ

مِنْ كُلِّ بِدْعٍ إِنْ تُنُوشِدَ فِي السُّرَى ... فَـالمِسْـكُ يُمْسِـكُ أَوْ يَغَـارُ الغَـارُ

لِلَّـهِ سِـرٌّ فِـي عُـلاَكَ مُحَجَّـبٌ ... فِـي كُنْهِـهِ قَـدْ حَـارَتْ الأَفْكَـارُ

كَـمْ عَـادَةٍ لِلُّطْـفِ قَـدْ عُـوِّدْتَهَـا ... فِـي طَيِّهَـا لِـذَوِي الحِجَـى أَسْـرَارُ

رَحِـمَ الإِلاَهُ الخَلْـقَ مِنْـكَ بِنَـاصِـرٍ ... شَـادَتْ مَعَـالِـمَ فَخْـرِهِ الأَنْصَـارُ

---

(1) جدار الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام (الفيروزآبادي، القاموس ج 4 ص 96).

يَجْرِي عَلَى أَعْرَاقِهِ طَوْعَ العُلَى   وَالمَجْدُ طِرْفٌ وَالنَّدَى مِضْمَارُ

(104)

وقال أيضاً من قصيدة يمدحه[1]:

[الطويل]

جِهَادٌ جَرَتْ سُفْنُ البِحَارِ بِذِكْرِهِ   وَوَخْدٌ لِأَنْضَاءِ السُّرَى وَذَمِيلُ

فَفِي البَرِّ جَهَّزْتَ السُّيُوفَ كَأَنَّهَا   بِحَارٌ بِأَمْوَاجِ الحَدِيدِ تَسِيلُ

تَرَامَتْ بِهَا الآسَادُ وَهِيَ فَوَارِسٌ   وَثَارَتْ بِهَا العُقْبَانُ وَهِيَ خُيُولُ

إِذَا مَا عَلاَ التَّكْبِيرُ مِنْ جَنَبَاتِهَا   يُرَاجِعُ مِنَ غُرِّ الجِيَادِ صَهِيلُ

ق(61) / وَقَدْ سَدَّ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ كَأَنَّهُ   أَحَمُّ أَجَشُّ المُثْقَلاَتِ هَمُولُ

وَمَا رَاعَ أَهْلُ الكُفْرِ إِلاَّ رِمَاحُهُ   فَمُسْتَلَبٌ مِنْ دُونِهَا وَقَتِيلُ

وَغَادَرْتَهُمْ صَرْعَى بِكُلِّ مُجَدَّلٍ   كَمَا عَرَّسَتْ وَسْطَ العَرَاءِ حُمُولُ

فَلَوْلاَكَ مَا شُنَّتْ عَلَى الكُفْرِ غَارَةٌ   وَلاَ أُدْرِكَتْ بِالمَشْرَفِيِّ ذُحُولُ

وَلَوْلاَكَ مَا اهْتَزَّتْ غُصُونٌ مِنَ القَنَا   وَمَالَتْ بِرِيحِ النَّصْرِ حِينَ تَمِيلُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتَّ فِيهَا مُسَهَّداً   ثَوَابُكَ فِيهَا مَا عَلِمْتَ جَزِيلُ

وَكَمْ مَوْقِفٍ جَلَّيْتَ غَمْرَةَ بَأْسِهِ   وَطَاشَتْ حُلُومٌ دُونَهُ وَعُقُولُ

وَيَا رُبَّ نَهْجٍ لِلْجِهَادِ سَلَكْتَهُ   عَلَى حِينِ لاَ يُلْفَى عَلَيْهِ دَلِيلُ

(105)

وَقَال أيضاً من أخرى كذلك[2]:

(1) أي الغني بالله.
(2) أي يمدح الغني بالله.

[الطويل]

أَلاَ هَكَــذَا فَلْيَنْصُـرِ اللهُ دِينَـهُ وَيَهْـزِمُ أَحْـزَابَ الضَّـلاَلِ وَيَخْـذُلُ
أَلاَ هَكَـذَا فَلْيُنْجِـزِ اللهُ وَعْـدَهُ وَيُنْمِي ثَـوَابَ الصَّـابِرِيـنَ وَيُجْزِلُ
وَمَـا هِـيَ إِلاَّ آيَـةٌ نَبَـوِيَّـةٌ بِهَا الوَحْيُ وَحْيُ اللهِ مَا زَالَ يَنْزِلُ
وَسُنَّـةُ أَنْصَـارِ الـرَّسُـولِ تَجَـدَّدَتْ بِهَا بَرَكَاتُ النَّصْرِ تَزْكُو وَتَخفِلُ
وَلِلَّـهِ عَيْنَـا مَـنْ رَآهَـا مَـوَاقِفـاً بِهَا العِزُّ[1] يَهْفُـو وَالسَّكِينَةُ تَنْـزِلُ
وَقَـدْ ثَبَّتَ الـرَّحْمَـانُ أَقْـدَامَ أَصْلِهَا وَنَـادَتْهُـمُ الأَمْـلاَكُ: لا، تَتَـزَيَّلُـوا
وَمَـنْ ثَبَتَـتْ مِنْهُـمْ قُلُـوبٌ زَكِيَّـةٌ تُثَبِّتَ مِنْهُـمْ فِـي المَـوَاقِفِ أَرْجُـلُ
وَقَـدْ خَـرَجُـوا مُسْتَغْفِـرِيـنَ لِـرَبِّهِـمْ وَقَـدْ أَخْلَصُـوا نِيَّـاتِهِـمْ وَتَـذَلَّلُـوا[2]
و(62) / وَقَـدْ قَـدَّمُـوا جَـاهَ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ وَقَدْ فَوَّضُوا فِي أَمْرِهِمْ وَتَوَكَّلُوا[3]

وَمِنْهَا:

/ وَكَانَ مَيشرُ[4] الكُفْرِ أَضْمَرَ غَدْرَةً فَبَـاءَ بِهَـا مِنْـهُ القَتِيـلُ المجَـدَّلُ
وَوَاعَـدَهُ شَيْطَـانُـهُ الحَضْـرَةَ[5] التِـي تُحَـاطُ بِجُنْـدِ اللهِ دَأْبـاً وَتُكْفَـلُ
وَقَـالَ لأَحْـزابِ الضَّـلاَلِ بِـأَنَّـهُ سَيَدْخُلُهَا شَاكِي السِّلاَحِ مُسرْبَلُ
فَصَـدَّقَ سَيْـفُ اللهِ بَعْـضَ ظُنُـونِـهِ وَجَـاءَ إِلَيْهَـا رَأْسُـهُ وَهُـوَ أَعْـزَلُ
وَجَاؤُوا بِحَاراً مِنْ حَدِيدٍ زَوَاخِراً فَـأَذْكَتْهُـمُ نَـارُ الـوَغَـى فَتَسَيَّلُـوا[6]

(1) في الهامش «النصر» عوض العز.
(2) (3) (6) في الأصل آخرها بدون واو الجماعة.
(4) لعله أحد الثائرين من أمراء الإسبان ولم نجد له ذكراً في المصادر.
(5) هي غرناطة.

وَجَاؤُوا جِبالاً مِنْ جُنُودٍ شَوَامِخاً فَهَبَّتْ لَهُمْ رِيحُ الرَّدَى فَتَزَلْزَلُوا[1]
وَقَدْ أُوقِدَتْ نَارُ الحُرُوبِ وَأُضْرِمَتْ فَأَصْبَحَ فِيهَا الهِنْدُ بِالهِنْدِ يُشْعَلُ

ومنها في[2] وصف السَّيْف:

عَلاَ مِنْبَرَ الأَعْنَاقِ يَخْطُبُ فَوْقَهُ فَأَوْسَعَهُمْ وَعْظاً يَهُولُ وَيُذْهِلُ
وَقَدْ عَلِمَ الكُفَّارُ أَنَّ خَطِيبَهُ يَقُولُ كَمَا شَاءَتْ ظُبَاهُ وَيَفْعَلُ
وَكَمْ ذَابِلٍ قَدْ بَاتَ ظَمآنَ فَاغْتَدَى يُعَلُّ بِرَقْرَاقِ الدِّمَاءِ وَيُنْهَلُ

ومنها:

هَنِيئاً بِصُنْعٍ لاَ كَفاءَ لِنَصْرِهِ بِأَمْثَالِهِ أَهْلُ الهُدَى تَتَمَثَّلُ
وَمَا هُوَ إلاَّ الفَتْحُ جَاءَ مَعَجَّلاً وَأَعْظَمُ مِنْهُ فِي الغُيُوبِ مُؤَجَّلُ

(106)

وقَال أيضاً من أخرى كذلك وتقدم الكثير منها[3] مُكَرَّراً في قصيدة أولها:

أَمَّا وَمُجَلَّى النُورِ فِي صَفْحَةِ البَدْرِ[4]

ومطلع هذه:

[الطويل]

هَنِيئاً كَمَا اَفْتَرَّ الكِمَامُ عَنِ الزَّهْرِ وَنُمِّقَ رَوْضُ الأُفْقِ بِالأَنْجُمِ االزُّهْرِ

---

(1) في الأصل آخرها بدون واو الجماعة.
(2) في الأصل هكذا في الهامش.
(3) لم يتقدم منها شيء في هذا المخطوط، مما يؤكد كما لاحظنا سقوط عدد من القصائد.
(4) ذكر ابن الخطيب في الإحاطة ما يلي:
فمن ذلك ما خاطبني به [أي ابن زمرك]
«أما وانصداع النور من مطلع الفجر»
وهي طويلة (الإحاطة ج 2، 221 وما بعدها).
ونلاحظ انها تشبه هذا المطلع المذكور في الرويّ والبحر وحتى في الألفاظ.

ق(62) / وَأُلْبِسَــتِ الــدُّنْيَــا رِدَاءَ جَمَــالِهَــا وَزُفَّتْ عَرُوساً فِي غَلاَئِلِهَا الخُضْرِ
وَقَلَّــدَتِ النُــوَّارُ أَجْيَــادَ دَوْحِهَــا جَوَاهِرَ يُهْدِيهَا النَسِيمُ إِذَا يَسْرِي[1]
فَمَنْ يَجْتَلِي فِي الحَالَتَيْنِ جَمَالَهَا يُخَيِّلُهَـا نَظْمِـي وَيَحْسِبُهَـا نَثْـرِي[2]

ومنها:

فَمَـا أَحْـرَزَ العَلْيَـاءَ غَيْـرُ مُنَـافِسٍ يُرَخِّصُ فِي أَعْرَاضِهَا جَوْهَرَ العُمْرِ
وَلاَ سَبَـقَ الأمْـلاَكَ غَيْـرُ خَلِيفَـةٍ جَرَى وَادِعاً حَتَّى حَوَى قَصَبَ الفَخْرِ
مُحَمَّدٌ المَحْمُودُ فِي البَاسِ وَالنَّدَى وَذُو الصَّارِمِ المَرْهُوبِ وَالنَّائِلِ الغَمْرِ
إِمَـامٌ أَفَـادَ المَكْـرُمَـاتِ زَمَـانَـهُ وَعَوَّضَهُ مِنْ حَالَةِ العُسْرِ بِاليُسْرِ

ومنها:

أَلَسْـتَ الـذِي أَلْقَـتْ إِلَيْكَ مُلُوكُهَا أَعِنَّتَهـا فِـي مُلْتَقَـى النَهْـيِ وَالأَمْرِ؟
لكَ السِّيرَةُ الرُّحْمَى لَكَ الخُلُقُ الرِّضَا لَكَ المَظْهَرُ الأَعْلَى عَلَى قُنَّةِ النَّسْرِ

ومنها:

وَحَمْدُكَ أَذْكَى مِنْ شَذَىٰ الرِّيحِ تَنْبَرِي مُـعَطَّــرَةَ الـرَّيَّــا مُعَنْــبَرَةَ النَشْــرِ
وَأَنْــتَ الـذِي أَعْلَـى بِـكَ اللهُ دِينَـهُ وَأَغْنَى بِكَ الإِسْلاَمَ مِنْ نَفَلِ الكُفْرِ
فَمَا اسْتَيْقَظَتْ مِنْهُ الجُفُونُ لِخِيفَةٍ وَلاَ نَامَ جَفْنُ النَّصْلِ مِنْهُ عَلَى وِتْرِ
وَيَـا رُبَّ لَيْـلٍ فِـي الجِهَـادِ سَهِرْتَـهُ مُطَاوِعَ حَزْمٍ بِتَّ مِنْهُ عَلَى حَذْرِ
تَنَـامُ بِـهِ مِـلْءَ العُيُـونِ جُيُـوشُـهُ فَتَحْفَظُهَا مِنْ حَيْثُ تَدْرِي وَلاَ تَدْرِي[3]
وَسَلَّـتْ سُيُـوفـاً مُـذْهِبَـاتٍ بُـرُوقُـهُ فَطَارَ لَهَا قَلْبُ الجَبَانِ مِنَ الذُّعْرِ
وَقَـدْ شَـرَعَـتْ بِيضُ النُّجُومِ أَسِنَّـةً فَبَـاتَــتْ نُصُــولاً لِلْمُثَقَّفَـةِ السُّمْـرِ

(1) في الأصل «يسر» هكذا.
(2) في الأصل «نثر» بدون ياء في آخرها.
(3) في الأصل «تَدْرِ» بدون ياء في آخرها.

وَقَـدْ زَحَـفَ الفَجْـرُ المُبِيـنُ بِـرَايَـةٍ كَـرَايَتِـكَ الغَـرَّاءِ تُعْقَـدُ بِـالنَّصْـرِ
فكَمْ لَيْلَةٍ وَاعَدْتَ نَفْسَكَ نَصْرَهَا وأَنْجَزْتَ ذَاكَ الوَعْدَ فِي مَطْلِعِ الفَجْرِ
فَصَبَّحْـتَ أَرْضَ الكَـافِـرِيـنَ بِغَـارَةٍ غَزَوْتَ بِهَا أَهْلَ الضَّلاَلَةِ فِي العُقْرِ
و(63) / وَكَم مَوْقِفٍ يُنْسِي الكُمَاةَ نُفُوسَهَا وَتَـرْنُـو بِـهِ الأَبْطَـالُ عَـنْ نَظَـرٍ شَـزْرِ
وَيَعْثُرُ ذُو الإِفْصَاحِ فِي ذَيْلِ نُطْقِهِ فَيُورِدُ فِي سَهْلٍ وَيَصْدُرُ عَنْ وَعْرِ
وَتُضْحِي عَنِ الأَبْصَارِ غَادَةُ شَمْسِهِ مُحجَّبَةً خَلْفَ العَجَاجَةِ فِي خِدْرِ
تَلُـوحُ بِـهِ مِـلْءَ العُيُـونِ وَسَـامَـةً فَتُسْفِرُ[1] عَنْ بَدْرٍ وَتَبْسِمُ عَنْ دُرِّ
فَهَـاتِيـكَ أَيَّـامٌ مَتَـى مَـا تُـذُوكِـرَتْ غَدَتْ غُرَراً تَلْتَاحُ فِي أَوْجُهِ الدَّهْرِ
فَكَمْ حَمَلْتَ مِنْهَا الرِّكَابُ هَدِيَّةً إِلَى البَيْتِ ذِي الأَسْتَارِ وَالرُّكْنِ وَالحِجْرِ
وَحَيًّـا[2] زَمَـانـاً بِـالجِهَـادِ قَطَعْتَـهُ فَكَمْ حَطَّ مِنْ وِزْرٍ وَكَمْ حَاطَ مِنْ ثَغْرِ
فَـأَنْـتَ الَّـذِي أَوْلَيْـتَ دِيـنَ مُحَمَّـدٍ لَطَـائِـفَ لَـمْ تَخْطُـرْ بِبَـالٍ وَلاَ فِكْـرِ
وَإِنَّ الَّـــذِي وَلاَّكَ أَمْـــرَ عِبَـــادِهِ يُمِـدُّكَ بِـالتَّـأْيِيـدِ مِـنْ عَـالَـمِ الأَمْـرِ

(107)

وله أيضاً في قصيدة إعذارية[3]:

[الكامل]

فَـانْعَـمْ بِهَـذَا الصُّنْـعِ صُنْـعِ إِمَـارَةٍ قَدَّسْتَ مِنْ فَوْقِ النُّجُومِ حِلاَلَهَا
وَاهْنَـأْ بِـإِعْـذَارٍ أَقَمْـتَ شِعَـارَهُ فَـاسْتَجْـزَلَـتْ فِيـهِ العُفَـاةُ مَنَـالَهَـا
أَجْلَلْـــتَ فِيـــهِ سُنَّـــةً نَبَـــوِيَّـــةً مَـا زَالَ مُلْكُـكَ مُـؤْثِـراً إِجْـلاَلَهَـا
أَوْرَدْتُــهُ لِلْشَّــرْعِ أَعْــذَبَ مَشْــرَعٍ قَـدْ أَوْرَدَتْ فِيـهِ الـرِّسَـالَـةُ قَـالَهَـا

(1) في الأصل «تَسْفِرُ» ـ بفتح التاء ـ ولا يجوز لأن الفعل رباعي.
(2) في الأصل في الهامش «وَحَيٌّ» في نسخة ثانية.
(3) أي في التهنئة بإعذار، وهو الختان.

وَاللهِ لَــوْلاَ أَنْ رَضِيــتَ بِحُكْمِهَــا   وَاسْتَشْعَــرَتْ فِيهَــا عَبِيدُكَ مَــالَهَــا
لتنكَّــرَتْ غُلْــبُ الكُمَــاةِ بِبَــابِــهِ   وَلَجَــالَــتِ الجُــرْدُ العِتَــاقُ مَجَالَهَــا
لَكِنَّهَــا سُــرُجُ الهُــدَى وَقَّــادَةٌ   وَبِنُــورِ هَــدْيِكَ قَــدْ أَنَــرْتَ ذُبَــالَهَــا

(108)

ق(63) / ولـــهُ مـــن قصيـــدة أيْضـــاً:

[الطويل]

مَــدَدْتَ عَلَـى الإِسْلاَمِ ظِـلَّ عِنَايَـةٍ   فَـأَصْبَـحَ فِيهَـا سَـاكِـنَ الثَّغْـرِ نَـائِمَـا
وَطَـوَّقْـتَ أَعْنَـاقَ المُلُـوكِ أَيَـادِيـاً   تَقَلَّــدَتِ الأَيَّــامُ مِنْهَــا تَمَــائِمَــا
فَكَــمْ هَمَــلٍ مِنْهُــمْ كَفَلْــتَ تَفَضُّــلاً   وَأَرْعَيْتَ مِنْهَا فِي النَّعِيمِ سَوَائِمَا
وَأَوْرَدْتَـهُ وِرْداً مِـنَ الأَمْـنِ صَـافِيـاً   وَكَـانَ عَلَـى وِرْدِ المَنِيَّـةِ حَـائِمَـا

وَمِنْهَا:

إِذَا عَقَــدَتْ يُمْنَــاكَ لِلْعِــزِّ رَايَــةً   تَحُــلُّ بِهَــا لِلْكَــافِـرِيـنَ العَــزَائِمَـا
وَتُــولِيهُــمُ حَظًّــا مِــنَ الــرِّفْــقِ أَنَّهَــا   تُظَلِّلُهُــمْ لَمَّــا يُسَــاقُــوا غَنَــائِمَــا
وَيَــا رُبَّ يَــوْمٍ قَــدْ تَجَهَّــمَ أُفْقُــهُ   فَـأَضْحَكْـتَ فِيْـهِ لِلنُّصُـولِ مَبَاسِمَـا

وَمِنْهَا:

كَفَـى شَـرَفـاً بِـي أَنَّنِي عِنْدَ خَتْمِهَـا   هَـوَيْـتُ لِيُمْنَـاكَ الكَـرِيمَـةِ لاَثِمَـا

(109)

وله من أخرى:

[الطويل]

لَكَ الخَيْرُ مَا أَبْقَيْتَ لِلْمَجْدِ غَايَةً   وَلَمْ تُبْقِ فِي سَبْقِ المَكَارِمِ مَطْمَعَا

طَلَعْتَ بِأُفْقِ المُلْكِ نَيِّرَ رَحْمَةٍ بِهَا انْجَابَ غَيْمُ الظُّلْمِ عَنْهُ وَأَقْشَعَا
غَمَامٌ لِمُسْتَجْدٍ حِمَامٌ لِمُعْتَدٍ رَبِيعٌ لِمُرْتَادٍ غِيَاثٌ لِمَنْ دَعَا
إِذَا الْتُمِحَتْ آثَارُهُ أَوْ تُدُورِسَتْ تَفُوتُكَ مَرْأَى أَوْ تَرُوقُكَ مَسْمَعَا
وَكَمْ وَكَفَتْ يُمْنَاهُ وَانْسَجَمَ الحَيَا فَأَدْرَكَهُ مِنْهَا الحَيَاءُ فَأَقْلَعَا
إِذَا مَا تَبَارَى الحِلْمُ وَالبَأْسُ عِنْدَهُ فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى النُّفُوسَ وَأَمْنَعَا[1]
وَكَمْ هَفْوَةٍ لَمْ تُبْقِ فِي الجَهْلِ غَايَةً فَلَوْ مَسَّ رَضْوَى[2] غَيْظُهَا لَتَضَعْضَعَا
و(64) / وَجَاءَ بِهَا مَنْ جَاءَ طَوْعَ ضَلاَلَةٍ وَغَيًّا بِمَا لَمْ يُبْقِ لِلصُّلْحِ مَوْضِعَا
وَأَصْبَحَ وَالشَّرْعُ اسْتَبَاحَ دِمَاءَهُ فَأَوْرَدْتَهُ مِنْ صَفْوِ عَفْوِكَ مَشْرَعَا
فَيَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الَّذِي وَصَلَ السُّرَى وأَزْجَى القِلاَصَ البُدْنَ حَسْرَى وَظُلَّعَا
إِذَا مَا نَضَتْ بُرْدَ الأَصِيلِ مُوَرَّساً لَبِسْنَ مُسُوحاً لِلْظَلاَمِ وَأَدْرُعَا
وَإِنْ فَارَقَ الأَقْتَابَ مِنْهَا حُدَاتُهَا فَرَشْنَ جُنُوباً أَوْ تَوَسَّدْنَ أَذْرُعَا
عَلَيْهَا نَشَاوَى مِنْ سُهَادٍ كَأَنَّمَا أَدَارُوا عَلَى الرَّكْبِ الرَحِيقَ المُشَعْشَعَا
إِذَا صَرِدُوا شَبُّوا قُلُوباً وَأَضْلُعاً وَإِنْ عَطِشُوا اسْتَسْقَوْا جُفُوناً وأَدْمُعَا
وَقَدْ رَغِبُوا عَنْ مَطْلِعِ الشَّمْسِ وَانْثَنَوْا لَعَلَّهُمُ يُلْفُونَ لِلْجُودِ مَطْلَعَا
يَمِينُ الغَنِيِّ اسْتَقْبَلُوا فَهْيَ وَالحَيَا رَضِيعَا لِبَانِ الجُودِ قَدْ خُلِقَا مَعَا
أَقُولُ لِمَنْ يَبْغِي سِوَاهُ بِخِدْمَةٍ إِلَى الحَقِّ فَارْجِعْ إِنَّ لِلْبَغْيِ مَصْرَعَا

ومنها:

اذَا أَضْرَمَتْ مِنْ بَأْسِهَا الحَرْبُ جَاحِماً وَشَاعَتْ بُرُوقُ الهِنْدِ فِي النَّقْعِ لُمَّعَا

ومنها:

أَغَيْثاً إِذَا يَرْجُو نَوَالَكَ قَانِعٌ وَلَيْثاً إِذَا تَغْشَى الحُرُوبَ مُقَنَّعَا

---

(1) الصواب «مَنَعَا» ولا وجه لأَمْنَعَا.
(2) اسم جبل قريب من المدينة المنورة.

مَلَكْتَ فَأَوْسَعْتَ الرَّعِيَّةَ رَأْفَةً رَعَاكَ إِلآهُ العَرْشِ أَضْعَافَ مَا رَعَى
فَقَدْ صَارَ مِنْكَ العَزْمُ لِلسَّيْفِ مَقْطَعاً وَأَصْبَحَ مِنْكَ الجُودُ لِلْبَحْرِ مَنْبَعَا

وَمِنْهَا:

فَمَا النَّهْرُ تَحْتَ الظِلِّ يَنْدَى غَضَارَةً فَأَصْفَى وَأَضْفَى مِنْهُ بِيضًا وَأَدْرُعَا

وَمِنْهَا:

وَعُودُهُمُ فِي المَجْدِ أَصْلَبُ مَكْسِراً وَقَوْسُهُمُ فِي العَزْمِ أَمْنَعُ مَنْزِعَا

وَمِنْهَا:

وَسَمْتَ مُحَيَّا القُنْدِ[1] مِنْهَا بِخِزْيَةٍ فَسُمْتَ الثَلُوثَا[2] أَنْ تَذلَّ وَتَخْضَعَا

وَمِنْهَا:

وَدُونَكَ مِنْ صَوْنِ العُقُولِ عَقِيلَةً نَهَاهَا أَمِيرُ الحُسْنِ أَنْ تَتَقَنَّعَا
وَلَيْسَ افْتِخَارِي بِالقَرِيضِ وَإِنَّمَا كَفَانِيَ فَخْراً أَنْ أَقُولَ فَتَسْمَعَا

(110)[3]

ق(64) / وَمِن أُخرى عَندَ إِصْراخِ السّلطان ابي العباس على الملك:

[الطويل]

هُوَ السَّعْدُ يُعْطِيكَ الذِي أَنْتَ آمِلُهْ لِـذَلِكَ مَا عَمَّ المَغَارِبَ شَامِلُهْ

(1) (Le Comte) هو المعروف بـ «قند أرمانيان» لقب الأمير «الذريق» من الإسبان وقد اشتهر بحروبه مع أخيه (بطرة القاسي) واستحوذ على الملك سنة 767 هـ.
(2) أي النصارى أهل الثالوث.
(3) يمكن أن نضبط تاريخ هذا القصيد بسنة 776 إذ في هذه السنة يذكر ابن خلدون أن أبا العباس المريني دخل فاس الجديد بعد موت ابي فارس عبد العزيز سنة 774، ونصب أبا زيد في مراكش (ابن خلدون المجلد IV ص 378) وهذا ما نجده في الأبيات 10، 11، 22، 29 من هذا القصيد.

وفِي الغَيْبِ مِنْهَا حِكْمَةٌ سَوْفَ تُجتَلَى فَتَعْـذُبُ مـن صُنْـعِ الإلآهِ مَنَـاهِلُـهْ
تَهَادَتْ بِهَا البُشْرَى عَلَى كَاهِلِ الرِّضَا فَبُـورِكَ مُهْـدِيـهِ وَبُـورِكَ حَـامِلُـهْ
وَأَهْدَتْ بِهَا لِلْفَضْلِ طَبْعَ اعْتِدَالِهِ فَـأَسْحَـارُهُ رَقَّـتْ وَرَاقَـتْ أَصَـائِلُـهْ

وَمِنْهَا:

وَمَـا زَالَ هَـذَا الأَمْـرُ مُنْـذُ أَدَرْتَـهُ تَلُـوحُ عَلَيْـهِ لِلَنَّجَـاحِ مَخَـايِلُـهْ
فَجَاءَ كَمَا شَاءَتْ عُلاَكَ وَأَصْبَحَتْ أَوَاخِـرُهُ مَحْمُـودَةً وَأَوَائِلُـهْ
يُـوَافِقُـكَ التَّـأْيِيـدُ فِيمَـا تَـرُومُـهُ وَيَصْحَبُـكَ التَّـوْفِيـقُ فِيمَـا تُحَـاوِلُـهْ
وَمَـنْ عَـامَـلَ اللهَ اسْتَقَـلَّ بِمَتْجَـرٍ تَـدُلُّ عَلَـى فَـوْزِ القِـدَاحِ دَلاَئِلُـهْ
وَمَنْ يَجْتَدِي المَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ فَقَـدْ خَـابَ رَاجِيهِ وَأَخْفَـقَ سَـائِلُـهْ

وَمِنْهَا:

سَمَتْ بِأَبِي العَبَّاسِ مِنْكَ عَزِيمَةٌ إِذَا طَاوَلَتْ سَمْكَ السَّمَاءِ تُطَاوِلُهْ
أَجْزْتَ إِلَيْهِ البَحْرَ وَالقَفْرَ مُصْرِخاً بِـرَامِـحِ جَيْـشٍ ظَـلَّ يَقْفُـوهِ نَـابِلُـهْ
وَيَـا رُبَّ عَـانٍ فِـي القُيُـودِ فَكَكْتَـهُ وَبَـادَرَهُ مِـنْ يُمْـنِ سَعْـدِكَ عَـاجِلُـهْ
نَقَعْـتَ غَلِيـلاً كَـانَ يُـذْكَـى بِصَـدْرِهِ وَقَـدْ مُـزِّقَـتْ لِلْهُـونِ عَنْـهُ غَـلاَئِلُـهْ

وَمِنْهَا:

إِذَا فَـرَعَ الجَيْـشُ الثَّنَـايَـا وَكَبَّـرُوا يُـرَاجِـعُ تَهْلِيـلَ الكُمَـاةِ صَـوَاهِلُـهْ
يُـزَجِّـي دِمَـاءَ الغَـدْرِ بَـرْقُ سُيُـوفِـهِ وَتَجنِي قِطَافَ الفَتْحِ غَضًّا ذَوَابِلُهْ
فَأَبْلَى عَلَى فَاسِ الجَدِيدِ عُدَاتُهُ بَـلاَءً تَـرَدَّتْ بِـالنَّجِيـعِ عَـوَامِلُـهْ
وَأَمسَـى وَلِـيُّ الغَـدْرِ يَقْـرعُ سِنَّـهُ وَتَنْـدُبُـهُ فِـي كُـلِّ نَـادٍ ثَـوَاكِلُـهْ
و(65) / طَلِيـقُ دُمُـوعٍ فِـي الحَـدِيـدِ مُقَيَّـدٌ تُبَكِّـي عَلَيْـهِ فِـي الظَّـلاَمِ حَـلاَئِلُـهْ
صَـرِيـعُ ضَـلاَلٍ أَوْبَقَتْـهُ ذُنُـوبُـهُ رَهِيـنُ حِمَـامٍ ذَاهِـبُ القَلْـبِ ذَاهِلُـهْ

وَلَـمْ يُغْـنِ عَنْـهُ بِـالحُمَـاةِ غَنَـاؤُهُ وَلاَ عَقَلَـتْ عَنْـهُ الخُطُـوبَ مَعَـاقِلُـهْ
وَمَـنْ غَـرَسَ الشَّـرَّ ٱجْتَنَـى ثَمَـرَاتِـهِ وَمَـا يَجْتَنِـي مِـنْ مُـرِّهِ فَهْـوَ آكِلُـهْ

وَمِنْهَا:

أَبَـا فَـارِسٍ جَـادَتْ ثَـرَاكَ مَـدَامِـعٌ يُسَـاجِلُهَـا صَـوْبُ الحَيَـا وتُسَـاجِلُـهْ
لَقَـدْ فَقَـدَ الإِسْـلاَمُ مِنْـكَ شَمَـائِـلاً كَمَا أَطْلَعَتْ زَهْرَ الرياضِ خَمَائِلُهْ
وَيَـا مَـنْ رآهُ يَـوْمَ حُـمَّ حِمَـامُـهُ رَأى أَسَـداً بَيْـنَ الـذِّئَـابِ تُخَـاتِلُـهْ
رَعَيْتَ المَعَالِي يَا ٱبْنَ نَصْرٍ بِرَعْيِهِ فَمَـا حُفِظَـتْ إلاَّ لَـدَيْـكَ وَسَـائِلُـهْ
بِحَقٍّ تَحُوطُ الثَّغْرَ يَا مَلِكَ الهُدَى فَمَـنْ كَفَلَـتْ عَلْيَـاكَ فَـاللهُ كَـافِلُـهْ
فَأَطْلَعْتَ فِي أُفْقِ الخِلاَفَةِ نَجْلَهُ[1] تُظَـاهِـرُهُ مِـنْ أَجْلِـهِ وَتُـوَاصِلُـهْ
فَإِنْ نَامَ فِي حِجْرِ الرَّدَى وَهْوَ وَادِعٌ لَقَـدْ قَـرَّ عَيْنـاً بِـالـذي أَنـتَ فَـاعِلُـهْ
وَقُلْ لأبِي زَيْدٍ[2] وَقَدْ فَازَ قِدْحُهُ بِمُرَّاكُشٍ وٱشْتَدَّ فِي المُلْكِ كَاهِلُهْ
سَتَجْزِيهِ بِالْحُسْنَى وَتَمْنَحُهُ الرِّضَا وتَعْفُو عَنِ النَّجْلِ الذي غُشَّ نَاجِلُهْ[3]
شَمَائِلُ مَفْطُورِ السَّجَايَا عَلَى التُّقَى يُـرَاقِـبُ دَأْبـاً رَبَّـهُ وَيُعَـامِلُـهْ
إذا لاَحَ لِلقُصَّـادِ نُـورُ جَبِينِـهِ يُبَشِّـرُ رَاجِيـهِ وَيُسْـأَلُ سَـائِلُـهْ
كَصَـوْبِ الحَيَـا مَهْمَـا تهَلَّـلَ بَـرْقُـهُ تُبَشِّـرُ بِـالسُّقْيَـا الـرِّيَـاضَ مَخَـايِلُـهْ

---

(1) هو أبو زيّان محمد السعيد الذي كان له الأمر بعد أبيه أبي فارس عبد العزيز سنة (774 هـ) وله من العمر أربع سنوات، ولكنّ الوصيّ على العرش أبا بكر أبن غازي استبدّ بالأمر (ابن خلدون: التاريخ 7/707 ـ 710).

(2) هي كنية عبد الرحمان بن يغلوسن الذي كان مقدّماً على الغزاة بالأندلس والذي نصّبه الغني بالله على مراكش وسوّغ له ملكها بعد أن أمكن أبا العباس المَريني من فاس فدخلها سنة 776هـ. (ابن خلدون: المصدر السابق).

(3) أي ابن الغنيّ بالله أبو الحجّاج يوسف الذي اتُّهِمَ ثمّ تبيّنت براءته (ابن خلدون، المصدر المذكور سابقاً 4 ص 383) ولعلّ بعض الأبيات سقطت بين هذا البيت والذي سبقه إذ السياق لا يدلّ على علاقة بين البيتين.

وَمِنْهَا:

كَتَـائِـبُ رَأْيٍ جَـهَّـزَتْهُـنَّ كُتْـبُهُ   وَكَمْ أَرْسَلَتْ مِنْ سُحْبِ بَأْسٍ رَسَائِلُهْ
وَمَـنْ لَـمْ يُصِـبْ لِلّـهِ فِيـهِ بِنِيَّـةٍ   تُـرَادُ بِهَـا التَّقْـوَى أُصِيبَـتْ مَقَـاتِلُـهْ

وَمِنْهَا:

أَغَـامَـتْ بـه جَـوُّ ٱلقَـرِيحَـةِ سَـاعَـةً   فَـذَا طَلُّـهُ يَقْفُـوهُ مِـنْ بَعْـدُ وَابِلُـهْ

(111)

ق(65) / وقالَ مِنْ قَصِيدَةٍ وَقَّعَ[1] لَهُ أَوَّلُهَا غيرُ مُعْرَبٍ[2]

[مجزوء الرجز]

أَلْبَسْتَنَـا فَـأَلْبَسْتَنَـا   ثَـوْبَ الـرِّضَـا وَأَغْنَيْتَنَـا
هَـدَيْتَنَـا أَهْـدَيْتَنَـا   لَحَظْتَنَـا أَحْظَيْتَنَـا
نَـوَّهْتَنَـا أَغْنَيْتَنَـا   مِـنْ غَيْـرِ أَنْ عَنَّيْتَنَـا
وَلَـمْ تَكُـنْ أَهْمَلْتَنَـا   بَـلْ لِلْهُـدَى أَلْهَمْتَنَـا
حَلَّيْتَنَـا أَحْلَلْتَنَـا   أُفْـقَ السَّنَـاءِ وَٱلسَّنَـا
جَمَّلْتَنَـا حَسَّنْتَنَـا   أَحْسَنْـتَ بِـالـدُّنْيَـا لَنَـا
سَلَّمْتَنَـا مِـنْ ٱلْعَنَـا   وَلَـمْ تَكُـنْ أَسْلَمْتَنَـا
خَلِيفَـةُ اللهِ ٱلـذي   أَقَـرَّ مِنَّـا ٱلأَعْيُنَـا
سَمَـاحُـهُ وَسَمْحُـهُ   أَنَـالَنَـا وَنَـالَنَـا
نَطَقْـتَ عَنَّـا بِـالّذِي   أَكَـلَّ مِنَّـا الأَلْسُنَـا

---

(1) هو الإمضاء بالموافقة.

(2) أي البيت الأول لا يخضع لقواعد النحو واللغة فهو باللهجة الدارجة الأندلسية.

نَشْــــدُو بِمَــــا أَوْلَيْتَنَــــا مِنَّــا ٱلْغِنَــا مِنْــكَ ٱلْغِنَــى[1]
أَمَـــالَنَــــا بِمِــــدْحَــــةٍ نِلْنَــــا بِهَــــا آمَــــالَنَــــا
فَمَـــا لَــــهُ وَمَـــا لَنَـــا وَقَـــدْ أَفَـــادَ مَـــالَنَـــا
كَــمْ مُعْجِـــزٍ مِــنْ سَعْـــدِهِ رَدَّ ٱلْمُحَـــالَ مُمْكِنَـــا
سُعُـــــودُهُ إِنْ سَلَّهَـــــا تُنْسِــي ٱلسُّيُــوفَ وَٱلْقَنَــا
كَـــمْ مِـــنْ مَلِيـــكٍ قَـــاهِـــرٍ لِعِـــزِّهِ قَـــدْ أَذْعَنَـــا
طَـــوَّقَـــهُ أَيَـــادِيًـــا عَـــادَ بِهَـــا مُـــرْتَهَنَـــا
و(66) / تَـــرَى ٱلْحُـــدَاةَ فِـــي ٱلسُّـــرَى تَحْـــدُو بِهِـــنَّ ٱلظُّعُنَـــا
يَمِينُـــــهُ وَيُمْنُـــــهُ أَمْـــنَ ٱلْـــوَرَى قَـــدْ ضُمِّنَـــا
فَجَّـــرَ مِنْهَـــا أَعْيُنًـــا أَقَـــرَّ مِنْهَـــا ٱلأَعْيُنَـــا
وَسَيْفُـــــهُ وَسَيْبُـــــهُ نَصْـــرَ ٱلْهُـــدَى قَـــدْ ضَمِنَـــا
مَـــوْلاَيَ خُـــذْهَـــا مِـــدْحَـــةً تُهْـــدِي ٱلـــدُّعَـــاءَ وَٱلثَّنَـــا
بَلَغْـــتَ فِـــي ٱلْمُلْـــكِ ٱلْمُنَـــى بِحَـــقِّ مَـــنْ حَلُّـــوا مِنَـــى[2]

(112)

وَمِمَّا وُجِدَ مِنْ ٱبْتِدَاءَاتِهِ[3]

[الكامل]

هَـــذِي ٱلْخِـــلاَفَـــةُ بُلِّغَـــتْ آمَـــالاَ تَجْلُـــو عَلَـــى أُفْـــقِ ٱلْجَمَـــالِ هِـــلاَلاَ
لِلَّـــهِ مِنْـــهُ هِـــلاَلُ تِـــمٍّ طَـــالِـــعٌ فَـــاقَ ٱلْبُـــدُورَ مَحَـــاسِنـــاً وَكَمَـــالاَ

(1) أي (منا الغناء) أي الإنشاد، والغنى الثانية ضد الفقر.
(2) «هي بُلَيْدَة» على فرسخ من مكة طولها ميلان تعمر أيام موسم الحج وتخلو في بقية السنة وهي في درج الوادي الذي ينزله الحجاج ويرمى فيه الجمار من الحرم» (ياقوت معجم البلدان ج 4 ص 642).
(3) أي في مطالع القصائد.

لَبِسَتْ بِهِ ٱلأَيَّامُ مَلْبَسَ زِينَةٍ   جَرَّتْ بِهَا فَوْقَ ٱلشُّهَى أَذْيَالاَ

(113)

وَمِنْ ذَلِكَ:

[الكامل]

نَفَسَ ٱلصَّبَا قَدْ هِجْتِ لِي تَبْرِيحَا   وَلَقَبْلُ كُنْتُ مِنَ ٱلشُّجُونِ مُرِيحَا

أَذْكَرْتَنِي عَهْدَ ٱلْحِمَى، سُقِيَ ٱلْحِمَى،   غَيْثاً كَدَمْعِي لاَ يَزَالُ سَفُوحَا

(114)

وَمِنْ ذَلِكَ عِنْدَ فَتْحِ ٱلْجَزِيرَةِ[1]:

[الكامل]

لَيْلُ ٱلضَّلاَلِ بِصُبْحِ سَيْفِكَ يَنْجَلِي[2]   فَالْفَتْحُ بَيْنَ مُعَجَّلٍ وَمُؤَجَّلِ

هَذِي ٱلْجَزِيرَةُ وَالجَزِيرَةُ[3] بَابُهَا   فَافْتَحْهُ تَفْتَحْ كُلَّ بَابٍ مُقْفَلِ

(115)

ق(66) / وَقَالَ مِمَّا رُسِمَ بِالنَّقْشِ فِي بُرْطُلِ[4] القَصْرِ مِنْ دَارِنَا الكَرِيمَةِ يُخَاطِبُ مَوْلاَنَا الجَدَّ أَيْضاً جَدَّدَ اللهُ رَحْمَتَهُ لَدَيْهِ وَقَدْ مَرَّ بَعْضُهَا فِي قَصِيدَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ:

فِي الجَانِبِ الأَيْمَنِ[5]:

---

(1) جزيرة (ميورقة) ٱفتكّها من يد النصارى وهي كبرى جزائر البليار أو الجزائر الشرقية (ياقوت: بلدان 246/5).

(2) في الأصل: ينجل دون ياء.

(3) الجزيرة الأولى الأندلس، والثانية جزيرة ميورقة.

(4) البرطل: في الأندلس والمغرب البيت المكشوف الجدران (البُرطال).

(5) هكذا جاء في طرّة المخطوط.

[الطويل]

تَبَــارَكَ مَــنْ وَلاَّكَ أَمْــرَ عِبَــادِهِ فَأَوْلَى بِكَ ٱلإِسْلاَمَ فَضْلاً وَأَنْعَمَا
فَكَـمْ بَلْـدَةٍ لِلْكُفْـرِ صَبَّحْـتَ أَهْلَهَـا وَأَمْسَيْـتَ فِـي أَعْمَـارِهِـمْ مُتَحَكِّمَـا
وَطَوَّقْتَهُمْ طَوْقَ الإِسَارِ فَأَصْبَحُوا بِبَـابِـكِ يَبْنُـونَ ٱلْقُصُــورَ تَخَـدُّمَـا
وَفَتَّحْـتَ بِـالسَّيْـفِ ٱلْجَـزِيـرَةَ عَنْـوَةً فَفَتَّحْـتَ بَـابـاً كَـانَ لِلنَّصْـرِ مُبْهَمَـا
وَمِنْ قَبْلِهَا ٱسْتَفْتَحْتَ عِشْرِينَ مَعْقَلاً وَصَيَّـرْتَ مَـا فِيهَـا لِجَيْشِـكَ مَغْنَمَـا
فَلَـوْ خُيِّـرَ ٱلإِسْـلاَمُ فِيمَـا تُـرِيـدُهُ لَمَـا ٱخْتَـارَ إِلاَّ أَنْ تَعِيـشَ وَتَسْلَمَـا
لَكَ ٱللَّهُ مِن قَصْرٍ بِهِ أَطْلَعَ ٱلْهُدَى لأَبْصَـارِنَـا ٱلْبَـدْرَ ٱلْمُنِيـرَ ٱلْمُتَمَّمَـا

في الجانب الآخر[1]:

أَجَــلُّ بَنِــي نَصْــرٍ سَنَــاءً وَنِعْمَــةً وَأَعْلاَهُمُ فِي هَضْبَةِ ٱلْمُلْكِ مَعْلَمَا
فيَا ٱبْنَ ٱلْعُلَى وَٱلْحِلْمِ وٱلْبَأْسِ وَٱلنَّدَى وَمَـنْ فَـاقَ آفَـاقَ النُّجُـومِ إِذَا انْتَمَى
طَلَعْـتَ بِـأُفْـقِ المُلْـكِ آيَـةَ رَحْمَـةٍ لِتَجْلُوَ مَا قَدْ كَانَ بِالظُّلْمِ أَظْلَمَا
فَأَمَّنْتَ حَتَّى ٱلْغُصْنَ مِنْ نَفْحَةِ ٱلصَّبَا وَأَرْهَبْتَ حَتَّى ٱلنَّجْمَ فِي أُفْقِ ٱلسَّمَا
فَـإِنْ رَعَشَـتْ زُهْـرُ النُّجُـومِ فَخِيفَـةً وَإِنْ مَالَ غُصْنُ ٱلْبَانِ شُكْرَكَ يَمَّمَا

(116)

وَفِي ٱلْبُرْطُلِ ٱلْمُنَاظِرِ لَهُ مِمَّا بَعْضُهُ فِي قَصِيدَةٍ أَيْضاً:

[الكامل]

في جانب[2]:

يَا مَظْهَرَ ٱلْمَلِكِ ٱلْهُمَامِ وَهَالَةَ الـ قَمَـرِ ٱلَّـذِي مَـا فَـارَقَ التَّكْمِيـلاَ

(1) (2) هكذا في طُرّة المخطوط.

و(67) / حَيْثُ ٱلْخِلافَةُ قَدْ جَلَتْ [. . . .] [. . . .][1]

لاَ زَالَ رَبْعُكَ بِالْمَكَارِمِ آهِلاً وَٱلْخَلْقُ تُوسِعُ تُرْبَهُ تَقْبِيـ

وَٱلأُفْقُ يَهْوَى أَنْ تَكُونَ بُرُوجُهُ لَكَ فِي ٱلْخِلاَفَةِ مَنْزِلاً وَمَقِيلاَ

يُومِي[2] إِلَيْكَ بِبَدْرِهِ وَنُجُومِهِ يُهْدِيكَ مِنْهُ التَّاجَ وَٱلإِكْلِيلاَ

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أَيَّامُهُ وَضَحَتْ لَنَا غُرَراً بِهِ وَحُجُولاَ[3]

وَٱللَّهِ مَا آثَارُ فَخْرِكَ[4] عِنْدَنَا إِلاَّ نُجُومًا مَا عَرَفْنَ أُفُولاَ

وفي جانب[5]:

لَمْ تَسْرِ سَارِيَةُ ٱلرِّيَاحِ لِطِيَّةٍ[6] إِلاَّ لِتَحْمِلَ ذِكْرَكَ ٱلْمَعْسُولاَ

كَمْ صُورَةٍ لَكَ فِي ٱلْفُتُوحِ وَسُورَةٍ تُجْلَى وَتُتْلَى بُكْرَةً وَأَصِيلاَ

كَمْ بَلْدَةٍ لِلْكُفْرِ قَدْ عَوَّضْتَ مِنْ نَاقُوسِهَا ٱلتَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلاَ

(117)

وَحَوْلَ إِحْدَى خِزَانَتَي ٱلْبَيْتِ: [البسيط]

يَا ٱبْنَ ٱلْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَمَنْ تَعْنُو ٱلنُّجُومُ لَهُمْ قَدْراً إِذَا ٱنْتَسَبُوا[7]

إِنْ كُنْتَ شَيَّدْتَ قَصْراً لا نَظِيرَ لَهُ حَازَ ٱلْعُلَى وَسَمَتْ مِنْ دُونِهِ ٱلرُّتَبُ

حَيْثُ ٱلْخِلاَفَةُ يُتْلَى مِنْ عَجَائِبِهَا غَرَائِباً أُودِعَتْهَا الصُّحْفُ وَالْكُتُبُ

شَيَّدْتَ لِلدِّينِ فِي عَلْيَاءَ شَاهِقَةٍ بَيْتاً مِنَ العِزِّ لَمْ تُمْدَدْ لَهُ طُنُبُ

---

(1) بياض في الأصل.

(2) (وَرَمَى) في أزهار الرياض 2: 102.

(3) (وضحت بأوجه درحز محولا) في نفس المصدر السابق 2: 101، والمعنى غير واضح.

(4) (هَذِيكَ) في نفس المصدر السابق.

(5) هكذا في طرّة المخطوط.

(6) (بِطِيبَةٍ) في المصدر المذكور.

(7) في الأصل (أنتسبُ) بدون واو الجماعة.

كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الإِسْلاَمِ قَدْ سَلَفَتْ تَخْفَى وَيَظْهَرُ مِن آثارِهَا العَجَبُ
نُعْمَى وَلاَ مِنَّةٌ جَدْوَى وَلاَ عِدَةٌ رُحْمَى ولاَ غِلْظَةٌ عَفْوٌ وَلاَ سَبَبُ

(118)

وَحَوْلَ الخِزَانَةِ الأُخْرَى:

[البسيط]

ق(67) /إِنَّ ٱبْنَ نَصرٍ وَمَا أَدْرَاكَ مِنْ مَلِكٍ مِنْ قَصْرِهِ طَالِعَاتُ ٱلنَّصْرِ تُرْتَقَبُ
مُؤَيَّدٌ تَرْهَبُ الآلاَفُ صَوْلَتَهُ لَوْ أَوْعَدَ الأُفْقَ مَا لاَحَتْ لَهُ شُهُبُ
يَحْدُو المُلُوكَ إِلَى أَبْوَابِهِ رَهَبٌ إِذَا العُفَاةُ حَدَاهَا نَحْوَهَا الرُّغَبُ
مِمَّا تَعَوَّدَ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمٍ لاَ يُمْسِكُ المَالَ إِلاَّ رَيْثَمَا يَهَبُ
لاَ زَالَ فِي عِزَّةٍ تَعْنُو المُلُوكُ لَهَا وَيَرْهَبُ البَأْسَ مِنْهَا العُجْمُ والعَرَبُ
وَخَلَّدَ اللهُ قَصْراً أَنْتَ سَاكِنُهُ وَٱلْنَّصْرُ فِيهِ إِلَى عَلْيَاكَ يَنْتَسِبُ

(119)

وَعَلَى إِحْدَى الطَّاقَتَيْنِ بِبَابِ ٱلْبَيْتِ:

[مجزوء الرمل]

أَنَا مَجْلاَةُ عَرُوسٍ ذَاتِ حُسْنٍ وَكَمَالِ
فَانْظُرِ ٱلإِبْرِيقَ تَعْرِفْ فَضْلَ صِدْقِي فِي مَقَالِي[1]
وَٱعْتَبِرْ تَاجِي تَجِدْهُ مُشْبِهاً تَاجَ الهِلاَلِ
وَٱبْنُ نَصْرٍ شَمْسُ مُلْكٍ فِي ضِيَاءٍ وَجَمَالِ
دَامَ فِي رِفعَةِ شَأْنٍ آمِناً وَقْتَ ٱلْزَّوَالِ

(1) في الأصل (مَقَالِ) بدون ياء النِّسبة للمتكلم.

(120)

وَعَلَى ٱلطَّاقَةِ ٱلأُخْرَى:

[مجزوء الرمل]

أَنَــــا مِحْـــــرَابُ صَــــــلاَةٍ سَمْتُـــــهُ سَمْـــــتُ السَّعَـــادَهْ
تحْســـبُ ٱلإِبْـــرِيـــقَ فِيـــهِ قَـــائِمـــاً يَقْضِـــي عِبَـــادَهْ
و(68) / كُلَّمَـــا يَفْـــرَغُ مِنْهَـــا وَجَبَـــتْ فِيهَـــا ٱلإِعَـــادَهْ
وَبِمَـــوْلاَيَ ٱبْـــنِ نَصْـــرٍ شَـــرَّفَ اللهُ عِبَـــادَهْ
قَـــدْ نَمَـــاهُ سَيِّـــدُ ٱلْخَـــزْرَجِ سَعْـــدُ بْـــنُ عُبَـــادَهْ

(121)

وَفِي ٱلطَّاقَةِ ٱلْوَاحِدَةِ مِنْ بَابِ ٱلْبَيْتِ الآخَرِ:

[الخفيف]

هَـــذِهِ ٱلْـــدَّارُ جَنَّـــةٌ لِلْخُلُـــودِ فِـــي سُـــرُورٍ مُـــوَاصَـــلٍ وَسُعُـــودِ
جُمِعَـــتْ لِلْنَّعِيـــمِ فِيهَـــا فُنُـــونٌ مِـــنْ ظِـلاَلٍ تَنْـدَى وَعَـذْبٍ بَـرُودِ
وَٱبْـنُ نَصْـرٍ مِنْـهُ ٱلْخِـلاَفَـةُ تُـزْهَـى بِـإِمَـامِ ٱلْهُـدَى وَفَخْـرِ ٱلْـوُجُـودِ
صَـــاغَ تَـــاجِـي مُكَلَّـــلاً بِـرُقُـــومٍ يَـــزْدَرِي نَظْمُهَـــا بِنَظْـــمِ ٱلْعُقُـــودِ
دَامَ فِـــي غِبْطَـــةٍ وَعِـــزَّةِ مُلْـــكٍ مُطْعَـمَ ٱلنَّصْـرِ تَحْـتَ ظِـلِّ ٱلْبُنُـودِ

(122)

وَفِي ٱلْمُنَاظَرةِ لَهَا:

[الخفيف]

هَــذِهِ جَنَّــةُ ٱلنَّعِيــمِ تَجَلَّــتْ لَيْسَ عَنْهَا لِسَاكِنٍ مِنْ بَرَاحِ[1]
فَنُقُوشِي تَبْدُو كَزَهْرِ رِيَاضِي وَبَيَاضِي يَحْكِي مُحَيَّا ٱلصَّبَاحِ
وَقِسِيِّي عَلَى الأَبَارِيقِ تَحْنُو تَطْلُبُ ٱلْوِرْدَ فِي البُرُودِ القَرَاحِ[2]
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ المَبَانِي طُرُقُ الجِدِّ غَيْرُ طُرْقِ المُزَاحِ
وَصَلَ اللهُ بِٱبْنِ نَصْرٍ سُعُودِي فَهْوَ غَيْثُ النَّدَى وَبَدْرُ السَّمَاحِ

(123)

ق(68) / وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ:

[الطويل]

خَلِيلَيَّ هُبَّا فَارْقُبَا أُفُقَ ٱلْعُلَى فَقَدْ لاَحَ بَدْرُ ٱلتَمِّ مِنْ أُفْقِ بَلِّشِ[3]
وَقَدْ شَابَ مُصْفَرَّ العَشِيَّةِ حُمْرَةٌ فَأَهْدَتْ مِنَ التُّفَّاحِ كُلَّ مُرَيَّشِ[4]
وَقَدْ أَذْهَبَتْ عَنَّا الأَسَى ذَهَبِيَّةٌ أَمَدَّ سَنَاهَا النُّورُ مِنْ مُذْهَبِ العَشِي[5]
لَهَا هِزَّةٌ فِي الكَأْسِ مِنْ طُولِ عُمْرِهَا وَمَنْ طَالَ مِنْهُ العُمْرُ يَضْعُفْ وَيَرْعُشِ

(124)

وَقَالَ مُتَشَوِّقاً:

---

(1) هي مصدر برح من المكان زال عنه (القاموس 1/214).
(2) القراح: الخالص، الماء لا يخالطه ثُفْل (المصدر السابق 1/240).
(3) بَلِّشْ هي مدينة بلش مالقة (Velez Malaga) وهي تقع شرقي ثغر مالقة وعلى مقربة منها (الاحاطة لابن الخطيب، 1، 112).
(4) كثير الورق المُوَشَّى (القاموس 2/274).
(5) في الأصل (العَشِ) بدون ياء.

[الوافر]

سَلاَمُ الله يَا قَصْرَ السَّلاَمِ[1] عَلَى أَرْجَائِكَ الغُرِّ الوِسَامِ
فَكَمْ رَوْضٍ بِرَوْضِكَ لِلأَمَانِي يَنِمُّ بِعَرْفِهِ زَهْرُ ٱلْكِمَامِ
وَكَمْ غُصْنٍ لِقَدٌّ ذِي قَوَامٍ وَكَمْ ثَغْرٍ لِزَهْرٍ ذِي ٱبْتِسَامِ
إِذَا ضَحِكَتْ ثُغُورُ الزَّهْرِ فِيهَا تَبَاكَى فَوْقَهَا زَهْرُ الغَمَامِ
مَطَالِعُ مُجْتَلَى نُورٍ وَنَوْرٍ تُدِيرُ شُمُوسَهَا شَمْسُ المُدَامِ
مَعَاهِدُ جِيرَتِي وَمَرَادُ أُنْسِي وَغُصْنُ شَبِيبَتِي لَدْنُ القَوَامِ
تَقَضَّى أُنْسُهَا وَمَضَى شَبَابِي فَكَانَا مِثْلَ أَحْلاَمِ ٱلْمَنَامِ
سَأُتْبِعُهَا وَإِنْ حَمَلَتْ فُؤَادِي بِدَمْعِيَ وَٱلتَّرَحُّمِ وَالسَّلاَمِ

(125)

وَمِنْ قَصِيدَةٍ أَيْضاً يَمْدَحُ السُّلْطَانَ أَبَا العَبَّاسِ[2] مَلِكَ المَغْرِبِ رَحِمَهُ الله / وَقَدْ حَضَر بِسَلاَ لَيْلَةَ المَوْلِدِ الكَرِيمِ: و(69)

[الطويل]

وَجَادَ سَلاَ صَوْبُ العِهَادِ فَعَهْدُهُ كَرِيمٌ حَبَانَا بِالْعَطَايَا الجَسَائِمِ
وَقَدَّسَ مِنْهَا اللَّهُ أَشْرَفَ هَالَةٍ يُجَلِّي بِهَا بَدْرُ الهُدَى كُلَّ فَاحِمِ
فَقَدْ كَفَلَ الإِسْلاَمَ فِيهَا خَلِيفَةٌ يَكُفُّ أَكُفَّ الحَادِثِ المُتَفَاقِمِ
وَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْهُ مَثَابَةَ رَحْمَةٍ تُحَجُّ بِآمَالِ المُلُوكِ الأَعَاظِمِ
رَعَى اللَّهُ رَبْعاً مِنْهُ بِالمُلْكِ آهِلاً وَحَيَّاهُ عَنَّا بِالتَّحَايَا ٱلْكَرَائِمِ
وَظَلَّلَ مِنْهُ القَصْرَ رَفْرَفُ عِصْمَةٍ يَرِفُّ مِنَ النَّصْرِ العَزِيزِ بِعَاصِمِ

---

(1) يقصد به قصر الحمراء.

(2) أبو العباس المريني، أحمد بن سالم، سلطان المغرب بُويع له بمداخلة الغني بالله سنة 776 .

وَمَا هُوَ إِلاَّ قَائِمٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ ... يُؤَدِّي الَّذِي يُلْقِي بَرِيدُ النَّوَاسِمِ

مَنَازِلُ فِيهَا لِلْعُيُونِ مَنَازِهٌ ... تَرُودُ[1] بِهَا النُّعْمَى نُجُومُ النَّعَائِمِ

وَبِالْمَظْهَرِ السَّامِي عَلَى النَّهْرِ مَجْلِسٌ ... تُبَاهِي بِهِ الأَقْمَارَ بِيضُ العَمَائِمِ

وَزُهْرُ وُجُوهٍ مِنْ مَرِينٍ مُنِيرَةٌ ... تَلُوحُ بِهَا مِثْلُ النُّجُومِ لِشَائِمِ[2]

وَمِنْ بَيْنِهَا وَجْهُ الخَلِيفَةِ أَحْمَدٍ ... هِلاَلٌ وَلَكِنْ تَمَّ قَبْلَ التَّمَائِمِ

لَهُ بِالنَّبِيِّ ٱلْمُجْتَبَى وَبِآلِهِ ... مَقَامُ ٱعْتِنَاءٍ مَا لَهُ مِنْ مُقَاوِمِ

مَرَاضِعُهُ دَرَّتْ آلِ نَبِيِّهِ ... فَهَبُّوا إِلَيْهَا مِنْ حُجُورِ الفَوَاطِمِ

فَيَا عَادِلاً قَدْ حَلَّ دَارَ سَمِيِّهِ ... مُجَدَّدَةً مِنْ عَهْدِهَا ٱلْمُتَقَادِمِ

أَقَمْتَ لِمِيلاَدِ ٱلرِّسَالَةِ مَوْسِماً ... تُقَصِّرُ عَنْهُ سَالِفَاتُ المَوَا[سِمِ][3]

وَسَابِعُهُ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ أَقَمْتَهُ ... لِرَفْعِ ثَوَابٍ أَوْ لِحَطِّ مَآ[ثِمِ][4]

فَكَمْ فِيهِ مِنْ صُنْعٍ جَمِيلٍ وَمَصْنَعٍ ... فَوَاتِحُهُ مَشْفُوعَةٌ بِٱلْخَوَا[تِمِ][5]

ق(69) / وَكَمْ نَسْمَةٍ لِلْحَمْدِ فِيهِ تَضَوَّعَتْ ... يُطَيِّبُ رَيَّا عَرْفِهَا كُلَّ نَاسِمِ

(126)

وَمِنْ أُخْرَى يُخَاطِبُ السُّلْطَانَ أَبَا فَارِسٍ[6] رَحِمَهُ الله وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيهِ مِنْ مَوْلاَنَا الجَدِّ رَضِيَ الله عَنْهُ مُهَنِّئاً بِالمُلْكِ يَسْتَنْفِرُهُ إلى المُظَاهَرَةِ فِي الجِهَادِ عَلَى رَعْيِ ذِمَّةِ الوِدَادِ

(1) راد يرود رودا الذهاب والمجيء (القاموس 1/294).
(2) شَام يشيمُ نظر إلى البرق أين يقصد وأين يُمْطر (القاموس 4/135).
(3) (4) (5) بياض في اوصل، اجتهد نافي مَلْئه على هذه الصورة.
(6) هي كنية السلطان عبد العزيز سلطان المغرب (767 ـ 774).

[الطويل]

سَرَى وَرِكَابُ النَّجْمِ لِلْغَرْبِ يَذْهَبُ وَلِلْصُّبْحِ بَنْدٌ بِـآلْبُـرُوقِ يُـذَهَّـبُ

وَلِلْبَـدْرِ تَـاجٌ بِـالنُّجُـومِ مُـرَصَّـعٌ عَلَى مَفْرِقِ الجَوْزَاءِ مَا زَالَ يُعْصَبُ

وَقَـدْ سَـالَ نَهْـرٌ لِلنَّهَـارِ بِشَطِّـهِ حَبَابُ نُجُومٍ فِيهِ تَطْفُو وَتَرْسُبُ

خَيَـالٌ رَأَى بَحْـرَ الـدُّمُـوعِ فَـرَاعَـهُ وَنَـارُ الْهَـوَى بَيْـنَ الْحَشَـى تَتَلَهَّـبُ

أَمَا وَٱلْهَوَى لَوْلاَ السِّجَافُ ٱلْمُطَنَّبُ لَمَا كُنْتُ فِي شَكْوَى الْصَبَابَةِ أُطْنِبُ

وَٱتَّصَلَ بِهَذَا البَيْتِ مَا بَعْدَهُ مِنَ النَّسِيبِ فِي القَصِيدَةِ الْمُتَقَدِمَةِ[1] التِّي أَوَّلُهَا:

* أَمَا إِنَّهُ لَوْلاَ ٱلْسِّجَافُ ٱلْمُطَنَّبُ*

إلى أَنْ يَقُولَ فِي التَخَلُّصِ إلى المَدْحِ:

وَلاَحَـتْ تَبَـاشِيـرُ الصَّبَـاحِ كَـأَنَّهَـا مُحَيَّاكَ يَا مُوسَى إِذَا كُنْتَ تَرْغَبُ

منها[2]

أَمَـدَّكَ سُلْطَـانُ الجِهَـادِ بِعَـزْمَـةٍ إِلَيْهَـا مَضَـاءُ الهُنْـدُوَانِـيِّ[3] يُنْسَـبُ

أَمَـدَّكَ بِـالنَّفْـسِ النَّفِيسَـةِ جَـاهِـداً ومَا بَعْدَ بَذْلِ النَّفْسِ فِي الجُودِ مَذْهَبُ

وَأَخْلَصَهَـا لِلّـهِ نِيَّـةَ مُخْبِـتٍ يُعَـامِـلُ وَجْـهَ الله فِيهَـا وَيَـرْقُـبُ

و(70) / وَأَرْكَبَكَ الفُلْكَ المَيَامِينَ طَيْرُهَا فَغِرْبَانُهَا فِي رَبْعِ شَانِيكَ[4] تَنْعَبُ

وَكَـانَـتْ مَـرِيـنٌ وَاعَـدَتْـهُ وَفَـاءَهَـا فَـوَفَّـوْا جَمِيعـاً بِـالَّـذِي كَـانَ يَطْلُـبُ

وَقَدْ كُنْتَ مَوْلاَهَا وَغَايَةَ قَصْدِهَا فَـأُنْجِـحَ مَقْصُـودٌ وَبُلِّـغَ مَـأْرَبُ

تَـوَلَّتْـكَ أَقْـدَارُ الإِلآهِ بِعِصْمَـةٍ وَمَنْ غَالَبَ الأَقْدَارَ فَٱللَّهُ يَغْلِبُ

---

(1) غير موجودة فيما سبق فهي من القسم الذي سقط من الديوان.

(2) هكذا في طرّة المخطوط مما يدل انها أبيات مختارة من كامل القصيدة.

(3) السيف الهندواني منسوب إلى الهند وهو المشحوذ (القاموس المحيط 1/346).

(4) شنأه: أبغضه (المصدر السابق 1/19).

فَيَسَّرْتَ لِلْيُسْرَى وَيُسِّرَ فَتْحُهَا كَلَمْحَةِ لَمْعِ الْبَرْقِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
وَجَدَّدْتَ مِنْ فَاسِ الجَدِيدِ مَعَاهِداً أَلَحَّ عَلَيْهَا مِنْ نَوَالِكَ صَيِّبُ
وَجَاءَتْ جُيُوشٌ مِنْ مرِينٍ أَعِزَّةٌ إِذَا مَرَّ مِنْهَا مَوْكِبٌ حَفَّ مَوْكِبُ
وَحَوْلَكَ مِنْ مَثْنَى الوَزَارَةِ عُوذَةٌ وَفَالٌ لآمَالِ ٱلْعُدَاةِ مُكَذِّبُ
زَجَرْتَ بِمَسْعُودِ بْنِ رَحُّو[1] سَعَادَةً وَرَاحَةَ نَفْسٍ بَعْدَهَا لَيْسَ يُتْعَبُ
تَقَدَّمَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ خَالِصاً يُطَابِقُ مِنْهُ فِي الحُضُورِ المُغَيَّبُ
تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ المُلْكِ صَارِماً يَلِينُ لَهُ مَسٌّ وَيَخْشُنُ مَضْرِبُ
يَشِفُّ بَيَاضُ القَلْبِ عَمَّا بِقَلْبِهِ وَيُمْسِي سَلِيمَ الصَّدْرِ لاَ يَتَعَتَّبُ

وَمِنْهَا:

وَزِيرٌ كَمَا تَرْضَى الخِلاَفَةُ نَاصِحٌ كَرِيمُ المَسَاعِي لِلأُمُورِ مُجَرِّبُ
قَبِيلُكَ يَامَوْلاَيَ أَشْرَفُ أُسْرَةٍ لَهُمْ فِي المَعَالِي أَوْجُهَا المُتَرَقَّبُ
بُحُورُ حَدِيدٍ فِي النِّزَالِ وَفِي النَّدَى بُحُورُ سَمَاحٍ مَدُّهَا لَيْسَ يَنْضِبُ
شُمُوسٌ بِأَيْدِيهَا بُرُوقُ صَوَارِمٍ إِذَا أَوْمَضَتْ يَنْجَابُ لِلْنَّقْعِ غَيْهَبُ

وَمِنْهَا:

وَإِنَّ مَرِيناً، خَلَّدَ الله فَخْرَهَا يُخَطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ وَيُكْتَبُ،
غُيُوثُ سَمَاحٍ فِي النَّوَالِ وَفِي الوَغَى لُيُوثُ كِفَاحٍ غِيلُهَا[2] مُتَأَشِّبُ[3]

وَمِنْهَا:

جِيَادٌ بِأَيْدِي الرِّيحِ مِنْهَا أَعِنَّةٌ تَرَاهَا بِأَرْسَانِ الجَنَائِبِ تُجْنَبُ

---

(1) هو مسعود ابن ما ساي توفي 789 وزير مغربي، رأس الفتنة شارك في الصراعات الداخلية والخارجية لملوك بني مرين وبني الأحمر، قتله أبو العباس المستنصر عند استرجاعه ملكه ودخوله فاس (راجع للمزيد الاستقصا للسلاوي 2/133 ـ 139 وكذلك الاعلام للزركلي ج 8. (112 ـ 113).
(2) الغيل: الشجر الكثيف الملتفّ (القاموس 4/27).
(3) أشَب يَأْشِب: خلط، التفّ الشجر يقصد كثرة السلاح وتشابكه فهو كالشجر الملتف (المصدر السابق 1/37).

ق(70) / وَمِنْهَا:

تُنَاجِيكَ خَلْفَ البَحْرِ آمالُ مَعْشَرٍ وَكُلٌّ مُحَيَّاكَ المُبَارَكَ يَرْقُبُ

وَشَخْصُكَ فِي كُلِّ القُلُوبِ مُصَوَّرٌ وَأَنْتَ وَرَاءَ الغِيْبِ غَيْبٌ مُحَجَّبُ

سَتَنْصُرُهَا نَصْراً عَزِيزاً مُؤَزَّراً يُبَلِّغُ أَهْلَ اللَّهِ مَا هِيَ تَرْغَبُ

فَقَلِّدْ سُيُوفاً مِنْ مَرِينٍ وَسُلَّهَا عَلَى عُصْبَةِ التَّثْلِيثِ واللَّهُ يَضْرِبُ

وَمِنْهَا:

أَبَا فَارِسٍ هُنِّئْتَهُ مُلْكَ فَارِسٍ تُرَاثُ مُلُوكٍ وَارِثُ المُلْكِ أَنْجَبُ

تُجَدِّدُ مِنْ آثَارِهِمْ كُلَّ دَارِسٍ لَهُ مِنْ جَنَابِ اللَّه أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الخَلِيفَةَ فَارِساً وَلِلْصِّدْقِ نُورٌ لائِحٌ لَيْسَ يُحْجَبُ

بِأَنَّ إِلاَهَ العَرْشِ جَدَّدَ مُلْكَهُ وَأَبْقَى لَهُ زُلْفَى بِهَا يَتَقَرَّبُ

أَمَوْلاَيَ مِنْ مَوْلاَيَ[1] جِئْتُ مُهَنِّئاً مَوَاهِبَ فَتْحٍ لَمْ تَكُنْ قَطُّ تُحْسَبُ

وَأَشْكُرُ مِنْ هَذَا القَبِيلِ أَحِبَّةً فَأَلْفَيْتُهَا عَنْ شُكْرِهِ لَيْسَ تَرْغَبُ

فَلِلَّهِ مِنْ هَذَا الجَنَابِ بُنُوَّةٌ لَهَا فِي الرِّضَا قَصْدٌ جَمِيلٌ وَمَذْهَبُ

ولله مِنْ ذَاكَ ٱلْجَنَابِ أُبُوَّةٌ لَهَا فِي تَحَفِّيهَا حِمًى لَيْسَ يُقْرَبُ

فَوُرِّثْتُمَا أَعْمَارَ كُلِّ مُعَانِدٍ وَخُلِّدْتُمَا فِي عِزَّةٍ لَيْسَ تَذْهَبُ

(127)

وَمِنْ أُخْرَى يُجِيبُ عَنْهُ[2] رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ مَلِكَ المَغْرِبِ أَيْضاً مُسْتَنْفِراً لِدَوَاعِي الخُلُوصِ مُسْتَوْفِزاً، قُيِّدَ هُنَا مِنْها مَا أُلْفِيَ فِي المُبَيَّضَةِ عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ[3]:

---

(1) يقصد بذلك الغني بالله فهو الذي أوفده.

(2) أي يجيب عن الغني بالله.

(3) إشارة إلى الرّقاع بخطّ الشاعر ومنها كان جامع الديوان ينقل (راجع المقدمة ص 34).

[الكامل]

بَـثَّ الضَّمِيـرُ إِلَـى الضَّمِيـرِ مَحَبَّةً ... بِصَمِيمِ قَلْبٍ فِي الخُلُوصِ مُقَلَّبِ

و(71) / مَـا ضَـرَّنَـا إِذْ كُنْـتَ أَكْـرَمَ شَـاهِـدٍ ... فَيَحُـوزُ فَضْـلَ قَـرَابَـةٍ بِتَقَـرُّبِ

أَرْوَاحُنَـا مُتَجَنِّـدَاتٌ تَلْتَقِـي ... بِتَعَـارُفٍ وَتَـأَلُّـفٍ وَتَحَبُّـبِ[1]

لِلَّـهِ رَوْضٌ مِـنْ خُلُـوصِـكَ مُثْمِـرٌ ... دَانِي القِطَافِ عَلَى رَوِيِّ ٱلْمَشْرَبِ

إِنْ لَـمْ يَكُـنْ رَحِـمَ ٱلْـوِلاَدِ فَـإِنَّـهُ ... رَحِـمُ ٱلْـوِدَادِ وَحَبَّـذَا مِـنْ مَنْسَـبِ

وَٱلْمُلْكُ مُلْتَحِمُ ٱلأَوَاصِرِ فِي ٱلْعُلَى ... فَيَحُـوزُ فضْـلَ قَـرَابَـةٍ بِتَقَـرُّبِ

وَقَـدْ ٱجْتَبَـاكَ لإِرْثِهَـا مَـنْ يَصْطَفِـي ... مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ الْكَمَالِ وَيَجْتَبِي[2]

أَكْـرِمْ بِـإِرْثِ الْـوُدِّ يَـا مَلِـكَ ٱلْعُلَـى ... عَنْ كُلِّ جَدٍّ فِي ٱلْخِلاَفَةِ أَوْ أَبِ

وُدٌّ لَـوْ ٱسْتَجْلَـى ٱلْصَّبَـاحُ ضِيَـاءَهُ ... وَكَسَـا مُحَيَّـا شَمْسِـهِ لَـمْ يُحْجَـبِ

وَلَوْ اَنَّ شُهْبَ الأُفْقِ فِي غَسَقِ الدُّجَا ... بَـاتَـتْ تُمَـدُّ بِنُـورِهِ لَـمْ تَغْـرُبِ

نَشَـرَ ٱلصَّبَـاحُ لِـوَاءَهُ بِمُفَضَّـضٍ ... وَطَـوَى ٱلأَصِيـلُ رِدَاءَهُ بِمُـذَهَّـبِ

وَأَدَارَتِ ٱلأَسْـلاَفُ مِنْـهُ سُـلاَفَـةً ... مَجْلُـوَّةً فِـي مُـذْهَـبٍ مِـنْ مَـذْهَـبِ

هَتَـكَ ٱلظَّـلاَمُ حِجَـابَـهُ بِضِيَـائِهَـا ... فَـوَشَـتْ لَـهُ بِـالـزَّائِـرِ ٱلْمُتَـرَقِّـبِ

وَلَـرُبَّمَـا رَفَـعَ ٱلصَّبَـاحُ رِدَاءَهُ ... بِحَبَـابِهَـا بَـدَلَ ٱلنُّجُـومِ ٱلْغُـرَّبِ

قَدْ عَرْبَدَتْ فِي ٱلْكَأْسِ حَتَّى مَزَّقَتْ ... مِسْـحَ ٱلظَّـلاَمِ لِلَيْلِـهِ ٱلْمُتَـرَهِّـبِ

وَٱسْتَـوْدَعَـتْ سِـرَّ ٱلسُّـرُورِ كُـؤُسُهَـا ... فِـي كُـلِّ قَلْـبٍ بِـالْمَحَبَّـةِ مُشْـرَبِ

مَـنْ قَيَّـدَتْـهُ ٱلْخَمْـرُ مِـنْ سُكْـرٍ بِهَـا ... تَجْـرِي لِشَـأْوٍ فـي ٱلسُّـرُورِ مُغَـرِّبِ

ثَغْـرُ ٱلْحَبَـابِ بِكَـأْسِهَـا مُتَبَسِّـمٌ ... عَـنْ كُـلِّ مَعْسُـولِ ٱلْمَـذَاقَـةِ أَشْنَـبِ

مَـا حَـلَّ مُـذْهَبُهَـا بِصَـدْرِ مُـدِيـرِهَـا ... إِلاَّ وَنَـادَى بِـالْهُمُـومِ: أَلاَ ٱذْهَـبِ

---

(1) اقتباس لحديث الرسول عليه السلام (الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف).

(2) بدون ياء في الآخر في الأصل.

تِلْكَ ٱلَّتِي تَدْعُو ٱلنُّفُوسَ إِلى التُّقَى وَتَحُطَّ إِثْمَ ٱلْوَازِرِ ٱلْمُسْتَحْقِبِ
ق(71) / وَتَزِيدُ فِي عَقْلِ ٱلْمُدِيرِ سُلاَفُهَا وَٱلْعَقْلُ لِلإِنْسَانِ أَشْرَفُ مَا حُبِي[1]
لا كَالتِّي فِي ٱلْكَأْسِ مِنْ مَرَّاقَةٍ[2] لَمَعَتْ لِشَائِمِهَا بِبَرْقٍ خُلَّبِ
مُدَّتْ لَهَا أَيْدِي ٱلْكِرَامِ فَلَمْ تُجِبْ إِلاَّ ٱلْمُلُوكَ لِعُلُوِهَا فِي ٱلْمَنْصِبِ
وَمُدِيرُهَا طَوْعَ ٱلْعُلَى قَدْ دَارَ فِي فَلَكٍ بِأَنْوَارِ ٱلسُّعُودِ مُكَوْكَبِ
أَسْلاَفُنَا غَرَسَتْ كُرُومَ سُلاَفِهَا فَمَتَى نَقُومُ بِحَقِّهَا ٱلْمُتَرَتِّبِ
طَلَبُوا بِهَا وَجْهَ ٱلإِلاَهِ وَمِثْلُهُمْ غَيْرَ ٱلْمَحَامِدِ وَٱلْعُلَى لَمْ يَطْلُبِ
كَمْ مِنْ غَرِيبٍ فِي حَدِيثِ جِهَادِهِمْ تَزْوِيهِ أَنْدَلُسٌ لأهْلِ ٱلْمَغْرِبِ
غَابَتْ بُدُورُهُمُ قَدِيماً فِي ٱلثَّرَى لَكِنَّهُ مَا نُورُهُمْ بِمُغَيَّبِ
ذَهَبُوا لِرِضْوَانِ ٱلإِلاَهِ وَإِنَّمَا آثَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ تَذْهَبِ
أَنْتَ ٱلَّذِي تَقْفُو سَبِيلَ جِهَادِهِمْ فَتَعُودُ بِالْفَتْحِ ٱلْمُبِينِ ٱلأَقْرَبِ
وَإِذَا نَبَا مَاضِي ٱلْحُسَامِ بِمَأْزِقٍ فَحُسَامُ سَعْدِكَ فِيهِ مَاضِي ٱلْمَضْرِبِ
مَنْ قَالَ أَرْوَاحُ ٱلْمُلُوكِ لَكَ ٱلْفِدَا فَأَنَا لَعَمْرُكَ قَائِلٌ بِالْمُوجَبِ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ٱلَّذِي رَايَاتُهُ قَدْ زَاحَمَتْ شُهْبَ ٱلسَّمَاءِ بِمَنْكِبِ
لَكَ عَزْمَةٌ شَهَرَ ٱلصَّبَاحُ لِوَاءَهَا فَأَطَلَّ مِنْ زُهْرِ ٱلنُّجُومِ بِمَوْكِبِ
لَكَ يَقْظَةٌ أَعْدَى ٱلنُّجُومَ سُهَادُهَا كَحَلَتْ بِمِيلِ ٱلْبَرْقِ جَفْنَ ٱلكَوْكَبِ
سَابَقْتَ عُلْوِيَّ ٱلنُّجُومِ بِهِمَّةٍ فَرَكَضْتَ مِنْ طِرْفِ ٱلصَّبَاحِ بِأَشْهَبِ
أَرْوَاحُنَا، أَعْزِزْ بِهَا، مَبْذُولَةٌ لِمُبَشِّرٍ بِلِقَائِكَ ٱلْمُتَرَقَّبِ
وَلِذَاكَ يَوْمٌ حَقُّهُ أَنْ لاَ يُرَى فِيهِ مِنَ الأَحْبَابِ مَنْ لَمْ يَطْرَبِ
فَتَهَيُّؤُ الأَسْبَابِ مِنْ أَحْكَامِهِ بِتَسَبُّبٍ تَجْرِي وَغَيْرِ تَسَبُّبِ
و(72) / وَاللَّهُ يُدْنِي مَا رَجَوْتُ مُعَجِّلاً مِنْ جَمْعِ شَمْلٍ بِالتَّوَاصُلِ مُذْهَبِ

---

(1) بدون ياء في الآخر في الأصل.

(2) هكذا في الأصل ولعلها (بَرَّاقَةٌ) أو هي اسم قرية اشتهرت بخمرها.

فَلَطَالَمَا ٱسْتَوْهَبْتَ رَبّاً مُنْعِماً ... يُعْطِي جَزِيلَ ٱلْفَضْلِ لِلْمُسْتَوْهِبِ

فَاصْرِفْ إِلَى قَصْدِ ٱلْجِهَادِ أَعِنَّةً ... سَبَقَتْ بِشَأْوٍ لِلسُّعُودِ مُغَرِّبِ

وَأَجِزْ فَوَارِسَ مِنْ مَرِينَ تَرْتَمِي ... نَحْوَ ٱلْكَرِيهَةِ مِقْنَباً عَنْ مِقْنَبِ

أُسْدٌ وَمَا أَغْيَالُهَا إِلاَّ ٱلْقَنَا ... فَلَهُمْ حِمًى مِنْ بَأْسِهَا لَمْ يُقْرَبِ

رُهْبَانُ لَيْلٍ مَا تَنَامُ جُفُونُهَا ... وَإِذَا تَهُبُّ عُدَاتُهَا لَمْ تَرْهَبِ

غُرُّ الْوُجُوهِ عَرِيقَةٌ أَحْسَابُهَا ... غَيْرَ المَحَامِدِ وَٱلْعُلَى لَمْ تَخْطُبِ

إِنْ أَوْرَدُوا ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ وَلَمْ تَجِدْ ... عَلَقَ ٱلنَّجِيعِ بِوِرْدِهَا لم تَشْرَبِ

عَلَّمْتَهُمْ أَدَبَ ٱلْحُرُوبِ فَكُلُّهُمْ ... يَسْطُو بِبَاسٍ مُهَذَّبٍ وَمُدَرَّبِ

وَمِنْهَا(1):

رُحْمَى لِقُطْرٍ بَيْنَ بَحْرٍ زَاخِرٍ ... وَعَدُوِّ دِينٍ بِالإِلاَهِ مُكَذِّبِ

لَوْلاَ دِفَاعُ اللّهِ بَاتَتْ نُهْبَةً ... مَا بَيْنَ نَابٍ لِلْخُطُوبِ وَمِخْلَبِ

لَمْ يَبْلُغُوا مِعْشَارَ عُشْرِ عَدُوِّهِمْ ... وَلَهُمْ عَلَيْهِ سَطْوَةُ ٱلْمُتَغَلِّبِ

مَا ذَاكَ إِلاَّ عِزَّةُ اللَّهِ ٱلَّتِي ... مَنْ غَالَبَتْ أَعْدَاءَهُ لَمْ يُغْلَبِ

وَاللَّهِ إِنَّ بَقَاءَهَا لَغَرِيبَةٌ ... لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ مُعْجِزَةِ النَّبِي(2)

نَادَى لِسَانُ ٱلْحَالِ عَنْهَا مُبْلِغاً ... وَٱلْحَالُ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ مُعْرِبِ

هَلْ وَارِدٌ يَظْمَا لِحَوْضِ نَبِيِّهِ ... يَرْوَى بِهِ مِنْ كَوْثَرٍ مُسْتَعْذَبِ

مَنْ يَهْتَدِي مَنْ يَقْتَدِي مَنْ يَقْتَفِي ... بِنَبِيِّهِ فِي غَزْوَةِ ٱلْمُسْتَصْحَبِ؟

إِنَّ ٱمْرَأً بَاعَ ٱلَّذِي يَفْنَى بِمَا ... يَبْقَى لَغَيْرُ مُفَنَّدٍ وَمُؤَنَّبِ

ق(72) / وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ ٱلْبَقَاءَ مُخَلَّدٌ(3) ... فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا بِغَيْرِ تَقَلُّبِ

لَقَضَى ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلإِلاَهِ بِأَنَّنَا ... عَنْ قُرْبِهِ وَجِوَارِهِ لَمْ نَرْغَبِ

قُلْ أَيُّ شِعْبٍ لَمْ يُلِمَّ بِهِ ٱلرَّدَى ... أَمْ أَيُّ شَمْلٍ بِالنَّوَى لَمْ يُشْعَبِ

---

(1) هكذا في الطرّة في الأصل، مما يدل على حذف لبعض الأبيات.

(2) في الأصل بدون ياء هكذا.

(3) في الأصل (مُخَلَّداً) بالنّصب على أنّه حال بتقدير خبر أنّ «موجود» والأوْلى أن يكون بالرفع على أنه خبر أنّ.

مَا كَانَ فِي دَعْوَى ٱلْهُدَى رَيْبٌ وَلاَ ... ٱخْتَلَجَتْ شُكُوكُ مُوَحِّدٍ وَمُجَنِّبِ

بَلْ طَاوَعَتْ أَهْلَ ٱلْغَبَاوَةِ شُبْهَةٌ[1] ... وَٱلْحَقُّ يَجْلُو نُورُهُ شَكَّ ٱلْغَبِي[2]

وَلَطَالَمَا ٱخْتُبِرَ ٱلنُّضَارُ فَلَمْ يَزِدْ ... إلاَّ نَضَارَةَ بَهْجَةٍ لِمُجَرِّبِ

يَا ٱبْنَ الإِمَامِ ٱبْنِ الإِمَامِ ٱبْنِ الإِمَامِ ... ٱبْنِ الإِمَامِ[3] وَفَضْلُهَا لَمْ يَخْتَبِ

أَتْبَعْتَ بِالْحَجِّ ٱلْجِهَادَ تَقَرُّباً ... وَكِلاَهُمَا أَخَوَانِ لِلْمُتَقَرِّبِ

وَدَعَوْتَ مِنْ بَعْدِ ٱلْجِهَادِ بِحَجَّةٍ ... وَزِيَارَةٍ لِلْهَاشِمِيِّ بِيَثْرِبِ

لِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَآكَ وَبَيْنَنَا ... نَقْلُ ٱلْحَدِيثِ عَلَى رَوِيِّ ٱلْمَشْرَبِ

كَمْ مِنْ سُعُودٍ قَدْ ضَرَبْتَ بِهَا ٱلْعِدَى ... وَٱلسَّيْفُ حِلْسُ[4] قِرَابِهِ لَمْ يَضْرِبِ

أَذْكَرْتَنِي ٱلْفَضْلَ ٱلَّذِي لَمْ أَنْسَهُ ... وَٱلْحِسُّ أَصْدَقُ شَاهِدٍ لِمُكَذِّبِ

وَافَتْ عَقَائِلُكَ ٱلْكَرَائِمُ طُلَّعاً ... مِنْ مَرْقَبِ ٱلْعَلْيَاءِ لِلْمُتَرَقِّبِ

مِنْ كَفِّ وَضَّاحِ ٱلْمَكَارِمِ سَافِرٍ ... عَنْ حُرِّ وَجْهٍ بِالْعَفَافِ مُنَقَّبِ

فَجَلَتْ عَلَى الأَفْهَامِ غُرَّ مَحَاسِنٍ ... تُصْبِي عُقُولَ ٱلْمُبْصِرِينَ وَتَسْتَبِي[5]

لَوْ نُظِّمَتْ دُرُّ ٱلدَّرَارِي نَظْمَهَا ... وَسَبَى ٱلصَّبَاحُ عُقُودَهَا لَمْ تُنْهَبِ

بَيَّنْتَ فِيهَا لِلْبَدِيعِ غَرَائِباً ... فَأَتَيْتَ فِيهَا بِالْبَيَانِ ٱلْمُغْرِبِ[6]

أَهْدَيْتَ مِنْ بَحْرِ ٱلْبَنَانِ جَوَاهِراً ... أَلْفَاظُهَا ٱلدُّرُّ ٱلَّذِي لَمْ يُثْقَبِ

فَتَحُلُّ مِنْ كُلِّ ٱلْقُلُوبِ بِمَرْتَعٍ ... وَتَلُوحُ مِنْ كُلِّ ٱلْعُيُونِ بِمَرْقَبِ

و(73) / وَتَلُوحُ شَمْسُكَ مِنْ مَجَالِي حُسْنِهَا ... قَدْ زَالَ عَنْهَا غَيْمُ كُلِّ مُشَغِّبِ[7]

---

(1) في الأصل (أهْلُ الغباوة شبهةً).

(2) في الأصل بدون ياء هكذا.

(3) تلميح إلى آبائه الملوك؛ فهو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر.

(4) الحِلْسُ: الملازم للشيء وهو يقصد ان السيف ملازم لغمده (القاموس 2/205).

(5) بدون ياء في آخرها في الأصل.

(6) إشارة إلى كتاب «ابن عذاري» المعروف.

(7) المشغب: المهيج للشر (المصدر السابق 1/88).

رَوْضٌ مِـنَ الآدابِ أَيْنَـعَ زَهْـرُهُ   وَسَقَاهُ مِنْ سُحْبِ ٱلْبَيَانِ بِصَيِّبِ
تَجْلُـو لَنَـا الأَكْـوَانُ مِنْـهُ مَحَاسِناً   رَاقَتْ عُيُونَ ٱلنَّاظِرِينَ بِمُعْجِبِ
لَمَّـا أَرَدْنَـا أَنْ نَجِـيءَ بِمِثْلِـهِ   جِئْنَا بِرَوْضٍ في جَوَابِكَ مُعْشِبِ

وَمِنْهَا[1]:

أَمَّـا رَئِيسُ ٱلْكُتْبِ عَبْدُكَ إِنَّـهُ   خَلَعَ ٱلْعِذَارَ وَلَمْ يَدِنْ بِتَجَنُّبِ[2]
سَقَّيْتَـهُ خَمْـرَ البَـلاَغَـةِ فَـانْتَشَـى   حَتَّى لَيَلْحَنُ فِي اللِسَانِ المُعْرَبِ
طَـوَّقْتَـهُ طَـوْقَ الحَمَـامِ أَيَـادِيـاً   فَلَـهُ بِهَـا سَجْـعُ الحَمَـامِ المُطْـرِبِ
وَالـدَّارُ دَارُكَ وَالعَبِيـدُ بِبَـابِهَـا   مَـا مِنْهُـمُ لَـوْلاَكَ مَـنْ لَـمْ يُنْسَبِ
وَكَذا، وَحَقِّكِ، كُلُّ مَا مَلَكَتْ يَدِي   مِنْ تَـالِدٍ فِـي مَلْكِهَـا أَوْ مَكْسَـبِ
وَشَكَـا ذَهَـابَ شَبَـابِـهِ وَلِقَـاؤُنَـا   سَيُعِيـدُهُ غَضّـاً كَـأَنْ لَـمْ يَـذْهَـبِ
قَذِيَتْ عُيُونُ الحَاسِدِينَ وَلاَ رَأَتْ   إلاَّ سُعُـودَكَ مُشْـرِقَـاتِ المَـرْقَـبِ

ومِمَّا وُجِدَ مِنْ أَبْيَاتِ هَذِهِ القَصِيدَةِ أَيْضاً عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ[3]:

حَتَّـى تُـرَى أَعْـلاَمُنَـا مَنْشُـورَةً   وَالنَّصْـرُ يَقْـدُمُهَـا بِجَيْشٍ مُـرْعِـبِ
وَالفَتْـحُ يَمْـرَحُ وَادِعـاً مُتَمَهِّـلاً   فِي ظِلِّهَا مَرَحَ الجَوَادِ المُقْرَبِ[4]
كَيْمَـا يَعُـودُ الفَتْـحُ أَوَّلَ بَـدْأَةٍ   عَـوْداً عَلَـى رَغْـمِ العَـدُوِّ الأَخْيَـبِ
وَنُجِيـدُ فَتْـحَ مَقَـاصِـرٍ لِقَيَـاصِـرٍ   مِنْ كُلِّ مَضْفُورِ السَّبَالَةِ[5] أَصْهَبِ
وَيَسُـوقُ مِنْهَـا السَّبْـيُ كُـلَّ خَـرِيـدَةٍ   تَسْبِي مَحَاسِنُهَا فُؤَادَ المُسْتَبِي[6]

---

(1) هكذا في الطرة في الأصل فهناك أبيات حذفت.
(2) جَنَّب تَجْنيباً «نكس وحنى ظهره» هكذا في الأصل (القاموس 7/49).
(3) هذه الأبيات الاثنا عشر أضيفت في الطرة في الأصل فبهت لون الحبر فَطُمِسَتْ بَعْضُ كَلِمَاتٍ.
(4) المُقَرَّبُ وَالمُقْرَبَةُ «الفَرَسُ الي تُدَّنى وَتُقْرَبُ وَتُكْرَمُ وَلا تُتْرَكُ، وَمِنَ الإبْلِ التي حُزِمَتْ لِلرُّكُوبِ» (القاموس 1/114)
(5) يريد السَّبلة وهي اللحية أو مقدمها (المصدر السابق 3/380)
(6) بدون ياء هكذا في الأصل.

مِـنْ كُـلِّ مَـائِسَـةِ القَـوَامِ غَـرِيـرَةٍ يَعْطُو[1] الغَزَالُ بِجِيدِهَا في الرَّبْرَبِ[2]

وَنَـرُدُّ مَغْصُـوبَ المَعَـاقِـلِ لِلْهُـدَى حَتَّـى تُـرَدَّ عَقَـائِـلاً لَـمْ تُغْصَـبِ

وَنُجِيـلُ خَيْـلَ اللهِ فِـيْ قَشْتَـالَـةٍ[3] حتَّى يَجُوزَ الدَّرْبُ [مَنْ لَمْ يَدْرَبِ][4]

وَنُجِيـزُ فِـي بَحْـرِ الخَلِيـجِ عَسَـاكِـراً تُلْقَى بِأَهْلِ فِي الحِجَازِ وَمَرْحَبِ

وَنَحُـجُّ طَـوْعَ سُيُـوفِنَـا وَرِمَـاحِنَـا [نَهْـــدِي][5]

وَنَخُـصُّ مِـنْ تِلْـكَ المَعَـاهِـدِ أَرْبُعـاً بِـزِيَـارَةٍ لِلْمُجْتَبَـى وَالمُجْتَبِـي[6]

وهِـــيَ السيـــوفُ إِذَا[ ][5] [ ][5]

(128)

وَمِنْ أُخْرَى أَنْشَدَهَا عَنْهُ تَهْنِئَةً بِمَوْلُودٍ؛ وَفِي الاعْتِذَارِ عَنِ النِّيَابَةِ فِي إِنْشَادِهَا يَقُولُ فِيهَا مِمَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْ فُتُورِ البَاعِ وَتَرَاجُعِ مَا عُهِدَ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا مِنْ قُوَّةِ الطِّبَاعِ[7]:

أَمَوْلاَيَ إِنِّي قَدْ عَرَتْنِي زَمَانَةٌ[8] أَقَمْتَ لَهَا نَجْلِي بِمَدْحِكَ سَاجِعَا

منها:

[الطويل]

هَنِيئـاً هَنِيئـاً الهَنَـاءُ لِجَمْعِنَـا بِبَدْرٍ بَدَا فِي هَالَةِ القَصْرِ طَالِعَا

ق(73) / هَنِيئـاً هَنِيئـاً لِلْسُّـرُوجِ فَـإِنَّـهُ يُشَـرِّفُ مِـنْ آفَـاقِهِـنَ المَطَـالِعَـا

---

(1) عَطَا يَعْطُو الظَّبْيُ «تطاول برأسه للشجر ليتناول منه» (القاموس 4/356 ـ 357).

(2) «القَطِيعُ من بقر الوحش» (المصدر السابق 1/71).

(3) إقليم عظيم بالأندلس قصبته طليطلة (ياقوت، معجم البلدان 5/103)

(4) أغلب الحروف طُمِسَتْ واجتهدنا في قراءتها.

(5) طمست كلها فأصبحت بياضاً في الأصل لم نهتد لمثله.

(6) بدون ياء هكذا في الأصل.

(7) لعل ذلك بسبب المرض لذلك كلّف ولده أن ينشدها، ولعلها من آخر ما نظمه وقت وَهْنِهِ وَشيخُوخَته ونستبعد أنَّ وَلَدَهُ هُو الذي نظمها؟

(8) زمِنَ زَمَناً وَزَمَانَةً وَهي العاهة (القاموس 4/229)

هَنِيئــاً هَنِيئــاً لِلْمَحَــارِيــبِ إِنَّــهُ سَيَبْدُو بِهَالاَتِ المَحَارِيبِ طَالِعَا
هَنِيئــاً هَنِيئــاً لِلْبُنُــودِ فَــإِنَّــهُ سَيَعْقِدُهَا فِي مَوْرِدِ النَّصْرِ شَارِعَا
هَنِيئــاً هَنِيئــاً لِلْجُنُــودِ فَــإِنَّــهُ سَيَتْبَعُهَــا لاَ زَالَ لِلْحَــقِّ تَــابِعَــا
تُظَلِّــلُ أَمْــلاَكُ السَّمَــاءِ بُنُــودَهُ[1] وَتُعْذِبُ مِنْ وِرْدِ السُّعُودِ المَشَارِعَا
وَمَا هُوَ إِلاَّ سَيْفُ نَصْرِكَ مُنْتَضَى سَتُلْفِيهِ لِلأَعْدَاءِ فِي المُلْكِ قَاطِعَا
وَمَا هُـوَ إِلاَّ شِبْلُ مُلْكِكَ مُذْ بَدَا تَرَى الأُسْدَ مِنْهُ تَحْذَرُ البَأْسَ يَافِعَا
هُوَ البَدْرُ مِنْ أَيِ النَّوَاحِي قَصَدْتَهُ يُفِيـدُكَ نُـوراً لِلْهِـدَايَـةِ سَـاطِعَـا
هُوَ البَحْرُ مِنْ أَيِّ الجِهَّاتِ قَصَدْتَهُ يُجِـدُّ إِلَـى الآمَـالِ فِيـهِ المَطَـامِعَـا
هوَ الشَّمْسُ قَد أَهْدَى النُّجُومَ ضِيَاءَهَا وَنَـوَّرَ مِنْهَـا فِـي العُيُـونِ المَطَـالِعَـا
هَنِيئــاً لِــدِيــنِ اللهِ نَصْــراً مُــؤَزَّراً سَيُرْضِيكَ إِذْ يَلْقَى العُدَاةَ مُسَارِعَا
وَيَعْمُـرُ مِـنْ قَحْطَـانَ بَيْـتَ خِـلاَفَـةٍ غَدَا عَنْ حِمَاهُ فِي الحُرُوبِ مُدَافِعَا
وَيَخْلُفُ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ سَمَاحَهُ ويُعْــذِبُ لِلْــوُرَّادِ مِنْــهُ مَشَــارِعَــا
وَيَتْبَـعُ مِـنْ قَـوْمِ الـرَّسُـولِ صَحَـابَـةً عَلَيْهِـمْ مِـنَ اللهِ الـرِّضَـا مُتَتَـابِعَـا
وَيُحْيِـي مِـنَ الأَنْصَـارِ سُنَّـةَ قَـوْمِـهِ وَيُعْظِـمُ مِنْـهُ فِـي الجِهَـادِ المَـوَاقِعَـا
وَيَتْبَــعُ مِنْهُــم سُنَّــةً نَبَــوِيَّــةً فَبُـورِكَ مَتْبُـوعـاً وَبُـورِكَ تَـابِعَـا
فَسَـائِـلْ بِبَـدْرِ عَـنْ حِمَـايَـةِ خَـزْرَجِ تَـرَ الكُتْـبَ فِيهَـا تَسْتَفِزُّ المَسَـامِعَـا
وَسَائِلْ حُنَيْنًا عَنْ مَوَاقِفِ بَأْسِهِمْ تَرَ النَّصرَ فِيهَا إِذْ يَفُضُّ المَدَارِعَا
أُولَئِـكَ أَهْـلُ اللهِ ـ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ ـ تَـرَى النَّصْـرَ فِيْهِـمْ مُسْتَكِنًّا وَذَائِعَـا
و(74) / أَتَـانَـا كِتَـابُ اللهِ يَـذْكُـرُ فَخْـرَهُـمْ فَحَسْبُـكَ مِنْـهُ لِلْبَـلاَغَـةِ قَـامِعَـا
كَمَــا أَنَّ وَحْــيَ اللهِ قَــرَّرَ مَــدْحَهُــمْ كَـذَلِـكَ أَبْـدَى لِلْبَلِيـغِ المَـوَانِعَـا

وَمِنْهَا[2]:

(1) ويجوز أن تكون البنود هي المُظَلَّلَة فتُقرأ (تُظَلِّلُ أَمْلاكَ السَّمَاءِ بُنُودُهُ).
(2) هكذا في الأصل، مما يدل على حذف بعض الأبيات.

تَدَارَكْتَ هَذَا الدِّينَ وَهْوَ عَلَى شَفًا وَقُمْتَ بِأَمْرِ الحَقِّ فِي الخَلْقِ صَادِعَا
وَجَــدَّدْتَ سِلْمــاً لِلنُّفُــوسِ مُسَلِّمَــا وَأَصْبَحْتَ فِي حَرْبِ النَّصَارَى مُوَادِعَا
تُجِــمُّ سُيُــوفــاً لِلْجِهَــادِ وَأَنْفُســاً وَتَتْــرُكُ مِنْهَــا حَــاسِرَ القَــوْمِ دَارِعَــا
فَقُــلْ لِعَمِيــدِ الكُفْــرِ يَــرْقُــبُ فَتْكَــةً يَــرَاهُــمْ بِمُسْتَــلِّ السُّيُــوفِ خَــوَاضِعَــا
يَشِيــبُ الــوَلِيــدُ المُسْتَجِــنُّ لِهَــوْلِهَــا قَرِيباً وَيَنْسَى الطِّفْلُ فِيهَا المَرَاضِعَا
فَيَحْــذَرُ مِنْهَــا فَتْكَــةً خَــزْرَجِيَّــةً تُــرِيهُــمْ إِذَا جَــنَّ القَتَــامُ الْمَصَــارِعَــا
وَرُبَّ حَسُــودٍ ظَــلَّ يَجْحَــدُ فَضْلَــهُ وَيُنكِــرُ وَالإِصْبَــاحُ سَــدَّ المَطَــالِعَــا
سَيُجْــزَى وَشِيكــاً بِــالَّــذِي هُــوَ أَهْلَــهُ كَمَا يَحْصُدُ الإِنْسَانُ مَا كَانَ زَارِعَا
لأَطْلَعْــتَ يَــا بَــدْرَ الكَمَــالِ هِــلاَلَــهُ بِشَهْــرِ صِيَــامٍ لِلْمَسَــرَّاتِ جَــامِعَــا
كَــأَنَّ هِــلاَلَ الأُفْــقِ قَــدْ جَــاءَ زَائِــراً لِمُلْكِــكَ بِــالإِسْعَــادِ إِذْ طَلَعَــا مَعَــا
لَقَــدْ شَــدَّ أَزْرَ المُلْــكِ مِنْــهُ بِمُفْــرَدٍ أَتَــاكَ لأَشْتَــاتِ الهِــدَايَــةِ جَــامِعَــا
لَقَــدْ كَــانَ هَــذَا المُلْــكُ يَحْمِيــهِ رَبُّــهُ فَقَــدْ عَظَّــمَ اللهُ لَــدَيْــهِ المَــوَاقِعَــا
سَتُكْــرِمُ بِــالمَعْــرُوفِ مِنْــهُ لأَهْلِــهِ وَتُجْمِــلُ مِنْــهُ فِــي الأَنَــامِ الصَّنَــائِعَــا
وَيَجْلُو عَلَيْكَ الصُّنْعُ أَجْمَلَ مَا يَرَى وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي العَدُوِّ المَصَانِعَا
وَللهِ عَيْنَــا مَــنْ رَآهُ وَقَــدْ بَــدَا هِــلاَلَ كَمَــالٍ يَسْتَضِــيءُ المَطَــالِعَــا
عَلَيْــهِ مِــنَ الــرَّحْمَــانِ سِيمَــا جَــلاَلَــةٍ نَمُــدُّ إِلَيْهَــا بِــالــرَّجَــاءِ المَطَــامِعَــا
وَأُبَّهَــةُ المُلْــكِ العَــزِيــزِ قَــدْ ارْتَقَــتْ إِلَى غَايَةٍ لَمْ تُبْقِ فِي الفَخْرِ طَامِعَا
ق(74) / وَتَعْــرِفُ فِيــهِ مِــنْ أَبِيــهِ شَمَــائِــلاً تَــرَى العِــزَّ فِيهَــا مُسْتَكِنًّــا وَشَــائِعَــا
مَلِيكٌ يَرُوعُ الأُسْدَ فِي حَوْمَةِ الوَغَى كَمَا رَاعَتِ الأُسْدُ الظِّبَاءَ الرَّوَائِعَا
وَمَا الشَّمْسُ أَبْهَى مِنْهُ بَهْجَةَ مَنْظَرٍ إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ الفَوَارِسِ دَافِعَا
وَعَنْــهُ يُــرَوِّي النَّــاسُ كُــلَّ غَــرِيبَــةٍ تَجُــرُّ عَلَــى الكُفَّــارِ مِنْهَــا الــوَقَــائِعَــا
وَمِنْــهُ اسْتَفَــادَ الــدَّهْــرُ كُــلَّ عَجِيبَــةٍ تَخُطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ البَدَائِعَا
طَلَعْتَ بِحَيْثُ البَدْرُ لَمْ يَكُ طَالِعًا فَرَعْتَ بِحَيْثُ النَّجْمُ لَمْ يَكُ فَارِعَا

وَكَـمْ رَاغِـبٍ للهِ فِـي نَصْـرِ دِينِـهِ	بِنَصْرِكَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ إِذَا دَعَا
عَلَيْـكَ سَـلاَمُ اللهِ يَـا قَمَـرَ الهُـدَى	وَلاَ زِلْـتَ لِـلإِخْـوَانِ مِنْـهُ مُتَـابِعَـا
وَلاَ زَالَ حِفْـظُ اللهِ يَكْـلأُ دَائِمـاً	بُنَيَّـكَ حَتَّـى يَسْتَتِـمَّ المَـرَاضِعَـا
فَلَـوْ قُلِّـدَ الـزُّهْـرَ النُّجُـومَ قِـلاَدَةً	وَكَـانَ لَـهُ البَـدْرُ المُنِيـرُ مُـرَاضِعَـا
وَرَبَّتْهُ شَمْسُ الأُفْقِ فِي الأُفْقِ دايَةً[1]	وَحَفَّتْهُ أَصْنَافُ الرِّيَاضِ وَشَائِعَا[2]
وَأُسْرِجَ طِرْفُ الصُّبْحِ يَرْكُضُ أَشْهَباً	وَيَسْبِـقُ أَشْتَـاتَ المَكَـارِمِ وَادِعَـا
فَنَجْلُكَ أَسْمَى فِي العُيُونِ جَلاَلَةً	وَأَعْظَـمُ مِنْـهُ فِـي الفَخَـارِ مَـوَاقِعَـا
فَـلاَ زِلْـتَ مَنْصُـورَ اللِّـوَاءِ مُـؤَيَّـدًا	متَى خَالَفَ الرَّوْضُ الحَمَامَ السَّوَاجِعَا

(129)

وَلَهُ فِي الإِخْوَانِيَاتِ مِنْ قَصيدَةٍ رَاجَعَ بِهَا عَنْ عَتْبٍ:

[الطويل]

أَبَعْـدَ مَشِيـبٍ جَـاءَ إِثْـرَ شَبَـابِ	يَعُـودُكَ عِيـدٌ مِـنْ هَـوًى وَتَصَـابِ

منها[3]:

خَلِيلَيَّ ذُودَا عَنْ حِيَاضِ المُنَى فَمَا	شَرَابُ الأَمَـانِـي غَيْـرُ لَمْـعِ سَرَابِ
وجه(75)/ وَيَا صَاحِبَيْ نَجْوايَ وَالحُبُّ ضَلَّةٌ	دَعَانِي وَتَذْكَارَ العُهُودِ لِمَا بِي[4]
أَلَـمْ تَـرَيَـانِـي كُلَّمَـا جِئْـتُ طَـارِقـاً	وَجَـدْتُ مُطَـالَ الفِكْـرِ غَيْـرَ مُطَـابِ
فَهَبْنِـي أُطَـارِحُـكَ الشُّجُـونَ وَإِنَّهَـا	وَسَـاوِسُ مَـنْ يَهْـذِي وَرَاءَ حِجَـابِ
فَمِـمَّ التَشَكِّـي بِـالخُطُـوبِ وَكُلُّهَـا	مَقَـادِيـرُ قَـدْ خُطَّـتْ بِـأُمِّ كِتَـابِ

---

(1) مصطلح أندلسي معناه (المُرَبية) ما زال مستعملا إلى اليوم في المغرب العربي، ولا وجود له في القاموس.

(2) «الوَشيعَةُ»: كُل لفيفة (القاموس 3/91)

(3) هكذا في الطرة في الأصل.

(4) بدون ياء في الآخر، هكذا في الأصل.

وَعِنْـدَكَ مِـنْ عَقْـلٍ وَنُـورِ هِـدَايَـةٍ　　مَـوَاهِـبُ مَـنْ يُعْطَـى بِغَيْـرِ حِسَـابِ
وَكَـمْ سَـائِلٍ عَـنْ سِرِّ لَيْلَـى رَدَدْتُـهُ　　وَبِـي هِـزَّةُ الغَيْـرَانِ دُونَ جَـوَابِ
أَمَـالَـكَ عَـنْ أَرْضِ القِلَـى مُتَحَـوَّلُ　　لِفُسْحَـةِ أَكْـوَانٍ عَلَيْـكَ رِحَـابِ
وَحَـقِّ الَّـذِي آتَـاكَ عِلْمـاً وَحِكْمَـةً　　وَكَـمْ طُـولُ آمَـالٍ هُنَـاكَ رِغَـابِ
لَقَدْ بِتَّ مَغْبُوطاً عَلَى خَيْرِ نِعْمَةٍ　　إِذَا أَنْـتَ لَـمْ تَعْمُـرْ طُلُـولَ خَـرَابِ
يُنَـوِّلُنِـي الشَّـيْءَ الـذِّي لاَ أَنَـالُـهُ　　وَيُطْعِمُنِـي البُقْيَـا لِـرَهْـنِ ذَهَـابِ
بَهَـالِيـلُ[1] غُـرٌّ إِنْ أَعَـدُّوا لِغَـارَةٍ　　أَعَادُوا صَبَاحَ الحَيِّ خَلْفَ ضَبَابِ
فَمَـا صَـوْبُهَـا يَـوْمَ السَّمَـاحِ بِمُقْلِـعٍ　　وَلاَ عَضْبُهَـا[2] يَـوْمَ الكِفَـاحِ بِنَـابِ
وَأَنْـتَ وَمَـا أَدْرَاكَ حُجَّـةُ سُـؤْدَدٍ　　بَقِيَّـةُ عُـرْبٍ فِـي مُتُـونِ عِـرَابِ
أُعِيـذُكَ مِـنْ ظَـنٍّ يُـرجِّـمُ كَـاذِبـاً　　وَغَيْـرُكَ مَـنْ يُصْغِـي لِـزُورِ كِـذَابِ
وَوَاللهِ لَـوْلاَ أَنْ أُجِلَّـكَ نِسْبَـةً　　لَقُلْـتُ ابْـنُ جَنَّـانٍ أَتَـى بِعُجَـابِ
بِـرَوْضَـةِ حُسْـنٍ دَبَّجَتْهَـا يَمِينُـهُ　　وَقَـدْ جَـادَهَـا مِـنْ أَنْمُـلٍ بِـرَبَـابِ
وَجَدْتُ بِهَا سَبْحاً طَوِيلاً لِنَاظِرِي　　وَقَدْ خَاضَ مِنْهَا الفِكْرُ لُجَّ عُبَابِ
وَلَيْـسَ بِـوَشْـي دَبَّجَتْـهُ أَنَـامِـلٌ　　وَلَكِنَّـهُ زَهْـرٌ وَصَـوْبُ سَحَـابِ
وَحَـاشَـايَ أَنْ أَزْرِي بِقَـدْرِكَ بَعْـدَمَـا　　عَلِمْـتُ شَـرِيفَـيْ حِلْيَـةٍ وَنِصَـابِ
ق(75) / وَلَكِـنَّ هَـذِي رَجَّمَتْنِـي ظُنُـونُهَـا　　وَشَبَّـتْ عَلَـى قَلْبِـي أُوَارَ عِتَـابِ
وَقَـدْ نَثَلَـتْ[3] مِنْهَـا الكِنَـانَـةُ أَسْهُمـاً　　عِقَـابـاً عَلَـى قَلْـبٍ بِهِـنَّ مُصَـابِ
وَمَـا خِلْتُهَـا أَلاَّ كِمَـامَـةَ زَهْـرَةٍ　　فَـأَلْفَيْـتُ زُهْـراً قَـدْ رَمَـتْ بِشِهَـابِ
وَإِنِّـي وَإِنْ أَذْكَـتْ بِقَلْبِـي وَقُـودَهَـا　　لَمُسْتَعْـذِبٌ مِنْهَـا أَلِيـمَ عَـذَابِ
وَحَقِّـكَ مَـا أَغْفَلْـتُ شُكْـرَ وَلِيِّهَـا　　بِحَيْثُ ارْتَمَتْ خَلْفَ العُبَابِ رِكَابِي

---

(1) البهلول: السيد الجامع لكل خير (القاموس 3/329)
(2) صفة للسيف القاطع (المصدر المذكور سابقاً 1/105)
(3) نثَلَ الكنانة استخرج نَبْلهَا فنثرها (المصدر السابق: 4/54)

وَحَاشَاكَ أَنْ أُزْرِي بِقَدْرِكَ عَامِداً ... وَحَاشَاكَ أَنْ تَدْعُو بِغَيْرِ مُجَابِ

وَلَكِنَّهَا الأَعْذَارُ ـ واللهُ عَالِمٌ ـ ... مَطَلْنَ عَلَى كَرْهٍ بِرَدِّ جَوَابِ

وَإِنَّ بَنَاتِ الفِكْرِ عِنْدِي مُهَانَةٌ ... أَعُدُّ لَهَا التَّمْزِيقَ خَيْرَ ثِيَابِ

فَمَا اجْتَمَعَتْ إِحْدَى البَنَاتِ بِأُخْتِهَا ... وَلاَ ضَاجَعَتْهَا فِي فِرَاشِ كِتَابِ

وَوَاللهِ مَا اسْتَحْلَيْتُ يَوْماً مَذَاقَهُ ... بَلْ الشَّهْدُ مَمْزُوجٌ لَدَيْهِ بِصَابِ

وَمَا رُجْتُهُ يَوْماً لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ... وَغَيْرِ اقْتِضَاءِ مُلْجِىءٍ وَطِلاَبِ

فَأَبْحُرُهُ مَسْجُورَةٌ وَبُيُوتُهُ ... تَكَادُ بِأَنْ تَشْكُو بِوَشْكِ خَرَابِ

وَكَمْ مِثْلِهَا لَيْلاً طَرَقْتُ خِبَاءَهَا ... مُهَجْهِجَ[1] آسَادٍ عَلَيَّ غِضَابِ

خَلَصْتُ إِلَيْهَا وَالبُرُوقُ صَوَارِمٌ ... وَشُهْبُ الدُّجَى تُذْكِي نُصُولَ حِرَابِ

وَأَمَّا العَذَارَى ـ كَرَّمَ اللهُ وَفْدَهَا ... وَأَكْبَرَ مَمْشَاهَا لِسُدَّةِ بَابِ ـ

فَأَسْكَنْتُهَا قَلْبِي وَسَمْعِي وَنَاظِرِي ... وَقُلْتُ لَهَا: هَذِي أَعَزُّ قِبَابِ

وَدُرُّ الدَّرَارِي صُغْتُ مِنْهَا قِلاَدَةً ... لِتَغْنَى بِهَا عَنْ حِلْيَةٍ وَمَلاَبِ[2]

وَسُقْتُ لَهَا الجَوْزَاءَ قُرْطاً مُجَوْهَراً ... وَعَصَّبْتُهَا بِالبَدْرِ خَيْرَ عِصَابِ

إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الإِلَآهِ[3] رَفَعْتُهَا ... شِكَايَةَ خِلٍّ رَاضِياً بِعِتَابِ

و(76) / بِعَيْشِكَ كَمْ تَشْكُو أُنَاساً عَلِمْتَهُمْ ... جُسُومَ بِغَالٍ فِي حُلُومِ ذِئَابِ

يَرُوقُكَ مَرْأَى آدَمِيٍّ وَقَدْ غَدَا ... يَهِيجُ بِنَبْحٍ أَوْ يَعَضُّ بِنَابِ

وَإِنَّكَ إِنْ أَمْسَى مَزَارُكَ نَائِيَا ... لأَكْرَمُ خِلٍّ أَصْطَفِي وَأُحَابِي[4]

وَمَا عِيبَ فِي الدُّنْيَا الفَتَى بِزَهَادَةٍ ... إِذَا هُوَ فِيهَا لَمْ يُزَنَّ بِعَابِ

---

(1) هجْهَجَ بالسَّبُع صاح: «الهجهج النفور» (القاموس 1/211)

(2) الملاب «عِطْرَ أوْ الزَعْفرانُ» (المصدر المذكور سابقاً 1/129).

(3) العلماء الملقبون بأبي عبد الله أشهرهم أستاذه ابن بيبش (توفي 753 هـ) وابن الفخّار (توفي 754) وابن هانئ * والأرجح أنه ابن هانئ الأستاذ الوزير وله صداقة بابن زمرك (انظر القصيدة رقم 307 وراجع ابن الخطيب الإحاطة: 1/178).

(4) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

وليْسَ خُمُولُ الزَّهْرِ إلاَّ تَرَفُّعٌ ... يُجِلُّ مِنَ العَلْيَا أَعَزَّ جَنَابِ
وَمَا أَنْتَ إلاَّ الشَمْسُ إنْ غَابَ قُرْصُهَا ... يَلُوحُ بِبَدْرٍ نُورُهَا وَشِهَابِ
وَمَا أَنْتَ إلاَّ المِسْكُ إنْ تَخْفَ ذَاتُهُ ... يَنِمُّ لَهُ عُرْفٌ وَرَاءَ غِيَابِ
وَحِينَ أَبَتْ عَلْيَاكَ إلاَّ مُطَارِحاً ... يُسَاوِقُهَا فِي جَيْئَةٍ وَذَهَابِ
فَقَبْلَكَ لَمْ تَشْكُ الثُرَيَّا مِنَ الثَّرَى ... وَلا خُدِشَتْ بِيضُ الظُّبَا بِقِرَابِ
وَلاَ ارْتَابَ بَدْرٌ مِنْ تَكَلُّبِ نَابِحٍ ... وَلاَ ارْتَاعَ لَيْثٌ مِنْ طَنِينِ ذُبَابِ
وَأَكْثَرُ مَنْ تَلْقَى حَبِيبًا مُدَاجِياً ... يُذِيبُ بِأَرْيِ[1] القَوْلِ سُمَّ حُبَابِ
وَإنْ لاَنَتِ الحَيَّاتُ مَسًّا فَإنَّهَا ... تُسِرُّ المَنَايَا فِي يَسِيرِ لُعَابِ
وَكَالخَمْرِ تَسْتَلُّ العُقُولَ كُؤُوسُهَا ... وَقَدْ ضَاحَكَتْ مِنْ ثَغْرِهَا بِحَبَابِ
وَأَنْتَ أَخَا نَجْوَايَ لاَ رَاعَكَ الأَسَى ... وَلاَ زِلْتَ مَغْبُوطاً بِفَضْلِ شَبَابِ
فَأَسْرَعُ مَا قَدْ حَالَ لَوْنًا وَصِبْغَةً ... نُصُولُ شَبَابٍ أَوْ نُصُولُ خِضَابِ
وَسِيَّانِ عِنْدَ الغِيدِ فِي لَحَظَاتِهَا ... نُصُولُ مَشِيبٍ أَوْ نُصُولُ حِرَابِ
وَأَيْسَرُ مَا يَجْنِي الَّذِي طَالَ عُمْرُهُ ... مَشِيبُ لِدَاتٍ وَانْقِرَاضُ صِحَابِ
وَوُدُّكَ وُدٌّ لَوْ تَحَلَّتْ بِنُورِهِ ... شَوَارِقُ أُفْقٍ مَا اشْتَكَتْ بِغِيَابِ
وَغَيْرُكَ مَنْ تُبْنَى بُيُوتُ قَرِيضِهِ ... عَلَى أُسِّ أَجْرٍ وَابْتِغَاءِ ثَوَابِ
ق(76) / وَدُنَكَهَا مِنِّي بَدِيهَةَ مُعْجَلٍ ... حَبَاكَ بِهَا مِنْ صَاحِبٍ لَكَ صَاب

(130)

وَلَهُ أَيْضاً مُعْتَذِراً:

[البسيط]

ق(76) / هَلْ مِنْ مُعِينٍ عَلَى الأَشْجَانِ وَالفِكَرِ ... أَوْ مُسْعِدٍ فِي قَضَاءِ اللَّيْلِ بِالسَّهَرِ

---

(1) الأَرْيُ «ما تجمعه النحل في أجوافها من عسل» (القاموس: 4/293).

قَدْ عِيلَ يَا خَيْرَ مَنْ لاَذَ الغَرِيبُ بِهِ ... بَيْنَ الرَّجَاءِ وَبَيْنَ اليَاسِ مُصْطَبَرِي[1]

مَا زِلْتُ تُنْهِضُنِي الأَشْوَاقُ نَحْوَكُمُ ... وَأَنْثَنِي مِنْ حَيَائِي دَائِمَ الفِكَرِ

قَضَّيْتُ يَوْمَيْنِ لَم أُسْعَفْ بِرُؤْيَتِكُمْ ... النَّفْسُ ذَاهِبَةٌ مِنِّي عَلَى الأَثَرِ

إِنْ كُنْتُ أَذْنَبْتُ ذَنْباً جَلَّ مَوْقِعُهُ ... وَالخُبْرُ فِي مِثْلِهِ يُغْنِي عَنِ الخَبَرِ

فَإِنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا كَفَاءَ لَهُ ... وَإِنَّ أَكْرَمَ عَفْوٍ عَفْوُ مُقْتَدِرِ

لاَ يُنْكَرُ الذَّنْبُ مِنْ مِثْلِي يُلِمُّ بِهِ ... فَالنَّارُ تُقْدَحُ عِنْدَ الزَّنْدِ فِي الحَجَرِ

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّقْصَ يَا أَمَلِي ... مَا زَالَ شِيمَةَ مَنْ يُعْزَى إِلَى البَشَرِ

وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِي وَلاَ شِيَمِي ... ولاَ السَّفَاهَةُ مِنْ قَصْدِي وَلاَ وَطَرِي[2]

وَلاَ الفَعَالَةُ أَسْتَحْلِي مَوَارِدَهَا ... لَكِنَّهَا هَفْوَةٌ جَاءَتْ عَلَى قَدَرِ

فَاسْمَحْ فَأَنْتَ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ ... ولْتُسْقِطِ العَتْبَ عَنْ جَانٍ وَمُعْتَذِرِ

(131)

وَلَهُ أَيْضاً مِنْ قَصِيدَةٍ تَخَلَّصَتْ إِلَى الجِدِّ وَوُجِدَتْ غَيْرَ مُرَتَّبَةٍ:

[البسيط]

لَوْلاَ تَذَكُّرُ عَهْدٍ ذِكْرُهُ كَرَمٌ ... مَا كَانَ دَمْعِيَ إِثْرَ الرَّكْبِ يَنْسَكِبُ

و(77) إِذَا ذَكَرْتُ مُصَلَّى الخِيفِ خِيفِ مِنىً[3] ... يَعْتَادُ قَلْبِيَ مِنْ تَذْكَارِهِ طَرَبُ

بِحَيْثُ دَارُ الهَوَى نَجْدٌ وَمَرْتَعُنَا ... ظِلاَلُهَا وَالحِمَى مِنْ دَارِنَا كَثَبُ

وَفِي المَسَارِحِ مِنْ وَادِي العَقِيقِ مَهًى ... أَلْحَاظُهُنَّ لِحَيْنِ الْمُجْتَلِي سَبَبُ

سَنَحْنَ مِنْ عَنْ يَمِينِ المُنْحَنَى سَحَراً ... وَحُسْنُهَا بِرُوَاءِ الصَّوْنِ مُحْتَجِبُ

لِلَّهِ مَا أَلْفَنَا وَالصَّوْنُ يَكْنُفُنَا ... وَالدَّارُ آهِلَةٌ وَالصَّدْعُ مُنْشَعِبُ

---

(1) في الأصل: مُصْطَبِرٍ على صيغة اسم الفاعل.

(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(3) الخيف: هو بطحاء مكة وقيل: مبتدأ الأبطح وهو الحقيقة فيه لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل (ياقوت معجم البلدان ج2، 508)

وَالشَّمْـلُ مُنْتَظِـمٌ وَالأُنْـسُ مُنْسَحِـبٌ ... وَحَظُّ عَاذِلِنَا مِنْ عَذْلِهِ النَّصَبُ(1)

وَكُـلُّ إِلْـفٍ قَضَـى مِـنْ إِلْفِـهِ وَطَـراً ... والعَذْلُ فِي سَمْعِ أَرْبَابِ الهَوَى صَخَبُ

اللهُ يَصْفَـحُ عَـنْ يَـوْمِ النَّـوَى فَلَقَـدْ ... قَضَـى وَخَلَّـفَ نَـارَ الشَّـوْقِ تَلْتَهِـبُ

لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ يَوْمَ النَّفْرِ مَوْقِفَنَا ... وَالصَّبْرُ فِي مَعْرَكِ الأَشْجَانِ مُنْتَهَبُ

ذَهَلْتَ عَنْ حِلْمِكَ المَعْهُودِ وَابْتَدَرَتْ ... مِنْكَ الدُّمُوعُ عَلَى الآمَاقِ تَنْسَكِبُ

لَـوْلاَ ٱلْـوَقَـارُ وَحِلْـمٌ مَـا تُنَهْنِهُـهُ ... أَيْدِي ٱلْخُطُوبِ وَلاَ تَهْفُو بِهِ ٱلنُّوبُ(2)

[ ](2) ... وَٱلْقَلْـبُ مِـنْ حَـرِّ ٱلْجَـوَى لَهِـبُ

حَلَلْتُ عَقْدَ ٱصْطِبَارِي بَعْدَ بُعْدِهِمُ ... وَغَالَ جَيْشَ ٱلنُّهَى مِنْ زَفْرَتِي لَهَبُ

يَـا لَيْـتَ شِعْـرِيَ وَٱلآمَـالُ مَقْصَـدَةٌ ... فَمُـدْرِكٌ قَصْـدَهُ مِنْهَـا وَمُـرْتَقِـبُ

هَلْ رَوَّضَ ٱلْقَطْرُ ذَاكَ ٱلرَّبْعَ بَعْدَهُمُ ... أَمْ غَيَّـرَتْ رَسْمَـهُ ٱلأَنْـوَاءُ وَٱلْحِقَـبُ

[ ](2) ... [ ](2)

وَهَـلْ يَعُـودُ لَنَـا عَهْـدٌ بِكَـاظِمَـةٍ(3) ... قَدْ قَلَّصَتْ ظِلَّهُ الأَحْدَاثُ وَٱلنُّوَبُ

كَـمْ ذَا ٱلتَّعَلُّـلُ وَٱلأَيَّـامُ تَمْطُلُنِـي ... وَفِـي ٱلتَّعَلُّـلِ إِنْ عَـزَّ ٱللِّقَـا أَرَبُ

يَا جِيرَةَ ٱلْخِيفِ لاَ أَبْغِي بِكُمْ بَدَلاً ... وَلاَ لِغَيْـرِ وَلاَءِ ٱلْحُسْـنِ أَنْتَسِـبُ

ضَلَّ ٱلْهِدَايَةَ قَصْدِي إِنْ قَصَدْتُ سِوَى ... ذَاكَ ٱلْجَنَابِ وَلَكِنْ أَخْفَقَ ٱلطَّلَبُ

يَا شَائِمَ ٱلْبَرْقِ مِنْ أَكْنَافِ كَاظِمَةٍ ... يَعْـرَى فَتُلْحِفُـهُ أَثْـوَابَهَـا ٱلسُّحُـبُ

وَسَاهِرَ ٱلْجَفْنِ فِي لَيلِ ٱلتَّمَامِ أَسًى ... يَبْكِي عُهُودَ ٱلرِّضَا شَوْقاً وَيَنْتَحِبُ

ق(77) / أَظُـنُّ أَنَّـكَ مَمْطُـولُ ٱلْمُنَـى كَلِـفٌ ... وَأَنْتَ مِثْلِي زَمَانَ ٱلْوَصْلِ تَرْتَقِبُ

يَصْبُو فُؤَادِي إِذَا تَهْفُوا ٱلصَّبَا سَحَراً ... كَـأَنَّ بَيْـنَ فُـؤَادِي وَٱلصَّبَـا نَسَـبُ(4)

---

(1) جاءت في طرة المخطوط غير واضحة واجتهدنا في إثبات ما رأيناه مناسباً.

(2) جاءت في طرة المخطوط وبعضها غير واضح، أو كلّها غير واضحة ولم نهتد إلى إثبات شيء.

(3) اسم مكان: (القاموس 4/169).

(4) الأصح أن يقول: كأنّ بين. . . . نسَباً) لا نَسَبُ ولا وجه نحويّ لذلك، وليس من الضرورات الشعرية.

هَلْ نَفْحَةٌ مِنْ جَنَابِ ٱلْقُدْسِ بَاعِثَةٌ   لَعَلَّ عَزْمِيَ نَحْوَ ٱلْحَقِّ يَنْجَذِبُ
إِنَّ ٱلأُلَى أَخَذُوا لِلْفَوْزِ أُهْبَتَهُ   قدْ شَارَفُوا ٱلْقَصْدَ أَوْ فَازُوا بِمَا طَلَبُوا[1]
وَارَحْمَتَا لِشَبَابِي ضَاعَ أَطْيَبُهُ   وَمَا أَنَا لِسِوَى ٱلآثَامِ مُحْتَقِبُ
يَا هَلْ تُبَلِّغُنِي الآمَالَ نَاجِيَةٌ   مِزْنَانُ سَاوَرَهَا ٱلإِنْضَاءُ وَٱلتَّعَبُ
فَلَمْحَةٌ مِنْ سَنَا ذَاكَ ٱلْجَمَالِ مُنَى   مَنْ كَانَ مِثْلِيَ لِلأَوْزَارِ يَحْتَقِبُ

وَمِنْ مَدْحِهَا[2]:

بَوَّأْتُمُ ٱلدِّينَ فِي عَلْيَاءَ شَاهِقَةٍ   بَيْتاً مِنَ ٱلْعِزِّ لَمْ تَلْحَقْ لَهَا طُنُبُ
فَالْحَقُّ مُعْتَضَدٌ وَٱلإِفْكُ مُضْطَهَدٌ   وَٱلْجَوْرُ مُنْقَبِضٌ وَٱلْعَدْلُ مُنْسَحِبُ
مِنْ كُلِّ أَصْيَدَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ   إِذَا يُثَوِّبُ داعِي قَوْمِهِ يَثِبُ

وَمِنْهُ[2]:

أَثْرَى الأَنَامُ بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ   فَكُلُّهُمْ لِلْغِنَى وَٱلْجُودِ مُنْتَسِبُ
كَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُنَادَى عَبْدُ حَضْرَتِكُمْ   عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ مِنْ بَعْضِ مَا تَهَبُ
إِنْ جَادَتِ ٱلْمُزْنُ بِالأَمْوَاهِ تَنْحِلُهَا   فَإِنَّ كَفَّكَ مُزْنٌ صَوْبُهَا ذَهَبُ
أَوْ يَزْخَرُ ٱلْبَحْرُ بِالأَمْوَاجِ إِنَّ لَهُ   بَحْراً مِنَ ٱلْجُودِ بِالأَوْرَاقِ يَضْطَرِبُ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الإِسْلاَمِ تَمْنَحُهَا   تَخْفَى وَيَظْهَرُ فِي آثَارِهَا ٱلْعَجَبُ[3]
نُعْمَى وَلاَ مِنَّةٌ جَدْوَى وَلاَ عِدَةٌ   صَفْوٌ وَلاَ كَدَرٌ عَفْوٌ وَلاَ سَبَبُ

ومن جِدِّهَا[2]:

دَنَوْتَ لِلْخَلْقِ بِالأَلْطَافِ تَمْنَحُهَا   وَأَنْتَ فِي ٱلْمَلإِ الأَعْلَيْنَ مُحْتَسَبُ
كالشَّمْسِ فِي ٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَى سَمَتْ وَنَأَتْ   وَٱلنُّورُ مِنْهَا إِلَى ٱلأَبْصَارِ مُقْتَرِبُ

---

(1) بدون واو الجماعة في الأصل.
(2) هكذا في الطرة مما يدل على أنه آختار أبياتاً وأسقط أخرى.
(3) انظر المقطوعة: 117 .

وَمِنْهُ[1]:

وَلَيْسَ لِي سَبَبٌ أَرْجُو الخَلاَصَ بِهِ   إلاَّ ٱلْرَّسُولُ وَعَفْوٌ مِنْكَ مُرْتَقَبُ

و(78) / وَمِنْهَا[1]):

فَأَسْمَرٌ قَرِمٌ[2] يَهْتَزُّ مِنْ طَرَبِ   وَأَبْيَضٌ بِنَجِيعِ ٱلْكُفْرِ مُخْتَضِبُ

وَمِنْها[1]:

ظَنُّوا الفِرَارَ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَنْفَعُهُمْ   إِذَا ٱلْحِمَامُ أَتَى لَمْ يَنْفَعِ ٱلْهَرَبُ

ومن وصفها[1]:

و(78) أَلْحَقْتُهَا بِبَنَاتِ ٱلْعُرْبِ بِنْتَ حِجًى   وَرُبَّمَا قَصَّرَتْ عَنْ مِثْلِهَا ٱلْعَرَبُ

/ وُجِدَتْ بَقِيَّةُ هَذِهِ ٱلْقَصِيدَة[3] مِنْ حَيْثُ ٱلتَخْرِيجَةُ عَلَى هَذَا ٱلْتَرْتِيبِ بِخَطِّهِ رَحِمَةُ الله عليه وهيَ منَ ٱلْمَوْلِدِيَّاتِ ٱلْنَبَوِيَةِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَى ٱلْمَخْصُوصِ بِشَرَفِهَا، أَنْشَدَهَا يمدح سُلْطَان ٱلْمَغْرِبِ أبَا[ ][4]

وَتَرِدُ هُنَا:

يَا رَبِّ رَوْضُ رَجَائِي قَدْ ذَوَى أَسَفًا   فَأْذَنْ لِسُحْبِ ٱلرِّضَا وَٱلْعَفْوِ تَنْسَكِبُ

يَا رَبِّ لاَ سَبَبٌ أَرْجُو ٱلْخَلاَصَ بِهِ   الأَ ٱلرَّسُولُ وَلُطْفٌ مِنْكَ مُرْتَقَبُ[5]

[ ][5]   [ ][5]

[ ][5] نَائِمَةٌ   وَسْنَاءُ سَاوَرَهَا ٱلإِنْضَاءُ وَٱلتَّعَبُ

---

(1) هكذا في الطرة مما يدل على أنه اختار أبياتاً وأسقط أخرى.

(2) القرمة: علامة وسمة (القاموس 4/160).

(3) هذه الزيادة تَخْرِيجَة كُتِبَتْ في الطُرَةِ بخط رقيق باهت؛ غير واضح تماماً أحياناً.

(4) بياض في الأصل ولعل المدح في السلطان أبي العباس أو السلطان أبي فارس عبد العزيز.

(5) ما بين المعقفين في هذه القصيدة إما بياض تامّ في الأصل وإما كلمات باهتة غير واضحة لم نهتد إلى إثبات شيء منها.

[ ](1) لِلْخَلْقِ بِالأَلْطَافِ تَمْنَحُهَا ... وَأَنْتَ لِلْمَلإِ ٱلْعُلْوِيِّ تَنْتَسِبُ

/[ ](1) ... تَنْمُو بِسَاحَاتِهَا الأَعْمَالُ وَٱلْقُرَبُ

[ ] قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ ... حَازَ ٱلْعُلَى وَسَمَتْ مِنْ دُونِهِ ٱلرُّتَبُ

[ ](1) ... [ ](1) تَحْتَجِبُ

[ ](1) ... [ ](1)

كالشَّمْسِ فِي الأُفُقِ الأَعْلَى مَجَرَّتُها ... وَٱلنُّورُ مِنْهَا إِلَى الأَبْصَارِ مُقْتَرِبُ

حَيْثُ الرِّسَالَةُ تُتْلَى مِنْ عَجَائِبِهَا ... غَرَائِباً تَقْتَنِيهَا ٱلصُّحْفُ وَٱلْكُتُبُ

قَدْ طِبْتِ يَا طَيْبَةُ مَرْأًى وَمُسْتَمَعاً ... كَأَنَّ ذِكْرَكِ فِي أَفْوَاهِنَا الضَّرَبُ

مِنْ هَاشِمٍ فِي سَمَاءِ ٱلْمَجْدِ هَالَتُهُ ... أَكْرِمْ بِهِ نَسَبًا مَا مِثْلُهُ نَسَبُ

إِمَامُ صِدْقٍ عَلَى الأَسْرَارِ مُؤْتَمَنٌ ... بِقَابِ قَوْسَيْنِ فِي نَجْوَاهُ يَقْتَرِبُ

لِلَّهِ مِنْهُ وَقَدْ سَارَ ٱلْبُرَاقُ بِهِ ... وَٱللَّيْلُ قَدْ سُدِلَتْ مِنْ جُنْحِهِ ٱلْحُجُبُ

حَيْثُ ٱلنُّبُوَّةُ يُجْلَى مِنْ مَحَاسِنِهَا ... مَرْأَى جَمَالٍ بِنُورِ ٱللَّهِ مُنْتَقِبُ

يَا دَارَ هِجْرَتِهِ يَا أُفْقَ مَطْلَعِهِ ... لِي فِيكَ بَدْرٌ بِعَيْنِ ٱلشَّوْقِ مُرْتَقَبُ

مِنْ عَهْدِ آدَمَ مَا زَالَتْ أَوَاصِرُهُ ... تَسُومُهَا ٱلْمَجْدَ [أُمٌّ بَرَّةٌ](2) وَأَبُ

[ ](1) ... [ ](1)

[أَثْنَى](2) عَلَيْكَ كِتَابُ ٱللَّهِ فِي سُوَرٍ ... فَكَيْفَ يَقْضِي بَلِيغٌ بَعْضَ مَا يَجِبُ

[ ](1) عَرَبِيًّا فِي مَنَاسِبِهِ ... وَطَالَمَا قَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِهِ ٱلْعَرَبُ

[فَهُمْ](2) أَجَّجُوا نَارَ ٱلْحُرُوبِ فَلَمْ ... يَكُنْ لَهَا مِن سِوَى أَشْلاَئِهِمْ حَصَبُ

[ ](1) ٱلسَّيْفُ خَاطَبَهُ ... وَشَيْبَةٌ شَيْبُهُ بِالدَّمِّ مُخْتَضِبُ

[ ](1) لَهُ ... فَالْخَيْرُ وَٱلشَّرُّ مَسْطُورٌ وَمُكْتَتَبُ

[ ](1) ... [ ](1)

وَحَسْبُنَا بِكِتَابِ ٱللَّهِ مُعْجِزَةً ... لَمْ تُبْلِ جِدَّتَهَا الأَعْصَارُ وَٱلْحِقَبُ

مَا لِلْفَصَاحَةِ قَدْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهَا ... لَدَى زَمَانٍ حُلاَهُ ٱلشِّعْرُ وَٱلْخُطَبُ

---

(1) بياض تامّ لم نهتد لملئه.

(2) اجتهدنا في ملء البياض بما أثبتناه.

مِنْ بَعْدِ مَا حَسِبُوا أَنَّ ٱلظُّهُورَ لَهُمْ — فَأَظْهَرَ ٱلْغَيْبُ فِيهِ غَيْرَ مَا حَسِبُوا[1]

وَيَـا لَجَهْـلِ أَبِـي جَهْـلٍ غَـدَا مَثَـلاً — لَـمْ يُغْـنِ عَنْـهُ جِـوَارٌ لاَ وَلاَ نَسَـبُ

يَا سَيِّدَ ٱلرُّسْلِ يَا نِعْمَ ٱلشَّفِيعِ إِذَا — طالَ ٱلْوُقُوفُ وَقُرْصُ ٱلشَّمْسِ مُقْتَرِبُ

[ ][2] — [ ][2]

آيَـاتُ صِـدْقٍ تَجَلَّـتْ فِـي مَطَـالِعِهَـا — يُجْلَى بِنُورِ هُـدَاهَـا [ ][2]

لَمَّـا بَلَـوْتَهُـمْ تَبْلُـو قِـرَاعَهُـمْ — لَمْ يُلْفَ عِنْدَهُمْ نَبْعٌ وَلاَ [غَرَبُ][3]

ظَنُّوا ٱلْفِرارَ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ نَافِعَهُمْ — إِذَا ٱلْحِمَامُ أَتَى لاَ يَنْفَعُ [ٱلهَرَبُ][3]

مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ فِي مَنْعِ حَوْزَتِهِ — تَحَكَّمَتْ فِي [ ][2]

فِي مَوْقِفٍ ذَهَلَتْ فِيهَا [ ][2] — [ ][2]

[ ][2] — [ ][2]

وَبَعْدَ ذلِكَ قَوْلُهُ:

وَلَيْلَــةٍ خَلَصَــتْ لِلَّــهِ وِجْهَتُهَــا — فَطَــابَ مُبْتَــدَأٌ مِنْهَــا وَمُنْقَلَــبُ

وَفَّى ٱلْخَلِيفَةُ مِنْهَا حَقَّ مَوْلِدِهَا — لِـلأَجْرِ مُكْتَسِبٌ فِي اللهِ مُحْتَسِبُ

وَرِثْتَهَا عَنْ عَلِيٍّ ٱلْمُرْتَضَى شِيَمًا — عَنْ كُلِّ نَدْبٍ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ يُنْتَدَبُ

[ ][2] — [ ][2]

فِي مُجْتَلَى بِرِضَا ٱلرَّحْمَنِ مُعْتَمِدٌ — كَـأَنَّـهُ مِـنْ جِنَـانِ ٱلْخُلْـدِ مُقْتَضَـبُ

وَسَارَ بِالْسِّيرةِ ٱلرُّحْمَى وَمَا عُهِدَتْ — مِنْ قَبْلُ حَتَّى [أتى] آباؤُهُ ٱلنُّجُبُ[4]

مِـنْ كُـلِّ أَصْيَـدَ فِـي عِـرْنِينِهِ شَمَـمٌ — إِذَا يُثَـوِّبُ دَاعِـي مَجْـدِهِ يَثِـبُ

عِتَـادُهُ ٱلْمَجْـدُ وَٱلْعَلْيَـاءُ مَتْجَـرُهُ — وَٱلْحَقُّ أَفْضَـلُ مَـا يُقْنَى وَيُكْتَسَـبُ

---

(1) بدون واو الجماعة هكذا في الأصل.

(2) بياض تامّ لم نهتد لملئه.

(3) اجتهدنا في ملء البياض بما أثبتناه.

(4) هناك اختلال في الوزن في العجز وقدّرنا ما سقط.

(132)

وَلَهُ مِنْ مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ أُخرَى:

[الطويل]

/ أَثُوبُ إِلَى حِلْمِي ٱلْكَفِيلِ بِسُلْوَانِ وأُصْلِحُ مِنْ شَانِي وَإِنْ رَغِمَ ٱلشَّانِي[1]

ثَنَيْتُ عِنَانَ ٱلنَّفْسِ عَنْ مَلْعَبِ ٱلصِّبَا ولَبَّيْتُ دَاعِي ٱلرُّشْدِ مِنْ قَبْلُ نَادَانِي[2]

وَأَحْيَيْتُ عَزْماً مَاتَ فِي مَعْرَكِ ٱلْهَوَى فَعَاوَدَنِي مِنْهُ حُيَيُ بْنُ يَقْظَانِ[3]

(133)

وَلَهُ أَيْضاً مِنْ أُخْرَى:

[الطويل]

أُحَدِّثُ نَفْسِي بِاللِّقَاءِ تَعلُّلاً وَهَيْهَاتَ مَا يُغْنِي ٱلْمَشُوقَ التَّعَلُّلُ

وَأَقْبَلُ أَخْبَارَ ٱلنَّسِيمِ إِذَا سَرَى فَيا عجَباً مِنْ ضُعْفِهَا وَهِيَ تُقْبَلُ

(134)

وَلَهُ أَيْضاً كَذَلِكَ:

[الكامل]

قَدْ كُنْتُ بَاقِلَ[4] غُرْبَةٍ وَتَنَقُّلٍ وَٱلآنَ صِرْتُ جُهَيْنَةَ[5] ٱلتَّسْيَارِ

إِنَّا بَنُو ٱلآمَالِ تَخْدعُنَا ٱلْمُنَى فَنُخَادِعُ ٱلآمَالَ بِالأَسْفَارِ[6]

---

(1) بدون ياء فـي الآخر هكذا في الأصل والمقصود (رَغْمَ أنْفِ الشَّانِي) وهو المُبْغِضُ.

(2) بدون ياء فـي الآخر هكذا في الأصل.

(3) هو بطل عنوان كتاب لابن الطفيل وهو فيلسوف وطبيب أندلسي (توفي 1185 م).

(4) باقلٌ يضرب به المثل في العِيّ وهو رجل اشترى ظبياً بأحدَ عشر درهماً فَسُئِلَ عن شرائه ففتح كفَّيْه وأخرج لسانه يُشِير إلى ثمنه فانفلت (القاموس 3/325 ـ 326).

(5) اسم قبيلة في الأصل ويشار به إلى المثل «وعند جهينة الخبرُ اليقينُ» إشارة إلى التأكد والصحة.

(6) بأزهار، ج 2/170 ـ من قصيدة مطلعها: =

ق(78) / مَا إِنْ يُجَرِّبُنِي ٱلزَّمَانُ وَصَرْفُهُ إِلاَّ خَلَصْتُ لَهُ خُلُوصَ نُضَارِ

(135)

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى:

[الكامل]

حَتَّى رَسُولُ ٱلْبَرْقِ خَانَ أَمَانَتِي وَجَّهْتُهُ أَبْكِي فَجَاءَكَ بَاسِمَا
لَكِنْ وَفَى لِي مُزْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَبَكَى بِغَيْثٍ مِثْلَ دَمْعِيَ سَاجِمَا
وَكَذَا الصَّبَا تَنْدَى عَلَى كَبِدِي وَقَد تَرَكَتْ بِقَلْبِي لِلْصَّبَابَةِ جَاحِمَا

(136)

وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ ٱلْرائِقَةِ فِي ٱلْشَّفَاعَةِ:

[الخفيف]

لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا أَقُولُ وَلَكِنْ أَبْتَغِي مِنْ عَرِيضِ جَاهِكَ نَفْعَا
وَٱلْفَتَى إِنْ أَرَادَ نَفْعَ أَخِيهِ فَهْوَ يَدْرِي فِي أَمْرِهِ كَيْفَ يَسْعَى

(137)

وَفِي ٱلْعِذَارِ:

[البسيط]

شَكَا إِلَيَّ بِوَجْهِهِ رَوْضُ وَجْنَتِهِ لَوَى ٱلْعِذَارَ حَفَافَيْهِ لهِ حَنَشَا
فَقُلْتُ وَجْهُكَ صُبْحٌ يَا مَلِيحُ وَقَدْ أَبْدَى ٱلْعِذَارُ لَنَا مِنْ فَوْقِهِ غَبَشَا
وَسَوفَ يَبْدُو نَهَارُ ٱلْوَصْلِ بَعْدَهُمَا تَسِيرُ فِي نُورِهِ ٱلْعُشَّاقُ حَيْثُ تَشَا

= لولا تألّقُ بارق التذكار. ما صاب واكف دمعي المدرار

وهي في مدح السلطان أبي سالم المريني وفيها نجد نفس البيت مع اختلاف جزئيّ:

«إنّا بني الآمال تخدعنا المنى فنُخَادعُ الآمال بالتَّسْيَارِ»

(138)

وَفِيهِ أَيْضاً:

[البسيط]

سَالَ ٱلْعِذَارُ عَلَى خَدَّيْهِ فَانْقَبَضَتْ   نُفُوسُ أَهْلِ ٱلْهَوَى مِنْ حَيْرَةٍ دَهَشَا

و(79) / فَقُلْتُ عَقْرَبُ صَدْغَيْهِ ٱسْتَطَالَ إِلَى   أَنِ ٱسْتَحَالَ بِهَا مِنْ طُولِهِ حَنَشَا

كِلاَهُمَا لاَسِعٌ قَلْبَ ٱلْمُحِبِّ لَهُ   إِنْ يَجْتَنِي ٱلْوَرْدَ مِنْ رَوْضَيْهِمَا نَهَشَا

(139)

وَفِي تَوْقِيرِ ٱلشَّيْبِ عَنْ طَاعَةِ ٱلْهَوَى:

[الطويل]

تَسَتَّرْتُ فِي لَيْلِ ٱلْمَشِيبِ بِحُبِّهَا   وقَالَتْ: أَمِنْتَ ٱلْعَاذِلاَتِ تَشِي بي؟[1]

فَلَمَّا بَدَا صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ بِمَفْرِقِي   خشِيتُ ٱفْتِضَاحِي فِي صَبَاحِ مَشِيبِي[1]

(140)

وَفِي ٱلتَغَزُّلِ:

[مخلَّع البسيط]

عَذَّبَنِي وَٱلْغَرَامُ عَذْبٌ   أَهْيَفُ كَالغُصْنِ فِي ٱلْتَثَنِّي

قَالَ إِذَا قُلْتَ مِلْتَ عَنِّي   لَيْسَ كَذَا فَالْقَوَامُ مِنِّي

(141)

وَمِنَ ٱلْمُلَحِ طَوْعَ مُدَاعَبَةٍ:   [الطويل]

لَكَ ٱلْخَيْرُ سَرِّحْ رَائِدَ ٱلطَّرْفِ يرْتَعي   فَمَرْعَاهُ فِي رَوْضِ ٱلْجَمَالِ خَصِيبُ

---

(1) بدون ياء في الأصل.

وَرَدْدُهُ مَـا بَيْـنَ ٱلْغَـزَالِ وَأُمِّـهِ   تَـرُوقُـكَ حُسْنـاً ظَبْيَـةٌ وَرَبِيـبُ
عَسَى أَلِفٌ لِلْوَصْلِ يَجْمَعُهُمَا بِهِ   فَجَمْعُـكَ بَيْـنَ ٱلْحَـالَتَيْـنِ عَجِيـبُ
وَمَقْصُودُكَ ٱلْمَطْلُوبُ سَهْلٌ فَأَيَّمَا   ظَفِـرْتَ بِـهِ فَـالسَّهْـمُ فِيـهِ مُصِيـبُ
ق(79) / وَمَهْمَا عَلَوْتَ الأَصْلَ فَلْتَعْلُ فَرْعَهُ   يَـزِينُـكَ مِنْـهُ مِنْبَـرٌ وَخَطِيـبُ
وَلاَ سِيَّمَا مَهْمَا تَنَاوَلْتُمَا ٱلْعَصَى   فَلِلَّـهِ غُصْـنٌ مَـا هُنَـاكَ رَطِيـبُ
وَمَا أَنْـتَ إِلاَّ دَوْحُ مَجْـدٍ وَسُـؤْدَدٍ   يَـرِفُّ لَهَـا ظِـلٌّ وَيَنْفَـحُ طِيبُ
فَلِلظَّبْـيِ ظِـلٌّ مِنْـكَ يَـأْوِي لِكَهْفِـهِ   وَلِلْبُلْبُـلِ ٱلْغِـرِّيـدِ مِنْـكَ قَضِيـبُ

(142)

وَفِي ذَلِكَ أَيْضاً: [الطويل]

بِعَيْشِكَ حَدِّثْنِي عَنِ ٱلظَّبْيِ يَرْتَعِي   مَسَـارِحَ تُـدْعَـى أَعْيُنـاً وَقُلُـوبَـا
لِتُنْعِـمَ أَسْمَـاعـاً بِـذِكْـرِ حَبِيبِهَـا   فَتَـأْخُـذَ مِـنْ ذَاكَ ٱلْجَمَـالِ نَصِيبَـا

(143)

وَفِي ذَلِكَ أَيْضاً: [البسيط]

لِـي فِـي ٱلْبَـلاَبِـلِ أَسْـرَارٌ مُحَجَّبَـةٌ   لَكِنَّهَـا عَـنْ فُـؤَادِي لَيْـسَ تُحْتَجَـبُ
يُغْرِيهِ بَعْضٌ بِبَعْضٍ كُلَّمَا سَجَعَتْ   أَلَيْسَ ذَا عِنْدَهُ مِنْ أَمْرِهَا عَجَبُ؟

(144)

وَفِي ذَلِكَ أَيْضاً:

[البسيط]

أَفْدِي ٱلْغَزَالَ ٱلَّذِي فِي ٱلْقَلْبِ مَسْكَنُهُ[1]   لَـوْلاَهُ لَـوْلاَهُ مَـاآوَى إِلَـى سَكَـنِ

(1) في الأصل (ٱلْمَسْكِن) وَالأفصَحُ (ٱلْمَسْكَن) (القاموس، 4/231).

إِذَا تَجُولُ لِحَاظِي فِي مَحَاسِنِهِ   فَلَسْتُ أُبْصِرُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى حَسَنِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَسَناً مَا رَاقَ مَنْظَرُهُ   وَلَمْ تُضَفْ أُمُّهُ قِدْماً إِلى حَسَنِ

(145)[1]

[الطويل]

و(80) / وَسَجَّلَ هَذَا ٱلْحُكْمَ مِنْكَ عَلاَمَةٌ   تَخُطُّ بِهَا يُمْنَاكَ مُنْعِمَةٌ صَحَّا[2]

(146)

وَقَالَ وَقَدْ أَلْفَى فِي مُلْتَمَسِ يَدِهِ ٱلْكَرِيمَةِ حَرَارَةً:

[الطويل]

لَعَهْدِي بِهَاتِيكَ ٱلْيَمِينِ نَدِيَّةٌ   تُفَجِّرُ مِنْهَا لِلسَّمَاحِ بُحُورَا
فَمَا بَالُهَا لَمَّا لَثَمْتُ بَنَانَهَا   وَجَدْتُ بِهَا نَاراً تَجَسَّدُ نُورَا

(147)

وَقَالَ أَيْضاً مُهَنِّئاً بِمِثْلِ مَا تَقَدَّمَ وَشَاكِراً عَنْ نِعَمٍ تَطَوَّلَ بِهَا وَأَنْعَمَ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ[3]:

[الكامل]

بُشْرَى بِهَا وَجْهُ ٱلرِّضَى يَتَهَلَّلُ   فَمُكَبِّرٌ لِسَمَاعِهَا وَمُهَلِّلُ
مَلأَ ٱلْخَلِيفَةُ رَاحَةً مِنْ رَاحَةٍ   مَوْصُولَةٍ أَسْبَابُهَا لاَ تُفْصَلُ
هَذَا ٱلشِّفَاءُ شِفَاءُ كُلِّ مُوَحِّدٍ   فِي ضِمْنِهِ ٱلصُّنْعُ ٱلأَغَرُّ ٱلأَجْمَلُ
هُوَ شَاهِدٌ عَدْلٌ زَكِيٌّ مُرْتَضًى   وَيَصِحُّ هَذَا فِي ٱلْعَلاَمَةِ يُقْبَلُ
ضَحِكَتْ ثُغُورُ ٱلثَّغْرِ عَنْهُ مَسَرَّةً   وَٱفْتَرَّ مِنْهُ لِلْبَشِيرِ مُقَبَّلُ

---

(1) مقطوعة بدون تقديم والراجح أنه سقط مع أبيات في الاستهلال.
(2) صحّ: «هي علامة الامضاء بالموافقة في المكاتيب السلطانية».
(3) ورد منها في أزهار الرياض 2: 112، 113، 115 الأبيات: 11، 12، 26، 31، 32 ـ 41.

فَالدِّينُ وَالدُّنْيَا بِهِ فِي غِبْطَةٍ ... وَالْمُلْكُ يُكْفَى وَالبَرِيَّةُ تُكْفَلُ
حَتَّى الْمُلُوكُ وَأَنْتَ وَالِدُهَا الرِّضَا ... تُعْطِي الْعَطَايَا لِلْبَشِيرِ وَتُجْزِلُ
أَمَّا أَبُو الْعَبَّاسِ[1] فَهُوَ خَلِيفَةٌ ... فِي كُلِّ مَا تَرْضَى يَقُولُ وَيَفْعَلُ
فَالْمُسْتَعِينُ[2] بِرَبِّهِ ثُمَّ الْغَنِيُّ[3] ... بِرَبِّهِ بِرِضَاهُمَا يُتَوَسَّلُ
هَذِي بَنُو الْعَبَّاسِ قَدْ أَحْيَيْتَهَا ... وَأَعَدْتَهَا فَالذِّكْرُ مِنْهَا أَجْمَلُ
ق(80) / مَأْمُونُهَا وَأَمِينُهَا وَرَشِيدُهَا ... مَنْصُورُهَا سَفَّاحُهَا الْمُتَوَكِّلُ[4]
بِالأَمْسِ قَدْ جَمَّعْتَنَا فِي نُزْهَةٍ ... وَالرَّوْضُ مَرْعَى[5] وَالْكَرَامَةُ مَنْهَلُ
وَالْقَصْرُ قَدْ مَلأَ الْقُلُوبَ مَهَابَةً ... وَالْبِرُّ أَحْفَى وَالصَّنِيعَةُ أَحْفَلُ
فِي مَنْظَرٍ تَقِفُ الْمَطَامِحُ دُونَهُ ... فَإِذَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلُ
تَسْرِي الرِّيَاحُ بِهِ فَيَمْلأُ بُرْدَهَا ... فِي جَوِّ هَبَّتِهَا الْكِبَا وَالْمَنْدَلُ[6]
كُلٌّ يَقُولُ وَوَجْهُهُ مُتَهَلِّلٌ ... لِلَّهِ مِنْكَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
وَالْيَوْمَ قَدْ أَتْحَفْتَنِي بِلَطَائِفٍ ... مَا بَعْدَهَا لِمُؤَمِّلٍ مَا يَأْمَلُ
دَارَتْ بِهَا أَوْلاَدُ عَبْدِكَ كُلُّهُمْ ... بِدُعَائِهِ نَحْوَ الضَّرَاعَةِ يُقْبِلُ
غَرْسٌ بِرَوْضِ نَدَاكَ قَدْ أَنْبَتَّهُمْ ... وَغَذَوْتَهُمْ حَتَّى رَبَوْا وَتَأَثَّلُوا[7]
مَوْلاَيَ يَا عَلَمَ الْمُلُوكِ وَمَنْ لَهُ ... وَجْهٌ لَهُ تَعْنُو الْبُدُورُ الْكُمَّلُ
لَكَ رَاحَةٌ قَدْ أُيِّدَتْ بِأَنَامِلٍ ... مِنْ كَفِّهَا يَكِفُ الْغَمَامُ الْمُسْبَلُ

---

(1) هو أبو العباس المريني سلطان المغرب بُويع له بمداخلة الغني بالله سنة 776 هـ.
(2) هو أبو الحجاج يوسف الثاني حكم لمدة قصيرة (793 هـ ـ 794 هـ).
(3) هو الغني بالله ثامن سلاطين بني نصر.
(4) في أزهار، ج 120/2.
مَأمونُهَا وامينُهَا ورشيدُهَا منصورهَا مَهْدِيُّهَا الْمُتَوَكِّلُ
(5) في الأصل: «مَدْعَى» بالدال والراجح ما أثبتناه.
(6) أسماء لأنواع من أعواد البَخُور (القاموس 374/4).
(7) بدون واو الجماعة هكذا في الأصل.

آبَـاؤُكَ ٱلأَنْصَـارُ أَنْصَـارُ الْهُـدَى بِفَخَارِهِمْ أَثْنَى ٱلْكِتَابُ ٱلْمُنْزَلُ[1]

وَٱللَّـهِ مَـا ٱلنَّصْـرُ ٱلْمُـؤَزَّرُ بَعْدَهُـمْ إِلاَّ بَقِيَّـةُ مَـا هُـمُ قَـدْ خَـوَّلُـوا[2]

أَبَنِـي بَنِـي أَبْنَـائِهِـمْ بُشْـرَى لَكُـمْ فَلَقَـدْ دَعَـا لَكُـمُ ٱلنَّبِـيُّ ٱلْمُرْسَـلُ

وَبِهَـا يُـرِيـكَ ٱلنَّصْـرُ كُـلَّ غَـرِيبَـةٍ تُـرْوَى عَلَـى مَـرِّ ٱلـزَّمَـانِ وَتُنْقَـلُ

يَـا فَخْـرَ أَنْـدَلُـسٍ وَعِصْمَـةَ أَهْلِهَـا لَكَ فِيهِمُ ٱلنِّعَمُ ٱلَّتِي لاَ تُجْهَلُ[3]

أَمَّنْتَهُـمْ وَكَفَلْتَهُـمْ وَكَفَيْتَهُـمْ لِلَّـهِ مِنْـكَ ٱلْكَـافِـلُ ٱلْمُتَكَفِّـلُ

فَـاسْلَـمْ لِـدِيـنٍ أَنْـتَ عِصْمَـةُ أَهْلِـهِ فَعَلَيْـكَ مِـنْ بَعْـدِ ٱلإِلاَهِ تَـوَكُّـلُ

وَاقْبَـلْ بَـدِيهَـةَ شَـاعِـرٍ فَلَقَـدْ أَبَـا نَ ٱلْعُـذْرَ مِنْهُ ٱلشَّـاكِرُ ٱلْمُسْتَعْجِلُ

و(81) / تَلْقَاهُ فِي يَوْمِ ٱلسَّمَاحَةِ وَٱلْوَغَى وَٱلْبِشْـرُ فـي وَجَنَـاتِـهِ يَتَهَلَّـلُ

وَشَمَـائِـلٌ كَـالـرَّوْضِ بَـاكَـرَهُ ٱلْحَيَـا وَسَـرَتْ بِـرَيَّـاهُ ٱلصَّبَـا وَٱلشَّمْـأَلُ

وَعِنَـايَـةُ ٱللهِ ٱشْتَمَلْـتَ رِدَاءَهَـا[4] وَعَلِقْـتَ مِنْهَـا عُـرْوَةً لاَ تُفْصَـلُ

فَـالْجُـودُ إِلاَّ مِـنْ يَـدَيْـكَ مُقَتَّـرٌ وَٱلْغَيْـثُ إِلاَّ مِـنْ نَـدَاكَ مُبَخَّـلُ

وَٱلْعُمْـرُ إِلاَّ تَحْـتَ ظِلِّـكَ ضَـائِـعٌ وَٱلْعَيْشُ إِلاَّ فِـي جَنَـابِـكَ مُمْحِـلُ

حَيْـثُ ٱلْجِهَـادُ قَـدْ ٱعْتَلَـتْ رَايَـاتُـهُ حَيْـثُ ٱلْمَغَـانِـمُ لِلْعُفَـاةِ تُنَفَّـلُ

حَيْثُ ٱلْقِبَابُ ٱلْحُمْرُ تُرْفَعُ لِلْقِرى قَـدْ غَـامَ فِـي أَجْـوَائِهِـنَّ ٱلْمَنْـدَلُ[5]

يَـا آيَـةَ ٱللهِ ٱلَّتِـي أَنْـوَارُهَـا يُهْـدَى بِهَـا قَصْـدَ ٱلـرَّشَـادِ ٱلضُّلَّـلُ

لَـوْلاَكَ كَـانَ ٱلـدِّيـنُ يُغْمَـطُ حَقُّـهُ وَلَكَـانَ دِيـنُ ٱلنَّصْـرِ فِيـهِ يُمْطَـلُ

---

(1) في أزهار ج 2/115.

مَـاذَا يُحَبِّـرُ شَاعِـرٌ فِي مَدْحِهِمْ وَبِفَضْلِهِـمْ أَثْنَـى ٱلْكِتَـابُ ٱلْمُنْـزَلُ

(2) بدون واو الجماعة هكذا في الأصل.

(3) في أزهار: لك فيهم (النُّعْمَى)، عوض النِّعَمْ.

(4) في الأصل: «وعِنَايَةُ الله التي اشتَمَلْتَ رِداءَهَا» فحذفنا «الّتي» حتّى يستقيم الوزن.

(5) أزهار: قد قام في أرجائهنّ المَنْدَلُ.

فَلَقَبْلُ مَا اسْتَفْتَحْتَ كُلَّ مُمَنَّعٍ مِنْ دُونِهِ بَابُ ٱلْمَطَامِعِ مُقْفَلُ[1]
فَإِذَا المُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجِهَادِهَا فَلأَنْتَ أَحْفَى بِٱلْجِهَادِ وَأَحْفَلُ

وَخَتَمَهَا بِخَاتِمَةِ ٱلْقَصِيدَةِ ٱلْمتَقَدِمَةِ ٱلّتِي أَوَّلُهَا:

بُشْرَى كَمَا وَضَحَ ٱلصَّبَاحُ وَأَجْمَلُ[2]

(148)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَصِيدَةٍ أَعَادَ فِيهَا عِدَّةً مِنَ السَّابِقَةِ[3] ٱلّتِي أَوَّلُهَا:

سَلْ بَارِقَ ٱلسَّفْحِ يَخْفَى ثُمَّ يَرْتَسِمُ

حُذِفَتْ مِنْ هَذِهِ:

[البسيط]

بُشْرَى عَلى صَفْحَةِ ٱلإِصْبَاحِ تَرْتَسِمُ لِذَاكَ يُصْبِحُ ثَغْرُ ٱلثَّغْرِ يَبْتَسِمُ
جَاءَتْ تُبَشِّرُ بِالإِقْبَالِ مَمْلَكَةٌ بِعِزَّةِ الله فِي ٱلأَمْلاَكِ تَحْتَكِمُ
ق(81) / وَافَتْ تُخَبِّرُ أَنَّ ٱلْعِيدَ عَائِدُهُ بِٱلسَّعْدِ يَبْدَأُ وَٱلإِسْعَادِ يُخْتَتَمُ
هَبَّتْ عَلَى أَوْحَدِ الأَمْلاَكِ نَفْحَتُهَا تُهْدِي ٱلسَّلاَمَ وَفِي يُمْنَاهُ تَسْتَلِمُ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي ٱلْحَجَّاجِ[4] أَشْرَفُ مَنْ أَضْحَتْ عَلَى بَابِهِ الأَمْلاَكُ تَزْدَحِمُ
فَهُوَ الإِمَامُ ٱلّذِي فَاقَ ٱلْمُلُوكَ عُلًى وَقَصَّرَتْ عَنْ مَرَامِي عَزْمِهِ ٱلْهِمَمُ

---

(1) أزهار: «فلطالما» عوض «فلقبل ما».

(2) لكن لا وجود للقصيدة المشار إليها في مخطوطنا ولعلها سقطت مع جملة ما سقط منه (انظر المقدمة)؛ بيد أن المقّري أثبتها (أزهار 2/111 ـ 116).

(3) لا وجود للقصيدة المُشار إليها في الجزء السابق من المخطوط فلعلّها سقطت مع الجزء الناقص أيضاً.

(4) هو اسمُ الغني بالله ثامن سلاطين بني نصر.

وَمِنْهَا[1]:

يَا نَيِّراً تُخْجِلُ الأَقْمَارَ طَلْعَتُهُ وَيُخْجِلُ الرَّوْضَ مِنْهُ ٱلْخُلْقُ وَالشِّيَمُ
لِلَّهِ عَزْمُكَ مَا أَمْضَى مَضَارِبَهُ رَقَّتْ فَرَاقَتْ بِهَا ٱلأَلْطَافُ وَٱلْعِصَمُ
لِلَّهِ جُودُكَ مَا أَهْمَى غَمَائِمَهُ سَحَّتْ فشَحَّتْ لَهَا الأَنْواءُ وَالدِّيَمُ
لِلَّهِ هَدْيُكَ مَا أَضْوَا مَرَاشِدَهُ يُجْلَى بِهَا ٱلْحَالِكَانِ ٱلظُّلْمُ وَٱلظُّلَمُ
لَوْلاَ وُجُودُكَ كَانَ ٱلْخَلْقُ فِي عَمَهٍ وَكَانَ وُجْدَانُهُمْ قَدْ شَفَّهُ ٱلْعَدَمُ
وَكَانَ لِلدِّينِ صَدْرٌ غَيْرُ مُنْشَرِحٍ وَكَانَ لِلثَّغْرِ ثَغْرٌ لَيْسَ يَبْتَسِمُ
يَا مَنْ مَآثِرُهُ تُتْلَى لَهَا سُوَرٌ تُحْدَى بِهَا في ٱلْفَلاَةِ ٱلأَيْنُقُ الرُّسُمُ
قَدْ خَلَّدَ ٱلْفَخْرَ مِنْكَ ٱلْبَأْسُ وَٱلْكَرَمُ وَأَوْضَحَ ٱلْعَدْلَ مِنْكَ ٱلْحُكْمُ وَالحِكَمُ
أَنْتَ الإِمَامُ ٱلَّذِي مِنْ فَضْلِ سِيرَتِهِ أَضْحَتْ إِلَيْهِ مُلُوكُ الأَرْضِ تَحْتَكِمُ

وَمِنْهَا[1]:

يَا مُخجِلَ الدُرِّ فِي نَظْمِ ٱلْعُقُودِ إِذَا أَمْدَاحُهُ فِي عُقُودِ ٱلْفَخْرِ تَنْتَظِمُ
ٱللَّهُ أَعْطَاكَ مُلْكاً صَانَ مَظْهَرَهُ فَمَا لِعَيْنِ حَسُودٍ حَوْلَهُ لَمَمُ
يَهْنِي خِلاَفَتَكَ ٱلْغَرَّاءَ أَنَّ لَهَا فِي كُلِّ صَالِحَةٍ تُزْهَى بِهَا قَدَمُ
يَهْنِي إِيَالَتَكَ ٱلشَّمَّاءَ أَنَّ لَهَا فِي كُلِّ شَاهِقَةٍ مِنْ فَخْرِهَا عَلَمُ
وَٱهْنَأْ بِعِيدٍ قَرِيرِ ٱلْعَينِ مِنْكَ بِمَا قَضَّيْتَ مِنْ سُنَنٍ تُرْعَى لَهَا حُرَمُ

وَخَاتِمَتُهَا مِثْلُ ٱلْقصِيدَةِ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهَا

(149)

و(82) / وَأَنْشَدَهُ مِنْ حُرِّ ٱلْقصَائِدِ وَغُرِّ ٱلْفَرَائِدِ يُهَنِّئُهُ[2] بمولود[3] أيضاً لمولانا

---

(1) هكذا في الطرّة في الأصل.

(2) أي يهنّي الغني بالله.

(3) هو أخو جامع الديوان.

الوالد[1] رحمة الله عليهما.

[الكامل]

هَــذِي ٱلإِمَــارَةُ بُلِّغَــتْ آمَــالَهَــا ... تَجْلُـو عَلَـى أُفْـقِ ٱلْجَمَـالِ هِـلاَلَهَـا
قَدْ أَخْجَلَتْ شَمْسَ ٱلنَّهَار بِوَجْهِهِ ... وَلِفَضْلِهَـا لَمَّـا تُـرِدْ إِخْجَـالَهَـا
فَإِذَا ٱخْتَفَتْ شَمْسُ ٱلْضُّحَى عَنْ نَاظِرٍ ... بِبَنِيـهِ قَـد أَبْـدَى لَهَـا أَبْـدَالَهَـا
أَخَـذَتْ بِـهِ الأَيَّـامُ أَجْمَـلَ زِينَـةٍ ... مِـنْ حُسْنِهَـا وَٱسْتَقْبَلَـتْ إِقْبَـالَهَـا
قَـد فَضَّضَـتْ أَسْحَـارَهَـا لِقُـدُومِـهِ ... بِشْـراً كَمَـا قَـدْ ذَهَّبَـتْ آصَـالَهَـا
وَعَلَـى مُحَيَّا ٱلشَّمْـسِ مِنْـهُ طَـلاَقَـةٌ ... وَضَّاحَةٌ حَمِدَ ٱلْضُّحَى ٱسْتَهْلاَلَهَا
زَادَتْ إِلـى ٱلأَنْصَـارِ مِنْـهُ نَـاصِـراً ... يُحْيِـي بِـأَيَّـامِ ٱلْفَخَـارِ فَعَـالَهَـا
فَلْيَهْنِهَـا ٱلْفَـرْعُ الكَـرِيـمُ فَـإِنَّـهُ ... سَيُنِيلُهَـا فِـي غَـزْوِهَـا آمَـالَهَـا
يَهْنِـي ٱلْبُنُـودَ ٱلْخَـافِقَـاتِ فَـإِنَّـهُ ... سَيَمُـدُّ فـي رَوْضِ ٱلْفُتُـوحِ ظِـلاَلَهَا
يَهْنِـي ٱلْجِيَـادَ ٱلصَّـافِنَـاتِ فَـإِنَّـهُ ... سَيُطِيلُ مِنْ نَقْعِ ٱلْجِهَـادِ جِـلاَلَهَا
يَهْنـي الـدُّرُوعَ ٱلسَّـابِغَـاتِ فَـإِنَّـهُ ... سَيَجُـرُّ فـي أَرْضِ ٱلْعِـدَى أَذْيَـالَهَـا
وَأَبِــي أَبِيــهِ ٱلْمُنْجِبَيْــنِ وَإِنَّهَــا ... لأَلِيَّـةٌ عَـرَفَ ٱلْمُلُـوكُ جَـلاَلَهَـا
لَقَـدِ ٱرْتَقَـى فَـوْقَ ٱلْكَـوَاكِـبِ غَـايَـةً ... مَا في ٱلْمُلُوكِ سِوَاهُمُ مَنْ نَالَهَا
مَنْ ذَا ٱلَّذِي قَدَرَ ٱلإِمَارَةَ قَدْرَهَا ... وَٱللَّــهُ شَــرَّفَهَــا وَأَنْعَــمَ بَــالَهَــا
فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْعُلْوِيِّ بَعْضُ مَشَابِهٍ ... مِنْهَـا يُمِـدُّ جَمَـالُهَـا إِجْمَـالَهَـا
ق(82) / فَالصُّبْحُ يَحْسُدُ فِي الإِنَارَةِ ضَوْءَهَا ... وَٱلْشَّمْـسُ تَهْـوَى أَنْ تَحُـوزَ جَمَالَهَا
وَٱلرَّوْضُ يَنْفَحُ عَنْ نَوَاسِمِ حَمْدِهَا ... وَٱلْشُّهْـبُ وَدَّتْ أَنْ تَكُـونَ خِـلاَلَهَا
وَٱلْبَحْرُ يَحْسُدُ جُودَهَا وَسَخَاءَهَا ... وَالْبَـدْرُ يَحْسُـدُ نُـورَهَـا وَكَمَـالَهَـا
وَٱلْسُّحْبُ يُخْجِلُهَا ٱنْسِكَابُ بَنَانِهَا ... مَهْمَـا أَفَـاضَـتْ فِي ٱلْعُفَـاةِ نَـوَالَهَـا

[1] والد جامع الديوان وهو أبو الحجاج يوسف الثاني السلطان الحادي عشر من بني الأحمر (793 هـ ـ 794 هـ).

مَـوْلاَيَ قَـد أَنْجَبْـتَ كُـلَّ مُمَلَّـكٍ ... أَنْسَـى ٱلْمُلُـوكَ سَمَاحَهَـا وَصِيَالَهَـا

وَعَلَـى وَلِـيِّ ٱلْعَهْـدِ مِنْـكَ مَهَـابَـةٌ ... قَـدْ أُشْـرِبَتْ فِئَـةُ ٱلْهُـدَى إِجْـلاَلَهَـا

أَنْضَيْتَـهُ سَيْفـاً يُبِيـدُ لَـكَ ٱلْعِـدَى ... وَيُـرِي ٱلْحَنِيفَـةَ فِيهِـمُ آمَـالَهَـا

قَـدِّمْـهُ بَيْـنَ يَـدَيْـكَ فِـي إِخْـوَانِـهِ ... مِثْـلَ الأُسُـوُدِ ٱسْتَقْبَلَـتْ أَشْبَـالَهَـا

وَٱهْنَـأْ بِهَـا شُهُبـاً بِـأُفْـقِ خِـلاَفَـةٍ ... أَلَّفْـتَ مِـنْ نُـورِ ٱلْهُـدَى أَشْكَـالَهَـا

وَلْيَهْنِهَـا ٱلْعُمْـرُ الطَّـوِيـلُ بِغِبْطَـةٍ ... فِـي ظِـلِّ مَـوْلاَهَـا تُفِـيءُ ظِـلاَلِهَـا

فَخْـرُ ٱلْمُلُـوكِ مُحَمَّـدٌ مَهْمَـا شَكَـتْ ... ضَيْماً يَصُونُ مِنَ ٱلْخُطُوبِ مُذَالَهَا

غَيْثُ ٱلنَّدَى قَمَرُ ٱلْهُدَى مُفْنِي ٱلْعِدَى ... وَٱلْحَـرْبُ تَـدْعُـو لِلْكِفَـاحِ نِـزَالَهَـا

مَـا طَـاوَلَتْـهُ ٱلنَّيِّـرَاتُ لِغَـايَـةٍ ... إِلاَّ وَجَشَّمَهَـا ٱلْقُصُـورَ وَطَـالَهَـا

قَـدْ ظَلَّـلَ ٱلإِسْـلاَمَ مِنْـهُ غَمَـامَـةٌ ... وَنَـوَى لَهَـا أَنْ لاَ تُفِيـضَ نَـوَالَهَـا

مَـاحَـلَّ طَـوْعَ سُعُـودِهِ فِـي بَلْـدَةٍ ... إِلاَّ وَرَوَّضَ جُـودُهُ إِمْحَـالَهَـا

كَمْ مِنْ عَظَائِمَ قَدْ تَفَاقَمَ أَمْرُهَا ... أَهْـوَى لَهَـا مُسْتَحْقِـراً أَهْـوَالَهَـا

كَـمْ رَايَـةٍ خَلِقَـتْ بِبَـأْسِ جِهَـادِهِ ... لَكِـنْ رَأَتْ أَسْمَـالَهَـا أَسْمَـى لَهَـا[1]

نَـاجَـى عِـدَاهُ سَيْفُـهُ فَكَـأَنَّمَـا ... أَوْصَـى لَهَـا أَنْ قَطَّعَـتْ أَوْصَـالَهَـا

لَـمْ تُلْـفِ دُونَ مَجَـالِهَـا مِـنْ حِيلَـةٍ ... حَتَّـى مَحَـا بِـالْمُـرْهَفَـاتِ مُحَـالَهَـا

و(83) / مَنْ ذَا الذِي أَعْطَى ٱلْخِلاَفَةَ حَقَّهَا ... وَٱللَّـهُ بِـالنَّصْـرِ ٱلْعَـزِيـزِ قَضَـى لَهَـا

يَـا أَيُّهَـا ٱلْغَيْـثُ ٱلَّـذِي بِغِيَـاثِـهِ ... رَحِـمَ ٱلإِلاَهُ عِبَـادَهُ وَأَقَـالَهَـا

رُحْمَاكَ صَانَتْ أَهْلَ دِينِكَ مَالَهَا ... أَنْ لاَ تَصُونَ مِن الْمَوَاهِبِ مَا لَهَا

لَـمْ تُبْـقِ فـي طَلَـقِ ٱلْمَكَـارِمِ غَـايَـةً ... إِلاَّ وَطِـرْفُـكَ وَادِعـاً قَـدْ جَـالَهَـا

حِلْـمٌ تَضِيـقُ الأَرْضُ عَنْـهُ وَسَطْـوَةٌ ... فِـي ذَاتِ رَبِّـكَ تَسْتَخِـفُّ جِبَـالَهَـا

وَشَمَـائِـلٌ لَـوْ أُشْـرِبَتْهَـا رَوْضَـةٌ ... حَسَدَ ٱلشَّمُولُ مَعَ ٱلْهُبُوبِ شَمَالَهَا

---

(1) يُلاَحَظُ الجناس (فَالأَسْمَالُ) الأولى هي: الرايات الخَلِقَةُ و(أَسْمَى لَهَا) من السُّمُوِ أي: أَرْفَعُ لِلرَّايَاتِ؛ وقد التزم بالجناس في أبيات عديدة من القصيدة وَشَّى به الأعجاز خاصّة.

وَلَـكَ ٱلْعَـزَائِـمُ كُلَّمَـا جَـرَّدْتَهَـا   وَدَّتْ صِفَـاحُ ٱلْمُـرْهَفَـاتِ صِقَـالَهَـا

فَـإِذَا ٱلْحُـرُوبُ تَسَعَّـرتْ أَجْـذَالُهَـا   رَدَّتْ عَلَـى أَعْقَـابِهَـا أَبْطَـالَهَـا

وَإِذَا الرِّمَاحُ تَشَاجَرَتْ يَوْمَ الْوَغَى   فَصَلَتْ سُيُوفُكَ بِالْجِلاَدِ جِدَالَهَا

كَمْ حُجَّةٍ نَصَعَتْ لِسَيْفِكَ فِي ٱلْوَغَى   لَـمْ تَسْتَطِـعْ أَبْطَـالُهَـا إِبْطَـالَهَـا

كَـمْ مِـنْ قَضِيـبٍ لِلْقَنَـا مُتَـأَوِّدٍ   جَعَلَتْ مَكَانَ ٱلزَّهْرِ فِيهِ نِصَالَهَا

كَـمْ مِنْ خُطُـوبٍ أُرْتِجَـتْ أَبْـوَابُهَـا   فَضَّـتْ سُيُـوفُـكَ عَنْـوَةً أَقْفَـالَهَـا

لاَ تُضْمِـرُ الأَعْـدَاءُ كَيْـدَكَ بَعْـدَمـا   قَـدْ أَبْصَـرَتْ أَفْعَـالُهَـا[1] أَفْعَـالَهَـا

جَعَلَتْ سُيُوفُكَ إِنْ تَخَطَّاهَا ٱلرَّدَى   أَنْفَـى لَهَـا أَنْ قَسَّمَـتْ أَنْفَـالَهَـا

إِنْ كَـانَ سِلْمُـكَ يَقْتَضِـي إِمْهَـالَهَـا   هَيْهَـاتَ عَـزْمُـكَ قَـدْ أَبَـى إِهْمَـالَهَـا

طَالَتْ رِمَاحُكَ فَوْقَهَا فَاسْتَرْجَفَتْ   مِـنْ خَـوْفِهَـا وَٱسْتَقْصَـرَتْ آجَـالَهَـا

كَمْ مِنْ قَوَاعِدَ قَدْ نَسَفْتَ رُبُوعَهَا   فَتَـزَلْـزَلَـتْ أَرْجَـاؤُهَـا زِلْـزَالَهَـا

حَمَلَـتْ بِمَـنْ فِيهَـا سِنِيـنَ عَـدِيـدَةً   وَلِيَـوْمِ فَجْـأَتِهَـا أَتَحْـتَ فِصَـالَهَـا

ذَعَـرَتْ عَمِيدَ الـرُّوْمِ مِنْـكَ مَخَـافَـةٌ   إِنْ نَامَ حَالَفَ فِي المَنَامِ خَيَالَهَا

ق(83) / لَمَّـا دَعَـا فِئَـةَ الصَّلِيـبِ لِنَصْـرِهِ   خَزَلَتْهُ[2] تَخْشَى مِنْكَ مَا قَدْ هَالَهَا

وَقَفَـتْ وُقُـوفَ العَيْـرِ يُـوجِسُ خِيفَـةً   فَكَـأَنَّمَـا أَوْحَـى لَهَـا أَوْجَـالَهَـا

عَـدِمَـتْ نَظَـائِرُهَـا خِـلاَفَـةَ مُنْعِـمٍ   قَدَّسْتَ مِنْ فَوْقَ النُّجُومِ حِلاَلَهَا

قَـدْ أَنْفَـدَتْ يَـوْمَ الـوَغَـى أَعْـدَاءَهَـا   وَاسْتَنْفَـدَتْ يَـوْمَ النَّـدَى أَمْـوَالَهَـا

فَخْـراً لَهَـا وَالفَخْـرُ شِيمَـةُ قَـوْمِهَـا   إِذْ صَـدَّقَـتْ أَفْعَـالُهَـا أَقْـوَالَهَـا

فَلَقَدْ أَطَاعَتْ فِي العِدَى أَسْيَافَهَا   لَمَّـا عَصَـتْ فِي جُـودِهَـا عُـذَّالَهَـا

مِـنْ دَوْحَـةٍ نَصْـرِيَّـةٍ يَمَنِيَّـةٍ   مَدَّتْ عَلَى أَوْجِ السُّهَى أَظْلاَلَهَا[3]

---

(1) في الأصل الاثنان بالفتح (أَفْعَالَهَا أَفْعَالَهَا) وهذا لا يجوز. اللّهُم إلا إذا كانت الثانية (أَفْعَى لَها) للجناس وهذا هو الأولى.

(2) خَزَلَهُ يَخْزِلُهُ: عاقه عما يريد وتراجع وقد تكون (خَذَلَتْهُ) والمعنى واضح (القاموس: 1/356)

(3) جمع ظل ويجمع كذلك على ظِلاَلٍ وظُلُولٍ.

يَا آلَ نَصْرٍ أَنْتُمُ سُرُجُ الهُدَى فَبِنُورِ هَدْيِكُمُ تُنِيرُ ذُبَالَهَا
إِنْ تَنْتَسِبْ فِئَةُ الرَّسُولِ لِنُصْرَةٍ كُنْتُمْ عَلَى حُكْمِ السَّعَادَةِ آلَهَا
مَوْلاَيَ خُذْهَا فِي امْتِدَاحِكَ غَادَةً لَزِمَتْ مِنَ الفِكْرِ المَصُونِ حِجَالَهَا
مَثَلَتْ بِبَابِكَ لِلْهَنَاءِ مُعِيدَةً لِبَشَائِرٍ قَدْ أَرْدَفَتْ أَمْثَالَهَا
وَاللهِ مَا قَلَّدْتُ وَصْفَكَ دُرَّهَا لَكِنْ صِفَاتُكَ قَلَّدَتْ مِعْطَالَهَا
لاَ زِلْتَ لِلأَيَّامِ مَلْجَأَ رَحْمَةٍ مَهْمَا اشْتَكَتْ ضُرًّا تَجِدْكَ ثُمَالَهَا[1]
لاَ زِلْتَ لِلأَمْلاَكِ مَظْهَرَ عِصْمَةٍ إِنْ شَارَفَتْ نَقْصاً تُفِيدُ كَمَالَهَا
وَبَقِيتَ لِلإِسْلاَمِ شَمْسَ هِدَايَةٍ أَمِنَتْ عَلَى حُكْمِ السُّعُودِ زَوَالَهَا

(150)

وقالَ يُهَنِّئُهُ رَضِي اللهُ عَنْهُ بِمَوْلُودٍ أَيْضاً لِعَمِّنَا الأَمير نَصْر رحِمَهُ اللهُ

[الطويل]

هُوَ النَّجْمُ حَقًّا قَدْ تَطَلَّعَ مِنْ بَدْرِ لِوَارِثِ أَنْصَارِ النُّبُوَّةِ فِي بَدْرِ
/ وَوَافِدُ بُشْرَى حَالَفَ السَّعْدُ وَفْدَهَا وَطَالِعُ نَصْرٍ سَاقَهُ اللهُ مِنْ نَصْرِ (و84)
وَزَهْرَةُ مَجْدٍ فِي رِيَاضِ خِلاَفَةٍ وَدُرَّةُ عِقْدِ الحَمْدِ مِنْ صَدَفِ الفَخْرِ
وَمَا هُوَ إِنْ حَقَّقْتَ كُنْهَ وِلاَدِهِ سِوَى قَمَرٍ سَعْدٍ عَلَى أُفُقِ القَصْرِ
هَنِيئاً أَمِيرَ المُسْلِمِينَ بِحَافِدٍ بِحَافِدِهِ يَأْتِيكَ فِي فُسْحَةِ العُمْرِ
وَيَهْنِيهِ أَنْ كَانَ الخَلِيفَةُ جَدُّهُ عَمِيدَ بَنِي الأَنْصَارِ فَخْرَ بَنِي نَصْرِ
وَهُنِّيتَ بِالتَّخْصِيصِ مِنْ حَضْرَةِ الرِّضَا وَأُيِّدتَ بِالتَّخْلِيدِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ

(151)

وَقَالَ يَشْكُرُهُ وَيَصِفُ الكُمَّثْرَى وَقَدْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ:

---

(1) الثُّمال: الملجأ (المصدر السابق: 3/333) فالصواب بالضم لا كما جاء في الأصل بالكسر (ثِمالها).

[الكامل]

أَنَبَاتُ رَوْضٍ أَمْ حِقَاقُ زَبَرْجَدِ ... فِي خُضْرَةٍ شِيبَتْ بِصُفْرَةِ عَسْجَدِ؟

ذَوْبُ اللُّجَيْنِ وَقَدْ كَسَاهُ حُسْنُهُ ... خُضْرَ الحُلَى لِلْسُّنْدُسِ الخَضِلِ النَّدِي[1]

كَانَتْ أَزَاهِرُهَا زَوَاهِرَ لُؤْلُؤٍ ... ثُمَّ اسْتَحَالَتْ بَعْدَهَا لِزُمُرُّدِ

مِثْلُ الثُّدِيِّ نَوَاهِداً قَدْ أَخْجَلَتْ ... مِنْ حُسْنِهَا سِرْبَ العَذَارَى النُّهَّدِ

قَدْ أَحْكَمَ الرَّيْحَانُ رَتْقَ فُتُوقِهَا ... فَتَرُوقُ بَيْنَ مُنَظَّمٍ وَمُنَضَّدِ

مَا شِئْتَ مِنْ عَرْفٍ ذَكِيٍّ طِيبُهُ ... بِشَمِيمِهِ رُسْلُ النَّوَاسِمِ تَهْتَدِي[1]

سَرَّحْتُ طَرْفِي فِي مَزَايِنِ حُسْنِهَا ... فَعَجِبْتُ مِنْ صَرْحٍ هُنَاكَ مُمَرَّدِ

وَأَنَا الفَقِيرُ إِلَى هَدِيَّةِ مُنْعِمٍ ... وَافَتْ بِكُمَّثْرَى بِهَا أَثْرَتْ يَدِي[1]

هَلْ عِنْدَ وَفْدِ الحَجِّ فِي عَرْضِ الفَلاَ ... هِيماً تَرُوحُ بِهَا المَطِيُّ وَتَغْتَدِي[1]

يَتَنَاقَلُونَ حَدِيثَ كُلِّ غَرِيبَةٍ ... إِنْ شُوهِدُوا فِي مَحْفِلٍ أَوْ مَشْهَدِ:

ق(84) / أَنَّ المَزَايَا والمَزَايِنَ كُلَّهَا ... وَقْفٌ عَلَى فَضْلِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ

مَوْلاَيَ جُودُكَ وَالغَمَامُ كِلاَهُمَا ... سِيَّانِ غَيْثُهُمَا الخَلاَئِقُ تَجْتَدِي[1]

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالحَمَاسَةَ جُمِّعَا ... فِي نَجْلِ أَنْصَارِ النَّبِي مُحَمَّدِ ﷺ

مَاذَا عَسَى أُثْنِي عَلَيْهَا بَعْدَمَا ... فِي الْوَحْيِ بَيْنَ مُنَزَّلٍ أَوْ مُسْنَدِ

لاَ زِلْتَ شَمساً فِي سَمَاءِ خِلاَفَةٍ ... تُجْلَى عَلَيْنَا فِي مَنَازِلِ أَسْعُدِ

(152)

وقالَ مِنْ كَلِمِهِ العَذْبِ السَّلْسَالِ يُهَنِّئُهُ بِإِبْلاَلٍ. [الطويل]

عَسَى بَارِقٌ مِنْ بَاسِمِ الثَّغْرِ يَلْمَعُ ... وشَمْسُ ضُحَى مِنْ مَرْقَبِ الخِدْرِ تَطْلَعُ

تُرَدُّ لَنَا بَعْدَ المَغِيبِ وَلَمْ نَقُلْ ... أَحُلْمًا نَرَى أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ[2]؟

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(2) نبي رُدَّتْ عليه الشمس حتى يهزم اعداءه وهو يوشع بن نون فتى موسى، وابن زمرك يضمّن في البيت هذا المعنى.

وَكَمْ صُبْحِ وَجْهٍ مِنْ دُجَا اللَّيْلِ طَالِعٍ   نَرَى الحُسْنَ مِنْ أَوْصَافِهِ يَتَفَرَّعُ
وَمِنْ بَدْرِ تِمٍّ فَوْقَ غُصْنٍ عَلَى نَقاً   إِذَا غَابَ عَنْ عَيْنِي فَفِي القَلْبُ يُودَعُ
وَرَوْضِ جَمَالٍ مَائِسَاتٍ غُصُونُهُ   فَكَمْ نَاعِمٍ مِنْهُ الذَوَابِلُ تُشْرَعُ
نَوَاعِمُ مِنْهَا نَجْتَنِي ثَمَرَ المُنَى   وَلَكِنْ بِأَسْيَافِ اللَّوَاحِظِ تُمْنَعُ
رَعَى اللهُ مِثْلِي فِي هَوَاهُ فَإِنَّهُ   يُرَاعِي حُقُوقَ الحَيِّ وَهِيَ تُضَيَّعُ
يَهِيمُ بِلَيْلَى وَهِيَ سِرُّ وُجُودِهِ   وَمِنْهَا لَهَا فِي مُشْكِلِ الأَمْرِ يَفْزَعُ
وَيَا عَجَبًا يَقْتَصُّ آثَارَ نَعْلِهَا   وَفِي القَلْبِ مَا فِي القَلْبِ مِنْهَا مُوَدَّعُ
خَلِيلَيَّ مَا لِلرَّوْضِ يَبْسِمُ زَهْرُهُ   فَعَرْفُ الصَّبَا مِنْ طِيبِهِ يَتَضَوَّعُ
وَأَيْقَظَ جَفْنَ الزَّهْرِ فِي الفَجْرِ نَسْمَةٌ   تُرَوِّي حَدِيثَ الطِّيبِ وَالرَّوْضُ يَسْمَعُ
و(85) / وَأَسْنَدَتِ الأَرْوَاحُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ   صَحِيحَ هَوَاءٍ لِلْبُخَارِيِّ يُرْفَعُ
فَأَصْغَى بِآذَانٍ مِنَ الآسِ نَحْوَهَا   وأَلْوَى بِأَجْيَادٍ مِنَ القُضْبِ تُتْلَعُ
وَمَا هَذِهِ الأَرْوَاحُ إِلاَّ مَنَابِرٌ   بِهَا خُطَبَاءُ الطَّيْرِ بِالشُّكْرِ تَصْدَعُ
تُجَاذِبُهَا أَيْدِي الرِّيَاحِ فَتَنْثَنِي   وَتَسْجُدُ شُكْراً لِلإِلاَهِ وَتَرْكَعُ
وَكَمْ وَرَقٍ لِلزَّهْرِ يُنْشَرُ بَيْنَهَا   وَسِكَّتُهَا مِنْ قُدْرَةِ اللهِ تُطْبَعُ
وَمَا نُطْقُ هَذَا الكَوْنِ إِلاَّ بَشَائِرٌ   يُسَرُّ بِهَا الإِسْلاَمُ مَرْأًى وَمَسْمَعُ
عَلَى رَاحَةِ المَوْلَى الإِمَامِ مُحَمَّدٍ   مَحَامِدُهُ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ تُسْمَعُ
وَمَا الصُّبْحُ إِلاَّ رَايَةٌ مِنْ سُعُودِهِ   مُبَشِّرَةٌ فِي مَرْقَبِ الشَّرْقِ تُرْفَعُ
وَمَا البَدْرُ إِلاَّ تَاجُ مَفْرِقِ مُلْكِهِ   بِدُرِّ الدَّرَارِي النَّيِّرَاتِ يُرَصَّعُ
وَمَا الشَّمْسُ إِلاَّ بِشْرُهُ لِعُفَاتِهِ   لَهَا بَيْنَ هَاتِيكَ الأَسَارِيرِ مَطْلَعُ
أَمَوْلاَيَ إِنَّ اللهَ جَلاَّكَ آيَةً   إِلَيْهَا قُلُوبُ الخَلْقِ بِالحُبِّ تَنْزِعُ
وَهَلْ أَنْتَ إِلاَّ رُوحُ دِينِهِمُ الذِّي   بِهِ يُنْصَرُ الفَتْحُ المُبِينُ وَيُسْمَعُ
وَحُقَّ لِدَهْرٍ أَنْتَ إِنْسَانُ عَيْنِهِ   يُمَانِعُ بِالأَجْفَانِ عَنْهُ وَيَدْفَعُ
وَلَمَّا تَشَكَّيْتَ اشْتَكَى كُلُّ مُسْلِمٍ   وَيَمَّمَ بَابَ اللهِ يَرْجُو وَيَخْشَعُ

فَكَمْ مِنْ سِهَامٍ لِلسَّمَاءِ سَدِيدَةٍ ... تُفَوَّقُ عَنْ قَوْسِ الدُّعَاءِ وَتُنْزَعُ

وَلَمْ تَلْقَ إِلاَّ قَارِعًا بَابَ رَبِّهِ ... وَحَسْبُكَ مِنْ بَابٍ إِلَى الفَوْزِ يُشْرَعُ

وَبَيْنَا وَآفَاقُ الرَّجَاءِ مُغِيمَةٌ ... وَكُلٌّ لأَخْبَارِ الشِّفَا يَتَسَمَّعُ

وَلاَ جَفْنَ إِلاَّ دَمْعُهُ مُتَرَقْرِقٌ ... وَلاَ قَلْبَ إِلاَّ صَبْرُهُ مُتَضَعْضِعُ

فَهَبَّتْ لَنَا مِنْ جَانِبِ اللُّطْفِ نَفْحَةٌ ... أَمِنَّا بِهَا مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

ق(85) / وَدَارَكَنَا بِاللُّطْفِ مَنْ أَمْرُ لُطْفِهِ ... إِلَيْنَا كَلَمْحِ الطَّرْفِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ

فَقُلْ لِمَوَالِيَّ الَّذِينَ فُرُوعُهُمْ ... مِنَ الدَّوْحَةِ العَلْيَاءِ عَنْكَ تَفَرَّعُوا(1)

أَيَا أَنْجُمَ العَلْيَاءِ عُنْصُرُ نُورِكُمْ ... أَشِعَّتُهُ عَنْهَا الوُجُودُ يُشَعْشِعُ

هَنِيئاً لَكُمْ مَا شِئْتُمُ مِنْ خُلُودِهِ ... وَقَرُّوا عُيُوناً وَاهنَؤُوا وَتَمَتَّعُوا(1)

وَيَهْنِي عَبِيدًا قَدْ غَذَاهُمْ بِرِفْدِهِ ... وَسَقَّاهُمُ بِالجُودِ حَتَّى تَرَعْرَعُوا(1)

وَيَهْنِي جَمِيعَ المُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ ... لأَحْنَى عَلَيْهِمْ مِنْ غَمَامٍ وَأَنْفَعُ

وَلَمَّا تَجَلَّى نُورُ وَجْهِكَ عِنْدَنَا ... وَكُلُّ ضَبَابٍ دُونَهُ يَتَقَشَّعُ

تَلُوحُ لَنَا بَدْراً وَسَرْجُكَ هَالَةٌ ... وَطَرْفُكَ أُفْقٌ وَالسَّعَادَةُ مَطْلَعُ

تجَارِي جَوَارِي الشُّهْبِ فِي أُفُقِ العُلَى ... وَلَيْسَ لَهَا فِي خَصْلِ سَبْقِكَ مَطْمَعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهُ آتَاكَ مُلْكَهُ ... فَرَدَّ لَكَ الأَمْلاَكَ تَعْنُو وَتَخْضَعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَصَّكَ دُونَهُمْ ... بِفَضْلِ جِهَادٍ فِي الخَطَايَا يُشَفَّعُ

يُظَلِّلُ مِنْكَ البَنْدُ وَهُوَ غَمَامَةٌ ... مُحَيًّا يُرِينَا البَدْرَ وَالنَّقْعُ أَسْفَعُ

سَيَلْقَى عَمِيدُ الرُّومِ كُلَّ كَرِيهَةٍ ... وَكَأْسُ المَنَايَا بَعْضُ مَا يَتَجَرَّعُ

وَيُمْنَاكَ مَهْمَا يَخْطُبِ الفَتْحَ سَيْفُهَا ... فَأَبْكَارُهُ بِالرُّعْبِ لاَ تَتَمَنَّعُ

لكَ الخَيْرُ قَدْ جَاوَزْتَ فِي الفَخْرِ غَايَةً ... تَكِلُّ جِيَادُ الشُّهْبِ عَنْهَا وَتَظْلَعُ

أَغَيْثاً إِذَا يَرْجُو نَوَالَكَ قَانِعٌ ... وَلَيْثًا إِذَا تَغْزُو وَأَنْتَ مُقَنَّعُ

وَلَيْلِ خُطُوبٍ قَدْ جَلَوْتَ بِأَبْيَضٍ ... مِنَ العَزْمِ عَنْ بِيضِ الصَّوَارِمِ يَنْصَعُ

---

(1) بدون واو الجماعة في الأصل.

تُقَطِّـعُ أَكْبَـادَ الكُمَـاةِ بِعَـزْمَـةٍ ... إذَا مَـا نَبَـا حَـدُّ المُهَنَّـدِ تَقْطَـعُ
وَصُبْحُ جَبِيـنٍ مِـنْ مُحَيَّاكَ سَـافِرٌ ... عَلَـى شَمْـسِ وَجْـهٍ بِـالحَيَاءِ يُقَنَّـعُ
و(86)/ وَدُونَكَ مِنْ رَوضِ البَيَانِ نَوَاسِمًا ... يَخُبُّ بِهَا رَكْبُ الخُلُوصِ وَيُوضَعُ
يُهَنِّيـكَ عَبْـدٌ أَنْـتَ رُوحُ حَيَـاتِـهِ ... بِبَـابِكَ بَـابِ اللهِ يَـدْعُـو وَيَضْـرَعُ
تُطَـوِّقُـهُ طَـوْقَ الحَمَـامِ أَيَـادِيًـا ... فَهَا هُوَ فِي رَوْضِ المَمَادِحِ يَسْجَعُ
بَقِيتَ بَقَـاءَ الـدَّهْـرِ شَمْلُكَ جَامِعٌ ... وَأَنْـتَ لأَشْتَـاتِ المَعَـالِـي مُجَمِّـعُ

(153)

وَقَالَ أَيْضاً يُهَنِّئُهُ رَضِي اللهُ عَنْهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ:

[الكامل]

بُشْـرَى بِهَـا عَقْـدُ الـرِّضَـا يَتَـأَكَّـدُ ... وَمَـوَاسِـمُ الصُّنْـعِ الجَمِيـلِ تُجَـدَّدُ
أَهْـدَى البَشِيـرُ بِهَـا إِلَـى أَسْمَـاعِنَـا ... دُرًّا بِـأَجْيَـادِ المَنَـابِـرِ يُنْضَـدُ
فَـاللهُ يَعْلَـمُ وَالمَـلاَئِـكُ تَشْهَـدُ ... أَنَّ الهُـدَى بِـإِمَـامِنَـا يَتَمَهَّـدُ
وَاللهِ مَـا فَتَـحَ الفُتُـوحَ وَنَفَّـلَ الـ ... ـأَنْفَـالَ وَالمَـالَ الـذِي لاَ يَنْفَـدُ
إِلاَّ الإِمَـامُ ابْـنُ الإِمَـامِ ابْـنِ الإِمَـا ... مِ ابْـنِ الإِمَـامِ ابْـنِ الإِمَـامِ مُحَمَّـدُ
لِلَّـهِ نِعْمَـةُ بُـرْئِـهِ فَلَكَـمْ وَكَـمْ ... فِـي طَيِّهَـا مِـنْ نِعْمَـةٍ تَتَعَـدَّدُ
لَمَّا شَكَوْتَ ـ وَلاَ شَكَوْتَ ـ فَكُلُّنَا ... قَـدْ بَـاتَ فِـي مِحْـرَابِـهِ يَتَهَجَّـدُ
بَـاتَ العَبِيـدُ بِهَـا بِـأَطْـوَلِ لَيْلَـةٍ ... وَعُيُـونُهُـمْ كَنُجُـومِهَـا تَتَسَهَّـدُ
كُـلٌّ يُعَـانِـي مِـنْ مُبَـرِّحِ وَجْـدِهِ ... نَفَسـاً تَـذُوبُ وَأَضْلُعًـا تَتَـوَقَّـدُ
سُـدَّتْ مَـذَاهِـبُ أُنْسِهِـمْ لَكِنَّهُـمْ ... قَدْ فَوَّقُوا سَهْمَ الدُّعَاءِ وَسَدَّدُوا[1]
عَـانَيْـتَ مَـا عَـانَيْـتَ مُخْلِـصَ نِيَّـةٍ ... وَبِهَا سَعِدْتَ مَدَى الزَّمَانِ وَتَسْعَدُ
وَحَـرَارَةٍ أَطْفَـا لَهِيـبَ أُوَارِهَـا ... بَـرْدُ الـرِّضَـا وَنَسِيمُـهُ لاَ يَـرْكُـدُ

(1) بدون واو الجماعة هكذا في الأصل.

ق(86) / وَرَتَعْتَ فِي رَوضِ الرِّضَا مُسْتَسلِمًا وَالآسُ آسٍ[1] وَالنَّـوَاسِـمُ عُـوَّدُ
وَإِذَا العَلِيـلُ غَـدَا صَحِيـحَ عَقِيـدَةٍ فَـالأَجْـرُ بَـاقٍ وَالثَّنَـاءُ مُخَلَّـدُ
حَتَّـى رَكِبْـتَ فَعَـادَ عِيـدَ مَسَـرَّةٍ وَصَلَ الإِلاَهُ لَهُمْ بِهِ مَا عُوِّدُوا[2]
فَبِكُـلِّ عَيْـنٍ لِلْمَسَـرَّةِ قُـرَّةٌ وَبِكُـلِّ قَلْـبٍ رَحْمَـةٌ وَتَـوَدُّدُ
وَالـرَّوْضُ يَبْسِـمُ زَهْـرُهُ مِـنْ بِشْـرِهِ وَالطَّيْـرُ تَشْـدُو وَالأَرَاكَـةُ تَسْجُـدُ
فَـأَلُ العَـلاَمَـةِ «صَـحَّ هَـذَا» مُعْلِـمٌ لَـكَ بِـالشِّفَـاءِ وَصِحَّـةٍ تَتَجَـدَّدُ
فَاعْلَمْ ـ وَعِلْمُكَ لاَ يُفَادُ غَرِيبَةً ـ أَنَّ المُلُـوكَ لِفَخْـرِ مُلْكِـكَ حُسَّـدُ
تَفْـدِيـكَ أَنْفُسُهُـمْ وَقَـلَّ بِهَـا الفِـدَا فَبِكَ اسْتَقَلُّوا فِي العُلَى وَتَمَهَّدُوا[2]
فَـاخْلُـدْ بِـأَنْعَـمِ دَوْلَـةٍ مَغْبُـوطَـةٍ تَخْتَـصُّ بِـالفَتْـحِ البِـلاَدَ وَتَمْهَـدُ

(154)

وَقَالَ مِنْ مَقْطُوعَاتِهِ فِي ذَلِكَ:

[الطويل]

هَنِيئـاً هَنِيئـاً إِنَّمَـا الـدِّيـنُ وَالـدُّنَـا تَصِحُّ إِذَا المَوْلَى الخَلِيفَةُ قَدْ صَحَّا
وَلِلْخَلْـقِ فِـي هَـذَا الشِّفَـاءِ عَـلاَمَـةٌ تَقُولُ لَهُمْ فِي الطِّرْسِ مِنْ خَطِّهِ: «صَحَّا»[3]

(155)

وَقَالَ أَيْضًا فِي المَعْنَى:

[الطويل]

هَنِيئـاً فَهَـذَا السُّقْـمُ رَائِـدُ صِحَّـةٍ عَقَدْتَ مَعَ الأَيَّامِ مِنْ بَعْدِهِ صُلْحَا[4]

---

(1) الآس الثانية هي الآسي أي الطبيب.
(2) بدون واو الجماعة هكذا في الأصل.
(3) في أزهار 135/2: وَقَدْ ظَهَرَتْ لِلْبُرْءِ مِنْكَ عَلاَمَةٌ عَلاَمَتُكَ العُظْمَى تَقُولُ لَنَا صَحَّا
(4) في نفس المصدر: 2: 153: لَكَ الخَيْرُ يَا مَوْلاَيَ أَبْشِرْ بِعِصْمَةٍ عَقَدْتَ مَعَ الأَيَّامِ فِي حِفْظِهَا صُلْحَا

إذَا اعْتَلَّ فِي جَوِّ الرِّيَاضِ نَسِيمُهُ يَـدُلُّ عَلَـى أَنَّ الهَـوَاءَ بِـهِ صَحَّـا

و(87) / تَخُطُّ عَلَى صَفْحِ الزَّمَانِ عَجَائِبًا ومَا خُطَّ فِي صَفْحِ الزَّمَانِ فَلَنْ يُمْحَى

عَـدَلْـتَ بِهَـا عَـنْ خَـاطِـبٍ بِقَـرِيضِـهِ يُقَـرِّضُهَـا فِيـهِ المَبَـرَّةَ وَالمَـدْحَـا

وَسَـاقَ لَهَـا الجَـوْزَاءَ قُـرْطاً مُجَـوْهَـراً وَمِنْ مُذْهِبَاتِ البَرْقِ أَهْدَى لَهَا وُشْحَا

وَلَـوْ طَلَبَـتْ تَـاجَ الهِـلاَلِ مُكَلَّـلاً بِـدُرِّ الـدَّرَارِي لَـمْ يَضِـنَّ بِـهِ شُحَّـا

فَقُلْـتُ قُـرَيْـشٌ لَيْـسَ يَعْـدِلُ فَضْلُهَـا سَأَعْقِدُ فِيهَا صَفْقَةً تُجْزِلُ الرِّبْحَا

نَمَـاهَـا صَـرِيـحٌ فِـي انْتِسَـابٍ وَإِنَّـهُ بِصِهْرِ قُرَيْشٍ سَوْفَ يُعْلِي لَهَا صَرْحَا

دَعَتْنِـي إِلَـى الإِيجَـازِ فِيهَـا ضَـرُورَةٌ وكُنْتُ أُطِيلُ القَوْلَ لَو سَاعَدَتْنِي الْحَا[1]

(156)

وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ المَغْرِبِ مِنْ قِبَلِ الفَقِيهِ أَبِي زَكَرِيَّا ابنِ خَلْدُونَ[2] رِسَالَةٌ يُعْتِبُهُ عَنْ تَأَخُّرِ كُتُبِهِ وَصَدَّرَهَا بِثَلاَثَةِ أَبْيَاتٍ أَوَّلُهَا:

وَكُنْتُ مَا لَفَحَتْ فِي القَلْبِ نَارُ جَوًى إلاَّ وَهَـبَّ نَسِيـمٌ مِنْـكَ يُطْفِيهَـا

أَجابَ بِقَصِيدَةٍ لُزُومِيَّةٍ شَحَذَتْ حينَئِذٍ أَذْهَاناً وَنَصَبَتْ لِجِيَادِ قَرَائِحِ الكُتَّابِ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ فِي المُسَاجَلَةِ رِهَاناً:

وهِيَ قَوْلُهُ:

[البسيط]

إِنَّ الطُّلُـولَ يُجِـدُّ الـوَجْـدَ عَـافِيهَـا فَلْيُعْـفِ نَفْسَـكَ مِنْهَـا مَـنْ يُعَـافِيهَـا

---

(1) يشير إلى صعوبة النّظم على الرويّ «الحاء»؛ وفي العجز انتقال إلى عروض آخر من اعاريض الطويل، وفي الأصل: إذ ساعدتني.

(2) أخو عبد الرحمان (734 ـ 780/ 1333 ـ 1379) لعب دوراً في السياسة والإدارة في المغرب وكان في بلاط السلطان أبي سالم سلطان فاس ثم في بلاط أبي حمّو بتلمسان (دائرة المعارف ط ـ جديدة III / 855 ـ 856)

تُهْـدِي إِلَـيَّ نُحُـولاً كَـيْ تُحَيِّلَنِـي ... فَـأَنْثُـرُ الـدُّرَّ مِـنْ دَمْعِـي أُكَـافِيهَـا
لَمْ تَطْلُبِ العَيْنُ فِي آثَارِهَا شَطَطاً ... فَلَمْحَةٌ مِنْ سَنَا المَحْبُوبِ تَكْفِيهَا
وَقَفْتُ مِنْهَا عَلَى حَالٍ أَسِيتُ لَهَا ... وَالسُّحْبُ تَمْنَحُهَا وَالرِّيحُ تَسفِيهَا
لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى نُؤْيٍ[1] مُجَثَّمَةٍ ... تُبِيـنُ عَمَّـنْ ثَـوَى فِيهَـا أَثَـافِيهَـا[2]
وَضَلَّـةٌ عِنْـدَ ذِي عَقْـلٍ وَتَجْـرِبَـةٍ ... أَنْ يَقْفُوَ النُّؤْيَ بَعدَ النَّأيِ قَافِيهَا
رِفْقَـا بِقَلْبِـيَ يَـا دَارَ الهَـوَى فَبِـهِ ... صَبَـابَـةٌ مِنْـكَ تُخْفِينِـي وَأُخْفِيهَـا
دَعْوَى تَجَاذَبَهَا خَصْمَانِ مَا اتَّفَقَا ... فَـالـدَّمْـعُ يُثْبِتُهَـا وَالنُّطْـقُ يَنْفِيهَـا
/ [مَنْ لِي][3] بِقَلْبٍ تَعَامَى عَنْ مَرَاشِدِه ... وَظَـنَّ مِحْنَتَـهُ بِـالحُـبِّ تَـرْفِيهَـا ق(87)
وَحُبُّـكَ الشَّـيْءَ يُعْمِـي عَـنْ مَغَبَّتِـهِ ... وَيُـوسِـعُ الحِلْـمَ تَضْلِيـلاً وَتَسْفِيهَـا
مَنْ لِي بِنَفْسٍ أَصَابَ الحُبُّ غِرَّتَهَا ... وَكَـادَ يُتْلِفُهَـا لَـوْلاَ تَـلاَفِيهَـا
عَلِيلَـةٌ لَـمْ تُفِـقْ لَـوْلاَ تَعَلُّلُهَـا ... لَعَـلَّ مُمْـرِضَهَـا يَـوْمـاً سَيَشْفِيهَـا
رُحْمَى لِصَبٍّ يَبِيتُ اللَّيْلَ ذَا حُرَقٍ ... تُذْكَى ولَيْسَتْ غَمَامُ الدَّمْعِ تُطْفِيهَا
كَـأَنَّ شَـوْكَ قَتَـادٍ فَـوْقَ مَضْجَعِـهِ ... يَنْبُـو بَجَنْبَيْـهِ وَخْـزٌ مِـنْ أَشَـافِيهَـا[4]
مِنْ عَتْبِ ذِي خُلَّةٍ شَبَّتْ قَوَادِحُهُ ... مِنْ فِكْرَةٍ لَيْسَ غَمْرُ الجَهْلِ مُطْفِيهَا
قَدْ طَارَ نَحْوَ العُلَى مِلأَيْ قَوَادِمِهِ ... وَأَنْجَـدَتْهَـا عَلَـى سَمْـتٍ خَـوَافِيهَـا
مَا لِلرِّيَاسَةِ ـ أَعْلَى اللهُ مَظْهَرَهَا ـ ... تُسِـرُّ حَسْـوَ[5] جَفَـاءٍ فِـي تَجَـافِيهَـا
تَسُومُنِي الذَّنْبَ لَمْ أَلْمِمْ بِسَاحَتِهِ ... وَكُنْـتُ عَـنْ مِثْلِـهِ ـ وَاللهِ ـ أُعْفِيهَـا
خَطَبْتُ مِنْهَا خِطَـاباً كَانَ مَوْقِعُـهُ ... أَشْهَـى إِلَـيَّ مِـنَ الـدُّنْيَـا وَمَـا فِيهَـا
ضَنَّتْ عَلَيَّ وَلَيْسَ البُخْلُ شِيمَتَهَا ... لَكِـنْ لِمَعْـذِرَةٍ لَـمْ يَبْـدُ خَـافِيهَـا

---

(1) النُّؤي: الحفير حول الخيمة: (القاموس 4/385)
(2) ج: أثفية الحجر توضع عليه القدر (المصدر المذكور 4/302).
(3) بياض بالأصل؛ لعل الصواب ما أثبتناه.
(4) ج اشفَى وهو المثقب والسراد يخرز به (القاموس 4/342).
(5) حسا الماء حسوا شربه شيئاً بعد شيء، والحسو: الشيء القليل (المصدر السابق: 3/311).

وَبَعْـدَ لَأْيٍ تَجَلَّـتْ لِـي عَقِيلَتُـهُ وَالسِّحْرُ فِي لَحْظِهَا وَالدُّرُّ فِي فِيهَا
كَـانَـتْ لُـزُومِيَّـةً لَـوْ أَنَّ ثَـانِيَهَـا مَكَـانَ يُبْـرِئُهَـا لَـوْ قَـالَ يَكْفِيهَـا
أَفْدِي الَّتِي شَرَعَتْ فِي العَتْبِ إذْ شَرَعَتْ فُـرُوضَ بِـرٍّ بِـودِّي لَـوْ أُوَفِّيهَـا
قَدْ كَانَ قَلْبِيَ قَبْلَ اليَوْمِ طَوْعَ يَدِي وَالآنَ أَصْبَـحَ رَهْنـاً فِـي تَحَفِّيهَـا
أَحْيَيْتَ يَحْيَى[1] فُؤاداً بَيْنَ أَضْلُعِهِ مَـوَدَّةً لَـكَ أُصْفِيهَـا وَأُضْفِيهَـا
لَـمْ تَبْـدُ مِنْـكَ لِـذِي وُدٍّ مُكَـاتَبَـةٌ إلاَّ وَأَنْـتَ بِـلاَ مَـنٍّ مُقَفِّيهَـا
إِنِّـي نَفَثْـتُ وَقَـدْ كَـانَـتْ مُعَـاتَبَتِـي تَطُـولُ لَـوْلاَ لُـزُومٌ فِـي قَـوافِيهَـا
و(88) / فَإِنْ أَكُنْ لَمْ أُصِبْ مَعْنَى الكَمَالِ بِهَا فَـإِنَّنِـي فِـي قُصُـورٍ لاَ أُنَـافِيهَـا
إِذَا البَـلاَغَـةُ أَضْحَـتْ وَهِـيَ مُهْمَلَـةٌ فَـأَنْـتَ كَـافِلُهَـا حَقّـاً وَكَـافِيهَـا

(157)

وَقَالَ أَيْضاً يُرَاجِعُ قَاضِي الجَمَاعَةِ بِالحَضْرَةِ أَبَا الحَسَنِ بْنَ الحَسَنِ[2]:

[الطويل]

ذَكَـرْتَ لَنَـا أَيَّـامَنَـا وَاللَّيَـالِيَـا فَبَدَّدْتَ مِنْ عِقْدِ الدُّمُوعِ ٱللَّآلِيَا
وَلَـمْ يَخْـلُ مِـنْ وَجْـدٍ فُـؤَادُ مُتَيَّـمٍ تَـذَكَّـرَ مِـنْ عَهْـدِ الأَحِبَّـةِ خَـالِيَـا
وَمَا أَنَا مِمَّنْ عِيلَ بِٱلْحُبِّ صَبْرُهُ وَلاَ أَنَا مِمَّنْ يَصْحَبُ ٱلْقَلْبَ سَالِيَا
وَجَدَّدْتَ بِالتَّذْكَارِ عَهْداً قَد ٱنْقَضَى فَجَـدَّدْتَ شَـوْقـاً بَـالِيـاً فِيـهِ بَـالِيَـا
إِلَيْـكَ عَمِيـدَ ٱلْحَـيِّ مِنْهَـا كَتَـائِبـاً أَوَاخِـرُهَـا تَتْلُـو إِلَيْـكَ الأَوَالِيَـا
تَحُـطُّ بِمَثْوَى ٱلْجُـودِ رَحْـلَ مُخَيِّـمٍ وَتَـزْدَادُ فِـي أُفْـقِ ٱلْكَمَـالِ المَعَـالِيَـا
لَكَ ٱلْعَدْلُ تُسْتَجْلَى بِأَنْوَارِهِ ٱلْهُدَى وَقَـدْ لاَحَ وَضَّـاحَ ٱلْمَشَـارِقِ عَـالِيَـا

---

(1) يقصد يحي بن خلدون وهم اسم أبي زكريا.
(2) محمد بن أحمد (697 هـ ـ 760 هـ) كان مبرزاً في علوم اللسان والبلاغة والفقه، وهو من أبرز اساتذة ابن زمرك، قُلِّدَ القضاء والخطبة بغرناطة سنة 737 هـ (راجع للمزيد الاحاطة لابن الخطيب الجزء الثاني (129 ـ 133).

كَرَعْتُ بِهِ بَيْنَ ٱلْعُذَيْبِ وَبَارِقٍ[1] ... بِمَوْرِدِ ثَغْرٍ بَاتَ بِالْدُّرِّ حَالِيَا

وَرَوْضِ شَبَابٍ قَلَّصَ ٱلشَّيْبُ ظِلَّهُ ... فَسَلْ ظِلَّ ذَاكَ ٱلدَّوْحِ أَيْنَ غَدَالِيَا

فَكَمْ غَادَةٍ جَلَّيْتَ في أُفُقِ ٱلْهُدَى ... تَفُوقُ جَمَالاً أَوْ تَرُوقُ مَجَالِيَا

أَبَا حَسَنٍ وَٱلْحُسْنُ شِيمَتُكَ ٱلَّتِي ... أَحَادِيثُهَا تُرْوَى حِسَاناً عَوَالِيَا

تَلاَهَا وَجَلَّى فِي مَدَى ٱلْفَخْرِ سَابِقاً ... فَيَا عَجَباً جَلَّى وَقَدْ جَاءَ تَالِيَا

وَمِنْهَا[2]

وَأَهْدَى لَنَا عَصْرَ ٱلشَّبَابِ نَوَادِراً ... فَأَصْبَحْتُ فِي تِلْكَ ٱلنَّوَادِرِ قَالِيَا[3]

فَلاَ يُنْكِرُ الشَّيْبُ ٱلَّذِي قَدْ قَلَوْتُهُ ... بِأَنِّيَ أُمْلِي فِي قِلاَهُ ٱلأَمَالِيَا

وَلَمْ أَرَ كَالإِنْسَانِ خَادِعَ نَفْسِهِ ... يُجَدِّدُ آمَالاً وَقَدْ صَارَ بَالِيَا

ق(88) / وَمِنْهَا[2]

فَتَقْتُ بِهَا مِنْهُ ٱلثَّنَاءَ مَحَامِداً ... كَمَا فَتَقَتْ أَيْدِي ٱلتِّجَارِ ٱلْغَوَالِيَا

فَكَانَ لَهُ بَارِي الخَلِيقَةِ كَافِياً ... وَكَانَ لَهُ رَبُّ ٱلْبَرِيَّةِ كَالِيَا

وَخَوَّلَهُ ٱلتَّسْدِيدَ بَدْءًا وَعَوْدَةً ... ونَقَّلَهُ ٱلتَّوْفِيقَ نَقْداً وَكَالِيَا[4]

(158)

وَقَالَ أَيْضاً يُخَاطِب شُعَرَاءَ ٱلْكُتَّابِ وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِ قَصَائِدَهُم[5] فِي بَعْضِ ٱلْصَنَائِعِ[6]:

---

(1) العُذَيْب تصغير عذب وهو ماء بين القادسية والمَغِيثَة؛ وقيل هو واد لبني تميم (ياقوت معجم البلدان، 3/626). وبارق: ماء بالعراق وهو الحدّ بين القادسية إلى البصرة وهو من أعمال الكوفة (المصدر السابق 1/463).

(2) هكذا في الطرة في الأصل، مما يدل على ترك جانب من القصيدة.

(3) يشير إلى كتاب «النّوادر» لأبي علي القالي.

(4) الكالي: النسيئة والسلفة (القاموس 1/27).

(5) هذا يدل على مكانته فهو الحكم بينهم وهو شاعر الغَنيّ بالله الأول المبرّز.

(6) يقصد الولائم بمناسبة عيد أو غيره.

[الطويل]

تَبَارَكَ مَنْ زَانَ ٱلْكِتَابَةَ بِالْعُلَى ... وَجَلَّلَ مِنْهَا ٱلأُفْقَ بِالأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ
فَبَاهَتْ بِمَوْلاَهَا الإِمَامِ مُحَمَّدٍ ... عَمِيدِ بَنِي الأَنْصَارِ فَخْرِ بَنِي نَصْرِ
وَشَرَّفَهَا لَمَّا أَجَالَتْ يَرَاعَهَا ... تُنَفِّذُ حُكْمَ ٱللهِ عَنْ دَوْلَةِ ٱلنَّصْرِ
فَكَمْ فِيهِ مِنْ حَبْرٍ إِذَا رَاضَ فِكْرُهُ ... يُحَبِّرُ رَوْضَاتِ ٱلْمَهَارِقِ بِالْحِبْرِ
أَكُلُّكُمْ جَلَّى لأَبْعَدِ غَايَةٍ ... وأَحْرَزَ خَصْلَ ٱلسَّبْقِ فِي حَلْبَةِ ٱلْفَخْرِ؟
وَأَهْدَى إِلى ٱلْمَوْلَى جَوَاهِرَ نَظْمِهِ ... فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا يُعَادُ إِلى ٱلْبَحْرِ
وَأَتْحَفْتُمُ رَوْضَ ٱلسَّمَاحِ بِزَهْرِهِ ... فَمَا لَكُمُ وَٱلرَّوْضُ يُتْحِفُ بِالزَّهْرِ
فَدَامَ لَنَا ٱلْمَوْلَى بِأَيْمَنِ غِبْطَةٍ ... يُصَرِّفُنَا فِي ٱلنَّهْيِ عَنْهُ وَفِي ٱلأَمْرِ
وَلاَ زَالَ مَنْصُورَ ٱللِّوَاءِ مُظَفَّراً ... يُعَزَّزُ بِالتَّأْيِيدِ مِنْ عَالَمِ ٱلأَمْرِ[1]

(159)

وَقَالَ أَيْضاً يُرَاجِعُ[2] ٱلْقَاضِي أَبَا ٱلْمَعَالِي ٱلشَّرِيفَ[3] ٱلْمُتَقَدِّمَ ذِكْرُهُ وَكَانَ كَاتِباً عَلَى ذَلِكَ ٱلْعَهْدِ:

[الطويل]

سَلُوا فَلَكَ الأَزْرَارِ عَنْ مَطْلَعِ ٱلْبَدْرِ ... وهَلْ لاَحَ مِنْ بَعْدِ ٱلْغَمَامَةِ فِي خِدْرِ؟
وَكَمْ تَرْقُبُ الأَبْصَارُ وَهْنًا طُلُوعَهُ ... وَمَطْلَعُهُ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ

(1) يقصد به العالم العلوي وفيه تُقدّر الأقدار.
(2) أي يُجيبُه عن أبيات بعثها إليه كما يبدو؛ أنظر البيت (16).
(3) أبو المعالي وأحياناً عبد العالي (قصيدة 180 والقصيدة 302) وأحياناً أبو العباس (قصيدة 179 وقصيدة 308) الشريف الغرناطي (697 ـ 760 / 1297 ـ 1359) محمد بن أحمد وُلي ديوان الإنشاء بغرناطة ثم القضاء والخطابة بها؛ له ديوان شعر (جُهْدُ المُقِلّ) وشروح في الأدب والنحو وهو شاعر، قال ابن قنفذ: «لم يكن بعده أحدٌ مثله في الأندلس» (الكتيبة الكامنة لابن الخطيب / 301 ـ 302؛ الاعلام للزركلي 6 ـ 224).

وَأحْقِـرُ نَفْسِـي أَنْ تُشَـاهِـدَ حُسْنَـهُ ... وَلَيْلَتُهَـا إِنْ شَـاهَـدَتْ لَيْلَـةُ ٱلْقَـدْرِ

و(89) / وَحَسْبُ ٱلْمُنَى أَنْ تَرْتَعِي رَوْضَ حُبِّهِ ... وتَقْنَصُ مِنْهُ الْوَصْلَ فِي شَرَكِ [الهَجْرِ][1]

تُشَـاهِـدُ أَبْصَـارُ ٱلْبَصَـائِـرِ حُسْنَـهُ ... وَتَلْقَنُ عَنْهُ الأَمْرَ فِي عَالَمِ الأَمْرِ

وَلَـوْ عَـرَفَـتْ نَفْسِـي حَقِيقَـةَ حُسْنِـهِ ... لمَا غَابَ عَنْ عَيْنِي وَلاَ زَالَ مِنْ فِكْرِي[2]

وَفِي كُلِّ شِعْبٍ شُعْبَةٌ مِنْ جَمَالِهِ ... وَنَفْحَـةُ طِيـبٍ مِنْـهُ عَـاطِـرَةُ النَّشْـرِ

سَقَـى ٱللَّـهُ رَوْضـاً لِلْشَّبَـابِ رَعَيْتُـهُ ... وَحَاسَنْتُ فِيهِ ٱلزَّهْرَ بِالأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ

فَعُوِّضْتُ مِنْ دُهْمِ ٱلشَّبَابِ بِشُهْبِهِ ... وَبُدِّلْتُ مِنْ شُهْبِ ٱلْمَدَامِعِ بِالْشُّقْرِ

وَوَٱللَّـهِ مَـا أَدْرِي نُصُـولَ شَبِيبَـةٍ ... أَرَى أَمْ سِهَاماً قَدْ تَنَصَّلَهَا شَعْرِي[2] ؟

فَيَا وَيْحَ مَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ بِـالْمُنَى ... وَأَنْفَقَ فِي أَغْرَاضِهَا جَوْهَرَ ٱلْعُمْرِ

فَخَيْلُ المُنَى مَهْمَا تَرَاخَى عِنَانُهَا ... تَظَلُّ سِرَاعاً لاَ إِلَى غَايَةٍ تَجْرِي[2]

وَمِـنْ تَعَـبِ الإِنْسَـانِ إِنْسَـانُ عَيْنِـهِ ... يُلَجِّجُ مِنْ فَيْضِ ٱلْمَدَامِعِ فِي بَحْرِ

غَـرِيـبٌ إِذَا مَـرَّ النَّسِيـمُ يَـرُوعُـهُ ... وَيَهْفُو بِهِ بَرْقُ ٱلْحِمَى أَيَّةَ يَسْرِي[2]

يَسُـحُّ دُمُـوعـاً دُونَهَـا وَاكِـفُ ٱلْحَيَـا ... وَيَطْوِي عَلَى قَلْبٍ أَحَرَّ مِنَ ٱلْجَمْرِ

وَمَـا رَاعَنِـي إِلاَّ قَـرِيـضٌ يَهُـزُّنِـي ... بِهِ عَلَوِيُّ ٱلْذَّاتِ وَٱلْفِعْلِ وَٱلْنَّجْرِ[3]

يُـذَكِّـرُ عَهْـداً مِـنْ أَبِيـهِ قَـد ٱنْقَضَـى ... وَزَنْدُ الأَسَى وَٱلْشَّوْقِ يَقْدَحُ بِالْذِّكْرِ

عَلَـى غَفْلَـةٍ وَافَـى بِهَـا بَعْـدَ فَتْـرَةٍ ... فَأَلْجَأَنِي مِنْهَا لأَضْيَقَ مِنَ فِتْرِ[4]

أَمَا فِي ٱلْمَعَالِي فِي أَبِيهَا كِفَايَةٌ ... فَتَلْحَظُهُ مِنْ حَيْثُ يَدْرِي وَلاَ يَدْرِي[2]

وَلَـوْ أَنَّهَـا تُعْطِيـهِ قَـدْرَ ٱعْتِـلاَلِـهِ ... أَظَلَّتْهُ فَوْقَ ٱلشُّهْبِ أَجْنِحَةُ ٱلنَّسْرِ

---

(1) بياض في الأصل لعل الصواب ما أثبتناه.

(2) كلّها بدون ياء في الأصل.

(3) يقصد نسبته إلى ال البيت (الشريف).

(4) الوزن في العجز لا يستقيم إلا بحذف الألف واللاّم من الفِتْر فتصبح (فِتْر) لا كما جاء في الأصل (الفِتْر).

ولَـوْ كُنْـتُ أَدْرِي أَنَّـهُ سَيَـرُوعُنِـي	بِغَارَتِهَا يَوْماً أَخَذْتُ لَهُ حِذْرِي[1]
لَـكَ ٱلْخَيْـرُ أَنْـتَ ٱلْمَـرْءُ أَحْشُـرُ فَضْلَـهُ	وأَرْجُو بِهِ ٱلإِفْضَالَ في مَوْقِفِ ٱلْحَشْرِ
ق(89) / لَعَمْرُكَ ـ زَادَ ٱللهُ عُمْرَكَ بَهْجَةً ـ	لَمَـا أَنْـتَ مِـنْ زَيْـدٍ لَـدَيَّ وَلاَ عَمْـرِو[2]
وَوُدِّي لَـكَ ٱلْـوُدُّ ٱلَّـذِي إِنْ جَلَـوْتُـهُ	جَلاَ ٱلْكَلَفَ ٱلْمَشْهُودَ فِي صَفْحَةِ ٱلْبَدْرِ
وَقَـوْمُـكَ أَهْـلُ ٱلْبَيْـتِ قَـدْ سَـرَّ ذِكْـرُهُـمْ	فَتَقْدِيسُهُمْ قَدْ جَاءَ فِي مُحْكَمَ ٱلذِّكْرِ
وَوَالِـدُكَ ٱلْمَمْـدُودُ ظِـلُّ ٱعْتِنَـائِـهِ	عَلَـيَّ يُحَلِّينِـي ٱلنَّفِيـسَ مِـنَ ٱلـدُّرِ
أَفَـادَ وَلَـمْ يَمْنُـنْ جَـوَاهِـرَ حِكْمَـةٍ	وَنَبَّهَ جَفْنَ ٱلدَّهْرِ قِدْماً إلى بِرِّي[1]
فَـوَٱللـهِ مَـا أَنْفَـكُّ أَشْكُـرُ فَضْلَـهُ	وَقَلَّ لَهُ مِنِّي ٱلْجَزِيلُ مِنَ ٱلشُّكْرِ
وَعِنْدَكَ يَاءُ ٱلْكَاتِبِ ٱلْمِيمَ رَادَفَتْ[3]	فَسَوْفَ يُنَاجِيكَ ٱلْمُكَتَّمُ مِنْ سِرِّي[1]
فَإِنِّي بَلَوْتُ ٱلنَّاسَ لَمْ أُلْفِ صَاحِباً	يُعِيـدُ صَـلاَةَ ٱلسِـرِّ إلاَّ مَـعَ ٱلْجَهْـرِ
وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ فِي مُرَادِي مُعَذِّرٍ	وَلَـمْ أُولِـهِ إلاَّ جَمِيـلاً مِـنَ ٱلْعُـذْرِ
أُقَـابِـلُ بِـالتَّـرْحِيـبِ مَـنْ لاَ يَـرُدُّهُ	وَأُبْدِي إِلَى ٱلْعَوْرَاءِ صَفْحَةَ مُزْوَرِّ
وَكَمْ مِنْ غَرِيبٍ أَخْلَقَ ٱلدَّهْرُ جَاهَهُ	وَجَاءَتْ بِهِ ٱلأَيَّامُ فِي لَفَفِ ٱلْغَدْرِ
وَأَقْبَـلَ قَـدْ كَـفَّ ٱلْحَيَـاءُ لِسَـانَـهُ	فَـأَقْبَلْتُـهُ وَجْـهَ ٱلطَّـلاَقَـةِ وَٱلْبِشْـرِ
وَمَا ذَاكَ خُلْقِي غَيْرَ أَنِّي ٱسْتَفَدْتُهَا	بِخِدْمَةِ مَوْلاَيَ ٱلْمُرَفَّعِ مِنْ قَدْرِي[1]
وَحَاشَى لِجَاهِي أَنْ يَضِيقَ وَعُمْدَتِي	عَمِيدُ بَنِي الأَنْصَارِ فَخْرُ بَنِي نَصْرِ
وَلَكِنْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ تَخِذْتُهُمْ	عَتَاداً فَأَغْنَوْنِي عَنِ ٱلْبِيضِ وَٱلسُّمْرِ
وَأَنْتَ عَمِيدُ ٱلْقَوْمِ وَٱبْنُ عَمِيدِهِمْ	بَنُـو هَـاشِـمٍ جَلَّتْكَ بِـالنَّسَـبِ ٱلْحُـرِّ
وَمَنْ صَحِبَ الأَشْرَافَ يَشْرُفُ قَدْرُهُ	وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ ٱلْفَخَارِ عَلَى ٱلْفَخْرِ

(1) كلها بدون ياء في الأصل.

(2) بدون واو في الأصل.

(3) المعنى غير واضح في الصدر؛ وقد يقصد بالياء والميم قيمتهما في حساب حروف الجُمَّل (فالياء) تساوي (عشرة) والميم تساوي (أربعين) أي أن عطاءه وافر كثير.

وَلِلَّـهِ مِـنْ ذَاكَ ٱلْجَنَـابِ عَقِيلَـةٌ[1] أَتَتْنِي مَعَ ٱلصُّنْعِ ٱلْجَمِيلِ عَلَى قَدْرِ
أَعَرْتُ لَهَا طَرْفِي ٱلْتِفَاتَةَ مُعْجَبٍ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلاَّ إِلَى صَادِقِ ٱلْفَجْرِ
و(90) / وَمَـا هِـيَ إِلاَّ رَوْضَـةٌ أَدَبِيَّـةٌ يَنُوبُ نَسِيمُ ٱلْحَمْدِ فِيهَا عَنْ ٱلزَّهْرِ
عَلَيْكَ سَـلاَمٌ مِـنْ مَشُـوقٍ لِحُسْنِهَـا يُجَاهِدُ فِيهَا ٱلشَّوْقَ خِلْواً مِنَ ٱلأَجْرِ

(160)

وَقَالَ أَيْضاً مُجِيباً لِرِسَالَةٍ وَرَدَتْهُ مِنَ ٱلْفَقِيهِ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ حَيَّانٍ[2] مِنْ أَهْلِ وَادِي آشٍ[3] مُصَدَّرَةٍ بِالبيتين اللَّذَيْنِ خَتَمَ بهما من نظم الشَّيْخ القاضي مُحيي الدين الأَقُولِي ٱلْعِرَاقي[4] واسْتَطْرَدَ فِيهَا آلى ذكر أَعْلَامٍ من بلده إِثَارَةً وَتَحْرِيكاً إلى آدابِهم:

[السريع]

يَـا بَـارِقـاً بِـالْجـزْعِ قَـدْ أَوْمَضَـا قَلَّبْـتَ قَلْبِـي بَيْـنَ ذَاتِ ٱلْغَضَـا
أَخَـافِقـاً كَـالقَلْـبِ قَـدْ لُحْـتَ أَمْ لِسَانُ أَفْعَى فِي ٱلدُّجى نَضْنَضَا[5]
تَـرَكْتَـهُ يَسْتَقْبِـلُ ٱلشَّـوْقَ مِـنْ تَـذْكَـارِهِ ٱلْعَهْـدَ ٱلَّـذِي قَـدْ مَضـى
أَيَّـامَ كُنَّـا وَالصِّبَـا مَـرْتَـعٌ وَمَلْعَـبُ الأُنْـسِ رَحِيـبُ ٱلْفَضَـا
يَشْفَـعُ لِـي لَيْـلُ ٱلشَّبَـابِ ٱلَّـذِي جَـلاَّهُ صُبْـحُ الشَّيْـبِ لَمَّـا أَضَـا
يَـا بَـاسِمـاً أَبْكَيْتَـهُ لِنَتَمَـا كِـلاَكُمَـا مِـنْ حَـالِـهِ عُـوِّضَـا
فَكُنْـتَ قَـدْ أَرْسَلْـتَ مِـنْ جَفْنِـهِ سَحَـائِـبَ ٱلـدَّمْـعِ ٱلَّـذِي فَيَّضَـا

(1) يشير إلى رسالة للقاضي بعثها إليه؛ أو قصيدة من نظمه هي سبب جوابه هذا.
(2) لا نجد في المصادر عنه أكثر من كونه فقيهاً أديباً.
(3) كانت من المدن الزاهرة بمملكة غرناطة سقطت في يد الاسبان قبل غرناطة بقليل سنة 1490 ميلادية.
(4) كذلك لم نعثر على ترجمته في الكتب المختصة.
(5) حيّة نضناض لا تستقر في مكان؛ وهي التي أخرجت لسانها تُنَضْنِضُهُ أي تُحَرِّكُهُ (القاموس 1/343).

وَجُـدْتَ مِـنْ وَادِي الأَشَـى مَعْهَـداً　　تَلْقَـى بِـهِ الأَجْـوَادَ مُسْتَقْـرِضَـا
مَـنْ مُـذْكِـرِي فِيهَـا الأَصِيـلَ ٱلّـذِي　　ذَهَـبَ مَـا الإِصْبَـاحُ قَـدْ فَضَّضَـا؟
إِذْ جَـادَهَـا كُـلُّ سَفُـوحِ ٱلْحَيَـا　　مَنَـابِـتَ ٱلْعُشْـبِ بِهَـا رَوَّضَـا
يَحْـدُو قِطَـارَ ٱلْمُـزْنِ مُسْتَـوْفِـزاً　　يَحُـطُّ فِيهَـا كُلَّمَـا قَـوَّضَـا
أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ مَنْـزِلٍ قَـدْ حَـوَى　　مِنْ خِيرَةِ ٱلصَّحْبِ عَلِيُّ ٱلرِّضَا[1]
هُـوَ ٱبْـنُ حَيَّـانَ ٱلّـذِي كَتْبُـهُ　　أَحْيَا ٱبْنَ حَيَّانَ[2] ٱلّذِي قَدْ قَضَى
ق(90) / فَيَـا نَسِيـمَ ٱلـرِّيـحِ مِـنْ جَـوِّهَـا　　أَشْتَـاقُ مِنْـكَ ٱلشَّـاقِـيَ ٱلْمُمْـرِضَـا
مَنَـازِلٌ لِلْعَيْـنِ فِـي رَبْعِهَـا　　مَنَـازِهٌ غُـدْرَانُهَـا كَـالأَضَـا
يَفْتَخِـرُ ٱلْبَـدْرُ بِهَـا هَـالَـةً　　وَيَحْمَـدُ ٱللَّيْـثُ بِهَـا مَـرْبَضَـا
قِفَـا خَلِيلَـيَّ أُسَمِّعْكُمَـا　　مَـا ٱلْعِـزُّ وَٱلْفَخْـرُ لَـهُ مُقْتَضَـى
كَـمْ حَلَّهَـا مِـنْ عَلَـمٍ بَـاذِخٍ　　كَـالنَّجْـمِ فـي ٱلْهَـدْيِ بِـهِ يُسْتَضَـا
أَشْـرَافُ قَـوْمٍ كُلُّهُـمْ فـي ٱلْعُلَـى　　إِرْثَ ٱلـرِّضَـا قَـدْ حَـازَ وَٱلْمُـرْتَضَـى
يَجْلُـونَ لَيْـلَ ٱلنَّقْـعِ إِنْ أَطْلَعُـوا　　فِـي جُنْحِهِ تِلْـكَ ٱلْـوُجُـوهَ ٱلْـوِضَـا
كَـأُسْـرَةِ ٱلْمَجْـدِ بَنِـي أَرْقَـمٍ[3]　　فَصَـرِّحَـا فِـي ٱلْفَخْـرِ أَوْ عَـرِّضَـا
مَـا مِنْهُـمُ إِلاَّ أَخُـو سُـؤْدَدٍ　　قَـدْ شَيَّـدَ ٱلْمَجْـدَ فَلَـنْ يُنْقَضَـى
وَلابْـنِ زَيْـدٍ[4] فِيهِـمُ مُنْتَمَـى　　قَـدْ طَـاوَلَ الإِصْبَـاحَ مَـا ٱسْتَعْـرَضَـا
ٱلـزَّائِـرُ ٱلْبَيْـتَ ٱلْعَتِيـقَ ٱلّـذِي　　بُلِّـغَ مِـنْ قَصْـدٍ بِـهِ مَـا ٱرْتَضَـى
سَبَّـاقُ غَـايَـاتٍ بِهَـا لَـمْ يَـزَلْ　　فِـي شَـأْوِهِـنَّ ٱلْعَلَـمَ ٱلْمُنْهِضَـا

(1) هو اسم ابن حيان كما يبدو لأن كنيته (أبو الحسن).

(2) يقصد به أبن حيان الأندلسي المؤرخ الأديب صاحب المقتبس (377 هـ ـ 469 هـ) من أعظم مؤرخي الأندلس.

(3) من البيوتات الماجدة في غرناطة ينتسبون إلى جدهم الصحابي المعروف الأرقم ابن عبد مناف سابع من دخل الإسلام (ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة 162 ـ 163).

(4) هو من عائلة ابن الأرقم.

وَٱبْنُ زِيَادٍ[1] زَادَ حِلْمَ ٱلنُّهَى كَأَنَّمَا ٱلدَّهْرُ لَهُ فَوَّضَا

وَٱلْعِلْيَةُ الأَسْبَاطُ يَنْمِيهُمُ عَطِيَّةٌ[2] لِلْفَخْرِ قَدْ أَنْهَضَا

إِذَا لَوَى دَهْرٌ دُيُونَ ٱلْعُلَى فَدَيْنُهَا مِنْ فَضْلِهِمْ يُقْتَضَى

كَذَا ٱبْنُ حَيَّانٍ بِهَا مَفْخَرٌ تَلْقَى بِهِ وَجْهَ الرِّضَا أَبْيَضَا

إِذَا تُجِيلُ ٱلْقَوْلَ أَعْلاَمُهَا تَسُلُّ مِنْهُ ٱلصَّارِمَ ٱلْمُنْتَضَى

وَشَيْخُهَا ٱلْقَاضِي الإِمَامُ[3] ٱلَّذِي قَضَاؤُهُ أَمْضَاهُ حُكْمُ ٱلْقَضَا

كَالْغَيْثِ كَالْبَحْرِ إِذَا مَا سَخَا كَاللَّيْثِ كَالدَّهْرِ إِذَا مَا قَضَى

و(91) / لَمْ تَلْقَ إِلاَّ رَاضِياً عَدْلَهُ رَفَّعَ فِي الأَحْكَامِ أَوْ خَفَّضَا

لاَ زِلْتَ يَا رَبْعَ ٱلْعُلَى آهِلاً بِكُلِّ مَنْ لِلْفَضْلِ قَدْ قُيِّضَا

وَدُونَكَ ٱلْبِكْرَ ٱلَّتِي حَلْيُهَا جُمَانُهُ ٱلْمُرْفَضُّ لَنْ يُرْفَضَا

بِنْتاً لِسَاعَاتٍ ثَلاَثٍ أَبَتْ لِغَيْرِ صَفْوِ ٱلْوُدِّ أَنْ تَمْحَضَا

مُعَارِضاً شَيْخَ ٱلْعِرَاقِ[4] ٱلَّذِي قَدْ قَالَ يَسْتَعْطِفُ فِيمَا مَضَى:

«لاَ تُعْطِشِ ٱلرَّوْضَ ٱلَّذِي زَرْعُهُ بِصَوْبِ إِنْعَامِكَ قَدْ رُوِّضَا»

«لاَ تَبْرِ عُوداً أَنْتَ رَيَّشْتَهُ حَاشَى لِبَاقِي ٱلْمَجْدِ أَنْ يَنْقُضَا»

(161)

وَقَالَ أَيْضاً يُخَاطِبُ ٱلْخَطِيبَ الإِمَامَ ٱلْعَلَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَالله ٱبْنَ جُزَيْ[5] رَحِمَهُ اللَّهُ ذَاكِراً عَهْدَ الشَّبَابِ وَمُسْتَنْجِداً عَلَى ٱلْمَتَابِ نَفَعَهُ الله بِقَصْدِهِ:

---

(1) كذلك هو ينتمي إلى هذا البيت.

(2) هو أحد أفراد هذا البيت كذلك.

(3) لعله أبو بكر أرقم بن أرقم، رجل ماجد، الشيخ الكاتب كان من الكتّاب، شاعر (ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة 162 ـ 163).

(4) يقصد به صاحب البيتين الاخيرين محيي الدين الأقولي العراقي السابق الذكر.

(5) أديب، نحوي كوفي، قعد للإقراء ثم تقدّم للقضاء، شاعر ولع بالتّوريات والنسيب (المصدر المذكور سابقاً: 96 ـ 99).

[الطويل]

خَلِيلِيَ طَارِحْنِي ٱلْحَدِيثَ عَنْ ٱلْكَاسِ فَلَيْسَ عَلَى مَنْ يَطْرُدِ ٱلْهَمَّ مِنْ بَاسِ

وَمَالِيَ فِيهَا مِنْ هَوًى غَيْرَ أَنَّهَا بَقَايَا حَدِيثٍ فِي ٱلْخَوَاطِرِ هَجَّاسِ

وَذِكْرَى زَمَانٍ قَدْ تَقَضَّتْ عُهُودُهُ سِوَى ذِكَرٍ أَوْدَعْتُهَا رَمْسَ أَطْرَاسِ

أَرَوْضَ شَبَابِي كَمْ جَنَيْتُكَ يَانِعاً يُنَدَّى عِذَارِي بِالْبَنَفْسَجِ وَٱلآسِ

وَتَشْدُو بِذِكْرِي ٱلْغَانِيَاتُ تَعِلَّةً وَقَدْ شَاقَهَا مِنِّي ٱلْمُمَرِّضُ وَٱلآسِي[1]

وَغُصْنُ قَوَامِي كَمْ نَعِمْنَ بِظِلِّهِ إِلَى أَنْ بَدَا زَهْرُ ٱلْمَشِيبِ عَلَى ٱلرَّاسِ

فَفَارَقْنَنِي لَمَّا بَدَا فَوْقَ مَفْرَقِي وَقُلْنَ مَصَابِيحٌ تُشَبُّ لِحُرَّاسِ

وَلَيْسَ بِذَاكَ ٱلزَّعْمِ لَكِنْ كَرِهْنَهَا مَصَابِيحَ رُهْبَانٍ بِأَطْلاَلِ أَدْرَاسِ

ق(91) / [تَحَقَّقْتُ][2] صُبْحَ ٱلشَّيْبِ قَبْلَ طُلُوعِهِ وَهَا أَنَا مِنْ لَيْلِ ٱلشَّبَابِ عَلَى يَاسِ

وَمَا ضَرَّ لَوْ خُطَّ ٱلسَّوَادُ[3] بِلِمَّتِي وَقَدْ جِئْتُهُ مِنْهَا بِصَفْحَةِ قِرْطَاسِ

أَفَارِسَ مَيْدَانِ ٱلْبَيَانِ وَقَدْ غَدَتْ مَنَابِرُهُ تُغْنِيهِ عَنْ رَكْضِ أَفْرَاسِ

حَلاَوَةُ مَعْنًى فِي جَزَالَةِ مَنْطِقٍ كَمَا سَالَ عَذْبُ ٱلْمَاءِ مِنْ حَجَرٍ قَاسِ

وَيُوصَفُ بِالسِّحْرِ ٱلْحَلاَلِ مَقَالُهُ كَمَا وَصَفُوا صَوْتَ ٱلْحُلِيِّ بِوَسْوَاسِ

وَأَنْتَ وَمَا أَدْرَاكَ وَاحِدُ عَصْرِهِ جَلاَلاً وَعِلْماً لاَ يُرَامُ بِمِقْيَاسِ

وَمَهْمَا تَنَاسَى ٱلْخِلُّ فَضْلَ خَلِيلِهِ فَمَا أَنَا بِالنَّاسِي مَقَامَكَ فِي ٱلنَّاسِ

أَبُثُّكَ مَا بِالْقَلْبِ مِنْ لاَعِجِ ٱلْهَوَى وَأَرْفَعُ شَكْوَى جَمَّةً ذَاتَ أَجْنَاسِ

تَقَضَّى شَبَابٌ قَدْ قَضَيْتُ حُقُوقَهُ وَمَرَّتْ لَيَالِيهِ كَأَيَّامِ أَعْرَاسِ

جَمَعْتُ لَهُ بَيْنَ ٱلصَّبَابَةِ وَٱلصِّبَا لأَقْرِيهِ مِنْ بِرٍّ بِهِ كُلَّ إِينَاسِ

---

(1) بدون ياء في الآخر بالأصل.

(2) بياض في الأصل. هل هي (فَآذَنَ صُبْحُ؟). أم (تَحَقَّقْتُ)؟ ولعل الصّواب فيما أثبتناه.

(3) في الأصل : لَوْ خَطَّ السَّوادُ (بصيغة المعلوم) والأصوب ان يقرأ الفعل مبنياً للمجهول (خُطَّ السَّوَادُ).

وَجَاءَ مَشِيبٌ حَلَّ مِنِّي نَزِيلُهُ | على الرَّاسِ مَلْمُومٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ ٱلرَّاسِي[1]
فَوَاخَجْلَتَا لَمْ يُلْفِ تُحْفَةَ قَادِمٍ | لَدَيَّ فَأَقْرِيهِ وَلاَ جُرْعَةَ ٱلْحَاسِي[1]
لِذَلِكَ مَا أَذْكَى فُؤَادِيَ بِالْجَوَى | وَأَضْرَمَ فِي فَوْدَيَّ جِذْوَةَ مِقْبَاسِ
وَمَا قُوتُهُ إِلاَّ تُقَى وَعِبَادَةٌ | وَتَصْحِيحُ قَصْدٍ دُونَ شَكٍّ وَإِلْبَاسِ
لكَ ٱلْخَيْرُ قُلْ لِي وَٱلْحِجَى يُلْقِحُ ٱلْحِجَي | أَيَرْفَعُ عَنِّي ٱلْحُكْمَ إِثْبَاتُ إِفْلاَسِ؟
وَإِلاَّ فَهَبْ لِي مِنْ قِرَاكَ لِمِثْلِهِ | فَضَيْفُكَ مِنْهُ بِالتُّقَى ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي[1]
حَنَانَيْكَ مَهْمَا جِئْتَ مَجْلِسَ رَحْمَةٍ | وَقَدْ حُفَّتِ الأَمْلاَكُ مِنْهُ بِجُلاَّسِ
وَمُدَّتْ إِلى ٱللَّهِ ٱلأَكُفُّ وَأُرْسِلَتْ | سَحَائِبُ مِنْ صَوْبِ ٱلدُّمُوعِ بِبَجَّاسِ
فَلاَ تَنْسَنِي مِنْ دَعْوَةٍ عَلَّ تَوْبَةً | تُخَفِّفُ أَوْزَارِي وَتَغْسِلُ أَدْنَاسِي[1]
و(92) / فَرَوْضُ رَجَائِي قَدْ ذَوَى مِنْ تَأَسُّفِي | عَسَى سُحُبُ ٱلرُّحْمَى تَدُرُّ بِإِبْسَاسِي[2]
عَلَيْكَ سَلاَمٌ مِثْلُ حَمْدِكَ عَاطِرٌ | يُطَيِّبُ أَنْفَاسَ ٱلرِّيَاضِ بِأَنْفَاسِي[1]

(162)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ[3] وَقَدْ زَارَ مَنْزِلَهُ فَأَلْفَاهُ فِي وَلِيمَةِ صَبَاحٍ وَفِيهَا ٱلتَّوْرِيَةُ:

[الوافر]

مَتَى يَقْضِي ٱلزَّمَانُ دُيُونَ مِثْلِي | وَيَوْمِي فِي مُنَاقَضَةِ ٱقْتِرَاحِ
فَيَا لِلَّهِ مِنِّي ذُو شُجُونٍ | طَوِيلُ ٱلْهَمِّ مَقْصُوصُ ٱلْجَنَاحِ
مَتَى وَافَى يَزُورُكَ فِي مَسَاءٍ | يُقَالُ لَهُ بِأَنَّكَ فِي صَبَاحِ

(1) كلها بدون ياء في الأصل.
(2) «إيسَاسِي» في الأصل؛ وهو الأصل وقلب الإنسان والأرجح ان تكون «إبْساسِ» وهو مسح ضرع الناقة كي تدُرّ (القاموس 2/198).
(3) أي إلى (ابن جُزَي).

(163)

وَقَالَ فِي غَرَضِ ٱلتَّصَوُّفِ مُتَبرِّماً بالأناةِ وَالتَسوُّفِ[1] يُخَاطِبُ ٱلْفَقِيهَ ٱلْعَالِمَ أَبَا يَحْيَى بْنَ عَاصِمٍ[2] رَحِمَهُمَا اللهُ:

[الطويل]

سَلُوا ٱلْبَرْقَ مَصْقُولَ ٱلصَّفِيحِ يَمَانِيَا ... أَيُبْلِغُ مِنْ رَدِّ ٱلسَّلَامِ ٱلأَمَانِيَا؟

فَيَحْمِلَ عَنِّي لِلْحَبِيبِ تَحِيَّةً ... وَيَرْجِعَهَا تُهْدِي إِلَيَّ أَمَانِيَا

بِآيَةِ مَا أَعْدَاهُ قَلْبِي خُفُوقَهُ ... فَأَعْدَى بِمُنْهَلِّ الغَمَامِ الْمَآقِيَا

عَجِبْتُ لَهُ أَبْكِي وَقَدْ بَاتَ ضَاحِكاً ... وَهَلْ يُسْعِدُ الْمُشْتَاقَ مَنْ بَاتَ سَالِيَا

وَمَالِي وَلِلْبَرْقِ الخَفُوقِ أَشِيمُهُ ... وَلَوْلاَ عَوَادِي الحُبِّ مَا قُلْتُ مَالِيَا

رَعَى اللهُ إِلْفاً رَاعَ قَلْبِي فِرَاقُهُ ... وَأَوْدَعَهُ يَوْمَ الوَدَاعِ فُؤَادِيَا

وَحَيَّتْهُ مِنْ رَوْحِ القَبُولِ تَحِيَّةٌ ... يُعَطِّرُ مَسْرَاهَا إِلَيْهِ النَّوَاحِيَا

وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَنِ القَلْبُ مِنْهُمَا ... وَلاَ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لِلْقَلْبِ ثَانِيَا

إِلَيْكَ أَبَا يَحْيَى دَعَتْنِي نَوَازِعٌ ... مِنَ الشَّوْقِ لاَ يُبْقِي مِنَ الوَجْدِ بَاقِيَا

ق(92) / فَكَمْ مِنْ لَيَالٍ قَدْ جَلَوْنَا بِأُفْقِهَا ... بُدُورَ هُدًى يَجْلُو سَنَاهَا الدَّيَاجِيَا

رَشَفْنَا ثُغُورَ الأُنْسِ فِيهَا كَأَنَّمَا ... رَشَفْنَا ثُغُورَ الغِيدِ تَنْدَى أَقَاحِيَا

وَأَطْرَبَنَا لَحْنُ الخِطَابِ كَأَنَّهُ ... مَثَالِثُ لَحْنٍ قَدْ أَجَابَتْ مَثَانِيَا

سَقَى اللهُ ذَاكَ العَهْدَ صَوْبَ غَمَامَةٍ ... تُرَوِّي مِنَ الحَصْبَاءِ مَا كَانَ ظَامِيَا

وَتُسْقِطُ مِنْ حَبِّ الغَمَامِ لآلِياً ... يُضِيءُ شَفِيفَ النُّورِ مِنْهَا اللَّيَالِيَا

وَيَنْظِمُ فِي جِيدِ الغُصُونِ قَلاَئِدًا ... تُبَاهِي بِدُرِّ القَطْرِ مِنهَا الدَّرَارِيَا

كَلَيْلِ شَبَابٍ قَدْ نَضَوْتُ مُسُوحَهُ ... وَأَنْضَيْتُ فِيهِ لِلتَّصَابِي رِكَابِيَا

تَقَضَّى وَلَمْ يَقْضِ الفُؤَادُ لُبَانَةً ... وَأَصْبَحَ حَالِي بِالبِطَالَةِ حَالِيَا

(1) سَوَّفْتُهُ مَطَلْتُهُ (القاموس 3/151).

(2) قاضي الجماعة الرئيس (الاحاطة، 1/50).

وَكُنْـتُ أَرَى لَيْـلَ الشَّبَـابِ يُضِلُّنِـي فَهَـذَا صَبَاحُ الشَّيْبِ قَدْ لاَحَ هَـادِيَا

وَمَـنْ كَحَّـلَ التَـوْفِيـقُ بِـالنُّـورِ عَيْنَـهُ وَأَيْقَـظَ مِنْـهُ نَـائِـمَ القَلْـبِ سَـاهِيَـا

رَأَىَ كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلاً وَكُلَّ وُجُودٍ مَا سِوَى الحَقِّ فَانِيَا

وَلَـوْ أَنَّنَـا هِمْنَـا بِصَقْـلِ ذَوَاتِنَـا رَأَيْنَـا بِمِـرْآةِ المَعَـانِـي المَغَـانِيَـا

وَلَوْ أَنَّ غَيْمَ الوَهْمِ عَنَّا قَدِ انْجَلَى لَـلاَحَ لَنَـا نُـورُ الحَقِيقَـةِ بَـادِيَـا

فَفِي عَدَمٍ آتِي الزَّمَانِ[1] وَمَا مَضَى وَلَكِنَّهَـا الأَوْهَـامُ تُبْـدِي التَـوَالِيَـا

وَكُـلُّ زَمَـانٍ أَوْ مَكَـانٍ فَـإِنَّهَـا تَفَـاصِيـلُ أَوْضَـاعٍ تُغَـالِـطُ رَائِيَـا

وَمَـا الحُـرُّ إلاَّ مَـنْ تَجَـرَّدَ عَنْهُمَـا وَأَصْبَحَ مِنْهَا حَيْثُ لاَ حَيْثُ عَارِيَا

وَقَـامَ بِمَـنْ قَـامَ الـوُجُـودُ بِـأَسْـرِهِ وَلَـمْ يَـرَ إلاَّ وَجْـهَ مَـولاَهُ بَـاقِيَـا

حُجِبْنَـا بِنَـا عَنَّـا فَيَـا لَيْتَنَـا لَنَـا فَنَلْقَـى وَنَـرْقَـى نَضْـرَةً وَمَعَـالِيَـا

أَأَنْهَضُ قِدْمًا فِي التَّنَاجِي بِمِثْلِهَا وَأَفْصَـحُ لاَ أَخْشَـى رَقِيبـاً وَوَاشِيـاً؟

و(93) / أَمِ الـدَّارُ فِيهَـا مَـنْ تَكَـاثَـفَ طَبْعُـهُ وَقَصَّـرَ عَـنْ دَرْكِ الحَقَـائِـقِ وَانِيَـا؟

وَأَنْكَـرَ مَـا لَـمْ يَـدْرِ كُنْـهَ كِيَـانِـهِ وَأَصْبَحَ جَهْلاً فِي المَعَارِفِ لاَهِيَا

بِعَيْشِكَ سَدِّدْهَا عَلَى الغَيْبِ دَعْوَةً وَقَرْطِسْ بِهَا المَرْمَى وَبُورِكْتَ رَامِيَا

وَرِشْهَـا بِإِخْـلاَصٍ وَفَـوِّقْ سِهَـامَهَـا لَعَلَّـكَ إِذْ تَنْـوِي تُصِيـبُ المُنَـاوِيَـا

وَذَاكَ عَــدُوُّ اللهِ إِبْلِيــسُ إِنَّنِــي مُنِيــتُ بِـهِ واللهُ حَسْبِـيَ كَـافِيَـا

وَلاَ تَقْطَعِ العُرْفَ الذِي قَدْ وصَلْتَهُ وَتَمِّمْ بِحُسْنَى العَوْدِ مَا كُنْتَ بَادِيَا

وَلاَ تَقْـفُ آثَـارَ الْقَطِيعَـةِ بَعْـدَهَـا وَوَجِّـهْ إِذَا مَـا لَـمْ تَـزُرْنَـا القَـوَافِيَـا

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ مِنْ حَيْثُ وَجَّهَتْ رِكَابِي قَرِيبَ الدَّارِ أَوْ كُنْتَ نَائِيا

وعُذْراً فَإِنِّي رُجْتُهَا بِنْتَ سَاعَةٍ[2] فَخُذْهَا عَلَى حُكْمِ القَبُولِ كَمَا هِيَا

---

(1) أَي المُسْتَقْبَلُ المُتَبَقّي من الزمان فهو عدم لم يوجد.

(2) يشير الى سرعة نظمه للقصيدة وارتجاله لها.

(164)

وَقَالَ أَيْضاً فِي هَذَا الغَرَضِ[1] مِنْ بَابِ الاتِّحَادِ:

[الطويل]

أَيَا وَاحِداً عَنْ وَاحِدٍ لَسْتَ غَيْرَهُ ... وَإِنْ عَرَضَ التَّكْثِيرُ فِيكَ لِعِلَّةِ

أَحَقًّا طَوَيْتَ الكَوْنَ ثُمَّ نَشَرْتَهُ ... فَلَمْ تُلْفِ شَيْئاً غَيْرَ وَصْفِ الحَقِيقَةِ

فَقُلْ لِدُجَى الأَكْوَانِ بِينِي فَإِنَّنِي ... سَأَجْلُو بِوَجْهِ الحَقِّ كُلَّ دُجُنَّةِ

تَوَجَّهْتُ نَحْوَ الحَقِّ بِالْحَقِّ وُجْهَةً ... مَحَوْتُ بِهَا كُلَّ الجِهَاتِ وَوِجْهَتِي[2]

وَأَصْبَحْتُ لِلأَعْدَادِ أُسًّا مُقَدَّماً ... فَفِي وَحْدَتِي كُثْرِى وَكُثْرِيَ وَحْدَتِي[3]

(165)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ رَقَائِقِ هَذَا البَابِ وَاسْتَطْرَدَ بِالمَدْحِ:

[الطويل]

مَتَى أَوْ عَسَى أَوْ كَيْفَ يَا أُمَّ مَالِكِ ... تُكَحِّلُ طَرْفِي لَمْحَةٌ مِنْ جَمَالِكِ

وَيَا عَجَباً مِمَّنْ سَكَنْتِ فُؤَادَهُ ... وَمَا شَاقَهُ إِلاَّ ازْوِرَارُ خَيَالِكِ

فَرِفْقًا بِصَبٍّ فِيكِ أَفْنَى شَبَابَهُ ... وَأَقْصَى مُنَاهُ أَنْ يَمُرَّ بِبَالِكَ

ق(93) / وَأَيُّ المَعَانِي حَلَّ فِيهَا فَإِنَّهُ ... غَرِيبُ المَعَانِي لَمْ يَرُمْ عَنْ حِلاَلِكِ

يَرَى كُلَّ جُودٍ فِي الوُجُودِ وَإِنْ جَرَى ... بُحُورَ عَطَايَا قَطْرَةً مِنْ نَوَالِكِ

وَكُلُّ غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ فَإِنَّهُ ... يَمُدُّ يَدَ المُحْتَاجِ عِنْدَ سُؤَالِكِ

سَدَلْتَ عَلَى الأَكْوَانِ سَجْسَاجَ مِنَّةٍ ... فَطَوْعاً وَكَرْهاً قَدْ أَوَتْ لِظِلاَلِكِ

أَخَذْتِ عَلَى العُشَّاقِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ... فَلَمْ أَرَ إِلاَّ عَانِياً فِي حِبَالِكِ

---

(1) اي في التَصَوُّف، والاتحاد والحلول والوصول، مصطلحات صوفية يُعَبَّرُ بها عن حالة الصوفي الروحية ودرجة استغراقه في العبادة، والاتحاد خاصة هو الذوبان بالكلية في الله كما يقول الصوفيون.

(2) (3) بدو ياء في الآخر هكذا في الأصل.

سَلاَمٌ عَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ أَهِلَتْ بِهِ   إذَا أَنْتِ لَمْ تَسْمَحْ بِطَيْفِ خَيَالِكِ

أَزِيدُ خُضُوعاً كُلَّمَا زِدْتِ جَفْوَةً   فَيَعْجَبُ مِنْ حالِي الوُشَاةُ وَحَالِكِ

وَتَبْسُطُ قَلْبي مِنْ جَمَالِكِ لَمْحَةٌ   فَيَقْبِضُ قَلْبِي خَطْرَةٌ مِنْ جَلاَلِكِ

وَكَيْفَ يُرَجِّي مِنْكَ ذُو الحُبِّ بُغْيَةً   إذَا ضَاقَ عَنْ شَكْوَاهُ ذَرْعُ احْتِمَالِكِ

وَأَنَّى يَخِيبُ القَصْدُ أَوْ تُخْلَفُ المُنَى   وَمَا شَافِعِي إلاَّ الخَلِيفَةُ مَالِكِي[1]

إذَا نَقَدُوهُ الحَمْدَ دُرًّا مُنَضَّدًا   تَقُولُ العَطَايَا قَدْ رَضِيتُ بِذَلِكِ

إذَا دَعْوَةٌ حَلَّتْ بِذِكْرَاهُ مِنْبَراً   تَمُدُّ لَهَا الأَعْنَاقَ شَتَّى المَمَالِكِ

(166)

وَكَتَبَ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ:

[المتقارب]

أَلاَ مَنْ لِجِسْمٍ بِغَرْنَاطَةٍ   مُقِيمٍ وَقَلْبٍ بِأَرْجَاءِ فَاسِ

يُعِيدُ النَّسِيمُ جَنَاحَ ارْتِيَاحِي   وَبُرْدُ اعْتِلاَلِي لَهُ عَنْ لِبَاسِ

إذَا نَسِيَ النَّاسُ عَهْداً قَدِيماً   فَلَسْتُ لِعَهْدِ المُصَلَّى بِنَاسِ

أَبِيتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ   كَأَنِّيَ رَاعَيتُ أَهْلِي وَنَاسِي[2]

تَمُدُّ إلَيَّ بِكَفٍّ خَضِيبٍ   أَمُدُّ إلَيْهَا أَكُفَّ التِمَاسِ

فَأَجْرَى دُمُوعَ الغَمَامِ انْتِحَابِي   وَأَوْرَى زِنَادَ البُرُوقِ اقْتِبَاسِي[2]

و(94) / فَسَلَّتْ مِنَ البَرْقِ سَيْفًا صَقِيلاً   وَتَاجُ الهِلاَلِ لَهُ كَالرِّئَاسِ

حَنِيناً لِبَدْرٍ يُغِيرُ البُدُورَ   وَشَمْسٍ تَحَلَّتْ بِفَرْطِ الشِّمَاسِ

وَغُصْنٍ يُنَوِّرُ نَوْرَ الأَقَاحِي   غَدَا الزَّهْرُ مِنْهُ مَشِيبًا بِرَاسِي[2]

---

(1) يقصد به الغني بالله، ولعله يقصد التورية فالشافعي هو خليفة الإمام مالك وتلميذه.

(2) كلها بدون ياء في الآخر، هكذا في الأصل.

مِنَ القَوْمِ أَضْحَتْ خِلاَلُ المَعَالِي تُقَسِّمُهُمْ بَيْنَ جُودٍ وَبَاسِ
سَلِيلَ الوِلاَيَةِ هَلْ نَفْحَةٌ تُفَتِّقُ مِسْكاً بِرَوْضَةِ آسِ
وَنَجْلَ الكَرَامَةِ هَلْ دَعْوَةٌ يَثُوبُ الرَّجَاءُ بِهَا بَعْدَ يَاسِ

(167)

وَقَالَ يُرَاجِعُ[1] الفَقِيهَ أَبَا القَاسِمِ بْنَ حَاتِمِ المَالِقِي[2] عَنْ عَتْبٍ:

[الوافر]

أَخَفَّاقَ الجَنَاحِ إِذَا تَرُودُ لَعَلَّ سُرَاكَ طِيَّتُهَا زَرُودُ
فَفَوْقَ بِطَاحِهَا ظِلٌّ مَدِيدٌ وَتَحْتَ ظِلاَلِهَا عَذْبٌ بَرُودُ
وَأَعْلاَمُ النَّخِيلِ بِهَا تَسَامَتْ كَمَا خَفَقَتْ عَلَى جَيْشٍ بُنُودُ
وَمَسْرَحُ سِرْبِهَا رَوْضٌ نَضِيرٌ وَمَسْقَطُ ظِلِّهَا دُرٌّ نَضِيدُ
وَقَدْ لاَحَتْ بِجِيدِ الغُصْنِ مِنْهَا جَوَاهِرُ نُظِّمَتْ مِنْهَا عُقُودُ
فَكَمْ غُصْنٍ زَهَاكَ يَمِيلُ زَهْواً وَكَمْ قَدٍّ يَقُدُّ إِذَا يَمِيدُ
وَمَا حُسْنُ الحَدَائِقِ هَاجَ وَجْدِي وَلاَ طَرْفِي بِمَسْرَحِهَا يَرُودُ
وَلَكِنْ شَاقَنِي لِلْحُسْنِ رَوْضٌ بِسُحْبِ مَدَامِعِي أَبَداً مَجُودُ
فَوَفْقَ الزَّهْرِ مَا تُبْدِي ثُغُورٌ وَوَفْقَ الوَرْدِ مَا تُهْدِي خُدُودُ
وَمُنْحَفِزُ الخُطَى يَحْدُو عِهَاداً لَدَى الأَزْهَارِ ضَاعَ لَهَا عُهُودُ
ق(94) / فَفِي ثَغْرِ الأَقَاحِ لَهَا رُضَابٌ وَكَاسَاتُ العَرَارِ بِهِ تَجُودُ
عَلِيلٌ كَمْ شَفَى مِنَّا غَلِيلاً وَأَبْرَأَ مِنْ عَلِيلٍ إِذْ يَعُودُ
طَوَى عَرْضَ الحَدِيقَةِ مُسْتَطِيراً وَقَدْ نُشِرَتْ لَهُ فِيهَا بُنُودُ
وَيَا رُحْمَى لأَجْفَانٍ مِرَاضٍ تُسَهِّدُنَا وَهُنَّ لَنَا رُقُودُ

---

(1) أي يجيب.
(2) لا نعلم عنه إلا أنه كان فقيهاً اديباً.

إِذَا مَـا الحُسْـنُ قَـدْ وَلَّـى أَمِيـرًا ... فَـأَحْـرَارُ النُّفُـوسِ لَـهُ عَبِيـدُ

عَمِيـدَةَ حَيِّهَـا حُسْنًـا وَحُسْنَـى ... أَيَشْقَـى فِـي مَحَبَّتِـكِ العَمِيـدُ؟

وَيَصْلَـى قَلْبُـهُ مِنْهَـا جَحِيمـاً ... وَبَيْـنَ لِثَـاتِـكِ العَـذْبُ البَـرُودُ

كَمَـدْحٍ جَـاءَ يَصْحَبُـهُ عِتَـابٌ ... كَـوَعْـدِ البَـرْقِ يَصْحَبُـهُ وَعِيـدُ

مَعَـاذَ اللهِ مُصْـدِرَهُ المُفَـدَّى ... بِـأَنْ تَجْفُـو مَطَـالِعَـكَ السُّعُـودُ

يَـرُومُ النَّجْـمُ شَـأْوَكَ فِـي المَعَالِـي ... وَدُونَ مَـدَاكَ بِيـدٌ لاَ تَبِيـدُ

صَفِيُّـكَ مَـا عَلِمْـتَ لَـهُ وِدَادٌ ... مُصَـافٍ لاَ يَشُـوبُ وَلاَ يَـذُودُ

وَوُدُّكَ عِنْـدَهُ وُدٌّ أَصِيـلُ ... وَعَهْـدُكَ عِنْـدَهُ عَهْـدٌ حَمِيـدُ

وَحَجْـراً أَنْ تَشَبَّـهَ بِابْـنِ حِجْـرٍ[1] ... فَبَيْـنَ ضَـلاَلِـهِ وَهُـدَاكَ بِيـدُ

وَمِثْلِـي لاَ تُغَيِّـرُهُ اللَّيَـالِـي ... وَغَيْـرِي بِـالخِيَـانَـةِ مَـنْ يَسُـودُ

وَمَـا غُمِسَـتْ يَمِينِـي فِـي عُقُـوقٍ ... وَلاَ تِلْـكَ الحُقُـوقُ لَهَـا جُحُـودُ

وَلَكِـنْ حِفْـظُ عَهْـدِكَ عَـارَضَتْـهُ ... ذِمَـامٌ لاَ تُضَـاعَ لَهَـا عُهُـودٌ

وَجَاهِي طَوْعُ حُكْمِكَ عَنْ تَرَاضٍ ... وَإِنِّـي حَيْـثُ شِئْـتَ كَمَـا تُـرِيـدُ

فَمَـا شِـرْبِـي لِـوَارِدِهِ شَـرُوبٌ ... وَلاَ زَنْـدِي لِمَكْـرُمَـةٍ صَلُـودُ[2]

بَنَـاتُ الفِكْـرِ مِنْـكَ إِذَا تَجَلَّـتْ ... يُقِـرُّ بِفَضْلِهَـا حَتَّـى الحَسُـودُ

و(95) / شُمُـوسُ الحُسْـنِ مَـرْقَبُهَـا بَعِيـدٌ ... وَيَـوْمُ طُلُـوعِهَـا لِلنَّـاسِ عِيـدُ

يُغِيـرُ جَمَـالُهَـا حَتَّـى جَمِيـلاً ... وَيَصْبُـو حِيـنَ يَسْمَعُهَـا الـوَلِيـدُ

وَكَـمْ قَلَبَـتْ مِـنِ آسْـمٍ أَوْ مُسَمَّـى ... لَبِيـدٌ عِنْـدَهَـا أَبَـدًا بَلِيـدُ

نُسِبْـتَ لِحَـاتِـمٍ كَـرَمـاً وَجُـوداً ... فَنَظْـمُ الـدُّرِّ أَيْسَـرُ مَـا تُفِيـدُ

وَلَسْـتُ بِمُنْكِـرٍ تِلْـكَ السَّجَـايَـا ... بَجُـودِ أَبِيـكَ قَـدْ شَهِـدَ الـوُجُـودُ

---

(1) هو امرؤ القيس الملك الضلّيل. والحجر الأولى بمعنى: حرام.

(2) الزند صلود صوَّتَ وَلَمْ يُوْرِ أَيْ زَنْدُهُ يُوْرِي كناية عن فعله المكرمات (القاموس 1/305)

وَخُـذْهَـا بِنْـتَ سَـاعَتِهَـا عَـرُوسًـا تَهَـادَى حَلْيَهَـا نَحْـرٌ وَجِيـدُ
وَيُخْجِـلُ لَفْظُهَـا[1] دُرَّ الـدَّرَارِي وَيَرْجُو الصَّفْحَ مُنْجِبُهَا الوَلُودُ[2]

(168)

وَقَالَ أَيْضًا يُجِيبُه[3] عَنْ تَهْنِئَةٍ وَصَلَتْهُ مِنْهُ وَهُوَ بِجَبَلِ الفَتْحِ صَادِرًا عَنْ سِفَارَةٍ[4]

[الطويل]

أَمَا وَسُكُونِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلَ الجُنْحِ وَمَسْرَى خُفُوقِ النَّجْمِ مُنْحَفِزَ السَّرْحِ
تَطَـايَـرَ مَـا بَيْـنَ البُـرُوجِ حَمَـامُـهُ مَخَـافَـةَ بَـازٍ قَـدْ أَطَـلَّ مِـنَ الصُّبْـحِ
وَفَجْـرٍ بِـأَعْلَـى الشَّرْقِ لاَحَ عَمُـودُهُ فَقُلْـتُ لِـوَاءٌ قَـدْ أَطَـلَّ عَلَـى صَـرْحِ
وَبَـرْقٍ تَـرَامَـتْ فِـي الظَّـلاَمِ شَـرَارُهُ فَقُلْـتُ زِنَـادٌ قَـدْ تُعُـوهِـدَ بِـالقَـدْحِ
وَقَـدْ نَضَـحَ الأَغْصَـانَ قَطْـرُ غَمَـامِـهِ فَقَامَتْ وَفِي أَعْطَافِهَا بَلَلُ النُّضْحِ
وَقَـدْ نَفَحَـتْ رِيـحُ الصَّبَـا فَتَعَطَّـرَتْ ثُغُـورٌ مِـنَ الأَزْهَـارِ عَـاطِـرَةُ النَّفْـحِ
وَقَدْ صَدَحَتْ فَوْقَ الأَرَاكِ حَمَائِمٌ ثَوَاكِلُ إِلْفٍ مَا تَمَلُّ مِنَ الصَّدْحِ
بَكَيْـنَ هَـدِيـلاً وَانْتَحَبْـنَ لِفَقْـدِهِ وَبُحْـنَ بِمَكْنُـونِ الهَـوَى أَيَّمَـا بَـوْحِ
وَنَهْـرِ نَهَـارٍ سَـالَ فَيْـضُ عُبَـابِـهِ وَقَدْ كَانَ فِي التَّغْلِيسِ يَنْبَعُ عَنْ رَشْحِ
لَقَـدْ بَهَـرَتْنِـي مِنْـكَ بِنْـتُ بَـدِيهَـةٍ تَسُـومُ أَجَـاوِيـدَ الـرَوِيَّـاتِ بِـالكَبْـحِ
وَرَدْتُ بِهَـا مَـاءَ الحَيَـاةِ وَإِنَّمَـا نَقَعْـتُ بِهَـا مِـنْ غُلَّـةِ الظَّمَإِ البَـرْحِ
ق(95) /عَقَدْتُ مَعَ الأَيَّامِ صُلْحاً بِزَوْرِهَا وَلَلْخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ

(1) في الأصل (لفظَها) بالنصب.
(2) يكني بذلك عن كثرة اشعاره وخصب افكاره.
(3) أي ابن حاتم المالقي.
(4) قد يقصد (بالسفارة) ما ذكره المقري في أزهار الرياض 2/17: «وفَوَّضَ له [أي الغني بالله] في عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين، وصُلْحُ النصارى عقدة تسع مرات» فالسفارة هي أسفاره للصلح.

وَفِي جَبَلِ الفَتْحِ اسْتَقَلَّتْ قَلاَئِداً ... وَلاَ غَرْوَ أَنْ تُعْزَى القَلاَئِدُ لِلْفَتْحِ
أَبَا قَاسِمٍ هَنَّأْتَنِي بِسِفَارَةٍ ... قَضَتْ لِي بِعَوْدٍ فِي حُلَى اليُمْنِ وَالنُّجْحِ
ومَا الرَّوْضُ مَطْلُولُ الأَزَاهِرِ في الضُّحى ... بِأَنْدَى وَأَذْكَى مِنْ خَلاَئِقِكَ السُّمْحِ
وَأَنْتَ وَمَا أَدْرَاكَ رَبُّ بَلاَغَةٍ ... يَجِيشُ لَهَا بَحْرٌ يَجِلُّ عَنِ السَّبْحِ
وَكُنْتُ أُطِيلُ القَولَ لَكِنْ ثَنَيْتُهُ ... لِعُذْرٍ بِهِ أَوْجَزْتُ فِي سُورَةِ المَدْحِ

(169)

وَقَالَ أَيْضاً جَوَاباً عَنْ رِسَالَةٍ[1]:

[مجزوء الخفيف]

وَاكِفُ الدَّمْعِ عَلَّهَا ... وَالجَوَى قَدْ أَعَلَّهَا[2]
وَهَدَاهَا اشْتِيَاقُهَا ... جُنْحَ[3] لَيْلٍ أَظَلَّهَا
تَحْسِبُ البَرْقَ تَحْتَهُ ... صَفْحَةُ البَرْقِ سَلَّهَا
سِرْتُ مِنْ خَلْفِ ظَعْنِهَا ... مُنْتَهَاماً مُدَلَّهَا
أُودِعُ الرَّكْبَ حَاجَةً ... وَفُؤَادِي أَقَلَّهَا
أَنْصَفَ اللهُ مِنْ نَوًى ... شَكَتِ النَّفْسُ حِمْلَهَا
تَسْأَلُ الرِّيحَ نَسْمَةً ... عَلَّهَا أَنْ تَعُلَّهَا
تَنْشُدُ البَانَ عَهْدَنَا ... إِذْ تَوَسَّدْتُ ظِلَّهَا
نَاعِماً فِيهِ بِالَّتِي ... لَمْ يَرَ الحُسْنُ مِثْلَهَا
فُزْتُ مِنْهَا بِنَظْرَةٍ ... أُورِثَ القَلْبُ خَبْلَهَا
مَا لِعَيْنِي إِذَا جَفَتْ ... حَمَلَ القَلْبُ كَلَّهَا؟

---

(1) جواباً عن رسالة لأبي حاتم المالقي كما يظهر.
(2) (علها) أي أشْرَبَهَا تباعاً حَتَّى رَوِيَتْ، و(وَأَعَلَّهَا) أمرضها وبينهما جناس (القاموس: 20/4)
(3) في الأصل (جِنح) بالكسر.

أَقْطَــعُ اللَّيْــلَ سَــاهِــراً بِعَسَــاهَــا لَعَلَّهَــا

و(96) / رَاحِــلَ العَيْــسِ يَــا تُــرَى أَيْــنَ أَزْمَعْــتَ حَلَّهَــا؟

خَلِّهَــا حَيْــثُ يَمَّمَــتْ بَــاعِــثُ الشَّــوْقِ دَلَّهَــا

شَــاقَهَــا ظِــلُّ دَوْحَــةٍ نَــاسَــبَ الفَــرْعُ أَصْلَهَــا

بَــاسِــقٌ تَطْمَــحُ العُلَــى لِــرِيَــاضٍ أَظَلَّهَــا

يَمَّمَــتْ خَيْــرَ بُقْعَــةٍ شَــرَّفَ اللهُ أَهْلَهَــا

بِخَطِيــبٍ إِذَا اعْتَــدَتْ عُقَــدُ الخَطْــبِ حَلَّهَــا

مَــا عَسَــى القَــوْلُ فِــي عُلَــى تَسْحَــبُ السُّحْــبُ ذَيْلَهَــا

نِعَــمُ الشُّكْــرِ سَيِّــدِي أَبْلَغَتْهَــا مَحَلَّهَــا

كُــلُّ عَلْيَــا وَرِفْعَــةٍ بِــكَ حَلَّــتْ مَحَلَّهَــا

وَإِذَا لَــمْ يَكُــنْ لَهَــا سَيِّــدُ القَــوْمِ مَــنْ لَهَــا؟!

سَلَــفٌ أَسْلَــفَ الَّتِــي أَنْــتَ أَصْبَحْــتَ أَهْلَهَــا

أَنْــتَ شَيَّــدْتَ فَخْــرَهَــا أَنْــتَ جَــدَّدْتَ فَضْلَهَــا

أَلْسُــنُ الــدَّهْــرِ مَــا تَلَــتْ غَيْــرَ ذِكْــرَى أَمَلَّهَــا

لَــكَ فِــي الْهَــدْيِ سِيــرَةٌ أَوْضَــحَ اللهُ سُبْلَهَــا

إِنَّمَــا الفَخْــرُ خُطَّــةٌ قَــدْ تَــوَلَّيْــتَ فَصْلَهَــا

مَــنْ رَآهَــا رِسَــالَــةً مَــنْ رَآهَــا أَجَلَّهَــا

أَرْسَلَــتْ صَــوْبَ حِكْمَــةٍ سَــوَّغَ الفَخْــرُ رُسْلَهَــا

بِنْــتُ فِكْــرٍ مَتَــى رَمَــتْ سَــدَّدَ النُّبْــلُ نَبْلَهَــا

كُلَّمَــا رُمْــتُ نَيْلَهَــا مَنَــعَ العَجْــزُ سَهْلَهَــا

ق(96) / نَحَلَتْنِــي صِفَــاتِــهِ بَعْضَهَــا لَيْــسَ كُلَّهَــا

دَامَ فِــي ظِــلِّ نِعْمَــةٍ أَسْبَــغَ اللهُ ظِلَّهَــا

(170)

وَقَالَ فِي مَعْرِضِ الفَخْرِ بِالذَّكَاءِ وَالحِلْمِ:

[الطويل]

لِيَ اللهُ عَلَّمْتُ النُّجُومَ سُهَادَهَا ... عَلَى أَنَّنِي إِنْ رَابَنِي صَاحِبٌ أُغْضِ[1]

فَطَرْفُ ذَكَائِي لَمْ تُغَمِّضْ جُفُونُهُ ... وأَجْفَانُ حِلْمِي مَا تَمَلُّ مِنَ الغَمْضِ

وَإِنِّي لَكَالسَّيْفِ اليَمَانِيِّ حِلْيَةً ... تَرُوقُ وَإِنْ لَمْ يَمْضِ مَضْرِبُهُ أَمْضِي[1]

ويَا رَبُّ شَمْلٍ قَدْ نَظَمْتُ شَتِيتَهُ ... بِجَوْهَرِ عِقْدٍ مِنْ بَيَانِيَ مُرْفَضِّ

وَلَمْ أَرْضَ مِنْ نَفْسِي لِنَفْسِيَ صَاحِباً ... فَمَنْ ذَا الذِي بِاللهِ مِنْ بَعْدِهَا يُرْضِي[1]

أَقُولُ لَهَا ـ وَاللهُ يُصْلِحُ حَالَهَا ـ ... حَنَانَيْكَ بَعْضِي رَاقِبَ اللَّهَ فِي بَعْضِي[1]

(171)

وَقَالَ فِي مَعْرِضِ نَفْيِ الحَوْلِ عَنِ الخَلْقِ وَالاعْتِمَادِ عَلَى الحَقِّ:

[الطويل]

أَقُولُ لِحُسَّادٍ عَلَيَّ تَكَاثَرُوا ... وَمِنْهُمْ مُدَاجٍ قَلْبُهُ وَمُنَافِقُ

وَمُخْتَلِقٌ زُوراً عَلَيَّ وَفِرْيَةً ... يُسَاعِدُ بَعْضٌ بَعْضَهُمْ وَيُوَافِقُ

عَلَيْكُمْ فَكِيدُونِي فَلاَ خَوْفَ مِنْكُمُ ... فَإِنِّي بِمَنْ أَعْطَانِيَ الخَيْرَ وَاثِقُ

سَأَقْصِدُ وَجْهَ الحَقِّ فِي كُلِّ وُجْهَةٍ ... وَحَسْبِي مِنَ الخَلْقِ الذِّي هُوَ خَالِقُ

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِجَمْعِنَا ... وَيَعْلَمُ رَبِّي أَنَّ قَوْلِيَ صَادِقُ

(172)

وَقَالَ يُخَاطِبُ بَعْضَ ٱلْمُقَرَّبِين[2] تَنْشِيطاً وَحَثّاً عَلَى ٱلتَّمَادِي فِي الإِفَادَةِ:

---

(1) كلها بدون ياء في الآخر بالأصل.

(2) الأقرب أن يكون (أبا القاسم بن حاتم المالقي) لأنَّ كل القصائد السابقة واللاحقة هو محورها.

[الوافر]

عَهِدْتُكَ يَا عَمِيدَ ٱلْمَجْدِ تُحْيِي ... رُسُومَ ٱلدِّينِ عَهْداً قَدْ عَهِدْتَهْ
وَتُهْدِي مِنْ نَفِيسِ ٱلْعِلْمِ دُرًّا ... وَمَا مِنْ فَنٍّ إِلاَّ قَدْ حَوَيْتَهْ
فَمَالَكَ وَٱلْعُلُومُ عَلَيْكَ وَقْفٌ ... وَكُلُّ ٱلنَّاسِ يَحْمَدُ مَا فَعَلْتَهْ
و(97) / وَيُثْنِي بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ أَهْلٌ ... كَسِلْتَ وَحِدْتَ عَمَّا قَدْ نَوَيْتَهْ[1]
فَبُثَّ ٱلْعِلْمَ فَهُوَ عَلَيْكَ فَرْضٌ ... وَلاَ تَبْخَلْ بِعِلْمٍ قَدْ عَلِمْتَهْ
وَأَيُّ وَسِيلَةٍ لَكَ مِثْلُ عِلْمٍ ... يُفِيدُ ٱلْخَلْقَ أَوْ عَمَلٍ عَمِلْتَهْ

(173)

وَكَتَبَ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ:

[الطويل]

إِلَيْكَ أَبَا يَحْيَى[2] انْتَهَى كُلُّ سُؤْدَدٍ ... فَبُورِكَ مَنْ سَمَّاكَ قِدْماً أَبَا يَحْيَى
فَمَا ٱلْجُودُ إِلاَّ مَيِّتٌ غَيْرَ أَنَّهُ ... إِذَا نَفَخَتْ يُمْنَاكَ فِي رَوْعِهِ يَحْيَا[3]

(174)

وَكَتَبَ في صَدْرِ أُخْرَى:

[الطويل]

إِذَا غَابَ عَنْ عَيْنِي ٱلْحَبِيبُ تَفَجَّرَتْ ... دُمُوعِي كَأَنَّ ٱلْعَيْنَ تَغْرُفُ مِنْ عَيْنِ
وَأَمْلَتْ صِحَاحَ ٱلْجَوْهَرِيِّ مَدَامِعِي ... كَمَا ٱسْتَظْهَرَتْ مِنْ بَعْدُ مُخْتَصَرَ ٱلْعَيْنِ[4]

---

(1) هو يشير إلى تثاقله عن التدريس وتمنّعه في بثّ العلم وهذا ما يؤيده البيت التالي.
(2) كذلك رسالة لأبي يحيى بن عاصم المالقي.
(3) في أزهار الرياض2: 158 (من قصيدة يخاطب فيها السلطان أبا عبدالله متوسلاً):
البيت: «وَمَا الجُودُ إلاَّ مَيِّتٌ غَيرَ أنه ... إذَا نَفَخَتْ يُمْنَاك في ورحِهِ يَحْيَا»
(4) كناية عن القاموس (الصحاح للجوهري)؛ والعين للخليل بن أحمد، ومختصره للزبيدي.

سأُتْحِفُهُ[1] مِنْ سَبْكِ فِكْرِي بِقِطْعَةٍ تَنُوبُ لَهُ قَدْراً عَنِ ٱلْذَّهَبِ ٱلْعَيْنِ
وهَـذَا كِتَـابِـي مِيمُـه فَـمُ لاَثِـمٍ وَقَدْ نَابَ عَنْ عَيْنِي بِمَا فِيهِ مِنْ عَيْنِ
وَإِنْ أَلِـفٌ وَٱلـلاَّمُ فِيـهِ تَعَـانَقَـا فَـذَاكَ عِنَـاقٌ لِـي تَقَـرُّ بِـهِ عَيْنِـي[2]
وَأَبْقَـى سَـوَادُ ٱلْحِبـرِ فَـوْقَ بَيَـاضِـهِ بِـهِ أَثَـراً يُغْنِيـكَ مِنْـهُ عَـنِ ٱلْعَيْـنِ
وَقَـاكَ إِلاَهُ ٱلْعَـرْشِ أَعْيُـنَ حُسَّـدٍ ومِنْها ٱلّتِي تُعْزَى إِلَى ٱلْشَّمسِ مِنْ عَيْنِ[3]

(175)

وَقَالَ مُجِيباً وَمُعْتَذِراً[4]:

[الطويل]

أَنَظْمٌ أَتَانِي أَمْ حَلاَلٌ مِنَ ٱلْسِّحْرِ؟ وَزَهْرٌ بَدَا لِي أَمْ بَدَتْ أَنْجُمُ ٱلزُّهْرِ؟
وَرَوْضُ بيَـانٍ قَـدْ سَقَتْـهُ أَنَـامِـلٌ تَفَجَّرَ عَنْهَا ٱلْجُودُ مِنْ أَبْحُرٍ عَشْرِ
أَفَضْـتَ عَلَـى ٱلْجَـوْزَاءِ مِنْهَـا قِـلاَدَةً تَنُوبُ بِهَا زُهْرُ ٱلْدَّرَارِي عَنِ ٱلْدُّرِ
وَلاَ غَرْوَ أَنْ أَمْدَدْتَ بِالنُّورِ زُهْرَهَا فَأَنْتَ وَحَقِّ ٱلْبَدْرِ أَبْهَى مِنَ ٱلْبَدْرِ
ق(97) / وَإِنّـي وَإِنْ أَغْفَلْـتُ ذِكْـرَكَ بُـرْهَـةً يَقُومُ ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيُّ فِيهَا عَنِ ٱلْعُذْرِ
خَيَالُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي ونُعْمَاكَ فِي كَفِّي وَشَخْصُكَ فِي فِكْرِي[5]
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ رَامَ بَابَكَ سَاعَةً وَلَكِنَّ لِي عُذْراً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي[5]
وَمَـا نَطَقَـتْ عَلْيَـاكَ إِلاَّ تَـوَاضُعـاً تُشَرِّفُ مِنْ ذِكْرِي وَتَرْفَعُ مِنْ قَدْرِي[5]

(1) كذلك يقصد أبا يحيى بن عاصم.
(2) بدون ياء في الأصل.
(3) يُلاحظ لزوم ما يلزم في آخر الأبيات، فكلّها تختم بكلمة (عين). الأولى بمعنى (عين الماء) والثانية (كتاب العين للخليل) والثالثة (الخالص من الشيء) والرابعة (الحرف الهجائي العين) والخامسة (العين الباصرة) والسادسة (البقية) والسابعة (عين الحسود).
(4) مجيباً كذلك لابن عاصم حسب السياق.
(5) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

وَلَيْسَتْ بِأُولَى بِنْتِ فِكْرٍ زَفَفْتَهَا إِلَيَّ فَنَابَ[1] ٱلشُّكْرُ فِيهَا عَنِ ٱلْمَهْرِ
وَقَلَّدْتَهَا دُرَّ ٱلْبَيَانِ تَمَائِمًا وَلاَ عجَبٌ لِلدُّرِّ يُقْذَفُ مِنْ بَحْرِ
وَعُذْراً فَإِنَّ ٱلْوَقْتَ كَفَّ عِنَانَهَا وَقَصَّرَ بَاعَ ٱلْحَمْدِ مِنِّيَ وَٱلشُّكْرِ

(176)

وَكَتَبَ فِي صَدْرِ رِسَالَةٍ إِلَى الحَاج أَبِي عَبْدِٱللهِ بْنِ زَيْدٍ ٱلْوَادِي آشِي رَحِمَهُ اللهُ[2]:

[الطويل]

صَبَا مَا صَبَا نَحْوَ ٱلصَّبَا كُلَّمَا هَفَتْ وَلَفَّتْ أَحَادِيثَ الأَحِبَّةِ فِي بُرْدِ
وَصَافَحَهَا إِذْ صَافَحَتْ بَانَ لَعْلَعٍ[3] وَجَرَّرَتِ الأَذْيَالَ فِي رَوْضَتَيْ نَجْدِ
يُبِلُّ عَلِيلَ ٱلْجِسْمِ مِنِّي عَلِيلُهَا وَيَنْقَعُ حَرَّ ٱلْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ ٱلْوَجْدِ
أَجَرَّتْ عَلَى وَادِي ٱلأَشَى ذَيْلَ بُرْدِهَا فَضَمَّخَهَا طِيباً حَكَى نَفْحُهُ حَمْدِي[4]
وَأَهْدَتْ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَهُمْ مَا هُمُ مِنْ أُسْرَةِ ٱلْفَخْرِ وَٱلْمَجْدِ
ثَنَاءً يَقُولُ ٱلْمِسْكُ إِنْ ذَاعَ عَرْفُهُ أَيَا لَكَ مِنْ نَدٍّ أَمَالَكَ مِنْ نِدٍّ
ومَا ٱلطَّلُّ فِي ثَغْرٍ مِنَ ٱلزَّهْرِ بَاسِمٍ بِأَذْكَى وَأَصْفَى مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ وُدِّي[4]
إِلَيْكَ ٱبْنَ زَيْدٍ قَدْ تَرَامَى رِكَابُهَا فَمَا أَنْتَ مِنْ عَمْرٍو لَدَيَّ وَلا زَيْدِ
يَمِيناً بِمَهْوَى ٱلْبَدْرِ فِي عَقِبِ ٱلدُّجَا وَقَدْ رَاحَ مِنْ زُهْرِ ٱلْكَوَاكِبِ فِي وَفْدِ
لأَنْتَ ٱلذِي مَهْمَا دَجَا لَيْلُ حَادِثٍ قَدَحْتَ بِهِ لِلنُّورِ وَارِيَةَ ٱلزَّنْدِ
وَمَا ٱلْمَاءُ فِي جَوْفِ ٱلسَّحَابِ مُحَفَّزاً بِأَطْهَرَ ذَاتاً مِنْكَ فِي كَتِدِ[5] ٱلْمَهْدِ

---

(1) لعل ابن عاصم أو من يخاطبه قد بعث له برسالة أو قصيدة.

(2) محمد بن أحمد بن منخَل الغَافِقِي من أهل غرناطة وسكن وادي آش من أعيان الأندلس كان وزيراً معروفاً بعَنَائِهِ في جهاد العدو، أديب لغوي راوية (الإحاطة2/136).

(3) السراب وماء بالبادية وشجر والمقصود هنا مكان ينبت فيه شجر البان (القاموس 3/79).

(4) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(5) مجتمع الكتفين أو ما بين الكاهل إلى الظهر والمَهْدُ ما انخفض من الأرض وهُيِّءَ (القاموس 1/329)=

(177)[1]

[الطويل]

و(98) / فَكَمْ ثَارَ بِي وَجْدٌ إِلَيْكَ مُبَرِّحٌ ... فَظَلَّتْ يَدُ الأَشْوَاقِ تَقْدَحُ مِنْ زَنْدِي[2]

وصَفَّقَ حَتَّى ٱلرِّيحُ فِي لِمَمِ ٱلرُّبَا ... وَأَشْفَقَ حَتَّى الطِفْلُ فِي كَبِدِ ٱلْمَهْدِ

بِعَيْشِكَ خَبِّرْنِي - وَمَا زِلْتَ مُفْضِلاً - ... أَعِنْدَكَ مِنْ شَوْقٍ كَمِثْلِ ٱلَّذِي عِنْدِي[2]

حَنِينَاً لِعَهْدٍ مِنْكَ كُرِّمَ عَهْدُهُ ... حَنِينَ ٱلظِّمَاءِ ٱلْعَاطِشَاتِ إِلَى ٱلْوِرْدِ

يُقَابِلُنِي مِنْكَ ٱلصَّبَاحُ بِوَجْنَةٍ ... حَكَى شَفَقاً فِيهَا ٱلْحَيَاءُ ٱلَّذِي تُبْدِي[2]

وَتُوهِمُنِي ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ غُرَّةً ... بِوَجْهِكَ صَانَ ٱللَّهُ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّي[2]

مُحَيَّاكَ أَجْلَى فِي ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلضُّحَى ... وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلشَّهْدِ

وَمَا أَنْتَ إِلاَّ ٱلشَّمْسُ فِي عُلْوِ أُفْقِهَا ... تُفِيدُكَ مِنْ قُرْبٍ وتُلْحَظُ مِنْ بُعْدِ

منَ ٱلْقَوْمِ صَانُوا ٱلْمَجْدَ صَوْنَ عُيُونِهِمْ ... كَمَا قَدْ أَبَاحُوا ٱلْمَالَ يُنْهَبُ لِلرِّفْدِ

إِذَا ٱزْدَحَمَتْ يَوْماً عَلَى ٱلْمَالِ أُسْرَةٌ ... فَمَا ٱزْدَحَمُوا إِلاَّ عَلَى مَوْرِدِ ٱلْمَجْدِ

وَمَهْمَا أَغَارُوا مُنْجِدِينَ صَرِيخَهُمْ ... يَشُبُّون نَارَ ٱلْحَربِ فِي ٱلْغَوْرِ وَٱلنَّجْدِ

وَلَمْ يَقْتَنُوا بَعْدَ ٱلثَّنَاءِ ذَخِيرَةً ... سِوَى ٱلصَّارِمِ ٱلْمَصْقُولِ وَٱلصَّافِنِ ٱلنَّهْدِ

وَمَا ٱقْتَسَمَ الأَنْفَالَ إِلاَّ مُمَدَّحٌ ... تَلاَهَا بِأَعْرَافِ ٱلْمُطَهَّمَةِ ٱلْجُرْدِ

أَتَنْسَى وَلاَ تَنْسَى لَيَالِيَنَا ٱلَّتِي ... خَلَسْنَا بِهِنَّ ٱلْعَيْشَ مِنْ جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ

رَكِبْنَا إِلَى ٱللَّذَاتِ فِي طَلَقِ ٱلصِّبَا ... مَطَايَا ٱللَّيَالِي وَادِعِينَ إِلَى حدِّ

= وفي المعنى غموض لكن قد يقصد أنه وهو في صُلب أبيه كان أطهر من ماء المطر.

(1) في المخطوط نجد القصيدتين رقم 176 ورقم 177 تؤلفان قصيدة واحدة: الأبيات الأحد عشر الأولى منها جاءت في آخر الصفحة قفا 97 وبقية القصيدة جاءت في أوّل الصفحة وجه 98، ثم نلاحظ أن الـ 11 بيتاً الأولى هي في مخاطبة ابن زيد الوادي آشي، وبقية الأبيات يُصبح الخطاب فيها لابن خلدون فلا شك أنه وقع تداخل في نظام الأوراق، أو سقوط لبعضها عند التسفير فتلاشى آخر القصيدة رقم 176 في مخاطبة ابن زيد. كما تلاشى أول القصيدة 177 في مخاطبة ابن خلدون.

(2) كلها بدون ياء في الأصل.

إِذَا لَمْ نَرِدْ فِيهَا ٱلْكُؤُوسَ فَإِنَّنَا ... وَرَدْنَا بِهَا لِلأُنْسِ مُسْتَعْذَبَ ٱلْوِرْدِ
لَقِيتُكَ فِي غَرْبٍ[1] وَأَنْتَ رَئِيسُهُ ... وَبَابُكَ لِلأَعْلاَمِ مُسْتَجْمَعُ ٱلْوَفْدِ
فَأَنَّسْتَ حَتَّى مَا شَكَوْتُ بِغُرْبَةٍ ... وَوَالَيْتَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَضَضَ ٱلْفَقْدِ
وَعُدْتُ لِقُطْرِي شَاكِراً مَا بَلَوْتُهُ ... مِنَ ٱلْخُلُقِ ٱلْمَحْمُودِ وَٱلْحَسَبِ ٱلْعَدِّ
ق(98) /إِلَى أَنْ أَجَزْتَ ٱلْبَحْرَ يَا بَرُّ نَحْوَنَا ... وَزُرْتَ مَزَارَ ٱلْغَيْثِ فِي عَقِبِ ٱلْجَهْدِ
أَلَذُّ مِنَ النُّعْمَى عَلَى حَالِ فَاقَةٍ ... وَأَشْهَى مِنَ ٱلْوَصْلِ ٱلْهَنِيِّ عَلَى صَدِّ
وَمَا ٱلْمَاءُ فِي جَوْفِ ٱلسَّحَابِ مُرَوَّقاً ... بِأَطْهَرَ ذَاتاً مِنْكَ فِي كَتِدِ ٱلْمَهْدِ[2]
فَكَيْفَ وَقَدْ حَلَّتْكَ أَشْرَافُهَا ٱلْحُلَى ... وَبَاهَتْ بِكَ الأَعْلاَمُ بِالْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ

وَمِنْهَا[3] :

وَإِنْ سَاءَنِي أَنْ قَوَّضَتْ رَحْلَكَ ٱلنَّوَى ... وَعُوِّضْتَ عَنَّا بالذَّمِيلِ وَبِالْوَخْدِ[4]
لَقَدْ سَرَّنِي أَنْ لُحْتَ فِي أُفْقِ ٱلْعُلَى ... عَلَى ٱلطَّائِرِ ٱلْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ ٱلسَّعْدِ
طَلَعْتَ بِأُفْقِ ٱلشَّرْقِ نَجْمَ هِدَايَةٍ ... وَجِئْتَ مَعَ الأَنْوَارِ فِيهِ عَلَى وَعْدِ

وَمِنْهَا[3] :

وَإِنِّي بِبَابِ ٱلْمُلْكِ حَيْثُ عَهِدْتَنِي ... مَدِيدُ ظِلاَلِ ٱلْجَاهِ مُسْتَصْحَبُ ٱلْعَقْدِ
أُجَهِّزُ فِي الإِنْشَاءِ كُلَّ كَتِيبَةٍ ... منَ ٱلْكُتْبِ وَٱلْكُتَّابُ فِي عَرْضِهَا جُنْدِي[5]
نَلُوذُ مِنَ ٱلْمَوْلَى الإِمَامِ مُحَمَّدٍ ... بِظِلٍّ عَلَى نَهْرِ ٱلْمَجَرَّةِ مُمْتَدِّ
وَدُونَكَ مِنْ رَوْضِ ٱلْمَحَامِدِ نَفْحَةً ... تَنُوبُ إِذَا ٱصْطَفَّ ٱلنَّدِيُّ عَنِ ٱلنَّدِ
بَقِيتَ ٱبْنَ خَلْدُونٍ إِمَامَ هِدَايَةٍ ... وَلاَ زِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ

---

(1) إشارة إلى سفر ابن زمرك إلى فاس مع الغني بالله سنة 760 والتقائه بابن خلدون.
(2) إعادة للبيت الحادي عشر من القصيدة السابقة وهذا ما يدعم أن القصيدة هي مقطوعتان.
(3) ٱلْوَخْدُ: الإِسْرَاعُ وَسَعَةُ ٱلْخَطْوِ وضده الذَّمِيلُ وهو السير الليّن (القاموس 1/341).
(4) هكذا في الطرة في الأصل. فالمقطوعة مختارات من قصيدة أطول.
(5) بدون ياء في الآخر، هكذا في الأصل.

(178)

وَقَالَ شَاكِراً عَنْ هَدِيَّةٍ:

[الكامل]

يَا نُكْتَةَ ٱلْمَعْنَى وَيَا بَيْتَ ٱلْقَصِيدْ ... يَا مَفْخَرَ ٱلدُّنْيَا وَيَا عَلَمَ ٱلْوُجُودْ

قَسَماً بِبَيْتِ ٱللَّهِ جَلَّ جَلاَلُهُ ... قَدْ حَفَّهُ بِالرَّاكِعِينَ وَبِالسُّجُودْ

مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ هَدِيَّةٍ ... مَوْرُوثَةٍ أَعْيَانُهَا عَنْ بَيْتِ جُودْ

مَاذَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ سَيِّدُ دَهْرِهِ ... وَكَرِيمُ أَهْلِ زَمَانِهِ أَنْ لاَ تَجُودْ؟

فَلِذَا أَنَامِلُكَ ٱلْمُلِثَّةُ[1] بِالنَّدَى ... تَسْقِي سَحَائِبُهَا ٱلتَّهَائِمَ وَٱلنُّجُودْ

وَعَلَيْكَ يَا عَلَمَ ٱلْهُدَاةِ تَحِيَّةٌ ... تُهْدِيكَ نَفْحَتُهَا شَذَى ٱلرَّوْضِ ٱلْمَجُودْ

(179)

و(99) / وَقَالَ يُرَاجِعُ نَظْماً كَتَبَ إِلَيْهِ بِهِ ٱلشَّرِيفُ عَبْدُ ٱلْعَالِي[2]:

[الكامل]

أَصْبَحْتُ بَيْنَ جَلاَلِهِ وَجَمَالِهِ ... أَعْزُو لِبَدْرِ ٱلتِّمِّ بَعْضَ كَمَالِهِ

أَهْدَى ٱلْمَحَاسِنَ وَهوَ مُنْفَرِدٌ بِهَا ... فَجَمَالُهُ وَقْفٌ عَلَى إِجْمَالِهِ

لِلَّهِ مِنْهُ نَيِّرٌ قَدْ أَصْبَحَتْ ... زُهْرُ ٱلنُّجُومِ تُعَدُّ مِنْ أُمَّالِهِ[3]

وَأَنَا ٱلَّذِي لَوْ كَانَ خُيِّرَ فِي ٱلْمُنَى ... فَبَقَاؤُكَ ٱلْمَأْمُولُ مِنْ آمَالِهِ

أَثْقَلْتَ مِنْ مِنَنِ ٱلْمَحَامِدِ كَاهِلِي ... فَيَخِفُّ ثَهْلاَنٌ لَهَا بِرِمَالِهِ

خَفِّضْ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْمَدِيحِ فَإِنَّهُ ... إِهْمَالُهُ قَدْ عَاذَ مِنْ إِعْمَالِهِ

مَلأَ ٱلسُّرُورُ حَقَائِباً أَعْدَدْتَهَا ... وَحَدَا إِلَيْكَ جِمَالَهُ بِجَمَالِهِ

---

(1) اللَّث: دوام المطر، إشارة إلى كرم الممدوح وعطاياه (القاموس 1/172).

(2) هل هو نفسه الشريف القاضي أبو المعالي المذكور آنفاً؟ الأرجح أنه هو نفسه.

(3) ج (أملّة) وهم أعوان الرجل (القاموس 3/320).

(180)

وَمِنْ مَقَاصِدِهِ الأَدَبِيَّةِ، وَرِيَاضَةِ طِرْفِ ٱلْحِجَى بِمَجَالِ ٱلأُحْجِيَّةِ[1]، قَوْلُهُ يُخَاطِبُ ٱلْقَاضِي أَبَا ٱلْعَبَّاسِ ٱلشَّرِيفَ[2] مُلْغِزاً فِي جَمَلٍ:

[الكامل]

حُوجِيتَ[3] يَا عَلَمَ ٱلْمَجَادَةِ وَٱلتُّقَى ... وَٱلْمُنْتَقَى مِنْ نُخْبَةِ ٱلأَشْرَافِ

بِمُكَلَّفٍ أَعْبَاءَ كُلِّ عَظِيمَةٍ ... وَبِنَفْسِهِ قَدْ جَادَ لِلأَضْيَافِ

أَضْيَافُ أَفْعَى قَدْ أَتَوا مِن وَصْفِهِ ... بِغَرَائِبٍ فِيهِ وَفِي ٱلْمِضْيَافِ

ومُقَلِّدٍ بَعْدَ ٱجْتِهَادٍ قَدْ أَتَى ... مِنْهُ لَنَا فِي ٱلْوَحْيِ خَيْرٌ وَافِ

عُطِفَ ٱلسَّمَاءُ عَلَى مُرَادِفِ جَمْعِهِ ... عَطْفاً يُعَدِّدُ بَاهِرَ ٱلأَلْطَافِ

وَأَرَى ٱبْنُه حَجَرٌ وَلَيْسَ بِشُعْلَةٍ ... مِنْ بِنْتِ زَنْدٍ أُسْقِطَتْ بِأَثَافِ

وَأَتَى ٱبْنُ نُوحٍ مِنْهُ بَعْدَ ثَلاثَةٍ ... مَعْطُوفَةٍ فِيْ ٱلذِكْرِ عَطْفَ تَنَافِ

ق(99) / وَلِنَجْلِهِ فَخْرٌ عَمِيمٌ خَالِدٌ ... بِأُبُوَّةِ ٱلصِّدِيقِ لَيْسَ بِخَافِ

وَلِزَوْجِهِ رُبُعُ ٱلثَّمَانِيَةِ ٱلَّتِي ... فِي سُورَةِ ٱلأَنْعَامِ لاَ ٱلأَعْرَافِ

فَضَلَتْهُ يَوْمَ ٱلْعِيدِ وَهُوَ مُفَضَّلٌ ... مِنْ دُونِهَا بِعَرُوبَةٍ لِمُوَافِ

وَمِنَ ٱلْغَرَائِبِ أَنَّهُ مِنْ آدَمٍ ... وَأَخُو ٱلنَّخِيلِ بِنِسْبَةٍ وَتَكَافِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا صَحِيحٌ نَقْلُهُ ... فَأُخُوَّةٌ فِي ٱلْعُلْوِ وَٱلإِشْرَافِ

وَلَهُ مَشَاعِرُ فِي ٱلْفَجِيجِ وَبَيْتُهُ ... يُغْرِي ٱلْمُصَلِّي عِنْدَهُ بِتَجَافِ

مُتَحَفِّياً بِالظَّاعِنِينَ فَطَالَمَا ... يَلْقَاهُمُ مِنْهُ بِبِشْرِ ٱلْحَافِ

وَإِذَا تَضُمُّ ثَلاَثَةً مِنْ لَفْظِهِ ... فَهُوَ ٱلْكِتَابُ كِتَابُ عِلْمٍ شَافِ

---

(1) نوع من شعر الألغاز وهو منتشر بين العلماء.

(2) انظر ما سبق عن القاضي أبي المعالي القصيدة رقم 159.

(3) أي قُدِّمَتْ لك أحجية.

صُرِفَتْ لَهُ يَوْماً تَحِيَّةُ مَاطِلٍ فَشَكَا لَهَا ٱلْمَمْطُولُ بِالإِجْحَافِ
وَلِبَعْضُ مَنْ تَحْوِي حَدِيثَ خُرَافَةٍ قَدْ عَرَّضَتْ مِنْهُ بِذِكْرِ عِجَافِ
وَٱللَّهُ مَنَّ بِهِ وَكَمْ مِنْ مِنَّةٍ فِيهِ لِذِي ٱلتَّجْوَالِ وَٱلتَّطْوَافِ
وَلَنَا جَمَالٌ فِي تَحَرُّكِهِ فَإِنْ أَذْهَبْتَ سَاكِنَهُ جَلَوْتَ ٱلْخَافِي[1]
وَإِذَا كَسَرْتَ ثَلاَثَةً مِنْ لَفْظِ ذَا فَهُوَ ٱلْجَمِيعُ وَآلَةُ الإِيلاَفِ
وَإِلَيْكَهُ بِالْوَصْفِ قَدْ أَوْضَحْتُهُ وَأَتَيْتُ فِي إِيضَاحِهِ بِالْكَافِي[2]
وَتَرَكْتُ مِنْ أَوْصَافِهِ لَكَ جُمْلَةً كَيْ لاَ تَبُوحَ لَنَا بِسِرٍّ خَافِ
وَٱلْقَلْبُ وَٱلتَّصْحِيفُ قَدْ أَلْغَيْتُهُ خَوْفاً مِنَ ٱلتَّطْوَالِ وَٱلإِسْرَافِ
وَلَقَدْ حَضَرْتُ لِنَظْمِهِ فِي سَاعَةٍ فَاخْلَعْ عَلَيْهِ حُلَّةَ الإِنْصَافِ
وَٱقْبَلْ مَعَاذِيرَ ٱلْبَدِيهَةِ إِنَّهَا عَجِلَتْ لِخَيْرِ مُصَادِقٍ وَمُصَافِ
وَٱللَّهُ يَحْفَظُهَا مَآثِرَ أُسْنِدَتْ عَنْ هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِ عَبْدِ مَنَافِ

(181)

و(100) / وَقَالَ أَيْضاً مُجِيباً عَنْ لُغْزٍ فِي شَمْسٍ:

[السَّرِيع]

يَا نُخْبَةَ الأَشْرَافِ[2] وَٱلْمَاجِدِينْ خُصِصْتَ بِالتَّفْضِيلِ دُنْيَا وَدِينْ
وَكَيْفَ لاَ يَفْضُلُ مَنْ قَدْ غَدَا لِسَيِّدِ ٱلْخَلْقِ مِنَ ٱلْمُنْتَمِينْ؟
مَنَاقِبٌ مِيرَاثُهَا صَائِرٌ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِلَى ٱلْعَالَمِينْ
شَمْسُ ٱلضُّحَى بِالْحُسْنِ مُمْتَالَةٌ قَدْ أُيِّدَتْ مِنْكَ بِهَدْيٍ مُبِينْ
هَذَا وَكَمْ أَوْضَحْتَ مِنْ آيَةٍ أَعْلَمُهَا ـ وَٱللهِ ـ عِلْمَ ٱلْيَقِينْ
وَصَفْتَ أُنْثَى حُسْنُهَا شَائِعٌ وَذِكْرُهَا يُتْلَى عَلَى ٱلذَّاكِرِينْ

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) المخاطب هو دائماً (أبو العباس الشريف) كما يظهر.

وَاحِـدَةٌ مِـنْ سَبْعَـةٍ[1] شُـرِّفَـتْ فَـالْقَسَـمُ ٱلْبَـرُّ بِهَـا لاَ يَمِيـنْ[2]

قَـدْ أَقْسَـمَ ٱللَّـهُ بِهَـا بِـاسْمِهَـا وَمَـرَّةً بَيْـنَ جَـوَارٍ تَبِيـنْ

تَسْكُـنُ فِـي ٱلأَبْـرَاجِ مُخْتَـالَـةً وَمَـا تُـرَى قَـطُّ مِـنَ السَّـاكِنِيـنْ

فِي ٱلْعُلْوِ في ٱلسُّفْلِ وإنْ جِئْتَهَا فِي مَسْجِدٍ تُلْفَى مِنَ ٱلسَّاجِدِينْ

هَـوَادِجُ الأَظْعَـانِ مَهْجُـورَةٌ إنْ لَـمْ تَكُـنْ في جُمْلَـةِ ٱلظَّاعِنِيـنْ

يَصْحَبُهَـا مَهْمَـا بَـدَتْ دَائِمـاً مِـنْ خِـدْرِهَـا بَعْـضُ شَتِيـمٍ لَعِيـنْ

طَـائِـرَةٌ فـي ٱلْجَـوِّ لَكِنَّهَـا تَقْلِبُهَـا طَـائِفَـةٌ مِـنْ مَـرِيـنْ

تُقَـاسُ بِـالشِّبْـرِ وَفِـي سَيْـرِهَـا مَـرَاحِـلٌ شَقَّـتْ عَلَـى ٱلسَّـائِـرِيـنْ

تَـزُورُنَـا كُـلَّ صَبَـاحٍ وَفِـي طَـرِيقِهَـا مُنْتَبَعَـدٌ مِـنْ سِنِيـنْ

يَقْـدُمُهَـا مِـنْ قَبْلِهَـا زَائِـرٌ بِـالـزُّورِ وَٱلصِّـدْقِ عَيَـاءً يَـدِيـنْ

قَـدْ رَفَعَـتْ بَنْـداً لَـهُ خَـافِقـاً وَخَلَّفَـتْ مَـنْ خَلْفَـهُ فِـي ٱلْكَمِيـنْ

وَفِتْيَـةٍ صَـالِحَـةٍ قَـدْ جَفَـتْ وَخَلَّفَتْهُـمْ دُونَهَـا نَـائِمِيـنْ[3]

ق(100) / وَعَسْكَـرُ ٱلـزَّنْـجِ مُنَـافٍ لَهَـا تَهْـزِمُـهُ مَهْمَـا بَـدَتْ مِـنْ كَمِيـنْ

وَجَـاءَ فـي ٱلتَّنْـزِيـلِ وَصْـفٌ لَهَـا مُـرَادِفُ ٱلْمِصْبَـاحِ لِلْفَـاهِمِيـنْ

قَـدْ جُعِلَـتْ فِيـهِ دَلِيـلاً عَلَـى مُصَـاحِـبٍ قَـدْ عُـدَّ فِـي ٱلتَّـابِعِيـنْ

إنْ حُجِبَـتْ كَـمْ مِـنْ عُيُـونٍ بَكَـتْ فَتَضْحَـكُ الأَزْهَـارُ لِلنَّـاشِقِيـنْ

قَـدْ حُجِبَـتْ فَـاعْتَـدَّهَـا حَسْـرَةً ذُوْ قُـوَّةٍ مِـنْ عِلْيَـةِ ٱلْمُـرسَلِيـنْ

بِمُـرْسَـلاَتٍ مُنْـزِلٌ بَـأْسَـهُ أَمْسَـتْ بِـهِ مِـنْ جُمْلَـةِ ٱلْهَـالِكِيـنْ

كَـمْ ظَـاهِـرٍ تُخْفِيـهِ عَنَّـا وَكَـمْ مِـنْ ذِي خَفًـى تُبْدِيـهِ لِلنَّـاظِـرِيـنْ

إنْ ظَهَـرَتْ كَـانَـتْ لَنَـا آيَـةً أَضَـافَهَـا ٱلْـوَحْـيُ لِنُـورٍ مُبِيـنْ

---

(1) يقصد ما أقسم بها الله في القرآن من الكائنات (الضحى، الفجر، الليل، الصبح، النجم، القمر والشمس .

(2) هو الكذب.

(3) يشير إلى أصحاب الكهف.

أَوْ رَجَعَتْ كَانَتْ إِذًا آيَةً ... خُصَّ بِهَا ٱثْنَانِ مِنَ ٱلْمُكْرَمِينْ[1]

سَاجِدَةٌ فِي لَيْلِهَا كُلِّهِ ... وَيَوْمَهَا مِنْ جُمْلَةِ ٱلسَّابِحِينْ

مُبْصِرَةٌ مِنْ غَيْرِ عَيْنٍ وَكَمْ ... ضَلَّتْ بِهَا مِنْ أُمَمٍ مُبْصِرِينْ

تُعْطِي لِمَنْ يَسْأَلُهَا قُرْصَةً ... عَنْهَا يَتِمُّ ٱلْقُوتُ لِلآكِلِينْ

قِصَّتُهَا فِي ٱلذِّكْرِ مَشْهُورَةٌ ... تُنْعَى عَلَى قَوْمٍ مِنَ ٱلْكَافِرِينْ

قَدْ نَقَلَتْهَا ٱلنَّمْلُ عَنْ طَائِرٍ[2] ... يَسْتَخْرِجُ الأَسْرَارَ لِلْشَّارِبِينْ

دِينَارُهَا يُطْبَعُ مِنْ عَسْجَدٍ ... عَيْنٍ وَفِي ٱلْعَيْنِ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينْ

يَرْجَحُ فِي ٱلْمِيزَانِ إِنْ حَلَّهُ ... وَإِنْ غَدَا من غَيْرِ جِنْسٍ رَصِينْ

تَسْبَحُ فِي ٱلْبَحْرِ وَيَا رُبَّمَا ... يُضِيفُهَا فِي ٱلْبَيْتِ لَيْثُ ٱلْعَرِينْ

كَمْ فَجَّرَتْ نَهْرَ نَهَارٍ وَكَمْ ... قَدْ أُلْبِسَتْ مِنْ دِرْعِ لَيْلٍ حَصِينْ

تَكْمُنُ فِي ٱللَّيْلِ مَدَى لَيْلِهَا ... وَيُصْبِحُ ٱلنَّجْمُ لَدَيْهَا رَهِينْ

(101)و / وَيَسْتَرِيحُ ٱلسَّفْرُ مِنْهَا إِلَى ... ظِلٍّ ظَلِيلٍ وَزُلاَلٍ مَعِينْ

وَاحِدَةٌ فِي ٱلْعَيْنِ لَكِنَّهَا ... تُهْدَى بِهَا الأَبْصَارُ لِلْبَاصِرِينْ

إِنْ تُكْحَلُ ٱلْعَيْنُ بِهَا أَبْصَرَتْ ... لَوْ تُرِكَتْ مِنْ دُونِهَا لاَ تَبِينْ

عِبَادَةُ ٱلنُّسَّاكِ مَرْبُوطَةٌ ... بِمَا غَدَتْ تُلْقِيهِ لِلآذِنِينْ

إِذَا ٱلْمُصَلِّي قَدْ رَعَى حَقَّهَا ... جَاءَ بِهَا فِي حَلْبَةِ ٱلسَّابِقِينْ

عَجُوزُ دَهْرٍ بِنْتُ يَوْمٍ وَقُلْ ... مُعَنَّسٌ[3] تُحْسَبُ فِي ٱلْفَارِكِين

لُعَابُهَا إِنْ سَالَ فِي أَبْطَحٍ ... رَدَّتْ بِهِ ٱلْوَاصِلَ فِي ٱلْهَاجِرِينْ

بَنَاتُهَا فِي ٱللَّيْلِ مَشْهُورَةٌ ... وَفِي سَنَى ٱلصُّبْحِ مِنَ ٱلْهَارِبِينْ

---

(1) هما النبي يوشع بن نون والرسول صلى الله عليه وسلّم أرجع الله لهما الشمس آية.

(2) يقصد طائر الهدهد في قصة سليمان عليه السلام وملكة سبأ.

(3) المعنّس والعانس هي البنت التي طال مكثها في أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج (القاموس 2/231).

(4) الفارك هي المرأة يبغضها الرجال (المصدر السابق 3/305). والمعنى واضح.

سَلِيمَــةٌ فِــي جِسْمِهَــا تُبْتَلَــى ... بِآفَةٍ فِي ٱلْوَجْهِ فِي بَعْضِ حِينْ[1]

تُـدَاسُ بِـالـرِّجْـلِ وَكَـمْ قَـدْ مَشَـتْ ... فَـوْقَ رُؤُوسِ ٱلسَّـادَةِ الأَكْـرَمِيـنْ

تُضَـاحِـكُ الأَنْهَـارَ مَهْمَـا بَـدَتْ ... فَتُشْعِــلُ ٱلنَّــارَ بِمَــاءٍ مَعِيــنْ

تُشْجَـى مِـنَ ٱلْبَيْــنِ فَتَعْتَـادُهَـا ... فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ صُفْـرَةٌ لِلْحَنِيـنْ

كَــمْ عَـاشِــقٍ يَــرْقُبُهَـا دَائِمـاً ... يُبَــدِّلُ ٱلْكُسْـوَةَ فِـي كُـلِّ حِيـنْ

يُحِبُّهَــا ٱلنَّــاسُ وَلاَ تُنْكِــرُوا ... أَنْ حَبَّهـا[2] بَعْـضٌ مِـنَ ٱلْعَـاقِلِيـنْ

كَـالْـدَّهْـرِ فِـي أَلْـوَانِـهِ كَثْـرَةٌ ... أَمْثَـالُـهُ فِيهَـا مِـنَ ٱلسَّـائِـرِيـنْ

يَنْطِــقُ عَــنْ أَشْــوَاقِــهِ حَــالُـهُ ... وَجِنْسُـهُ لَيْـسَ مِـنَ ٱلنَّـاطِقِيـنْ

وَفِــي نَبَــاتٍ عَــاشِــقٌ مِثْلُــهُ ... يَلْوِي لَهَا الأَعْنَاقَ فِي كُلِّ حِينْ

وَأَيْنَمَــا قَــدْ وَجَّهَــتْ تُلْفِــهِ ... يُـومِـي لَهَـا فِـي يُسْـرَةٍ أَوْ يَمِيـنْ

وَكَــاسُــهُ إِنْ غَيَّبَــتْ وَجْهَهَــا ... يَضُمُّــهُ فِعْــلَ شَحِيــحٍ ضَنِيــنْ

ق(101) / وَآخَــرُ مَهْمَــا تَــزُرْ زَارَهَــا ... وَإِنْ تَغِـبْ فَهْـوَ مِـنَ ٱلْغَـائِصِيـنْ

كُـورِيَّـةُ ٱلشَّكْـلِ فَـإِنْ كُـوِّرَتْ[3] ... فَـآخِـرُ ٱلْعُهْـدَةِ بِـالْعَـالَمِيـنْ

تَبَــارَكَ ٱللَّــهُ فَكَــمْ حِكْمَــةٍ ... قَدْ أُودِعَتْ مِنْ أَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينْ

تَـرَكْـتُ مِـنْ أَوْصَـافِهَـا جُمْلَـةً ... مَخَـافَـةً مِـنْ أَعْيُـنِ الـرَّاقِبِيـنْ

تَفْضَحُهَـا مِـنْ بَيْـنِ جُـلاَّسِهَـا ... وَتُخْـرِجُ ٱلسِـرَّ عَـنِ ٱلْكَـاتِمِيـنْ

وَٱلْقَلْـبُ وَٱلتَّصْحِيـفُ لَـوْ سُقْتُـهُ ... أَتَيْـتُ مِـنْ أَوْصَـافِهَـا بِـالْمِئِيـنْ

لاَ بُـدِّلَـتْ عَـنْ حَـالِهَـا إِنَّهَـا ... قَـارِعَـةٌ تَنْـزِلُ بِـالْمُنْـذَرِيـنْ

فَهَـاكَهَـا شَمْسـاً بَـدَا نُـورُهَـا ... يَبْهُـرُ مِـنْ أَوْصَـافِهَـا ٱلسَّـامِعِيـنْ

نَقَـدْتُـكَ ٱلتَّبْيِيـنَ مِـنْ يَـوْمِـهِ ... بِمَـا غَـدَا صَعْبـاً عَلَـى النَّـاقِدِيـنْ

---

(1) يشير إلى ظاهرة الكسوف.

(2) الأفصح (أحب) أما (حب) فشاذٌ (القاموس 1/50).

(3) يشير إلى الآية ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وذلك من علامات الساعة (سورة التكوير: 81، الآية: 1).

فَــلاَ تَــزَلْ مُظْهِــرَ سِــرِّ الْعُلَــى يَـا نُخْبَـةَ ٱلأَشْرَافِ وَٱلْمَـاجِـدِيـنْ

(182)

وَقَالَ أَيْضاً مُلْغِزاً فِي حُوتٍ:

[السريع]

حَـاجَيْتُـكَ[1] مَـا ٱسْـمٌ لَـهُ مَنْـزِلٌ فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْعُلْوِي لِمَنْ يَسْتَبِينْ؟
وَٱللَّـــهُ قَـــد عَـــدَّدَهِ نِعْمَـــةً لِمَـنْ عَلَـى الأَرْضِ مِـنَ السَّـاكِنِيـنْ
قَـد جَـاءَ فـي ٱلْـذِّكْـرِ لَـهُ مَـوْضِعَـا نِ ٱثْنَـانِ ذَكِّـرْ بِهِمَـا ٱلْـذَّاكِـرِيـنْ
كِـــلاَهُمَـــا فـــي آيَـــةٍ آيَـــةٍ خَصَّـتْ نَبِيَّيْـنِ مِـنَ ٱلْمُـرْسَلِيـنْ[2]
تَصْحِيفُـــهُ قَطْـــعُ فَـــلاَةٍ لِمَـــنْ يَضْرِبُ في الأَرْضِ مِنْ ٱلسَّائِحِينْ[3]
وَٱسْـمٌ لِبَعْـضِ ٱلْخَيْـلِ فِـي لَـوْنِهَـا يَصْلُـحُ لِلْضِـدَّيْـنِ في كُـلِّ حِيـنْ[4]
وَجَمْعُـــهُ وَصْـــفُ لَيَـــالٍ وَقَـــدْ أَوْضَحْتُـهُ كَـالصُّبْـحِ لِلْسَّـامِعِيـنْ
وَإِنْ تُصَحِّـــفْ بَعْضَـــهُ تُلْفِـــهِ ذَنْبـاً نَعَـاهُ ٱلْـوَحْـيُ لِلْخَـاطِئِيـنْ
و(102) / وَإِنْ تُصَحِّـفْ بَعْـضَ مَقْلُـوبِـهِ فَـإِنَّـهُ ٱسْـمٌ لِنَبِـيِّ مَكِيـنْ[5]
أَوْ فِعْـلُ مَـنْ يَفْضَـحُ أَسْـرَارَهُ وَلَيْـسَ لِلْسِـرِّ مِـنَ ٱلْكَـاتِمِيـنْ[6]
أَوْ ٱسْـمُ بَعْـضِ ٱلْجَـارِيَـاتِ ٱلّتِـي قَـدْ ذُكِـرَتْ فـي جُمْلَـةِ ٱلْسَّـابِحِيـنْ
وهَـاكَـهُ ٱلْشَّمْـسَ بَـدَا وَجْهُهَـا وَلَفْظُهَـا وَٱللَّـهِ لِلْنَّـاظِـرِيـنْ

---

(1) الخطاب دائماً لأبي العباس الشريف في الظاهر.
(2) يأتي ذلك في القَصَص، في قصة يونس وكيف ٱبتلعه الحوت؛ وفي قصة موسى وفتاه وكيف فرّ منهما الحوت وهي العلامة التي يبحث عنها موسى (راجع كتب التفسير للمزيد).
(3) يقصد (جوب) وهو قطع الفلاة وخرقها (القاموس 1/49).
(4) يقصد (جوْن) وهو من الأضداد.
(5) الأرجح أنه يقصد سيدنا(نوح) عليه السلام.
(6) يقصد (بَوْح).

مُـرَادِفُ ٱسْـمِ مِنْـهُ حَـرْفٌ[1] أَتَـى ... فـي سُـوْرَتَـيْ وَحْـيٍ لَنَـا مُسْتَبِيـنْ

حَـيٌّ بِـلاَ قَلْـبٍ وَأَعْجِـبْ بِـهِ ... إِذْ صَـارَ لِـلأَرْضِ مِـنَ ٱلْحَـامِلِيـنْ

يَطْعَمُــهُ أَهْــلُ ٱلْجِنَــانِ الأُلَــى ... قَـدْ أَصْبَحُـوا مِـنْ خَـوْفِهِـمْ آمِنِيـنْ

وَأَقْسَــمَ ٱللَّــهُ ٱعْتِنَــاءً بِــهِ ... لِلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِي ٱلْمَكِين الأَمِينْ[2]

وَإِنَّــهُ بَعْــضُ حُــرُوفِ ٱلْهِجَـا ... يَـا نُخْبَـةَ الأَشْـرَافِ وَٱلْمَـاجِـدِيـنْ

(183)

وَقَالَ أَيْضَاً مُلْغِزاً في [ ][3]:

[الكامل]

حَـاجَيْتُكُـمْ[4] بِمُسَبِّـحٍ أَوَّابِ ... وَبِخَـاشِـعٍ مِـنْ عِلْيَـةِ الأَحْبَـابِ

وَبِقَـائِـمٍ وَبِصَـائِـمٍ وَمُهَجِّـرٍ ... وَبِخَـاشِـعٍ مِـن عِلْيَـةِ الأَحْقَـابِ

كَـانَ ٱلنَّبِـيُّ يُحِبُّـهُ وَلَنَجلُـهُ ... فـي صَحْبِـهِ مِـنْ خِيـرَةِ الأَصْحَابِ

في ٱلسَّاجِدِينَ الأَوَّلِينَ وَكَمْ هَدَى ... مِـنْ جـائِـرٍ قَـدْ ضَـلَّ وَسْـطَ يَبَـابِ

وَمَـعَ ٱلَّـذِيـنَ عَلَيْهِـمُ قَـدْ أَنْعَـمَ الـ ... رَّحْمَـانُ فـي وَحْـيٍ أَتَـى وَكِتَـابِ

أَعْجِـبْ بِـهِ وَالقَلْـبُ مِنْـهُ مُخَـادِعٌ ... يُغْـرِي الـذِّئَـابَ بِـهِ بِلُبْـسِ ثِيَـابِ

وَلَــهُ لآدَمَ نِسْبَــةٌ فــي خَلْقِــهِ ... قَـامَ ٱلـدَّلِيـلُ بِهَـا عَلَـى ٱلْمُـرْتَـابِ

وَبِـهِ نَبِـيٌّ فـي ٱلسُّجُـودِ قَـدْ ٱقْتَـدَى ... مِـنْ بَعْـدِهَـا أَصْغَـى بِسَمْـعِ خِطَـابِ

وَلَقَـدْ أُضِيـفَ إِلـى يَمِيـنٍ فَـاتْلُهَـا ... يُخْبِـرْكَ تَـالِيهَـا إِذاً بِعُجَـابِ

ق(102) / وَلَئِـنْ أُضِيـفَ إِلَيْـهِ لَهْـفٌ طَـالَمَـا ... أَبْـدَى رَقِيمـاً مِـنْ حُلّـى وَمَـلاَبِ

عَـنْ ثَـابِـتٍ عَـنْ رَافِـعٍ قَـدْ أُسْنِـدَتْ ... فِـي ٱلْحَـجِّ عَنْـهُ صَحَـائِـحٌ بِثَـوَابِ

---

(1) مرادف الحوت: (النُّونُ)، وهو حرف أي حرف النون، وجاء في سورتي (ن والقلم)، و(ذا النون...).

(2) إشارة إلى الآية (نۤ والقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ) (سورة القلم: 52 الآية: 1).

(3) لعله ألغز في أحد الصحابة والغالب أنه عمر رضي الله عنه انظر البيت قبل الأخير من القصيدة.

(4) الخطاب لأبي العباس الشريف أو للمخاطَب عامة. لأن ما بعد قوله: «ملغزاً في» قد سقط.

أَرْسَى عَلَى مَاءٍ سَفِينَتَهُ وَقَدْ مُنِعَتْ بِهِ مِنْ جَيْئَةٍ وَذَهَابِ
أَغْزَى بِهِ قِدْماً خَطِيبٌ نَاصِحٌ مُتَقَدِّمٌ فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلْمِحْرَابِ
وَلَقَدْ عَلاَ وَٱلْحُوتُ يَعْلُو فَوْقَهُ وَكِلاَهُمَا قَدْ سَارَ فَوْقَ سَحَابِ
وَلَكَمْ دَنَا وَالحُوتُ يَكْمُنُ تَحْتَهُ وَكِلاَهُمَا قَدْ صَارَ تَحْتَ سَرَابِ
مِنْ أَحْمَرٍ أَو أَبْيَضٍ أَوْ أَصْفَرٍ وَمُشَارِكٍ فِي لَوْنِهِ لِغُرَابِ
فِي الأَرْضِ أَصْلٌ فِي السَّمَاءِ فَرْعُهُ وَالشَّمْسُ مِنْهُ تَبَرْقَعَتْ بِنِقَابِ
وَلَرُبَّمَا حَجَبَ البُدُورَ لِنَاظِرٍ وَالنَّجْمُ فِيهِ بَدَا بَغَيْرِ حِجَابِ
وَبِهِ اليَرَاعُ مَعَ القَنَا قَدْ جُمِّعَتْ وَبِصَفْحِهِ خَطًّا بِغَيْرِ كِتَابِ
عَلَمٌ أَتَى وَمُنَكَّرٌ فِي حَالَةٍ نَصْبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ فِي الأَعْرَابِ
أَعْجِبْ بِهِ مِنْ سَاكِنٍ مُتَحَرِّكٍ فِي حَالَةٍ لَتَزِيدُ فِي الإِعْجَابِ
تُهْدِي لَكَ الأَحْقَافُ دَأْبًا ذِكْرَهُ وَالوَحْيُ فِيهِ لِغَيْرِ ذِي أَلْبَابِ
وَإِلَيْكَهُ فَاسْئَلْ بِهِ أَوْصَافَهُ وَاطْلُبْهُ فِي الأَعْرَافِ وَالأَحْزَابِ
وَتَرَكْتُ من أَوْصَافِهِ لَكَ جُمْلَةً كَيْ لاَ تَبُوحَ بِهِ إِلَى الْخُطَّابِ
أَخْفَيْتُهُ جُهْدِي وَلَكِنْ بَعْدَمَا أَظْهَرْتُ كَيْفَ تَصَرُّفُ الآدَابِ
كَالدُّرِّ فِي أَصْدَافِهِ وَالزَّهْرِ فِي أَكْمَامِهِ وَالشَّمْسِ خَلْفَ ضَبَابِ
فِي رِقَّةٍ كَالغَيْثِ خَلْفَ سَحَابِ وَجَزَالَةٍ كَاللَّيْثِ خَلْفَ الغَابِ
وَلَنَا بِتَمْرِينِ القَرَائِحِ إِسْوَةٌ بِسُؤَالِ مُخْتَارٍ لِخَيْرِ صِحَابِ
و(103) / وَيَقُولُ فَارُوقُ الهُدَى لَوْ قُلْتَهَا لأَبِنٍ لَهُ فِي غَايَةِ اسْتِحْبَابِ
فَتَجَمَّعُوا لِبَيَانِهِ وَفَقْتُمُ يَا مَعْشَرَ الأُدَبَاءِ وَالكُتَّابِ

(184)

وَقَالَ أَيْضاً مُلْغِزاً فِي كَاغِدٍ: [المجتث]

خُدُّهُ كَقَلْبِكَ لَوْناً وَصَفْحَةِ البَدْرِ صَفْحَهْ

وَاقْلِبْ وصَحِّفْ تَجِدْهُ دَعَاكَ تَرْمُقُ صُبْحَهْ

(185)

وَقَالَ مُجِيباً [ ][1] وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ[2] فِي طِرْسٍ أَحْمَرَ يَطْلُبُ حُوتاً:

[السريع]

أُقْسِمُ بِالشُّهْبِ إِذَا مَا جَرَتْ وَأَدْهَمُ اللَّيْلِ لَهَا فِي الكَمِينْ

يُضَاحِكُ البَرْقَ وَقَدْ رَاقَهُ بِأُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ صُبْحٌ مُبِينْ

وَرَوْضَةُ الأُفْقِ التِي زُيِّنَتْ لِزَهْرِ زُهْرٍ رَائِقِ النَّاظِرِينْ

قَدْ حَلَّقَ النَّسْرُ بِهَا لَيْلَهُ وَطَارِقُ النَّجْمِ لَدَيْهَا رَهِينْ

يُغْرِقُهُ نَهْرُ النَّهَارِ الذِي قَدْ سَالَ بِالرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينْ

أُقْسِمُ بِاللهِ وَآيَاتِهِ يَمِينَ صِدْقٍ بَرَّةً لاَ تَمِينْ

لَقَدْ أَتَيْتَ الفَضْلَ مِنْ بَابِهِ مُفَاخِراً آبَاءَكَ الأَكْرَمِينْ

أَصَالَةٌ قَحْطَانُ تَبْأَى بِهَا وَتَسْحَبُ الفَخْرَ عَلَى المُنْتَمِينْ

وَمَا عَسَاكَ القَوْلُ فِي مِثْلِهَا وَأَنْتَ مَنْ تَدْرِيهِ دُنْيَا وَدِينْ

وَلَمْ تَزَلْ تَفْضُلُ أَعْلاَمَنَا بِرَاجِحِ الحِلْمِ وَعَقْلٍ رَصِينْ

قَضِيَّةٌ فِي الفَضْلِ مَشْهُورَةٌ أَعْلَمُهَا وَاللهِ عِلْمَ اليَقِينْ

رِيَاسَةُ الكُتْبِ إِلَيْكَ انْتَهَتْ قَدْ ظَاهَرَتْ مِنْكَ القَوِيَّ الأَمِينْ[3]

يُمْنَاكَ إِنْ خَطَّتْ عَلَى مُهْرَقٍ تَسْتَعْبِدُ الحُرَّ بِمِلْكِ اليَمِينْ

ق(103) / تَوَّجْتَنِي تَاجَ الوَقَارِ الَّذِي قَدْ عَصَبَ الفَخْرُ بِهِ مِنْ جَبِينْ

وَلَيْسَ بِدْعاً ذَاكَ مِنْ بَعْدِ مَا أَوْلَيْتَنِي الفَضْلَ بِطُولِ السِنِينْ

أَهْدَيْتَنِي بِكْرَ البَيَانِ الَّتِي تُزْرِي بِحُورٍ فِي المَعَانِي وَعِينْ

(1) بياض في الأصل هكذا.

(2) حسب السياق يبدو ان ابن زمرك يخاطب دائماً صديقه القاضي ابا العباس الشريف.

(3) يشير إلى تولي ابن العباس الشريف خطة الكتابة في ذلك العهد قبل توليه القضاء.

مُحْمَـرَّةُ الـوَجْنَـةِ إذْ أَقْبَلَـتْ   تَفْتِنُ بِالسِّحْرِ حِجَى السَّامِعِينْ[1]
يَـاقُـوتَـةٌ قَـدْ ضُمِّنَـتْ جَـوْهَـراً   تُـزْرِي عَلَـى كُـلِّ خَطِيـرٍ ثَمِيـنْ
أَهْـدَانِـيَ الفَضْـلُ بِهَـا وَرْدَةً   بَـاكُـورَةَ النُّـوَّارِ لِلنَّـاشِقِيـنْ
كَتَبْـتَ فِـي الـوَرْدِ وَيَـا حَبَّـذَا   وَتَـارَةً تَكْتُـبُ فِـي اليَـاسَمِيـنْ
جَـزَالَـةٌ تُـذْعِـرُ أُسْـدَ الشَّـرَى   وَرِقَّـةُ العَـذْبِ الـزُّلاَلِ المَعِيـنْ
كَـالسَّيْـفِ إذْ يَخْشُـنُ فِـي مَسِّـهِ   وَحَلْيُـهُ يَحْسُـنُ لِلْمُبْصِـرِيـنْ
كَـالشَّمْـسِ لاَ تُخْـرِقُ أَنْـوَارُهَـا   كَـالـدَّهْـرِ يَمْضِي بَيْنَ بَـاسٍ وَلِيـنْ
قَـدْ خَطَّهَـا النَّجْـلُ الـرَضِـيُّ الـذِي   لِقَـومِـهِ فِـي الخَـطِّ سِحْـرٌ مُبِيـنْ
لِلَّـهِ مِـنْ بَحْـرِ بَيَـانٍ غَـدَا   بِمَجْمَـعِ البَحْـرَيْـنِ نِعْـمَ الخَـدِيـنْ
أَفْصَـحَ لِـي يَطْلُـبُ حُـوتـاً بِهَـا   وَتِلْـكَ فِيهَـا سُنَّـةُ المُـرْسَلِيـنْ
أَلاَ تَـرَى مُـوسَـى وَقَـدْ حَلَّهَـا   أَصْبَـحَ لِلْحُـوتِ مِـنْ الطَّـالِبِيـنْ
فِـي سُـورَةِ الكَهْـفِ لَهَـا قِصَّـةٌ   مَنْصُوصَةٌ مِنْ أَصْدَقِ القَائِلِينْ[2]
فَـلاَ بَـرِحْـتَ الـدَّهْـرَ يَـا سَيِّـدِي   تَحُـوزُ فِـي العِـزِّ مَـدَى السَّـابِقِينْ
وَأَخْتِـمُ النَّظْـمَ بِفَـأْلٍ لِمَـنْ   قَـدْ شَـرَّفَ اللهُ بِـهِ المُسْلِمِيـنَ:
نَصْـرٌ مِـنَ اللهِ وَفَتْـحٌ قَـرِيـبْ   يُبَشِّـرُ المَـوْلَـى بِـهِ المُـؤْمِنِيـنْ

(186)

وَقَالَ فِي مَعْرِضِ العِتَابِ:

[الكامل]

و(104) اللهُ يَعْلَـمُ أَنَّنِـي إنْ أَصْبَحَـتْ   نَفْسِـي اللَّجُـوجُ كَثِيـرَةَ الإِسْـرَافِ
مَا سِرْتُ فِي الأَصْحَابِ إلاَّ سِيرَةً   مَشْمُـولَـةَ الأَوْصَـافِ بِـالإِنْصَـافِ

---

(1) يشير إلى رسالة صديقه ابي العباس الشريف وقد جاءت في طرس أحمر.
(2) يشير إلى قصة موسى والخضر.

فَلَرُبَّ مَنْزُورِ[1] النَّبَاهَةِ عَاطِلٍ ... مَا إِنْ لِدَاءِ ضَيَاعِهِ مِنْ شَافِ
أَقْطَعْتُهُ جَاهِي وشِدْتُ بِذِكْرِهِ ... وَخَصَصْتُهُ بِعَوَارِفِ الأَلْطَافِ
وَعَصَيْتُ فِيهِ عَوَاذِلِي وَكَسَوْتُهُ ... بُرْدَ الوَجَاهَةِ ضَافِيَ الأَعْطَافِ
لَمْ أَبْغِ مِنْهُ جَزَاءَهَا وَكَفَاءَهَا ... مَا كُنْتُ أَبْغِي مِنْهُ غَيْرَ كَفَافِ
فَإِذَا بِهِ يَنْتَاشُ[2] عِرْضِيَ جَاهِداً ... وَيَظُنُّ إِتْلاَفِي بِغَيْرِ تَلاَفِ
كَلاَّ فَإِنَّ اللهَ عَوَّدَ عَبْدَهُ ... يَتْلُو قَوَادِمَ لُطْفِهِ بِخَوَافِ
آلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ بَعْدَ مَوَدَّتِي ... وَقْفاً عَلَى الحُسَبَاءِ وَالأَشْرَافِ

(187)

وَقَالَ عَلى لِسَانِ شَارِبِ خَمْرٍ أَكْثَرَتْ البَعُوضُ مِنْ لَسْعِ وَجْهِهِ:

[الطويل]

شَرِبْتُ دَمَ العُنْقُودِ مِنْ غَيْرَ حِلِّهِ ... فقَيَّضَ لِي الأَوْبَاشَ تَشْرَبُ مِنْ دَمِي[3]
بَعُوضٌ إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ انْبَرَيْنَ لِي ... يَعُودُ بِهَا جِلْدِي مَشُوباً بِعَنْدَمِ[4]
تَرِنُّ كَمَا رَنَّ الرَّبَابُ مُطَرِّباً ... وَيَرْمِينَ عَنْ قَوْسِ الرَّبَابِ بِأَسْهُمِ

(188)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ مُلَحِهِ، فِي مِثْلِ طَيْلَسَانِ ابنِ حَرْبٍ:

[الكامل]

وَبُلِيتُ مِنْ زَمَنِي بِلُبْسِ غِفَارَةٍ ... فَكَأَنَّمَا طَلَلٌ مِنَ الأَطْلاَلِ
أَكَلَ الزَّمَانُ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا ... وَتَخَرَّبَتْ بِتَخَرُّبِ الأَحْوَالِ

---

(1) من النزر وهو القليل.
(2) جذب اللحم ونحوه قرْصًا (القاموس 2/287).
(3) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(4) دم الاخوين وهو نوع من النبات الأحمر اللون كالدم (المصدر السابق 4/152).

لَوْ كَانَ لِي قَمْحٌ أُعَالِجُ طَحْنَهُ   لَمْ أَفْتَقِرْ مَعَهَا إِلَى غِرْبَالِ
وَلَوْ انَّ كُلَّ النَّاسِ رَامُوا رَفْوَهَا   مَنَعَتْ جَمِيعَهُمْ عَنِ الأَشْغَالِ
فَكَأَنَّهَا قَدْ مُتِّعَتْ أَوْ خُلِّدَتْ   حَتَّى تَكُونَ غِفَارَةَ الدَّجَالِ

(189)

ق(104) / وَقَالَ فِي مَدْحِ العِذَارِ:

[الكامل]

أَلِفُ العِذَارِ وَلاَمُهُ فِي خَدِّهِ[1]   قَدْ زَادَ فِيهِ لِلْجَمِيلِ جَمَالاَ
فَإِذَا هَمَمْتُ بِسَلْوَةٍ مِنْ حُبِّهِ   قَالَ العِذَارُ لِخَدِّهِ: لاَ لاَ لاَ

(190)

وقَالَ أَيْضاً في مَدْحِهِ مُضَمِّناً: [البسيط]

لاَمَ العِذَارَ أُنَاسٌ فَوْقَ وَجْنَتِهِ   وَشَبَّهُوهُ بِلَيْلٍ غَيْرَ مُنْتَقِلِ
فَقُلْتُ ذَاكَ الذِي أَبْغِيهِ مِنْهُ لأَنْ   أَزُورَهُ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي[2]

(191)

وَقَالَ أَيْضاً فِي ذَلِكَ مُضَمِّناً: [الكامل]

قَلَمُ العِذَارِ بِصَفْحِ خَدِّكَ قَدْ وَشَى   خَطّاً تَحَارُ لِحُسْنِهِ الأَوْهَامُ
فَإِذَا بَدَا لِلْعَاشِقِينَ تَنَاشَدُوا   «أَهْلاً بِمَا خَطَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ»

(192)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلِهِ مُوَرِّياً:

[البسيط]

أَنْكَرْتَ آسَ عِذَارٍ حَفَّ وَجْنَتَهُ   فَقَالَ: مَهْلاً فَمَا لِلآسِ مِنْ بَاسِ

---

(1) يشير إلى شعر جانبي اللحية عند الغلام كأنه في شكل ألف ولام.
(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

خَدِّي رَأَى الطَّرْفَ قَدْ أَعْيَا السَّقَامُ بِهِ   فَجَاءَهُ لِيُزِيلَ السُّقْمَ بِالآسِي

(193)

وَقَالَ أَيْضاً فِي المَعْنَى:

[البسيط]

أَنْكَرْتَ آسَ عِذَارٍ حَفَّ وَجْنَتَه   وَذَاكَ جَهْلٌ فَمَا بِالآسِ مِنْ بَاسِ
رَأَى المُحِبِّينَ قَدْ أَوْدَى السَّقَامُ بِهِمْ   فَجَاءَهُمْ لِعِلاَجِ السُّقْمِ بِالآسِي[1]

(194)

وَقَالَ فِي ذَمِّهِ مُضَمِّناً:

[البسيط]

لاَ يَسْتَوِي صُبْحُ وَجْهٍ رَاقَ نَاصِعُهُ   وَذُو عِذَارٍ كَلَيْلٍ لَيْسَ يَنْصَرِمُ
(وَمَا انتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ   إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ)[2]

(195)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

[المجتث]

و(105) / قَابَلْتُ وَجْهَ الإِمَامِ   قَابَلْتُ بَدْرَ التَّمَامِ
البَدْرُ يَخْجَلُ مِنِّي   فَيَخْتَفِي فِي الغَمَامِ

(196)

وَقَالَ وَرُسِمَ فِي طَاقٍ[3] بِدَارِ الصَّنْعَةِ[4] مِنْ مَالَقَةَ[5]:

---

(1) الآس في البيت الأول هو الزهر المعروف، أما في البيت الثاني فالمقصود به الآسي وهو الطبيب؛ وقد جاء هكذا بدون ياء في الآخر في الأصل.

(2) تضمين لبيت المتنبي المشهور من القصيدة التي مطلعها: (وآحَرَّ قلباه ممن قلبه شبم..) (الديوان4/80).

(3) الطاق ما عطفت من ابنية (القاموس 3/152)

(4) هي دور تكون للفرجة والزيارة يبالغ في نقشها وتزينها.

(5) مدينة من أعمال ريّة سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية (ياقوت معجم البلدان 4 /397).

[الخفيف]

هَا أَنَا مَرْقَبٌ لِبَدْرِ كَمَالٍ ... نُورُهُ يَمْلأُ الوُجُودَ ضِيَاءَ
مُسْتَعِينٌ بِاللهِ فِي كُلِّ حَالٍ ... زَادَهُ اللهُ بَهْجَةً وَبَهَاءَ
صَانَ دِينَ الإِلَاهِ بَرًّا وَبَحْرًا ... وَكَفَاهُ بِسَيْفِهِ الأَعْدَاءَ
دَامَ فِي عِزَّةٍ وَرِفْعَةِ شَانٍ ... فَائِقاً فِي كَمَالِهِ الخُلَفَاءَ

(197)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ تَحِيَّاتِ الصَّبَاحِ:

[الطويل]

أَلا عِمْ صَباحاً جَاءَ بِالفَتْحِ وَالنَّصْرِ ... فَذَا أَوْرَثَ الأَنْصَارَ[1] فَخْرَ بَنِي نَصْرِ
أَحَقًّا نُجُومُ السَّعْدِ عَادَتْ مُنِيرَةً ... لِتَطلُعَ بِالحَمْرَاءِ[2] فِي مَرْقَبِ القَصْرِ
وَيَتْبَعُهَا مَوْلاَيَ بَدْراً مُكَمَّلاً ... فَلِلَّهِ مِنْ شُهْبٍ وَلِلَّهِ مِنْ بَدْرِ
فَلاَ زَالَ فِي حِفْظِ الإِلاَهِ وَلُطْفِهِ ... بِحَقِّ نَبِيٍّ خُصَّ بِالنَّصْرِ فِي بَدْرِ
وَدَامَ قَرِيرَ العَيْنِ فِي ظِلِّ غِبْطَةٍ ... وَأُيِّدَ بِالتَّخْصِيصِ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ
وَلاَ زَالَ سِتْرُ اللهِ فَوْقَكَ ضَافِياً ... تُؤَيِّدُ فِي بَرٍّ وَتُنْصَرُ فِي بَحْرِ
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا لاَحَتْ الأَنْوارُ مِنْ مَطْلَعِ الفَجْرِ

(198)

ق(105) / وَقَالَ أَيْضاً:

[مجزوء الرمل]

أَنْعَمَ اللهُ صَبَاحَكْ ... بَلَّغَ اللهُ اقْتِرَاحَكْ
زَادَكَ اللهُ جَمَالاً ... وَفَّرَ اللهُ قِدَاحَكْ

---

(1) في الأصل (الأنصارُ) بالرفع ولا وجه لذلك لأن فاعل اورث هو (ذا) وهو يعود على الممدوح؛ والمعنى يشير إلى ان بني نصر اصلهم من الأنصار وجدهم الأعلى هو سعد بن عبادة سيد الخزرج. رضي الله عنه.

(2) يقصد قصر الحمراء وهو قصر سلاطين بني نصر بغرناطة.

(199)

وَقَالَ فِي خَطِّهِ:

[مجزوء الرمل]

مُسْتَعِيـــــــنٌ بِـــــــالإلآهِ زَادَهُ الـــرَّحْمَـــانُ بَسْطَـــهْ
كُـــلُّ مَـــا فِيـــهِ بَـــدِيـــعٌ سِيَّمَـــا إنْ شُفْـــتَ[1] خَطَّـــهْ

(200)

وَقَالَ شَاكِراً عَنْ مَلْفٍ[2]:

[البسيط]

يَا مَنْ كَسَا الدَّهْرَ مِنْ أَمْداحِهِ حُلَلاً وَبَلَّـغَ الْمُلْـكَ مِـنْ تَمْهِيـدِهِ الأَمَـلاَ
وَأَلْبَسَ الـدِّيـنَ وَالـدُّنْيَـا وَأَهْلَهُمَـا ثِيَـابَ فَخْـرٍ تَنَـاهَـتْ عِـزَّةً وَعُـلاَ
أَلْبَسْتَنِـي مِـن ثِيَـابِ الفَخْـرِ رَائِقَـةً تَعْنُـو النُّجُـومُ لَهَـا عِـزًّا وَمُشْتَمَـلاَ
جَاءَتْ بِفَضْلِكَ فَضْلاَتٌ[3] مَنَنْتَ بِهَا مُنَـوَّعَـاتٌ بِـأَلْـوانٍ يَـرُقْـنَ حُـلاَ
وَكَـمْ وَكَـمْ قَبْلَهَـا أَوْلَيْـتَ مِـنْ نِعَـمٍ قَدْ خَوَّلَتْ مِنْ نَدَاكَ الخَيْلَ وَالخَوَلاَ[4]
لِلَـهِ دَرُّكَ يَـا مَـوْلاَيَ مِـنْ مَلِـكٍ تُهْدِي لِيُمْنَـاكَ أَمْـلاَكُ الـوَرَى قُبَـلاَ
مِنْ بِشْرِ وَجْهِكَ شَمْسُ الأُفْقِ مُشْرِقَةٌ مِنْ نُورِ هَدْيِكَ بَدْرُ التِمِّ قَدْ كَمُلاَ
بِـالمُسْتَعِيـنِ يَنَـالُ الـدِّيـنُ بُغْيَتَـهُ فَقَـدْ جَـرَى جُـودُهُ فِـي أَهْلِـهِ مَثَـلاَ
أَكْرِمْ بِهِ مُنْعِماً لَمْ يَدْرِ غَيْرَ نَعَمْ فَمَـا يَقُـولُ لِمُـرْتَـادِ السَّمَـاحَـةِ: لاَ

---

(1) شُفْتُهُ شَوْفاً جَلَوْتُهُ (القاموس 155/3).

(2) لعلها (مِلَفّ) وهو لحاف يلتف به (القاموس 190/3) او هي (مِلْف) كما في الأصل وهي نوع من القماش.

(3) هي القطعة الكبيرة من القماش التي تصلح لصنع عدة أثواب وهي مستعملة اليوم في اللغة الدارجة التونسية ولعلها كانت شائعة في اللغة الأندلسية اليومية لأنه لا وجود لهذا المعنى المضبوط في القاموس.

(4) خَوَّلٌ وَتَخَوَّلَ فلاَناً تَعَهَّدَهُ، الخَوَلُ مما أعطاك الله من النعم والعبيد والاماء وغيرهم من الحاشية (القاموس 360/3).

و(106) / فَالشَّمْسُ تَصْفَرُّ مِنْ أَوْصَافِهِ خَجَلاً — وَالزَّهْرُ يَبْسِمُ مِنْ أَمْدَاحِهِ جَذَلاَ
بُلِّغْتَ فِي المُلْكِ مَا تَرْجُوهُ مِنْ أَمَلٍ — وَأَنْجَحَ اللهُ مِنْكَ القَوْلَ وَالعَمَلاَ

(201)

وَقَالَ شَاكِراً أَيْضاً عَن دَوَاةٍ وَخَرْطَبٍ[1] أَهْدَاهُمَا إِلَيْهِ[2] وَيَصِفُ ذَلِكَ:

[الكامل]

يَا بَدْرَ تِمٍّ فِي سَمَاءِ خِلاَفَةٍ — يُهْدِي الضِّيَاءَ إِلَى النُّجُومِ فَتَهْتَدِي[3]
أَهْدَيْتَنِي مَشْمُولَةً بِمَحَاسِنٍ — كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِالأَسْعُدِ
مَوْشِيَّةَ الأَعْطَافِ رَائِقَةَ الحُلَى — فَاقَتْ مَحَاسِنُهَا التِي لَمْ تُعْهَدِ
شَمْسٌ يَرُوقُ النَاظِرِينَ جَمَالُهَا — كَمْ زَانَهَا مِنْ حَلْيِهَا مِنْ فَرْقَدِ
لِلَّهِ مِنْهَا قُبَّةٌ مَرْفُوعَةٌ — قَدْ مُوِّهَتْ أَرجَاؤُهَا بِالْعَسْجَدِ
أَبْوَابُهَا قَدْ فُتِحَتْ مِنْ حَوْلِهَا — لِوُفُودِ سَعْدٍ بِالبَشَائِرِ مُسْعِدِ
مِثْلَ القِسِيِّ تَوَشَّحَتْ وَتَرَفَّعَتْ — أَوْ كَالمَحَارِبِ صُفِّفَتْ لِتَهَجُّدِ
وَلَكَمْ كَوَاكِبُ فَوْقَهَا مِنْ فِضَّةٍ — تُزْهَى بِدُرٍّ لِلْجَمَالِ مُنَضَّدِ
صَمَتَتْ وَقَدْ نَطَقَتْ لَنَا أَشْعَارُهَا — بِبَشَائِرٍ تَقْضِي بِنَيْلِ المَقْصَدِ
وَمِدَادُهَا المِسْكُ الفَتِيقُ لِنَاشِقٍ — يُهْدِي الثَنَاءَ إِلَى الإِمَامِ مُحَمَّدِ[4]
تَمْتَارُهُ[5] الأَقْلاَمُ ثُمَ تَمُجُّهُ — فَوْقَ ٱلْطُّرُوسِ لِقَارِئٍ أَوْ مُنْشِدِ
وَمُكَلَّلٍ بِالْوَشْيِ رَاقَ أَدِيمُهُ — جُمِعَتْ مَحَاسِنُهُ بِشَكْلٍ مُفْرَدِ
تَهْوِي لَهُ الأَقْلاَمُ عِنْدَ جَمَامِهَا — وَتَبِيتُ مِنْهُ بِرَاحَةِ ٱلْمُتَوَسِّدِ
وَلَهُ أَنَامِلُ خَمْسَةٌ قَد صُفِّفَتْ — مِنْ ظَهْرِهِ لِلْقَاصِدِين بِمَرْصَدِ

---

(1) كلمة ليست عربية فلا وجود لها في القاموس فهي دخيلة ولعلها إسبانية ويبدو أنها تدل على نوع من (المِقْلَمَةِ) التي تُصَفَّفُ فيها الإقلام عند عدم الاستعمال، انظر خاصة البيت الثالث عشر.

(2) أي الغنيّ بالله.

(3) هكذا في الآخر بدون ياء في الأصل.

(4) هو السلطان الغني بالله.

(5) تَمْتَارُ: تأخذ وتستمدّ (القاموس 2/129).

ق(106) / خَضَبَ الأَنَامِلَ بِالسَّوَادِ تَفَاؤُلاً ... لِوَلِيِّهِ بِالْمُرْتَجَى وَالسُّؤْدَدِ
قَدْ عَوَّذَتْ مَوْلاَيَ مِنْهَا خَمْسَةٌ ... مِنْ عَيْنِ كُلِّ مُضَلِّلٍ أَوَ مُعْتَدِ
مَوْلاَيَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءَكَ إِنَّهُ ... بَحْرٌ بِأَمْوَاجِ الْمَحَامِدِ مُزْبِدِ
أَهْدَيْتَنِي مَوْلاَيَ كُلَّ غَرِيبَةٍ ... جَاءَتْ مَعَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ لِمَوْعِدِ
أَتْحَفْتَنِي مِنْهَا بِكُلِّ مُشَرِّفٍ ... وَلِكُلِّ مَا أَبْلَى الزَّمَانُ مُجَدِّدِ
فَعَلَيْكَ يَا فَخْرَ الْمُلُوكِ تَحِيَّةٌ ... يُهْدَى الأَمَانُ بِهَا لِكُلِّ مُوَحِّدِ

(202)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَعَ خَمْسَةِ أَقْلاَمٍ: [الطويل]

بَعَثْتَ بِأَمْثَالِ الأَنَامِلِ عِدَّةً ... تُعَوِّذُ مَوْلاَنَا بِخَمْسِ أَنَامِلِ
أَلَمْ تَرَ عَيْنَ[1] الشَّمْسِ تَرْقُبُ حُسْنَهُ ... فَيَصْفَرُّ مِنْهَا وَجْهُهَا بِالأَصَائِلِ
وَإِنْ غَرَبَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ فَإِنَّهُ ... يَغَارُ بِبَدْرٍ مِنْ مُحَيَّاكَ كَامِلِ
أَنَامِلُ إِنْ خَطَّتْ بِهِنَّ أَنَامِلٌ ... يَنَالُ بِهَا مَرْغُوبَهُ كُلُّ آمِلِ
تُخَطُّ بِهَا مِنْ «صَحَّ هَذَا» عَلاَمَةٌ[2] ... يَصُوبُ النَّدَى مِنْهَا بِهَامٍ وَهَامِلِ

(203)

وَقَالَ يُعَزِّيهِ فِي وَلَدٍ احْتَسَبَهُ[3]: [الطويل]

تَصَبَّرْ فَفِي أَمْثَالِهَا يُخْذَلُ الصَّبْرُ ... وتُكْسَفُ شَمْسُ الأُفْقِ فِي الأُفْقِ وَالبَدْرُ
وَتَبْكِي نُجُومُ اللَّيْلِ مِلْءَ جُفُونِهَا ... فَتُسْعِدُهَا سُحْبٌ لأَدْمُعِهَا قَطْرُ
و(130) [3]/ وَفِي كُلِّ جَفْنٍ مَدْمَعٌ مُتَحَدِّرٌ ... يُصَعِّدُهُ وَجْدٌ يَجِيشُ بِهِ الصَّدْرُ
وفِي كُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٌ قَدْ سَمَا لَهَا ... زَفِيرٌ لَهُ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ جَمْرُ
فَقَدْ غَابَ نَجْمٌ كَانَ مَرْقَبُهُ الْعُلَى ... وَقَدْ غَابَ بَدْرٌ كَانَ مَطْلَعَهُ الْقَصْرُ

---

(1) جاءت «عين» مرفوعة في الأصل ولعله سهو من الناسخ.
(2) هي امضاء الغني بالله.
(3) ثبت منها في هذا الموضع البيتان الأوّلان ونقلنا سائر القصيدة من الورقة وجه (130) لاضطراب في الترتيب (انظر ص 290 التعليق: 2).

فَـوَارَحْمَتَـا غَـالَ ٱلْغُـرُوبُ طُلُـوعَـهُ وَأَعْجَلَـهُ فِـي حِيـنِ مَقْـدَمِـهِ ٱلسَّفْـرُ
فَأَنَّى لِرَوْضٍ نَضْرَةُ ٱلرَّوْضِ بَعْدَمَا تقَصَّفَ فِي رَوْضِ ٱلْعُلَى الْغُصُنُ ٱلنَّضرُ
وَمَـا كَـانَ إلاَّ وَافِـداً بِبِشَـارَةٍ تَقَـدَّمَـهُ ٱلْفَتْـحُ ٱلْمُـؤَزَّرُ وَٱلنَّصْـرُ
وَعَـادَ إِلَـى ٱلْفِـرْدَوْسِ أَكْـرَمَ شَـافِـعٍ لِمَـوْلًـى لَـهُ مِنْـهُ ٱلْمَثُـوبَـةُ وَٱلأَجْـرُ
وَأَهْـدَى إِلَـى الأَنْصَـارِ مِنْـهُ وَدِيعَـةً سَيُرْجِعُهَا بِالْفَوْزِ مَوْعِدَنَا ٱلْحَشْرُ
لَئِـنْ كَـانَ أَمْسـاً فِـي كَفَـالَـةِ وَالِـدٍ سَيَكْفُلُـهُ فِـي يَـوْمِـهِ جَـدُّهُ نَصْـرُ
أَمَـوْلاَيَ وَٱلتَّسْلِيـمُ مِنْـكَ سَجِيَّـةٌ لِرَبٍّ لَهُ فِي خَلْقِهِ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ
وَكَمْ مِنْ عَبِيدٍ خَلْفَ بَابِكَ كُلِّهِمْ يُفَدِّيهِ بِالأَرْوَاحِ لَوْ يُفْتَدَى ٱلْعُمْرُ
وَسِنُّـكَ فـي سِـنِّ ٱلشَّبَـابِ وَبَعْـدَهُ بَنُـونَ لَهُـمْ فِي كُـلِّ مَكْـرُمَـةٍ فَخْـرُ
وَإِنْ غَابَ هَذَا ٱلنَّجْمُ مِنْ أُفْقِ ٱلْعُلَى سَتَخْلُفُـهُ مِـنْ إِخْـوةٍ أَنْجُـمٌ زُهْـرُ
وَإِنْ كَانَ أَذْوَى مِنْهُ في ٱلْقَصْرِ زَهْرَةً سَيُعْقِبُهَـا مِـنْ بَعْـدِهَـا أَبَـداً زَهْـرُ
تَقَـرُّ بِهِـمْ عَيْنـاً وَتَلْقَـى مَسَـرَّةً فَتَغْفِرُ لِلأَيَّامِ مَا قَدْ جَنَى ٱلدَّهْرُ
فَمَا ٱلدِّينُ وَٱلدُّنْيَا سِوَاكَ فَدُمْ لَنَا تُرَضِّي جَمِيعَ ٱلْخَلْقِ أَخْلاَقُكَ ٱلْغُرُّ
وَخَيْـرُ فَقِيـدٍ مَـنْ فَقَـدْتَ وَإِنَّمَـا سَيَعْظُـمُ عِنْـدَ ٱللهِ مِنْـهُ لَـكَ ٱلـذُّخْـرُ
فَـأَنْـتَ الإِمَـامُ ٱلْمُسْتَعِيـنُ بِـرَبِّـهِ وَمَنْ يَسْتَعِنْ بِـاللَّهِ حُقَّ لَهُ ٱلنَّصْرُ
عَلَيْـكَ سَـلاَمُ ٱللَّـهِ يَـا مَلِـكَ ٱلْعُلَـى وَلاَ زِلْـتَ تَلْقَـاكَ ٱلْمَسَـرَّةُ وَٱلْبِشْـرُ

(204)

و(107) [1] / وَقَالَ يُهَنِّئُهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِافْتِصادٍ[2]:

[الكامل]

آهْنَـأْ بِهَـا مِـنْ سُنَّـةٍ نَبَـوِيَّـةٍ[3] تَلْقَـاكَ بِـالْبِـرِّ ٱلْمُعَجَّـلِ وَٱلـرَّشَـدْ

---

(1) لم نُثبت من الصفحة (و107) إلاّ هذه المقطّعة في التهنئة؟ أمّا قسمُها الأوّل وهو الأطول فهو بقية قصيدةٍ هي رقم 83 ص 115 ـ جاءت في التهنئة بإبلال الغني بالله ووصف قصر سُنَيل كنّا ألحقناه بالقصيدة المذكورة، ونشأ كل ذلك عن اضطراب في ترتيب الأوراق عند التّسفير.

(2) افتصد وفصد شقّ العرق وطريقة فصْدِ الدم نوع من العلاج يُستعمل في الطبّ القديم وما زال مستعملاً إلى اليوم في بعض المجتمعات (القاموس 1/319).

(3) يشير إلى ما نجده في السّنة من أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يفتصد أحياناً.

عَجَباً لِقَاصِدِكَ ٱلْمُشَرَّفِ قَدْرُهُ　　كَيْفَ ٱرْتَقَى أَوْ حَلَّ مَنْزِلَةَ الأَسَدْ
فَالشَّمْسُ وَٱلْبَدْرُ ٱلْمُنِيرَةُ جُمِّعَا　　مِنْ وَجْهِ مَوْلاَنَا ٱلْخَلِيفَةِ فِي جَسَدْ
ق(107) / فَصَدَ ٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَلِذَاكَ مَا　　سَمَحَتْ لَهُ مِنَّا ٱلنُّفُوسُ بِأَنْ فَصَدْ
فَاسْتَقْبِلِ ٱلصُّنْعَ ٱلْجَمِيلَ بِغِبْطَةٍ　　وَٱبْشِرْ بِعَافِيَةٍ تَدُومُ إِلَى الأَبَدْ

(205)

وَقَالَ يَصِفُ ٱلْمُجَبَّنَاتِ[1] أَيْضاً وَيَشْكُرُهُ:　　[الطويل]

لَكَ ٱلْخَيْرُ يَا فَخْرَ ٱلْمُلُوكِ وَذُخْرَهَا　　فَنُعْمَاكَ قَدْ عَمَّ ٱلْمُلُوكَ جَسِيمُهَا
بَعَثْتَ شُمُوساً طَالِعَاتٍ تَجَرَّدَتْ　　مِنَ ٱلذَّهَبِ الإِبْرِيزِ صُفْراً جُسُومُهَا
فَإِنْ جُرِّدَتْ عَادَتْ مَجَاسِدَ فِضَّةٍ　　يَرُوقُ عُيُونَ ٱلْمُبْصِرِينَ وَسِيمُهَا
فَيَا حَبَّذَا مِنْهَا عَقَائِلُ قَدْ غَدَتْ　　يُطَيِّبُ أَنْفَاسَ ٱلرِّيَاحِ نَسِيمُهَا
فَلاَ زِلْتَ فِي أُفْقِ ٱلْخِلاَفَةِ طَالِعاً　　تُقَامُ بِهِ لِلْمَعْلُوَاتِ رُسُومُهَا

(206)

وَقَالَ يَشْكُرُهُ أَيْضاً رَحْمَةُ[2] اللهِ عَلَيْهِ وَيَصِفُ بَطِّيخاً وَلَبَناً وَلَحْماً أَهْدَاهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ:

[الطويل]

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً لاَ بَرِحْتَ مُنَعَّماً　　فَوَجْهُكَ صُبْحٌ نُورُهُ يَتَهَلَّلُ
يَرُوقُ عُيُونَ ٱلنَّاظِرِينَ جَمَالُهُ　　وَيُعْشِي سَنَاهُ كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ
أَنَا ٱلْعَبْدُ قَدْ أَسْكَنْتَهُ جَنَّةَ ٱلرِّضَا　　وَظِلُّ الأَمَانِي فَوْقَهُ يَتَهَدَّلُ
وَمَا أَنَا إِلاَّ طَائِرٌ حَلَّ جَنَّةً　　فَسَاجِعُهُ فِيهَا بِشُكْرِكَ يَهْدِلُ

---

(1) انظر القصيدة رقم (31) ورقم (77) في وصف المُجَبَّنة وهي أنواع من الفطائر تصنع بالدقيق وأنواع الجبن (راجع ملحق دوزي 1/172؛ و«الشعر الأندلسي» لبيريز 316).
(2) بالتاء المفتوحة في الأصل هكذا.

وَفَاتَحَنِي مِنهَا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ مُنَوَّعَةٍ مِنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ
و(108) / بِفَاكِهَةٍ تُهْدِي إِلى ٱلنَّفْسِ مَا ٱشْتَهَتْ وَلاَ سِيَّمَا وَٱلنَّفْسُ بِالصَّوْمِ تَذْمَلُ[1]
فَمُخْضَرَّةٌ أَشْكَالُهَا مِنْ زَبَرْجَدٍ وَمُصَفَّرَّةٌ مِنْ عَسْجَدٍ تَتَمَثَّلُ
وقَوْرَاءَ قُرْصُ ٱلشَّمْسِ مِنْ دُونِ حُسْنِهَا وَإِنْ قُسِمَتْ مِنْهَا الأَهِلَّةُ تَخْجَلُ
وَمَشْرُوبَةٍ بَيْضَاءَ دَارَتْ كُؤُوسُهَا وَلاَ الإِثْمَ تَخْشَاهُ وَلاَ الشَّرْعُ يَعْذِلُ
فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ فِطْرَةِ ٱلدِّينِ فِطْرَةً أَحَادِيثُهَا فِي ٱلْكُتْبِ تُرْوَى وَتُنْقَلُ
ضِيَافَةُ كُلِّ ٱلْخَلْقِ فِي بَدْءِ خَلْقِهِ عَلَيْهَا إِذَا وَافَى إِلَى ٱلكَوْنِ يَنْزِلُ
عَرَفْنَا هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ نَعْرِفَ ٱلْهَوَى وَلَمَّا نَزَلْ مِنْهَا نُعَلُّ وَنُنْهَلُ
وَمِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ أَهْدَيْتَ صُورَةً[2] إِذَا مَا تَرَقَّى ٱلْعَيْنُ فِيهَا تَسَهَّلُ
فَمِنْ لَحْمِهَا وَرْدٌ نَضِيرٌ مُنَعَّمٌ وَمِنْ شَمْسِهَا زَهْرٌ بِهِ يُتَجَمَّلُ
جَزَى ٱللهُ مَوْلاَنَا ٱلإِمَامَ مُحَمَّداً جَزَاءً بِهِ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ أَكْفَلُ
وَدَامَ وَشَمْسُ ٱلأُفْقِ تُزْهَى بِوَجْهِهِ وَبَدْرُ ٱلدَّيَاجِي مِنْ سَنَاهُ يُكَمَّلُ
وَدُونَكَ مِنْ صَوْنِ ٱلْعُقُولِ عَقِيلَةً أَتَاكَ بِهَا يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
نَفَائِسُ مِنْ بَحْرِ ٱلْبَيَانِ ٱغْتَرَفْتُهَا بِجَوْهَرِهَا تَاجُ ٱلْبُدُورِ يُكَلَّلُ

(207)

وقَالَ أَيْضاً يَمْدَحُهُ وَيَصِفُ صَيْدًا أَهْدَاهُ مِنْ قَنَصِ مَوْلاَنَا ٱلْوَالِدِ[3] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا وَغَيْرَ ذَلِكَ: [البسيط]

مَوْلاَيَ قَوْمُكَ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ لَهُمْ ذِكْرٌ يَقُصُّ لَنَا مِنْ جُودِهِمْ قَصَصَا
كَذَاكَ بَأْسُهُمُ المَرْهُوبُ فِي سِيَرٍ قَدْ خَلَّدَ ٱللهُ مِنْ آثَارِهِ قِصَصَا

(1) لعلّ ذلك كان في شهر رمضان المعظم.
(2) يقصد الجناس، من (سورة) و(صورة) والمعنى أنّ عطاياه ونعمه يتلوها كالسُّوَر.
(3) والد جامع الديوان هو السلطان أبو الحجاج يوسف الثاني (تولى سنة 793/1393).

ق(108) / يَا بَدْرَ تَمٍّ وَلَوْ يَحْظَى بِغُرَّتِهِ   بَدْرُ ٱلتَّمَامِ عَلَى الإِكْمَالِ مَا نَقَصَا

يَا نَيِّراً فِي سَمَاءِ ٱلْمُلْكِ مَطْلَعُهُ   قَدْ جَهَّزَ ٱلسَّعْدُ فِي أَفْلاَكِهِ حِصَصَا

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ ٱلْبَدْر ذُو قَنَصٍ   حَتَّى رَأَيْتُ وَلِيَّ ٱلعَهْدِ مُقْتَنِصَا

مِنْ كُلِّ رَافِلَةٍ فِي ٱلرِّيشِ قَدْ لَبِسَتْ   مِنْ وَشْيٍ صَنْعَاءَ فِي أَعْطَافِهَا قُمُصَا

قَدْ طَوَّقَتْ بِعَقِيقٍ جَفْنَ نَاظِرِهَا   وَسَامَ مِنْقَارُهَا ٱلْيَاقُوتَ أَنْ رَخُصَا

وَكُلُّ لاَبِسَةٍ فَرْواً تُمَزِّقُهُ ـا   جَوَارِحٌ خَالَسَتْ فِي خَتْلِهَا ٱلْفُرَصَا

لَوْ أَرْنَبُ ٱلْبَدْرِ قَدْ أَغْرَى جَو ـِحَهُ   بِصَيْدِهِ وَهُوَ فِي الأَفْلاَكِ مَا خَلَصَا

خَاضَ ٱلسَّمُومَ لَهَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ   عَلَى رِيَاضِ رِضَا مَوْلاَهُ قَدْ حَرَصَا

وَهَضْبَةٌ مِنْ جِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ غَدَتْ   تَرُدُّ عَنْ حِمْلِهَا مِنْ ثِقْلِهَا ٱلْقُلُصَا

قَدْ ضُمِّخَتْ بِعَبِيرٍ رَاقَ مَنْظَرُهَا   كَأَنَّهَا ذَهَبٌ فِي ٱلسَّبْكِ قَدْ خَلُصَا

لَمَّا أَتَاكَ بِهَا عُبْدَانُهُ[1] سَحَراً   أَهْدَيْتَهَا كَرَماً عُبْدَانَكَ ٱلْخُلَصَا

مَكَارِمٌ مِنْكَ لاَ تُحْصَى مَوَاهِبُهَا   وَهَلْ يَعُدُّ وَهَلْ يُحْصِي ٱلْبَلِيغُ حَصَا؟

(208)

وَقَال فِي هَدِيَّةٍ إِلَى مَوْلاَنَا أَيْضاً مِنْ أَبْنَائِهِ رَحْمَةُ الله وَرِضَاهُ عَلَى جَمِيعِهِمْ[2]:

[البسيط]

أَبْنَاءُ مَوْلاَيَ قَدْ أَهْدَوْا مَثَابَتَهُ   قَصْدَ ٱلتَّبَرُّكِ مَا ٱخْتَارُوا مِنَ ٱلنَّعَمِ

---

(1) جمع عبد وهو يجمع كذلك على (عَبْدُون) و(أَعْبُدُ).

(2) هذه القصيدة كانت تتركب على الراجح من قصيدتين: الأبيات الثلاثة الأولى هذه قيلت في الشكر عن هدية وبقية القصيدة هي في مدح الأمير سعد نجل الغني بالله ولا نرى ترابطاً واضحاً بين القصيدتين وقد جاءتا في المخطوط في قصيدة واحدة ولا وجه لذلك فأرجعناها إلى الأصل. وهذا الجمع بين القصيدتين ناشىء - مثلما وقع بالنسبة إلى القصيدة رقم 203 - عن غلط في نظام الصفحات عند تسفير المخطوط. فبالرجوع آلى المخطوط سنجد القصيدة (رقم 237) قيلت في مدح الغني بالله وابنه الأمير سعد ويبدو أنها مَبْتُورَة الآخر. فإن قمنا بعملية قلب بين الصفحات وذلك بأن نضع الصفحة في المخطوط وجه 109 قفا 109 عوض الصفحة من المخطوط وجه 120. قفا 120 نتحصّل على القصيدة الكاملة في مدح الأمير سعد. وتبقى الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة التّهنئة بالعيد غير تامة وذلك راجع لسقوط الصفحة الموالية من المخطوط.

فَصَادَفُوا مِنْهُ مَأْمُولَ ٱلْقَبُولِ وَقَدْ أَهْدَوْا لَهُ بَعْضَ مَا أَسْدى مِنَ ٱلنِّعَمِ
أَمَا تَرَى ٱلْعَبْدَ يُهْدِي ٱلرَّبَّ أَنْعُمَهُ وَٱلرَّبُّ يَقْبَلُ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمِ

(209)

و(109) [1]/ وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضاً رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ مِنْ قَصِيدَةٍ عِيدِيَّةٍ[2] حَذَفَ هُنَا ٱلْكَثِيرَ مِنْهَا لِتَكَرُّرِهِ فِي الأُخْرَى ٱلَّتِي أَوَّلُهَا:

ـ دَعْهَا تَحِنُّ إِلَى ٱلْعَقِيقِ وَبَانِهِ ـ[3] [الكامل]

عِيدٌ تَكَفَّلَ يُمْنُهُ بِأَمَانِهِ كَالعِقْدِ فُصِّلَ دُرُّهُ بِجُمَانِهِ
فَالعِزُّ قَدْ فَسَحَ ٱلْمَجَالَ أَمَامَهُ وَٱلسَّعْدُ يَمْرَحُ فِيهِ مِلْءَ عِنَانِهِ
ق(109) / قَطَعَ الشُّهُورَ مَرَاحِلاً مَعْدُودَةً تُزْجِي ٱلسُّعُودُ هِلاَلَهُ لأَوَانِهِ
حَتَّى أَتَى وَٱلْفَصْلُ مُعْتَدِلٌ وَقَدْ حَيَّا ٱلرَّبِيعَ بِهِ حَيَا نَيْسَانِهِ
وَكَسَا أَبَاطِحَهُ مَلاَبِسَ سُنْدُسٍ وَوَشَى مَطَارِفَهُ عَلَى كُثْبَانِهِ
وَٱلْجَوُّ قَدْ رَكَضَ ٱلْبُرُوقَ سَوَابِقاً جَارَتْ خَفُوقَ ٱلرِّيحِ فِي جَوَلاَنِهِ
فَكَأَنَّهُ شِعْرِي بِمَدْحِ مُحَمَّدٍ مَا زَالَ يُرْكِضُ فِيهِ خَيْلَ بَيَانِهِ[4]
وَٱلرَّوْضُ يَضْحَكُ عَنْ مَبَاسِمِ زَهْرِهِ وَٱلطَّيْرُ يَخْطُبُ فِي ذُرَى أَفْنَانِهِ
وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْمَطْلُولُ يَرْنُو نَحْوَهَا وَمَدَامِعُ الأَنْدَاءِ فِي أَجْفَانِهِ
لَمْ تَبْكِ فِيهِ ٱلسُّحْبُ إِلاَّ رَحْمَةً كَيْ تَكْسُوَ ٱلْعُرْيَانَ مِنْ أَغْصَانِهِ
لَمْ يَعْتَدِلْ فَصْلُ ٱلرَّبِيعِ بِرَوْضِهِ إِلاَّ وَقَدْ مَالَتْ مَعَاطِفُ بَانِهِ
صُنْعٌ بَدِيعٌ فِي مَظَاهِرِ حِكْمَةٍ وَدِلاَلَةُ ٱلتَّوْحِيدِ فِي إِتْقَانِهِ

---

(1) لم نُثبتْ من الصفحة و(109) إلا تقديم القصيدة (209) والبيتين الأوّلين منها؛ أما بقية الأبيات السابقة فنقلناها إلى القصيدة (237) (انظر ما سبق ص 247 تعليق 2).

(2) هي القصيدة المدحية التي قيلت في العيد.

(3) انظر القصيدة رقم 345 وهي آخر قصيدة في المخطوط بينما يشير الجامع إلى تقدّمها وفي ذلك تصرّفٌ في مخطوطنا في ترتيب القصائد عند النّسخ أو عند التّفسير.

(4) هذا البيت نفسه موجود في القصيدة 345 البيت عدد 16.

فَوَحَقِّ مَنْ قَامَ ٱلْوُجُودُ بِأَمْرِهِ   وَأَفَاضَ سُحْبَ ٱلْجُودِ في أكْوَانِهِ
مَا بَهْجَةُ ٱلدُّنْيَا وَعِصْمَةُ أَهْلِهَا   وَمُعِيدُ رُوحِ ٱلْمُلْكِ في جُثْمَانِهِ
إلاَّ الإمَامُ مُحَمَّدٌ فَهُوَ ٱلَّذِي   تُعْزَى مَحَاسِنُهَا إلى سُلْطَانِهِ
فَاللَّهُ أَعْطَاهُ ٱلَّتِي لاَ فَوْقَهَا   وَحَبَاهُ بِالْمَأْمُولِ مِنْ رِضْوَانِهِ
هَلْ عِنْدَ تَاجِ ٱلْبَدْرِ وَهْوَ مُكَلَّلٌ   بِالزَّهْرِ مُزْدَانٌ بِعُلْوِ مَكَانِهِ
أَنَّ ٱلدَّرَارِي في مَطَالِعِ أُفْقِهَا   حَسَدَتْ لآلِي ٱلدُّرِّ في تِيجَانِهِ

وَمِنْهَا[1]:

أَوَلَيْسَ فَخْرُكَ فِي ٱلْوُضُوحِ قَدِ ٱغْتَدَى   كَتْمُ ٱلصَّبَاحِ أَخَفَّ مِنْ كِتْمَانِهِ

ومنها[1]:

تَرْجُو مُلُوكُ الأَرْضِ مِنْكَ مُؤَمَّلاً   مِنْ حُسْنِهِ تَرْتَادُ أَوْ إحْسَانِهِ
فَلَكَمْ وَرَاءَ ٱلْبَحْرِ مِنْ مُتَمَلِّكٍ   أَبْلَغْتَهُ الأَوْطَارَ في أَوْطَانِهِ
و(110) / وَٱلْغَرْبُ يَعْرِفُ فَضْلَ مَا طَوَّقْتَهُ   مِنْ مِنَّةٍ تَضْفُو عَلَى سُكَّانِهِ[2]

وَمِنْهَا[1]

إنْ لَمْ أَصُغْ فِيكَ ٱلْمَمَادِحَ جَوْهَراً   تَتَنَافَسُ ٱلشُّعَرَاءُ في أَثْمَانِهِ
فَخَصَمْتُ في دَعْوَى البَلاغَةِ مِقْوَلي   حَتَّى يُعَطَّلَ مِنْ حُلِيِّ بَيَانِهِ

(210)

وَقَالَ مِنَ ٱلتَّهَانِي بِالإبْلاَلِ:   [الطويل]

أَرَى ٱلرَّوْضَ مِنْ دُرِّ الأَزَاهِرِ قَدْ حَلَّى   عَرَائِسَ دَوْحٍ في مِنَصَّتِهَا تُجْلَى[3]
وَزُهْراً مِنَ الأَزْهَارِ قَدْ لُحْنَ أَسْعُداً   علىَ ٱلْمَرْقَبِ ٱلْمَشْهُورِ في ٱلْمَظْهَرِ الأَجْلَى
وَنُوراً عَلَى نَوْرٍ إذَا مَا ٱجْتَلَيْتَهُ   يُقَيِّدُ مِنْكَ ٱلطَّرْفَ أَوْ يُذْهِلُ ٱلْعَقْلاَ

---

(1) هكذا في طرة الصفحة وهذا إشارة إلى أنّ الأبيات هي مختارات من قصيدة أطول.

(2) يشير إلى ما كان من نجدة الغني بالله لملك المغرب أبي العباس المريني في مناسبتين الأولى سنة 776 والثانية سنة 789.

(3) في الأصل كلّها بالألف الممدودة.

ثُغُـورٌ تَحُـومُ ٱلنَّحْـلُ حَـوْلَ رُضَـابِهَـا ... فَمِنْ طِيبِهِ قَدْ قِيلَ لِلشَّهْدِ: مَا أَحْلَى[1]!

تَـرَقْـرَقَ دَمْعُ ٱلطَّـلِّ فِي لَحْظِ نَـرْجِسٍ ... فَكَـمْ مَـدْمَـعٍ لِلْعَـاشِقِيـنَ بِـهِ طُـلاَّ

وَآسُ عِـــذَارٍ فَــوْقَ ثَغْـــرِ أَقَــاحَــةٍ ... يُقَبِّلُ خَدَّ ٱلْوَرْدِ فِي ٱلْوَجْنَةِ ٱلْخَجْلَى[1]

قِبَـابٌ عَلَـى أَعْلَـى ٱلْيَفَـاعِ تَبَـرَّجَـتْ ... تُغِيرُ بُرُوجَ ٱلشُّهْبِ فِي الأُفُقِ الأَعْلَى[1]

وَيَـا عَجَبـاً حَتَّـى صَحِيـحُ هَـوَائِهَـا ... يَصِـحُّ بِـهِ جِسْـمُ ٱلنَّسِيـمِ إِذَا اعْتَـلاَّ

وَمَهْمَا جَرَى لِلطَّرْفِ طِرْفٌ بِجَوِّهَا ... تَرَاهُ عَلَى خَصْلِ ٱلْجَمَالِ قَدِ ٱسْتَوْلَى[1]

وَقَـامَ خَطِيـبُ ٱلطَّيْـرِ يَـرْفَـعُ شُكْـرَهُ ... إِلَى اللَّهِ مَوْلاَنَا عَلَى صِحَّةِ ٱلْمَوْلَى[1]

بِهَـا تَـأْخُـذُ الأَيَّـامُ زِينَـةَ حُسْنِهَـا ... وَنَسْحَبُ فِي رَوْضِ ٱلسُّرُورِ بِهَا ٱلذَّيْلاَ

تَجَلَّـى بِـأُفْـقِ ٱلْمُلْـكِ نَيِّـرَ رَحْمَـةٍ ... فَـأَنْـوَارُهُ تُجْلَـى وَآثَـارُهُ تُتْلَـى[1]

وَمَـدَّ عَلَـى الإِسْـلاَمِ ظِـلَّ أَمَـانِـهِ ... فَمَـدَّ عَلَيـهِ ٱللَّـهُ مِـنْ سِتْـرِهِ ظِـلاَّ

ق(110) / سَرِيرَتُهُ ٱلرُّحْمَى وَسِيرَتُهُ ٱلرِّضَا ... وَهِمَّتُـهُ ٱلْعُلْيَـا وَشِيمَتُـهُ ٱلْفُضْلَـى

وَجَـازَاهُ عَنَّـا بِـالَّـذِي هُـوَ أَهْلُـهُ ... وَرَفَّعَ مِنْهُ ٱلذِّكْرَ فِي ٱلْمَلإِ الأَعْلَى[1]

وَمِنْهَا[2]:

وَذَا ٱلظَّاهِرُ ٱلْمَجْلُوُّ عُنْوَانُ بَاطِنٍ ... وَكُلٌّ إِلى التَّوْحِيدِ قَدْ نَهَجَ السُّبْلاَ

وَكُـلُّ جَمَـالٍ فِـي ٱلْـوُجُـودِ فَـإِنَّـهُ ... عَلَى ٱلْفَاطِرِ ٱلْخَلاَّقِ سُبْحَانَهُ[3] دَلاَّ

(211)

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ رَبِيعِيَّةٍ[4] خَتَمَهَا بِمَدحِهِ أَيْضاً حَيَّاهُ[5] الله بِرَحْمَتِهِ:

[الطويل]

زَمَـانُ ٱعْتِـدَالٍ قَـدْ أَجَـدَّ شَبَـابَـا ... وَأُلْبِـسَ مِـنْ زَهْـرِ ٱلـرَّبِيـعِ ثِيَـابَـا

---

(1) في الأصل كلّها بالألف الممدودة.

(2) هكذا في طرة الصفحة وهذا إشارة إلى أن الأبيات هي مختارات من قصيدة أطول.

(3) في الأصل (سبحنه) بدون ألف وهذا من الرسم القرآني.

(4) أي في وصف الربيع.

(5) هكذا في الأصل، ولعلّها «حَبَاهُ».

أَجِلْ نَظَراً فِي ٱلدَّوْحِ تُكْسَى أَزَاهِراً ... وَقَدْ رَفَعَتْ بَيْنَ الرِّيَاضِ قِبَابَا
ثُغُورٌ تَرُوقُ ٱلْعَيْنَ مِنْهَا مَبَاسِمٌ ... تَرَى ٱلنَّحْلَ تَجْنِي بَيْنَهُنَّ رُضَابَا
وَقَبَّلَ خَدَّ الوَرْدِ ثَغْرُ أَقَاحِهِ ... فَمَدَّ عَلَيْهِ لِلْحَيَاءِ نِقَابَا
وَيُرْسِلُ دَمْعَ ٱلطَّلِّ مِنْ لَحْظِ نَرْجِسٍ ... فَيَعْلُو بِأَكْوَاسِ ٱلْعَرَارِ حَبَابَا
وَكَمْ غُصُنٍ لِلآسِ يَعْلُوهُ زَهْرُهُ ... كَمِثْلِيَ فِي حَالِ ٱلشَّبِيبَةِ شَابَا
وَجَدَّدَ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَشِيبِ شَبَابَهُ ... فَيَا لَيْتَ لِي بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ شَبَابَا
وَكَمْ أَعْيُنٍ لِلنَّوْرِ مِنْ فَوْقِ جَدْوَلٍ ... يُغَطِّي سَقِيطُ الزَّهْرِ مِنْهُ حَبَابَا
فَلَمْ أَدْرِ هَلْ دَمْعٌ بَكَتْهُ جُفُونُهَا ... أَمْ الصَّفْوُ مِنْ تِلْكَ الأَزَاهِرِ ذَابَا؟
وَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ فَوْقَ فَرْعِ أَرَاكَةٍ ... تُلاَفِي صَبَاهَا جَيْئَةً وَذَهَابَا
إِذَا حَدَّدَتْ آذَانَهَا ٱلآسُ سُحْرَةً ... سَمِعْنَ دُعَاءً لِلْصَّبُوحِ مُجَابَا
و(111) / وَشَمْسٍ يُجَلِّي ٱلشَّمْسَ فِي بَدْرِ كَاسِهَا ... وَقَدْ أَرْسَلَتْ عِنْدَ المِزَاجِ[1] شِهَابَا
يَطُوفُ بِهَا حَمْرَاءَ مَهْمَا تَطَلَّعَتْ ... تُمَزِّقُ مِنْ مِسْحِ الظَّلاَمِ حِجَابَا
إِذَا شَعْشَعَتْ كَفُّ المُدِيرِ كُؤوسَهَا ... يُبَقِّي شُعَاعَ الكَأْسِ فِيهِ خِضَابَا
تَخَيَّلْتُ أَنَّ الكَاسَ جَامِدُ فِضَّةٍ ... حَوى ذَهَباً راقَ العُيُونَ مُذَابَا
فَسَابِقْ إِلَى اللَّذَّاتِ فِي مَلْعَبِ الصِّبَا ... وَأَنْضِ بِهِ دُهْمَ الشَّبَابِ عِرَابَا
فَمَا العَيْشُ إِلاَّ غَمْضَةٌ ثُمَّ يَقْظَةٌ ... فَخُذْ مِنْ لَذِيذِ الحُلْمِ فِيهِ لُبَابَا
وَشَادٍ شَدَا فِي عُودِهِ مُتَرَنِّمَا ... فَعَادَتْ بِهِ شِيبُ النِّدَامِ[2] شَبَابَا
إِذَا اسْتَنْطَقَ الأَوْتَارَ فِي الرَّوْضِ سُحْرَةً ... تَرُدُّ عَلَيْهِ السَّاجِعَاتُ جَوَابَا
يُذَكِّرُهَا الأَوْطَارَ فِي وَطَنِ الصِّبَا ... وَيُبْدِي مِنَ السِّحْرِ الحَلاَلِ عُجَابَا
وَمَا جَمَّلَ الدُّنْيَا وَأَظْهَرَ حُسْنَهَا ... وَرَدَّ لَهَا بَعْدَ المَشِيبِ شَبَابَا
وَلاَ شَرَّفَ الأَزْمَانَ إِلاَّ خَلِيفَةٌ ... إِذَا مَا دَعَا دَاعِي الكَمَالِ أَجَابَا

---

(1) في الأصل «المِزَاخ»؛ والراجح ما أثبتناه لأنه بالمزاج تنشأ الفقاقيع التي تتطاير كالشهب.
(2) ج نديم وتجمع أيضاً على ندماء وندامى (القاموس 4/177)

أَعَادَ عَلَى الأَيَّامِ رُوحَ حَيَاتِهَا وَفَتَّحَ فِيهَا لِلسَّعَادَةِ بَابَا
[ ][1] وأَجْزَلَ فِيهَا لِلْعُفَاةِ ثَوَابَا
وَفَجَّرَ مِنْ يُمْنَيْهِ عَشْرَةَ أَبْحُرٍ وَأَوْرَدَنَا تِلْكَ البُحُورَ عِذَابَا
وَإِنَّا إِذَا مَا شَحَّتِ السُّحْبُ بِالحَيَا تَسُحُّ لَنَا مِنْهَا البَنَانُ سَحَابَا
إِمَامٌ تَوَلَّى اللهُ تَشْيِيدَ مُلْكِهِ وَأَوْسَعَ رَبْعَ الكُفْرِ مِنْهُ خَرَابَا
أَمَوْلاَيَ يَا مَوْلاَيَ دَعْوَةُ مُخْلِصٍ يُرَجِّي لأَعْيَادِ الفُتُوحِ مَآبَا
وَيَأْمُلُ أَنْ تَبْقَى عَزِيزاً مُمَتَّعَا تُمَهِّدُ لِلْدِّينِ الحَنِيفِ جَنَابَا
وَتُوسِعُ أَقْطَارَ البِلاَدِ مَسَرَّةً وَتَبْلُغُ آمَالَ المُلُوكِ رِغَابَا
ق(111) / وَتُضْرِعُ مِنْ صِيدِ المَصَاعِبِ أَوْجُهاً وَتُخْضِعُ مِنْ غُلْبِ المُلُوكِ رِقَابَا
عَدُوُّكَ قَدْ أَغْدَاهُ رُعْبُكَ بِالرَّدَى وَأَصْلاَهُ مِنْ قَبْلِ العَذَابِ عَذَابَا
يُقَلِّبُ تَحْتَ الخَوْفِ مُقْلَةَ سَاهِرٍ وَيَزْجُرُ لِلَّيْلِ البَهِيمِ غُرَابَا
وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ الشُّهْبَ لَمْعُ أَسِنَّةٍ وَأَخْفَى لَهَا جُنْحُ الظَّلاَمِ حِرَابَا
وَإِنَّ حُسَامَ البَرْقِ سَيْفُكَ مُنْتَضَى يُفَارِقُ مِنْ وُطْفِ السَّحَابِ قِرَابَا

(212)

وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ فِي المَدْحِ أَيْضاً، قَالَ وَأَنْشَدْتُهُ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَدِيهاً وَقَد أَدْخَلَنِي قِبَابَ أَخْبِيَةٍ رَفَعَهَا تُجَاهَ قِبَابِ البِنَاءِ وَقُدِّمَ بِهَا طَعَامُ تَشْرِيفٍ[3]:

[الطويل]

رَفَعْتَ قِبَاباً مِنْ خِيَامٍ أَنِيقَةً تُجَاهَ قِبَابٍ لِلْبِنَاءِ مَشِيدِ
فَهَذِي إِلَى الأَنْصَارِ عُرْبٍ أَعِزَّةٍ وَتِلْكَ لإِمْلاَكٍ أَعَاظِمَ صِيدِ

---

(1) بياض تام في الأصل لم نهتد لملئه.
(2) أي أنشد السلطان الغنيّ بالله.
(3) لعله يقصد طعاماً فخماً يليق بمقام السلطان من نوع الولائم.

وَبَيْنَهُمَا لِلْجُودِ أَعْذَبُ مَنْهَلِ سَعِدْنَا بِهِ فِي يَومِنَا بِوُرُودِ

(213)

وَمن ذَلِكَ شُكْراً عَن رُقْعَةٍ بِخَطِّ يَدِهِ الكَرِيمَةِ:

[الطويل]

بَرَاءَةُ مَولاَنَا أَتَتْ بِدُعَائِهِ وَمِسْكَتُهَا مَخْتُومَةٌ بِسَلاَمِهِ
فَقَبَّلْتُهَا أَلْفاً وَقُلْتُ سَعَادَةً لِعَبْدٍ أَتَاهُ خَطُّهُ بِكَلاَمِهِ

(214)

وَقَالَ يُحَيِّيهِ مُصَبِّحاً[1]:

[الطويل]

و(112) / أَلاَ عِمْ صَبَاحاً يَا صَبَاحَ هِدَايَةٍ وَشَمْسَ عُلًى يُهْدِي الشُّمُوسَ ضِياءَهَا
وَدُمْتَ مَحُوطَ الذَّاتِ فِي ظِلِّ عِصْمَةٍ تَكُونُ نُفُوسُ العَامِلِينَ فِدَاءَهَا

(215)

وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ فِي الغَزَلِ، قَالَ أَنْشَدْتُ بَدِيهًا فِي غَرَضٍ نَبَّهَ عَلَيْهِ بَعْضُ الصِّحَابِ:

[البسيط]

يَا رَوْضَةَ الخَدِّ فِيهَا كُلُّ زَاهِرَةٍ مَنْصُورُ لَحْظِكَ يَحْمِي كُلَّ مَنْ وَرَدَا
كَانَتْ لَوَاحِظُنَا تَجْنِي أَزَاهِرَهَا وَإِنَّمَا اللَّحْظُ أَدْمَاهَا وَمَا قَصَدَا
فَسَالَ مِنْكَ عِذَارٌ رَامَ يَمْنَعُهَا لِذَاكَ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشْيِهِ زَرَدَا

---

(1) أي في الصباح أو مصبحاً.

(216)

وَمِنْ ذَلِكَ[1] أَيْضاً:

[الكامل]

أَنَا سَائِلٌ وَعِذَارُ خَدِّكَ سَائِلٌ ... هَلاَّ سَمَحْتَ بِسَائِلٍ لِلسَّائِلِ

وَوَسَائِلِي طَيَّ الصَّبَا أَرْسَلْتُهَا ... لَكِنْ أَضَعْتُ رَسَائِلِي وَوَسَائِلِي[2]

(217)

وَمِن ذَلِكَ فِي الشَّيْبِ:

[الطويل]

عَلَى زَمَنِ اللَّذَاتِ مِنِّي تَحِيَّةٌ ... وَيَا لَيْتَهُ لَوْ عَادَ يُحْسِنُ رَدَّهَا

وَعَوْدًا لِأَيَّامِ الشَّبِيبَةِ إِنَّنِي ... تَرَكْتُ سَنِيَّاتِ المَآرِبِ عِنْدَهَا

وَمِنْ حَقِّ نَفْسٍ أَنْ تَصُونَ فُؤَادَهَا ... إِذَا اكْتَسَحَتْ شُهْبٌ مِنَ الشَّيْبِ فَوْدَهَا

(218)

ق(112) / وَقَالَ وَقَد وَقَفَ عَلَى كِتَابِ ديوَانِ الصَّبَابَةِ[3] لابْنِ حَجْلَةَ المَشْرِقِي[4]:

[الكامل]

يَقُولُونَ دِيوَانُ الصَّبَابَةِ نَيِّرٌ ... تَسَيَّرَ مِنْ شَرْقٍ إِلَى أُفُقِ الغَرْبِ

فَنَادَيْتُ: دِيوَانُ الصَّبَابَةِ لَمْ يَكُنْ ... لِيُوجَدَ فِي هَذَا الزَّمَانِ سِوَى قَلْبِي[5]

---

(1) أي في غرض الغزل.

(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(3) كتاب يُعْنَى بذكر اخبار العشق والعشاق شعراً ونثراً ذاع واشتهر أمره ووصل إلى الأندلس.

(4) أحمد بن يحيى التلمساني (725 ـ 776) عالم شاعر، سكن دمشق وولي مشيخة الصوفية بمصر (الزركلي: الإعلام 1/268 ـ 269).

(5) أي سوى في قلبي، وهي في الأصل بدون ياء في الأخر هكذا.

(219)

وَأَنْشَدَ أَيْضاً فِيهِ:

[الطويل]

خَلِيلَيَّ دِيوَانُ الصَّبَابَةِ رِقَّةُ يَكَادُ كَجِسْمِي أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا

فَإِنْ شِئْتَ عَنْ ذَاكَ المَجَازِ حَقِيقَةً فَقَلْبِيَ دِيوَانُ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا

(220)

وَأَنْشَدَ أَيْضاً كَذَلِكَ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ وَقَفْتُ عَلَى خِطْبَتِهِ[1] وَفِيهَا مِنَ الاسْتِخْفَافِ فِي التَشَهُّدِ وَغَيْرِه مَا أَرْجُو اللهَ أَن يَغْفِرَ لَهُ فِيهِ فَقُلْتُ:

[الطويل]

خَلِيلَيَّ دِيوَانُ الصَّبَابَةِ مُعْجِبُ وَقَد شَنَّفَ الآذَانَ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ

بَرَاعَتُهُ مَخْطُوبَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ بِخُطْبَتِهِ فِي هَجْرِهَا أَعْظَمُ الخَطْبِ

(221)

وَقَالَ في[2] وَصْفِ رَوْضَةِ التَّعْرِيفِ[3] لابْنِ الخَطِيبِ[4]:

[الطويل]

عَلَى رَوْضَةِ التَّعْرِيفِ عُجْتُ رَكَائِبِي فَوَاصَلْتُ فِيهَا بِالغَبُوقِ صَبُوحِي[5]

---

(1) هو بدون شك يقصد ديوان الصبابة.

(2) لا وجود إلاَّ لبيت واحد من هذه المقطوعة ولا شك أنها أطول لأن المعني في الوصف لم يتم ولعل بقيتها تلاشت ضمن ما تلاشى خاصة وهي تأتي في آخر الصفحة (ق 112) ولم نعثر على بقيتها.

(3) هو في الرد على «كتاب الصبابة» لابن حجلة ألفه ابن الخطيب بطلب من الغني بالله وذهب في تصوير المحبة مذهباً جديداً شبهها بالشجرة والأوراق الخ اسمه الكامل «روضة التعريف بالحب الشريف».

(4) انظر التعريف به سابقاً (ص 6 تعليق 8).

(5) في الأصل بدون ياء.

(222)(*)

[الطويل]

و(113) / أَصِيلٌ عَلِيلٌ مَدَّ فِي الرَّوْضِ يَسْتَلْقِي[1] فَتَنْفُثُ فِيهِ سُحْبُهُ وَالصَّبَا تَرْقِي[1]

يُنَازِعُ جِسْمِي فِي الشُّحُوبِ وَقَلْبُهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ بِالوَجِيبِ وَبِالخَفْقِ

وَمَا عَادَهُ إلاَّ نَسِيمٌ كَمِثْلِهِ عَلِيلٌ كَلِيلٌ مِنْ مُسَابَقَهِ البَرْقِ

يُجاذِبُ دَوْحَ الآسِ فَضْلَ بُرُودِهَا وَقَدْ حَدَّدَتْ آذَانَهَا لِلذِي يُلْقِي[1]

فَيَا سَاقِيَ الأَقْدَاحِ سَقِّ[2] عَلِيلَهُ لَعَلَّ شَرَابَ الرَّاحِ رَاحَتَهُ يُبْقِي[1]

لَعَمْرُكَ مَا أَعْدَاهُ بِالسُّقْمِ وَالضَّنَا[3] سِوَى سُقْمِ أَلْحَاظِ الغَزَالِ الذِي يَسْقِي[1]

أَلَمْ تَرَ أَكْدَاسَ العَرَارِ تَمُدُّهَا أَنَامِلُ سُوسَانٍ إلَى الشَّرْبِ تَسْتَبْقِي[1]

قَلِيلاً وَقَضَّى نَحْبَهُ بِغُرُوبِهِ وَمَدَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَيْحَانَةَ الأُفْقِ

وَقَد حَدَّقَتْ زُهْرُ النُّجُومِ عُيُونَهَا جَوَانِحَ فِي غَرْبٍ طَوَالِعَ مِنْ شَرْقِ

وَقَدْ غَرِقَ الإِصْبَاحُ فِي لُجَّةِ الدُّجَا فَنَاحَتْ عَلَيْهِ سَاجِعَاتٌ مِنَ الوُرْقِ

وَمَسَّحَ جَفْنَ الزَّهْرِ مِنْ سِنَةِ الكَرَى حَيًا أَرْسَلَتْهُ السُّحْبُ مُنْبَجِسَ الوَدْقِ

كَيُمْنَى أَمِيرِ المُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ إذَا انْبَجَسَتْ مِنْهَا الأَنَامِلُ بِالرِّزْقِ

إذَا وَهَبَتْ شُقْرَ الدَّنَانِيرَ كَفُّهُ يُقَصِّرُ عَنْ إدْرَاكِهَا أَشْقَرُ البَرْقِ

مُوَلِّي مُلُوكَ الأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً فَأَحْرَارُهَا قَدْ شُرِّفَتْ مِنْهُ بِالرِّقِّ

(*) هذه القصيدة كذلك منقوصة فليس فيها تقديم وهذا مخالف لعادة جامع الديوان الذي لا بدّ أن يذكر غرض القصيدة قبل سردها ولعل هذا ما يدعم انه بين القصيدة 220 و 221 قد وقع تلاش ناتج عن ضياع ورقة أو بعض الأوراق وحاولنا ـ لكن بدون نتيجة ـ إيجاد أولها.

(1) كلها بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(2) يقال (أَسْقِ) و (سَقِّ) (القاموس 4/337)

(3) في الأصل بالألف المقصورة هكذا.

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ[1]: [الطويل]

يَضِـنُّ عَلَـى عَيْنِـي الحَبِيـبُ بِنَظْـرَةٍ وَعَيْنِي بِدُرِّ الدَّمْعِ فِي حُبِّهِ تَسْخُو[2]

وَفِيهِ ذَوَى رَوْضُ الشَّبَابِ وَغُصْنُهُ يَـرِفُّ عَلَيْـهِ مِـنْ نَضَـارَتِـهِ شَـرْخُ

ق(113) / وَمَـنْ فَسَـخَ السُّلْـوَانُ صَفْقَـةَ حُبِّـهِ فَصَفْقَـةُ حُبِّـي لَيْـسَ يُـدْرِكُهَـا فَسْـخٌ

وَمَنْ نَسَخَتْ أَيْدِي النَّوَى عَقْدَ وُدِّهِ فَعَقْـدُ وِدَادِي لَيْـسَ يُـدْرِكُـهُ نَسْـخُ

وَمُـذْ خُـطَّ مَسْطُورُ الكِتَابِ بِخَـدِّهِ وَأَحْكَـمَ لاَ رَدٌّ عَلَيْـهِ وَلاَ نَسْـخُ

وَتُـذْكِـي الصَّبَـا مِنْـهُ فُـؤَادِيَ زَفْـرَةً ومَا اقْتَدَحَتْ فِيهِ العَفَارُ[3] وَلاَ المَرْخُ[4]

وَطَائِرُ قَلْبِي لَمْ يَرِمْ وَكْرَ أَضْلُعِي إِلَى أَنْ أَطَارَتْهُ نَوَاسِمَهَا الفُتْخُ[5]

وَلَـمْ أَخْـشَ إِلاَّ أَنْ يُحَلِّـقَ حَـوْلَـهُ فَيَصْطَـادَهُ مِـنْ هُـدْبِ أَجْفَـانِـهِ فَخُّ

سَأَشْكُو إِلَى مَوْلَى المُلُوكِ مُحَمَّدٍ شَكَـاةَ قَطَـاةٍ قَـدْ أُصِيـبَ لَهَـا فَـرْخُ

إِذَا صَفَّقُوا فِي صُفْرَةِ الحَرْبِ خِلْتَهُمْ بَيَـادِقَ شَطْـرَنْـجٍ وَمِنْـهُ لَهَـا رُخُّ

فَكَمْ سَمِعَ الأَتْرَاكُ[6] أَخْبَارَ غَزْوِهِ فَقَالَتْ مُلُوكُ التُرْكِ بَخٌّ لَهُ بَخُّ[7]

[تَكَفَّلْتُ][8] مِنْ لَيْلِي لَهُ بِابْنِ أَذْهَمٍ[9] وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَيْلِي مَثَابَتُهُ بَلْخُ[10]

---

(1) أي في غرض الغزل والمدح للغني بالله.

(2) في الأصل بدون واو في الآخِر.

(3) شجر يتخذ منه الزناد (القاموس 2/91).

(4) شجر سريع الوَرْيِ (اي الاشتعال والقدح) (المصدر السابق، 1/267).

(5) فَتَخٌ فُتُوْخٌ «استرخاء المفاصل» ومن العقبان: اللَيِّنَةُ الجناح (المصدر المذكور 1/263).

(6) يقصد بهم الأتراك وقد اشتدّ بأسهم وقويت شوكتهم حتى احتلوا القُسطنطينيّة إثر سقوط غرناطة.

(7) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشي أو الفخر والمدح (المصدر السابق 1/254).

(8) مجموعة من الحروف المنفصلة غير الواضحة في الأصل لعلها (رَكِبْتُ) او (تَنَكَّبْتُ) لا يظهر منها الا حرف الكاف والياء والأرجح ما أثبتناه.

(9) ابن أدهم هو الليل، وفيه تورية بابن ادهم الزاهد المشهور وأصله من بلخ.

(10) مدينة مشهورة بخراسان من أجلّها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة (ياقوت معجم البلدان 1/713).

وَأَهْدَيْتُهُ شِعْرَ الرُّصَافَةِ رِقَّةً[1] وَوَاللهِ مَا دارِي العِرَاقُ وَلاَ الكَرْخُ[2]

(224)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ: [الطويل]

أَمَا وَصَبَاحٍ مِنْ جَبِينٍ تَبَلَّجَا وَلَيْلٍ بَهِيمٍ لِلْغَدَائِرِ قَدْ سَجَا
وَبَدْرٍ مُحَيَّا أَخْجَلَ البَدْرَ حُسْنُهُ وَقَدْ صَدَعَتْ أَنْوَارُهُ حُلْكَةَ الدُّجَا
وَنُورِ أَقَاحٍ قَدْ سَقَتْهُ سُلاَفَةٌ رَشَفْتُ بِهِ ثَغْرًا شَهِيًّا مُفَلَّجَا
وَنَرْجِسِ لَحْظٍ أَمْطَرَ الوَرْدَ لُؤْلُؤاً فَرَشَّ بِمَاءِ الوَرْدِ خَدًّا مُضَرَّجَا
وَمَسْرَى نَسِيمٍ صَافَحَ البَانَ بِالحِمَى فَعَطَّرَ أَرْجَاءَ الرِّيَاضِ وَأَرَّجَا
و(114) / لَقَدْ نَهَجَ المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ إِلَى نَيْلِ أَبْعَادِ الكَوَاكِبِ مَنْهَجَا
أَعَادَ وَأَبْدَى فِي الفُتُوحِ حُسَامَهُ وَأَلْجَمَ فِي ذَاتِ الإِلآهِ وَأَسْرَجَا
أَجَلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ بَأْسًا وَنَائِلاً بِهَا بَلَغَ الإِسْلاَمُ فِي الكُفْرِ مَا رَجَا
وَأَوْفَاهُمُ عَهْداً وَأَوْفَرُهُمْ نَدًى وَأَوْضَحُهُمْ سَعْداً وَأَرْجَحُهُمْ حِجَا
فَلاَ زَالَ يُزْهَى لَيْلُهُ بِسُعُودِهِ وَقَدْ قَلَّدَ الجَوْزَاءَ وَالبَدْرَ تَوَّجَا
وَيُشْرِقُ مِنْهُ يَوْمُهُ بِجَبِينِهِ وَقَدْ لاَحَ وَضَّاحَ الأَسَارِيرِ أَبْلَجَا

(225)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ ذَلِكَ[3]: [مشطور الرجز]

مَا لِلْبُرُوقِ اللُّمَّعِ تُرْسِلُ غَيْثَ الأَدْمُعِ

---

(1) (العراق لطافة) هكذا في الطرة مما يشير إلى وجود رواية ثانية أو نسخة ثانية من المخطوط.

(2) الكرخ: محلة ببغداد واسم لكثير من الأماكن (بسرّ من رأى) و(الرقة) و(سواد العراق) إلى آخره... (القاموس 1/266) (ياقوت معجم البلدان 4/252)، وفي البيت إشارة إلى أن شعره يتصف بما يعرف به شعر البغداديين من رقة، رغم أنه أندلسي.

(3) أي في الغزل والتخلص للمدح.

وَهِـــيَ الَّتِــي إِنْ أَمْطَـــرَتْ سَحَـــابُهَـــا لَـــمْ تُقْلِـــعِ
كَـــمْ أَسْبَلَـــتْ مِـــنْ عَبْـــرَةٍ إِثْـــرَ الْخَلِيـــطِ المُـــزْمِـــعِ
تَشْكُـــو إِلَيْهَـــا أَضْلُعِـــي بِغُلَّـــةٍ لَـــمْ تُنْقَـــعِ
وَمِـــنْ شَقَـــائِـــي فِـــي الهَـــوَى نِـــدَاءُ مَـــنْ لَـــمْ يَسْمَـــعِ
أَفْـــدِي فُـــؤَادِي بَعْـــدَهَـــا مِـــنْ صَـــاحِـــبٍ مُـــوَدِّعِ
وَكَـــمْ يَبُـــوحُ فِـــي الهَـــوَى بِســـرِّهِ المُسْتَـــوْدَعِ
رِيـــحَ النَّعَـــامَـــى أَنْعِمِـــي بِنَفْحَـــةٍ مِـــنْ لَعْلَـــعِ[1]
وَجَـــرِّرِي ذَيْـــلاً عَلَـــى رَوْضٍ بِسَفْـــحِ الأَجْـــرَعِ[2]
وَسَـــلْ بِـــهِ عَـــنْ ظَبْيَـــةٍ حَـــبَّ القُلُـــوبِ تَـــرْتَعِـــي[3]
ق(114) / خَيَـــالُهَـــا وَذِكْـــرُهَـــا فِـــي نَـــاظِـــرِي وَمَسْمَعِـــي[3]
وَلِلنُّجُـــــــومِ أَعْيُـــــــنٌ فِـــي لَيْلِهَـــا لَـــمْ تَهْجَـــعِ
وَنَسْمَـــةٌ يُـــذْكَـــى بِهَـــا جَمْـــرُ الغَضَـــا بِـــأَضْلُعِـــي
تَقَنَّصَتْهَـــا مَـــوْهِنَـــا حَبَـــائِـــلٌ مِـــنْ أَدْمُعِـــي
فَبِـــتُّ لاَ أَعْشُـــو إِلَـــى ضَـــوْءِ البُـــدُورِ الطُّلَّـــعِ
سَتَـــرْتُ بَـــدْرَ وَجْهِهَـــا مِـــنْ شَعْـــرِهَـــا بِبُـــرْقُـــعِ
حَتَّـــى إِذَا الصُّبْـــحُ بَـــدَا مُنَـــوِّرًا لِلْمَطْلَـــعِ
ثَنَـــتْ قَضِيـــبَ قَـــدِّهَـــا عَلَـــى نَقَـــى لَـــمْ [ ][4]
وَأَمْطَـــرَتْ لآلِئـــاً مِـــنْ نَـــرجِـــسٍ مُنْتَبْـــدَعِ
مِـــنْ فَـــوْقِ وَرْدٍ يَـــانِـــعِ بِـــرَوْضِ خَـــدٍّ مُمْـــرِعِ[5]

---

(1) لعلع: اسم موضع.
(2) الكثيب: جانب منه رمل وجانب حجارة (القاموس 3/12)
(3) كلها بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(4) في الأصل لا نجد واضحاً إلا حرف العين ولعلها (يخشع) أي هو كثيب مشرف غير متطامن.
(5) امْرَعَ الوادي مرع أكْلاً وأخْصَبَ (المصدر السابق 3/81).

تَهْــوَى الــدَّرَارِي دُرَّهَــا بِتَــاجِهَــا المُــرَصَّــعِ
وَوَدَّعَــتْ مَــرُوعَــةً وَلَحْظُهَــا مُــرَوَّعِ
إِلَــى الغَنِــيِّ أَشْتَكِــي مُــؤَمِّنِــي وَمَفْــزَعِــي[1]

(226)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ ذَلِكَ[2]: [الكامل]

لَوْ كُنْتَ تَأْخُذُ فِي الصَّبَابَةِ مَأْخَذِي[1] مَا كُنْتَ تَهْفُو عَن جَوَانِحِ مُوقِدِ
سَرَّحْتَ طَرْفَكَ فِي مَحَاسِنِ رَوْضَةٍ تَــرْمِــي لَــوَاحِظُهَــا بِسَهْــمٍ مُنْفِــذِ
فَحَصَلْتَ فِي شَرَكِ الهَوَى وَهُوَ الذِي مَــا إِنْ لِعَــانٍ عِنْــدَهُ مِــنْ مَنْفَــذِ
و(115) / كَيْـفَ النَّجَـاةُ مِـنَ الهَـوَى لِفُـؤَادِهِ والجِسْـمُ مِنْـهُ بِالصَّبَـابَـةِ قَـدْ غُذِي[1]؟
تَجْنِي العُيُونُ عَلَى قُلُوبِ ذَوِي الهَوَى لَيْتَ العُيُونُ بِما جَنَتْ لَمْ تُؤْخَذِ
قُـولاَ لِفَـاتِكَـةِ اللَّـوَاحِـظِ: «أَجْهِزِي» إِنْ لَـمْ يَكُـنْ لِـي فِـي الهَـوَى مِـنْ مَنْفَـذِ
قَـالَـتْ وَقَـدْ وَافَيْتُهَـا طَـيَّ الصَّبَـا وَالسُّحْـبُ تَتْبَعُنِـي بِنَفْـثِ مُعَـوِّذِ:
«هَذَا الذِي تُرَوَى أَحَادِيثُ الهَوَى عَنْهُ لَنَا» فَأَجَبْتُهَا: «هَذَا الذِي»[1]
مَـنْ لِلْعَلِيـلِ بِـرَدِّ قَلْـبٍ خَـافِـقٍ بِعَلِيـلِ خَفَّـاقِ النَّـوَاسِـمِ يَغْتَـذِي[1]
أَشْكُـو بِقَلْـبٍ فِـي هَـوَاكِ مُقَلَّـبٍ بِعَــذَابِــهِ فِــي حُبِّــهِ مُتَلَــذِّذِ
وَأَعُـوذُ بِـالمَـوْلَـى الإِمَـامِ مُحَمَّـدٍ مَلِـكٍ بِحَضْـرَتِـهِ مَـلاذُ العُـوَّذِ
لاَ زَالَ رَبُّ ٱلْعَـرْشِ يَكْـلأُ مُلْكَـهُ مَهْمَـا يُنَفِّـذُ أَمْـرَ حُكْـمٍ يَنْفُـذِ

(227)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً: [الخفيف]

لَيْــسَ إِلاَّ مَسَــرَّةٌ وَٱلْتِــذَاذَا نَفَـثَ ٱلْجَـوُّ فـي ٱلْـرِّيَـاضِ ٱلْـرَّذَاذَا

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل كلها.
(2) أي في الغزل والتخلص للمدح.

وَإِذَا مَا ٱرْتَدَى ٱلصَّبُوحُ بِغَيْمٍ لَمْ تَجِدْ لِلْنُّفُوسِ عَنْهُ لِوَاذَا

جَوْهَرُ ٱلطَّلِّ فَوْقَ زَهْرٍ وَكَاسٍ فَارْتَشِفْ مِنْهُمَا ثُغُوراً لِذَاذَا

وَٱغْتَنِمْ بَهْجَةَ ٱلنُّفُوسِ بِيَوْمٍ لَمْ يَجِدْ دُونَهُ ٱلسُّرُورُ مَلاَذَا

لاَ أُرَاعِي ٱلْوَقَارَ فِي يَوْمِ أُنْسٍ إِنْ نَبَذْتُ ٱلْوَقَارَ عَنِّي فَمَاذَا؟

عُذْتُ بِاللَّهِ وَٱلإِمَامِ ٱبْنِ نَصْرٍ حَسْبِيَ اللهُ قَدْ وَجَدْتُ مَعَاذَا

يَا إِمَامَا أَلُوذُ مِنْهُ بِمَوْلَى بِحِمَاهُ كُلُّ ٱلْخَلائِقِ لاَذَا

ق(115) / كُلَّمَا أَنْفَذَ الأُمُورَ لِغَزْوٍ جَعَلَ ٱللَّهُ لِلأُمُورِ نَفَاذَا

(228)

وَمِنْ هَذِهِ ٱلْقَوَافِي ٱلشَّارِدَةِ[1] قَوْلُهُ أَيْضاً مُتَغَزِّلاً، وَلِعُصْمِهَا[2] ٱلْبَعِيدَةِ ٱلْمَنَالِ مُسْتَنْزِلاً:

[الطويل]

لَكِ ٱلْخَيْرُ يَا عَيْنِي نَعِمْتِ بِنَظْرَةٍ وَأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى حُرِمْتُ لَهَا غَمْضِي[3]

وَرَاقَتْكِ مِنْ ثَغْرِ ٱلْحَبِيبِ جَوَاهِرٌ فَجُدْتِ بِدُرٍّ مِنْ دُمُوعِكِ مُرْفَضِّ

فَإِنْ طَافَ شَيْطَانُ ٱلسُّلُوِّ بِخَاطِرِي أُصِيبَ بِرَجْمٍ مِنْ دُمُوعِيَ مُنْقَضِّ

جَرَحْتُ بِعَيْنِي خَدَّ مَنْ جَرَحَ ٱلْحَشَى بِعَيْنَيْهِ إِذْ ظَنَّ ٱلْقِصَاصَ مِنَ ٱلْفَرْضِ

فَعُوقِبَ قَلْبِي فِي جِنَايَةِ نَاظِرِي حَنَانَيْكَ يَا بَعْضِي جَنَيْتَ عَلَى بَعْضِي[3]

سَأَتْبَعُ هَذَا ٱلْحُبَّ مَا عِشْتُ رَاضِياً وَيَقْضِي عَلَيَّ ٱلْوَجْدُ فِيهِ بِمَا يَقْضِي[1]

(229)

وَمِنْ ذَلِكَ[4] أَيْضاً قَوْلُهُ: [الرجز]

---

(1) يقصد قافيتي (الذال) و (الضاد) وهما من القوافي الحوش المستعصية في الشعر لقلة الكلمات المختومة بهما نسبياً.

(2) هي الوعول والظبا الممتنعة الشاردة (القاموس 4/148) يقصد أنَّ القوافي الصعبة قد وطأها فأنقادت له.

(3) كلها بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(4) أي في غرض الغزل.

أيَا بُرَيْقاً بِٱلْعَقِيقِ[1] أَوْمَضَا وَنَحْوَ سُكَّانِ ٱلْغَضَى[2] تَعَرَّضَا
أَمَبْسِمٌ مِنْكَ ٱسْتَنَارَ فِي ٱلدُّجَا أَمْ بَارِقٌ مِنْ ثَغْرِ لَيْلَى قَدْ أَضَا؟
سَقَى الأَرَاكَ مَا يُرَوِّي ظِلَّهَا مِنْ مَدْمَعٍ جَفْنَ ٱلْغَمَامِ غَيَّضَا
حَيْثُ ٱقْتَضَتْ مِنِّي ٱلظِّبَاءُ دَيْنَهَا وَقَلْبِيَ ٱلْمَمْطُولُ مِنْهَا مَا ٱقْتَضَى
يَا سَاكِنِي وَادِي ٱلْغَضَا هَلْ جُرْعَةٌ تُطْفِي ٱلَّذِي فِي ٱلْقَلْبِ مِنْ جَمْرِ ٱلْغَضَا؟

(230)

و(116) / وَقَالَ يَمْدَحُهُ نَعَّمَهُ اللهُ وَيَصِفُ جَنَّةَ ٱلْعَرِيفِ[3]: [الكامل]

لَكَ فِي ٱلْكَمَالِ مَظَاهِرٌ لاَ تُلْحَقُ فَبِكُلِّ شَأْوٍ لِلْمَكَارِمِ تَسْبِقُ
مَوْلاَيَ يَا مَعْنَى ٱلْجَمَالِ وَسِرَّهُ وَٱلْكَوْنُ أَلْسُنُهُ بِفَضْلِكَ تَنْطِقُ
فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ جَمَالِكَ قُرَّةٌ وَبِكُلِّ قَلْبٍ لِلتَّجَلِّي مَشْرِقُ
وَلَكَ ٱلسَّمَاحَةُ وَٱلْمَلاَحَةُ كُلُّهَا وَلَكَ ٱلْمَحَاسِنُ وَٱلْجَمَالُ ٱلْمُطْلَقُ
شِمْتَ ٱلصَّبَاحَ بِغُرَّةٍ وَضَّاحَةٍ فَالْكُلُّ عَنْ ذَاكَ ٱلصَّبُوحِ يُرَقَّقُ
كَمْ رَحْمَةٍ لَكَ فِي ٱلْقُلُوبِ وَهَيْبَةٍ فِيهَا ٱلْجَمَالُ مَعَ ٱلْجَلاَلِ مُوَفَّقُ
لاَ قَلْبَ إِلاَّ فِيهِ مِنْكَ صَبَابَةٌ لاَ طَرْفَ إِلاَّ مِنْ حَيَائِكَ يُطْرِقُ
تَجْلُو لَنَا الأَكْوَانُ مِنْكَ مَحَاسِناً فَمُغَرِّبٌ يَرْتَادُهَا وَمُشَرِّقُ
فَالْبَدْرُ يَأْخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَهُ وَٱلشَّمْسُ مِنْ قَسَمَاتِ وَجْهِكَ تَشْرِقُ
وَٱلرَّوْضُ يَنْفَحُ عَنْ خِلاَلِكَ طِيبُهُ وَٱلزَّهْرُ فِيهِ مِنْ ثَنَائِكَ يَعْبَقُ
ٱلْبَحْرُ أَنْتَ وإِنَّمَا أَمْوَاجُهُ تُحْيِي بِزَاخِرِ جُودِهَا مَنْ تُغْرِقُ
ٱلشَّمْسُ أَنْتَ وَإِنَّمَا أَنْوَارُهَا تُهْدِي ٱلضِّيَاءَ وَحَرُّهَا لاَ يُحْرِقُ

(1) وادٍ شَقَّهُ السَّيْلُ؛ وهي كثيرة في بلاد العرب كعقيق اليمامة وفي المدينة المنورة (ياقوت معجم البلدان 3/700).
(2) أهل الغضى هم أهل نجد (القاموس 4/363).
(3) هي أسم لحدائق سلاطين بني نصر بقصر الحمراء بغرناطة في شمال شرقي الحمراء في أسفل الرّبوة.

لِلَّـهِ ذِكْـرُكَ مَـا أَلَـذَّ حَـدِيثَـهُ تُحْـدَى بِـهِ طَـيَّ ٱلْفَـلاَةِ الأَيْنُـقُ

مِسْـكٌ بِـأَكْـوَارِ ٱلْحُـدَاةِ مُفَتَّـقٌ شَهْـدٌ بِـأَفْـوَاهِ ٱلـرُّوَاةِ مُـرَوَّقُ

لِلَّـهِ مَجْلِسُـكَ ٱلْحَيِـيُّ فَـإِنَّـهُ رَوْضٌ بِـهِ زَهْـرُ ٱلْحَـدِيـثِ يُنَمَّـقُ

لِلَّـهِ جَنَّـاتُ ٱلْعَـرِيـفِ فَـإِنَّهَـا فِيهَا ٱلْمَعَارِفُ وَٱلْعَوَارِفُ تُصْفِقُ[1]

حَسَدَتْ بُرُوجُ الأُفْقِ حُسْنَ بُرُوجِهِ فَـالشُّهْبُ مِنْ حَسَـدٍ عَلَيْـهِ تُحَلِّـقُ

ق(116) فِيهَـا قُصُـورُ ٱلْمُلْـكِ بَيْـنَ مَقَـاصِـرٍ نَفَـسُ ٱلْحَيَـاةِ بِجَـوِّهَـا مُسْتَنْشَـقُ

مَـنْ ذَا يُضَـاهِـي حُسْنَهَـا وَجَمَـالَهَـا وَٱلْحُسْنُ تَاجٌ وٱلسَّبِيكَةُ[2] مَفْرِقُ[3]

أَغْرَى بِهَا الأَحْدَاقَ حُسْنُ حَدَائِقٍ تَـرَكَـتْ عُيُـونَ ٱلشُّهْـبِ فِيهِ تُحَـدِّقُ

وَسَمَتْ بَنَاتُ ٱلدَّوْحِ فِيهِ إِلَى ٱلسَّمَا تَسْتَشْـرِفُ ٱلسَّمْـعَ ٱلْخَفِـيَّ وَتَسْـرِقُ

وَلَـرُبَّمَـا رُجِمَـتْ بِشُهْـبِ أَزَاهِـرٍ مُنْقَضَّـــةٍ لَكِنَّهَـــا لاَ تُحْـــرِقُ

قَـامَتْ عَلَـى مِثْلِ ٱلْعِصِـيِّ كَـأَنَّهَـا خُضْـرُ ٱلْبُنُـودِ مَـعَ ٱلنَّـوَاسِمِ تَخْفِـقُ

تَشْـدُو بِهَـا وُرْقُ ٱلْحَمَـامِ مَشُـوقَـةً فَتَبِيـتُ أَعْيُـنُ زَهْـرِهِـنَّ تُـؤَرَّقُ

وَٱلْجَـوُّ مَصْقُـولُ الأَدِيـمِ مُفَضَّـضٌ وَٱلنَّهْـرُ مَسْلُـولُ ٱلْحُسَـامِ مُصَفَّـقُ

لَـمْ يَـرْضَ إِلاَّ أَنْ يُجَلَّـى جَـوْهَـراً بِحَبَـابِـهِ وَحَصَـاهُ إِذْ يَتَـدَفَّـقُ[3]

لاَ كَـالْمَنَـاصِـبِ مَنْصِـبٌ لِخِـلاَفَـةٍ مِـنْ دُونِـهِ زُهْـرُ ٱلنُّجُـومِ تُحَلِّقُ[3]

فِيهَـا مِـنَ النَّـوَّارِ كُـلُّ غَـرِيبَـةٍ أَنْـوَارُهَـا لِلْمُجْتَلِـي تَتَـأَلَّـقُ

يَبْدُو بِهَا ٱلْخَيْرِيُّ[4] بَيْنَ مُذَهَّبٍ يَعْلُـوهُ مِـنْ حُسْـنِ ٱلْعَشِيَّـةِ رَوْنَـقُ

وَمُفَضَّـضٍ صَـاغَ ٱللُّجَيْـنُ نُجُـومَـهُ فَلَـهُ مِـنَ الأَسْحَـارِ لَـوْنٌ مُشْـرِقُ

---

(1) أَصْفَقَ يُصْفِقُ للقوم: جاءهم من الطعام بما يُشْبِعُهُمْ (القاموس 3/246) يقصد كثرة المعارف والعوارف؛ وفي الطرة (لله منزلك المبارك إنه فيه) ولعلها رواية ثانية.

(2) هو البساط الشاسع الأخضر الواقع جنوب شرقي الحمراء ومنه الطريق المؤدي إلى باب الحمراءالرئيسي (الإحاطة 1/116).

(3) كُتِبَ في الأصل (قِفْ) في الطرة؛ إشارة إلى قيمة هذه الأبيات أو طرافتها عند الناسخ.

(4) الخيريّ: نبات له زهر جميل منه أصفر وأزرق.

وَسَقَى ٱلْغَمِيمَيَّ[1] ٱلْغَمَامُ فأَزْهَرَتْ أَدْوَاحُـهُ بِـالْمِسْـكِ مِنْهَـا يُفْتَـقُ
وَعُيُـونُ نَـرْجِسِـهِ رَأَتْ إِبْـدَاعَـهُ فَبَـدَا عَلَيْهَـا لَـوْنُ مَـنْ يَتَعَشَّـقُ
وَأَدَارَ فِيـهِ مَـعَ ٱلصَّبَـاحِ مَحَـاجِراً دَمْـعُ ٱلْغَمَـائِـمِ بَيْنَهَـا يَتَـرَقْـرَقُ
وَرَأَى ٱلنَّهَـارَ يَشِـي بِمَـنْ قَـدْ زَارَهُ وَٱللَّيْـلُ يَكْتُـمُ زَائِـرِيـهِ وَيَـرْفُـقُ
فَطَوَى عَنِ ٱلْوَاشِي حَدِيثَ غَرَامِهِ وَأَبَـاحَ ذَاكَ لِكَـاتِـمٍ يَتَـرَقَّـقُ
مَـا نَـمَّ لَكِـنْ طِيـبُ حَمْـدِكِ شَفَّـهُ فَكِمَـامُـهُ عَـنْ نَشْـرِهِ تَتَفَتَّـقُ
و(117) / تِلْـكَ ٱلْمَنَـازِلُ لِلْقُلُـوبِ مَنَـازِهٌ فَـالْحُسْـنُ فِـي أَرْجَـائِهَـا يَتَـأَنَّـقُ
آثَـارُ مَـوْلاَنَـا الإِمَـامِ مُحَمَّـدٍ يَحْلُـو لَهَـا ذِكْـرٌ وَيَعْـذُبُ مَنْطِـقُ
وَٱلآسُ حَـدَّدَ أُذْنَـهُ لِسَمَـاعِهَـا وَٱلْغُصْـنُ يَـرْقُـصُ وَٱلْمِيَـاهُ تُصَفِّـقُ
تُهْدِي ٱلسُّرُورَ إِلَى ٱلْقُلُوبِ كَأَنَّمَا خَمْـرُ[2] ٱلْمَسَـرَّةِ بَيْنَنَـا تَتَعَتَّـقُ
خُـذْهَـا إِلَيْـكَ بَـدِيهَـةً مِـنْ شَـاعِرٍ مَهْمَـا جَـرَى فِـي حَلْبَـةٍ لاَ يُسْبَـقُ
سَكَنَـتْ صَمِيـمَ ٱلْقَلْـبِ مِنْـهُ مَحَبَّـةٌ كَـادَتْ تُـذِيـبُ ٱلْقَلْـبَ مِمَّـا يُشْفِـقُ
عَجَبـاً لَـهُ فَلَقَـدْ سَكَنْـتَ فُـؤَادَهُ وَفُـؤَادُهُ لَـكَ بَعْـدَهَـا يَتَشَـوَّقُ
طَـوَّقْتَـهُ طَـوْقَ ٱلْحَمَـامِ أَيَـادِيـاً أَفَلاَ يُجِيدُ ٱلسَّجْعَ وَهُوَ مُطَوَّقُ؟

(231)

وَفِي وَصْفِ ٱلْخَيرِيِّ[3] هُنَالِكَ[4]:

[الرّجز]

اُنْظُـرْ إِلَـى ٱلْخَيْـرِيِّ قَـدْ أَبْـدَى لَنَـا مُبْتَسِـمَ ٱلـزَّهْـرِ وَأَهْـدَى خَيْـرَهُ
إِنَّ ٱلْبَـدِيـعَ وٱلْـرَّفِيـعَ مَـا تَـرَى لَيْـسَ ٱلْبَـدِيـعُ وَٱلْـرَفِيـعُ غَيْـرَهُ

(1) أغْتَمَّ النبات طال وكثر وأرض مُغِمَّةٌ كثيرة النبات (القاموس 4/ 144).
(2) في الأصل بالفتح (خَمْرَ) هكذا ولا وجه لذلك لأن (ما) الداخلة على (كأنَّ) وهي كافة لها عن العمل.
(3) هو نوع من النبات (راجع القصيدة السابقة).
(4) أي في جنة العريف.

(232)

وَقَالَ يُهَنِّئُهُ بِمَقْدَمٍ[1]:

[المتقارب]

قَــدِمْــتَ عَلَيْنَــا قُــدُومَ ٱلسُّعُــودِ وَقَـدْ عَجِـبَ ٱلْبَحْـرُ مِـنْ بَحْـرِ جُـودِ
وَقَـدْ طَلَـعَ ٱلْبَـدْرُ وَٱلشَّمْـسُ فِيـهِ وَذَاكَ لَعَمْـرِي غَـرِيـبُ ٱلْـوُجُـودِ
مَلَكْــتَ ٱلْقُلُــوبَ بِهَــا رِحْلَــةً وَشَــرَّفْــتَ فِيهَــا جَمِيــعَ ٱلْعَبِيــدِ
ق(117) / فَفِــي كُــلِّ حيــنٍ لَنَــا مَــوْسِــمٌ وَفِــي كُــلِّ يَــومٍ لَنَــا يَــوْمُ عِيــدِ
بَقِيــتَ بَقَــاءً يَسُــرُّ ٱلْمَعَــالِــي وَمُتِّعْــتَ فــي مُلْكِهَــا بِــالْخُلُــودِ

(233)

وَكَتَبَ يَسْأَلُهُ قَدَّسَهُ ٱللَّهُ عَنْ شَكَاةٍ:

[البسيط]

يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ ٱلْمُلْكَ ٱلعَزِيزَ وَمَنْ بِـذَاتِـهِ وَكَمَـالِ ٱلْخَلْـقِ قَـدْ كَسَبَهْ
وَجُـودُهُ عَـمَّ أَهْـلَ الأَرْضِ قَـاطِبَـةً وَفَخْـرُهُ أَعْجَـزَ ٱلْكُتَّـابَ وَٱلْحَسَبَـهْ
ٱلْعَبْـدُ يَسْــأَلُ مَـوْلاَنَـا وَمَـوْئِلَنَـا عَنْ حَالِهِ بَعْدَمَا قَدْ حَسَّ بِالْحَسَبَهْ[2]
وَٱنْعَمْ صَبَاحاً فَنُورُ ٱلصُّبْحِ مُكْتَسَبٌ لِنُورِ وَجْهِكَ يَا مَوْلاَيَ قَدْ نَسَبَهْ

(234)

وَقَالَ شَاكِراً عَنْ كُسْوَةٍ:

[الكامل]

يَـا مُلْبِسِـي حُلَـلَ ٱلـرِّضَـا أَلْبَسْتَنِـي أَثْــوَابَ عِــزٍّ تَبْلُــغُ ٱلتَّــأْمِيــلاَ

---

(1) أي الرجوع من سفر أو رحلة.
(2) تَحَسَّبَ حُسْبَةً تَوَسَّد؛ ٱلْحُسْبَانَةُ: البلاء والشر (القاموس 1ـ54ـ55).

وَكَسَوْتَنِي مِنْ كُلِّ حَلْيٍ فَاخِرٍ — أَضْحَى بِتَشْرِيفِي لَدَيْكَ كَفِيلاَ
طَاوَلْتُ أَوْجَ ٱلنَّيِّرَاتِ بِفَخْرِهَا — وَسَحَبْتُ مِنْ فَوْقِ ٱلنُّجُومِ ذُيولاَ
وَٱللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيَّةِ مِدْحَةٍ — أَسْتَغْرِقُ الإِجْمَالَ وَٱلتَّفْصِيلاَ
لَوْ أَنَّ بَدْرَ الأُفْقِ أَمْلِكُ أَمْرَهُ — لَنَظَمْتُ مِنْهُ ٱلتَّاجَ وَالإِكْلِيلاَ
وَلَصُغْتُ مِنْ دُرِّ ٱلدَّرَارِي حِلْيَةً — وَأَتَيْتُ بِالزُّهْرِ ٱلنُّجُومِ قَبِيلاَ
وَبَلَغْتُ مِنْ شُكْرِي لِبِرِّكَ غَايَةً — وَنَهَجْتُ لِلشُّكْرِ ٱلْجَزِيلِ سَبِيلاَ
و(118) / يَا خَيْرَ مَنْ تَقِفُ ٱلْمُلُوكُ بِبَابِهِ — لِتَنَالَ قَصْداً مِنْ رِضَاهُ وَسُولاَ
وَتَرَى قَبُولَ ٱللَّهِ ـ جَلَّ جَلاَلُهُ ـ — أَنْ أَوْسَعَتْ يُمْنَى ٱلنَّدَى تَقْبِيلاَ
وَلَّيْتَهَا غَرْباً وَشَرْقاً مُلْكَهَا — وَأَرَيْتَهَا ٱلصُّنْعَ الأَغَرَّ جَمِيلاَ
فَمَتَى يُوَفِّي بَعْضَ حَقِّكَ شُكْرُهَا — وَثَنَاءُ قَوْمِكَ أُودِعَ ٱلتَّنْزِيلاَ
لَوْ أَنَّهَا عَمَرَ ٱلزَّمَانَ ثَنَاؤُهَا — كَانَ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلثَّنَاءِ قَلِيلاَ
فَإِذَا ٱلْمُلُوكُ بِجُهْدِهَا قَدْ قَصَّرَتْ — فَاجْعَلْ عُبَيْدَكَ عُذْرَهُ مَقْبُولاَ

(235)

وَقَالَ يَصِفُ شَادِناً[1] شَادِياً بِعُودٍ وَيَمْدَحُ في ٱلْخَاتِمَةِ مَوْلاَنَا أَيْضاً ٱلْجَدَّ رَحْمَةُ[2] ٱللَّهِ عَلَيْهِ:

[الطويل]

بِعَوْدِكَ هَذَا ٱلْعِيدُ قَدْ رَاقَ مِيسَمَا — وَهَشَّتْ لَهُ حَتَّى الكَوَاكِبُ في ٱلسَّمَا
لِذَاكَ تَرَى فِيهَا ٱلْخُفُوقَ كَأَنَّهَا — فُؤَادُ مُحِبٍّ فِيكَ قَدْ بَاتَ مُغْرَمَا
إِذَا شَفَّ عَمَّا فِي ٱلضَّمِيرِ حَسِبْتَهُ — لِسَاناً عَنْ السِّرِ ٱلْخَفِيِّ مُتَرْجِمَا
وَيَا عَجَباً حَتَّى ٱلْجَمَادُ إِذَا دَنَا — إِلَيْكَ وَأَرْسَى فِي يَدَيْكَ تَكَلَّمَا

---

(1) هو الظبي (القاموس 4/235). ويقصد المغني أو المغنية.
(2) في الأصل بالتاء المفتوحة في الآخر، هكذا.

وَقَدْ كَانَ لاَ يَدْرِي ٱلْكَلاَمَ فَعِنْدَمَا فَتَلْـتَ لَـهُ أُذْنـاً صَغَـى وَتَعَلَّمَـا
وَمَا عُذْرُهُ أَنْ لَيْسَ يُصْبِحُ مُورِقاً وَمُزْنُ دُمُوعِي كُلَّمَا جُسَّ قَدْ هَمَا
أَظُـنُّ غِنَـاءَ ٱلطَّيْـرِ أَبْقَـى بِـأُذْنِـهِ تَـلاَحِيـنَ ذَاكَ ٱلسَّجْـعِ لَمَّـا تَـرَنَّمَـا
أَيَا مُبْدِياً بِاللَّحْظِ وَٱللَّفْظِ أَوْجُهاً مِنَ ٱلسِّحْرِ صَارَ ٱلسِّحْرُ مِنْهَا مُحَرَّمَا
بِثَغْـرِكَ دُرٌّ تَنْفُـثُ ٱلسِّحْـرَ مِثْلَـهُ فَهَـذَا كَهَـذَا عِقْـدُهُ قَـدْ تَنَظَّمَـا
فَيَا رَوْضَ حُسْنٍ عَرْفُهُ قَدْ تَنَسَّمَا أَثَغْـرُكَ أَمْ نَـوْرُ الأَقَـاحِ تَبَسَّمَـا؟
ق(118) / أَشِعَّـةُ أَنْـوَارِ ٱلْغَنِـيِّ بِـرَبِّـهِ أَفَاضَـتْ عَلَيْكَ ٱلنُّورَ حَتَّى تَجَسَّمَا
إِمَامٌ إِذَا صَرَّحْتَ فِي ٱلْمَدْحِ بِٱسْمِهِ يَطِيـبُ بِـهِ عَـرْفُ ٱلْمَـدِيحِ تَنَسُّمَـا
يَسُلُّ سُيُوفاً بِالسُّعُودِ عَلَى ٱلْعِدَى وَيَتْـرُكُ أَجْفَـانَ ٱلْمُهَنَّـدِ نُـوَّمَـا
فَـلاَ زَالَ وَٱلأَمْـلاَكُ تَلْثِـمُ نَعْلَـهُ وَتَـرْفَعُـهُ فَـوْقَ ٱلـرُّؤُوسِ تَخَـدُّمَـا

(236)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ قَصِيدَةٍ رَائِقَةٍ مَتَفَنِنَةِ ٱلنَسِيبِ تَخَلَّصَ مِنْهَا إِلَى مَدْحِهِ رَحْمَةُ [1] الله عَلَيْه.

[الكامل]

مَـا كُنْـتُ أَسْهَـرُ لِلْبُـرُوقِ ٱللُّمَّـعِ لَوْ كَانَ مَنْ عَلِقَ ٱلْفُؤَادُ بِهِ مَعِي[2]
لَكِـنْ إِذَا قَـدَحَ ٱلْـوَمِيضُ زِنَـادَهَـا قَـدَحَـتْ زِنَـادَ صَبَـابَتِـي وَتَـوَلُّعِـي
وَسَرَتْ وَقَدْ أَعْدَى جُفُونِي نَوْءُهَا وَاسْتَوْدَعَتْ خَفَقَانَهَا فِي أَضْلُعِي[2]
سَلَّتْ سُيُوفاً مُذْهَبَاتٍ فِي ٱلْدُّجَا فَـأَصَبْـنَ مِـنْ قَلْبِـي خَفِـيَّ ٱلْمَقْطَـعِ
وَتَبَسَّمَـتْ فَبَكَـتْ جُفُـونِـي وَٱلْحَيَـا فِـي صَفْـحِ سَـاجٍ بِـالْعَقِيـقِ مُـرَصَّـعِ
يَـا بَـارِقـاً بِـالْجِـزْعِ إِنَّ لُبَـانَـةً بِـالْقَلْـبِ لَـوْ قَضَّيْتُهَـا لَـمْ أَجْـزَعِ

---

(1) في الأصل بالتاء المفتوحة في الآخر، هكذا.
(2) كلها هكذا بدون ياء في الآخر في الأصل.

أَغْتَاضُ عَنْهَا بِالنَّهَارِ وَإِنَّمَا … يَأْوِي ٱلظَّلَامُ بِهَا لِقَلْبِي ٱلْمُوجَعِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ وَجُسْتَ خِلَالَهُ … فَانْشُدْ فُؤَادِي بَيْنَ تِلْكَ الأَرْبُعِ
حَيَّا مَعَاهِدَهَا ٱلْقَبُولُ وَجَادَهَا … غَيْثَانِ مِنْ صَوْبِ ٱلْغَمَامِ وَأَدْمُعِي[1]
فَأَخُو ٱلْهَوَى يَعْتَادُهُ بَعْدَ ٱلنَّوَى … ذِكْرَى حَبِيبٍ أَوْ تَذَكُّرُ مَرْبَعِ
وَلَرُبَّمَا يَصْبُو فُؤَادِي لِلصَّبَا … وَيَضِيعُ طَيَّ نَسِيمِهَا ٱلْمُتَضَوِّعِ
و(119) / عَجَباً لَهُ يَنْدَى عَلَى كَبِدِي وَقَدْ … أَذْكَى بِقَلْبِي غُلَّةً لَمْ تُنْقَعِ
كَمْ ذَا أُعَلِّلُ بِالْوَمِيضِ وَإِنَّهُ … مِثْلِي خَفُوقُ ٱلْقَلْبِ سَحُّ ٱلْمَدْمَعِ
وَأُحَمِّلُ ٱلنَّسَمَاتِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ … نَقْلَ ٱلْحَدِيثِ لِرَامَةٍ أَوْ لَعْلَعِ[2]
دِمَنٌ غَذَتْهَا ٱلْمُثْقَلَاتُ لِبَانَهَا … فَأَتَتْ بَنَاتُ ٱلدَّوْحِ ذَاتَ تَرَعْرُعِ
شَقَّتْ بِهَا هُوجُ ٱلرِّيَاحِ جُيوبَهَا … وَبَكَتْ بِهَا وَطْفُ ٱلسَّحَابِ ٱلْهُمَّعِ
مَنْ مُبْلِغُ ٱلْحَيَّ ٱلْجَمِيعَ وَشَمْلُهُ … بِيَدِ ٱلنَّوَى بَعْدَ ٱلْهَوَى لَمْ يُصْدَعِ
أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى ٱلذِّمَامِ سَجِيَّةً … طَبْعُ ٱلْوَفَاءِ لَهَا بِغَيْرِ تَطَبُّعِ
لِلَّهِ مَا حُمِّلْتُ مِنْ مَضَضِ ٱلْهَوَى … لَمَّا جَرَعْتُ كُؤُوسَهَا بِالأَجْرَعِ[3]
وَدَّعْتُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ حَتَّى ٱلْكَرَى … وَٱلصَّبْرَ يَا لَيْتَ ٱلْفِرَاقَ مُوَدِّعِي[1]
أَيَّامَ كُنَّا وَٱلشَّبَابُ كَعَهْدِهِ … تَنْدَى نَضَارَةُ أَيْكِهِ ٱلْمُتَفَرِّعِ
فَإِذَا ٱقْتَنَصْتُ فَكُلَّ ظَبْيٍ أَغْفَرٍ[4] … وَإِذَا ٱفْتَرَسْتُ فَكُلَّ لَيْثٍ أَرْوَعِ
وَإِذَا صَدَرْتُ صَدَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمٍ … وَإِذَا وَرَدْتُ وَرَدْتُ غَيْرَ مُمَنَّعِ
وَٱلآنَ قَدْ نَصَعَ ٱلْمَشِيبُ بِمَفْرَقِي … يَجْلُو ٱلْعَمَايَةَ لَيْتَهُ لَمْ يَنْصَعِ
وَأَحَقُّ مَنْ لَبِسَ ٱلْوَقَارَ مَنِ ٱرْتَدَى … بِرِدَاءِ عُمْرٍ بِالْمَشِيبِ مُوَشَّعِ
أَصْبَحْتُ أَقْنَعُ بِالْمَشِيبِ لَعَلَّهُ … يَبْقَى وَمَا كَانَ ٱلشَّبَابُ بِمُقْنِعِ

---

(1) كلها هكذا بدون ياء في الآخر في الأصل.
(2) رامة ولعلع: اسمان لمكانين.
(3) اسم مكان أو هي الأرض التي يتألف جانب منها من الرمل وجانب من الحجارة (القاموس 3/12).
(4) الأغفر من الظباء: ما يعلو بياضه حمرة؛ أو الذي في سراته حمرة واقرابه بيض (المصدر السابق 2/91).

لِلَّـــهِ أَيَّـــامُ الشَّبَـــابِ فَـــإِنَّهَـــا   رُوحُ ٱلْحَيَـــاةِ وَزَهْـــرَةُ ٱلْمُتَمَتِّـــعِ
حَتَّـى ٱلْـزَّمَـانُ لَـهُ شَبَـابٌ رَائِـقٌ   مَا زَالَ فِي طَلَقِ ٱلذَّهَابِ بِمُسْرِعِ
وَأَعَـادَهُ فَخْـرُ ٱلْمُلُـوكِ وَذُخْـرُهَـا   وَمُجِيرُها فِي ٱلْخَطْبِ عِنْدَ ٱلْمَفْزَعِ
أَخَـذَتْ بِهَـا الأَيَّـامُ أَجْمَـلَ زِينَـةٍ   وَتَـأَمَّنَـتْ مِـنْ رَيْبِهَـا ٱلْمُتَـوَقَّـعِ
ق(119) / وَحَمَى ٱلْمَشَارِعَ بِالصَّوَارِمِ تُنْتَضَى   مِـلْءَ ٱلْمَفَـارِقِ وَٱلْـرِّمَـاحِ ٱلشُّـرَّعِ
وَأَقَـامَ مَفْـرُوضَ الْجِهَـادِ بِهِمَّـةٍ   لَـمْ تَنْتَكِـثْ وَعَزِيمَـةٍ لَـمْ تُقْـدَعِ[1]

(237)

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضاً وَأُنْشِدَتْ فِي حِذْوِ عَمِّنَا الأَمِيرِ سَعْدٍ رَحْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِمَا[2]:

[البسيط]

سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ   وَجَـادَهَـا بِسَحَـابِ ٱلْجُـودِ وَٱلْكَـرَمِ
فَـأَلْسُـنُ ٱلكَـوْنِ بـالتَسْبِيـحِ نَـاطِقَـةٌ   تُثْنِي عَلَيْـهِ بِمَـا أَوْلَـى مِـنَ ٱلنِّعَـمِ
وَٱلْحَمْـدُ لِلَّـهِ حَمْـدَ ٱلشَّـاكِـرِيـنَ لَـهُ   عَلَـى وُجُـودٍ تَعَـوَّضْنَـاهُ مِـنْ عَـدَمِ
ٱلْوَاحِدُ الأَحَدُ ٱلْفَرْدُ ٱلذِي شَهِدَتْ   لَـهُ ٱلْبَـدِيهَـةُ بِـالتَّـوْحِيـدِ وَٱلْقِـدَمِ
سُبْحَـانَـهُ خَلَـقَ الإِنْسَـانَ مِـنْ عَلَـقٍ   وَبَعْـــدُ هَيَّـــأَهُ لِلْكَتْـبِ بِـالقَلَـمِ
وَأَرْسَـلَ ٱلـرُّسْـلَ إِرْشَـاداً وَتَبْصِـرَةً   كَـيْ يَسْتَبِيـنَ سَبِيـلُ ٱلـرُّشْـدِ لِـلأُمَـمِ
وَخَصَّنَـــا بِنَبِـــيٍّ عَـــمَّ مَبْعَثُـــهُ   أَهْلَ ٱلْبَسِيطَةِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
الْمُصْطَفَى وَرِيَاضُ الْكَوْنِ مَا فُتِقَتْ   كِمَـامُ أَجْسَـامِهَـا عَـنْ زَهْـرَةِ النَّسَـمِ
ذُو الْمُعْجِزَاتِ التِي عَزَّتْ مَدَارِكُهَا   فَمَـا يُعَبِّـرُ عَنْهَـا نَـاطِـقٌ بِفَـمِ
وَحَسْبُنَـا بِكِتَـابِ اللَّـهِ مُعْجِـزَةً   تَتْلُو عَلَيْنَا بَدِيعَ الْحُكْمِ وَٱلْحِكَمِ

(1) في طرة المخطوط (تُذْفَع) عوض (تُقدِع) وهذا إشارة إلى روايات أخرى أو نسخة أخرى من المخطوط.
(2) هذه القصيدة مبتورة الآخر لسقوط وقع في الصفحة الموالية وبقيتها هي في القصيدة رقم 208 راجع كل ذلك بالرجوع إلى القصيدة رقم 208 المذكورة.

آيـاتُ صِـدْقٍ تَجَلَّـتْ فِـي مَطَـالِعِهَـا ... تُجْلَى بِهَا حَالِكَاتُ ٱلظُّلْمُ وَٱلظُّلَمِ
صَلَّى الإِلاَهُ عَلَيْهِ مَا بَكَتْ سُحُبٌ ... فَافْتَرَّ زَهْرُ الرُّبَا عَنْ ثَغْرِ مُبْتَسِمِ
ثُمَّ ٱلرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ ... وَعَنْ أَبِي عَمرو ٱلْمُسْتَشْهِدِ ٱلْعَلَمِ
وَعَنْ عَلِيِّ ٱبْنِ عَمِّ ٱلْمُصْطَفَى وَكَفَى ... أَنْ خَصَّـهُ بِـوَصِـيِّ الأَهْـلِ وَٱلْحُـرَمِ
و(109) / [1]وَبَعْدُ إِنَّ كِتَـــابَ الله أَحْسِبُـــهُ ... أَسْنَى الذَّخَائِرِ أَوْ مِنْ أَمْنَعِ العِصَمِ[1]
لاَ سِيَّمَـا مُـذْ بَـدَأْتُ ٱلـذِّكْـرَ أَقْـرَؤُهُ ... مِـنْ غَيْـرِ مَـا كَلَـلٍ فِيـهِ وَلاَ سَـأَمِ
حَتَّـى خَتَمْـتُ كِتَـابَ اللَّـهِ أَجْمَعَـهُ ... فَـالْحَمْـدُ لله فِـي بَـدْءٍ وَمُخْتَتَـمِ
وَأَيَّمَـــا نِعْمَـــةٍ لِلَّـــهِ أَشْكُـــرُهَـــا ... وَفَضْـلُ رَبِّـيَ عِنْـدِي وَافِـرُ الْقِسَـمِ
سُمِّيتُ سَعْداً وَخَيْرُ ٱلفَالِ أَصْدَقُهُ ... فَالسَّعْدُ أَوْضَحُ مِنْ نُورٍ عَلَى عَلَمِ
عَلَى ٱسْمِ جَدِّي وَمَا أَدْرَاكَ تَسْمِيَةً ... يُـدْعَـى بِهَـا سَيِّـدُ الأَنْصَـارِ كُلِّهِـمِ
فَـاللَّـهُ يَجْـزِي أَمِيـرَ ٱلْمُسْلِمِيـنَ أَبِي ... خَيْـرَ الْجَـزَاءِ بِمَـا أَوْلاَهُ مِـنْ نِعَـمِ
فَهْـوَ ٱلـذِي أَدَبَ ٱلأَمْـلاَكِ أَدَّبَنِـي[2] ... فالرَّوْضُ مِنْ شِيَمِي وَٱلنَّجْمُ مِنْ هِمَمِي[3]
لاَزَالَ لِلـدِّيـنِ وَٱلـدُّنْيَـا إِمَـامَ هُـدَى ... نَـأْوِي إِلَـى وَزَرٍ مِنْـهُ وَمُعْتَصَـمِ
وَالله يَشْمَـلُ أُسْتَـاذِي[4] بِـرَحْمَتِـهِ ... فَكَـمْ أَفَـادَ نَفِيـسَ الـدُّرِّ مِـنْ كَلِـمِ
فَـالله يَجْـزِيـهِ عَنَّـا كُـلَّ صَـالِحَـةٍ ... يَحْظَـى بِهَـا بِنَعِيـمٍ غَيْـرِ مُنْصَـرِمِ
ثُمَّ ٱلصَّلاَةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... مَا يَشْكُرُ الرَّوْضُ مَا تُسْدِي يَدُ ٱلدِّيَمِ

(238)

و(120) / وقال كذلك: [الخفيف]

يَا لَيَالِي ٱلسُّعُودِ باللَّهِ عُودِي[3] ... قَدْ ذَوَى بِالْفِرَاقِ بَعْدَكَ عُودِي[3]

---

(1) ابتداء من هذا البيت إلى آخر القصيد مجموع الأبيات أصلها من القصيد رقم (208) أضفناها هنا لوقوع تداخل عند تسفير المخطوط (راجع للتفصيل القصيدة رقم (208) ص 247 التعليق: 2).
(2) هكذا في الأصل أي (هو الذي علّمني أدبَ الملوك)، ويجوز أن تقرأ: (هو الذي أدَّبَ الأَمْلاكَ أَدَّبَني).
(3) بدون ياء في الأصل.
(4) يتكلم على لسان الأمير سعد، وأستاذه هو أبوه السلطان الغني بالله.

عَجَّلَ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ قَرِيباً ... إنَّ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ أَكْبَرُ عِيدِ
لاَ تُعِدْ لِي ذِكْرَ ٱلْفِرَاقِ تَرُعْنِي ... إنَّ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ
يَا رِيَاضَ ٱلشَّبَابِ هَلْ مِنْ نَسِيمٍ؟ ... يَا زَمَانَ ٱلْوِصَالِ هَلْ مِنْ مُعِيدِ؟
جيرَةَ ٱلْحَيِّ سَاعِدُوا بِرِضَاكُمْ ... مَنْ تَجَنَّى على ٱلأَحِبَّةِ عُودِي[1]
كُلَّمَا زَارَنِي نَسِيمُ حِمَاكُمْ ... أَبْسُطُ ٱلْخَدَّ فَوْقَ تُرْبِ الصَّعِيدِ
شَيَّبَ الفَوْدَ أَنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي ... بِشَقِيٍّ سَمَّيْتُمُ أَمْ سَعِيدِ
كَمْ مُحِبٌّ أَبْعَدْتُمُ مِنْ قَرِيبٍ ... وَحَبِيبٍ قَرَّبْتُمُ مِنْ بَعِيدِ

(239)

وَقَالَ أَيْضًا:

[الكامل]

مَنْ لِي بِقَلْبٍ يَحْفَظُ الأَسْرَارَا ... وَٱلْقَلْبُ مِنِّي فِي ٱلرَّحَائِلِ سَارَا
قَلْبُ ٱلْفَتَى يَهْدِيهِ نَحْوَ مُرَادِهِ ... فَإِذَا خَلَتْ مِنْهُ ٱلْجَوَانِحُ حَارَا
مَهْمَا ٱسْتَطَارَ ٱلْبَرْقُ فِي جُنْحِ ٱلدُّجَا ... تَرَكَ ٱلْجَوَانِحَ فِي ٱلْفِرَاشِ وَطَارَا
مَنْ نَاصِرِي فِي ذَا ٱلْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا ... لَمْ أُلْفِ غَيْرَ مَدَامِعِي أَنْصَارَا
بَخِلَ ٱلذِي أَظْمَا ٱلْفُؤَادَ لِجُرْعَةٍ ... عَجَباً وَقَدْ شَقَّ الْجُفُونَ بِحَارَا

(240)

وَقَالَ كَذَلِكَ:

[الطويل]

ق(120) / لَكَ الْخَيْرُ مَا حُبِّي وَحُبُّكَ حَادِثُ ... فَقَدْ نُمِيَتْ عَنِّي وَعَنْكَ الأَحَادِثُ
وَقَدْ شَاعَ وَجْدِي فِي ٱلْهَوَى وَتَهَتُّكِي ... وَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْحَيِّ عَنَّا الْمَبَاحِثُ

---

(1) بدون ياء في الآخر وهو فعل (عَادَى) جاء في صيغة المبني للمجهول (عُودِي).

وَقَدْ نَذَرَ الأُسْدُ الْغَيَارَى بِهِ دَمِي فَكَمْ حَالِفٍ يَهْذِي بِنَا وَهْوَ حَانِثُ
وَوَاللَّـهِ لاَ وَاللَّـهِ مَا عَـرَفَ ٱلْهَـوَى عَمِيدُ هَـوًى قَـدْ غَيَّـرَتْـهُ ٱلْحَـوَادِثُ
سِـوَايَ إِلَـى السُّلْـوَانِ يَـرْتَـاحُ قَلْبُـهُ وَغَيْرِي لِعَهْدِ الوُدِّ فِي الْحُبِّ نَاكِثُ
وَلَمْ يَثْنِنِي خَوْفُ الْوَعِيدِ عَنِ الْحِمَى وَلَوْ أَوْعَدَتْ حَامٌ وسَامٌ وَيَافِثُ[1]
وَقَدْ كُنْتُ أُخْفِي الْحُبَّ حَتَّى وَشَى بِهِ إِلى النَّاسِ مِنْ دَمْعِي عَجُولٌ وَرَائِثُ

(241)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ:

[الخفيف]

يَـا مُـدِيـرَ ٱلطِّلَـى مَـعَ الْغَيْـثِ حُثَّهَـا عَـاجِـلاً بِـلاَ رَيْـثِ
فُـرْصَـةُ الْعَيْشِ فـي الشَّبَـابِ ٱغْتَنِمْهَا وَٱفْتَـرِسْهَـا كَفِـرْصَـةِ[2] ٱللَّيْـثِ
هِـيَ غَيْـثُ الْجُسُـومِ تَسْقِـي ثَـرَاهَـا يَيْبَـسُ الغُصْـنُ دُونَ مَـا غَيْـثِ
فَـاطَّـرِحْ لِلعُقَـارِ زِيَّ وَقَـارِ لَيْـسَ نَبْـذُ الـوَقَـارِ مِـنْ حَيْـثِ[3]
رُبَّمَـا يَشْنَـأُ الْمُحِـبُّ حَبِيبـاً مَـا تَـرَى ٱلْغَيْـثَ جَـالِـبَ ٱلْعَيْـثِ[4]

(242)

وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

[الخفيف]

صَـاحِ ثَـوْبُ ٱلظَّـلاَمِ قَـدْ رَثَّـا وَحَـدِيـثُ ٱلـرِّيَـاضِ قَـدْ بُثَّـا

---

(1) أسماء لأبناء نوح عليه السلام. والمراد الأقوام المنسوبة اليهم.
(2) فَرَصهُ: قطعه وخرقه ونتشه والفريصة اللحمة بين الجنب والكتف أي خُذْها بقوة (القاموس 2/108).
(3) (حيث) ظرف مكان والمعنى هنا (ليس الوقاء من جهتي: أي من عادتي) وقد أتت حيثُ مجرورة للضرّورة وهي عادة مبنية على الضم.
(4) الجملة استفهامية بحذف الهمزة (أما) والاستفهام للتأكيد.

و(121) / ولِــوَاءُ ٱلْصَّبَــاحِ مُنْتَشِــرٌ   وَرِكَــابُ ٱلنُّجُــومِ قَــدْ حُثَّــا
فَــأَدْرَكَنِّــي عَلَــى ٱلْصَّبُــوحِ بِمَــا   يَجْلِــبُ الأُنْــسَ نَطْــرُدُ ٱلْبَثَّــا[1]

(243)

وَقَالَ أَيْضاً:

[الخفيف]

أَسَمَعُــونِــي ٱلْــوَدَاعَ فَــارْتَــاعَ قَلْبِــي   وَثَقِيــلٌ سَمَــاعُ لَفْــظِ ٱلْــوَدَاعِ[2]
فُــرْقَــةُ ٱلإِلْــفِ صَعْبَــةٌ غَيْــرَ أَنِّــي   أَخْـدَعُ ٱلنَّفْـسَ بَعْـدَهَـا بِـاجْتِمَـاعِ

(244)

وقَالَ فِي ٱلْمَعْنَى:

[الخفيف]

أَسْمَعُــونِــي ٱلْفِــرَاقَ فَــارْتَــاعَ قَلْبِــي   وَثَقِيــلٌ سَمَــاعُ لَفْــظِ ٱلْفِــرَاقِ
فُــرْقَــةُ الإِلْــفِ صَعْبَــةٌ غَيْــرَ أَنِّــي   أَخْـدَعُ ٱلنَّفْـسَ بَعْـدَهَـا بِـالْتَّـلاَقِـي[3]

(245)

وقَالَ وَخَلَصَ مِنْهَا لِلْمَدْحِ:

[المجتث]

جِسْــمٌ بِغَــرْبٍ مُقِيــمٌ   وَقَلْبُــهُ بِــالْحِجَــازِ
يَــرْتَــادُ فِــي رَوْضِ نَجْــدٍ   مَــرْعَــى ٱلْظِّبَــاءِ ٱلْجَــوَازِي[3]
كَــمْ مِــنْ مَــوَاعِــدِ وَصْــلٍ   وَمَــا لَهَــا مِــنْ نَجَــازِ
شَهِيــدُ حُبِّــكِ أَوْدَى   وَمَــا لَــهُ مِــنْ مُجَــازِ

---

(1) البث الحال أو أشدّ الحزن (القاموس 1/161).
(2) في الأصل (الوِداع) بكسر الواو ولا وجه في ذلك.
(3) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

ق(121) / فَــارْحَــمْ صَبَــابَــةَ صَــبٍّ   قَــدْ ذَلَّ بَعْــدَ ٱعْتِــزَازِ
أَرَقَّ فِيــكِ نَسِيبِــي   قَصَــائِــدِي وَٱرْتِجَــازِي[1]
فَلَيْــسَ أَعْــرِفُ فِيــهِ   حَقِيقَــةً مِــنْ مَجَــازِ
أَبْكِــي لِبَــاسِــمِ بَــرْقٍ   يَجِــدُّ بِــي وَهُــوَ هَــازِ
وَرُبَّ لَيْــلٍ زَجَــرْنَــا   غُــرَابَــهُ فِــي ٱلْمَفَــازِ
فَطَــارَ وَهُــوَ مَــرُوعٌ   مِــنَ ٱلْصَّبَــاحِ بِبَــازِ
مَــنْ هَــانَ فِــي ٱلْحُــبِّ قَــدْراً   فَبِــالْغَنِــيِّ[2] ٱعْتِــزَازِي[1]
مَــا فِــي ٱلنُّجُــومِ ٱلْعَــوَالِــي   لِفَخْــرِهِ مِــنْ مُــوَازِ
مُحَكَّــمٌ فِــي ٱلأَعَــادِي   مُظَفَّــرٌ فِــي ٱلْمَغَــازِي[1]

(246)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ:

[مجزوء الرمل]

لاَحَ مَنْشُــورُ ٱلْصَّبَــاحِ   مُسْتَطِيــراً فِــي ٱلنُّــوَاحِ
وَغُــرَابُ ٱللَّيْــلِ مِنْــهُ   طَــارَ مَقْصُــوصَ ٱلْجَنَــاحِ
لاَ تَخَــلْ دُرَّ ٱلْــدَّرَارِي   فِــي ٱلْــدُّجَــا بِــالْمُسْتَبَــاحِ
أَيُّمَــا نَهْــرُ نَهَــارِ   سَــالَ مِــنْ فَــوْقِ ٱلْبِطَــاحِ
غَــرِقَــتْ فِيــهِ ٱلْجَــوَارِي   مَــا خَــلاَ ٱلْبَــدْرِ ٱللَّيَّــاحِ
صَــاحِبِــي وَٱلْــرَّوْضُ يُهْــدِي   طِيــبَ أَنْفَــاسِ ٱلْــرِّيَــاحِ
قَــدْ بَكَــتْ فِيــهِ غَمَــامٌ   أَضْحَكَــتْ ثَغْــرَ الأَقَــاحِ
و(122) / بَــاكِــرِ ٱلْــرَّوْضَ ٱصْطِبَــاحــاً   بِنَشَــاطٍ وَٱرْتِيَــاحِ

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) يقصد (الغني بالله) أي باللجوء إليه.

مَــا أَرَى يَجْلُــو هُمُــومِــي غَيْــــرَ رَاحٍ فَــــوْقَ رَاحِ
مَـا عَلَـى طَـالِـبِ أُنْـسٍ وَسُـــرُورٍ مِـــنْ جُنَـــاحِ
مَـا ٱلّـذِي يَبْغِـي زَمَـانِـي مِـنْ رَشَـادِي وَصَـلاَحِـي[1]؟
خِـدَمِـي مَـوْلَـى ٱلْمَـوَالِـي ضَـــامِنَـــاتٌ لِفَـــلاَحِـــي[1]
مَـــا دَرَى أَنَّ اللَّيَـــالِـــي رَاضَهَـــا بَعْـــدَ ٱلْجِمَـــاحِ
بَيْـــنَ إِفْضَـــالٍ وَعَـــدْلٍ وَٱنْتِقَـــامٍ وَسَمَـــاحِ
بِـــابْـــنِ نَصْـــرٍ عَـــزَّ نَصْـــرُ ٱلْـ دِّيـــنِ فِـــي يَـــوْمِ ٱلْكِفَـــاحِ
دَامَ يَلْقَـــى فِـــي بَنِيـــهِ كُـــلَّ يُمْـــنٍ وَنَجَـــاحِ

(247)

وَقَالَ أَيْضًا كَذَلِكَ[2]:

[مجزوء الرمل]

يَـــا نَسِيمـــاً جَـــرَّ ذَيْـــلاً بَيْـــنَ أَزْهَـــارِ ٱلْـــرِّيَـــاضِ
تَـــرَكَ ٱلأَغْصَـــانَ سَكْـــرَى فِـــي ٱعْتِنَـــاقٍ وَتَـــرَاضِ
وَخُـــدُودُ ٱلْـــوَرْدِ تُـــزْهَـــى بِـــاحْمِـــرَارٍ فِـــي بَيَـــاضِ
لَـــمْ تَـــزَلْ تُهْـــدِي صَحِيحـــاً سُقْـــمَ أَجْفَـــانٍ مِـــرَاضِ
حُكْـــمُ هَـــاتِيـــكَ ٱلْجُفُـــونِ فِـــي فُـــؤَادِ ٱلصَـــبِّ مَـــاضِ
كَـــمْ جُفُـــونٍ أَسْهَـــرَتْهَـــا لَـــمْ تَـــذُقْ طَعْـــمَ ٱغْتِمَـــاضِ
يَـــا مُثِيـــراً حَـــربَ قَلْبِـــي صُـــلْ بِـــأَلْحَـــاظٍ مَـــوَاضِ
ق(122) / وَتَحَكَّـــمْ كَيْـــفَ تَـــرْضَـــى إِنَّ قَلْبِـــــي عَنْـــــكَ رَاضِ
كَيْـــفَ يُـــرْجَـــى لِـــي خَـــلاَصٌ وَخَصِيمِـــي مِنْـــكَ قَـــاضِ
نَصَـــرَ اللَّـــهُ ٱبْـــنَ نَصْـــرٍ حُكْمُـــهُ بِـــالْعَـــدْلِ مَـــاضِ

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) أي في الغزل والوصف ثم التخلص لمدح الغني بالله.

كَـــفَّ مِـــنْ دَهْـــرٍ جَمُـــوحٍ رَاضَـــــهُ أَيَّ ٱرْتِيَـــــاضِ
كَـــــمْ عُفَـــــاةٍ وَارِدَاتٍ مِـــنْ نَـــدَاهُ فِـــي حِيَـــاضِ
كَـــمْ مُلُـــوكٍ بَسَطَتْهَـــا كَفُّـــهُ بَعْـــدَ ٱنْقِبَـــاضِ
دَامَ فِـــي رِفْعَـــةِ مُلْـــكٍ وَعِـــدَاهُ فِـــي ٱنْخِفَـــاضِ

(248)

وَقَالَ أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ:

[مجزوء الرمل]

بِنُسَيْمَـــاتِ العَـــرَارِ[1] هَـــاجَ شَـــوْقِـــي وَادِّكَـــارِي[2]
أَذْكَـــرَتْنِـــي مِـــنْ سُلَيْمَـــى عَـــرْفَهَـــا عِنْـــدَ المَـــزَارِ
ثُـــمَّ طَـــارَتْ فِـــي الفَيَـــافِـــي بِفُـــؤَادِي المُسْتَطَـــارِ
يَـــا لَبَـــرْقٍ لَهَبِـــيٍّ[3] فِـــي ظَـــلَامِ اللَّيْـــلِ سَـــارِ
بَـــاسِـــمٍ أَبْكَـــى جُفُـــونِـــي قَـــادِحٍ زَنْـــدَ أُوَارِي[2]
صَـــاحِ[4] شَـــوْقِـــي لِلْمُصَلَّـــى مَـــالَ بِـــي مَيْـــلَ العُقَـــارِ
مَـــنْ رَآنِـــي فِـــي عَشِـــيٍّ لَابِسًـــا[5] ثَـــوْبَ ٱصْفِـــرَارِ
أَنْشُـــدَ البَـــانَ فُـــؤَادِي بَعْـــدَ مَـــا بَـــانَ اصْطِبَـــارِي[2]
بَيْـــنَ أَنْصَـــارٍ وَنَصْـــرٍ لِلْهُـــدَى عَـــزَّ انْتِصَـــارِ
و(123) / بِـــإِمَـــامٍ غَـــالِبِـــيٍّ سَـــاحِـــبٍ ذَيْـــلَ الفَخَـــارِ
حَسَـــدَتْ يَـــوْمَ المَعَـــالِـــي تَـــاجَـــهُ دُرُّ الـــدَّرَارِي[2]

---

(1) العرار والعرعر شجر السرو فارسية (القاموس 2/86).
(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(3) نسبة إلى لهب أي شدة ضوء البرق.
(4) منادى مُرخّم (يا صاحِبي)؛ وتجوز قراءة ثانية (صَاحَ) فعل وفاعله الشوقُ.
(5) مفعول رآني؛ أو «لآبِسٍ» كما في الأصل نعت لعشيٍّ.

(249)

وَقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

[الخفيف]

طَلَعَ البَدْرُ جَانِبَ الحَمْرَاءِ[1] وَهُوَ يَزْهَى بِالحُلَّةِ الحَمْرَاءِ
وَنُجُومُ الحُلِيِّ فِي مِعْطَفَيْهِ حَسَدَتْهَا فِيهِ نُجُومُ السَّمَاءِ
يَا بَرُودَ الرُّضَابِ إِنَّ فُؤَادِي مِنْكَ يَصْلَى بِوَقْدَةِ البُرَحَاءِ
رَامَ يُخْفِي بِالشَّعْرِ نُورَ جَبِينٍ كَيْفَ تَخْفَى البُدُورُ فِي الظَّلْمَاءِ
أَرْسَلَ الثَّغْرُ مِنْكَ بَرْقَ الثَّنَايَا فَأَرَانَا مَكَامِنَ الرُّقَبَاءِ
إِنَّ أُفْقَ الجَمَالِ مِنْ وَجْنَتَيْهِ خَطَّ فِيهِ العِذَارُ خَطَّ اسْتِوَاءِ
وَاصِلِ الصَّبَّ تُحْيِ مِنْهُ فُؤَاداً قَاطِعاً مِنْ سِوَاكَ حَبْلَ الرَّجَاءِ
أَنَا مِنْ ذَا وَتِلْكَ تَحْتَ أَمَانٍ فِي حِمَى العَدْلِ تَحْتَ ظِلِّ اللِّوَاءِ
لَسْتُ أَخْشَى شَيْئاً وَلاَ أَرْتَجِيهِ نَصَرَ اللهُ صَاحِبَ الحَمْرَاءِ
مَلِكٌ يَمْلِكُ المُلُوكَ وَلَكِنْ عَفَّ عَنْهَا بِهِمَّةٍ وَإِبَاءِ

(250)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ[2]:

[مجزوء الخفيف]

سَابِحُ البَدْرِ لَجَّجَا فِي بِحَارٍ مِنَ الدُّجَا
ق(123) / وَقَضَى النَّجْمُ مَا قَضَى ثُمَّ وَلَّى وَعَرَّجَا
وَنَضَا الأُفْقُ حَلْيَهُ بَعْدَمَا كَانَ تَوَّجَا
يَا نَدِيمَيَّ سُحْرَةً قَرِّبَا الكَاسَ وَامْزِجَا

---

(1) يقصد قصر الحمراء بغرناطة.

(2) أي في غرض الوصف والغزل والتخلص للمدح.

وَارْقُبَــا الشَّــرْقَ عَلَّـــهُ شَمْعَــةَ الصُّبْــحِ أَسْــرَجَــا
أَطْلَــعَ الصُّبْــحُ سَــوْسَنّــا وَاسْتَــرَدَّ البَنَفْسَجَــا
وَأَقَــاحــاً حَسِبْتُــهُ كَــانَ ثَغْــراً مُفَلَّجَــا
شَــارِبَ الخَمْــرِ إِنَّهَــا تَشْــرَبُ العَقْــلَ وَالحِجَــا
فَــاتْــرُكِ العَقْــلَ جَــانِبَــا وَتَــرَى الهَــمَّ أُفْــرِجَــا
يَــا نَسِيمَــا مُــدَرَّجَــا نَفْحَــةَ الــرَّوْضِ أَرَّجَــا
قُــلْ لِبَــانَــاتِ لَعْلَــعٍ[1] تُــرْسِــلُ الظِّــلَّ سَجْسَجَــا
فَــوْقَ ظَبْــيٍ مُهَفْهَــفٍ أَكْحَــلَ الطَّــرْفِ أَدْعَجَــا
فَضَــحَ الغُصْــنَ قَــدُّهُ فِــي كَثِيــبٍ تَــرَجْــرَجَــا
وَجَــلاَ صُبْــحَ غُــرَّةٍ تُطْلِــعُ الصُبْــحَ أَبْلَجَــا
مَــنْ عَــذِيــرِي لِمَــاطِــلٍ مَــزَجَ اليَــأْسَ بِــالــرَّجَــا
وَابْــنُ نَصْــرٍ مُحَمَّــدٌ هُــوَ يُخْشَــى وَيُــرْتَجَــى
كَــمْ طَــرِيــدٍ لَــهُ التَجَــا كَــمْ غَــرِيــقٍ بِــهِ نَجَــا
بَــابُ فَخْــرٍ فَتَحْتَــهُ[2] كَــانَ مِــنْ قَبْــلُ مُــرْتَجَــا
دُمْــتَ فِــي ظِــلِّ غِبْطَــةٍ مَــا صَبَــاحٌ تَبَلَّجَــا

(251)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ:

[الخفيف]

و(124) / كَــمْ شَكَــاةٍ تَبُثُّهَــا لِحَبِيــبِ عَنْ مُحِبّ لَمْ تَدْرِ عَنْهَا اللَّوَاحِي[3]
أَدَّعَنِّــي لِــرَوْضِ نَجْــدٍ سَــلاَمَــا يُخْجِـلُ المِسْـكُ طِيبُـهُ بِـافْتِضَاحِ

(1) هي نوع من الأشجار الضخمة، ولعلع: اسم مكان (انظر التعريف به سابقاً).
(2) (فتحتَه) والضمير يعود على الممدوح لا (فتحتُه) كما جاء في الأصل.
(3) في الأصل: اللواح.

وَسَـلِ البَـانَ عَـنْ عُهُـودٍ تَقَضَّـتْ كَانَ فِيهَا الحَبِيبُ طَوْعَ اقْتِرَاحِي(1)
جُـرَّ ذَيْـلاً عَلَـى السَّبِيكَـةِ لَيْـلاً ثُـمَّ صَـافِحْ عَنْهَـا نَـدِيـمَ اصْطِبَـاحِ

(252)

وَقَالَ أَيْضاً:

[المتقارب]

وَحَقِّـكَ وَالحَـقُّ مِـنْ شِيَمِـي(1) لَمَـا إِنْ [كَسَبْـتُ(2)] سِـوَى النَّـدَمِ
حَفِظْتُكُـمُ وَصَفَـوْتُ لَكُـمْ صَفَـاءَ الْمُحِبِّيـنَ فِـي القِـدَمِ
وَجُـدْتُ بِنَفْسِـي اِغْتِبَـاطًـا بِكُـمْ وَمَـنْ جَـادَ بِـالنَّفْسِ لَـمْ يَنْـدَمِ
وَحَكَّمْتُكُـمْ فِـي الـذِي شِئْتُـمُ وَمَـنْ سَلَّـمَ الأَمْـرَ لَـمْ يُسْلَـمِ
أَمَـا وَالـوِدَادِ الـذِي بَيْنَنَـا وَأَيُّ يَمِيـنٍ لِمُسْتَقْسِـمِ
لَمَا حُلْتُ بَعْدَ النَّوَى عَنْ هَوًى وَحَـاشَـى لِمِثْلِـيَ مِـنْ مُغْـرَمِ
وَكَيْـفَ انْقِـلاَبِـيَ عَـنْ شِيمَتِـي وَقَلْبِـي بِسِـرِّكَ لَـمْ يَعْلَـمِ
أَهُـزُّكَ هَـزَّ نَسِيـمِ الصَّبَـا غُصُـونًـا عَـنِ الـزَّهْـرِ لَـمْ تَبْسِـمِ
وَإِلاَّ كَهَـزِّ الكَمِـيِّ الظُّبَـا خِـلاَلَ الجُفُـونِ مِـنَ النُّـوَّمِ
وَتَمْضِـي اللَّيَـالِـي وَأَحْـدَاثُهَـا وَيَبْقَـى الحَـدِيـثُ لِمُسْتَفْهِـمِ
وَكَـمْ قَـدْ شَكَـا الـدَّهْـرَ أَبْنَـاؤُهُ وَكَـمْ مَـرَّ فِيـهِ مِـنَ اللُّـوَّمِ
وَلاَ لَـوْمَ فِيكُـمْ وَلَكِنَّـهُ أَلُـومُ لِبَعْـضٍ مِـنَ الخِـدَمِ(3)
(ق124) / عَلَيْـكَ سَـلاَمٌ خَتَمْـتُ بِـهِ بِغَيْـرِ شَـذَا المِسْـكِ لَـمْ يُخْتَـمِ

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) غير واضحة في الأصل ولعلها (كسبت) حسب المعنى.
(3) الوزن في عجز البيت وكذا في عجز البيتين 1 و 2 يختلف عن سائر الأبيات الأخرى إنْ في الحشو زحافات.

وَقَالَ أَيْضاً[1]:

[الكامل]

لَكَ فِي الوُجُودِ مَحَاسِنٌ لاَ تُجْهَلُ ... فَمَتَى أُصِيخُ لِمَا يَقُولُ العُذَّلُ؟

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ ... فَأَنَا بِدِيوَانِ الصَّبَابَةِ[2] أَوَّلُ

مِنْ أَيْنَ يَجْمُلُ بِي السُّلُوُّ وَإِنَّنِي ... فِي فَرْطِ حُبِّي مِنْ جَمِيلٍ[3] أَجْمَلُ؟

إِنَّ المُحِبَّ إِذَا تَمَكَّنَ حُبُّهُ ... سِيَّانِ يُعْذَرُ فِي الهَوَى أَوْ يُعْذَلُ

مَاذَا عَلَيْهِ فِي المَلاَمِ وَإِنَّهُ ... بَعْدَ المَلاَمِ إِلَى الحَبِيبِ الأَمْيَلُ

فَالقَلْبُ بِالأَشْوَاقِ مِثْلُ ذُبَالَةٍ ... مَهْمَا هَفَتْ رِيحُ المَلاَمَةِ تُشْعَلُ

يَا مَنْ رَآنِي وَالنَّسِيمُ يُمِيلُنِي ... فَرَأَى العَلِيلَ بِمِثْلِهِ يَتَعَلَّلُ

مُذْ صَحَّ حُبِّي فَالضَّنَا لِي حُلَّةٌ ... بِلِبَاسِهَا بَيْنَ الوَرَى أَتَجَمَّلُ

لَمْ أَنْسَهُ لَيْلَ ارْتِقَابِ هِلاَلِهِ ... فَمُكَبِّرٌ لِطُلُوعِهِ وَمُهَلِّلُ

بَيْنَا تُرَاقِبُهُ هِلاَلاً طَالِعَا ... فَإِذَا بِهِ قَدْ لاَحَ فَهُوَ مُكَمَّلُ

يَا سَاكِنِي نَجْدٍ تعَاهَدَهَا الحَيَا ... وَسَرَتْ بِرَيَّاهَا الصَّبَا وَالشَّمْأَلُ

إِنَّ البُدُورَ مِنَ الخُدُورِ تَطَلَّعَتْ ... فَعَنَتْ لِبَهْجَتِهَا البُدُورُ الكُمَّلُ

رِفْقاً عَلَيْهَا أَنْفُساً مَبْذُولَةً ... بِجَمَالِكُمْ لِجَمَالِكُمْ تَتَوَسَّلُ

مَا حَالُهُ لَمَّا أَقَامَ بِجِسْمِهِ ... وَفُؤَادُهُ خَلْفَ الظَّعَائِنِ يَرْحَلُ

إِنْ يَصْرِدُوا أَذْكَيْتَ نَارَ جَوَانِحِي ... أَوْ يَظْمَؤُوا فَسَحَابُ دَمْعِي تَهْمِلُ

و(125) / يَا شَمْسَ حُسْنٍ وَاللَّوَاحِظُ مَشْرِقٌ ... يَا بَدْرَ تَمٍّ وَالجَوَانِحُ مَنْزِلُ

مِنْ بِشْرِ وَجْهِكَ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الضُّحَى ... وبِحُسْنِهِ بَدْرُ الدُّجُنَّةِ يَكْمُلُ

---

(1) أي في غرض الغزل.

(2) يضمن هنا عنوان كتاب لابن حجلة «ديوان الصبابة» راجع القصائد 218 ـ 219 ـ 220.

(3) هو جميل بثينة.

فَلأَنْتَ فِي كُلِّ القُلُوبِ مُصَوَّرٌ — وَلأَنْتَ فِي حَدَقِ العُيُونِ مُمَثَّلُ

وَبِكُلِّ بَرْقٍ مِنْ سَنَاكَ تَبَسُّمٌ — وَبِكُلِّ وَرْدٍ مِنْ دُمُوعِي مَنْهَلُ

يَا غُصْنَ بَانٍ قَدْ تَنَعَّمَ فَانْثَنَى — جِسْمُ المُحِبِّ بِهِ يَرِقُّ وَيَذْبُلُ

مَلأَ المَسَامِعَ ذِكْرُهُ مَنْ يَسْتَمِعْ — مَلَكَ القُلُوبَ جَمَالُهُ مَنْ يَعْقِلِ

وَلَكَمْ سَهِرْتُ بِلَيْلِهِ كَدَلاَلِهِ — وَالنَّجْمُ مِثْلِي فِي الدُّجَى يَتَمَلْمَلُ

حَتَّى بَدَا صُبْحٌ كَمِثْلِ جَبِينِهِ — وَالنُّورُ مِنْ قَسَمَاتِهِ يَتَهَلَّلُ

وَلَقَدْ طَرَقْتُ الحَيَّ يَزْحَفُ بَاسُهُ(1) — وَالأُسْدُ تَزْأَرُ وَالصَّوَافِنُ تَصْهَلُ

وَمِنَ السُّيُوفِ جَدَاوِلٌ مَصْقُولَةٌ — وَمِنَ القَنَا دَوْحٌ بِهِ يَتَهَدَّلُ

وَمِنَ البُرُوقِ صَوَارِمٌ مَسْلُولَةٌ — وَمِنَ النُّجُومِ أَسِنَّةٌ لاَ تَنْصِلُ

بِتْنَا نَبُثُّ شِكَايَةً مَرْحُومَةً — تَذْوِي لَهَا رَضْوَى وَيَذْبَلُ يَذْبُلُ

وَنَثَرْتُ مِنْ عِقْدِ الحَدِيثِ وَدَمْعِهَا — دُرًّا بِهَا بَاتَ الوِشَاحُ يُفَصَّلُ

وَهَصَرْتُ غُصْناً نَاعِماً أَبْقَى عَلَى — فَوْدِي مَشِيباً زَهْرُهُ مُسْتَقْبَلُ

وَلَثَمْتُ مَا بَيْنَ العُذَيْبِ وَبَارِقٍ — ثَغْرًا يُعَلُّ مِنَ الحَيَاةِ وَيُنْهَلُ

وَشَمَمْتُ زَهْرَ أَقَاحَةٍ مَطْلُولَةٍ — يَجْرِي عَلَيْهَا مِنْ رَحِيقٍ سَلْسَلُ

أَفْرَغْتُ فِي جِسْمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا — فَأَصَابَنِي مِنْهَا السِّرَاجُ المُشْعَلُ

لَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ لَوْنٍ حَائِلٍ — لِيُرِيكَ مَا صَبَغَ الزَّمَانُ الأَوَّلُ

وَجَرَيْتُ فِي طُرُقِ البَطَالَةِ حَيْثُ لَوْ — تَجْرِي جِيَادُ البَرْقِ كَانَتْ تُشْكَلُ

ق(125) / أَقَصِيرَةَ البَيْتِ الطَّوِيلِ عِمَادُهُ — وَمَنِيعَةَ العِزِّ الَّذِي لاَ يُخْذَلُ

كَمْ خُضْتُ دُونَكِ مِنْ مَفَازٍ لَوْ سَرَتْ — فِيهِ القَطَاةُ لَضَلَّ عَنْهَا المَنْهَلُ

مُتَوَشِّحًا بَرْقاً إِذَا جَرَّدْتُهُ — مِنْ غِمْدِهِ مَدَّ الغَدِيرَ الجَدْوَلُ

وَمَضَى نَجَاشِيُّ الظَّلاَمِ وَفَوْقَهُ — لِلْبَدْرِ تَاجٌ بِالنُّجُومِ مُكَلَّلُ

مَا جَاءَ إِلاَّ لِلْهَنَاءِ أَمَا تَرَى — لِلْبَرْقِ فِيهِ تَبَسُّمٌ يَتَخَلَّلُ

---

(1) كذا في الأصل ولعله «نَاسُهُ».

وَأَطَلَّ مِنْ بَازِي الصَّبَاحِ مُحَلِّقٌ أَضْحَى غُرَابُ اللَّيْلِ مِنْهُ يُجْفِلُ

(254)

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ[1]:

[الطويل]

وَأَزْمَانِ[2] أُنسٍ قَدْ شَرِبْتُ كُؤُوسَهَا فَأَبْقَتْ بِفَوْدِي لِلْمَشِيبِ حَبَابَا
وَمَنْ يَلْبَسِ الأَيَّامَ تُبْلِ شَبَابَهُ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتَجِدُّ شَبَابَا
وَإِنْ قَنَّعَ اللَّيْلُ البَهِيمُ شُمُوسَهَا تَحُطُّ عَنِ الصُّبْحِ المُبِينِ نِقَابَا
وَيَضْحَكُ ثَغْرُ البَرْقِ فِيهَا مُبَشِّراً بِنَيْلِ الأَمَانِي جَيْئَةً وَذَهَابَا
وَإِنْ فَتَحَتْ زُهْرُ النُّجُومِ أَزَاهِراً يَفُضُّ لَهَا عَرْفُ النَّسِيمِ عِيَابَا[3]
وَلاَ سِيَّمَا إِنْ كَانَ عَصْرَ بَشَائِرٍ يُفَتِّحُ لِلْنَّصْرِ المُؤَزَّرِ بَابَا

(255)

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى:

[الطويل]

ثَنَى عَزْمُهُ نَحْوَ المَتَابِ وَأَزْمَعَا وَنَادَى بِهِ دَاعِي الرَّشَادِ فَأَسْمَعَا
و(126) / وَعَطَّلَ أَفْرَاسَ البَطَالَةِ بَعْدَمَا أَخَبَّ بِمِيدَانِ التَّصَابِي وَأَوْضَعَا
وَجَاوَزَ مِنْ بَعْدِ الثَّلاَثِينَ سِتَّةً مُصَاحِبَ رَكْبٍ لِلْشَّبَابِ مُوَدِّعاً
وَلَم يَبْقَ بَيْنَ الأَرْبَعِينَ وَبَيْنَهُ وَيَبْلُغَهَا إِلاَّ مَرَاحِلَ أَرْبَعَا[4]
وَمَاذَا الَّذِي يَسْتَحْفِظُ المَرْءُ نَفْسَهُ إِذَا هُوَ أَمْسَى لِلشَّبَابِ مُضَيِّعَاً

---

(1) إشارة إلى أنه يختار أبياتاً يوردها ويترك أخرى.
(2) أزمان مجرورة بالواو بتقدير (ورب أزمان).
(3) (العِيَابُ) جمع عيبة وهي وعاء من أدَم ويكنى بها عن الصدر أو القلب، أي يفض النسيمُ كَأْسَ الزهرة فيخرج ما فيها من طيب (القاموس 1/108)
(4) في البيتين تاريخ للقصيدة فقد قالها وعمره ست وثلاثون سنة أي سنة 769 هـ.

سَرَى وَادِعًا لَيْلُ الشَّبَابِ وَرَاعَهُ تَبَاشِيرُ صُبْحِ الشَّيْبِ لَمَّا تَطَلَّعَا
أَلَيْلَ شَبَابِي لاَ تُرَعْ لِضِيَائِهِ فَأَيُّ ظَلاَمٍ بِالضِيَا مَا تَقَشَّعَا
وَمَا خَيْرُ حُبٍّ لَيْسَ يَجْنِي عَلَى الفَتَى سِوَى حُرَقٍ تُذْكِي فُؤاداً وَأَضْلُعَا
إِذَا نَعِمَتْ عَيْنَاهُ يَوْماً بِنَظْرَةٍ تَأَلَّمَ مِنْهَا قَلْبُهُ وَتَوَجَّعَا

(256)

وَقَالَ مُعَزِّيًا:

[الطويل]

عَزَاءٌ فَعَفْوُ اللهِ لِلْمَيْتِ شَامِلُ وَصَبْراً فَلُطْفُ اللهِ لِلْحَيِّ كَافِلُ
وَمَنْ كَانَ بَيْنَ العَفْوِ وَاللُّطْفِ أَمْرُهُ تَسَنَّتْ لَهُ فِيمَا يُرِيدُ المَآمِلُ
إِذَا الأَجَلُ المَكْتُوبُ جَاءَ لِوَقْتِهِ فَمَا مَانِعٌ مِنْهُ القَنَا وَالقَنَابِلُ
وَمَا النَّاسُ لِلأَجْيَالِ إِلاَّ دَرِيئَةٌ تُصِيبُهُمُ مِنْهَا سِهَامٌ قَوَاتِلُ
فَسَلِّمْ إِلَى رَبِّ القَضَاءِ قَضَاءَهُ [فَيَفْعَلَ مَا يَشَا سُبْحَانَه فَاعِلُ][1]
وَعِشْ سَالِمًا تَلْقَى البَنِينَ بِغِبْطَةٍ وَتَكْفَلُهُمْ مِنْكَ اللُّهَى وَالفَوَاضِلُ

(257)

ق(126) وَمِنْ مَرَاثِيهِ أَيْضاً فِي مَوْلاَنَا الغَنِي بِاللهِ حَيَّا اللهُ ثَرَاهُ بِرَحْمَتِهِ جَامِعاً إِلَى ذَلِكَ مَدْحَ مَوْلاَنَا الوَالِدِ[2] هَنَاءَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

[الطويل]

عَزَاءً فَفِي أَمْثَالِهِ يَعْزُبُ الصَّبْرُ هَنَاءً عَلَى أَمْدَاحِهِ يَخْطُبُ الدَّهْرُ

---

(1) بياض في الأصل وأضيف العجز بخط مغاير ولون مختلف عن الأصل فلعله من اجتهاد الناسخ أو اصحاب المخطوط والوزن لا يستقيم في العجز ولم نهتد لإصلاحه.

(2) والد جامع المخطوط هو السلطان يوسف الثاني المتولّى الأمر بعد أبيه الغني بالله سنة 793 ولم يبق في الحكم إلا سنة واحدة وهذا ما يفسر قلة مدح ابن زمرك له، فالقصيدة قيلت سنة 793هـ. سنة وفاة الغني بالله.

فَإِنْ غَابَ بَدْرٌ لاَحَ مِنْ بَعْدِهِ بَدْرُ وَإِنْ غَاصَ بَحْرٌ فَاضَ مِنْ مَدِّهِ بَحْرُ
وَإِنْ أُغْمِدَ السَّيْفُ الَّذِي نَصَرَ الهُدَى فَقَدْ سُلَّ سَيْفٌ مِنْ حَمَائِلِهِ النَّصْرُ[1]
وَإِنْ طَوَتِ البُرْدَ اليَمَانِي يَدُ البِلَى فَإِنَّ البُنُودَ الخَافِقَاتِ لَهَا نَشْرُ
وَإِنْ أَقْلَعَ الغَيْثُ الَّذِي رَوَّضَ الرُّبَا فَقَدْ صَابَ غَيْثُ الجُودِ وَاسْتَرْسَلَ القَطْرُ
وَقَدْ أَمَّنَ الأَرْجَاءَ يُمْنُ خَلِيفَةٍ تَهَادَى بِهِ الإِقْبَالُ وَاتَّصَلَ البِشْرُ
تَبَاشِيرُ صُبْحٍ بَعْدَ لَيْلٍ تَطَلَّعَتْ وَأَيُّ ظَلاَمٍ لَيْسَ يَعْقُبُهُ الفَجْرُ
مَخَايِلُ رُحْمَى فِي خِلاَلِ مُلِمَّةٍ كَمَا انْهَلَّتِ الأَنْوَاءُ وَابْتَسَمَ الزَّهْرُ
وَقَدْ تَكْمُنُ البُشْرَى بِغَيْرِ مَظِنَّةٍ فَهَذَا نَمِيرُ المَاءِ يَقْذِفُهُ الصَّخْرُ
هَوَى القَمَرُ الوَضَّاحُ لِلْتُرْبِ عَنْوَةً فَغَابَ بِهِ بَدْرٌ وَغَاضَ بِهِ بَحْرُ
مَنَاقِبُهُ زُهْرُ النُّجُومِ لِمُهْتَدٍ فَيَا مَنْ رَأَى لَحْداً تَغِيبُ بِهِ الزُّهْرُ؟
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحِلْمَ وَالبَأْسَ وَالنَّدَى وَغُرَّ المَسَاعِي قَدْ تَضَمَّنَهَا قَبْرُ
فَجَادَ ثَرَاهُ مِنْ رِضَا اللهِ وَاكِفٌ وَصَابَتْ بِهِ الرُّحْمَى وَجَلَّلَهُ الغَفْرُ
فَكُلُّ ابْتِدَاءٍ صَائِرٌ لِنِهَايَةٍ وَإِنْ طَالَتِ الأَعْوَامُ وَاتَّصَلَ الشَّهْرُ
وَمَنْ ذَا الذِي يَرْجُو بَقَاءً لِحَادِثٍ (وَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا عُمْرُ)
و(127) / فَإِنْ عَظُمَ الخَطْبُ الذِي دَهَمَ الوَرَى فَقَدْ عَظُمَتْ فِيهِ المَثُوبَةُ وَالأَجْرُ
وَقَدْ وَلِيَ الإِسْلاَمَ خَيْرُ مُمَلَّكٍ تَوَلَّى بِهِ عُسْرٌ وَأَعْقَبَهُ يُسْرُ
فَمَا كَانَ إِلاَّ الشَّمْسُ إِنْ غَابَ قُرْصُهَا يُجَلِّي لَنَا أَنْوَارَهَا بَعْدَهَا البَدْرُ
وَمَا كَانَ إِلاَّ المِسْكُ إِنْ تَخْفَ ذَاتُهُ يَنِمُّ بِهِ مِنْ طِيبِهِ العَرْفُ وَالنَّشْرُ
وَمَا الخَلْقُ إِلاَّ فِي ظِلاَلِ خِلاَفَةٍ يَحُوطُ حِمَاهَا مَنْ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ
وَقَدْ قَرَّ عَيْنُ الدِّينِ مِنْهُ بِنَاصِرٍ مَتَى شَيَّدَ التَّوْحِيدَ يَنْهَدِمُ الكُفْرُ
فَلِلدِّينِ وَالدُّنْيَا ابْتِهَاجٌ وَغِبْطَةٌ وَلِلْثَغْرِ ثَغْرٌ بِالمَسَرَّةِ مُفْتَرُّ

---

(1) جاء في الطرة بازاء الأبيات الأولى عبارة «قف على بلاغة الأندلسيين» وهي بخط مغاير للمخطوط في الشكل ولون الحبر.

شَمَائِلُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ... يَطِيبُ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي بِهَا الذِّكْرُ

مَبَالِغُ عِزٍّ دُونَهَا تَقِفُ النُّهَى ... جَلاَلاً فَمَا يَسْمُو لإِدْرَاكِهَا فِكْرُ

وَأَدْرَكَهَا مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِالعُلَى ... وَشَادَتْ لَهُ العَلْيَاءَ آبَاؤُهُ الغُرُّ

عَلَى مِثْلِهَا فَلْيَعْقِدِ الفَخْرُ تَاجَهُ ... فَمَا ظَنَّ يَوْماً أَنْ يَفُوزَ بِهَا الفَخْرُ

وَلِلَّهِ مِنْهَا بَيْعَةٌ نَبَوِيَّةٌ ... بِهَا اسْتَنجَدَ الإِسْلاَمُ وَاسْتَأْمَنَ القُطْرُ

تَهَشُّ لَهَا الدُّنْيَا وَتَسْمُو بِهَا العُلَى ... وَيَشْدُو بِهَا الحَادِي وَيَحْدُو بِهَا السَّفْرُ

بِهَا قَبَّلُوا يُمْنَاهُ بَحْرَ سَمَاحَةٍ ... فَلِلَّهِ مِنْ بَحْرٍ يُسَوِّغُهُ بَرُّ

وَأَلْقَتْ عَلَى وَجْهِ النَّهَارِ طَلاَقَةً ... يَلُوحُ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْ نُورِهَا بِشْرُ

وَوَافَقَهَا جُودُ الإِلاَهِ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ الغَيْثِ فَأْلٌ لَيْسَ يَخْلُفُهُ الزَّجْرُ

وَكُلِّلَتْ الأَدْوَاحُ وَاكْتَسَتِ الرُّبَا ... وَطُوِّقَ جِيدٌ وَارْتَدَى حِلْيَةً صَدْرُ

وَكَانَتْ ثِيَابُ الأَرْضِ عُفْراً فَمَا انْجَلَى ... لَهَا الغَيْمُ إِلاَّ وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

وَقَلَّدَ جِيدَ ٱلْغُصْنِ دُرٌّ مِنَ ٱلنَّدَى ... وَرَوَّى ثَرَاهُ مِنْ سُلاَفَتِهِ دَرُّ

ق(127) / فَلَمْ نَدْرِ هَلْ سُكْرٌ يَمِيلُ بِعِطْفِهِ ... إِذَا صَافَحَ ٱلْغُصْنُ ٱلنَّوَاسِمَ أَمْ شُكْرُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلسُّحْبِ تَبْكِي جُفُونُهَا ... فَيَبْسِمُ ثَغْرُ ٱلزَّهْرِ مِنْهَا وَيَفْتَرُّ

فَفِي كُلِّ نَجْدٍ حَلَّ حُلَّةَ سُنْدُسٍ ... وَفِي كُلِّ غَوْرٍ سَالَ مِنْ فِضَّةٍ نَهْرُ

وَقَامَ خَطِيبُ ٱلدَّوْحِ يَشْكُرُ رَبَّهُ ... وَمِنْبَرُهُ فِي دَوْحِهِ ٱلْغُصُنُ ٱلنَّضْرُ

مَظَاهِرُ بِالتَّسْبِيحِ تَحْمَدُ رَبَّهَا ... وَحُقَّ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ ٱلْحَمْدُ وَٱلشُّكْرُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ فَاتَتِ ٱلنُّهَى ... وَفِي كُلِّ مَوْجُودٍ لِمُوجِدِهِ سِرُّ

وَكَمْ رَحْمَةٍ لاَ يَبْلُغُ ٱلشُّكْرُ كُنْهَهَا ... وَكَمْ نِعْمَةٍ لاَ يَسْتَقِلُّ بِهَا ٱلْحَصْرُ

فَيَا بَدْرَ تَمٍّ وٱلسُّعُودُ مَنَازِلٌ ... وَيَا شَمْسَ هَدْيٍ مِنْ مَطَالِعِهَا ٱلْقَصْرُ

وَيَا مُخْجِلَ ٱلصُّبْحِ ٱلْمُبِينِ بِغُرَّةٍ ... تُنِيرُ بِوَجْهِ ٱلدَّهْرِ أَيَّامُهَا ٱلْغُرُّ

وَيَا وَارِثَ ٱلأَنْصَارِ لاَ عَنْ كَلاَلَةٍ ... أَمَامَكَ إِنَّ ٱلْفَتْحَ قَدْ جَاءَ وَٱلنَّصْرُ

لِتَفْخَرْ بِلاَدٌ أَنْتَ عِصْمَةُ أَهْلِهَا ... وَهَيْهَاتَ مَا دَارُ ٱلسَّلاَمِ وَمَا مِصْرُ؟

تَطَلَّعَتَ فِي أُفْقِ ٱلْخِلاَفَةِ بَدْرَهَا ... كَمالاً فَمَا أُفْقُ ٱلْسَّمَاءِ وَمَا ٱلْبَدْرُ؟

فَجُودُكَ غَيْثٌ لاَ يَغِبُّ ٱنْسِكَابُهِ ... وَكَفُّكَ بَحْرٌ مَا لِمَدٍّ بِهِ جَزْرُ

وَدُونَكَ دُرًّا يُسْتَقَلُّ لَهُ ٱلْدُرُّ ... تَنَفَّسَ عَنْ سِحْرٍ[1] وَمَا مِثْلُهُ ٱلْسِّحْرُ

تَشُقُّ أَفَانِينُ ٱلْبَلاَغَةِ جَيْبَهَ ... عَلَيْهِ وَيَسْتَهْوِي ٱلْبَيَانَ بِهِ ٱلْشُكْرُ

عَلَيْكَ سَلاَمُ ٱللَّهِ مَا قَمَرٌ بَدَا ... وَمَا ٱنْبَلَجَ الإِصْبَاحُ وَٱنْسَجَمَ ٱلْقَطْرُ

(258)

وَمِنْ ٱلْمَدْحِ ٱلْمُصَدَّرِ بِالْغَزَلِ:

[المتقارب]

عَجِبْتُ لِبَرْقٍ يُوَالِي ٱبْتِسَامَهْ ... وَقَدْ سَلَّ جُنْحَ[2] ٱلْظَّلاَمِ حُسَامَهْ

/ فَأَبْكَى جُفُونِي وَأَبْكَى ٱلْحَيَا ... وَأَذْكَى بِقَلْبِيَ وَهْناً ضِرَامَهْ (128و)

بَدَا مُرْهَفاً فِي ٱلْدُّجَى مُذْهَباً ... فَقَطَّعَ قَلْبِي وَذَيْلَ ٱلْغَمَامَهِ

وَمَالِي وَلِلْبَرْقِ يُعْدِي فُؤَادِي ... خُفُوقاً وَيُبْدِي بِجَفْنِي ٱنْسِجَامَهْ

وَلَكِنْ يُذَكِّرُ ثَغْراً لِسَلْمَى ... أَطَالَ ٱلْمَشُوقُ عَلَيْهِ حُيَامَهْ[3]

وَرَاقَ بِعَيْنِيَ زُهْرُ ٱلْنُّجُومِ ... وَقَدْ فَتَقَ ٱلْلَّيْلُ عَنْهَا كِمَامَهْ

وَأَجْرَى ٱلْصَّبَاحُ بِهِ أَشْهَباً ... يُطَارِدُ أَدْهَمَ لَيْلٍ أَمَامَهْ

وَقَدْ كَانَ فَضَّضَ سَرْجَ ٱلْهِلاَلِ ... وَقَلَّدَ دُرَّ ٱلْثُّرَيَّا لِجَامَهْ

وَقَدْ أَرْعَشَ ٱلْنَّجْمَ بَازِي ٱلْصَّبَاحِ ... وَطَايَرَ بَيْنَ ٱلْبُرُوجِ حَمَامَهْ

وَأَذْكَى سِرَاجاً يُنِيرُ ٱلْدَّيَاجِي ... وَيَجْلُو عَنِ ٱلأُفْقِ وَهْناً ظَلاَمَهْ

وَنَهْرُ ٱلْمَجَرَّةِ قَدْ حَفَّهُ ... حَمَامُ نُجُومٍ وَرَدْنَ جَمَامَهْ

وَرُبَّ نَسِيمٍ سَقِيمٍ سَرَى ... فَسَرَّى عَنِ ٱلْجِسْمِ مِنِّي سَقَامَهْ

---

(1) في الأصل (شَجْرُ) بالشين ولا شك أنها سين والخطأ من سهو الناسخ.

(2) هكذا في الأصل، وتَجوز قراءة «جنحُ» بالرّفع ـ على أنّ الظّلام وقد لمع فيه البرق كأنه سلّ سيفَه.

(3) حَامَ فُلانٌ على الأمر حَوْماً وَحُيَاماً رَامَهُ (القاموس 4/100).

أَبَــلَّ ٱلْعَلِيــلَ وَرَوَّى ٱلْغَلِيــلَ وَسَلَّــى ٱلْمَشُــوقَ وَبَــلَّ أُوَامَــهْ[1]

وَقَـدْ بَعَـثَ ٱللَّيْـلُ طَيْفـاً مَـرُوعـاً أَضَــلَّ بِسَيْـلِ ٱلـدُّمُـوعِ مَنَـامَـهْ

وَنَــارُ ٱلصَّبَــابَــةِ أَضْــرَمْتُهَــا بِقَلْبِي لَـهُ فِـي ٱلـدُّجَـا عَـنْ عَـلاَمَـهْ

فَقُلْـتُ وَمَـزَّقَ مَسْـحَ ٱلـدُّجَـا: لَعَـلَّ خَيَـالاً سَـرَى مِـنْ أَمَـامَـهْ

فَـلاَ تَعْجَبُـوا أَنْ سَـرَى مَـوْهِنـاً خَيَـالٌ أَطَـالَ بِـرَكْبِـي لِمَـامَـهْ

لَقَــدْ زَارَ مِنِّــي خَيَـالاً خَيَــالٌ وَكُــلٌّ لِكُــلٍّ تَشَكَّــى هُيَـامَـهْ

عَهِـدْتُ مَـعَ الأُفْـقِ عَهْـداً كَـرِيمـاً فَيَـرْعَـى ذِمَـامِـي وَأَرْعَـى ذِمَـامَـهْ

وَأَعْـدَى سُهَـادِي عُيُـونَ ٱلنُّجُـومِ وَأَعْـدَتْ جُفُـونِـي دُمُـوعـاً غَمَـامَـهْ

ق(128) / وَمِنْهَا[2]:

مَهَـــاةٌ تُخَيِّـــمُ بَيْـــنَ ٱلضُّلُـــوعِ فَمَـا لِلْمَشُـوقِ تَحَـامَـتْ خِيَـامَـهْ

رَعَـتْ بـاللَّـوَاحِـظِ حَـبَّ ٱلْقُلُـوبِ وَعَهْدِي بِهَا قَبْلُ تَرْعَى ٱلثُّمَامَهْ[3]

بِـرِدْفٍ يَهُـولُ ٱلْكَثِيـبَ ٱلْمهِيـلَ وَقَــدٍّ أَعَـارَ ٱلْقَضِيـبَ قَـوَامَـهْ

وَظَبْـــيٍ يُفَـــوِّقُ أَلْحَــاظَـــهُ فَتَـرْهَـبُ أُسْـدُ ٱلْعَـرِيـنِ سِهَـامَـهْ

إِذَا قُلْــتُ ظَبْيـاً تَثَنَّــى قَضِيبـاً وَإِنْ قُلْـتُ غُصْنـاً أَمَـاطَ لِثَـامَـهْ

لَقَـدْ سَلَـبَ ٱلظَّبْـيَ لَحْظَـا وَجِيـداً وَقَـدْ وَهَـبَ ٱلْغُصْـنَ لِينـاً وَقَـامَـهْ

فَــأَطْلَــعَ بَـدْراً يَـرُوقُ ٱلْعُيُـونَ وَتَهْـوَى بُـدُورُ ٱلتَّمَـامِ تَمَـامَـهْ

عَجِبْــتُ لِخَــالٍ عَلَــى خَــدِّهِ تَفَـرَّعَ مِسْكـاً وَيُحْسَـبُ شَـامَـهْ

مُنَـادِمُـهُ فـي لَيَـالِـي ٱلْـوِصَـالِ يَمِيـلُ بِـهِ ٱللَّحْـظُ قَبْـلَ ٱلْمُـدَامَـهْ

يَغَــارُ عَلَــى ثَغْــرِهِ مَــنْ يَــرَاهُ وَثَغْـرُ ٱلْحَبَـاب يُطِيـلُ ٱلْتِثَـامَـهْ

وَقَــالَ رَقِيبِــيَ فِــي غَفْــوَةٍ فَقُلْـتُ ٱلْـرَّقِيـبُ أَخَـافُ ٱنْتِقَـامَـهْ

---

(1) الأوَامُ: العطش (القاموس 4/76).

(2) هكذا في الأصل في الطرة، ويشير إلى حذف أبيات منها.

(3) الثمامة: نبت (المصدر السابق 4/85).

فَلِـي مِـنْ عَفَـافِـي رَقِيـبٌ عَتِيـدٌ   يُـرَجِّـي الإلاَهَ وَيَخْشَـى ٱلْقِيَـامَـهْ

سَأَخْتِمُ شَكْوَى ٱلْهَوَى بِالْمَدِيحِ   فَفَـضَّ مِـن ٱلْمِسْـكِ عَنْـهُ خِتَـامَـهْ

بَلَغْـتُ الإِمَـامَـةَ فِـي ذَا ٱلْهَـوَى   فَـأَخْتَـصُّ بِـالْمَـدْحِ فَخْـرَ الإِمَـامَـهْ

وَوَاللّـٰـهِ مَـا ٱلْبَحْـرُ إلا نَـدَاهُ   وَوَاللّـٰـهِ مَـا ٱلـدُّرُّ إلاَّ كَـلاَمَـهْ

طَـوِيـلُ رِدَاءِ ٱلنَّـدَى وَٱلشَّهَـامَـهْ   جَمِيـلُ مُحَيَّـا ٱلنُّهَـى وَٱلْـوَسَـامَـهْ

يَجُـودُ إذا خَـطَّ صَفْـحَ ٱلطُّـرُوسِ   بِطَـلِّ ٱلْغَمَـامَـةِ زَهْـرَ ٱلْكِمَـامَـهْ

وَفِيـهِ لِمَـنْ يَشْتَكِـي دَاءَ فَقْـرٍ   عَـلاَمَـةُ بُـرْءٍ بِنَـصِّ ٱلْعَـلاَمَـهْ[1]

فَفِي «صَحَّ هَذَا» تَصِحُّ الأَمَانِي   وَفِيهَـا ٱلتَّهَـانِـي لأَهْـلِ ٱلْكَـرَامَـهْ

(129و) / فَيَـا ٱبْـنَ الإِمَـامِ[2] وَصِـيَّ الإِمَـامِ   سَلِيـلَ الإِمَـامِ وَكَـمْ مِـنْ إِمَـامَـهْ

زَمَـانُـكَ هَـذَا زَمَـانُ ٱلسُّعُـودِ   كَـأَنَّ ٱلسُّعُـودَ بِـهِ مُسْتَهَـامَـهْ

وَمُلْكُـكَ جَـدَّدَ مُلْـكَ ٱلْعَـزِيـزِ[3]   أَطَـالَ الإلاَهُ عَلَيْنَـا دَوَامَـهْ

مَلَكْـتَ ٱلْمُلُـوكَ مُلُـوكَ ٱلـزَّمَـانِ   لِفَـرْضِ صَـلاَةِ الصِّـلاَتِ الإِقَـامَـهْ

وَقَـامُـوا يُـؤَدُّونَ مَفْـرُوضَهَـا   مَقَـامـاً حَمِيـداً لَكُنْـتَ إِمَـامَـهْ[4]

فَكَـمْ وَجْـهِ خَيْـرٍ أَرَى فَجَّ خَيْـرٍ[5]   بِـهِ ذُخِـرَتْ لِعُـلاَكَ ٱلْكَـرَامَـهْ

فَجَـدَّدْتَ لِلـدِّيـنِ رُوحَ ٱلْحَيَـاةِ   وَعَجَّلْـتَ لِلشِّـرْكِ فِيـهِ حِمَـامَـهْ

وَفُـرْقَـانُ سَيْفِـكَ أَنْـزَلْتَـهُ   لِتَفْـرِقَ مِنْهُـمْ بِـهِ كُـلَّ هَـامَـهْ

بِعَـزْمٍ يُجَلِّـي مُحَيَّـا ٱلصَّبَـاحِ   تُفَـادُ ٱلصَّـوَارِمُ مِنْـهُ الصَّـرَامَـهْ

نُجُـومُ الأَسِنَّـةِ قَـدْ صَـدَّقَـتْ   لأَهْـلِ ٱلضَّـلاَلَـةِ حُكْـمَ ٱلنِّجَـامَـهْ

---

(1) نص العلامة هي إمضاء السلطان بالعطاء أو المال وهي برء الفقير انظر البيت الموالي.

(2) القصيد في مدح السلطان يوسف الثاني ابن الغني بالله كما يبدو من السياق.

(3) لعلّه من سلاطين بني الأحمر من أجداد الغني بالله أو هو «العزيز الفاطمي» من أشهر خلفائهم بمصر وهو الأرجح.

(4) يقصد أنه إمامُ الملوك في العطاء فهو يَؤُمُّهُمْ في هذا الغرض وهم يتبعونه ويقلدونه كالإمام في الصلاة.

(5) معنى الصدر غير واضح أو لعلّه يُشير إلى واقعة حربيّة ضدّ الإسبان (انظر الأبيات الموالية).

فَمَنْ عَاشَ مَاتَ بِرُغْبِ ٱلْقُلُوبِ وَأَبْدَى بِسُوءِ ٱلْحَيَاةِ ٱلسَّآمَهْ
فَمَا يَحْسِبُ ٱلْعَيْشَ إلاَّ خَيَالاً وَلاَ يَحْسِبُ ٱلنَّوْمَ إلاَّ مَنَامَهْ
وَكَمْ مِنْ رُجُومٍ لِمَا قَدْ قَضَتْ بِزَجْرٍ أَلِيمٍ عَلَى كُلِّ لاَمَهْ
فَمَنْ مَاتَ صَارَ لِنَارِ ٱلْجَحِيمِ وَمَنْ فَرَّ مَدَّ ٱلْفِرَارُ ٱغْتِنَامَهْ
بَنَانُكَ سُحْبٌ نَوَالُكَ بَحْرٌ يَمِينُكَ رُكْنٌ قَضَيْنَا ٱسْتِلاَمَهْ
رُفِعْتَ ٱنْتِسَاباً لِمَاءِ ٱلسَّمَاءِ فَأَرْسَلْتَ فَوْقَ الأَنَامِ سِجَامَهْ
قَرَنْتَ ٱلصَّبَاحَ بِشَمْسِ ٱلضُّحَى بِذَاكَ ٱلْمُحَيَّا وَتِلْكَ ٱلْعِمَامَهْ
ق(129) / هَنِيئاً هَنِيئاً بِهَا عَوْدَةٌ سَلَكْتَ إِلَيْهَا طَرِيقَ ٱلسَّلاَمَهْ

(259)

وَمِنْ قَصِيدَةٍ فِي ٱلْهَنَاءِ بِالْشِّفَاءِ تَكَرَّرَ جُلُّهَا قَبْلُ وَهِيَ مِنَ ٱلْعِيدِيَّاتِ:

[الكامل]

بُشْرَى لَهَا ثَغْرُ ٱلرِّضَى يَتَبَسَّمُ وَشَذَا ٱلْقَبُولِ لِرَوْحِهَا يَتَنَسَّمُ
يَبْدُو عَلَى وَجْهِ النَّهَارِ طَلاَقَةٌ مِنْهَا وَفِي غُرَرِ الصَّبَاحِ تَوَسُّمُ
وَعَلَى مُحَيَّا ٱلشَّمْسِ مِنْهَا غُرَّةٌ وَعَلَى جَبِينِ ٱلْبَدْرِ مِنْهَا مِيسَمُ
وَبِكُلِّ دَوْحٍ لِلْخَطَابَةِ مِنْبَرٌ وَبِكُلِّ رَوْضٍ لِلْأَقَاحَةِ مَبْسَمُ
عِيدَانِ عِيدُ الفِطْرِ غِبَّ مَسَرَّةٍ بِتَمَامِ بُرْءٍ وَهُوَ عِيدٌ أَعْظَمُ
يَا ٱبْنَ ٱلذِّينَ إذَا تُعَدُّ خِلاَلُهُمْ عُلِمَ ٱلْحِسَابُ وَحَدُّهَا لاَ يُعْلَمُ
نَطَقَ ٱلْكِتَابُ بِبَاسِهِمْ وَسَمَاحِهِمْ وَٱلْفَخْرُ فِيهَا فَوْقَ مَا يُتَوَهَّمُ
وَإذَا كِتَابُ ٱللَّهِ أَثْنَى مُفْصِحاً رَبُّ ٱلْبَلاَغَةِ عَنْ مَدَاهُ مُفْحَمُ
سَلْ يَوْمَ بَدْرٍ إذْ بُدُورُ وُجُوهِهِمْ بِسَحَائِبِ ٱلنَّقْعِ ٱلْمُثَارِ تُلَثَّمُ
وَتَنَزَّلَ ٱلرُّوحُ الأَمِينُ لِنَصْرِهِمْ وَمِنَ ٱلْمَلاَئِكِ مُنْزَلٌ وَمُسَوَّمُ

وَمِنْهَا:

يَهْنِي ٱلْغَنِيَّ بِرَبِّهِ أَنَّ ٱلْوَرَى أَغْنَتْهُمْ أَقْفَالُهُ[1] وَٱلْمَغْنَمُ
كَمْ تَسْهَرُ الأَعْدَاءُ خَوْفَ سُيُوفِهِ وَسُيُوفُهُ فَوْقَ ٱلْمَضَاجِعِ نُوَّمُ
لاَ يَرْقُبُ الأَعْدَاءُ إِلاَّ فَتْكَةً تَدَعُ ٱلثَّكَالَى مِنْهُمُ تَتَأَلَّمُ
يَا مَنْ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ فَالرَّوْضُ مِنْ نَفَحَاتِهَا يَتَنَسَّمُ

(260)

ق(130)[2] / وَمِنْ مَقْطُوعَاتِ ٱلْهَنَاءِ بِالشِفَاءِ لِمَوْلاَنَا ٱلْجَدِّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ:

[المجتث]

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهْ قَدْ أَنْجَزَ ٱللَّهُ وَعْدَهْ
وَأَجْمَلَ ٱلصُّنْعَ لَمَّا شَفَى ٱلْخَلِيفَةَ عَبْدَهْ
وَصَانَهُ وَٱجْتَبَاهُ لِلْخَلْقِ أَعْظَمَ عُدَّهْ
وَفِي ٱلْحُرُوبِ كَفَاهُ وَأَوْدَعَ ٱلنَّصْرَ عِنْدَهْ
أَمَدَّهُ بِجُنُودِ مِنَ ٱلْمَلاَئِكِ عِدَّهْ
فَدَامَ خَيْرَ إِمَامٍ وَجَدَّدَ ٱللَّهُ سَعْدَهْ

(261)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً:

[الوافر]

هَنِيئاً قَدْ ظَفِرْنَا بِالأَمَانِي[3] وَنِلْنَا ٱلْعِزَّ فِي ظِلِّ الأَمَانِ

---

(1) هكذا في الأصل (أَقْفَالُهُ) بفتح الهمزة وهو جمع (قَفْلَة) وهو الوازن من الدراهم وكذلك أَقْفَلَهُمْ أي أتبعهم بَصَرَهُ أي أنَّ دراهمه وعطاياه أغنت الناس أو أن نظرته لهم ورعايته أغنتهم عن الاستعانة بغيره؛ وقد تكون (انفاله) أي عطاياه.

(2) لقد وقع نقل كامل الصفحة و (130) إلى ما بعد الصفحة ق (106) لأنها تحتوي على بقية القصيدة (203) ـ الرائية في العزاء ـ وذلك لخلل في الترتيب عند التفسير (انظر ص 243).

(3) في الأصل هكذا في الآخر بدون ياء.

وَلاَحَـتْ أَوْجُـهُ الأَيَّـامِ غُـرًّا تُحَيِّـي بِـالْبَشَـائِرِ وَالتَّهَـانِـي[1]
وَقَـالَ الْمُلْـكُ: يَـا بُشْـرَايَ هَـذَا وُجُـوهُ السَّعْـدِ بَـاهِـرَةُ الْعِيَـانِ
وَأَجْـرَى فـي مَيَـادِيـنِ التَّهَـانِـي جِيَـادَ الأُنْـسِ مُـرْسَلَـةَ الْعِنَـانِ
جَـزَاكَ اللَّـهُ خَيْـراً مِـنْ إِمَـامٍ تَحَفَّـى بِـالتَّلَطُّـفِ وَالْحَنَـانِ

(262)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً:

[الوافر]

إِمَـامَ الْمُسْلِمِيـنَ لَـكَ الْبَقَـاءُ وَبُشْـرَاكَ السَّـلاَمَـةُ وَالشِّفَـاءُ
و(131) / وَهُنِّئَـتِ السَّعَـادَةَ فـي خُلُـودٍ وَلِلْخَلْـقِ الْجَمِيـعِ بِـكَ الْهَنَـاءُ
فَلِلـدُّنْيَـا بِـرَاحَتِـكَ ارْتِيَـاحٌ وَلِلـدِّيـنِ الظُّهُـورُ وَالاعْتِـلاَءُ
إِذَا مَـا شِئْـتَ نَصْـراً يَـا ابْـنَ نَصْـرٍ تُبَلِّغُـكَ السَّعَـادَةُ مَـا تَشَـاءُ

(263)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً:

[الوافر]

لَـكَ الْبُشْـرَى أَمِيـرَ الْمُسْلِمِينَـا وَظِـلَّ اللَّـهِ فَـوْقَ الْعَـالَمِينَـا
شِفَـاؤُكَ لِلصُّـدُورِ بِـهِ شِفَـاءٌ وَقُـرَّةُ أَعْيُـنٍ لِلْمُـؤْمِنِينَـا
بِـرَاحَتِـكَ النُّفُـوسُ لَهَـا ارْتِيَـاحٌ وَبُـرْؤُكَ عِصْمَـةٌ دُنْيَـا وَدِينَـا
وَقَوْمُكَ فِي الْمُلُوكِ لَهُمْ سِمَاتٌ يَلُـوحُ صَبَـاحُهَـا نُـوراً مُبِينَـا
بَنُـو نَصْـرٍ تَسَـامَـوْا فِـي الْمَعَـالِـي لأَنْصَـارِ الـرَّسُـولِ الأَكْـرَمِينَـا
فَـلاَ زَالَـتْ سُعُـودُكَ فِـي اتِّصَـالٍ تُبَلِّغُـكَ الْمُنَـى حِينـاً فَحِينَـا

(1) أي من التهنئة بالشفاء.

(264)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً:

[الوافر]

شَرِبْنَا ٱلْبُرْءَ كَأْساً سَلْسَبِيلاَ   وَجَدْنَا لِلْسُّرُورِ بِهِ سَبِيلاَ
أَدَرْنَا رَاحَ رَاحَتِهِ كُؤُوساً   فَجَاءَتْ بِٱلْهَنَاءِ لَنَا قَبِيلاَ
شِفَاؤُكَ قَدْ شَفَى مِنَّا نُفُوساً   وَرَوَّى مِنْ صَبَابَتِنَا غَلِيلاَ
ق(131) / فَشُكْراً لِلَّذِي أَوْلَى جَزِيلاً   وَشُكْراً لِلَّذِي وَالَى جَمِيلاَ

(265)

وَمِنْ إِخْوَانِيَاتِهِ[1] يُخَاطِبُ الأُسْتَاذَ أَبَا عُثْمَانَ الأَلْيُرِّي[2] وَكَتَبَ بِهَا مِنْ جَبَلِ ٱلْفَتْحِ يَصِفُ وَيُعَرِّفُ بِبُرْءِ مَوْلاَنَا ٱلْجَدِّ رَحْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ مِنْ مَرَضٍ أَيَّامَ إِقَامَةِ رِكَابِهِ الأَعْلَى بِهِ:

[الطويل]

أَبُثُّكَ أَنَّا فِي ذَوَائِبِ شَاهِقٍ   تُلاَثُ عَلَيْهَا لِلْبُرُوقِ ذَوَائِبُ
يَمُوجُ بِهَا بَحْرُ ٱلْهَوَاءِ كَأَنَّنَا   عَلَى بَحْرِ مَاءٍ مَوْجُهُ مُتَرَاكِبُ
مَسَاحِبُ أَذْيَالِ ٱلسَّحَائِبِ تَحْتَهَا   وَفِيهَا لأَذْيَالِ ٱلرِّيَاحِ مَسَاحِبُ
إِذَا سَجَدَتْ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ لِرَبِّهَا   فَفِيهَا إِلَى زُهْرِ ٱلنُّجُومِ مَحَارِبُ
وَفِيهَا لَهَا عِنْدَ الشُّرُوقِ مَطَالِعٌ   وَمِنْهَا لَهَا عِنْدَ الأُفُولِ مَغَارِبُ
وَتُضْرِمُ إِنْ جَنَّ ٱلظَّلاَمُ خِيَامَهَا   مَوَاقِدَ تُذْكِي جَمْرَهُنَّ ٱلْكَوَاكِبُ

---

(1) أي القصائد بين الاخوان والاصدقاء وهي كثيرة في الديوان ينظمها ابن زمرك لاخوانه في مناسبات عديدة إما للسؤال عن أحوالهم وإمّا لِمُعاتَبَتهم أو لإعلامهم ببعض أخبار الدولة أو الغني بالله كما في هذه القصيدة أو لإجابتهم على رسالة قد تكون شعراً كذلك.

(2) أنظر القصيدة رقم (9).

تَرَاءَى لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْهَا مَشَاعِلٌ لَهَا بَيْنَ أَعْنَانِ ٱلسَّمَاءِ مَرَاقِبُ
تُصَافِحُهَا ٱلْكَفُّ ٱلْخَضِيبُ لَعَلَّهَا تُشَابِكُهَا مِنْهَا ٱلْبَنَانُ ٱلْخَوَاضِبُ
عَلَوْنَا عَلَى بَحْرِ الهَوَاءِ جَوَاهِراً وَلَكِنْ بِبَحْرِ ٱلْجُودِ نَحْنُ رَوَاسِبُ
بُحُورٌ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ يَطْفَحُ مَوْجُهَا فَتَنْسَابُ مِنْهَا لِلْخِيَامِ ٱلْمَذَانِبُ[1]
وَمَنْ جَاوَرَ ٱلْمَوْلَى ٱلْغَنِيَّ بِرَبِّهِ سَيَغْنَى بِهِ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ رَاغِبُ
إِذَا حَلَّ فِي أَرْضٍ تَرَوَّضَ قَفْرُهَا وَتَعْطِفُهُ نَحْوَ ٱلرِّيَاضِ ٱلْمَنَاسِبُ[2]
بَنَانُ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ سَحَائِبُ أَوْ مِنْ دُونِهِنَّ ٱلسَّحَائِبُ
و(132) / إِذَا جَالَسَتْهُ ٱلشُّهْبُ فِي أُفُقِ ٱلْعُلَى تُكَاثِرُهَا مِنْهُ ٱلْحُلَى وَٱلْمَنَاقِبُ
وَمُذْ صَحَّ مَوْلاَنَا الإِمَامُ بِأُفْقِهَا فَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيهَا الأَمَانِي المَطَالِبُ
وَفِي سَافِرُوا أَمْرٌ ضَمِينٌ لِصِحَّةٍ وَمِنْ بَعْدِهَا ٱلْفَتْحُ ٱلْمُبِينُ مُصَاحِبُ
فَلاَ زَالَ مِنْ حَيْثُ ٱسْتَقَلَّتْ رِكَابُهُ تُبَلِّغُ لِلإِسْلاَمِ فِيهِ ٱلْمَآرِبُ
لَكَ ٱلْخَيْرُ هَذِي جُمْلَةُ ٱلْحَالِ فَاعْتَمِدْ مِنَ ٱلصَّفْحِ وَٱلإِغْضَاءِ مَا هُوَ وَاجِبُ

(266)

وَمِنْ ذَلِكَ يُجِيبُهُ[3] عَنْ كِتَابٍ وَصَلَهُ مِنْهُ عِنْدَ تَكَلُّمِهِ لِلْجُمْهُورِ بِالْمَسْجِدِ الأَعْظَمِ مِنْ مَالَقَةَ:

[الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مُعْتَلُّ ٱلنَّوَاسِمِ يُبْرِيهَا بِأَنْفَاسِهِ وَٱلشَّوْقُ قَدْ كَادَ يَبْرِيهَا
سَرَى وَغُصُونُ ٱلْبَانِ تَلْتَحِفُ ٱلصَّبَا وَيُثْنِي عَلَيْهِ زَهْرُهَا فِي تَثَنِّيهَا
فَأَيْقَظَ جَفْنَ ٱلزَّهْرِ مِنْ سِنَةِ ٱلْكَرَى وَمَسَّحَ ٱلطَّلَّ دَمْعاً مِنْ مَآقِيهَا[4]

(1) جمع (مِذْنَب) وهو مسيل الماء إلى الأرض والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها (القاموس 1/69).
(2) أي (القَرَابَة) فبينه وبين الرياض قرابة.
(3) أي يجيب صديقه أبَا عُثْمَان الأَلْيُرِي.
(4) جاء في الطرة ما يلي بجانب هذا البيت الثالث (كذا وقع له عجز هذا البيت من غير عروض القصيدة)=

وَذِي حَاجَةٍ فِي ٱلنَّفْسِ تُلْوَى[1] دُيُونُهُ   فَقَدْ كَادَ أَنْ يَقْضِي أَسًى فِي تَقَاضِيهَا

إِذَا هَبَّ خَفَّاقَ[2] ٱلْجَنَاحِ كَقَلْبِهِ   يَطِيرُ ٱشْتِيَاقاً نَحْوَ نَجْدٍ وَمَنْ فِيهَا

هِيَ ٱلدَّارُ لاَ ٱلْعَهْدَ ٱلْقَدِيمَ نَسِيتُهُ   بِأَكْنَافِهَا يَوْماً وَلاَ ٱلذِّكْرُ يُنْسِيهَا

أَحِنُّ إِلَيْهَا مَا ٱسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي   عَلَيْهَا وَمَا غَنَّى ٱلْحَمَامُ بِوَادِيهَا

هِيَ ٱلْحَضْرَةُ ٱلْعَلْيَاءُ[3] لَمْ أَعْنِ غَيْرَهَا   وَلَمْ يُغْنَ مِنِّي ٱلْحُبُّ إِلاَّ بِأَهْلِيهَا

فَكَمْ عَلَمٍ لِلْعِلْمِ فِي حِجْرِ رَوْضِهَا   إِذَا مَا رَوَتْ عَنْهُ ٱلْعُلُومُ يُرَوِّيهَا

بُدُورٌ إِذَا مَا ٱلْمُشْكِلاَتُ تَكَاثَفَتْ   فَأَنْوَارُهُمْ تَجْلُو ظَلاَمَ دَيَاجِيهَا

وَمِنْ أَهْلِهَا فِي دُورِهَا إِنْ نَظَرْتَهُم   مَصَابِيحُ تَهْدِي وَٱلدِّيَارُ مَشَاكِيهَا

ق(132) / قُلُوبُهُمُ مِنِّي بِمُجْتَمَعِ ٱلْهَوَى   تُنَاجِي عَلَى بُعْدِ ٱلْمَدَى وَأُنَاجِيهَا

إِلَيْكَ أَبَا عُثْمَانَ مِنْهَا أَلُوكَةً[4]   حَدَاهَا مِنَ ٱلشَّوْقِ ٱلْمُبَرِّحِ حَادِيهَا

أَخِي وَصَدِيقُ الصِّدْقِ ـ قُدِّسَ ذِكْرُهُ ـ   وَجَازَهُ عَنْ مَحْضِ ٱلْمَوَدَّةِ جَازِيهَا

أَتَانِي خِطَابٌ مِنْكَ يَلْعَبُ بِالنُّهَى   وَإِنْ كَانَ يُهْدِيهَا ٱلرَّشَادَ فَيَهْدِيهَا

وَيَنْحَلُنِي فِيهِ صِفَاتِ كَمَالِهِ   وَهَيْهَاتَ أَوْصَافِي لَعَمْرُكَ أَدْرِيهَا

وَلَيْسَ كَمَا نَاجَاهُ حُسْنُ ظُنُونِهِ   وَلَكِنَّهَا أَدْوَاءُ سُوءٍ أُدَاوِيهَا

تَعَرَّضْتُ لِلْحَفْلِ ٱلْجَمِيعِ تَبَرُّكاً   لَعَلَّ مُعِلَّ ٱلنَّفْسِ يَوْماً سَيَشْفِيهَا

عَسَى دَعَوَاتُ ٱلْحَاضِرِينَ تُهِيبُ بِي   إِلَى تَوْبَةٍ مِمَّا جَنَيْتُ تُنَجِّيهَا[5]

مُدَوَّنَةُ الأَعْمَالِ طَالَ كِتَابُهَا   فَأَلْفَيْتُهَا تَحْتَاجُ مِنْ بَعْدُ تَنْبِيهَا

= ولعل التعليق هو من الناسخ أو من غيره من القرّاء وهذا صحيح فإنّ العجز من بحر البسيط بينما سائر الأبيات من بحر الطويل.

(1) لواهُ بِدَيْنِهِ لَيّاً مَطَلَهُ (القاموس 4/379).

(2) في الأصل هكذا (خَفَّاقَ) بالنصب وهو حال يعود على النسيم ويجوز كذلك ان يكون (خفاقُ) بالرفع وهو فاعل.

(3) يقصد بها غرناطة مسقط رأسه ومَرْبَاه.

(4) الالوكة: الرسالة (المصدر السابق 3/284).

(5) قد يشير إلى ذَنْبِ أذنبه، أو إلى ذنوبه طيلة شبابه.

إذَا رَقَـدَتْ لَيْـلَ ٱلْشَبِيبَـةِ كُلَّـهُ　　يُنَبِّهُهَـا صُبْـحُ ٱلْمَشِيـبِ وَيُنْبِهَـا
عَلَيْـكَ عَمِيـدَ ٱلصَّحْـبِ خَيْـرُ تَحِيَّـةٍ　　تُحَيِّـي نُفُـوسـاً بِـالْقَبُـولِ فَتُحْيِيهَـا

(267)

وَمِنْ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا شَيْخَهُ ٱلْخَطِيبَ ٱلْمُعَظَّمَ أَبَا عَبْدِ ٱلله بِن مَرْزُوقٍ رَحِمَهُ ٱلله بمَدِينَةِ فَاسٍ[1]

[الطويل]

إذَا ٱحْتَفَـلَ الأَقْـوَامُ[2] يَـوْمَ مَشُـورَةٍ　　وَتَضْطَرِبُ الآرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرِ
صَدَعْتَ بِفَصْلِ ٱلْقَوْلِ غَيْرَ مُدَافِعٍ[3]　　وأَطْلَعْتَ رَأْيَ ٱلرُّشْدِ أَجْلَى مِنَ ٱلْفَجْرِ[4]
طَلَعْـتَ بِهَـذَا الأُفْـقِ آيَـةَ رَحْمَـةٍ　　فَفَاسٌ بِهَا تَخْتَالُ تِيهاً عَلَى مِصْرِ[5]
(133و) / وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ إلاَّ خَطَـابَتُـكَ ٱلَّتِي　　تُرِينَا بِهَا كَيْفَ ٱلْحَلاَلُ مِنَ ٱلسِّحْرِ[6]
فَمِنْ حِكَمٍ تَجْلُو ٱلْقُلُوبَ بِنُورِهَا　　تَهَادَى بِهَا ٱلتَّخْصِيصُ منْ عَالَمِ الأَمْرِ
تَفَجَّـرَ مِـنْ عَيْـنِ ٱلْيَقِيـنِ زُلاَلُهَـا　　وَأَعْذَبُهَا الإخْلاَصُ فِي مَوْرِدِ ٱلْفِكْرِ
تُقِـرُّ ٰ بِكَ الأَعْـلاَمُ أَنَّـكَ فَخْـرُهَـا　　وَتُثْنِي عَلَى عَلْيَاكَ بِالنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ
وَتُنْبِـي عَنْـكَ ٱلصَّـالِحَـاتُ بِفِعْلِهَـا　　وَتَصْحَبُكَ الأَيَّـامُ بِـالْيُمْـنِ وَٱلْيُسْـرِ
أَلاَ يَا ٱبْنَ جَارِ ٱلله يَا ٱبْنَ وَلِيِّهِ[7]　　وَنَاهِيكَ مِنْ فَخْرٍ وَحَسْبُكَ مِنْ ذِكْرِ
لَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلْعُبَّادِ شَمْسَ هِدَايَةٍ　　تُبَيِّنُ هَدْيَ ٱلله فِي ٱلْعُرْفِ وَٱلنُّكْرِ

---

(1) وردت الأبيات 1، 2، 3، 4؛ 29 ـ 33 في أزهار الرياض II : 164 من قصيدة مطلعها:
«لـك الله مِنْ عِزّ الجلالـة أوحـدِ　　تُطَاوِعُـهُ الآمـالُ في النَّهي والأمر»

(2) أزهار: الايوان.

(3) أزهار: غير منازع.

(4) أزهار: وأطلعت آراء قُبِسْنَ من الفجر.

(5) أزهار:
تَشَـرَّفَ أُفْـقٌ أنت بَـدْرُ كَمَـالِـهِ　　فَغَـرْنَـاطَـةٌ تَخْتَـالُ تِيهـاً عَلـى مِصـر

(6) جواب لو محذوف على الاكتفاء، أي لكفاك ذلك.

(7) هو الوليّ الذي كان ينتسب إليه ابن مرزوق وكان من شيوخ الصوفيه في عصره.

وَلِلْمَجْدِ مَا تُخْفِي وَلِلْفَخْرِ مَا بَدَا ... وَلِلَّهِ مَا تَأْتِيهِ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ

تَمُنُّ بِعِرْفَانٍ وَتُولِي عَوَارِفاً ... فَيَا فَوْزَ مَنْ تُقْرِي هُنَاكَ وَمَنْ تَقْرِي[1]

تُوَالِي بِهَا ذَاكَ ٱلضَّرِيحَ مَبَرَّةً ... وَتُحْيِي ٱلَّذِي قَدْ سَنَّ مِنْ حَسَنِ ٱلْبِرِّ

فَلَمَّا ثَوَيْتَ ٱلْغَرْبَ لَمْ تَنْسَ حَقَّهُ ... وَرَاعَيْتَ حَقَّ ٱلْجَارِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْقَبْرِ

فَشَيَّدْتَ مَا لَمْ يَعْهَدِ ٱلنَّاسُ مِثْلَهُ ... وحَاكَيْتَ ذَاكَ ٱلرَّبْعَ فِي ٱلْقَدْرِ وَٱلْخَطْرِ

مَعَاهِدَ إِحْسَانٍ وَمَثْوَى عِبَادَةٍ ... فَمَا شِئْتَ مِنْ رِفْدٍ وَمَا شِئْتَ مِنْ أَجْرِ

مَسَارِحَ أَضْفَى ٱلْفَضْلُ فِيهَا ظِلاَلَهُ ... وَآوَى بِهَا طَيْرُ ٱلأَمَانِي إِلَى وَكْرِ

تَطَلَّعَ فِيهَا لِلْمَبَانِي مَصَانِعٌ ... تُرَوِّي أَحَادِيثَ ٱلْعَلاَءِ عَنِ ٱلزُّهْرِ

تَرَاءَى لَنَا مِنْهَا ٱلْمَصَابِيحُ بِالْدُّجَا ... كَمَا يَتَرَاءَى ٱلأُفْقُ بِالأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ

وَلَوْ أَنَّ لِلأُفْقِ ٱلْمُبِينِ ٱنْتِظَامَهَا ... تَحَامَى ٱلصَّبَاحُ ٱلْحَلْيَ مِنْهُ عَنِ ٱلنَّثْرِ

بِهَا مَا بِهَا لِلطَّرْفِ وَٱلْقَلْبِ مِنْ مُنًى ... فَقُرَّةُ عَيْنٍ وَٱنْشِرَاحٌ مِنَ ٱلصَّدْرِ

ق(133) / وَلَيْلَةَ مَا يُمْسِي بِهَا ٱلْوَفْدُ زَائِراً ... مَثَابَةَ ضَافِي ٱلْعِزِّ عَارٍ عَنِ ٱلْكِبْرِ

يُوَسَّدُ فِي ظِلٍّ مِنَ ٱلرِّفْقِ سَجْسَجٍ ... وَيَخْتَالُ فِي بُرْدٍ حَصِيفٍ مِنَ ٱلْبِرِّ

يَزُورُكَ فِيهَا كُلُّ مَنْ هَمُّهُ ٱلتُّقَى ... لِيَجْأَرَ فِيهَا بِالدُّعَاءِ وَبِالذِّكْرِ

ورُبَّتَمَا[2] ٱصْطَفُّوا حَوَالَيْكَ فِي ٱلْدُّجَا ... كَمَا ٱشْتَبَكَتْ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ عَلَى ٱلْبَدْرِ

هَنِيئاً بِمَا أَنْفَقْتَهُ فِي بِنَائِهَا[3] ... فَإِنَّكَ فِي إِنْفَاقِهِ رَابِحُ ٱلتَّجْرِ

سَيَرْضَى وَلِيُّ ٱللهِ رَعْيَ ذِمَامِهِ ... وَيُرْضِيكَ عَنْهُ ٱللَّهُ فِي مَوْقِفِ ٱلْحَشْرِ

يُهَنِّيكَ عِيدُ ٱلْفِطْرِ مَنْ أَنْتَ عِيدُهُ ... وَيُثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ غُرٍّ[4]

جَبَرْتَ مَهِيضاً مِنْ جَنَاحِي وَرِشْتَهُ ... وسَهَّلْتَ لِي مِنْ جَانِبِ ٱلزَّمَنِ ٱلْوَعْرِ[4]

---

(1) تُقري الأولى من القراءة؛ والثانية من قرى الضيف، وجاءت «تَقْرِي» الثانية بدون ياء في الآخر.

(2) هي بمعنى (رُبَّ) ويقال أيضاً (رُبَّةَ وَرُبَّمَا وَرُبَّتَمَا).

(3) يشير إلى بنائه لزاوية الولي المذكور يستقبل فيها الناس ويقربهم فيتعبدون فيها.

(4) نفس البيتين في أزهاتر الرياض II : 164، بدون تغيير.

وَبَوَّأْتَنِي مِنْ ذِرْوَةِ ٱلْعِزِّ مَعْقِلِي[1] وَشَرَّفْتَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي[2]

فَدَهْرِيَ عِيدٌ بِالْسُّرُورِ وَبِالْرِّضَا[3] وَكُلُّ لَيَالِي ٱلْعُمْرِ لِي لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ

وَلِي بَعْدُ آمَالٌ إِذَا مَا بَلَغْتُهَا يَقِلُّ لأَدْنَاهَا ٱلْجَزِيلُ مِنَ ٱلْشُّكْرِ[4]

إِلَيْكَ ٱنْقِطَاعِي فِي مَغِيبِي وَمَشْهَدِي وَوِرْدِي وَإِصْدَارِي وَسِرِّيَ وَٱلْجَهْرِ

رَسَمْتُ ٱعْتِقَادِي فِي عُلاَكَ عَقِيدَةً أُحَمِّلُهَا بَيْنَ ٱلتَّرَائِبِ وَٱلصَّدْرِ

وَدُونَكَ مِنْ حُرِّ ٱلْكَلاَمِ مَدَائِحاً كَمَا تَنْظِمُ ٱلْحَسْنَاءُ دُرًّا عَلَى نَحْرِ

وَمَا هِيَ إِلاَّ بَعْضُ مَا قَدْ أَفَدْتَهُ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا يُعَادُ إِلَى ٱلْبَحْرِ[5]

فكَمْ مِنْحَةٍ أَوْلَيْتَنِيهَا جَلِيلَةٍ وَكَمْ حِكْمَةٍ يَوْماً شَرَحْتَ بِهَا صَدْرِي[6]

وَكَمْ مِنْ خُطاً أَعْمَلْتُهَا فِي لِقَائِكُمْ لأَغْرِفَ مِنْ بَحْرٍ وَأَقْطِفَ مِنْ زَهْرِ

رَعَى ٱللَّهُ دَهْراً أَنْتَ إِنْسَانُ عَيْنِهِ وَدُمْتَ لِهَذَا ٱلْقُطْرِ أَجْدَى مِنَ ٱلْقَطْرِ

وَلاَ زِلْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَحْمِي ذِمَارَهَا وَتَسْحَبُ أَذْيَالَ ٱلْفَخَارِ عَلَى ٱلنَّسْرِ[7]

(268)

و(134) / وَقَالَ فِي مِثْلِهِ[8] وَوَصْفُ مَجْلِسٍ ٱنْتَظَمَ الأُنْسُ بِشَمْلِهِ: [الكامل]

هَذَا ٱلْصَّبَاحُ وَأَنْتَ غُرَّةُ وَجْهِهِ فَانْعَمْ بِهِ مُتَوَاصِلَ الأَفْرَاحِ

---

(1) أزهار: مُعْتَلَى.

(2) هكذا بدون ياء في الأصل.

(3) أزهار: بالسرور وبالمنى.

(4) أزهار:

فَأَصْبَحْتُ مَغْبُوطاً عَلَى خَيْرِ نِعْمَةٍ يَقِلُّ لأَدْنَاهَا ٱلْجَزِيلُ مِنَ ٱلْشُّكْرِ

(5) يشير إلى تتلمذه على ابن مرزوق.

(6) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(7) النسر اسم لكوكبين (الواقِعُ والطائرُ)، مبالغة في إبراز علو شأنه.

(8) أي مثل القصيدة السابقة في مدح استاذه ابن مرزوق ولكن بالرجوع إلى القصيدة نجدها في مدح الغني بالله ووصف مجلس انس، فلعل بين الصفحة (133: و/ق) وبين الصفحة (134: و/ق) صفحات قد سقطت وتلاشت.

وَٱجْعَلْ صَبُوحَكَ وَٱلسُّعُودُ تُدِيرُهُ ... مِنْ خَمْرَةِ الأَحْدَاقِ لاَ الأَقْدَاحِ
فِي مَنْزِلٍ تَعْلُو ٱلْقُصُورَ قِبَابُهُ ... مِثْلَ ٱلْحَبَابِ عَلَتْ بِكَأْسِ ٱلرَّاحِ
تَتَطَلَّعُ ٱلْخُدَّامُ مِنْ هَالاَتِهَا ... مِثْلَ ٱلنُّجُومِ وَأَنْتَ بَدْرُ لَيَاحِ
مَلَؤُوا بِشَمْسِ ٱلرَّاحِ بَدْرَ زُجَاجَةٍ ... تُجْلَى عَلَى زُهْرِ ٱلْوُجُوهِ صِبَاحِ
دَارُوا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِلْءُ عُيُونِهِمْ ... مِثْلَ ٱلْفَرَاشِ تَدُورُ بِالْمِصْبَاحِ
وَلَرُبَّ مُخْطَفَةِ الحَشَا مَهْمَا مَشَتْ ... تَعْطُو بِرِدْفٍ كَالْكَثِيبِ رَدَاحِ
صَبَغَ ٱلْحَيَاءُ بِوَجْنَتَيْهَا وَرْدَةً ... لَكِنَّهَا تَرْنُو بِلَحْظٍ وَقَاحِ
وعَشِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ قَدْ صَارَفَتْ ... مِنَّا لُجَيْنَ ٱلنَّهْرِ بِالأَرْبَاحِ
لَمَّا تَكَسَّرَ حَلْيُهُ فَوْقَ ٱلْحَصَى ... صَاغَتْ لَنَا مِنْهُ نِطَاقَ وِشَاحِ
لَكَ غُرَّةٌ ضَاءَ ٱلْوُجُودُ بِنُورِهَا ... يَا بَدْرَ كُلِّ هِدَايَةٍ وَسَمَاحِ
أَحْرَزْتَ يَا عَلَمَ ٱلْمُلُوكِ وَفَخْرَهَا ... حِلْمَ ٱلرَّشِيدِ وَسَطْوَةَ ٱلسَّفَّاحِ
وَشَمَائِلاً لَوْ حَازَ رَوْضٌ طِيبَهَا ... مَا زَالَ يَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ أَقَاحِ
فَالدِّينُ جِسْمٌ أَنْتَ رُوحُ حَيَاتِهِ ... وَكَذَا ٱلْجُسُومُ تَعِيشُ بِالأَرْوَاحِ
تَرْوِي العَوَالِي فِي ٱلْمَعَالِي عَنْ نَدَى ... كَفَّيْكَ مُسْنَدَةً مُتُونَ[1] صِحَاحِ
خُطَّتْ بِصَفْحِ ٱلدَّهْرِ مِنْ مِسْكِ ٱلدُّجَا ... طَوْراً وَمِنْ كَافُورَةِ الإِصْبَاحِ
فَخْرُ الإِمَامِ ٱلْمُسْتَعِينِ بِرَبِّهِ ... تَرَكَ ٱلْكِنَايَةَ فِيهِ لِلإِفْصَاحِ
ق(134) / مَوْلاَيَ قَدْ خَصَّصْتَنِي بِمَآثِرٍ ... لاَ زِلْتَ مَخْصُوصاً بِفَوْزِ قِدَاحِ
شَرَّفْتَنِي نَوَّهْتَنِي رَفَّعْتَنِي ... فَمَتَى تُوَفِّي شُكْرَهَا أَمْدَاحِي[2]؟
عَوَّدْتَنِي قَوْلَ ٱلْجَمِيلِ وَفِعْلَهُ ... عُوِّدْتَ كُلَّ مَسَرَّةٍ وَنَجَاحِ
وَغَرَسْتَنِي فِي رَوْضِ جُودِكَ يَانِعاً ... حَتَّى جَنَيْتَ ٱلْحُلْوَ مِنْ أَدْوَاحِي[2]

---

(1) في الأصل (مُتُونُ) بالضم أي هي فاعل (تروى) والمفعول العوالي؛ ويجوز أن تكون (مُتُونَ) بالفتح فهي مفعول تروى والفاعل العوالي.

(2) في الأصل بدون ياء في الآخر هكذا.

وَبَدَتْ فُرُوعُ بَنِيَّ تَسْتَسْقِي ٱلْحَيَا فَسَقَيْتَهَا وَأَخَذْتَ بِالأَسْجَاحِ
لَمْ أَدْرِ بَعْدَ اللهِ غَيْرَكَ مُنْعِماً خُوِّلْتَ فَتْحَ ٱلْمُنْعِمِ ٱلْفَتَّاحِ
وَعَلَيْكَ مِنْ رَوْحِ ٱلْقَبُولِ تَحِيَّةٌ تَهْفُو بِطِيبِ ثَنَائِكَ ٱلنَّفَّاحِ

(269)

وَقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ وَذَكَرَ نُزْهَةً لَهُ طَرْدِيَّةً: [الخفيف]

عِمْ صَبَاحاً فَأَنْتَ نُورُ ٱلصَّبَاحِ وَٱسْرَحِ ٱللَّحْظَ فِي ٱلْوُجُوهِ الصِّبَاحِ
وَٱغْتَنِمْ لِلسُّرُورِ يَوماً فَيَوماً وَصِلِ ٱلْيُمْنَ دَائِماً بِالنَّجَاحِ
وَٱجْتَلِ ٱلشَّمْسَ مِنْ سَمَاءِ زُجَاجٍ تَجْلِبُ الأُنْسَ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّوَاحِي[1]
مَا جَلاَءُ ٱلنُّفُوسِ فِي يَوْمِ أُنْسٍ غَيْرُ رَاحٍ تُجْلَى عَلَى أُفْقِ رَاحِ
مِنْ مُدِيرٍ[2] يُزْهَى بِوَرْدِ خُدُودٍ فَوْقَ ثَغْرٍ يُزْهَى بِنَوْرِ الأَقَاحِ
وَٱقْتَنِصْ فِي ٱلْقُصُورِ كُلَّ مَهَاةٍ فَاتِنَاتِ ٱللِّحَاظِ خُودٍ رَدَاحِ[3]
لاَعِبَاتٍ بِكُلِّ قَدٍّ رَطِيبٍ لَعِبَ ٱلْغُصْنِ فِي مَهَبِّ ٱلرِّيَاحِ
وَاقْتَنِصْ فِي ٱلْقِفَارِ كُلَّ غَزَالٍ بَابِلِيِّ ٱللِّحَاظِ عَذْبِ ٱلْمِزَاحِ
يَرْجِعُ ٱللَّحْظَ عَنْ سَقِيمِ جُفُونٍ تَنْفُثُ ٱلسِّحْرَ فِي ٱلْقُلُوبِ ٱلصِّحَاحِ
و(135) / رُبَّ لَيْلٍ ظَفِرْتُ مِنْهُ بِبَدْرٍ بَاتَ يُزْرِي بِكُلِّ بَدْرٍ لِيَاحِ[4]
قَرَّبَتْهُ ٱلْكُؤُوسُ مِنِّيَ حَتَّى رُضْتُ مِنْهُ الأَبِيَّ بَعْدَ ٱلْجِمَاحِ
مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ فِيهِ نَصِيحِي؟ لَسْتُ أُصْغِي إِلَى كَلاَمِ ٱللَّوَاحِي[1]
هَلْ عَلَى مَنْ بَغَى ٱلسُّرُورَ مَلاَمٌ أَوعلَى ٱلصَّبِّ فِي ٱلْهَوَى مِنْ جُنَاحِ؟
يَا أُهَيْلَ ٱلْحِمَى وَقَلْبِي مَشُوقٌ كَلَّفَ ٱلْبَرْقُ زَنْدَهُ بِاقْتِدَاحِ

---

(1) في الأصل بدون ياء في الآخر هكذا.
(2) هو الساقي ٱلْمُدِير للكؤوس وفي الأصل (مَدِير) بفتح الميم وواضح ان ذلك من سهو الناسخ.
(3) الرداح: المرأة الثقيلة الاوراك (القاموس 1/210).
(4) اللياح: البدر الناصع البياض (المصدر السابق 1/246).

كُلَّمَا هَبَّ مِنْ حِمَاكُمْ نَسِيمٌ … طَارَ بِالْقَلْبِ خَافِقُ الأَرْوَاحِ
صَاحِ خَمْرُ ٱلْغَرَامِ قَدْ أَسْكَرَتْنِي … لَسْتُ عَنْهَا ـ وَحَقِّهِمْ ـ بِالصَّاحِي[1]
يَا مُعِيرَ ٱلْبُدُورِ وَصْفَ كَمَالٍ … يَا مُغِيرَ ٱلْغُصُونِ عِنْدَ ٱرْتِيَاحِ
أَنْتَ مَنْ أَنْتَ فِي بَهَاءٍ وَحُسْنٍ … صَانَكَ ٱللَّهُ يَا مَلِيحَ ٱلْمِلَاحِ
إِنْ تُخِفْنِي بِسَيْفِ لَحْظِكَ ظُلْماً … وَبِقَدٍّ يُنْسِي قُدُودَ ٱلرِّمَاحِ
حَسْبِيَ اللَّهُ وَالإِمَامُ ٱبْنُ نَصْرٍ … مَدْحُهُ بُغْيَتِي وَجُلُّ ٱقْتِرَاحِي[1]
هُوَ شَمْسُ ٱلْهُدَى وَبَدْرُ ٱلدَّيَاجِي … هُوَ فَخْرُ ٱلْمُلُوكِ بَحْرُ ٱلسَّمَاحِ
هُوَ تَاجُ ٱلْعُلَى وَمَوْلَى ٱلْمَوَالِي … هُوَ غَيْثُ ٱلنَّدَى وَلَيْثُ ٱلْكِفَاحِ
كُلَّمَا تَضْرِبُ ٱلْمُلُوكُ بِسَهْمٍ … حَازَ مِنْ بَيْنِهَا مُعَلَّى ٱلْقِدَاحِ
مُسْتَعِينٌ بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ … وَمُعِينٌ أَهْلَ ٱلْهُدَى وَٱلصَّلَاحِ
يَا غِيَاثَ ٱلْوُجُودِ بَأْساً وَجُوداً … مِنْهُمَا ٱلدِّينُ صَدْرُهُ فِي ٱنْشِرَاحِ
كَمْ جِهَادٍ خُصِصْتَ فِيهِ بِنَصْرٍ … خَلَّدَ ٱلْفَخْرَ فِي صِفَاحِ ٱلصِّفَاحِ
هَذِهِ وجْهَةٌ أَتَتْ بِسُعُودٍ … لَيْسَ عَنَّا لِوَفْدِهَا مِنْ بَرَاحِ
نُزْهَةٌ لِلْقَنِيصِ[2] فِي كُلِّ يَوْمٍ … بِغُدُوٍّ مُوَاصَلٍ بِرَوَاحِ
ق(135) / ثُمَّ عِنْدَ ٱلْهَجِيرِ فَاجْنَحْ لِظِلٍّ … مَدَّ فَوْقَ ٱلْغَدِيرِ ضَافِي ٱلْجَنَاحِ
واغْنَمِ الأُنْسِ وَالمَسَرَّةَ فِيهِ … بَيْنَ ظِلٍّ يَنْدَى وَعَذْبٍ قَرَاحِ[3]
دُمْتَ فِي غِبْطَةٍ وَرِفْعَةِ شَانٍ … مَا انْجَلَى اللَّيْلُ عَنْ ضِيَاءِ الصَّبَاحِ

(270)

وَقَالَ يُهَنِّئُهُ بالإيابِ مِنْ هَذِهِ الوِجْهَةِ[4]: [الكامل]

يَا خَيْرَ مَنْ فَضَحَ الصَّبَاحَ بِغُرَّةٍ … مِنْ بِشْرِهَا أَنْوَارُهُ تَتَوَقَّدُ

---

(1) كلها بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) القنيص والقنص: صيدٌ (القاموس 2/313).
(3) الماء لا يخالطه ثفل من سَويق وغيره فهو الخالص (المصدر السابق 1/240)
(4) أي من الصيد المتحدث عنه في القصيدة السابقة، انظر البيت الثامن.

اِهْنَأْ بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ فَإِنَّهُ … لِلنَّصْرِ وَالفَتْحِ المُبِينِ مُجَدَّدُ

فَلَقَدْ قَدِمْتَ بِسَاعَةٍ مَرْقُوبَةٍ … وَالطَّيْرُ أَيْمَنُ وَالمَنَازِلُ أَسْعُدُ

كَمْ مِنْ بُدُورٍ بِالقُصُورِ تَطَلَّعَتْ … لِتَرَاكَ يَا بَدْرَ السُّعُودِ فَتَسْعَدُ

فَطَلَعْتَ مِلْءَ عُيُونِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ … فَمُكَبِّرٌ وَمُهَلِّلٌ يَتَشَهَّدُ

إنْ قِيلَ: مَنْ جَمَعَ المَحَاسِنَ كُلَّهَا؟ … قَالَ الجَمِيعُ: المُسْتَعِين مُحَمَّدُ

وَافَيْتَ وَالشَّهْرَ الكَرِيمَ كَأَنَّمَا … قَدْ كَانَ بَيْنَكُمَا لِصُنْعٍ مَوْعِدُ

مِنْ بَعْدِ مَا قَضَّيْتَ كُلَّ لُبَانَةٍ … فِي نُزْهَةٍ أَثْنَاءَهَا تَتَصَيَّدُ

أَذْكَرْتَ فِيهَا لِلْجِهَادِ مَعَاهِداً … فَالخَيْلُ تَرْكُضُ وَالصَّوَافِنُ تَنْهَدُ

وَدَفَعْتَ فِي صَدْرِ الكَوَاكِبِ مُنْعِماً … فَلَهُمْ بِهَا الفَخْرُ الذِي لاَ يَنْفَدُ

وَخَصَصْتَهُم مِنْ بَعْدِ ذَاكَ بِدَعْوَةٍ … قَدْ لَذَّ فِيهَا لِلسَّعَادَةِ مَوْرِدُ

وَرَأَوْا خِيَامَكَ وَالسُّعُودُ تَحُفُّهَا … فَجَمِيعُهُمْ يُثْنِي الجَمِيلَ وَيَحْمِدُ

فَاسْتَقْبِلِ العُمْرَ الطَّوِيلَ بِغِبْطَةٍ … فِي كُلِّ حِينٍ بِشْرُهَا يَتَجَدَّدُ

وَعَلَيْكَ مِنْ رُوحِ القَبُولِ تَحِيَّةٌ … أَنْفَاسُهَا لَكَ بِالسُّعُودِ تُرَدَّدُ

و(136) / مَوْلاَيَ يَا شَرَفَ المُلُوكِ وَمَنْ لَهُ … ذِكْرٌ يَقُومُ بِهِ الزَّمَانُ وَيَقْعُدُ

جَلَّلْتَ رَيَّةَ[1] بِالبَهَا لَمَّا اغْتَدَتْ … بِعِنَايَةٍ وَزِيَارَةٍ تُتَفَقَّدُ

شَيَّدْتَ فِيهَا لِلْفُتُوحِ مَصَانِعَا … تَسْمُو إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ وَتَصْعَدُ

وَالرَّوْضُ مِنْ جَنَبَاتِهَا مُتَبَسِّمٌ … وَنَسِيمُهُ فِي طَيِّهَا يَتَرَدَّدُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِالْجَلاَلَةِ شَاهِدٌ … كَانَتْ مَصَانِعُكَ الجَلِيلَةُ تَشْهَدُ

هَلْ أَنْتَ إِلاَ بَدْرُ تَمٍّ طَالِعٌ … فِي مُرْتَقَاهَا وَالمَنَازِلُ أَسْعُدُ

يَهْنِيكَ مِنْهَا بِنْيَةٌ[2] قَامَتْ عَلَى … أُسِّ السُّعُودِ فَسَعْدُهَا مُتَجَدِّدُ

وَالبَحْرُ قَدْ أَهْدَى طَلِيعَةَ فَتْحِهِ … وَجُيُوشُهُ مِنْ بَعْدِهَا تَتَزَيَّدُ

---

(1) هو الاسم القديم لولاية مالقة (الإحاطة 1/406).

(2) هو يشير إلى بعض البناءات التي بناها الغني بالله.

سَتَنَـــالُ فِيهَـــا كُـــلَّ مَـــا أَمَّلْتَـــهُ — وَتَفُـــوزُ بِـــالفَخْـــرِ الـــذِي لاَ يَنْفَـــدُ

وَتَهُـــبُّ مِـــنْ مُـــرَّاكُـــشٍ بِبَشَـــائِـــرٍ — رِيـــحُ القَبُـــولِ وَفَتْحُهَـــا مُتَمَهِّـــدُ

وَتُعِـــزُّ دِينَـــكَ فَـــوْقَ مَـــا أَعْـــزَزْتَـــهُ — وَاللهُ يَنْصُـــرُ وَالمَـــلاَئِـــكُ تُنْجِـــدُ

وَتَعُـــودُ دَارَكَ وَالـــوُجُـــودُ بِـــأَسْـــرِهِ — يُثْنِـي الجَمِيلَ عَلَى عُلاَكَ وَيَحْمَدُ

وَتَقَـــرُّ عَيْنـــاً بِـــالإِيَـــابِ كَمِثْلَمَـــا — قَـــدْ قَـــرَّ عَيْنـــاً بِـــالجِنَـــانِ مُـــوَحِّـــدُ[1]

وَتَحُـــلُّ مِنْهَـــا دَارَ خُلْـــدٍ زُخْـــرِفَـــتْ — لاَ زِلْـــتَ لِلصُنْـــعِ الجَمِيـــلِ تُخَلَّـــدُ

وَنَقَلْـــتَ لِلْسِّتْـــرِ الجَمِيـــلِ يُظِلُّنَـــا — وَعَـــوالِـــمُ الـــدُّنْيَـــا بِـــهِ تَتَعَـــدَّدُ

كَـمْ فِيهِ مِـنْ دَوْحٍ وَرَوْضٍ مُعْشِـبٍ — وَسَـــوَاجِـــعُ الأَطْيَـــارِ فِيـــهِ تُغَـــرِّدُ

وَتَـــرَى الكُمَـــاةَ بِصَفْحِـــهِ مُصْطَفَّـــةً — وَالحَـــرْبُ نَـــارُ ضِـــرَامِهَـــا تَتَـــوَقَّـــدُ

كَمْ فِيهِ مِنْ طَيْرٍ وَوَحْشٍ مُجفِلٍ — وَجَـــوَارِحٍ لِقَنِيصِـــهِ تَتَصَيَّـــدُ

كَمْ مِنْ غُرَابٍ قَدْ حَوَى لِذَوِي النُّهَى — وَغَـــرَائِـــبُ الـــدُّنْيَـــا بِبَـــابِـــكَ تُـــوجَـــدُ

ق(136) / وَتَـــزَاحَـــمَ القُصَّـــادُ فِيـــهِ فَهُـــذِّبَـــتْ — أَشْكَـــالُهُـــمْ فَتَنَظَّمُـــوا وَتَنَضَّـــدُوا[2]

لاَ تُنْكِـــرُوا فِيـــهِ الـــزِّحَـــامَ فَـــإِنَّـــهُ — مُسْتَعْـــذَبٌ قَـــدْ لَـــذَّ مِنْـــهُ المَـــوْرِدُ

أَوَ مَا تَرَى النَّعْمَاءَ فِيهِ قَدْ طَمَتْ — مِنْهَـــا بِحَـــارٌ مَـــوْجُهَـــا لاَ يَـــرْكَـــدُ

أَنَا دَوْحَةُ الشُّكْرِ التِي مَا إِنْ تَزَلْ — نُعْمَـــاكَ بِـــالسُّقْيَـــا لَهَـــا تَتَعَهَّـــدُ

قَـــدْ أَثْمَـــرَتْ وَفُـــرُوعُهَـــا أَوْلاَدُهَـــا — وَالكُلُّ رِفْدَكَ يَا غَمَامُ تَعوَدُوا[2]

فِي ظِلِّ جَاهِكَ بِالنَّعِيمِ تَرَعْرَعُوا — فِي رَوْضِ جُودِكَ بِالنَّوَالِ تَوَلَّدُوا[2]

وَأَرَيْتَهَـــا خَلَفـــاً لَهَـــا مِـــنْ بَعْـــدِهَـــا — مَنْ حَازَ خِدْمَتَكَ السَّعِيدَةَ يَسْعَدُ

لَـــمْ تَغْـــذُهُ إِلاَّ مَحَبَّتُـــكَ التِـــي — طَـــيَّ الجَـــوَانِـــحِ عَقْـــدُهَـــا يَتَـــأَكَّـــدُ

وَعَلَيْـــهِ مِـــنْ سِيمَـــى الـــذَّكَـــاءِ مَخِيلَـــةٌ — وَالـــذِّهْـــنُ مِنْـــهُ مَـــعَ الفَتَـــا مُتَـــوَقِّـــدُ

---

(1) يبدو أن القصيدة قيلت والغني بالله على أهبة السفر إلى المغرب لنصرة السلطان أبي فارس المريني، فيكون تاريخها إما (776) أو (789) لأن الغني بالله تدخّل لدى السلطان أبي فارس مرتين لإعانته على استرجاع ملكه.

(2) كلها بدون واو وألف في الآخر هكذا في الأصل.

فَـاللَّـهُ يَـرْزُقُـهُ قَبُـولَـكَ كَـيْ يُـرَى ... كَأَبِيهِ يُغْبَطُ فِي القَبُولِ وَيُحْسَدُ[1]
لاَ زِلْتَ يَا مَوْلَى المُلُوكِ مُؤَيَّداً ... وَالكُـلُّ مِنْهُـمْ مِـنْ عُـلاَكَ يُـؤَيَّـدُ

(271)

وَقَالَ فِي وَصْفِ الحَاضِرِينَ هُنَالِكَ[2]: [الكامل]

حَيَّــا الإِلاَهُ بِقَصْــرِ رَيَّــةَ أَوْجُهــاً ... طَلَعَـتْ بُـدُوراً فِـي سَمَـاءِ جَمَـالِ
تَقْضِي لَهُنَّ الشَّمْسُ مِنْ مَلِكِ العُلَى ... بِتَقَــابُــلٍ فــي رِفْعَــةٍ وَكَمَــالِ
فَــاللهُ يُمْتِعُنَــا بِطُــولِ بَقَــائِــهِ ... فِــي عِــزِّ مُلْــكٍ دَائِــمِ الإِقْبَــالِ

(272)

وَقَالَ يُهَنِّئُهُ بِمَسَرَّاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ وَبُلُوغِ أَغْرَاضٍ مُتَعَدِّدَةٍ: [الطويل]

سُعُودُكَ يَا مَوْلاَيَ تَأْتِيكَ بِالَّذِي ... تُؤَمِّلُ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ عَلَى عَجَلْ
و(137) / وَذِكْـرُكَ فِـي شَـرْقِ البِـلاَدِ وَغَـرْبِهَـا ... تَبِيـتُ لَـهُ الأَعْـدَاءُ دَأْبـاً عَلَـى وَجَـلْ
وَتَعْتَــذِرُ الأَمْــلاَكُ وَهِــيَ مُطِيعَــةٌ ... لِأَمْـرِكَ تَـدْعُـو بـالحَيَـاءِ وبِالْخَجَلْ
وَسَيْفُـكَ مَهْمَـا يَخْطُـبُ النَّصْـرُ بَلْـدَةً ... مِـنَ الْكُفْـرِ فِـي فَتْـحٍ تَقُـولُ لَـهُ: أَجَـلْ
فَلاَ زَالَ يَصْطَادُ المَعَاقِلَ وَالعِدَى ... فَسَيْفُـكَ بَـازٌ وَالعُـدَاةُ لَـهُ حَجَـلْ

(273)

وَقَالَ وَقَدْ زَاره[3] القَائِدُ مُخْلِصٌ[4] فِي مَرَضٍ مُوَجَّهاً مِنْ قِبَلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

---

(1) الأبيات السابقة يعود الكلام فيها على ابن الشاعر الذي يتمنى أن تكون له مكانة في بلاط الغني بالله.
(2) أي في (رَيَّة) بعد الرجوع من وجهة الصيد وربما التأهب للسفر لمراكش.
(3) أي أن الغني بالله بعث قائده مخلصاً لعيادة ابن زمرك.
(4) لا توجد ترجمته في المراجع التي عدنا إليها.

[السريع]

يَا مُخْجِلَ البَدْرِ بِبَدْرِ الهُدَى وَبالحَرَا[1] لَوْ كَانَ لَنْ يَنْقُصَا
وَجَّهْتُمُ لِي عَبْدَكُمْ مُخْلِصاً يَزُورُ مِنِّي عَبْدَكَ المُخْلِصَا
فَعَجَّلَ اللهُ شِفَائِي بِهِ وَكَانَ مِمَّا أشْتَكِي مَخْلَصَا
شُكْراً لِمَنْ عَلَّمَنِي شُكْرَهُ وَعَمَّنِي بِالجُودِ إذْ خَصَّصَا
كَمْ رُمْتُ أنْ أُحْصِيَ آلاءَهُ فَلَمْ أُطِقْ وَاللهِ عَدَّ الحَصَى
مَنْ كَانَ أمْسَى حَمْدُهُ غَالِياً فَمَالُهُ أصْبَحَ مُسْتَرْخَصَا
أيَّدَكَ اللهُ عَلَى مَنْ بَغَى وَحَارَبَ اللهَ وَمَنْ قَدْ عَصَى

(274)

وقَالَ فِي[2] شُكْرِ نِعْمَةٍ مِنْ أَبْيَاتٍ تَقَدَّمَ بَعْضُهَا[3] وَيَرِدُ هُنا جَمِيعُهَا مُسْتَوْفَى :

[الكامل]

وَالَيْتَ مَا أَوْلَيْتَ يَا بَحْرَ النَّدَى وَوَحَقِّ جُودِكَ[4] مَا رَأَيْتُ كَهَذِهِ
هِيَ رَبْوَةٌ لَوْ شُوهِدَتْ فِيمَا مَضَى هَجَرَ الرَّشِيدُ لَهَا رُبَا بَغْدَاذِهِ
وَلَئِنْ هَزَزْتُ لَهَا حُسَامَ بَلاَغَتِي[5] فَصِفَاتُ فَخْرِكَ قَدْ قَضَتْ بِنَفَاذِهِ
عَلَّمْتَ أَرْبَابَ المَدَائِحِ نَظْمَهَا[6] كَتَعَلُّمِ التِّلْمِيذِ مِنْ أُسْتَاذِهِ
ق(137) / وَالبَحْرُ تَمْتَارُ السَّحَائِبُ مَاءَهُ فَيَجُودُهُ مِنْ غَيْثِهِ[7] بِرَذَاذِهِ

---

(1) (الحرا) الخلق: ومنه: (بالحرا أن يكون ذلك) وانه لحرى بكذا وحري (القاموس 4/310)
(2) جاءت هذه الأبيات نفسها في نفح الطيب 5: 85، وأزهار الرياض 2: 128 وسنذكر الاختلافات بين الروايات في محلها.
(3) لا توجد أبيات قبل هذا في نفس البحر والقافية والموضوع، فلعلها سقطت من جملة ما سقط.
(4) كذا في نفح الطيب، وفي أزهار الرياض: (وَجْهِكَ).
(5) في نفح الطيب (فإذا يَهُزُّ لها اللسَانُ حُسَامَهُ) وكذلك في أزهار الرياض.
(6) نفح الطيب وأزهار الرياض: (عَلَّمْتُ فُرْسَان الكلام نِظَامها).
(7) نفح الطيب وأزهار الرياض: (فَتَجُودُهُ مِنْ غَيْثِهَا برذَاذِهِ).

تَدْرِي مُلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا — كُـلٌّ يُـؤَمِّـلُ مِنْـكَ رُكْـنَ مَـلاَذِهِ
عَـاذَتْ بِـدَارِكِ وَهِـيَ أَكْبَـرُ عِصْمَـةٍ — صَـرَفَ الـزَّمَـانُ لَهَـا وُجُـوهَ عِيَـاذِهِ

(275)

وَقَالَ فِي وَصْفِ الدِّشَارِ[1] وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مَبْنَاهُ مِنْ مَحَاسِنِ الآثَارِ، يَمْدَحُ أَيْضاً مَوْلاَنَا الجَدَّ قَدَّس اللهُ مُتَبَوَّأَهُ:

[الطويل]

أَطَـلَّ عَلَـى أَعْلَـى اليَفَـاعِ[2] مَنَـارُ — بِمَـرْقَبِـهِ زُهْـرُ النُّجُـومِ تَغَـارُ
أَفَـاضَ عَلَيْـهِ النُّـورُ والنَّـوْرُ بَهْجَـةً — بِهَـا الحُسْنُ يُـزْهَـى وَالجَمَـالُ يُثَـارُ
تُطِلُّ عَلَى الحَمْرَاءِ[3] مِنْهَا كَوَاكِبٌ — لَهَـا فِـي سَمَـاءِ المَعْلُـوَاتِ قَـرَارُ
مُعَطَّـرَةُ الـرَّيَّـا عَقِيقِيَّـةُ الثَّـرَى — لَهَـا هِمَّـةٌ مِـنْ رَبِّهَـا وَشِعَـارُ
وَمَا ٱحْمَرَّ وَجْهُ الأَرْضِ مِنْهَا لِرِيبَةٍ — وَلَكِـنْ حَيَـاءٌ زَانَهَـا وَوَقَـارُ
يُشَرِّفُ مِنْهَا حَضْرَةَ المُلْكِ مَعْلَمٌ — وَإِنْ كَانَ يُدْعَى بِالمَجَازِ «دِشَارُ»
تَفَـاخَـرُ أُمَّـاتُ البِـلاَدِ بِحُسْنِهَـا — وَتُـزْهَـى بِـهِ الآفَـاقُ وَهـيَ دِيَـارُ
وَكَـمْ مِـنْ قِسِـيِّ ثَـابِتَـاتٍ بِـأُفْقِهَـا — إِذَا مَـا قِسِـيُّ الأُفْـقِ فِيـهِ تُـدَارُ
لَئِـنْ ثَبَتَـتْ تِلْـكَ القِسِـيُّ فَطَـالَمَـا — عَلَيْهَـا لإِفْـلاَكِ السُّعُـودِ مَـدَارُ
وَذَوْبُ لُجَيْـنٍ سَـالَ بَيْـنَ جَـوَاهِـرٍ — تَـرَى العَقْـلَ فِـي أَوْصَـافِهِـنَّ يَحَـارُ
فَكَمْ صِيغَ مِنْ تِلْكَ الجَوَاهِرِ مِعْصَمٌ — وَكَمْ صِيغَ مِنْ ذَاكَ اللُّجَيْنِ سِوَارُ
و(138) / وَقُـوبِـلَ مَـنْ وَافَـى بِـوَجْـهٍ مُبَشِّـرٍ — وَمُـدَّتْ يَمِيـنٌ لِلِّقَـا وَيَسَـارُ
وَكَـمْ مِـنْ قِبَـابٍ كَـالنُّجُـومِ بِـأُفْقِـهِ — وَلَيْـسَ لَهَـا مِثْـلُ النُّجُـومِ مَغَـارُ

(1) هو الدسكرة أو البستان (راجع دوزي ملحق 1/443) وكذلك راجع القصيدة عدد 98.
(2) اليفاع: التلّ أو المكان المرتفع (القاموس 3/99).
(3) قصور الحمراء وهي قصور سلاطين بني الأحمر في غرناطة، (انظر التعريف بها سابقاً).

مُفَتَّحَـةِ الأَبْـوَابِ مَـنْ زَارَ رَبْعَهَـا ... تُفَـاتِحُـهُ بِـالشِّعْـرِ وَهْـوَ سِـرَارُ
إِذَا اعْتَـلَّ خَفَّـاقُ النَّسِيـمِ بِجَـوِّهَـا ... بِـآسٍ مِـنَ الآسِ النَّضِيـرِ يُـزَارُ
أَفَـاضَ بِهِـنَّ الجُـودَ كَـفُّ خَلِيفَـةٍ ... تُسَمَّـى بِكَـفٍّ وَالبَنَـانُ بِحَـارُ
فَرَوَّضَ مَحْلَ الأَرْضِ صَوْبُ بَنَانِهِ ... وَسَقَّـى بَنَـاتِ الـدَّوْحِ وَهِـيَ صِغَـارُ
كَمَا رَوَّضَ القِرْطَاسُ صَوْبَ بَيَانِهِ ... وَطَـالَـتْ بِـهِ الأَقْـلاَمُ وَهِـيَ قِصَـارُ
إِذَا قِيـلَ مَـنْ غَـوْثُ البِـلاَدِ وَأَهْلِهَـا ... إِلَيْـهِ بِهَـا دُونَ المُلُـوكِ يُشَـارُ
وَكُـلُّ ثَنَـاءٍ فِـي الخَـلاَئِـفِ قَبْلَـهُ ... فَمِـنْ وَصْفِـهِ ذَاكَ الثَّنَـاءُ يُعَـارُ
لَـكَ البَـدْرُ تَـاجٌ وَالثُّـرَيَّـا قِـلاَدَةٌ ... لَـكَ الصُّبْـحُ بَنْـدٌ وَالبُـرُوقُ شِفَـارُ
بَقِيـتَ مُقِيمـاً فِيـهِ وَالـذِّكْـرُ سَـائِـرٌ ... لَـهُ فَـوْقَ أَجْنَـاحِ الـرِّيَـاحِ مَطَـارُ

(276)

وَقَالَ وَنُقِشَتْ فِي الخَشَبِ[1] بِالبَيْتِ مِنَ القَصْرِ الكَبِيرِ[2] بِدَارِنَا الكَرِيمَةِ:

[الكامل]

مَـاذَا عَسَـى التَّشْبِيـهُ وَالتَّمْثِيـلُ ... وَاللَّهِ مَالِي فِي الوُجُودِ مَثِيلُ[3]
فَلَقَـدْ رُفِعْـتُ بِـدَارِ خُلْـدٍ زُخْـرِفَـتْ ... يَـرْتَـدُّ مِنْهَـا الطَّـرْفُ وَهْـوَ كَلِيـلُ
قَصْـرٌ تَقَـاصَـرَتِ المَـدَارِكُ دُونَـهُ ... فَيَحَـارُ فِيـهِ الـوَهْـمُ وَالتَّخْيِيـلُ
ق(138) / هَيْهَـاتَ مَـا كِسْـرَى وَمَـا إِيـوَانُـهُ ... لاَ يَسْتَـوِي التَّـوْحِيـدُ وَالتَّضْلِيـلُ
قَدْرُ المَعَالِمِ قَدْرُ مَنْ قَدْ شَادَهَا ... فَـإِذَا لِـيَ التَّقْـدِيـمُ وَالتَّفْضِيـلُ
إِنَّ الجَـلاَلَـةَ فِـي المَصَـانِـعِ آذَنَـتْ ... أَنَّ الـذِي قَـدْ شَـادَهُـنَّ جَلِيـلُ
وَأَنَـا الـذِي يُـزْهَـى بِـأَيْمَـنِ نِصْبَـةٍ ... وَالشَّـاهِـدَانِ العَـدْلُ وَالتَّعْـدِيـلُ

---

(1) لم يكن النقش خاصاً بالحجارة بل أيضاً بخشب الأبواب والطيقان والسقوف.

(2) لا شكّ أنه قصر الحمراء وهو في الحقيقة مجموع قصور أو أجنحة يسكنها الأمراء.

(3) الكلام على لسان القصر ونقوشه وهي طريقة غالباً ما يعمد إليها ابن زمرك في أشعار النقوش فيبعث في أعمدة القصر وطيقانه وأبوابه وقبابه الحياة فإذا بها تنشد مآثر سلاطين بني الأحمر.

وَقَدْ اعْتَلَقْتُ مِنَ الجَمَالِ بِعُرْوَةٍ ... يَصْبُو إِلَيْهَا عُرْوَةٌ وَجَمِيلُ

فُقْتُ المَصَانِعَ وَالصَّنَائِعَ كُلَّهَا ... وَاللهُ بِالصُّنْعِ الجَمِيلِ كَفِيلُ

مُتَقَابِلُ الأَوْضَاعِ مَرْقُومُ الحُلَى ... فَيَرُوقُكَ الإِجْمَالُ وَالتَّفْصِيلُ

فَانْظُرْ بِأَنْدَلُسٍ بُيُوتَ قُصُورِهَا ... وَلِأَهْلِهَا الإِتْقَانُ وَالتَّحْصِيلُ[1]

مَا إِن تَرَى بَيْتاً مُدَارَ غَوَارِبٍ[2] ... إِلاَّ أَنَا وَبِحِكْمَتِي تَأْوِيلُ

أَنَا فِي الحَقِيقَةِ هَالَةٌ دَارَتْ عَلَى ... بَدْرِ السَّمَاحِ فَلاَ عَرَاهُ أُفُولُ

يَهْوِي بِهِ وَقَفَ البَهَاءُ فَمَا يَرَى ... شِبْهٌ لَهُ كَلاَّ وَلاَ تَمْثِيلُ

فَالقُبَّةُ الغَرَّاءُ سَارَ بِذِكْرِهَا ... وَخْدٌ لِأَنْضَاءِ السُّرَى وَذَمِيلُ

وَتَقَدَّمَتْ قَبْلِي لِبَالِغِ حِكْمَةٍ ... قَدْ بَانَ مِنْهَا لِلْعُقُولِ دَلِيلُ

فَكَأَنَّنِي خَوْدٌ أُرِيدَ زَفَافُهَا ... فَأُعِدَّ قَبْلُ التَّاجُ وَالإِكْلِيلُ

وَأَمَامِيَ المِرْآةُ وهِيَ بُحَيْرَةٌ ... لِمَحَاسِنِي فِي صَفْحِهَا تَشْكِيلُ

هِمَمُ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ قَدْ شَادَهَا ... شَرَفٌ عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ أَصِيلُ

وَإِذَا نَظَرْتَ لِخَلْقِهِ وَلِخُلْقِهِ ... فَالبَدْرُ تِمٌّ وَالرِّيَاضُ بَلِيلُ

أَنَّى يُضَاهِيهِ وَيُشْبِهُ فَخْرَهُ ... فَخْرٌ وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ قَبِيلُ؟

القَوْمُ أَهْلُ اللهِ حِزْبُ رَسُولِهِ ... فِي وَصْفِهِمْ قَدْ أُحْكِمَ التَّنْزِيلُ

و(139) / مَاذَا يُحَبِّرُ شَاعِرٌ فِي مَدْحِهِمْ ... وَمَدِيحُهُمْ قَدْ نَصَّهُ جِبْرِيلُ[3]

وَصِفَاتُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... جَاءَتْ بِهَا التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ

لاَ زِلْتَ يَا مَغْنَى السَّمَاحَةِ آهِلاً ... لِلأُنْسِ فِيكَ مُعَرَّسٌ وَمَقِيلُ

---

(1) تأمّل في نزعة المفاخرة والشعور بالاعتزاز لحذق أهل الاندلس صناعة النقش والهندسة المعمارية.

(2) الغارب الكاهل وغوارب الماء أعالي مَوْجِهِ (القاموس 1/109) لعله يقصد أن القصر في أعلى مكان تحيط به بحيرة (انظر البيت 18 من نفس القصيدة) وهذه الهندسة في البناء لأسباب منها ما يعود للتحصن ومنها ما يعود لحسن الموقع وجماله وهذا تفسير العجز.

(3) يشير في هذه الأبيات إلى أصل ملوك بني الأحمر فهم ينتسبون إلى سعد بن عبادة الصحابي المعروف.

(277)

وَقَالَ أَيْضاً مِمَّا نُقِشَ عَلَى دَائِرَةِ طَاقٍ فِي القُبَّةِ القِبْلِيَّةِ مِنْ الدِّشَارِ:

[الخفيف]

خَلَّـدَ اللهُ ذَا المَكَـانَ السَّعِيـدَا ... يَتَقَضَّـى الـزَّمَـانَ عِيـداً فَعِيـدَا

كُلَّمَـا مَـرَّ لِلْمَسَـرَّةِ يَـوْمٌ ... فِـي حِمَـاهُ يَعُـودُ غَضًّـا جَـدِيـدَا

أَنَـا قَـوْسُ السَّمَـاءِ لَكِـنْ سِهَـامِـي ... بِسُعُـودِ الإِمَـامِ تَـرْمِـي الحَسُـودا

فَـابْنُ نَصْـرٍ مُحَمَّـدٌ خَيْـرُ مَـوْلًـى ... مَـدَّ لِـلأُنْـسِ فِـيَّ ظِـلاً مَـدِيـدَا

زَانَ رَبْعِـي بِكُـلِّ صُنْـعٍ بَـدِيـعٍ ... زَيَّـنَ اللهُ مِـنْ عُـلاَهُ الـوُجُـودَا

(278)

وَقَالَ أَيْضاً وَكُتِب فِي قَوْسِ طَاقٍ كَذَلِكَ فِي مُنَاظَرَةِ هَذِهِ التَي تَقَدَّمَتْ:

[الخفيف]

يَـا نَسِيمـاً يَهُـبُّ عِنْـدَ الصَّبَـاحِ ... رَاحَـةُ الصَـبِّ فِـي انْتِشَـاقِ الـرِّيَـاحِ

جُـرَّ ذَيْـلاً عَلَـى السَّبِيكَـةِ لَيْـلاً ... ثُـمَّ صَـافِـحْ مُنَـادِمِـي فِـي اصْطِبَـاحِ

وَالتَمِـحْ مِـنْ مَحَـاسِنِـي وَجَمَـالِـي ... مَـا يُنِيـلُ النُفُـوسَ كُـلَّ اقْتِـرَاحِ

أَنَـا تَـاجُ الإِبْـرِيـقِ يُجْلَـى عَـرُوساً ... بَيْـنَ ظِـلٍّ يَنْـدَى وَعَـذْبٍ قَـرَاحِ

خَلَّـدَ اللهُ مَـالِكِـي رَبَّ مُلْـكٍ ... خَـالِـدَ الفَخْـرِ فِـي صِفَـاحِ الصِّفَـاحِ

(279)

وَقَالَ أَيْضاً وَكُتِبَ فِي أُخْرَى تُنَاظِرُهَا جَوْفِيَّةٌ فِي الطَّاقَةِ الوَاحِدَةِ:

[الخفيف]

ق(139) / يَـا إِمَـامَ الهُـدَى وَفَخْـرَ المَعَـالِـي[1] ... مَظْهَـرِي فِـي المَكَـانِ والحُسْـنِ عَـالِ

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

إنْ يَكُنْ تَوَّجَ الزَّمَانُ مُلُوكاً　　شَيَّدُوا مَجْدَهُمْ بِحُسنِ الفَعَالِ
قَدْ حَبَوْتُ الإبْرِيقَ مِنِّي بِتَاجٍ　　وَهُوَ عَبْدٌ لِمُلْكِكَ المُتَعَالِي[1]
وَكَأَنَّ الشُّمُوسَ حَوْلَ مَدارِي　　دُرَرُ الشُّهْبِ حَوْلَ تَاجِ الهِلاَلِ
دُمْتَ شَمْساً بِأُفْقِ هَذِي المَجَالِي　　آمِناً وَقْتَهَا طُرُوقَ الزَّوَالِ

(280)

وَقَالَ أَيْضاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ فِي الطَّاقَةِ الأُخْرَى حَسْبَمَا نُقِلَ مِنَ المُبَيَّضَةِ[2]:

[الخفيف]

أَنَا تَاجٌ عُقِدْتُ فِي رَأْسِ تَاجٍ　　لِنُجُومِ السَّمَاءِ مِنِّي مُنَاجِ
مَا رَأَتْ مِثْلِيَ العُيُونُ مَكَاناً　　بِنُفُوسِ الكِرَامِ طَالَ امْتِزَاجِي[1]
أَبْعَثُ الأُنْسَ وَٱلنَّشَاطَ لِنَفْسٍ　　لَمْ تَزَلْ بِالْجَمَالِ ذَاتَ ٱبْتِهَاجِ
كَانَ يُدْعَى رَأسُ ٱلسَّبِيكَةِ تَاجاً　　فَحَبَاهُ ٱلْغَنِيُّ مِنِّي بِتَاجِ
نُورُهُ تُرْسِلُ ٱلشُّمُوسَ شُعَاعاً　　فِي مِيَاهٍ بِسَاحَتِي وَزُجَاجِي

(281)

وَوُجِدَتْ ثَابِتَةً فِي مَحَلِّهَا مِنَ ٱلنَّقْشِ[3] عَلَى مَا نَصُّهُ[4]:

[الخفيف]

لاَ وَشَمْسِ ٱلطِّلَى بِبَدْرِ ٱلزُّجَاجِ　　وَنُجُومِ ٱلْحَبَابِ عِنْدَ ٱلْمِزَاجِ

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) إشارة واضحة إلى أن جامع الديوان يعتمد أصلاً ينقل منه ويختار وهذا ما يفسر وجود إضافات في الطرة وما يفسر عبارات من نوع: منها، من ذلك الخ... وكذلك يفسر اختلاف الروايات ووجود قصائد كثيرة في المخطوط غير موجودة في المصادر المطبوعة والعكس، (انظر للزيادة: المقدمة ص27، ص 34 وما بعدها).
(3) إشارة إلى أنّ جامع الديوان يعتمد في أشعار النقوش على مصدرين: الأول بالنقل من المخطوط الأم أو ما يسميها بالمبّيضة؛ والثاني بالنقل من النقوش نفسها كما في هذه القطعة.
(4) وجدت هذه القطعة مضافة بالطرة بنفس الخط والحبر المستعملين في كتابة المخطوط.

وَبُـدُورِ ٱلْـوُجُـوهِ فَـوْقَ غُصُـونٍ   مِـنْ قُـدُودٍ تَـرْتَـجُّ أَيَّ ٱرْتِجَـاجِ

مَـا رَأَتْ مِثْلِـيَ ٱلْعُيُـونُ مَكَـانـاً   فِـي ٱرْتِفَـاعٍ وَنُـزْهَـةٍ وَٱبْتِهَـاجِ

كَانَ يُدْعَى . . . ٱلْبَيْتَانِ[1].

(282)

وَقَالَ يَمْدَحُهُ[2] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

[الخفيف]

لاَ وَشَمْسِ ٱلطَّلَى بِبَدْرِ ٱلزُّجَاجِ   وَنُجُـومِ ٱلْحَبَـابِ عِنْـدَ ٱلْمِـزَاجِ

وَبُـدُورِ ٱلْـوُجُـوهِ فَـوْقَ غُصُـونٍ   مِـنْ قُـدُودٍ تَـرْتَـجُّ أَيَّ ٱرْتِجَـاجِ[3]

لاَ وَآسِ[4] ٱلْعِذَارِ فـي صَفْـحِ خَـدٍّ   حَـوْلَ وَرْدٍ مُضَـاعَـفٌ بِـامْتِـزَاجِ

مَـا رَأَيْنَـا مِثْـلَ ٱلصَّبَـابَـةِ دَاءً   طِبُّـهُ فـي ٱلنُّفُـوسِ صَعْـبُ ٱلْعِـلاَجِ

قَـدَّسَ ٱللَّـهُ فـي ٱلْمُحِبِّيـنَ نَفْسـاً   لَـمْ تَـزَلْ بـالْجَمَـالِ ذَاتَ ٱبْتِهَـاجِ[5]

(283)[6]

[الطويل]

و(140) / وَقَـدْ لاَحَ فِـي ثَـوْبِ ٱلسَّمَـاءِ لأَنَّـهُ   مِنَ ٱلْبَدْرِ أَبْهَى أَوْ مِنَ ٱلشَّمْسِ أَمْلَحُ

---

(1) هكذا في الأصل وهو يقصد بعبارة (البيتان) أي نفس البيتين الأخيرين في القصيدة السابقة رقم 280.

(2) أي الغنيّ بالله.

(3) نلاحظ أنه استعمل نفس المطلع الذي استعمله في الأبيات السابقة (البيتان الأوليان) في مطلع هذه المقطوعة المدحية.

(4) في الأصل (وَآسَ) بالفتح وهو خطأ من الناسخ لأنه مجرور بواو القسم.

(5) الأبيات تقف عند هذا الحد في آخر الصفحة 139 (قفا) ولا شك أنها لم تنته لأنه ما زال في المطلع الغزلي وقد ذكر في التقديم أنها في مدح الغني بالله، فلا شك أن الصفحة 140 الموالية ليست في محلها أو أن الصفحة الموالية التي فيها بقية القصيدة قد سقطت عند التسفير أو ضاعت كما وقع لقصائد مرّت وهذا هو الأرجح.

(6) كذلك هذه القصيدة مبتورة الأول فلا ذكر للتقديم؛ والبيت الأول يبدو مواصلة لكلام سابق وذلك نتيجة سقوط صفحة أو صفحات بين الصفحة 139 و140 من المخطوط. وموضوع القصيدة غزليّ.

وَقَدْ عَضَدَ ٱلْمَنْصُورَ سَفَّاحُ لَحْظِهِ فَمَا ضَرَّهُ لَوْ كَانَ يَعْفُو وَيَصْفَحُ
وَقَدْ سَالَ رَقْرَاقُ ٱلنَّعِيمِ بِثَغْرِهِ وَزَنْدُ ٱلْجَوَى بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ يُقْدَحُ
وَمِنْ عَجَبٍ وَٱلْقَلْبُ يُذْكَى أُوَارُهُ وَسُحْبُ جُفُونِي بِالْمَدَامِعِ تَسْفَحُ
أَيَا ظَبْيَ إِنْسٍ فِي ٱلْجَوَانِحِ يَسْرَحُ وَيَا قَمَراً في هَالَةِ ٱلْقَصْرِ يُلْمَحُ
أَتَسْكُنُ في قَلْبِي وَتُذْكِيهِ بِالْجَوَى لَعَلَّكَ فِي أَمْرِي إِلَى ٱلْعَدْلِ تَجْنَحُ
أَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ أَطْوِي ضُلُوعِي عَلَى ٱلظَّمَا وَثَغْرُكَ فِي عَذْبِ ٱلسُّلَافَةِ يَطْفَحُ
وَمَا ضَرَّ ذَاكَ ٱلْقَدَّ لَوْ مَالَ غُصْنُهُ عَلَيَّ بِعَطْفٍ كُلَّمَا يَتَرَنَّحُ
أَغَرَّكَ يَا مَنْصُورُ[1] لَحْظُكَ كُلَّمَا تُفَوِّقُ سَهْماً مِنْهُ يُصْمِي وَيَجْرَحُ
مَلَكْتَ بِذَاكَ ٱلْحُسْنِ مَنْ كُنْتَ مِلْكَهُ[2] وَأَنْتَ إِلَى الأَدْنَى مِنَ ٱلْفَضْلِ أَجْنَحُ
رَفَعْتَ لِوَاءَ ٱلْحُسْنِ تَغْزُو قُلُوبَنَا فَكَمْ مَعْقَلٍ مِنْهَا بِلَحْظِكَ يُفْتَحُ

(284)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ[3]:

[مجزوء الكامل]

قَلْبِي بِحُبِّكَ وَاثِقُ وَلأَمْرِ حُسْنِكَ طَائِعُ
وَجَمَالُ وَجْهِكَ مَالِكٌ وَلَهُ ٱلْقُلُوبُ تَبَائِعُ
سَفَّاحُ جَفْنِكَ قَدْ سَطَا وَٱلْجَوْرُ مِنْهُ شَائِعُ
مَنْصُورُ لَحْظِكَ كُلَّمَا أَرْهَفْتَهُ لِي رَائِعُ
وَٱلْحُبُّ يَمْلِكُ أَهْلَهُ وَٱلسِّرُّ مِنْهُ ذَائِعُ

(1) يكرّر في هذه المقطوعة وفي كل المقطوعات اللاحقة اسم منصور فهل هو نعت للمحبوب أم هو اسم لرجل فتكون هذه المقطوعات من نوع التغزّل بالمذكر.

(2) يبدو وكأن منصور هذا هو من مماليك ابن زمرك أو من عبيد السلطان.

(3) أي في المُتَغَزَّلِ به وهو منصور المذكور.

(285)

ق(140) / وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ:

[الطويل]

أَيَا ظَبْيَ إِنْسٍ فِي ٱلْجَوَانِحِ يَرْتَعُ وَيَا قَمَراً مِنْ هَالَةِ ٱلْقَصْرِ يَطْلَعُ[1]

تَسَمَّى بِمَنْصُورٍ[2] وَسَلَّ لِحَاظَهُ فَلاَ قَلْبَ إِلاَّ وَهُوَ مِنْهَا مُرَوَّعُ

(286)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ: [مجزوء الرمل]

مَــنْ رَأَى مِثْلِــي مَلِيكــاً مَــالِكــاً بــالْحُــبِّ يُمْلَــكْ

يَــا خَلِيلِــي لاَ تَلُمْنِــي فــي ٱلْهَــوَى فَــالطَّبْــعُ أمْلَــكْ

(287)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ: [مجزوء الرمل]

إِنَّ مَــنْ تَيَّــمَ قَلْبِــي فِــي ٱلْمُلُــوكِ ٱلصِّيــدِ مَــذْكُــوز

وَلَــهُ سَيْــفُ لِحَــاظٍ فِــي حُــرُوبِ الحُــبِّ مَنْصُــوزْ[3]

(288)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ: [مجزوء الرمل]

مَــنْ رَأَى عِــزِّي وَمُلْكِــي أَمْلِــكُ الأَمْــلاَكَ أَجْمَــعْ

وَفُــؤَادِي مِلْــكُ ظَبْــيٍ مَــالَــهُ فِــي ٱلْعِتْــقِ مَطْمَــعْ

---

(1) لعله كما ذكرنا من مماليك السلطان الغني بالله.

(2) واضح أن (منصور) اسم له لا نعت.

(3) في التفعيلة الأخيرة في العجز نلاحظ علّة بالزيادة فعوض (فاعلاتن) نجد (فاعلاتان) وهو ما يسمى بالتذييل. وهذا ما أعطى لوزن مجزوء الرمل موسيقى غير عادية.

و(141) / وَهُـــوَ مَنْصُـــورٌ عَلَيْـــهِ		مِثْـلُ حَـالِـي لَيْـسَ يُسْمَـعْ

(289)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ:		[مجزوء الرمل]

قُـلْ لِمَنْصُـورٍ بِـأَنِّـي		أَنَـا مَنْصُـورٌ عَلَيْـهِ
غَـرَّهُ سُلْطَـانُ حُسْـنٍ		كُـلُّ قَلْـبٍ فـي يَـدَيْـهِ
وَأَنَـا سُلْطَـانُ مُلْـكٍ[1]		يَفْـزَعُ ٱلنَّـاسُ إِلَيْـهِ

(290)

وَقَالَ أَيضاً:		[مجزوء الكامل]

مَـنْ عَـاذِرِي مَـنْ مُنْصِفِـي		مِـنْ حَـاكِـمٍ لَـمْ يُنْصِـفِ
وَاعَجَبـاً كَـمْ أَشْتَكِـي		مِـنْ فَـاتِـكٍ مُسْتَضْعَـفِ
لَحْـظٌ سَقِيـمٌ قَـدْ سَطَـا		مِـنْ جَفْنِـهِ بِمُـرْهَـفِ
مَـنْ لِـي بِظَبْـيٍ حُسْنُـهُ		أَعْجَـزَ وَصْـفَ ٱلْـوُصَّـفِ
أَضْعَـفَ صَبْـرِي خَـدُّهُ		بِـوَرْدِهِ ٱلْمُضَعَّـفِ
وَصَيَّـرَتْنِـي بِـالْضَّنَـا		أَخْفَـى مِـنَ ٱلْسِـرِّ الخَفِـي[2]
مَـوَاعِـدٌ مِـن وَصْلِـهِ		قَـدْ أَقْسَمَـتْ أَنْ لاَ تَفِـي[2]
كَـمْ لَيْلَـةٍ فِـي وَصْلِـهِ		مِصْبَـاحُهَـا لَـمْ يَنْطَـفِ
يُجْلَـى بِعَيْنِـي نُـورُهُ		وَذِكْـرُهُ يَحْلُـو بِفِـي[2]
ق(141) / أَسْكَـرَنِـي مِـنْ لَحْظِـهِ		وَلَفْظُـهُ بِقَـرْقَـفِ[3]

---

(1) هل يتحدّث هنا بلسان الغني بالله.
(2) كلها في الأصل بدون ياء في الآخر.
(3) القرقف: الخمر يَرْعَدُ عنها صاحبها (القاموس 3/179).

وَلِلنُّجُومِ أَعْيُنٌ تَرْنُو بِلَحْظٍ أَوْطَفِ[1]
جَوَاهِرٌ قَدْ قُلِّدَتْ بِجِيدِهِ ٱلْمُسْتَشْرِفِ
كَأَنَّهَا قَدْ أُهْدِيَتْ إِلَى ٱلْمَحَلِّ الأَشْرَفِ
نَاصِرِ دِينِ ٱلْمُصْطَفَى مُعْتَصِماً بِالْمُصْطَفِي[2]
ٱلْمَلِكُ ٱلْعَدْلُ ٱلرِّضَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفِ
أَسْلاَفُهُ ثَنَاؤُهُمْ مُخَلَّدٌ فِي ٱلْمُصْحَفِ

(291)

وَقَالَ أَيْضاً مُتَغَزِّلاً:

[مخلع البسيط]

يَا كَعْبَةَ ٱلْحُسْنِ زِدْتِ حُسْناً وَلِلْهَوَى حَوْلَكِ ٱلْمَطَافْ
يَا غُصْنَ بَانٍ سَقَاهُ دَمْعِي لَوْ حَانَ مِنْ زَهْرِهِ ٱلْقِطَافْ
أَلاَ انْعِطَافٌ عَلَى ٱلْمُعَنَّى فَالْغُصْنُ يُزْهَى بِالانْعِطَافْ
كَمْ تَشْرَبُ ٱلدَّمْعَ مِنْ جُفُونِي وَلَيْسَ مُسْتَعْذَبَ ٱلنِّطَافْ

(292)

وَقَالَ كَذَلِكَ:

[الخفيف]

مَنْ عَذِيرِي وَمَا أَرَى لِيَ عُذْراً مِنْ فُؤَادٍ شَجٍ وَنَفْسٍ شَعَاعِ[3]
قَابَلَتْهَا شَمْسُ الجَمَالِ وَلَكِنْ أَحْرَقَتْهَا مِنْ عَكْسِهَا بِالشُّعَاعِ

---

(1) الوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين (القاموس 3/128).
(2) كلها في الأصل بدون ياء في الآخر.
(3) طار فؤاده شَعاعاً أي تفرق (المصدر المذكور سابقاً 3/43).

(293)[1]

[مجزوء الخفيف]

و(142) /إنْ رَمَى لَحْظُ هَاجِرِي عُقْدَةَ ٱلصَّبْرِ يَفْسَخِ
قَدْ غَزَا ٱلْقَلْبَ لَحْظُهُ بِحُسَامٍ مُدَوَّخِ
يَا لَخَطٌّ بِخَدِّهِ لِغَرَامِي مُؤَرِّخِ
أَحْكَمَ ٱلْحُسْنُ نَصَّهُ بِمَعَانٍ لَمْ تُنْسَخِ[2]
يَا نَسِيماً بَعَثْتُهُ مِنْ ثَنَاءٍ مُضَمَّخِ
جَرِّرِ ٱلْذَيْلَ بِالْحِمَى فِعْلَ نَشْوَانَ مُنْتَخِ[3]
وَٱنْشُدِ ٱلْبَانَ عَنْ فَتًى فِي هَوَاهُ لَمْ يَرْسَخِ[4]
خَافِقُ ٱلْقَلْبِ فِي ٱلحَشَى كَقَطاً فَوْقَ أَفْرُخِ

(294)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً[5]:

[الطويل]

لَكَ ٱلْخَيْرُ قَدْ أَصْمَيْتَ قَلْبِيَ هَازِيَا كَأَنَّكَ قَدْ جُهِّزْتَ لِلْحَرْبِ غَازِيَا
وَمَا ضَرَّ لَوْ أَجْمَلْتَ صُنْعَكَ في ٱلْهَوَى فَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْصُّنْعُ ٱلْجَمِيلُ مُجَازِيَا
وَيَا رُبَّ لَيْلٍ رَاعَنِي بِغُرَابِهِ زَجَرْتُ لَهُ مِنْ أَشْهَبِ ٱلْصُبْحِ بَازِيَا

(1) المقطوعة بدون تقديم، وكذلك البيت الأول فيها يُستبعدُ أن يكون هو مطلعها فلا شك أن ما بعد ص 141 ليس هو ص 142 الموجودة في المخطوط بل قد سقطت عند التفسير أو ضاعت.
(2) عروض البيت الرابع يختلف عن أعاريض الأبيات السابقة بتغير مقطع قصير إلى طويل فعوض: فاعِلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ نجد (فاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ).
(3) منتخ اسم فاعل من نخا نخوة أي افتخر وتعظم (القاموس 4/386).
(4) كذلك تغير العروض فأصبح (فاعِلاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ) عوض (فاعِلاَتُنْ مُتَفْعِلُنْ).
(5) أي في غرض الغزل.

وَعَلَّلْتُ عَنكَ ٱلنَّفسَ بِالْبَدْرِ فِي ٱلْدُّجَا | فَلَمْ يَكُ عَنْكَ ٱلْبَدْرُ وَٱللَّهِ جَازِيَا
وَوَارَيْتُ وَجْهَ ٱلشَّمْسِ مِنْكَ بِغُرَّةٍ | فَلَمْ أَرْضَ وَجْهَ ٱلشَّمْسِ فِيكَ مُوَازِيَا
جَزَى ٱللَّهُ عَهْدَ ٱلْوَصْلِ عَوْداً فَطَالَمَا | أَعَادَ عَلَى رَبْعِي ٱلظِّبَاءَ ٱلْجَوَازِيَا

(295)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً: [مجزوء الرمل]

ق(142) / بِـالـرِّيَـاحِ ٱلـذَّارِيَـاتِ | بِـالنُّجُـومُ ٱلسَّـارِيَـاتِ
لاَ تَـدَعْ نَـوْمِـي غَـرِيقـاً | فِـي دُمُـوعِـي ٱلْجَـارِيَـاتِ
لاَ تُـذِبْ قَلْبِـي حَـرِيقـاً | بِلِحَـاظٍ فَـارِيَـاتِ
أَنَـا مِـنْ قَـوْمٍ تَفَـانَـوْا | بِـالْجُفُـونِ ٱلْفَـارِيَـاتِ
شَهِـدُوا ٱلْحَـرْبَ وَلَكِـنْ | بِنُفُـوسٍ عَـارِيَـاتِ
عَجَبـاً مِنْهُـمْ بَـرَاهُـمْ | حُبُّهُـمْ لِلْبَـارِيَـاتِ

(296)

وَقَالَ أَيْضاً: [الخفيف]

سَرْحَةَ ٱلْبَانِ أَيْنَ فِيك عُهُودِي[1] | بَيْـنَ ظِـلٍّ يَنْـدَى وَعَـذْبٍ بَـرُودِ
أَيُّ شَمْـلٍ مَـعَ الأَوَانِـسِ فِيـهِ | نَظَمَتْـهُ ٱلسُّعُـودُ نَظْـمَ ٱلْعُقُـودِ
زَانَ دُرَّ ٱلْحَـدِيـثِ دُرُّ دُمُـوعِـي | فَتَقَلَّـدْنَـهُ بِنَحْـرٍ وَجِيـدِ
وَأَدَارَتْ مِـنَ ٱللِّحَـاظِ مُـدَامـاً | أَسْكَـرَتْنَـا قَبْـلَ ٱبْنَـةِ ٱلْعُنْقُـودِ
يَا رِيَاضَ ٱلْجَمَالِ هَلْ مِنْ نَسِيمٍ | مِنْـكِ يَهْفُـو عَلَـى فُـؤَادِ ٱلْعَمِيـدِ
نَرْجِسُ ٱللَّحْظِ مِنْ دُمُوعِكَ أَذْرَى | جَـوْهَـرَ ٱلطَّـلِّ فَـوْقَ وَرْدِ ٱلْخُـدُودِ

(1) بدون ياء في الأصل.

(297)

وَقَالَ أَيْضاً[1]:

[الخفيف]

يَـا نَسِيمـاً يَهُـبُّ عِنْـدَ ٱلصَّبَـاحِ   رَاحَةُ ٱلصَّبِّ فِي ٱنْتِشَاقِ ٱلرِّيَاحِ

(298)[1]

[مجزوء الرمل]

و(143) / وَهْـوَ فِـي يَـوْمِ ٱرْتِيَـاحِ   بَـدْرُ تِـمٍّ فِـي ٱلْبُـرُوجِ

تَـارَةً شَيْـخُ ٱلـزَّوَايَـا   يَـزْدَرِي ٱلشَّيْـخَ ٱلمُـرُوجِ

ثُـمَّ أُخْـرَى ذُوْ ٱنْتِشَـاءِ   سَـارِحـاً بَيْـنَ ٱلْمُـرُوجُ

عِنْـدَهُ طِـبٌّ خَفِـيٌّ   طِـبُّ أَدْوَاءِ ٱلْفُـرُوجِ

أَلْطَـفُ ٱلنَّـاسِ ٱخْتِيَـالاً   فِـي دُخُـولٍ وَخُـرُوجِ

مِثْـلُ خُـذْرُوفِ وَلِيـدِ   فِـي خُـدُورٍ وَعُـرُوجِ

يَضْـرِبُ الأَرْضَ ٱجْتِيَـابـاً   مِـنْ عُمَـانٍ لِسَـرُوجِ

وَتَـرَاهُ بَعْـضَ حِيـنِ   حَـافِـزاً بَـابَ فُـرُوجِ

مَـرَّةً يَبْسِـطُ وَجْهـاً   مَـرَّةً وَجْـهَ حَـرُوجِ

---

(1) وقع نفس ما لاحظناه في قصائد سابقة من ضياع بعض الصفحات أو آختلاطها بالبعض الآخر عند التسفير وهذا ما حدث بين الصفحة 142 والصفحة 143 فلا شك في سقوط صفحات بينهما ولهذا سقط بقية القصيدة رقم 297 فلم تحو إلا بيتاً واحداً؛ وسقط أول القصيدة 298 فلم تحو التقديم ولا الأبيات الأولى؛ وموضوع القصيدة هزلي لكنه لا أخلاقي ولعله لهذا السبب سقط ما قبله وقد تكون قصائد أخرى من هذا النوع حذفت.

فَلِــــذَا الأَلْــــوَانِ يُــــدْعَــــى بِــــأَبِــــي زَيْــــدِ ٱلسَّــــرُوجِــــي
قُلْــــتُ لِلنَّفْــــسِ ٱرْتِيَــــاحــــاً هَــــزَلُ الأَشْعَــــارِ رُوجِــــي[1]
فَــــاقْبَــــلِ ٱلْعُــــذْرَ بَــــدِيــــهٌ نَظْــــمُ ذَا ٱلشِعْــــرِ ٱلْمَــــرُوجِ

(299)

وَمِنْ الأَغْرَاضِ ٱلتَّصَوُفِيَّةِ قَوْلُهُ:

[البسيط]

عُذْراً إِلَيْكَ فَمَا الأَلْفَاظُ تُسْعِدُنِي[1] وَلاَ ٱلْعِبَارَةُ فِي ٱلتَحْقِيقِ تُقْنِعُنِي[1]
كَفَى بِكُرْهِيَ قَوْلِي إِنَّنِي رَجُلٌ (لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي)
فَلَيْسَ يَنْفَكُّ عَنْ أَيْنَ وَهَلْ وَمَتَى وَكَمْ وَكَيْفَ وبَعْدَ ٱلْقَبْلِ فِي ٱلزَّمَنِ
إذ كُنْتُ فِي وَحْدَةِ الإِطْلاَقِ أَجْمَعُهَا عَيْنُ ٱلْوُجُودِ وَإِخْبَارِي يُشَخِّصُنِي[1]
ق(143) / تِلْكَ ٱلْمَقُولاَتُ أَعْرَاضُ ٱلْجُسُومِ فَإِنْ طَلَبْتَهَا فَوْقَ طَوْرِ ٱلْحِسِّ لَمْ تَبِنِ
وَٱلْكَوْنُ مَظْهَرُ أَسْمَاءٍ نُسِبْتُ لَهَا فِي عَالَمِ الأَمْرِ حِينَ الكَوْنُ لَمْ يَكُنِ
وَٱلْغَيْبُ مَعْنًى وَرَاءَ ٱلْعَقْلِ مَظْهَرُهُ فَلَمْ يَكُنْ بِشِعَارِ ٱلْحِسِّ مُمْتَهَنِ

(300)

وَقَالَ فِي مُخَاطَبَةِ ٱلشَّيْخِ ٱلْقَاضِي أَبِي جَعْفَرِ بْنِ فَرْكُونِ[2]:

[الطويل]

لَكَ ٱلْخَيْرُ قَدْ أَنْسَيْتَ ذِكْرَ ٱلتَعَاوِذِ[3] بِفَــاتِحَــةٍ قَــامَــتْ مَقَــامَ ٱلتَّعَــوُّذِ

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) الشيخ أحمد بن محمد بن فركون القسري (649هـ 729هـ) قاض برندة ومالقة ثم قاضي الجماعة بغرناطة ثم صرف عن القضاء في بعض الأحداث السياسية، صاحب نوادر وفكاهات، له شعر يصفه ابن الخطيب بالمنحط (الكتيبة الكامنة/ 101 ـ 103).
(3) في الأصل بياء في الأخير (التعاوذي) ولا وجه لذلك إنما هي التعاوذ جمع تعويذة.

كَأَنَّ لِسَانَ ٱلشِّعْرِ قَالَ لَكَ ٱحْتَكِمْ فَدَعْ عَنْكَ أَبْكَارَ ٱلْمَعَارِفِ أَوْ خُذِ
تَحَـدَّيْـتَ أَرْبَـابَ ٱلْبَيَـانِ بِمُعْجِـزٍ بَعِيدِ مَدَى الإِدْرَاكِ فِي سَهْلِ مَأْخَذِ
أُعِيذُكَ بِاسْمِ ٱللَّهِ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ يَمُـوتُ بِغَيْـظٍ دُمْـتَ خَيْـرَ مُعَـوَّذَ
يَزِينُ ٱلَّذِي أُوتِيتَ مِنْ فَضْلِ حِكْمَةٍ خِلاَلُ وَقَارٍ فِي سَمَاحَةِ أَحْوَذِي[1]
قُـرَيْـشٌ وَمَـا أَدْرَاكَ إِسْـوَتُـكَ ٱلَّتِـي عَلَيْهَا إِذَا تَفْرِي ٱلْمَكَارِمَ تَحْتَذِي[2]
عَرَانِي لَهَا سُكْرٌ ثَنَانِي إِلَى ٱلصِّبَا وَمَـالَـتْ بِعِطْفِـي هِـزَّةُ ٱلْمُتَـأَخِّـذِ
فَـأَنْطَـقَ أَرْبَـابَ ٱلْحَقَـائِـقِ شُكْـرُهَـا وَأَخْـرَسَ مِـنْ أَجْرَاسِ كُـلِّ مُشَعْـوِذِ
تَفَـرَّسَ فِيهَـا ٱلْفُـرْسُ نَـاراً وَإِنَّمَـا[3] تَـدَلَّـهَ مِـنْ أَنْـوَارِهَـا عَقْـلُ مُـوبِـذِ[4]
وَكَـمْ حَسَـنٍ فِيهَـا غَـرِيـبٍ كَـأَنَّـهُ عَلَى صِحَّةِ ٱلْمَبْنَى أَحَادِيثُ تِرْمِذِي[5]
سَلَكْتَ فِجَاجَ ٱلْقَوْلِ فِي كُلِّ مُشْكِلٍ يَـرُدُّ دَلِيـلَ ٱلْعَقْـلِ مِـنْ غَيْـرِ مَنْفَـذِ

(301)

و(144) / وَكَتَبَ صَدْرَ رِسَالَةٍ لِلْوَزِيرِ ٱلْحَاجِ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ بْنِ زَيْدٍ[6] :

[الخفيف]

يَـا ٱبْـنَ زَيْـدٍ وَأَنْـتَ خَيْـرُ وَلِـيٍّ جَـادَّةَ[6] ٱلْفَضْـلِ لَـمْ يَـزَلْ يَقْتَفِيهَـا

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل والأحوذيّ هو الخفيف الحاذق والمشمر للأمور القاهر لها لا يشذّ عليه شيء (القاموس 1/349).
(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(3) المُوْبِذ والمُوبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس (المصدر السابق 1/357).
(4) بدون ياء في الآخر في الأصل والترمذي هو المحدث المعروف صاحب الجامع الكبير في الحديث.
(5) محمد بن أحمد بن منخل الغافقي من أهل غرناطة وسكن وادي آش، من اعيان الأندلس استُعمِل في الوزارة؛ معروف بجهاده العدو وانفاقه في سبيل الله، أديب لغوي راوية (الاحاطة 2/136).
(6) هكذا في الأصل (جَادّة) بتضعيف الدال وهذا ما يُخِلُّ بالميزان بإضافة مقطع زائد في أول التفعيلة (فاعلاتن)، ولذلك وضع الناسخ فوقها كلمة «كذا» تعجباً.

مَقْصَدِي دَعْوَةٌ بِثَغْرِ رِبَاطٍ فَأَعِرْنِي لِسَانَكَ ٱلرَّطْبَ فِيهَا
وَعَلَى تِلْكُمُ ٱلسِّيَادَةِ تَقْضِي يَا أَخِي أَنْ تَقُولَهَا مِلْءَ فِيهَا

(302)

وَكَتَبَ كَذَلِكَ إِلَى ٱلشَّرِيفِ عَبْدِ ٱلْعَالِي مُجِيباً عَنْ عَتْبٍ فِي ٱلْعَشْرِ ٱلآخِرِ لِصَفَر مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمَائَةٍ:

[الوافر]

لِوَاءُ ٱلصُّبْحِ مِنْ فَوْقِي رِوَاقُ وَمِنْ زُهْرِ ٱلْكَوَاكِبِ لِي رِفَاقُ
إِذَا كَانَتْ مَقَاصِدُنَا جَمِيعاً فَسِيَّانِ ٱخْتِلاَفٌ وَٱتِّفَاقُ
يَسُلُّ ٱلْبَرْقُ مِنْ عَزْمِي حُسَاماً بِهِ تَمْضِي ٱلْمُهَنَّدَةُ ٱلرِّقَاقُ
وَشُدَّ لِهِمَّتِي وَٱللَّيْلُ دَاجٍ مِنَ ٱلْجَوْزَا[1] وَمِفْرَقِهَا نِطَاقُ
تَسَابَقْنَا جَمِيعاً لِلْمَعَالِي وَلِي مِنْ دُونِهَا كَانَ ٱلسِّبَاقُ
وَغَيْرِي مَنْ إِذَا جَارَى بِفِكْرٍ جَوَادَ ٱلْبَرْقِ أَعْوَزَهُ ٱللَّحَاقُ
وَلَيْلِ شَبِيبَةٍ قَدْ نِمْتُ فِيهِ وَبَدْرِي لَيْسَ يُدْرِكُهُ ٱلْمُحَاقُ
فَنَبَّهَنِي صَبَاحُ ٱلشَّيْبِ لَمَّا بَدَا لِي مِنْهُ فِي فَوْدِي ٱنْفِلاَقُ
وَلَمْ يَرْتَعْ فُؤَادِي يَوْمَ رَوْعٍ وَلَكِنِّي يُرَوِّعُنِي ٱلْفِرَاقُ
وَقَارِي قَدْ رَسَا طَوْداً وَلَكِنْ يُحَرِّكُهُ زَفِيرٌ وَٱشْتِيَاقُ
وَقِدْماً قَدْ أَحَبَّ ٱلنَّاسُ قَبْلِي فَفَاقُوا فِي ٱلْغَرَامِ وَمَا أَفَاقُوا[2]
ق(144) / لَقَدْ طُبِعَتْ عَلَى حُبٍّ طِبَاعِي وَمَا دَارِي ٱلْحِجَازُ وَلاَ ٱلْعِرَاقُ
أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي بِبَيْنٍ دُمُوعِي بَعْدَهُ أَبَداً تُرَاقُ
أَتَاجَ ٱلدِّينِ قَدْ رَوَّعْتَ سِرْبِي بِعَتْبٍ لاَ يُرَامُ وَلاَ يُطَاقُ

---

(1) أي الجوزاء حذفت الهمزة لضرورة الوزن.

(2) بدون واو الجماعة في الأصل.

أَتُشْرِكُنِي وَتُفْرِدُنِي بِعَتْبٍ جَزَاؤُكَ لَمْ يُوَافِقْهُ ٱلْوِفَاقُ

نَسَبْتَ لِيَ ٱلَّذِي لَمْ تَخْلُ عَنْهُ فَحَاشَاكَ ٱخْتِلاَفٌ وَٱخْتِلاَقُ

أَغَرَّكَ مَنْطِقٌ حُلْوُ ٱلْمَعَانِي بَلاَغَتُهُ يَضِيقُ بِهَا ٱلنِّطَاقُ

وَمَا ظَنِّي تُغَيِّرُكَ ٱللَّيَالِي وَلَوْ سَارَتْ سِنِينَ بِكَ ٱلنِّيَاقُ

عَضَلْتَ بَنَاتِ[1] فِكْرِكِ عَنْ صَرِيحٍ وَعِنْدِي لَوْ سَمَحْتَ لَهَا ٱلصَّدَاقُ

وَكُتْبُكَ عَنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ يُقَامُ بِهَا ٱصْطِبَاحٌ وَٱغْتِبَاقُ

مَعَاذَ ٱللَّهِ أَنْ أَهْمَلْتُ خِلاًّ بِحَبْلِ إِخَائِهِ شُدَّ ٱلْوَثَاقُ

وَحَاشَى أَنْ تَسُوقَكَ لِي الأَمَانِي وَلَكِنْ لِلْجِهَادِ هُوَ ٱلْمَسَاقُ

فَلاَ تَمْنُنْ عَلَيَّ بِغَيْرِ أَجْرٍ فَأَجْرُكَ فِي ٱلْجِهَادِ لَهُ ٱتِّسَاقُ

وَأَنْتَ ٱلْمَالِكُ ٱلْمُرْتَاحُ عِطْفاً وَكَيْفَ لِمَالِكٍ يُعْزَى الإِبَاقُ[2]

وَغَيْرِي مَنْ يَسُرُّكَ فِي ٱرْتِقَاءٍ وَغَيْرُكَ مَنْ يُحَمِّلُ مَا يُطَاقُ

أَتُوعِدُنِي ٱلرَّحِيلَ إِلَى عِرَاقٍ وَأَنْ تَرْمِي بِأَرْجُلِكَ ٱلْبِرَاقُ[3]

فَلَوْلاَ أَنْ طَلَعْتَ عَلَيَّ مِنْهُ ضَجِرْتُ وَقُلْتُ لا سُقِيَ ٱلْعِرَاقُ

وَمَا يُجْدِي مَسِيرُكَ نَحْوَ أَرْضٍ وَدُونَ مَرَامِكَ ٱلسَّبْعُ ٱلطِّبَاقُ

وَلَكِنْ كَيْفَ كُنْتَ فَأَنْتَ خِلِّي فَسِيَّانِ ٱجْتِمَاعٌ وَٱفْتِرَاقُ

وَإِنِّي قَدْ مَحَضْتُكَ صَفْوَ وُدِّي مَتَى مَا سُقْتَهُ لَذَّ ٱلْمَذَاقُ

و(145) / وَوُدُّكَ لِي ذَخَرْتُ بِهِ عِتَاداً لِسُوقِ ٱلْمَكْرُمَاتِ بِهِ نَفَاقُ

عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ كَالْوَصْلِ أَضْحَى تُقَضِّيهِ ٱلْبَشَاشَةُ وَٱلْعِنَاقُ

وَلاَ زَالَتْ جِيَادُكَ مُقْرَبَاتٍ لَهَا فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ سِبَاقُ

---

(1) في الأصل (بَنَاتَ) بالفتح، وهو سهو.

(2) مصدر من أبق العبد أبْقاً وإباقا ذهب بلا خوف ولا كد عمل أو استخفى ثم ذهب (القاموس 202/3).

(3) جمع (بُرْقة) وهي في ديار العرب تنيف على مائة (المصدر السابق 205/3).

(303)

وَمِمَّا ضَمَّنَ هَذِهِ ٱلْرِّسَالَةَ مِنْ ٱلْمَقْطُوعَاتِ فِي ٱلْشَّيْبِ:

[البسيط]

قَطَعْتُ لَيْلَ شَبَابِي فِي بُلَهْنِيَةٍ[1] وَنِحْلَتِي فِي ٱلتَّصَابِي أَكْرَمُ ٱلنِّحَلِ

فَحِينَ لاَحَ مَشِيبِي قَالَ وَاعِظُهُ: أَنَا ٱلْصَّبَاحُ فَشُدَّ ٱلرَّحْلَ وَٱرْتَحِلِ

فَكَيْفَ أَبْنِي عَلَى شَيْءٍ أُفَارِقُهُ وَٱلْنَّفْسُ قَدْ أَزْمَعَتْ تَوْدِيعَ مُرْتَحِلِ

(304)

وَقَالَ يُهَنِّئُ ٱلْسُّلْطَانَ أَبَا فَارِسٍ[2]، رَحِمَهُ ٱللهُ، بِمَوْلُودٍ:

[الطويل]

أَبَا فَارِسٍ يَهْنِيكَ مَوْلِدُ فَارِسٍ وَبُورِكَ مَوْلُوداً وَبُورِكْتَ وَالِدَا

وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنَاكَ حَتَّى تُعِدَّهُ أَمَامَكَ يَغْزُو ٱلْكَافِرِينَ مُجَاهِدَا

وَيَسْمُو لِهَالاَتِ ٱلْسُّرُوجِ مُجَالِداً وَيَهْوِي بِهَالاَتِ ٱلْمَحَارِبِ سَاجِدَا

وَلَوْ أَنَّنِي أَعْطَيْتُ حَقَّ وِلاَدِهِ نَظَمْتُ لَهُ دُرَّ ٱلْدَّرَارِي قَلاَئِدَا

وَأَصْحَبْتُهُ بَدْرَ ٱلْسَّمَاءِ وَشُهْبَهَا تُرَبِّيهِ أَتْرَاباً لَهُ وَوَلاَئِدَا

وَبَاتَتْ لَهُ خَمْسُ ٱلْثُّرَايَّا مُعِيذَةً وَأَصْبَحَ مُعْتَلُ ٱلْنَّوَاسِمِ عَائِدَا

فَلاَ زِلْتَ تُحْلِي طَعْمَ كُلِّ مَسَرَّةٍ وَتُعْذِبُ لِلْصُّنْعِ ٱلْجَمِيلِ ٱلْمَوَارِدَا

(305)

ق(145) / وَقَالَ يَصِفُ دُرُوعاً وَمِخْتَمَةً[3] رَآهَا بَيْنَ يَدي أَخِينَا أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ[4]

---

(1) البلهنية: الرخاء وسعة العيش (القاموس 4/276).

(2) كنية السلطان عبد العزيز سلطان المغرب (767 ـ 774).

(3) لا وجود لمعناها في القاموس والغالب انه الصندوق الذي توضع فيه الجواهر وخاصة الخواتم.

(4) أخو جامع الديوان أي حفيد الغني بالله ولعله السلطان محمد السابع تولى سنة 794 هـ.

رَحِمَهُ ٱللهُ :

[الكامل]

ٱهْنَأْ بِيَوْمٍ بِالْبَشَائِرِ يُقْبِلُ   وَٱنْعَمْ بِصُبْحٍ بِشْرُهُ مُتَهَلِّلُ

فَالْعُمْرُ مُقْتَبِلٌ وَسَعْدُكَ مِثْلُهُ   وَكِلاَهُمَا بِالْمُرْتَجَى يَتَكَفَّلُ

إِنَّ ٱلشَّبَابَ لَرَوْضَةٌ مَطْلُولَةٌ   أَدْوَاحُهَا فَوْقَ ٱلْمُنَى تَتَهَدَّلُ

لِلَّهِ مِنْكَ خَلِيفَةٌ[1] نَصَرَ ٱلْهُدَى   بِعَزَائِمٍ مَصْقُولَةٍ لاَ تُخْذَلُ

أَبْدَيْتَ مِنْ عُدَدِ ٱلسِّلاَحِ ذَخَائِراً   بِجَمَالِهَا يَتَمَثَّلُ ٱلْمُتَمَثِّلُ

مَوْشِيَّةَ الأَعْطَافِ رَائِقَةَ ٱلْحُلَى   أَبْدَى بَدَائِعَهَا الإِمَامُ ٱلْمُفْضِلُ

لَبِسَتْ مُفَاضَةَ عَسْجَدٍ مِنْ فَوْقِهَا   وَبِطَيِّهَا بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ تُصْقَلُ

وَبِبَعْضِهَا مِرْآةُ هِنْدٍ أُثْبِتَتْ   فَتَرَى ٱلْوُجُوهَ بِصَفْحِهَا تَتَمَثَّلُ

قَدْ صُفِّفَتْ مِنْ فَوْقِهِنَّ كَوَاكِبٌ   فَزَهَتْ بِبَدْرٍ بِالنُّجُومِ يُكَلَّلُ

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ رُؤْيَةِ حُسْنِهَا   أَنَّ ٱلْحَدِيدَ عَلَى ٱلْجُسُومِ يُفَصَّلُ

حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ ٱلْحَدِيدِ مَجَاسِداً   قَدْ فُصِّلَتْ مِنْ فَوْقِ مَا يُتَخَيَّلُ

هُنَّ ٱلْجُسُومُ وَرُوحُهُنَّ خَفِيفَةٌ   نَصْرُ ٱلَّذِي يُوتِي ٱلْفُتُوحَ وَيُجْزِلُ[2]

قَدْ أُجْمِلَتْ فِيهَا ٱلْمَحَاسِنُ كُلُّهَا   لَكِنْ مِنَ ٱللهِ ٱلْوِقَايَةُ أَجْمَلُ

وَبَدِيعَةُ ٱلأَشْكَالِ لَمْ يُرَ قَبْلَهَا   مِثْلٌ بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ تُمَثِّلُ

صِيغَتْ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلنُّضَارِ فَقَدْ غَدَتْ   يُعْشِي سَنَاهَا كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ[3]

---

(1) قال القصيدة وأبو عبد الله محمد السابع (794 ـ 810) خليفة أي قالها بعد 794.

(2) في المعنى بعض الغرابة فالدروع أجسام رُوْحُها النصْرُ وفي الأصل «خَفِيفَةً» منصوبة على أنها حال.

(3) كما سبق ان لاحظنا في قصائد سابقة، نلاحظ هنا كذلك ان القصيدة رقم 305 لم تنته وكذلك القصيدة رقم 306 لا شك انها مبتورة من أولها وذلك راجع إلى سقوط بعض الصفحات بين الصفحة 145 من المخطوط والصفحة 146 منه إمَّا لأنَّها تلاشت وإمَّا ضاعت عند التسفير.

(306)[1]

[الطويل]

و(146) / وَكَيْفَ وَقَدْ حَلّتْكَ أَشْرَافُهَا ٱلْحُلَى ... وَبَاهَتْ بِكَ الأَعْلاَمُ بِالْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ

أَمَا وَٱلّذِي تَسْرِي ٱلْمَطِيُّ سَوَاهِماً ... عَلَيْهَا سِهَامٌ قَدْ رَمَتْ هَدَفَ ٱلْقَصْدِ

إِلَى بَيْتِهِ كَيْمَا تَزُورَ مَعَاهِداً ... أَبَانَ بِهَا جِبْرِيلُ عَنْ كَرَمِ ٱلْعَهْدِ[2]

لأَنْتَ ٱلّذِي أَعْتَدُّهُ وَأُعِدُّهُ ... نَجِيَّ أَمَانِي ٱلنَّفْسِ فِي ٱلْقُرْبِ وَٱلْبُعْدِ

(307)

وَكَتَبَ صَدْرَ[3] أُخْرَى لِلْوَزِيرِ أَبِي[4] عَبْدِ ٱللهِ بْنِ هانِئٍ[5] حذف مِنْهَا مَا تَكَرَّرَ فِي ٱلّتِي قَبْلَهَا:

[الطويل]

سَلِ ٱلْبَارِقَ ٱلْخَفَّاقَ فِي عَلَمَيْ نَجْدِ ... تَبَسَّمَ فَاسْتَبْكَى جُفُونِي مِنَ ٱلْوَجْدِ

وَقَدْ سُلَّ مِنْ جَفْنِ ٱلْغَمَامَةِ مُذْهَباً ... كَمَا سُلَّ لَمَّاعُ ٱلصِّقَالِ مِنَ ٱلْغِمْدِ

وَهَزَّتْ مُحَلاَّهُ يَدُ ٱلشَّوْقِ فِي ٱلدُّجَا ... فَحَلَّ ٱلّذِي أَبْرَمْتُ لِلصَّبْرِ مِنْ عَقْدِ

وَقَدَّ ذُيُولَ ٱلسُّحْبِ مُرْهَفُ حَدِّهِ ... فَدَمْعِي وَدَمْعُ ٱلسُّحْبِ يَجْرِي عَلَى وَعْدِ

وَسَلْ خَافِقَ الأَرْوَاحِ وَهِيَ بَلِيلَةٌ ... مُضَمَّخَةُ الأَرْدَانِ عَاطِرَةُ ٱلْبُرْدِ

يُصِحُّ عَلِيلَ ٱلْجِسْمِ وَهْناً عَلِيلُهَا ... وَيُهْدِي مِنَ الإِبْلاَلِ أَكْرَمَ مَا يُهْدِي[6]

---

(1) انظر التعليق رقم 3 في الصفحة السّابقة، وغوض هذه القصيدة المدح.

(2) إشارة إلى حجّ الممدوح ولعله الغني بالله.

(3) أي صدر رسالة.

(4) غير واضحة في المخطوط والأغلب أن تكون (أبي) والبيت الثاني عشر يدعم ذلك.

(5) انظر التعريف به سابقاً (القصيدة رقم 129).

(6) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

أَعِنْـدَهُمـا مِمَّـنْ أُحِـبُّ تَحِيَـةٌ حَكَى عَرْفُهَا فِي طِيبِهِ نَفْحَةَ حَمْدِي[1]
وَإلاَّ فَمَـا لِلْجَـوِّ يَنْفَـحُ رَوْضَـةً وَقَدْ نَابَ زَهْرُ ٱلزَّهْرِ فِيهِ عَنِ ٱلنَّدِّ
حَبَـانِـي بِهَـا وَٱلْبُعْـدُ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ عَلَـى فَتْـرَةٍ رَبُّ ٱلْبَـلاَغَـةِ وَٱلْمَجْـدِ
أُرَاجِعُهَـا مِنِّـي بِـأَحْسَـنَ إِنَّنَـا أُمِـرْنَـا بِتَحْسِيـنِ ٱلتَّحِيَّـةِ فِـي ٱلـرَّدِّ
يَقُـولُ فَتِيـقُ ٱلْمِسْـكِ إنْ هَـبَّ عَـرْفُهَـا: أَيَـا لَـكَ مِـنْ نَـدٍّ أَمَـا لَـكَ مِـنْ نِـدِّ
إِلَيْـكَ أَبَـا عَبْـدِ الإِلاَهِ بْـنِ هَـانِـئٍ هَنَاءٌ يُوَفِّي فِي ٱلْمَبَرَّةِ مِنْ قَصْدِي[1]
بِـآيَـةِ مَـا أَعْطَـى ٱلْخَلِيفَـةَ رَبُّـهُ مَفَاتِيحَ فَتْحٍ سَاقَهُ سَائِقُ ٱلسَّعْدِ
يُسَاعِدُ مِنْكَ ٱلْجِدُّ فِـي كُلِّ حَالَةٍ كَرِيماً كَرِيمَ ٱلْخَالِ وَٱلأَبِ وَٱلْجَدِّ
ق(146) / تَلُـوذُ بِـهِ لَخْـمٌ بِهَضْبَـةِ سُـؤْدَدٍ تُـلاَحِظُـهُ زُهْـرُ ٱلْكَـوَاكِـبِ مِـنْ بُعْـدِ
وَفَـاءَتْ عَلَيْـهِ سَـرْحَـةٌ يَمَنِيَّـةٌ تَفِـيءُ بِظِـلٍّ لِلْمَفَـاخِـرِ مُمْتَـدِّ
إِذَا ٱفْتَخَـرَ الأَعْـلاَمُ مَجْـداً وَسُـؤْدَداً تَجَمَّعَ فِيكَ ٱلْفَخْرُ فِي عَلَمٍ فَرْدِ
وَعِنْدِي لَكَ ٱلْوُدُّ ٱلَّذِي إِنْ جَلَوْتُهُ تَمُـدُّ إِلَيْـهِ ٱلشُّهْـبُ رَاحَـةَ مُسْتَجْـدِ
وَمَهْمَـا ٱسْتَقَلَّـتْ بِـي رِكَـابٌ لِطِيَّـةٍ فَأَنْتَ نَجِيُّ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلْقُرْبِ وَٱلْبُعْدِ
فَمَا ٱلْبَدْرُ مَعْصُوباً بِتَاجِ جَمَالِهِ بِأَسْيَرَ مِنْ حَمْدِي وَأَبْهَرَ مِنْ وُدِّي[1]

(308)

وَقَالَ يُخَاطِبُ ٱلْقَاضِي أَبَا ٱلْعَبَّاسِ ٱلشَّرِيف[2] أَيَّامَ إِقَامةِ مَوْلاَنَا ٱلْجَدّ[3] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِجَبَلِ ٱلْفَتْحِ مُسْتَزِيداً مِنْ مُكَاتَبَتِهِ مُرْسِلاً فِي ٱلْمُبَاسَطَةِ بِمَا ثَارَ مِنْ شَوْقِهِ لِلْوَطَنِ[4] عِنَانَ مُدَاعَبَتِهِ: [الطويل]

عِنَـانٌ بِمَيْـدَانِ ٱلْبَـلاَغَـةِ أُطْلِقَـا وَغَيْثٌ عَلَى أَرْضِ ٱلْقَرَاطِيسِ أُطْبِقَا

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) انظر التعريف به سابقاً (القصيدة رقم 159).
(3) هو الغني بالله.
(4) ابن زمرك كان مصاحباً للسلطان الغني بالله.

فَمَنْ ذَا يُبَارِي ٱلرِّيحَ فِي غُلَوائِهَا   وَمَنْ ذَا يُجَارِي ٱلْبَحْرَ مَهْمَا تَدَفَّقَا

وَمَنْ ذَا يُضَاهِي أَوْ يُظَاهِرُ مُشْرِقاً   وَمَـنْ ذَا يُبَـاهِـي أَوْ يُبَـاهِـرُ مُـونِقَـا

وَمَـا هُـوَ إِلاَّ نَيِّـرٌ مِـنْ تِهَـامَـةٍ   سَمَا فَوْقَ أَبْعَادِ ٱلْكَوَاكِبِ مُرْتَقَى

قَـرِيحَتُـهُ مُـدَّتْ بِجِـذْوَةِ بَـارِقٍ   تَسُـومُ عُيُـونَ ٱلشُّهْـبِ أَنْ تَتَـأَرَّقَـا

فَيَـا مِقْـوَلِـي إِنِّـي رَكِبْتُـكَ ظَـالِعَـا   فَقُلْ لِلشَّرِيفِ ٱبْنِ ٱلشَّرِيفِ تَرَفُّقَا

تَسَامَتْ بِهِ مِنْ هَاشِمٍ خَيْرُ أُسْرَةٍ   فَمَـدَّ مُشِيحـاً خَلْفَهَـا مُتَـدَفِّقَـا

وَقَدْ خَلَّدَتْ لِلْمَكْرُمَاتِ مَرَاسِماً   يَسِيـرُ عَلَـى آثَـارِهِـنَّ مُـوَفَّقَـا

و(147) / وَرَدْتَ وَقَدْ رُدْتَ ٱلْجَمِيمَ جِمَامَهَا[1]   فَسَـوَّغْـتَ مِنْهَـا صَفْـوَهَـا ٱلْمُتَـرَقْـرِقَـا

أَبُوكَ ٱلَّذِي بَاهَتْ بِهِ رُتَبُ ٱلْعُلَى   وَمِـنْ أُفْقِـهِ صُبْحُ ٱلْهِـدَايَـةِ أَشْـرَقَـا

وَسَـلَّ حُسَـامَ ٱلْعَـدْلِ يُـرْهَـبُ حَـدُّهُ   وَأَرْعَـدَ فِـي ذَاتِ الإِلاَهُ وَأَبْـرَقَـا[2]

وَكَمْ هَالَةٍ مِنْ حَلْقَةٍ حَوْلَ بَدْرِهِ   عَلَيْهَـا شِهَـابُ الأُفْـقِ يُلْفَـى مُحَلِّقَـا

وَمِنْهُ ٱسْتَفَدْنَا ٱلْعِلْمَ قُدِّسَ عَالِماً   وَمِنْـهُ تَعَلَّمْنَـا ٱلْكَـلاَمَ ٱلْمُنَمَّقَـا[3]

لَئِنْ فَنِيَتْ تِلْـكَ ٱلْمَسَـاعِي فَإِنَّهَـا   تُجِـدُّ عَلَـى الأَيَّـامِ مِنْـكَ لَهَـا ٱلْبَقَـا

رَفَعْـتُ لِـوَاءً مِـنْ ثَنَـائِـكَ خَـافِقـاً   يَـرُدُّ بِـهِ عَنْـكَ ٱلْمُنَـاوِئُ مُخْفِقَـا

تَمُـتُّ لِخَيْـرِ ٱلْعَـالَمِيـنَ بِنِسْبَـةٍ   تَـلاَقَـى بِهَـا ٱلسِّبْطَـانِ أَكْـرَمَ مُلْتَقَـى

وَلَمْ يَثْنِ مِنْكَ ٱلْجِيدَ غَيْرُ عَلاَمَةٍ   بِهَـا كُـلُّ مَـنْ يَـرْجُـو ٱلْمَفَـازَ تَعَلَّقَـا

فَقَوْمُكَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ قُدِّسَ ذِكْرُهُمْ   بِحُبِّهِـمُ أَوْجُ ٱلسَّعَـادَةِ يُـرْتَقَـى

إِذَا كَـانَ وَحْيُ ٱللهِ يُهْـدِي ثَنَـاءَهُـمْ   فَمَاذَا عَسَى أُهْدِي قَرِيضاً مُلَفَّقَا؟

وَمَا أَوْرَثُوا ـ وَٱللَّهُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ ـ   بَنِيهِـمْ سِـوَى إِرْثِ ٱلسِّيَـادَةِ وَٱلتُّقَـى

---

(1) في الصّدر بعض الغموض، (فَوَرَدْتَ) من ورد الماء أشرف عليه دخله أو لم يدخله و(رُدْتَ) من راد يرود أي طلب وشاء (والجميمُ): النّبت والجمامُ جمع جُمَّة وهو معظم الماء فيصبح المعنى أي وردْت جمام ماء المكرمات وأنت ترود نبت المكرمات نفسها.

(2) يشير إلى خطة القضاء التي كان يتقلدها أبو المعَالي الشريف.

(3) يشير إلى تقلّده خطة التّدريس، وكذلك إلى تتلمذ ابن زمرك عليه.

فَغَيْرُكَ مَنْ يَسْبِي ٱلْجَمَالُ فُؤَادَهُ ... ويُعْطِي عَلَى عَهْدِ ٱلصَّبَابَةِ مَوْثِقَا
أَمِنْ بَعْدِ مَا قَدْ فُقْتَ مَجْداً وَسُؤْدَداً ... تُحَاذِرُ سَهْماً مِنْ لِحَاظٍ مُفَوَّقَا
أَقَمْتَ بِشَاطِي ٱلْبَحْرِ تَبْكِي بِمِلْئِهِ ... حَبِيباً نَأَى أَوْ شَمْلَ أُنْسٍ تَفَرَّقَا
وَبِالتُّرْبَةِ ٱلْحَمْرَاءِ ذِكْرَى تُجِدُّهَا ... إِلَى ٱلْقَلْعَةِ ٱلْحَمْرَاءِ[1] تُذْكَى تَشَوُّقَا
وَتَذْكُرُ مِنْ غَرْنَاطَةٍ حُسْنَ ثَغْرِهَا ... ومَا أَذْكَرَتْ إِلاَّ عُذَيْباً وَأَبْرَقَا
فَكَمْ بِتَّ تَشْكُو ٱلظُّلْمَ مِنْ بَرْدِ ظَلْمِهِ ... فَأَصْبَحْتَ فِيهِ عَنْ صَبُوحٍ مُرَقَّقَا
أَلاَ تَذْكُرُ ٱلرَّبْعَ ٱلَّذِي بِفِنَائِهِ ... مَعَاهِدُ نُورُ ٱلْهَدْيِ مِنْهَا تَأَلَّقَا
ق(147) / مَنَازِلُ حَلَّ ٱلْوَحْيُ فِي عَرَصَاتِهَا ... فَبَيَّنَ تَوْحِيدَ الإِلاَهِ وَحَقَّقَا
يَزُورُ بِهَا ٱلرُّوحُ الأَمِينُ نَجِيَّهُ ... وَيَخْفِقُ فِيهَا بِالْجَنَاحِ مُصَفِّقَا
مَطَالِعُ هَدْيٍ قَدْ تَأَلَّقَ نُورُهَا ... فَأَصْبَحَ مِنْهَا مُظْلِمُ الأُفْقِ مُشْرِقَا
فَتِلْكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكَ ٱلصِّيدُ أَهْلُهَا ... بِمَكَّةَ مِمَّنْ أَطْعَمَ ٱلْوَفْدَ أَوْ سَقَى
فدَعْنِي لِهَذَا ٱلْحُبِّ فَهْوَ سَجِيَّتِي ... طُبِعْتُ عَلَى إِيثَارِهَا قَبْلَ أُخْلَقَا
فَلَوْ كُنْتَ تَشْكُو لاَ شَكَوْتَ بِمِثْلِهَا ... لَبِتَّ كَمَا بَاتَ ٱلسَّلِيمُ مُؤَرَّقَا
وَمَا بيْنَ قَلْبِي أَوْ يُدَلِّهَهُ[2] ٱلْهَوَى ... سِوَى أَنْ أَرَى ٱلظَّبْيَ ٱلْغَرِيرَ وَيَرْمُقَا
وَمَنْ هَاجَ دَاءُ ٱلْحُبِّ بيْنَ ضُلُوعِهِ ... فَمَا نَافِعٌ فِيهِ ٱلتَّمَائِمُ وَٱلرُّقَى
سَقَيْتُ بِمَاءِ ٱلدَّمْعِ رَوْضَ صَبَابَتِي ... فَأَثْمَرَ حَبُّ ٱلْحُبِّ مِنْهُ وَأَوْرَقَا
وَمَا زَالَ أَيَّامَ ٱلشَّبِيبَةِ ذَا ٱلْهَوَى ... يُشَيِّبُ[3] مِنِّي بِالتَّفَرُّقِ مَفْرِقَا
وَمَنْ يَلْبَسِ الأَيَامَ يُبْلِي شَبَابَهُ ... ويُصْبِحُ ثَوْبُ الأُنْسِ مِنْهُ مُمَزَّقَا
وَشَرَّدَ عَنْ جَفْنِي ٱلْخَيَالَ مَدَامِعٌ ... تَهَيَّبَ مِنْهَا بَحْرَهَا ٱلْمُتَدَفِّقَا
وَكَيْفَ يَزُورُ ٱلطَّيْفُ مِنِّيَ مُقْلَةً ... وَإِنْسَانُهَا بِالدَّمْعِ قَدْ بَاتَ مُغْرَقَا
فَلاَ تَعْجَبُوا أَنْ صَعَّدَ ٱلدَّمْعُ زَفْرَتِي ... فَوَلَّدَ مِنْ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ مُحَرِّقَا

---

(1) هي القلعة الموجودة في أعلى قصر الحمراء.

(2) أو هنا بمعنى (إلى ان) تقيد الغاية (القاموس 4/296).

(3) في الأصل (تشِيبُ) بدون تضعيف الياء والوزن عند ذلك لا يستقيم.

فَجَفْنِي بِمَاءِ ٱلْدَّمْعِ قَدْ بَاتَ مُغْرَقَا　　وَقَلْبِي بِنَارِ ٱلْوَجْدِ أَصْبَحَ مُحْرَقَا

وَفِـي فَلَـكِ الأَزْرَارِ بَـدْرٌ غُـرُوبُـهُ　　بِقَلْبِي وَلَيْتَ ٱلطَّرْفَ لَوْ كَانَ مَشْرِقَا

إِذَا طَـالَعَـتْ عَيْنِي جَـوَاهِـرَ لَفْظِـهِ　　يُفِيـدُ بِنَظْـمِ ٱلْـدُرِّ مِنْهُـنَّ مُنْتَقَـى

فَمَـا أَشْتَكِي لَيْـلَ ٱلصُّـدُودِ وَوَجْهُـهُ　　يَلُـوحُ بِـهِ بَدْراً عَلَـى غُصْـنِ ٱلْنَّقَـا

سَقَانِي بِكَاسِ ٱللَّحْظِ خَمْراً كَمِثْلَمَا　　سَقَاهُ الصِّبَا خَمْرَ ٱلْشَّبَابِ مُرَوَّقَا

و(148) / وَطِرْسٍ مِنَ ٱلْكَافُورِ أَرْسَلْتَ فَوْقَهُ　　مِـنَ ٱلْحِبْـرِ مِسْكـاً بِـالْثَّنَـاءِ مُفَتَّقَـا

فَشَفِّـعْ بِـهِ أَمْثَـالَـهُ مُتَفَضِّـلاً　　فَمَـا ضَـرَّ ذَاكَ ٱلْطِّيـبَ أَنْ يُتَنَشَّقَـا

تُشَقِّـقُ[1] أَحْبَـارُ ٱلْبَيَـانِ جُيُـوبَهَـا　　إِذَا أَنْـتَ حَبَّـرْتَ ٱلْكَـلاَمَ ٱلْمُشَقَّقَـا

وَإِنْ سَـاقَـهُ لِلْسَّمْـعِ لَفْظُـكَ خِلْتَنِـي　　سَمِعْتُ وَذَاكَ ٱلْحُسْنُ مِنْهُنَّ مَوْسِقَا[2]

وَلَوْلاَ وَقَارُ الشَّيْـبِ قُلْتُ سَقَيْتَنِي　　وَأَسْكَـرْتَنِـي مِنْهَـا ٱلْـرَّحِيـقَ ٱلْمُعَتَّقَـا

وَقَـدْ سَـرَّنِـي بَعْـدَ المَشِيـبِ لِأَنَّنِـي　　وَجَـدْتُ عَلَيْـهِ لِلْشَّبِيبَـةِ رَوْنَقَـا

وَأُهْـدِيـكَ مِـنْ بَعْـدِ الثَّنَـاءِ تَحِيَّـةً　　تَهُـبُّ نَسِيمـاً بِـالعَبِيـرِ مُخَلَّقـاً

(309)

وَكَتَبَ إِلَى الأُسْتَاذ أَبِي عُثْمَانِ الأَلْيُرِّي مِنْ قَصِيدَةٍ تَقَدَّمَ تَغَزُّلُهَا[3] فِي السُّلْطَانِيَّاتِ[4] قَبْلُ، وَمَطْلَعُهَا:

أَحِـنُّ لِلَيْـلِ بِـالثَّنِيَّـةِ مُقْمِـرِ　　كَمَا حَنَّ مِنْ قَبْلِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ[5]

يَقُولُ فِيهَا:　　[الطويل]

وَمَـا وَرَدَ الظَّمْـآنُ أَنْقَـعَ غُلَّـةً　　كَمَـوْرِدِ وُدٍّ صَفْـوُهُ لَـمْ يُكَـدَّرِ

---

(1) في الأصل (تَشَقَّقُ) بفتح التاء ولا وجه لذلك.

(2) الموسقا هنا بمعنى الموسيقى.

(3) أي قسمها الغزلي.

(4) إشارة واضحة إلى أن المخطوط يخضع لنظام حسب الأغراض (راجع المقدمة).

(5) شاعر الغزل المعروف صاحب بثينة.

وَلِـي خُلَّـةٌ أَسْتَحْفِـظُ اللهَ عَهْـدَهَـا وَأَسْـأَلُ[1] بُقْيَـاهَـا بِخَيْـرِ مُـوَفَّـرِ

عَقَـدْتُ مَـعَ الأَيَّـامِ صَفْقَـةَ حُبِّهَـا فَيَا فَوْزَ أَرْبَاحِي وَيَا رِبْحَ مَتْجَرِي[2]

إِلَيْـكَ أَبَـا عُثْمَـانَ أَثْنِـي عِنَـانَهَـا أَلُـوكَـةُ مُشْتَـاقٍ قَلِيـلِ التَصَبُّـرِ

رَضِيْعَيْ لِبَانِ العِلْمِ فِي حِجْرِ صَبْوَةٍ غَذَاهَا التُّقَى مَا بَيْنَ وِرْدٍ [وَمَصْدَرِ][3]

نَـرُوحُ وَنَغْـدُو لِلتَّعَلُّـمِ نَجْتَنِـي أَزَاهِـرَ رَوْضٍ بِـالفَـوَائِـدِ مُثْمِـرِ

ق(148) / فَلَمَّـا عَـلاَنِـي الشَّيْبُ أَكَّـدَ عَهْـدَهَـا ذِمَـامٌ عَقَـدْنَـاهُ بِحِلْـفٍ مُـؤَزَّرِ

وَحَـقٌّ جِـوَارٍ قَـدْ وَفَـى لِـي بِرَعْيِـهِ وَإِنْ لَـمْ أَزَلْ فِـي رَعْيِـهِ بِمُقَصِّـرِ

فَأَحْبِبْ بِهِ نِعْمَ الجَلِيسِ بِكُلِّ مَا يُقَـرِّبُنِـي لِلَّـهِ زُلْفَـى مُـذَكِّـرِ

يَسُدُّ عَنِ الأَعْـرَاضِ سَمْعَ مُصَمِّـمٍ وَيَلْوِي عَنِ العَوْرَاءِ مِنْ خَدٍّ أَزْوَرِ

إِلَيْـكَ أبَـا عُثْمَـانَ أَثْنِـي عِنَـانَهَـا أَلُـوكَـةَ مُشْتَـاقٍ قَلِيـلِ التَّصَبُّـرِ[4]

تَضِـنُّ بِمَيْسُـورِ الكَـلاَمِ عَلَـى فَتًـى لِفَضْلِكَ فِي الأَحْيَاءِ لَيْسَ بِمُنْكِرِ

وَلَـوْ أَنَّهَـا عَـنْ عُسْـرَةٍ لَقَبِلْتُهَـا وَلَكِـنْ حَـرَامٌ عِنْـدَنَا مَطْلُ مُوسِـرِ

قَصَرْتَ صَلاَةَ الكُتْبِ إِذْ مُدَّتِ النَّوَى وَمَـا سَفَـرِي فِيهَـا بِعُـذْرٍ مُقَصِّـرِ

وَهَـلاَّ وَشَـتْ يُمْنَـاكَ مِنْهَـا حَبِيـرَةً فَمَا عُذْرُ ذَاكَ الحَبْرِ غَيْرَ مُحَبَّرِ[5]

وَلَـمْ أَرَ أَمْثَـالَ اليَـرَاعِ ذَوَابِـلاً وَمَهْمَا تَجَلَّتْ فِي القَرَاطِيسِ تُثْمِرِ

وَكُنْتَ تُعَاطِينِي الحَدِيـثَ مُدَامَةً تُقَـابِلُنِـي مِنْهَـا بِـوَجْـهِ مُبَشِّـرِ

فَصَرَّدْتَ لِي تِلْكَ الكُؤُوسَ كَأَنَّمَا تَهَيَّبْتَ مِنْ ضَيْفِ المَشِيبِ المُوَقَّرِ

---

(1) في الأصل: (أسلُ)، وهي طريقة في كتابة «أسأل» في القديم.

(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(3) غير واضحة في الأصل باستثناء الحرف الأول وهو ميم ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) إعادة لنفس البيت الرابع هكذا في الأصل في المخطوط ولعله سهو من الناسخ لأنه إن كان البيت الرابع في محله من السياق فلا يلوح علاقة بين هذا البيت والذي قبله والذي بعده بل لو حذف لاستقام المعنى.

(5) الحَبْر: العالم أو الصالح، والمُحَبَّرُ اسم مفعول من حبّر أي المكتوب بالحبر أو حبّر الخطّ والشعر حسَّنَهُ والحَبِيرُ والحبيرة: البُرْدُ المُوَشَّى ويقصد بها الرسالة البليغة التي ينتظرها منه (القاموس 2/2ـ3).

وَقُلْتَ خَطِيبٌ بِالبَيَاضِ قَدْ ارْتَدَى ... وَقَدْ حَلَّ مِنْ فَوْدَيَّ ذِرْوَةَ مِنْبَرِ
وَمَا هُوَ إلاَّ الصُّبْحُ دُونَكَ فَاصْطَبِحْ ... مُدَامَةَ أُنْسٍ مِنْ حَدِيثٍ مُعَطَّرِ
فتقْتُ بِهِ مِسْكَ الثَّنَاءِ لَطِيمَةً[1] ... وَقَدْ مُزِجَتْ مِنْ صَفْوِ وُدٍّ بِكَوْثَرِ
شَكَوْتُكَ لِلْفَضْلِ الذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَمَا أَنَا عَنْ أَمْثَالِ جَفْوَتِهَا بَرِي[2]
[فَكُلُّ][3] خَلِيلٍ إنْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ ... فَعَهْدُكَ لِي وَاللهِ لَمْ يَتَغَيَّرِ
[وَكَمْ][3] خُمَّلٍ أَعْلَيْتَ مَظْهَرِ جَاهِهِمْ ... فَرَامُوا بِأَنْ تَمْحُو السَّعَايَةُ مَظْهَرِي[2]
[وَرُبَّ][3] حِرَاصٍ لَوْ يُسِرُّونَ[4] مَقْتَلِي ... وَيَأْبَى الذِي أَسْلَفْتُ فِيهِمْ وَمُظْهِرِي[2]
(149و) / وَمَا أَضْمَرُوا مِنْ غَدْرِهِمْ لَيْسَ ضَائِرِي ... فَكَيْفَ وَرَبُّ العَرْشِ يَعْلَمُ مُضْمَرِي[2]
وَإِنَّ الذِي وَفَّى العُهُودَ لَقَادِرُ ... كَمَنْ قَدْ بَنَى مِنْ فَوْقِ سَيْلٍ مُحَذَّرِ

مِنْهَا[5]:

وَعُذْراً فَقَدْ جَهَّزْتُهَا بِنْتَ لَيْلَةٍ[6] ... يَقِلُّ لَهَا الأَمْثَالُ مِنْ بِنْتِ أَعْصُرِ
عَلَيْكَ سَلاَمٌ حَيْثُمَا قَدْ تَقَلَّبَتْ ... رِكَابِي وَلاَ أَنْسَاكَ فِي البُعْدِ فَاذْكُرِ

(310)

وَكَتَبَ إلَى الفَقِيهِ ابْنِ حَاتِمٍ[7] مُسْتَدْعِياً مِنْ نَظْمِهِ:

[الطويل]

أَبَا قَاسِمٍ وَالصِّدْقُ خَيْرُ سَجِيَّةٍ ... وَلَسْتُ لِسِرِّ الصِّدْقِ فِيهَا بِكَاتِمِ

---

(1) اللطيمة: المسك وكل طيب (القاموس 4/173).
(2) في الأصل بدون ياء.
(3) كلها غير واضحة في الأصل نتيجة قدم المخطوط ولعل الصواب فيما أثبتناه.
(4) في الأصل: (يُشِرُّونَ) ولا وجه له، وهو مأخوذ من معلقة امرىء القيس.
(5) هكذا في طرة المخطوط ويشير بها إلى حذف بعض أبيات من الأصل.
(6) يقصد أنه نظمها بسرعة.
(7) أنظر الحديث عنه سابقاً.

إذَا كَانَ هَذَا الجُودُ فِي النَّاسِ شِيمَةٌ ... فَمَا سَنَّهَا فِيمَا مَضَى غَيْرُ حَاتِمِ
وَأَنْتَ الَّذِي تُعْزَى لَهُ بِنُبُوَّةٍ ... تُنَافِسُهَا زُهْرُ النُّجُومِ العَوَاتِمِ[1]
فَحَاشَاكَ مِنْ بُخْلٍ بِآدَابِكَ الَّتِي ... تُكَلِّلُهَا الجَوْزَا مَكَانَ الخَوَاتِمِ
وَكُنْتَ بِنَثْرِ الدُّرِّ أَفْضَلَ فَاتِحٍ ... فَكُنْ بِنِظَامِ[2] الدُّرِّ أَجْمَلَ خَاتِمِ
تَلَقَّاكَ وَجْهُ الدَّهْرِ أَزْهَرَ بَاسِماً ... وَقَالِيكَ يَلْقَاهُ بِأَغْبَرَ قَاتِمِ

(311)

وَقَالَ وَقَدْ أَهْدَاهُ مَوْلاَنَا[3] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَعَاماً وَفِيهِ التَّوْرِيَةُ[4]:

[الكامل]

يَا مَنْ بِهِ فَخَرَتْ مُلُوكُ زَمَانِهِ ... بِإِمَامِهَا وَسِرَاجِهَا الوَهَّاجِ
إِنَّ الطَّعَامَ قَبَائِلٌ مَعْرُوفَةٌ ... كُلٌّ جَرَى مِنْهَا عَلَى مِنْهَاجِ
وَإِذَا تَجَمَّعَتِ القَبَائِلُ كُلُّهَا ... حَازَ المَفَاخِرَ دُونَهَا الصَّنْهَاجِي[5]

(312)

وَقَالَ يُخَمِّسُ أَبْيَاتاً أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا السُّلْطَانُ أَبُو العَبَّاسِ[6] رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ نَظْمِهِ يَرْثِي حَظِيَّةً كَانَتْ لَهُ اسْمُهَا عِشْقٌ:

[الطويل]

ق(149) / أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي مَا عَدَا بَعْدَ مَا بَدَا ... فِرَاقٌ عَلَيْنَا جَارَ فِي الحُكْمِ وَاعْتَدَى

---

(1) النجوم العاتمات التي تظلم من غُبْرة في الهواء (القاموس 4/ 144).
(2) نظام يقصد به نظم الشعر.
(3) يقصد الغني بالله بدون شك.
(4) يقصد بالتورية كلمة (صهناجي)، فهو المنتسب إلى قبيلة صنهاجة.
(5) الصنهاجي: هو نوع من الأواني الحاملة لأصناف من الطعام أو نوع من الطعام راجع القصيدة رقم (30) والتعليق عليها. وفي الأصل كتب بدون ياء.
(6) هو أحمد بن سالم المريني سلطان المغرب، بويع له بمداخلة الغني بالله سنة 776 هـ.

وَلَوْ كَانَ وَعْدُ اليَوْمِ يُنْجِزُهُ غَداً (لَنَظَّمَ مِنْ شَمْلِ الهَوَى مَا تَبَدَّدَا)
(وَلَكِنْ رَهِينُ اللَّحْدِ لَيْسَ لَهُ فِدَا)

فَيَا سَائِلِي عَنْ حَالَتِي وَلَكَ البَقَا فَقَدْتُ الذِي أَهْوَى فَعَزَّنِيَ اللِّقَا
وَدَمْعُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِيَ مَا رَقَا (وَنَفْسِي مَعَ الأَنْفَاسِ تَفْنَى تَشَوُّقَا)
(وَرُوحِيَ فِي مِثْلِ الخِلاَلِ تَرَدَّدَا)

أَيَا صَاحِ رِفْقاً مَا حَدِيثِيَ مُفْتَرَى لِنَفْسِي عَلَى نَفْسِي رَقِيبٌ قَدِ انْبَرَى
أَبُثُّكَ حَتَّى دَمْعِيَ المُتَحَدِّرَا (إِذَا زَارَنِي الطَّيْفُ المُلِمُّ مَعَ الكَرَى)
(تَهَيَّبَ بَحْراً مِنْ دُمُوعِيَ مُزْبِدَا)

وَهَبْتُ نَعِيمِي فِي الغَرَامِ لِشِقْوَتِي[1] فَجَفْنِيَ لَمْ يَطْعَمْ مَذَاقاً لِغَفْوَتِي[1]
وَدَمْعِيَ مَا تُطْفِيهِ نِيرَانُ جَفْوَتِي[1] (أَيَا عِشْقُ قَلْبِي لاَ يُقِرُّ بِسَلْوَتِي)[1]
(أَيَا عِشْقُ حُبِّي لاَ يَزَالُ مُجَدَّدَا)

وَحَقِّ الذِي يَجْزِي المُحِبَّ بِمَا نَوَى وَيَسْقِيهِ كَأْسَ الدَّمْعِ حِيناً وَمَا اكْتَوَى
وَيُخْرِجُ حَيَّ النَّبْتِ مِنْ مَيِّتِ النَّوَى (لَقَدْ مَرَّ لِي عِشْرُونَ حَوْلاً عَلَى النَّوَى)
(وَمَا ضَرَبَ السُّلْوَانُ لِي فِيكَ مَوْعِدَا)

(313)

وَقَالَ أَيْضاً فِي رِثَائِهَا[2] مُعْرِباً عَنْهُ[3]: [الطويل]

غَرَامٌ عَلَى قَلْبِ العَمِيدِ قَدِ اسْتَوْلَى بِمَنْ كَانَ لِي عَبْداً وَكُنْتُ لَهُ مَوْلَى
فَوَجْدِي عَلَى الأَيَّامِ يَزْدَادُ جِدَّةً وحُبِّيَ إِنْ يَبْلَ الجَدِيدَانِ [لاَ يَبْلَى] [4]

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.
(2) أي رثاء (عشق) حظية ابي العباس.
(3) أي على لسانه.
(4) بياض في الأصل، لعله ما أثبتناه.

[وَمِنْ][1] عَجَبِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ فِي الهَوَى وَعِـزِّيَ قَدْ سَـامَ الجَبَابِرَ [ةَ الـذُّلاَّ] [2]

(314)[3]

[الطويل]

و(150) / وَجُـودَا[4] وَلَـوْ لَـيَّ الـرِّدَاءِ بِـوَقْفَـةٍ إِذَا لَـمْ يَكُـنْ مِقْـدَارَ لَـيِّ العَمَـائِـمِ

أَبُثُّكُمَـا وَجْـداً بَثَثْـتُ أَقَلَّـهُ نَسِيمَ الصَّبَا فَاعْتَلَّ إِشْفَاقَ رَاحِمِ

وَتِلْـكَ شَكَـاةٌ عَـنْ كَبِيـرِكُمَـا نَمَـتْ فَخَصَّـتْ خَـوَافِيهَـا طِـوَالَ قَـوَادِمِ

إِذَا قِيـلَ لِـي عَمَّـنْ أَوَدُّ قَـدْ اشْتَكَـى فَـوَاللَّـهِ مَـا لَيْلِـي عَلَيْـهِ بِنَـائِـمِ

فَدَتْكَ أَبَا العَبَّاسِ[5] نَفْسِي فَإِنَّهَا تَصُونُكَ صَوْنَ السِرِّ فِي صَدْرِ كَاتِمِ

فَمُـدَّ لَهَـا مِـنْ رَاحَـةٍ خَيْـرَ رَاحَـةٍ فَقَدْ عَاوَدَتْ عَوْدَ الشَّبَابِ المُلاَئِمِ

وَبُـورِكَ يَـوْمٌ فِـي بِشَـارَتِـهِ اخْتَفَـى فَـذَلِـكَ يَـوْمٌ فِـي عِـدَادِ المَـوَاسِـمِ

فَـإِنَّـكَ مِـنْ قَـوْمٍ عَلَـيَّ أَعِـزَّةٍ إِذَا سَلِمُوا كَانَ الزَّمَانُ مُسَالِمِي[6]

وَإِنَّ حَنِينِـي لِلْبَنِيـنَ كَفَلْتُهُـمْ صِغَـاراً كَـأَطْـلاَءِ الظِّبَـاءِ الـرَّوَائِـمِ

لَـدُونَ حَنِينِـي لِلَّـذِيـنَ أَوَدُّهُـمْ وَأَدْفَعُ عَنْهُمْ فِي صُدُورِ العَظَائِمِ

كَتَـائِـبُ كُتَّـابٍ زَحَفْـتُ بِجَمْعِهَـا فَعُـدْتُ وَقَـدْ أَثْقَلْتَنِـي بِالغَنَـائِـمِ

أَعُـدُّهُـمْ عَـدَّ النُّجُـومِ وَطَـالَمَـا تَـوَدُّهُـمُ الْجَـوْزَا مَكَـانَ الخَـوَادِمِ

وَلَمْ يَنْسَ عَهْدِي مِنْ قُرَيْشٍ عَمِيدُهَا كَـرِيـمٌ حَبَـانِـي جُـودُهُ بِـالكَـرَائِـمِ

وَإِنِّـي إِذَا رُمْـتُ السُلُـوَّ تَكَلُّفـاً يُقَسِّـمُ قَلْبِـي شَـوْقُ آبَـاءِ قَـاسِـمِ

---

(1) بياض في الأصل اجتهدنا في ملئه.

(2) نهاية الكلمة غير واضحة وكذلك الكلمة الأخيرة ولعل الصواب فيما أثبتناه.

(3) سقط أول هذه القصيدة وكذلك آخر القصيدة السابقة، وذلك ما تكرر مرات عديدة نتيجة سقوط بعض الأوراق عند التسفير، أو اختلاطها أو ضياعها قبل ذلك. فبين الصفحة 149 من المخطوط و150 منه سقطت أوراق وهذا ما انتج النقص المذكور.

(4) يخاطب شخصين.

(5) هو السلطان أبو العباس المريني.

(6) بدون ياء النسبة في الأصل.

وَمَا اعْتَصَمَتْ كَفِّي بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ ... كَوُدِّ الصِّحَابِ الغُرِّ مِنْ آلِ عَاصِمِ

وَأَحْمَدُ لِلْعَكِيِّ[1] فَضْلَ بُنُوَّةٍ ... حُظُوظِيَ مِنْهَا وَافِرَاتُ المَقَاسِمِ

وَكَمْ مِنْ أَبٍ فِيهِمْ لِسِنِّ أُجِلُّهَا ... فَوَاتِحُهُ مَشْفُوعَةٌ بِالخَوَاتِمِ

وَكَمْ حَسَنٍ يُبْدِيهِ مُنْتَسِبٌ لَهُ ... سَمِيُّ إِمَامٍ شَفَّ عَنْ كُلِّ عَالِمِ

سَقَى اللهُ مِنْ غَرْنَاطَةٍ رَوْضَ مَنْشَئِي ... وَقَابَلَنِي مِنْهُ بِتُحْفَةِ قَادِمِ

ق(150) / وَقَلَّدَهَا الزُّهْرَ النُّجُومَ تَمَائِماً ... فَفِي رَبْعِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي[2]

وَمَا شَاقَنِي مِنْ أَهْلِهَا فِي دِيَارِهَا ... سِوَى رَائِقِ الأَزْهَارِ بَيْنَ الكَمَائِمِ

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي كَالسَّبِيكَةِ مَنْظَراً ... تُكَلِّلُهُ وَشْحُ البُرُوقِ البَوَاسِمِ

دَنَانِيرُ شَمْسٍ صَارَفَتْهَا يَدُ الصَّبَا ... مِنَ الزَّهْرِ مَبْثُوثاً بِبِيضِ الدَّرَاهِمِ

إِذَا مَا وَشَتْ أَيْدِي السَّحَائِبِ بُسْطَهَا ... تَرَى الرِّيحَ يَمْشِي فَوْقَهَا بِالغَمَائِمِ

وَكَمْ مِنْ هَدِيرٍ أَوْ هَدِيلٍ تُعِيدُهُ ... جَوَارِي السَّوَاقِي أَوْ قِيَانُ الحَمَائِمِ

وَفِي سَفْحِهَا نَهْرُ المُنَجِّمِ[3] قَدْ جَرَى ... يُجَرِّرُ أَذْيَالَ الغُصُونِ النَّوَاعِمِ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ نَهْرَ المَجَرَّةِ مَا اعْتَزَى ... إِلَى رَاصِدٍ زُهْرَ النُّجُومِ العَوَاتِمِ[4]

تَحِنُّ إِلَى أَرْضِ الحِجَازِ قُلُوبُنَا ... وَكَمْ مَعْلَمٍ مِنْهَا بِتِلْكَ المَعَالِمِ

أَلَيْسَ بِهَا نَجْدٌ سَقَى الغَيْثُ تُرْبَهَا ... وَعَلَّلَنِي مِنْهَا بِتِلْكَ النَّوَاسِمِ

وَكَمْ مَوْرِدٍ بَيْنَ العُذَيْبِ وَبَارِقٍ ... تُحَلِّئُنِي[5] عَنْهُ عِذَابُ المَبَاسِمِ

وَكَمْ مِنْ عَقِيقٍ بَيْنَ جَارٍ وَجَامِدٍ ... لِحُمْرِ الحَصَى أَوْ لِلدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ

وَمَا احْمَرَّ وَجْهُ الأَرْضِ مِنها لِرِيبَةٍ ... وَلَكِنْ حَيَاءٌ مِنْ بُكَاءِ الغَمَائِمِ

---

(1) لا وجود لترجمته في المراجع.

(2) بدون ياء النسبة في الأصل.

(3) هو نهر في غرناطة.

(4) الأبيات السابقة كلها في الحنين لغرناطة ووصفها ولعل الشاعر قالها وهو بعيد عنها، في فاس لأنه توجّه إلى أبي العباس المريني.

(5) حَلأَهُ عن الماء طرده ومنعه من وروده (القاموس).

تُعَلِّلُنِي مِنْهَا الأَسَامِي لَعَلَّنِي لأَرْبُعِهَا أُنْضِي ذَوَاتِ المَنَاسِمِ
أَمَا لِلْمَعَالِي مِنْ أَبِيهَا التِفَاتَةٌ فَتَحْمِلَ عَنْهَا مُثْقَلاَتِ المَغَارِمِ
وَمَحْجُوزَةٍ فِي صَدْرِهِ قَدْ تَمَنَّعَتْ وَقَدْ كَمُنَتْ كَالغَيْظِ فِي صَدْرِ كَاظِمِ
وَمَخْطُوبَةٍ لَمْ تَعْدُ حِجْرَ وَلِيِّهَا يُعَلِّلُنِي مِنْهَا بِأَضْغَاثِ حَالِمِ
[فَجِئْتُ][1] لَهَا فِي وَزْنِهَا وَرَوِيِّهَا مُجَدَّدَةً مِنْ عَهْدِهَا المُتَقَادِمِ
وَسِبْطَيْنِ لِلسِّبْطَيْنِ[2] فَازَا بِنِسْبَةٍ أَنَافَتْ بِهَا الأَعْلاَمُ مِنْ آلِ هَاشِمِ
و(151) / نَشَدْتُكُمَا مُسْتَشْفِعاً بِأَبِيكُمَا بِأَنْ تُرْعِيَا رَوْضَ الوَفَاءِ سَوَائِمِي
وَأَنْ تُورِدَانِي لِلْبَلاَغَةِ مَوْرِداً أُنَافِسُ فِيهِ بِالظِّمَاءِ الحَوَائِمِ

(315)

وَقَالَ أَيْضاً يُجِيبُ عَنْهُمَا[3] الشَّيْخَ القَاضِي أَبَا جَعْفَرِ بْنَ فَرْكُونٍ وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِمَا وَحَكَّمَهُ فِي اسْتِنْجَازِ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

يَا آلَ مَنْ رَكِبَ البُرَاقَ لَقَدْ بَدَتْ فِيكُمْ صِفَاتُ الْمُمْتَطِي وَالمُمْتَطَى

بِمَا نَصُّهُ:

[الكامل]

وَفْدُ المَشِيبِ بِفَوْدِ رَأْسِي قَدْ خَطَا مَا ضَرَّهُ لَوْ أَنَّهُ قَصَرَ الخُطَا؟
أَدْنَى المَشِيبُ رَوَاحِلاً أَنْضَيْتُهَا شَحَطَتْ بِهِ يَا لَيْتَهُ لَنْ يَشْحَطَا
قَطَعَتْ بِنَا لَيْلَ الشَّبِيبَةِ حَالِكاً حَتَّى تَجَلَّى صُبْحُ لَيْلِي أَشْمَطَا
إِيهِ أَبَا العَبَّاسِ[4] دَعْوَةَ مُخْلِصٍ أَصْفَى الوِدَادَ وَغَيْرُهُ قَدْ خَلَّطَا
أَبَنَيْ أَبِينَا مِنْ كِنَانَةَ بَيْنَنَا نَسَبٌ بِأُفْقِ الْمَعْلُوَاتِ تَوَسَّطَا

---

(1) كلمة حروفها طمست في الأصل، ولعل الصواب فيما أثبتناه.
(2) السبطان الأولان لعلهما ابنا بنت أبي العباس، أما السبطان الثانيان فهما الحسن والحسين رضي الله عنهما.
(3) قد أشار اليهما في القصيدة السابقة ولعلهما ابنا السلطان أبي العباس المريني أو ابنا بنته.
(4) لعلها كنية أبن فركون وإن كانت في التقديم (أبو جعفر).

فَرَّطْتُ فِي دِينِي وَحَاشَاهَا العُلَى ... إنْ لَمْ أَكُنْ فِي حُبِّ قَوْمِكَ مُفْرِطَا

أَحْرَزْتُ[1] فِي عَلْيَا قُرَيْشٍ مَحْتِداً ... مِنْ دُونِهِ زُهْرُ الكَوَاكِبِ تُمْتَطَى

وَإذا انْتَمَيْتُ فَهَاشِمٌ لِي مُنْتَمَى ... نُورُ الهُدَى قَدْ خَطَّ فِيهِ وَاخْتَطَا

أَعْمَلْتُ لِلسِّبْطَيْنَ رِحْلَةَ نِسْبَةٍ ... يُلْفَى بِهَا وَعْرُ المَسَالِكِ أَسْبَطَا

إنْ تَشْتَبِكْ مِنَّا الأَوَاصِرُ فِي العُلَى ... فَلَنَا حُقُوقٌ دُونَكُمْ لَنْ تُغْمَطَا

آيُ الكِتَابِ تَنُصُّ فَخْرَ قَدِيمِنَا ... إنْ كَانَ فَخْرُ حَدِيثِنَا مُسْتَنبَطَا

إنَّا لأَهْلُ البَيْتِ بَيْتِ رِسَالَةٍ ... فِي بَيْتِ مُرْسِلِهَا أَجَدَّتْ مَسْقَطَا

فِي قَصْدِ هَذَا البَيْتِ تُحتَسَبُ الخُطَا ... فِي حُبِّ ذَاكَ البَيْتِ [يُغْتَفَرُ الخَطَا][2]

يَا أَيُّهَا الحَكَمُ الذِي لَمْ يَلْتَفِتْ ... أَرْضَى الأَئِمَةَ حُكْمُهُ أَمْ [أَسْخَطَا][3]

و(151) / لَوْ جَارَ لأُرْتَخْنَا بِشَكْوَى جَوْرِهِ ... لَكِنَّهُ بِالعَدْلِ فِينَا قَدْ سَطَا

لَكَ يَا جَوَادُ جَوَادُ فِكْرٍ سَابِقٌ ... لَوْ شَاءَ لاتَّخَذَ المَجَرَّةَ مَرْبِطَا

إنْ كُنتُ قَدْ صَلَّيْتُ خَلْفَكَ جَارِياً ... أَيُلامُ مَنْ جَارَى البُرُوقَ فَثُبِّطَا؟

أَمَّا يَرَاعُكَ فَهُوَ صِلٌّ[4] صَائِلٌ ... مَا زَالَ يَنْفُثُ فِي الطُّرُوسِ مُرَقَّطَا[5]

يَسْرِي بِلَيْلِ الحِبْرِ أَهْدَى مِنْ قَطًا ... لاَ نَائِماً وَيَنَامُ إنْ تُرِكَ القَطَا

غَبَطَتْكَ فِي زُهْرِ المَنَاقِبِ وَالحُلَى ... زُهْرُ النُّجُومِ وَحَقُّهَا أَنْ تَغْبِطَا

بُرْهَانُ عَقْلِكَ آيَةٌ مَشْهُورَةٌ ... أَعْجَزْتَ مُدَّعِيًا بِهَا وَمُسَفْسِطَا

لَكَ حِكْمَةٌ لَوْلاَ العِيَانُ وَحُكْمُهُ ... قُلْنَا: أَعَادَ اللهُ مِنْهُ أَرْسَطَا[6]

---

(1) في الأصل (أَحْرَزْتَ) في صيغة المخاطب، وهذا لا يستقيم مع السياق وقد جاء في صيغة المتكلم.

(2) لون الحبر باهت والحروف غير واضحة ولعلها ما أثبتناه وبها يستقيم المعنى.

(3) غير واضحة في الأصل: و «أسخط» تقابل «ارضى».

(4) الصِلُّ: الحية ويشير إلى بلاغته ووقع كلامه ونفاذه (القاموس 4/3)

(5) من فعل رقَّطَ والرَقْطَةُ: سوادٌ يَشُوْبُهُ نُقَطُ بياضٍ أو عَكسه يشير إلى صورة الحبر على الطروس (المصدر السابق 2/ 359)

(6) تحريف لاسم (أرسطاطاليس) الفيلسوف اليوناني المعروف حتى يستقيم الوزن.

وَافَى قَرِيضُكَ وَهُوَ سِحْرٌ مُؤْذِنٌ | لِمَنِ اسْتَشَمَّ نَسِيمَهُ أَنْ يَنْقُطا[1]
فَطَفِقْتُ بَيْنَ جَوَاهِرٍ وَزَوَاهِرٍ | فَلَكَمْ عَدَانِي قَطْفُهَا أَنْ أَلْقُطا
قَدْ كُنْتُ فِي كَسَلِ الفُتُورِ مُقَيَّداً | حَتَّى هَبَبْتَ مُنَشِّطاً لِي مُنْشِطا
[فَأَبَنْتَ][2] عَنْ سَاقٍ لِسَاقٍ عَلَّنِي[3] | كَأْسَ البَيَانِ وَعَنْ بَنَانٍ قَدْ عَطا[4]
[خُذْ][5] هَا بُنَيَّةَ سَاعَةٍ مِنْ شَاعِرٍ | تَرَكَ الكَلاَمَ مُعَبَّداً مُسْتَسْرِطا[6]
أَرْكَبْتَهُ لِلطَّاءِ غَيْرَ رَكُوبَةٍ | وَرَدَتْ بِسَائِمِهَا الجَدِيبَ المُقْحَطَا[7]
رَامَ الجَوَابَ بَدِيهَةً لَوْلاَ الذِي | تَدْرِيهِ مِنْ إِرْثِ العُلَى لَتَوَرَّطَا
لَكِنَّهُ مِنْ أُسْرَةٍ عَلَوِيَّةٍ | دَعْوَاهُمُ مِلْكَ البَلاَغَةِ أَفْرَطَا
رَاضَ الأَبِيَّ الصَّعْبَ وَهُوَ مُمَنَّعٌ | فَانْقَادَ مِنْ بَعْدِ الإِبَايَةِ وَالتَطَى[8]
[خَلَّفْتُ][9] وَعْرَ القَوْلِ فِيهَا جَانِباً | وَأَخَذْتُ أَقْفُو مِنْ قَوَافِيهَا الْوِطَا
[وَإِلَيْكَهَا][10] عِقْداً يَرُوقُكَ رَصْفُهُ | بِجَوَاهِرِ الْكَلِمِ الْمُحَرَّرِ سُمِّطَا
و(152) / يُزْهَى عَلَى جِيدِ الْبَيَانِ قِلاَدَةً | وَعَوَاطِلَ الأَسْمَاعِ حَلْياً قَرَّطَا

---

(1) تنقط الخبر أخذه شيئاً بعد شيء يقصد استنشاق النسيم شيئاً فشيئاً.
(2) تلاش للكلمة الأولى من البيت باستثناء الحرف الأخير (ت) ولعلها كما أثبتناه.
(3) الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعاً (القاموس 4/20).
(4) العطو التّناول (المصدر المذكور سابقاً 4/456)
(5) حروف الكلمة الأولى باهتة اللون ولعلها كما قدّرنا والمعنى بها يستقيم.
(6) مستسرطا أي سالكا السراط (وهي لغة في الصراط)، وهي توافق قوله «معبدا» (المصدر السابق 2/361)
(7) يشير إلى صعوبة نظم القصائد على قافية الطاء، وهو ما فعله في هذه القصيدة وهو يعارض بها كما يبدو من قوله (أَرْكَبتهُ الطاء) قصيدة في نفس القافية لابن فركون.
(8) التطى: لزق بالأرض والمقصود أنه ذل وانقاد (المصدر المذكور سابقاً 4/378).
(9) حروف غير واضحة في الأصل.
(10) غير واضحة تماماً في الأصل لكن ابن زمرك يستعملها في خواتم قصائد أخرى عند توجُّهه للممدوح.

وَقَالَ أَيْضاً مُرَاجِعاً لَهُ[1] عَنْ رِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَيْهِ وَهُوَ بِمَالَقَةَ نَثْراً وَنَظْماً كَانَ فِي أَثْنَائِهَا قَصِيدَةٌ أَوَّلُهَا:

أَوْرِدُوهَا كَمْ يُزْمِعُ الرَّكْبَ حَثَّا ... وَٱلْمَطَايَا لِغَيْرِكُمْ لَنْ تُحَثَّا

فَكَانَت مُعَارِضَةُ هَذِهِ ٱلثَّائِيَّةِ فِي مَتْنِ ٱلْجَوَابِ مَا نَصُّهُ:

[الخفيف]

أَصْدِرُوهَا[2] تَرْعَى ٱلْجَمِيمَ[3] ٱلْكَثَّا ... لاَ تُطِيلُوا عَلَى ٱلْجَمَامِ[4] ٱلْمُكْثَا

فَلَهَا مِنْ مَدَامِعِ ٱلرَّكْبِ شِرْبٌ ... إِنْ يَدُمْ غَيْثُهُ سَيُعِقبُ عَيْثاً[5]

وَعَلَى مُمْتَطَى ٱلرَّوَاحِلِ مِيلٌ[6] ... قَدَحُ ٱلنَّوْمِ بَيْنَهُمْ قَدْ حُثَّا

فَسِهَامٌ عَلَى سَوَاهِمَ تُحْدَى ... عَبِثَ ٱلسَّيْرُ فِي بُرَاهُنَّ عَبْثَا

صَقَلُوا بِالسُّرَى وُجُوهَ الأَمَانِي ... إِذْ أَطَالُوا بِهَا ٱلنَّوَاصِيَ شُعْثَا

يَسْتَحِقُّ ٱلنِّدَاءَ: أَهْلاً وَسَهْلاً ... مَنْ يَكُنْ يَرْكَبُ ٱلْمَفَازَ [الوَعْثَا][7]

يَا نَسِيمَ ٱلصَّبَا وَبَرْقَ ٱلثَّنَايَا ... كُلَّ ما شِئْتُمَا مِنَ ٱلشَّجْوِ [بُثَّا][7]

عَنْ عَمِيدٍ أَبْلَى جَدِيدَ شَبَابٍ ... فِي هَوَى ٱلْغِيدِ وَٱسْتَجَدَّ [ٱلْبَثَّا][7]

مَنْ رَأَى لِي لَيْلَ ٱلشَّبَابَ غُرَاباً ... مُسْتَطِيراً مَدَّ ٱلْجَنَاحَ وَ [حَثَّا][7]

إِذْ تَبَدَّى بَازِي ٱلصَّبَاحِ بِفَوْدِي ... لَيْتَهُ قَدْ أَطَالَ فِيهِ ٱللَّبْثَا

دَوْحَةُ ٱلْعُمْرِ أَزْهَرَتْ بِمَشِيبٍ ... أَصْلُهَا صَارَ بَعْدَهُ مُجْتَثَّا

---

(1) أي القاضي ابن فركون.

(2) معارضة لقول ابن فركون (أوردُوها) والحديث عن الناقة كما يبدو.

(3) هو النبت الكثير أو الناعض المنتشر (القاموس 4/90).

(4) جَمَّتْ الناقة جماماً تُرِكَت فلم ترع (المصدر السابق 4/90).

(5) تضمين للمثل المعروف (سيعقُبُ غيْثٌ عيثاً) والعيث هو الفساد والغيث المطر والخير.

(6) جمع (أميلُ) وهو من يميلُ عن السرج ، جانب فهم مُتعبُون سينامون.

(7) الخط غير واضح نتيجة التلاشي والقدم ولعلّ الصّواب فيما أضفناه.

يَا أَبَا جَعْفَرٍ نِدَاءَ مُجِيبٍ ... مُكْرَهاً قَدْ أَزْجَيْتَهُ [مُسْتَحَثّا](1)

أَطْلَعَتْ لِي خِلاَلُكَ ٱلزُّهْرُ زُهْراً ... نُورُهَا في مَشَارِقِ [ٱلطِّرْسِ بَثّا](2)

فَأَظُنُّ ٱلنُّجُومَ تَجْرِي سِرَاعاً ... عَنْ نُجُومٍ بِهِ تُطِيلُ [ٱلْمُكْثَا](3)

ق(152) / لَكَ يَا أَوْحَدَ ٱلْكَمَالِ بِحَقٍّ ... طَبْعُ جُودٍ عَلَى ٱلْمَكَارِمِ حَثَّا

وَبَنَانٌ قَدْ سَامَتِ ٱلسُّحْبَ بُخْلاً ... فَلِهَذَا تُجْرِي ٱلْمَدَامِعَ غَيْثَا

كَمْ يَرَاعٍ أَجْرَيْتَهُ بِبَيَانٍ ... فَأَعَادَ ٱلْبُرُوقَ تَشْكُو ٱلرَّيْثَا

جَادَ رَوْضَ ٱلطُّرُوسِ وَاكِفُ غَيْثٍ ... تَرَكَ ٱلزَّهْرَ فَوْقَهَا مُنْبَثّا

يَا بَدِيعَ ٱلزَّمَانِ لَسْتَ بِبِدْعٍ ... مَا حَدِيثُ ٱلنَّدَى بِقَوْمِكَ حِدْثَا

مَنْ عَذِيرِي وَطَارِفُ ٱلْجُودِ مِنْهُ ... أَحْرَزَ ٱلْجُودَ وَٱلسَّمَاحَةَ إِرْثَا

مِنْ قُرَيشٍ كَفَى قُرَيْشاً فَخَاراً ... أَنَّ مِنْهُمْ لِخِيرَةِ ٱلْخَلْقِ بَعْثَا

لا وَصُبْحِ ٱلْجَبِينِ يَفْتَرُّ عَنْهُ ... لَيْلُ شَعْرٍ أَبَيْتُ فِيهِ ٱلْحِنْثَا

وَيَمِينٍ أَخَذْتُهَا بِيَمِينٍ ... تَرَكَتْ لِلْوَفَاءِ فِيهَا ٱلنَّكْثَا

مَا أَفَادَ ٱلزَّمَانُ مِثْلَكَ خِلاًّ ... جَادَ غَيْثاً وَصَالَ فِي ٱلرَّوْعِ لَيْثَا

لَيْسَ مَاءُ ٱلْوَفَاءِ عِنْدَكَ طِرْفاً ... لَيْسَ ثَوْبُ ٱلْوِدَادِ عِنْدَكَ رَثَّا

[وَإِلَيْكَ](3) ٱلْجَوَابَ حَاطِبَ لَيْلٍ ... جَعَلَ ٱلْحَبْلَ فِيهِ قَافِيَةَ ٱلثَّا(4)

(317)

وَمِنَ النَّظْمِ فِي هَذِهِ ٱلرِّسالَةِ: [الكامل]

لَمْ تَرْضَ عَنْ سَنَنِ ٱلْوَفَاءِ عُدُولاَ ... يَا عَادِلاً فِي جُودِهِ مَعْذُولاَ

---

(1) لعلها كذلك خاصة وأنّ أحد قراء المخطوط أو مالكيه قد أضافها بخط ولون حبر مغايرين للأصل.

(2) كلمة (طِرْسِ) مضافة كذلك بخط ولون مغايرين للأصل ولعل الكلمة الأخيرة كما أثبتناه.

(3) غير واضحة في الأصل.

(4) صورة مجازية لِصُعُوبَةِ (قافية الثاء) فمستعمِلُها كحاطب الليل أي لا يُميّزُ فتارة يأتي بالخشب الجيد وتارة بما لا يفيد، وهذا تواضع منه.

إِنْ كُنْتُ أَفْرَدْتُ[1] ٱلْخِطَابَ فَأَوْحَدٌ وَإِذَا جَمَعْتُ فَأَقْصُدُ ٱلتَّبْجِيلَا

(318)

وَمِنْهُ[2] أَيْضاً فِي وَصْفِ ٱلْكُتَّابِ:

[البسيط]

[. . . . . .][3] فِي كَفٍّ نَاعِمَةٍ مِنَ ٱلْبَنَانِ تُجَارِي ٱلسُّحْبَ فِي ٱلْجُودِ
[. . . . . .][3] قَصِيرَاتٌ فَإِنْ نَطَقَتْ طَالَتْ تُخَبِّرُنَا عَنْ كُلِّ مَوْجُودِ

(319)

وَمِنْهُ أَيْضاً فِي الامْتِعَاضِ لِتَأَلُّمِ بَعْضِهِمْ[4]:

(320)[4]

[الطويل]

(153و) /عِذَارٌ بَدَا فِي وَجْنَةٍ قَمَرِيَّةٍ أَرَانَا كُسُوفَ ٱلْبَدْرِ وَٱلْبَدْرُ يُرْقَبُ
فَقُلْتُ لِمَنْ أَهْوَى عِذَارُكَ لَا بَدَا غُرَابٌ عَلَى أَطْلَالِ حُسْنِكَ يَنْدُبُ

(321)

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ: [الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ وَادِي ٱلْعَقِيقِ أَعِينَا بِأَنْ تُرْسِلَا دَمْعَ ٱلْعُيُونِ مَعِينَا
وَأَنْ تَصِلَا مَهْمَا عَطَفْنَا عَلَى ٱلْحِمَى وَشَاهَدْتُمَاهُ زَفْرَةً وَحَنِينَا

---

(1) في الأصل (أَفْرَدْتَ) بفتح التاء ولا يستقيم هذا مع السياق.
(2) أي من النظم الموجود في الرسالة المذكورة سابقاً.
(3) بياض في الأصل لم نهتد لمثله.
(4) جاء هذا التقديم في آخر الصفحة (152 قفا) ثم نجد بعد ذلك في أول الصفحة (153 وجه) بيتين حول الغزل والعذار لا علاقة لهما بالتقديم وهو التألمُ، فلا شك أنه بين الصفحتين 152 و 153 من المخطوط قد وقع سقوط بعض الصفحات، وهذا ما أنتج سقوط القصيدة رقم 319 بأكملها وسقوط التقديم وأول القصيدة رقم 320.

وَكَانَتْ إِذَا لاَحَتْ بُدُورُ قِبَابِهَا تُجَلِّي مِنَ ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ دُجُونَا
بَسَطْنَا خُدُوداً فِي ثَرَاكَ وَرُبَّمَا كَحَلْنَا بِهِ شَوْقاً إِلَيْكَ عُيُونَا
وَصَعَّدَ نَارُ ٱلشَّوْقِ مَاءَ دُمُوعِنَا فَفَجَّرَ مِنْهُ فِي ٱلْعُيُونِ عُيُونَا

(322)

وقَالَ فِي خَاضِبِ شَيْبٍ: [الكامل]

قُلْ لِلَّذِي خَضَبَ ٱلْمَشِيبَ مَسَرَّةً لَمْ تَدْرِ جَهْلاً مَا ٱعْتَرَاكَ وَمَا ٱتَّفَقْ
فَنَهَارُ شَيْبِكَ قَدْ تَقَضَّى جُلُّهُ وَخِضَابُهُ ٱلْمُصْفَرُّ مِنْهُ هُوَ ٱلشَّفَقْ

(323)

وَقَالَ وَصَدَّرَ بهَا كِتَاباً: [الطويل]

أَتَجْنَحُ يَوْماً لِلْجِهَادِ بِهِمَّةٍ تُصَدِّقُ مَنْ سَمَّاكَ فِي ٱلْمَهْدِ غَازِيَا؟
فَهَلْ أَنْتَ بَعْدَ ٱلْبُعْدِ تَعْلَمُ أَنَّنِي لأَجْلِ جِهَادِ ٱلشَّوْقِ قَدْ صِرْتُ غَازِيَا؟
وَهَلْ طَالِعٌ ذَاكَ ٱلْمُحَيَّا طَلِيعَةً زَجَرْتُ لَهَا مِنْ أَشْهَبِ ٱلصُّبْحِ بَازِيَا؟
وَلَوْ وَازَنَتْ حُبِّي ٱلْجِبَالُ ٱسْتَخَفَّهَا وَلَمْ يَكُ يَرْضَى بِالْجِبَالِ مُوَازِيَا
جَزَى اللَّهُ عَهْدِي مِنْكَ عَوْدًا فَطَالَمَا أَعَادَ عَلَى رَبْعِي ٱلظِّبَاءَ ٱلْجَوَازِيَا
وَأُمُّ حَبِيبٍ حَالَ بُعْدِكَ قَدْ غَدَتْ تُجَازِيكَ مَا قَدْ كُنْتَ فِي ٱلْقُرْبِ جَازِيَا
فَإِنْ وَفَدَتْ مِنْهَا عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ يَجِدُّ بِكَ ٱلشَّوْقُ ٱلَّذِي كَانَ هَازِيَا

(324)

ق(153) / وَقَالَ مُتَغَزِّلاً فِي مُعَذِّرٍ: [الطويل]

سَلُوا ٱلْحُسْنَ عَنْهُ إِذْ أَسَالَ عَوَارِضاً تَلَقَّفَهَا مِنْهُ أَغَرُّ أَسِيلُ
ضَوَاحِكُهُ حَبُّ ٱلْغَمَامِ وَبَرْقُهَا فَهَلْ لِي إِلَى مَاءِ ٱلنَّعِيمِ سَبِيلُ
وَرِيقَتُهُ خَمْرٌ فَمَنْ عُلَّ كَاسَهَا تَمِيلُ بِهِ الأَهْوَاءُ حَيْثُ يَمِيلُ

وَقَــامَتُــهُ غُصْــنٌ حَمَــامُ مَــدَائِحِــي لَهَــا فَــوْقَــهُ حَتَّــى ٱلصَّبَــاحِ هَــدِيــلُ
وَوَجْنَتُــهُ رَوْضٌ سَحَــابُ مَــدَامِعِــي عَلَيْــــهِ إِذَا جَــــنَّ ٱلظَّــــلاَمُ تَسِيـــلُ
أَمَا لِصَرِيعِ ٱللَّحْظِ فِي ٱلْحَيِّ نَاصِرٌ فَيُنْجِــــدُهُ تِــــرْبٌ لَــــهُ وَخَلِيــــلُ
أَرَى ٱلْحُبَّ يَسْتَهْوِي ٱلنُّفُوسَ رَشَادَهَا فَسِيَّــانِ فِيــهِ عَــالِــمٌ وَجَهُــولُ
فَمِـنْ قَبْـلُ مَـا قَـدْ خَـانَ قَيْسـاً قِيَاسُـهُ وَمَـا ٱسْتَقْبَـحَ ٱلْصَّبْـرَ ٱلْجَمِيـلَ جَمِيـلُ

(325)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ[1]: [الكامل]

سَــالَــتْ عَــوَارِضُ خَــدِّهِ حَتَّــى بَــدَا فِــي رَوْضِ وَجْنَتِــهِ غَــدِيــرٌ أَخْضَــرُ
وَبِثَغْـــرِهِ مَــــاءُ ٱلنَّعِيــــمِ مُــــرَوَّقٌ حَصْبَــاؤُهُ تَحْــتَ ٱللِّثَــاتِ ٱلْجَــوْهَــرُ
وَمُحِبُّـهُ قَـدْ ذَابَ مِــن حَــرِّ ٱلْجَــوَى مَــا ضَــرَّ لَــوْ رَوَّاهُ ذَاكَ ٱلْكَــوْثَــرُ

(326)

وَقَالَ مُتَفَكِّهاً: [الكامل]

عَجَبــاً أَيَــأْتِــي زَوْجَــهُ مِــنْ خَلْفِهَــا وَأَمَـــامُهَـــا مَـــا إِنْ إِلَيْــهِ سَبِيـــلُ
تَبّــاً لَهَــا وَلِــزَوْجِهَــا قَــدْ أَذْكَــرَتْ مَثَـــلاً وَمَـــا يُلْفَــى إِلَيْــهِ مَثِيـــلُ
(كَالْعِيسِ فِي ٱلْبَيْدَاءِ تَشْكُو بِالظَّمَا وَٱلْمَــاءُ فَــوْقَ ظُهُــورِهَــا مَحْمُــولُ)

(327)

وَقَالَ أَيْضاً مِنْ هَذَا ٱلْبَابِ[2]:

[الطويل]

أَمَـوْلاَيَ قِـطُّ ٱلـدَّارِ قَـدْ بُـحَّ صَـوْتُـهُ لِكَثْرَةِ مَا قَدْ صَاحَ بِالْبَابِ مِنْ (مِيَوْ)

---

(1) أي في الغلام المعذر.
(2) أي في التفكُّه؛ ونلاحظ الكلمات باللهجة الدارجة الأندلسية وهي خاصة بالأصوات المستعملة في مناداة القطط أو زجرها وهي تخالف ما هو موجود في المغرب فللمناداة تستعمل (بِشْ بِشْ) وللزجر (كِسْ كِسْ).

و(154) /يُقَالَ لَهُ (إِسِبٍّ) مِنْ حَيْثُ مَا أَتَى   وَ (إِسِبٌّ) فِي عِلْمِ ٱلْقُطُوطِ كَلَامُ سَوْ[1]
فَهَلَّا دَعَوْهُ (مِشٍّ مِشْ مِشْ) إِذَا دَعَوْا   وإِنْ لَمْ يَقُولُوا (مِشٍّ مِشْ مِشْ) يُقَالُ (حَوْ)
وَلاَ يُسْمِعُوهُ لَفْظَ فَجٍّ فَإِنَّهَا   تُقَالُ لأَرْذَالِ ٱلْكِلاَبِ إِذَا عَوَوْا
وَيَا لَيْتَ قِطَّ ٱلْدَّارِ لَوْ عَادَ بُرْطُلاً   يَصِيحُ بِسَقْفِ ٱلْدَّارِ حِينَ يَجُوعُ جَوْ[2]

(328)

وَقَالَ فِي غَرَضٍ لَهُ:

[البسيط]

وَقَائِلٍ قَدْ رَمَاهُ ٱلْدَّهْرُ مِنْ كَثَبٍ   وَسَدَّ عَنْهُ طَرِيقَ ٱلْحَوْلِ وَٱلْحِيَلِ
قَدْ كَانَ قَلْبِيَ لاَ يَهْفُو ٱلْسُلُوُّ بِهِ   وَكَانَ سَمْعِيَ لاَ يُصْغِي إِلَى الْعَذَلِ
فالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ عَنْ حُبِّي وَعَنْ عَذَلِي   وَعَنْ زَمَانِ ٱلْرِّضَا وَٱلْهَجْرِ فِي شُغُلِ
فَقُلْتُ صَبْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ مُقْتَدِرٌ   أَنْ يُظْفِرَ ٱلْمَرْءَ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ بِالأَمَلِ
وَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ أَوْدَى ٱلْبِعَادُ بِهِ   عَنْ عَهْدِ أَحْبَابِهِ واللَّهِ لَمْ يَحُلِ

(329)

وَسُئِلَ مِنْهُ تَذْيِيلُ هَذَا ٱلْبَيْت:

فَإِنْ تَسَلْ: كَيْفَ حَالِي بَعْدَ بُعْدِهُمُ؟   فَالْدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ وَٱلْقَلْبُ خَفَّاقُ

فَقَالَ:

[البسيط]

إِنِّي إِلَيْكِ مَعَ ٱلأَنْفَاسِ مُشْتَاقُ   زُرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الأَشْوَاقِ أَطْوَاقُ
إِنْ حَرَّكَ ٱلْدَّوْحَ خَفَّاقُ ٱلْنَّسِيمِ ضُحَى   تَهْفُو بِقَلْبِيَ أَغْصَانٌ وَأَوْرَاقُ

---

(1) أي (سُوءٌ) لتخفيف الهمزة.
(2) معنى البيت غير واضح ولعل فيه تورية أو كناية.

يا جِيرَةَ ٱلْحَيِّ لاَ أَبْغِي بِكُمْ بَدَلاً ... وَلاَ لِغَيْرِكُمْ مَا عِشْتُ أَشْتَاقُ
يَبْقَى هَوَاكُمْ عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ وَإِنْ ... لَمْ يَبْقَ إِلاَّ حُشَاشَاتٌ وَأَرْمَاقُ
(فَإِنْ تَسَلْ: كَيْفَ حَالِي بَعْدَ بُعْدِكُمُ؟ ... فَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ وَٱلْقَلْبُ خَفَّاقُ)
فَيَقْدَحُ ٱلْبَرْقُ زَنْدَ ٱلشَّوْقِ مِنْ كَبِدِي ... وَتُرْسِلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ عَيْنَيَّ آمَاقُ
ق(154) / أَيْنَ ٱلْبُدُورُ ٱلَّتِي بِالْغَرْبِ قَدْ حُجِبَتْ ... لَكِنْ لَهَا فِي فُؤَادِ ٱلصَّبِّ إِشْرَاقُ
أَيْنَ ٱلْغَزَالُ ٱلَّذِي تَرْعَى لَوَاحِظُهُ ... حَبَّ ٱلْقُلُوبِ وَمَا يَثْنِيهِ إِشْفَاقُ
مَنْ كَانَ لِلْبَدْرِ فِي الآفَاقِ مُرْتَقِباً ... هَذِي ٱلْبُدُورُ لَهَا فِي ٱلْقَلْبِ آفَاقُ
بِهِمْ تُوَاصَلُ أَفْرَاحٌ مُجَدَّدَةٌ ... فِيهُمْ تُنَزَّهُ أَسْمَاعٌ وَأَحْدَاقُ
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ وَٱلأَقْدَارُ حَاكِمَةٌ ... وَلِلْمَسَاعِي بِهَا نُجْحٌ وَإِخْفَاقُ
وَفِي ٱللَّيَالِي وَفِي الأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ ... وَٱلْمَرْءُ لِلْقَدَرِ ٱلْمَخْتُومِ مُسْتَاقُ
هَلْ نَلْتَقِي وَظِلاَلُ الأُنْسِ وَارِفَةٌ ... تَضْفُو عَلَيْنَا وَصَفْوُ ٱلْعَيْشِ رَقْرَاقٌ؟
وَهَلْ لِعَيْنِيَ أَنْ تَرْقَا مَدَامِعُهَا؟ ... وَهَلْ لِهَذِي ٱلْمُنَى فِي ٱلْغَيْبِ مِصْدَاقُ؟
أَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ ذُو كَرَمٍ ... يُبَلِّغُ ٱلْمَرْءَ مَا يَرْجُو وَيَشْتَاقُ
قَدْ نَالَ مِنْ يُوسُفٍ يَعْقُوبُ بُغْيَتَهُ ... وَعَمَّهُ بِاللِّقَا لُطْفٌ وَإِرْفَاقُ
وَفِي سُلَيْمَانَ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ ... بِعَوْدَةِ ٱلْمُلْكِ لَمْ يَمْسَسْهُ إِخْلاَقُ
فَأَمِّلِ ٱللَّهَ تَبْلُغْ مَا تُؤَمِّلُهُ ... فَإِنَّهُ لِلَّذِي يَخْتَارُ خَلاَّقُ

(330)

وَقَالَ فِي ٱلنُّحُولِ:

[الوافر]

بِنَفْسِيَ مَنْ كَسَا جِسْمِي نُحُولاَ ... وَوَكَّلَ بِالنَّحِيبِ وَبِالسُّهَادِ
أَطِيرُ مَعَ ٱلنَّسِيمِ إِلَيْهِ شَوْقاً ... وَيَخْفِقُ فِي ٱلْبُرُوقِ لَهُ فُؤَادِي[1]

---

(1) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

وَلَـمْ يَجْـفُ ٱلرُّقَـادُ جُفُـونَ عَيْنِي   وَلَكِنِّـي خَفِيـتُ عَـنِ الـرُّقَـادِ

(331)

وَقَالَ يُخَاطِبُ ٱلْحَاجَ ٱبْنَ زَيْدٍ[1]:

[الكامل]

يَـا مَـنْ بِغُـرَّةِ هَـدْيِـهِ أَسْتَصْبِـحُ   وَبِـوُدِّهِ فِـي ٱلْمُنْتَـدَى أَتَمَـدَّحُ

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّ شَخْصَكَ ثَابِتٌ   بِمَكَـانِـهِ فِـي ٱلْقَلْـبِ لاَ يَتَـزَحْـزَحُ

و(155) / وَلَـرُبَّمَـا خَفَـقَ ٱلْفُـؤَادُ وَطَيْـرُهُ   فِـي رَوْضِ حُبِّـكَ بِـٱلأَمَـانِـي يَسْـرَحُ

مُتَنَشِّقَـاً فِيـهِ وُرُودَ تَحِيَّـةٍ   أَنْفَـاسُهَـا عَـنْ طِيـبِ طَيْبَـةَ تَنْفَـحُ

فَبِحَـقِّ بَيْـتٍ قَـدْ أَتَيْـتَ وَرَوْضَـةٍ   مَنْ زَارَهَا فَالْصَّدْرُ مِنْهُ يُشْرَحُ[2]

لاَ تَنْسَنِـي مِـنْ دَعْـوَةٍ فِـي خَلْـوَةٍ   عَلِّـي بِهَـا بَـابَ ٱلْهِـدَايَـةِ أَفْتَـحُ

وَعَلَيْـكَ مِـنْ رَوْضِ ٱلْقَبُـولِ تَحِيَّـةٌ   نَفَسُ ٱلرِّضَا مِنْ عَرْفِهَا يُسْتَرْوَحُ

(332)

وَقَالَ مِنْ نَسِيبِ قَصِيدَةٍ:

[المتقارب]

إِذَا ٱلْبَـرْقُ يُبْـدِي إِلَيْـكَ ٱبْتِسَـامَـا   أَبُثُّـكَ وَجْـدِي فَـأُبْكِـي ٱلْغَمَـامَـا

وَمِمَّـا أُنَـاجِـي نَسِيـمَ ٱلصَّبَـا   تَعَلَّـمَ مِنِّـي ٱلضَّنَـا وَٱلسَّقَـامَـا

أَبِيـتُ أُرَاعِـي نُجُـومَ ٱلـدُّجَـا   كَـأَنِّـي أُسَـامِـرُ مِنْهَـا نَـدَامَـى

إِذَا شِمْـتُ مِـنْ سَلْـوَةٍ بَـارِقـاً   تَسُـلُّ مِـنَ ٱلْبَـرْقِ نَحْـوِي حُسَـامَـا

وقَدْ كَـانَ فِي ٱلطَّيْـفِ لِـي مَقْنَـعٌ   لَـوَ ٱنَّ جُفُـونِـي تَـذُوقُ ٱلْمَنَـامَـا

يُـلاَمُ مُحِـبٌّ بَكَـى مَـوْهِنـاً   لِبَـرْقٍ تَبَسَّـمَ يَجْلُـو ٱلظَّـلاَمَـا

---

(1) انظر التعريف به سابقاً (القصيدة رقم 176 ـ 301).

(2) لا شك أن ابن زيد حج إلى مكة وزار الروضة الشريفة بالمدينة أيضاً.

لَعَلَّ بُكَاهُ ٱشْتِيَاقاً لِمَنْ أَعَارَ ٱلْبُرُوقَ سَنًى وَٱبْتِسَامَا
وَيَا نَسْمَةَ ٱلرِّيحِ رِيحَ ٱلْجَنُوبِ لَعَلَّكِ تُنْهِي إِلَيْهِ ٱلسَّلاَمَا
تَذَكَّرْتُ لِي بِالْغَضَا عَهْدَ أُنْسٍ فَشَبَّ ٱلْغَضَا بِفُؤَادِي ضِرَامَا
لَيَالِيَ رَفَّ عَلَيَّ ٱلشَّبَابُ بِمَوْرِدِ عَيْشٍ صَفَا لِي جِمَامَا
تُنَافِسُ ثَغْرِي ٱلرِّيَاضُ أَقَاحاً وَتَحْسُدُ قَدِّي ٱلْغُصُونُ قَوَامَا
وَمَا خِلْتُ دَهْرِي تَلَوَّنَ حَتَّى أَعَادَ غُرَابَ شَبَابِي حَمَامَا
وَيَا مَنْ رَآنِي غَدَاةَ ٱلنَّوَى أُقَوِّضُ عَمَّنْ أُحِبُّ الْخِيَامَا
ق(155) مُخَلَّفَ سِرْبٍ مَهِيضَ ٱلْجَنَاحِ يُرَوِّعُهُ ٱلْبَيْنُ عَاماً فَعَامَا
بُلِيتُ بِجِسْمٍ خَذُولٍ مَتَى تَرَحَّلَ عَنْهُ ٱلْفُؤَادُ أَقَامَا

(333)

وَقَالَ مِنْ أخرَى كذلِكَ:

[الكامل]

رَشَأٌ يَغَارُ ٱلْبَدْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَيَمِيسُ غُصْنُ ٱلْبَانِ مِنْ أَعْطَافِهِ
شَغَفَ ٱلْفُؤَادَ وَحَازَهُ عَنْ جِسْمِهِ مَا ضَرَّهُ لَوْ رَدَّهُ لِشَغَافِهِ
مُتَجَسِّدٌ مِنْ جَوْهَرٍ مُتَلأْلِيءٍ يُغْشِي ٱلْعُيُونَ ٱلنُّورُ مِنْ شَفَّافِهِ
مُتَبَسِّمٌ عَنْ مِثْلِ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ يَسْقِي الأَقَاحَ بِهِ لَذِيذُ سُلاَفِهِ
لاَ تَعْجَبُوا أَنْ رُمْتُ رَشْفَ سُلاَفَةٍ مِنْ ثَغْرِهِ فَالرُّومُ مِنْ أَسْلاَفِهِ[1]
يَا غُصْنَ آسٍ قَدْ تَفَتَّحَ زَهْرُهُ فِي ثَغْرِهِ فَزَهَاهُ فِي ٱسْتِشْرَافِهِ
مَا ضَرَّ قَدَّكَ وَهْوَ لَدْنٌ نَاعِمٌ لَوْ مَالَ لِلْمُشْتَاقِ فِي ٱسْتِعْطَافِهِ
وَٱلظُّلْمُ فِي الإنْجِيلِ غَيْرُ مُحَلَّلٍ فَتَحَلَّ بِالإنْصَافِ فِي إِنْصَافِهِ
وَمُضَعَّفٌ مِنْ وَرْدِ خَدِّكَ ضَائِعٌ قَلْبِي ٱلْمُتَيَّمُ ضَاعَ فِي أَضْعَافِهِ

(1) المحبوب غير عربي فهو رومي وهذا يظهر في البيت الثامن أيضاً.

يَا رَوْضَةً غَرَسَتْ لِحَاظِيْ وَرْدَهَا وَسَقَاهُ دَمْعِي ٱلصَّفْوَ مِنْ وَكَّافِهِ

هـلاَّ عَطَفْـتَ عَلَـيَّ غُصْـنَ قَـوَامِـهِ هـلاَّ سَمَحْـتَ لِنَـاظِـرِي بِقِطَـافِـهِ

أَشْكُـو لِحَـاظَـكَ لِلْخَلِيفَـةِ إِنَّهَـا قَـدْ أَصْبَحَـتْ تَحْكِـي ظُبَـا أَسْيَـافِـهِ

(334)

وَقَالَ مِنْ غَرَامِيَاتِهِ وَنَوَافِذَ رَمِيَّاتِهِ:

[البسيط]

لَوْلاَ ٱلنَّسِيمُ ٱلَّذِي يَهْفُو عَلَى ٱلْوَرَقِ لكُنْتُ قَدْ ذُبْتُ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ حُرَقِي[1]

يَجْـرِي فَيَخْفِـقُ قَلْبِـي إِثْـرَ خَـافِقِـهِ وَارْحَمَـةَ ٱللَّـهِ مِـنْ عَـانٍ بِمُنْطَلِـقِ

وَيَنْظِـمُ ٱلطَّـلُّ فِـي أَغْصَـانِـهِ دُرَراً وَيَنْثُـرُ ٱلـزَّهْـرُ بِـالأَكْمَـامِ عَـنْ وَرِقِ

و(156) / وَمَـا عَنَـى غَيْـرَ قَلْبِـي مَـنْ يُشَبِّهُـهُ كَـرِيشَـةٍ فِـي مَهَـبِّ ٱلـرِّيحِ فِـي قَلَـقِ

كَمْ لَيْلَةٍ أَطْبَقَتْ جَفْنَ ٱلظَّلاَمِ عَلَى طَيْفِ ٱلْخَيَـالِ وَمَا جَفْنِي بِمُنْطَبِـقِ

أَعْدَيْتُ فِيهَا سُهَاهَا بِالْخَفَاءِ وَقَدْ كَحَلْتُ فِيهَا عُيُونَ ٱلشُّهْبِ بِالأَرَقِ

يَا جِيرَةَ ٱلْحَيِّ جَادَ ٱلْحَيُّ كُلَّ حَياً يَجُـودُ بِـالزَّهْـرِ يُحْيِـي كُـلَّ مُنْتَشِـقِ

لَمْ أَنْـسَ فِي حَيِّكُمْ بَدْراً كَلِفْتُ بِهِ قَدْ أَخْجَلَ ٱلْبَدْرَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقِ

إِنِّـي لَيُقْنِعُنِـي مَيْسُـورُ وَصْلِكُـمُ بِالرِّيحِ تَنْسِمُ أَوْ بِالْبَرْقِ فِي الأُفُقِ

لَمْ تُشْرِقِ ٱلشَّمْسُ يَوْماً مِنْ أَسِرَّتِهِ إِلاَّ وَأُشْرِفُ مِنْ دَمْعِي عَلَى ٱلشَّرَقِ

وَلاَ تَنَفَّـسَ رَوْضٌ عَـنْ مَحَـامِـدِهِ إِلاَّ تَـذَكَّـرْتُ رَيَّـا طِيبِـهِ ٱلْعَبِـقِ

وَٱلشَّمْـسُ تُشْفِـقُ مِمَّـا قَـدْ أُرَاقِبُهَـا حَتَّى أَرَتْ خَجَلاً فِي حُمْرَةِ ٱلشَّفَقِ

أَيْ صَاحِبِي وَرِكَابُ ٱلْيُمْنِ يَصْحَبُهُ وَٱلسَّعْدُ قَدْ حَثَّ مِنْهُ عَزْمَ مُسْتَبِقِ

فِـي ذِمَّـةِ ٱللَّـهِ لاَ كَـرٌّ وَلاَ نَصَـبٌ وَٱلْعِزُّ وَالنُّجْحُ وَٱلتَّيْسِيرُ فِي نَسَقِ

حُثَّ ٱلْمَطِيَّ قَلِيلاً فِي ٱلْمَسِيرِ بِهَا إِنَّـا بَثَثْنَـا ٱلْقُلُـوبَ ٱلْهِيمَ بِـالْطُّـرُقِ

---

(1) في الأصل بدون ياء في الآخر.

إِذَا وَصَلْتَ إِلَى ٱلْوَادِي ٱلْمُقَدَّسِ قُلْ يَفْدِيكَ شُكْراً بِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ رَمَقِ
وَنَادِ بِاللَّيْلِ إِنْ تَظْفَرْ بِوَصْلِهِمُ يَفْدِيكَ مِنْهُ سَوَادُ ٱلْقَلْبِ وَٱلْحَدَقِ
وَإِنْ تُشَاهِدْ مُحَيَّا مَنْ كَلِفْتُ بِهِ عَوِّذْهُ خَمْسًا بِرَبِّ ٱلنَّاسِ وَٱلْفَلَقِ
وَٱقْرَ ٱلسَّلاَمَ عَلَى مَنْ لَسْتُ أَذْكُرُهُ إِلاَّ بِإِخْلاَصِ قَلْبٍ فِيهِ مُتَّفِقِ
أَمَانَةُ ٱللَّهِ فَلْتَحْمِلْ أَمَانَتَهَا بِحَقِّ مَنْ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ

(335)

وقال حَائِمًا هَذا ٱلْحَوْمِ[1]، وَنَازِعاً إِلى أَغْرَاضِ (القوم)[2]:

[البسيط]

يَا جِيرَةَ ٱلْحَيِّ فِي أَيَّامِنَا ٱلْقُدُمِ مِنْكُمْ عَرَفْنَا ذِمَامَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْكَرَمِ
ق(156) / آوَيْتُمُونَا إِلَى أَكْنَافِ ظِلِّكُمُ وَصُنْتُمُونَا كَصَوْنِ الأَهْلِ وَٱلْحُرَمِ
كَفَلْتُمُ وَكَفَيْتُمْ كُلَّ حَادِثَةٍ أَلَيْسَ جَارُكُمُ يَأْوِي إِلَى حَرَمِ؟
شَفَعْتُمُ ٱلْحُسْنَ بِالإِحْسَانِ وَٱنْبَجَسَتْ مِنْ جُودِكُمْ فَوْقَنَا وَكَّافَةُ ٱلدِّيَمِ
أَيَّامَ كُنَّا وَشَمْلُ ٱلْوَصْلِ يَجْمَعُنَا وَٱلدَّهْرُ يَجْلُوْ لَنَا عَنْ وَجْهِ مُبْتَسِمِ
فِي رَوْضَةِ ٱلأُنْسِ نَجْنِي كُلَّ زَاهِرَةٍ وَنَنْثَنِي طَرَباً عَنْ كُلِّ مُنْتَسَمِ
إِذَا بَدَتْ زَهْرَةٌ لِلْعِلْمِ يَانِعَةٌ تُدِلُّ فِي قَطْفِهَا إِدْلاَلَ مُحْتَدِمِ
لاَ نَعْرِفُ ٱلنُّورَ إِلاَّ مِنْ جَمَالِكُمُ مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ الأَنْوَارِ وَٱلظُّلَمِ
فِي حَضْرَةِ ٱلْجَمْعِ لاَ فَرْقٌ يُرَوِّعُنَا نُسْقَى بِكَاسٍ وُجُودٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
لَمْ نَدْرِ حَصْرَ مَكَانٍ مِنْ تَمَكُّنِنَا وَلاَ مَدَارَ زَمَانٍ دَارَ بِالأُمَمِ
إِنْ تَرْحَمُونَا فَرُحْمَاكُمْ لَنَا سَبَقَتْ وَلُطْفُكُمْ عَمَّنَا فِي سَالِفِ ٱلْقِدَمِ

---

(1) أي في الغزل والغراميات مثل القصيدة السابقة ولكن تجدها صوفية المنزع، والغزل فيها إشارات صوفية.

(2) فراغ في الأصل ناتج عن تمزق طرف الصفحة، والقوم هنا تعني المتصوفة، وقد رجّحنا ذلك ليتمّ الجناس وليتفق التقديم مع مضمون القصيدة.

فِي عَالَمِ ٱلْذَرِّ[1] أَقْرَرْنَا بِفَضْلِكُمُ ... لَمَّا تَعَرَّفْتُمُ مِنَّا إِلَى ٱلْنَّسَمِ

كُنَّا مُقِرِّينَ لَكِنْ عِنْدَكُم بِكُمُ ... وَلَيْسَ مِنَّا لَنَا شَيْءٌ سِوَى ٱلْعَدَمِ

لاَ تُعْطِشُونَا فَإِنَّا غَرْسُ أَنْعُمِكُمْ ... لَمْ نَدْرِ غَيْرَكُمُ فِي الأَعْصُرِ ٱلْقُدُمِ

مِنْكُمْ لَكُمْ بِكُمُ أَشْكُوْ فَوَا عَجَباً ... أَنِّي تَرَافَعْتُ مِنْ خَصْمِي إِلَى حَكَمِي[2]

عَلَّمْتُ قَلْبِيَ مُذْ بَانَتْ مَعَالِمُكُمْ ... يَهْفُو ٱشْتِيَاقاً لِذِكْرِ ٱلْبَانِ وَٱلْعَلَمِ

خَيَّمْتُمُ بِفُؤَادِي فَهوَ يُكْثِرُ مِنْ ... ذِكْرَى ٱلْخِيَامِ وَذِكْرَى سَاكِنِي ٱلْخِيَمِ

أَشْتَاقُكُمْ وَفُؤَادِي أُفْقُ بَدْرِكُمُ ... وَٱلرِّفْدُ مِلْءَ يَدِي وَٱلْشُّكْرُ مِلْءَ فَمِي[2]

لِي ذِمَّةٌ أَنَّنِي عَبْدٌ لِعَبْدِكُمُ ... وَشَأْنُكُمْ فِي ٱلْعَبِيدِ ٱلرَّعْيُ لِلْذِّمَمِ

لَوْ كُنْتَ يَا لاَئِمِي أَبْصَرْتَ حُسْنَهُمُ ... وَأَرْضَعُوكَ ثُدِيَّ ٱللُّطْفِ لَمْ تَلُمِ

و(157) / انْ يَسْبَحِ ٱلْفِكْرُ فِي رَوْضِ ٱلْوُجُودِ رَأَى ... جَمِيعَ أَلْوَانِهِ بَحْراً مِنَ ٱلْنِّعَمِ

مُسَخَّرَاتٍ لَنَا لِلّهِ سَاجِدَةٌ ... وَحَسْبُنَا رُتْبَةً خَفَّاقَةَ ٱلْعَلَمِ

لاَ تُبْعِدُونَا فَإِنَّ ٱلْقُرْبَ شَأْنُكُمُ ... وَإِنَّمَا ٱلْبُعْدُ مِنْ أَوْصَافِ مُجْتَرِمِ

ٱلْبُعْدُ مِنَّا وَأَنْتُمْ تَقْرُبُونَ لَنَا ... حَجَبْتُمُونَا بِنَا فِي غَفْوَةِ ٱلْحُلُمِ

كُلُّ ٱلْوُجُودِ سَقَاهُ صَوْبُ جُودِكُمُ ... لَوْلاَكُمُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَكُّ عَنْ عَدَمِ

كُلُّ ٱلْكِيَانِ إِذَا يَجْرِي حَدِيثُكُمُ ... قَامَتْ لِذِكْرَاكُمُ شَوْقاً عَلَى قَدَمِ

فِي كُلِّ شَيْءٍ بَدَتْ آثَارُ صُنْعِكُمُ ... قَضَتْ بِذَا شَاهِدَاتُ ٱلْحُكْمِ وَٱلْحِكَمِ

تَبَارَكَ ٱللَّهُ لا تُحْصَى مَوَاهِبُهُ ... وَلاَ يُعَدُّ ٱلذِي يَكْفِي مِنَ ٱلْنِّعَمِ

وَحَسْبُنَا بِرَسُولِ ٱللهِ مَوْهِبَةً ... قَدْ أَعْرَبَتْ آيُهَا لِلْعُرْبِ وَٱلْعَجَمِ

ٱلْمُصْطَفَى وَكِمَامُ ٱلْكَوْنِ مَا فُتِقَتْ ... وَٱلْمُجْتَبَى وَبُرُوقُ ٱلْنُورِ لَمْ تُشَمِ

ٱلْفَاتِحُ ٱلْخَاتِمُ ٱلْمَاحِي ٱلذِي شَرُفَتْ ... بِهِ الرِّسَالَةُ فِي بَدْءٍ وَمُخْتَتَمِ

---

(1) أي في عالــم الأرواح.

(2) بدون ياء في الآخر هكذا في الأصل.

(336)

وَقَالَ أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ[1]: [الرمل]

أَنْتُـــمُ مَغْنَـــى وُجُـــودِي أَنْتُـــمُ وَبِكُـــمْ أَشْكُـــو إِلَيْكُـــمْ مِنْكُـــمُ

جِيـرَةَ ٱلْحَـيِّ ٱلْقَـدِيـمِ بِـالْحِمَـى إِنْ مَنَعْتُـمْ رِفْـدَكُـمْ مَـنْ يَـرْحَـمُ؟

كُلُّ مَنْ فِي ٱلْحَيِّ يَهْوَى قُرْبَكُمْ وَيْـحَ مَـنْ عَـنْ حَيِّكُـمْ أَبْعَـدْتُـمُ

كُـلُّ مَـنْ فِـي ٱلْكَـوْنِ يَشْكُـو فَقْـرَهُ لِغِنَـاكُـمْ فَـازَ مَـنْ أَغْنَيْتُـمُ

جُـودُكُـمْ قَبْـلَ ٱلْـوُجُـودِ عَمَّنَـا بِخَفِـيِّ لُطْفِكُـمْ أَوْجَـدْتُـمُ

فِـي نَسِيـمِ ٱلـرَّوْضِ عَنْكُـمْ خَبَـرٌ وَبِـوَجْـهِ ٱلشَّمْـسِ مِنْكُـمْ مَبْسَـمُ

أَنْتُـمُ عَلَّمْتُـمُ ٱلسُّحْـبَ ٱلْبُكَـا وَثُغُـورُ ٱلْبَـرْقِ عَنْكُـمْ تَبْسِـمُ

ق(157) / عِنْـدَكُـمْ بُـرْئِـي وَمِنْكُـمْ سَقَمِـي لاَ تُـرِيقُـوا دَمْـعَ مَـنْ أَضْحَكْتُـمُ

جَهْـدُ مَـا عِنْـدِي لَكُـمْ مِـنْ حِيلَـةٍ أَنَّنِـي مِـنْ حُكْمِكُـمْ مُسْتَسْلِـمُ[2]

فِـي فُـؤَادِي غُلَّـةٌ مَـا تَنْطَفِـي أَوْ يُـرَوِّي مَـا بِقَلْبِـي زَمْـزَمُ

قَـاصِـدِي ٱلْبَيْـتَ ٱلْحَـرَامَ دَعْـوَةً عَلِّنِـي مِـنْ أَجْلِهَـا أُحْتَـرَمُ

(337)

وَقَالَ، وَفِي ظِلِّ ٱلتَّشَوُّقِ تَفَيَّا وَقَالَ[3]:

[الخفيف]

سَـرْحَـةَ ٱلْحَـيِّ وَٱلنَّسِيـمُ رَسُـولُ هَـلْ يُقَضَّـى لِهَـائِـمٍ مِنْـكِ سُـولُ؟

أَرْسِـلِ ٱلطَّـلَّ فَـوْقَنَـا وَتَبَصَّـرْ كَيْفَ يَشْفِي ٱلْعَلِيلَ مِنْهُ ٱلْعَلِيلُ[4]

---

(1) يريد في غرض التصوف.

(2) في الأصل (لِحُكْمِكُمْ) والوزن لا يستقيم في العجز؛ فلعلّ الصواب ما أثبتناه.

(3) (قال) الأولى من القول و(قال) الثانية من المقيل أي النوم في القيلولة، وبينهما جناس، وتفيا بمعنى تفيّأ أي التجأ للظلّ.

(4) (العليل) الأصل هو الشاعر المريض لفراق المحبوب و(العليل) الثاني هو النسيم.

مَا عَلَى ٱلْبَانِ لَمْ تَكُنْ يَوْمَ بَانُوا أَقْبَلَتْ بِالسَّلَامِ مِنْهَا ٱلْقَبُولُ
أَيْنَ عَهْدِي بِذَلِكَ ٱلظِّلِّ دَهْراً وَقُدُودُ ٱلْغُصُونِ فِيهِ تَمِيلُ؟
وَسَقَتْنَا ٱلْهُدَى كُؤُوسُ لِحَاظٍ وَفُتُورُ ٱللِّحَاظِ فِيهَا ٱلشَّمُولُ
وَثَنَى مِعْطَفَيَّ مِنْكَ ٱلتَّثَنِّي وَكَسَا مِعْطَفَيْكِ مِنِّي ٱلنُّحُولُ
رَقَّتِ ٱلشَّمْسُ رَحْمَةً وَٱبْتِهَاجاً وَكَسَاهَا ثَوْبَ ٱلشُّحُوبِ ٱلأَصِيلُ

(338)

وَقَالَ أَيْضاً مِثْلَهُ مُسْتَطْرِداً لِلْمَدْحِ:

[الخفيف]

صَاحِ ثَوْبُ ٱلشُّحُوبِ فَوْقَ الأَصِيلِ مُسْتَعَارٌ مِنْ رِقَّتِي وَنُحُولِي[1]
مَنْ عَذِيرِي مِنَ ٱلنَّسِيمِ عَلِيلاً قَدْ وَشَى فِي ٱلْهَوَى بِسِرِّ ٱلْعَلِيلِ؟
يَقْدَحُ ٱلْبَرْقُ زَنْدَهُ مِنْ فُؤَادِي حِينَ يُذْكَى بِزَفْرَتِي وَغَلِيلِي[1]
وَتَمَلُّ ٱلنُّجُومُ فَرْطَ سُهَادِي فَتُوَلِّي مِنْ أُفْقِهَا لِلأُفُولِ
[وَيْحَ][2] قَلْبِي وَأَيْنَ مِنِّيَ قَلْبِي حَمَلَتْهُ ٱلْحُدَاةُ فَوْقَ ٱلْحُمُولِ
[لَيْسَ][3] قَلْبِي بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ مُقِيماً قَادَهُ لِلرَّحِيلِ يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ
و(158) / أَنَا فِي ذَا ٱلْهَوَى غَرِيبُ ٱلْمَعَانِي وَٱلْمَعَانِي مُوَلَّهٌ بِالطُّلُولِ
شِيمَتِي فِي ٱلْوَفَاءِ أَنْ لَسْتُ أَرْضَى فِي هَوَى مَنْ أَلِفْتُهُ بِالْبَدِيلِ
ظَبْيَةَ ٱلْبَانِ لاَ تَبِنْ عَنْ فُؤَادِي أَيُّ مَرْعًى بِهِ وَظِلٌّ ظَلِيلِ
لَيْسَ فِيهِ إِلاَّ خُلُوصٌ لِمَوْلًى مُنْعِمٌ بِالْجَزِيلِ مُولِي ٱلْجَمِيلِ
جَاوِرِيهِ فَلَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ تُحْرِزِي ٱلْفَخْرَ فَهْوَ خَيْرُ نَزِيلِ
يَا ٱبْنَ نَصْرٍ وَأَنْتَ خَيْرُ إِمَامٍ مُصْلَتٍ سَيْفُهُ لِنَصْرِ ٱلرَّسُولِ

(1) في الأصل بدون ياء في الآخر.
(2) عدم وضوح في الأصل ولعلها ما أثبتناه.
(3) بياض كذلك والراجح فيما أضفناه.

خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَكُمْ فِي جِهَادِ وَٱجْتِهَادٍ مُقَابَلٍ بِالْقَبُولِ

(339)

وقَالَ أَيْضاً كَذَلِكَ[1]:

[الخفيف]

وَجِّهَانِي طَيَّ ٱلنَّسِيمِ رَسُولاً تَقْضِيَا لِي مِنَ ٱلزِّيَارَةِ سُولاَ

فِي هُبُوبِي مَعَ ٱلنَّسِيمِ شِفَائِي عَجَباً لِلْعَلِيلِ يَشْفِي ٱلْعَلِيلاَ

لاَ تَظُنُّوا ٱلنَّسِيمَ أَلْطَفَ مِنِّي مِنْ ثِيَابِي ٱسْتَعَارَ ذَاكَ ٱلنُّحُولا

مِنْ شُجُونِي رقَّ الأَصِيلُ ٱعْتِلاَلاً وَشَكَى بِالسَّقَامُ وَجْداً أَصِيلاَ

مِنْ جُفُونِي تَهْمِي ٱلْغَمَامُ ٱنْتِحَاباً مِنْ شُجُونِي تَبْكِي ٱلْحَمَامُ ٱلْهَدِيلاَ

حَسْبِيَ ٱللَّهُ وَالإِمَامُ ٱبْنُ نَصْرٍ وَكَفَانِي بِهِ كَفِيًّا كَفِيلاَ

هُوَ فَاقَ ٱلْمُلُوكَ فِي كُلِّ قُطْرٍ هُوَ أَوْلَى ٱلرِّضَا وَوَالَى ٱلْجَمِيلاَ

مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي مَدْحِ مَوْلًى سَيْفُهُ فِي ٱلْجِهَادِ أَرْضَى ٱلرَّسُولاَ؟

دَامَ فِي غِبْطَةٍ وَعِزَّةِ مُلْكٍ يَتَقَضَّى ٱلسُّعُودَ جِيلاً فَجِيلاَ

(340)

وَقَالَ أَيْضاً[1]:

[الخفيف]

يَا عَلِيلَ ٱلنَّسِيمِ إِنِّي عَلِيلٌ هَلْ [ ][2]؟

ق(158) / لَمْ يَكُنْ لِي ٱلنُّحُولُ ثَوْباً وَلَكِنْ مُذْ أَلِفْتُ ٱلْهَوَى كَسَانِي ٱلنُّحُولُ

يَا نَسِيماً يَهُبُّ مِنْ رَوْضِ نَجْدٍ هَلْ لِنَجْدٍ وَرَوْضِ نَجْدٍ سَبِيلُ

---

(1) أي في النسيب ثم الاستطراد للمدح.

(2) آخر الصفحة 158 (الوجه) مُزِّقَ، وضاع العجز في القسم الممزق فلم نهتد لملئه.

(341)

وَقَالَ أَيْضاً[1]:

[الخفيف]

يَـا غَـزَالاً لَـهُ ٱلْفُـؤَادُ كِنَـاسُ فِيـكَ أَرْخَصْـتُ كُـلَّ عِلْـقٍ ثَمِيـنِ

لَـوْ يَجُـودُ ٱلـزَّمَـانُ مِنْـكَ بِـوَصْـلٍ صَارَ مُلْكُ ٱلزَّمَانِ مِلْكَ يَمِينِي[2]

حَـدَّثَ ٱلْيَـاسَمِيـنُ عَنْـكَ حَـدِيثـاً [ ][3] ٱلْيَـاسَمِيـنِ

يَا ظُنُونَ ٱلرَّجَاءِ فِي وَصْلِ لَيْلَى صَدِّقِي ٱلظَّنَّ لِي وَفِي ٱلْيَاسِ مِينِي[4]

كَـمْ حَلَفْنَـا عَلَـى ٱلْـوِصَـالِ يَمِينـاً لاَ قَضَـى ٱللَّـهُ حِنْـثَ تِلْـكَ ٱلْيَمِيـنِ

نَحْـنُ مِلْـكٌ لِخَيْـرِ مَـوْلًـى وَفِـيٍّ بِـاقْتِضَـاءِ ٱلْـوَفَـاءِ مِنَّـا قَمِيـنِ

[ ][3] وَعَلَيْـهِ ٱعْتِمَـادُ ذَاكَ ٱلضَّمِيـنِ

(342)

وَقَالَ أَيْضاً[1]:

[البسيط]

يَـا نَـاظِراً كَحَّـلَ الأَجْفَـانَ بِـالْسَّقَـمِ كَمْ ذَا تَنَامُ وَعَيْنُ ٱلصَّبِّ لَمْ تَنَمِ

أَيْقَظْتَنِـي لِلْهَـوَى ثُـمَّ ٱسْتَنَمْـتَ لَـهُ مَا هَكَذَا شِيمَةُ الأَحْبَابِ فِي ٱلْقِدَمِ

إِنْ كُنْتَ تَسْلُو وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ لَيْسَ ٱلْسُّلُوُّ وَحَقِّ ٱلْحُبِّ مِنْ شِيَمِي[2]

مَلَّكْتُكَ ٱلْقَلْبَ لَمْ أَعْدِلْ سِوَاكَ بِهِ مُسْتَرْخِصاً فِيكَ بَيْعَ ٱلْقَلْبِ بِالْذِّمَمِ

لاَ تَنْسَ عَدْلَكَ فِيمَا [قَدْ][5] مَلَكْتَ إِذاً وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ فِي حُكْمٍ وَفِي حَكَمِ

(1) أي في النسيب ثم الاستطراد للمدح.
(2) بدون ياء النسبة في الآخر هكذا في الأصل.
(3) بياض تام في الأصل، لم نهتد لمثله.
(4) فعل أمر من مان يمين: كذب (القاموس 4/269)
(5) الكلمة بين (فيما) و(ملكتَ) كأنها أُزِيلَتْ بـ الممحاة، ولعلها ما أثبتناه.

فَالنَّفْسُ وَٱلْمُلْكُ مِلْكٌ قَدْ سَمَحْتُ بِهِ   أَرَى ٱلْقَبُولَ لَهُ غُنْماً لِمُغْتَنِمِ
[   ][1] لِلْحُبِّ رَابِحَةٌ   أُعِيذُ تِلْكَ ٱلنُّهَى مِنْ صَفْقَةِ ٱلنَّدَمِ
[   ][1]   مُسْتَعْذِباً كُلَّ مَا فِي ٱللَّومِ مِنْ أَلَمِ
و(159) / فَمَا ٱلَّذِي يَحْجُبُ الأَنْوَارَ عَنْ بَصَرِي   وَأَنْتَ يَا بَدْرُ تَجْلُو حَالِكَ ٱلظُّلَمِ؟
أَوْ مَا ٱلَّذِي أَصْدَرَ ٱلْوُرَّادَ عَنْ ظَمَإٍ   وَأَنْتَ تُخْجِلُ جُوداً وَاكِفَ ٱلدِّيَمِ؟
وَلَيْسَ هَذَا عِتَاباً أَسْتَرِيحُ لَهُ   لَكِنْ أَهُزُّكَ هَزَّ ٱلصَّارِمِ ٱلْخَذِمِ[2]
وَلَيْسَ مِنْكَ سِوَى مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ   لَكِنْ أُنَبِّهُ مَنْ أَغْفَى مِنَ ٱلْخَدَمِ

(343)

وَقَالَ مُعْتَذِراً:

[البسيط]

قَابِلْ بِصَفْحِكَ وَٱقْبَلْ عُذْرَ مُعْتَرِفٍ   بِالذَّنْبِ يَطْلُبُ فَضْلاً مِنْكَ تُولِيهِ
زِيَادَةُ ٱلْفَضْلِ خُلْقٌ مِنْكَ نَعْرِفُهَا   وَتِلْكَ فِي ٱسْمِكَ مَعْنىً مِنْ مَعَانِيهِ
وَٱللَّهِ وَٱللَّهِ مَا فَرَّطْتُ عَنْ سَعَةٍ   إلاَّ لِعُذْرٍ خَفِيٍّ لَسْتَ تَدْرِيهِ
هَذَا وَبِي نَدَمٌ جَازَتْ عُقُوبَتُهُ   حَدَّ ٱلَّذِي كُنْتَ لَوْ عَاقَبْتَ تُبْدِيهِ
أَبَعْدَ عِشْرِينَ حَوْلاً فِي مُكَارَمَةٍ   أُبْدِي جَفَاءً وَأَقْصَى ٱلْبِرِّ أُخْفِيهِ

(344)

وَقَالَ مُجِيباً عَنْ لُغْزٍ فِي عَيْنٍ، وَخَتَمَ بِالْمَدْحِ ٱلسُّلْطَانِيِّ:

[الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا الْحَبْرُ الَّذِي مِسْكُهُ الْحِبْرُ   سَأَلْتَ وَمِثْلِي بِالْخَفَا مَا لَهُ خُبْرُ
تَفَنَّنْتَ مَا شَاءَتْ بَلاَغَتُكَ ٱلَّتِي   إِذَا قُلْتَ سِحْراً كَانَ مِنْ دُونِهَا ٱلسِّحْرُ

---

(1) تلاش في الأصل ناشىء عن تمزق آخر الصفحة 158 لم نهتد لملء الفراغ.

(2) الخَذِمُ أي القاطع (القاموس 4/102).

تَشُقُّ أَفَانِينُ ٱلْبَلاَغَةِ جَيْبَهَا عَلَيْهِ وَيَسْتَهْوِي ٱلْبَيَانَ بِهِ ٱلشُّكْرُ

وَأَخْفَيْتَ مَا أَخْفَيْتَ جَهْدَ ٱسْتِطَاعَةٍ وَقَدْ أَبْعَدَ ٱلْمَرْمَى بِهِ ٱلبَرُّ وَٱلْبَحْرُ

وَيَا عَجَباً تُخْفِيهِ خَلْفَ رُمُوزِهِ وَثَانِي بُيُوتِ ٱلشِّعْرِ فِيهِ لَهُ ذِكْرُ

وشَمْسُ ٱلضُّحَى إِنْ تَخْفَ قَبْلَ طُلُوعِهَا يُجَلِّي لَنَا أَنْوَارَهَا قَبْلَهَا ٱلْفَجْرُ

وَرُبَّمَا تَخْفَى مِنَ ٱلْمِسْكِ ذَاتُهُ فَنَمَّ بِهِ مِنْ طِيبِهِ [الرَّوْحُ وَالنَّشْرُ][1]

تُحَجِّبُ مَعْنَاهُ سُتُورُ رُمُوزِهِ فَيَا عَجَباً [ ][2]

ق(159) / تَوَسَّمْتُهُ كَالزَّهْرِ خَلْفَ كِمَامِهِ وَكَالصَّدَفِ ٱلْمَخْبُوِّ فِي طَيِّهِ ٱلدُّرُّ

سَأَلْتَ عَنْ ٱسْمٍ وَاقِعٍ بِاشْتِرَاكِهِ عَلَى تِسْعَةٍ قَدْ عَدَّهَا مَنْ لَهُ ٱلْخُبْرُ[3]

وَأَشْرَفُهَا مَا ٱمْتَنَّ رَبِّي لِخَلْقِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَٱلشُّكْرُ[4]

وَذَاكَ ٱلَّذِي أَفْرَدْتَهُ وَجَمَعْتَهُ وَثَنَّيْتَهُ وٱلأَمْرُ فِي شَأْنِهِ إِمْرُ

وَتَصْحِيفُهُ مَا اللَّهُ مُنْفَرِدٌ بِهِ مَفَاتِيحُهُ فِي ٱلذِّكْرِ أَثْبَتَهَا ٱلذِّكْرُ[5]

وَتَصْحِيفُهُ مَا ٱلْوُدُّ يَبْقَى بِقُلِّهِ وَأَكْثَرُهُ إِنْ دَامَ يَتْبَعُهُ ٱلْهَجْرُ[6]

وَتَصْحِيفُهُ مَا أَنْتَ عَنْهُ مُنَزَّهٌ وَحَاشَاكَ أَنْ تَرْضَى بِهِ وَلَكَ ٱلْفَخْرُ[7]

وَفِي عَبسَ ٱلتَّصْحِيفُ قَدْ جَاءَ مُفْرَداً وَمَجْمُوعُهُ فِي غَيْرِهَا ذِكْرُهُ كُثْرُ[8]

وَهَذَا مُضَافٌ لِلَّذِي قَدْ سَتَرْتَهُ بِلُغْزِكَ فِي بَيْتَيْنِ مَسْكَنُهُ ٱلْقَفْرُ

وَتَصْحِيفُهُ يُعْزَى إِلَيْهِ بِيُوسُفٍ وَهَيْهَاتَ لاَ ذَنْبٌ عَلَيْهِ وَلاَ وِزْرُ

وَأَطْوَلُ آيَاتِ الْكِتَابِ مُضَافَةٌ لِتَصْحِيفِهِ وَٱلْعُسْرُ يَعْقُبُهُ ٱلْيُسْرُ

---

(1) تلاشٍ في آخر الصفحة (159 وجه وقفا) واجتهدنا في ملء الفراغ.

(2) تلاشٍ في آخر الصفحة 159 ولا نرى ما هو الأصل.

(3) الاسم لعله (العين) وهو تصحيف (غين) ولها مترادفات كثيرة.

(4) يقصد (العين) الباصرة.

(5) هو (الغيب) لا يعلمه إلا الله.

(6) لعله (العتب)

(7) هو العيب.

(8) يعني (عِنبٌ) ورد في سورة عبس ومجموعة (أعناب) ورد في سورة أخرى.

فَدُونَكَ فَاقْبَلْهَا بَدِيهَةَ مُعْجِلٍ   وإنْ شِئْتَ عُذْراً فَالْمَشِيبُ هُوَ ٱلْعُذْرُ[1]
فَقَدْ كُنْتُ وَقَّادَ ٱلْقَرِيحَةِ قَبْلَهَا   يَشِبُّ لَهَا فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ جَمْرُ
فَقَدْ صَدَأَتْ[2] مِرْآةُ فِكْرِي وَمَسْمَعِي   وَأَصْبَحْتُ لاَ ذِكْرٌ لَدَيَّ وَلاَ فِكْرُ
وَلَوْلاَ الإِمَامُ ٱلْمُسْتَعِينُ بِرَبِّهِ   لَمَا شَبَّ مِنِي بَعْدَ شَيْبَتِيَ العُمْرُ
أَفَادَ حَيَاتِي وَٱسْتَرَدَّ شَبِيبَتِي   وَلَوْلاَ نَدَى كَفَّيْهِ لاغْتَالَنِي ٱلْدَّهْرُ
[   ][3] وَوَالَى مُتَمِّماً   فَنُعْمَاهُ لاَ عَدٌّ لَدَيْهَا وَلاَ حَصْرُ
[   ][3] ٱلْعَشِيَّةَ مُنْعِماً   فَقَدْ لاَحَ فِي دَارِي بِإِحْسَانِهِ ٱلْبَدْرُ
[   ][3]   [عَهِدْنَا][4]مِنَ الأَقْمَارِ أَنْ يُنْصِفَ ٱلْشَّهْرُ
و(160) / تُرَفَّعُ مِنْ فَوْقِ ٱلْرُّؤُوسِ حَمُولَةً   ومُذْلَفٌ[5] فِي ٱلْمِقْدَار سَاعَدَنِي ٱلْقَدْرُ
وَأَشْغَلَنِي عَنْ ذَلِكَ ٱللُّغْزِ حُسْنُهُ   فَعَجَّلْتُ فِيهِ ٱلْشُّكْرَ وَٱسْتَأْخَرَ ٱلْشِّعْرُ
بَقِيتَ إِمَامَ ٱلْمُسْلِمِينَ مُخَلَّداً   تُنِيرُ وُجُوهَ ٱلْدَّهْرِ أَيَّامُكَ ٱلْغُرُّ

(345)

وَمِنْ غُرَرِ كَلِمَاتِهِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ، وَدُرَرِ مَنْظُومَاتِهِ ٱلتِّيجَانِيَّةِ[6] قَوْلُهُ يُهَنِّئُ مَوْلاَنَا ٱلْجَدَّ رِضوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِ بِعِيدٍ:

[الكامل]

دَعْهَا تَحِنُّ إِلَى ٱلْعَقِيقِ وَبَانِهِ   فَظِلاَلُهَا رَفَّتْ عَلَى كُثْبَانِهِ
وَٱلْوَرْدُ غَيْرُ مُحَلَّإٍ فِي أَبْطَحٍ   حَيَّا ٱلْرَّبِيعُ بِهِ حَيَا نَيْسَانِهِ
فَلَطَالَمَا لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي ٱلْنَّوَى   لَعِبَ ٱلْزَّمَانِ بِبَاسِهِ وَلِيَانِهِ

(1) لقد نظمها في آخر حياته أي بعد سنة 797.
(2) في الأصل الهمزة على الياء ولا وجه لذلك.
(3) تلاشٍ تام ناتج عن تمزق في آخر الصفحة (159 قفا) ولا يُرى كيف كان الأصل.
(4) الأحرف الأولى طمست واجتهدنا في قراءة الفعل.
(5) أي قليل المقدار ضعيفة من الذلف وهو صغر الأنف (القاموس 3/ 38).
(6) نسبة إلى التيجان والتاج أي لها قيمة ملوكية.

وسَـرَتْ عَلَـى ظَمَإٍ وَدُونَ وُرُودِهَـا قَفْـرٌ تَضِـلُّ ٱلـرِّيـحُ فِـي جَـوَلاَنِـهِ
فَاعْجَبْ لَهَا تَشْكُو ٱلْغَلِيلَ وَحَوْلَهَا بَحْـرُ ٱلْشَّـرَابِ تَعُـومُ فِـي طُـوفَـانِـهِ
أَخْفَافُهَا مَهْمَا سَرَى نَفَسُ ٱلْحِمَى خَفَّـتْ تُسَـاعِـدُهُ عَلَـى سَـرَيَـانِـهِ
وَإِذَا هَفَـا ٱلْبَـرْقُ ٱلْحِجَـازِي مَـوْهِنـاً قَـدَحَـتْ زِنَـادَ ٱلْشَّـوْقِ مِـنْ لَمَعَـانِـهِ
وَإِذَا ٱلْعَقِيـقُ تَـذَكَّـرَتْ أَسْحَـارَهُ شَـابَـتْ عَقِيـقَ دُمُـوعِهَـا بِجُمَـانِـهِ
حَنَّـتْ إِلَـى نَجْـدٍ وَلَيْـسَ بِـدَارِهَـا لَكِنَّهَـا أَلِفَـتْ هَـوَى غِـزْلاَنِـهِ
دَعْنِـي أُطَـارِحُهَـا ٱلْحَنِيـنَ فَـإِنَّـهُ قَـدْ شَـبَّ [ ][1]
لاَ يُبْعِـدُ ٱللَّـهُ ٱلْمَطِـيَّ فَـإِنَّهَـا تُـدْنِـي [ ][1]
ق(160) / وَنَفَـى ٱلْكَـرَى عَنِّـي تَـرَنُّـمُ سَـاجِـعٍ فِـي ٱلـدَّوْحِ مَطْـوِيٍّ عَلَـى أَشْجَـانِـهِ
لَوْلاَ ٱنْسِكَابُ مَدَامِعِي مِنْ حَوْلِهِ غَيْثـاً لأَذْكَـى ٱلنَّـارَ فـي أَغْصَـانِـهِ
رَحِمَ ٱلإِلاَهُ ٱلْسَّابِقِينَ إِلَى ٱلْهَوَى فَلَقَـدْ أَطَـالُـوا ٱلْشَّـأْوَ فِـي مَيْدَانِهِ
يَقْفُو ٱلْمُتَيَّمُ بَعْدَهُمْ سُنَنَ ٱلْهَوَى فَيَظَـلُّ يَجْـرِي فِيـهِ مِـلْءَ عِنَـانِـهِ
فَكَـأَنَّـهُ شِعْـرِي بِمَـدْحِ مُحَمَّـدٍ مَـا زَالَ يُـرْكِـضُ فِيـهِ خَيْـلَ بَيَـانِـهِ
لَمَّـا جَلَـتْ رَوْضَ ٱلْجَمَـالِ صِفَـاتُـهُ مَا زِلْتُ أَجْنِي ٱلْمَدْحَ مِنْ بُسْتَانِهِ
فَـإِذَا رَوَى عَنِّـي ٱلْمَـدِيـحَ مُسَـافِـرٌ فَـالْقَفْـرُ يَعْبَـقُ مِـنْ شَـذَى أَرْدَانِـهِ
يَا زَاجِرَ الأَظْعَانِ يَحْفِزُهَا ٱلْسُّرَى فِـي قَسْـوَةٍ مَمْـزُوجَـةٍ بِحَنَـانِـهِ
قَدْ جَالَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ وَٱنْثَنَى عَـنْ دَهْـرِهِ مُسْتَطْلِعـاً لِكِيَـانِـهِ
يَـرْوِي ٱلْعَجَـائِـبَ وَٱلْغَـرَائِـبَ كُلَّمَـا بَهَـرَتْ مَـدَارِكُ سَمْعِـهِ وَعِيَـانِـهِ
ٱذْكُـرْ حُلَـى تَـاجِ ٱلْمُلُـوكِ مُحَمَّـدٍ يُنْسِيـكَ رَبَّ ٱلتَّـاجِ فِـي إِيـوانِـهِ
فِـي ٱلْعَـالَـمِ ٱلْعُلْـوِيِّ مِنْـهُ مُشَـابِـهٌ حَكَمَـتْ لِنَيِّـرِهِ بِـرِفْعَـةِ شَـانِـهِ
كَـالْشَّمْـسِ نُـورُ جَبِينِـهِ وَٱلْشُّهْـبِ غُـرُّ خِـلاَلِـهِ وَٱلْسُّحْـبِ فَيْـضُ بَنَـانِـهِ
أَغْنَـى ٱلْعُفَـاةَ بِسَيْبِـهِ وَنَـوَالِـهِ أَفْنَـى ٱلْعُـدَاةَ بِسَيْفِـهِ وَسِنَـانِـهِ

(1) تمزيق في آخر الصفحة 160 (وجه، وقفا) ولا نرى كيف كان الأصل.

[ ][1] أنْ يَهَبَ ٱلْجُنَاةَ نُفُوسُهَا إلاَّ وَيَغْمُـــرُهَـــا نَـــدَا إحْسَـــانِـــهِ

[ ][1] ٱلْمُلُوكُ فَإِنَّهُ يُمْلِـــي فَضَـــائِلَـــهُ لَهَـــا مَلَـــوَانِـــهِ

[ ][1] عَنْـــوَةً يَـــوْمَ ٱلنِّـــزَالِ بِضَـــرْبِـــه وَطِعَـــانِـــهِ

[ ][1] [ ][1] الإسْلاَم مَا قَدْ كَانَ فِي بُلْدَانِهِ

[ ][1] [قَدْ هَدَّ][2] عَرْشِ ٱلْكُفْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ[3]

* * * *

* * *

* *

*

(1) تمزيق في آخر الصفحة 160 قفا، ولم نهتد لملء الفراغ.

(2) ملأنا الفراغ بما يُناسب السّياقَ.

(3) هكذا ينتهي المخطوط في اخر الصفحة (قفا 160) بدون أية إشارة مثل (تمَّ) أو (انتهى) أو تاريخ النسخ مما يدل بدون شك على سقوط اوراق من آخر المخطوط.

ملحق
لأشعار ابن زمرك المطبوعة[1]

(1) انظر قائمة المصادر التي منها جمعنا هذه الأشعار المطبوعة (المقدمة ص 36 ـ 37).



قافية الهمزة

(1)

وقال في غرض الشُّكر عن مُغطًّى صنهاجِيّ[1] أهداه[2] إياه:

[الطويل]

لِمَـنْ قُبَّـةٌ حَمْـرَاءُ مُـدَّ فَضَـاؤُهَـا[3] تَطَـابَـقَ مِنْهَـا أَرْضُهَـا وَسَمَـاؤُهَـا

وَمَـا رَاضَهَـا إلاَّ خَـزَائِـنُ رَحْمَـةٍ وَمَا قَدْ سَمَا مِنْ فَوْقِ ذَاكَ غِطَاؤُهَا

وَقَـدْ شَبَّـهَ الـرَّحْمَـانُ خِلْقَتَنَـا بِهَـا وَحَسْبُـكَ فَخْـراً بَـانَ مِنْـهُ اعْتِـلاَؤُهَـا

وَمَعْـرُوشَـةُ الأَرْجَـاءِ مَفْـرُوشَـةٌ بِهَـا صُنُـوفٌ مِـنَ النَّعْمَـاءِ مِنْهَـا وِطَـاؤُهَـا

تَرَى الطَّيْرَ فِي أَجْوَافِهَا قَدْ تَصَفَّفَتْ عَلَـى نِعَـمٍ[4] عِنْـدَ الإِلاَهِ كِفَـاؤُهَـا

وَنِسْبَتُهَـا[5] صَنْهَـاجَـةٌ غَيْـرَ أَنَّهَـا[6] تُقَصِّـرَ عَمَّـا قَـدْ حَـوَى خُلَفَـاؤُهَـا

حَبَتْنِـي بِهَـا دُونَ الْعَبِيـدِ خِـلاَفَـةٌ عَلَـى اللَّهِ فِي يَـوْمِ الْجَزَاءِ جَزَاؤُهَـا

(2)

وقال يمدح الملك الظّاهر صاحب مصر[7] ولم يَسُقْ في تاريخ العبر إلاّ

---

(1) هو غطاء الآنية أو نوع من الصناديق ينسب إلى صنهاجة. (انظر القصيدة رقم 30 ـ 80).

(2) السياق يدل على أنّه «الأمير سعد» عمّ جامع الديوان.

(3) «نُضارُها» في نفح: X/ 93.

(4) «أَنْعُم» في أزهار: II/ 141.

(5) «ونسبته» في أزهار.

(6) «غير أنّه» في أزهار.

(7) هو سيف الدين برقوق (784 هـ ـ 801 هـ) من السلاطين المماليك البرجيّين.

طَالِعَها وهو:

[الكامل]

أَمَدَامِعٌ مُنْهَلَّةٌ أَمْ لُؤْلُؤُ   لَمَّا اسْتَهَلَّ الْعَارِضُ الْمُتَلأْلِئُ

(3)

ثمّ قال بعد سرد ميلادية وأنشد ذلك في مولد سنة 767 [هـ] وألمّ في أخرياتها بوصف المَشْوَر[1] الأسنى الرفيع المبنى:

[الكامل]

زَارَ الْخَيَالُ بِأَيْمَنِ الزَّوْرَاءِ   فَجَلاَ سَنَاهُ غَيَاهِبَ الظَّلْمَاءِ

وَسَرَى مَعَ النَّسَمَاتِ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ   فَأَتَتْ تَنِمُّ بِعَنْبَرٍ وَكِبَاءِ

هَذَا وَمَا شَيْءٌ أَلَذُّ مِنَ الْمُنَى   إِلاَّ زِيَارَتُهُ مَعَ الإِغْفَاءِ

بِتْنَا خَيَالَيْنِ الْتَحَفْنَا بِالضَّنَى   وَالسُّقْمِ مَا نَخْشَى مِنَ الرُّقَبَاءِ

حَتَّى أَفَاقَ الصُّبْحُ مِنْ غَمَرَاتِهِ   وَتَجَاذَبَتْ أَيْدِي النَّسِيمِ رِدَائِي

يَا سَائِلِي عَنْ سِرِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ   السِّرُّ عِنْدِي مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

تَا اللَّهِ مَا[2] أَشْكُو الصَّبَابَةَ[3] وَالْهَوَى   لِسِوَى الأَحِبَّةِ أَوْ أَمُوتَ بِدَائِي

يَا دَيْنَ[4] قَلْبِي لَسْتُ أَبْرَحُ عَانِياً   أَرْضَى بِسُقْمِي فِي الْهَوَى وَعَنَائِي

أَبْكِي وَمَا غَيْرُ النَّجِيعِ مَدَامِعٌ[5]   أُذْكِي وَلاَ ضَرَمٌ سِوَى أَحْشَائِي

أَهْفُو إِذَا تَهْفُو الْبُرُوقُ وَأَنْثَنِي   لِسُرَى النَّوَاسِمِ مِنْ رُبَا تَيْمَاءِ

بِاللَّهِ يَا نَفَسَ الْحِمَى رِفْقاً بِمَنْ   أَغْرَيْتِهِ بِتَنَفُّسِ الصُّعَدَاءِ

---

(1) هو بناء ابتناه الغني بالله أضيف إلى قصوره نرجّح أنّه فضاء للمشاورة (انظر البيت 66 وما بعده).

(2) «لا» في نفح: X/40.

(3) «المحبّة» في أزهار: II/ 47.

(4) «زين» في نفح.

(5) «مدامِعِي» في أزهار.

عَجَباً لَهُ يَنْدَى عَلَى كَبِدِي وَقَدْ[1] ... أَذْكَى بِقَلْبِي جَمْرَةَ الْبُرَحَاءِ

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ أَيُّ لُبَانَةٍ[2] ... لِي عِنْدَكُمْ يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ

أَتُرَى النَّوَى يَوْماً تَخِيبُ قِدَاحُهَا ... وَيَفُوزُ قِدْحِي مِنْكُمُ بِلِقَاءِ

فِي حَيِّكُمْ قَمَرٌ فُؤَادِي أُفْقُهُ ... تَفْدِيهِ نَفْسِي مِنْ قَرِيبٍ نَائِي

لَمْ تُنْسِنِي الأَيَّامُ يَوْمَ وَدَاعِهِ ... وَالرَّكْبُ قَدْ أَوْفَى عَلَى الزَّوْرَاءِ

أَبْكِي وَيَبْسِمُ وَالْمَحَاسِنُ تُجْتَلَى ... فَعَلِقْتُ بَيْنَ تَبَسُّمٍ وَبُكَاءِ

يَا نَظْرَةً جَاذَبْتُهَا أَيْدِي[3] النَّوَى ... حَتَّى اسْتَهَلَّتْ أَدْمُعِي بِدِمَاءِ

مَنْ لِي بِثَانِيَةٍ تُنَادِي بِالأَسَى ... «قَدْكَ اتَّئِدْ أَسْرَفْتَ فِي الْغُلَوَاءِ»[4]

وَلَرُبَّ لَيْلٍ بِالْوِصَالِ قَطَعْتُهُ ... أَجْلُو دُجَاهُ بِأَوْجُهِ النُّدَمَاءِ

أَنْسَيْتُ فِيهِ الْقَلْبَ عَادَةَ حِلْمِهِ ... وَحَثَثْتُ فِيهِ أَكْؤُسَ السَّرَّاءِ

وَجَرَيْتُ فِي طَلَقِ التَّصَابِي جَامِحاً ... لاَ أَنْثَنِي بِمَقَادَةِ النُّصَحَاءِ

أَطْوِي شَبَابِي لِلْمَشِيبِ مَرَاحِلاً ... بِرَوَاحِلِ الإِصْبَاحِ وَالإِمْسَاءِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُرَى أَطْوِي إِلَى ... قَبْرِ الرَّسُولِ صَحَائِفَ الْبَيْدَاءِ

فَتَطِيبَ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ مَدَائِحِي ... وَيَطُولَ فِي ذَاكَ الْمُقَامِ ثَوَائِي

حَيْثُ النُّبُوَّةُ نُورُهَا مُتَأَلِّقٌ ... كَالشَّمْسِ تَزْهَى فِي سَنًى وَسَنَاءِ

حَيْثُ الرِّسَالَةُ فِي ثَنِيَّةِ قُدْسِهَا ... رَفَعَتْ لِهَدْيِ الْخَلْقِ خَيْرَ لِوَاءِ

حَيْثُ الضَّرِيحُ ضَرِيحُ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ ... فَخْرِ الْوُجُودِ وَشَافِعِ الشُّفَعَاءِ

الْمُصْطَفَى وَالْمُرْتَضَى وَالْمُجْتَبَى ... وَالْمُنْتَقَى مِنْ عُنْصُرِ الْعَلْيَاءِ

---

(1) «لله ما أندَى على كبدي وقد» عند نيفر.

(2) «إبانةٍ» في نفح.

(3) «جَادَتْ بِهَا أيدِي» في نفح.

(4) صدر بيت لأبي تمام وتمامه: «كم تَعْذِلُون وأنتُمُ سُجَرَائِي» وفي الديوان «أرْبَيت» عوض «أسرفت» وهو بمعناه.

خَيْـرِ الْبَـرِيَّـةِ مُجْتَبَـاهَـا ذُخْـرِهَـا[1] ... ظِـلِّ الإلاَهِ الْـوَارِفِ[2] الأَفْيَـاءِ
تَـاجِ الـرِّسَـالَـةِ خَتْمِهَـا وَقِـوَامِهَـا ... وَعِمَـادِهَـا السَّـامِـي عَلَـى النُّظَـرَاءِ
لَـوْلاَهُ لِـلأَفْـلاَكِ مَـا لاَحَـتْ بِهَـا ... شُهُـبٌ تُنِيـرُ دَيَـاجِـيَ الظَّلْمَـاءِ
ذُو الْمُعْجِـزَاتِ الْغُـرِّ وَالآيِ الَّتِـي[3] ... أَكْبَـرْنَ عَـنْ عَـدٍّ وَعَـنْ إِحْصَـاءِ
وَكَفَـاكَ رَدُّ الشَّمْـسِ بَعْـدَ غُـرُوبِهَـا ... وَكَفَـاكَ مَـا قَـدْ جَـاءَ فِـي الإِسْـرَاءِ
وَالْبَـدْرُ شُـقَّ لَـهُ وَكَـمْ مِـنْ آيَـةٍ ... كَـأَنَـامِـلٍ جَـادَتْ[4] بِنَبْـعِ الْمَـاءِ
وَبِلَيْلَـةِ الْمِيـلاَدِ كَـمْ مِـنْ رَحْمَـةٍ ... نَشَـرَ الإلاَهُ بِهَـا وَمِـنْ نَعْمَـاءِ
قَـدْ بَشَّـرَ الـرُّسْـلُ الْكِـرَامِ بِبَعْثِـهِ ... وَتَقَـدَّمَ الكُهَّـانُ بِـالأَنْبَـاءِ
أَكْرِمْ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَرٍ[5] سَرَتْ ... فِي الْكَـوْنِ كَـالأَرْوَاحِ فِـي الأَعْضَـاءِ
أَمْسَـى بِهَـا الإِسْـلاَمُ يُشْـرِقُ نُـورُهُ ... وَالْكُفْـرُ أَصْبَـحَ فَـاحِـمَ الأَرْجَـاءِ
هُـوَ آيَـةُ اللَّـهِ الَّتِـي أَنْـوَارُهَـا ... تَجْلُـو ظَـلاَمَ الشَّـكِّ أَيَّ جَـلاَءِ
وَالشَّمْـسُ لاَ تَخْفَـى مَـزِيَّـةُ فَضْلِهَـا ... إلاَّ عَلَـى ذِي الْمُقْلَـةِ الْعَمْيَـاءِ
يَـا مُصْطَفَـى وَالْكَـوْنُ لَـمْ تَعْلَـقْ بِـهِ ... مِـنْ بَعْـدُ أَيْـدِي الْخَلْـقِ وَالإِنْشَـاءِ
يَـا مَظْهَـرَ الْحَـقِّ الجَلِـيِّ وَمَطْلَـعَ النُّـ ... ـورِ السَّنِـيِّ السَّـافِـرِ[6] الأَضْـوَاءِ
يَـا مَلْجَـأَ الْخَلْـقِ الْمُشَفَّـعِ فِيهِـمُ ... يَـا رَحْمَـةَ الأَمْـوَاتِ وَالأَحْيَـاءِ
يَا آسِـيَ الْمَرْضَى وَمُنْتَجِعَ الرِّضَى ... وَمُـؤَاسِـيَ الأَيْتَـامِ وَالضُّعَفَـاءِ
أَشْكُـو إِلَيْـكَ وَأَنْـتَ خَيْـرُ مُـؤَمَّـلٍ ... دَاءَ الـذُّنُـوبِ وَفِي يَـدَيْـكَ دَوَائِـي
إِنِّـي مَـدَدْتُ يَـدِي إِلَيْـكَ تَضَـرُّعـاً ... حَـاشَـا وَكَـلاَّ أَنْ يَخِيـبَ رَجَـائِـي

(1) «ذكرها» عند نيفر.
(2) «الوافر» عنده.
(3) «الأُلَى» في نفح.
(4) «جَاءَتْ» في المصدر نفسه.
(5) «قَدَمٍ» فيه كذلك.
(6) السّاطع، في المصدر المذكور.

إنْ كُنْتُ لَمْ أُخْلِصْ إلَيْكَ فَإنَّمَا — خَلُصَتْ إلَيْكَ مَحَبَّتِي وَنِدَائِي
وَبِسَعْدِ مَوْلاَيَ الإمَامِ مُحَمَّدٍ — تَعِدُ الأمَانِي أنْ يُتَاحَ لِقَائِي
ظِلُّ الإلاَهِ عَلَى الْبِلاَدِ وَأهْلِهَا — فَخْرُ الْمُلُوكِ السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ
غَوْثُ[1] الْبِلاَدِ وَلَيْثُ مُشْتَجِرِ الْقَنَا — يَوْمَ الطِّعَانِ وَفَارِجُ الغَمَّاءِ
كَالدَّهْرِ فِي سَطَوَاتِهِ وَسَمَاحِهِ — تَجْرِي صَبَاهُ بِزَعْزَعٍ وَرُخَاءِ
رَقَّتْ سَجَايَاهُ وَرَاقَتْ مُجْتَلَى — كَالنَّهْرِ[2] وَسْطَ الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ
كَالزَّهْرِ فِي إيرَاقَةٍ وَالْبَدْرِ فِي — إشْرَاقِهِ وَالزُّهْرِ فِي اللَّألاَءِ[3]
يَا ابْنَ الألَى إجْمَالُهُمْ وَجَمَالُهُمْ — فَلَقُ الصَّبَاحِ وَوَاكِفُ الأنْوَاءِ
أنْصَارُ دِينِ اللَّهِ حِزْبُ رَسُولِهِ — وَالسَّابِقُونَ بِحَلْبَةِ الْعَلْيَاءِ[4]
يَا ابْنَ الْخَلاَئِفِ مِنْ بَنِي نَصْرٍ وَمَنْ — حَاطُوا ذِمَارَ المِلَّةِ السَّمْحَاءِ
مِنْ كُلِّ مَنْ تَقِفُ الْمُلُوكُ بِبَابِهِ — يَسْتَمْطِرُونَ سَحَائِبَ النَّعْمَاءِ
قَوْمٌ إذَا قَادُوا الْجُيُوشَ إلَى الْوَغَى — فَالرُّعْبُ رَائِدُهُمْ إلَى الأعْدَاءِ
وَالعِزُّ مَجْلُوبٌ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ — وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ بِكُلِّ لِوَاءِ
يَا وَارِثاً عَنْهَا مَنَاقِبَهَا الَّتِي — تَسْمُو مَرَاقِيهَا عَلَى الْجَوْزَاءِ
يَا فَخْرَ أنْدُلُسٍ وَعِصْمَةَ أهْلِهَا — يَجْزِيكَ عَنْهَا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءِ
كَمْ خُضْتَ طَوْعَ صَلاَحِهَا مِنْ مَهْمَهٍ — لاَ تَهْتَدِي فِيهِ الْقَطَا لِلْمَاءِ
تَهْدِي بِهَا حَادِي السُّرَى بِعَزَائِمٍ — تُهْدِي نُجُومَ الأفْقِ فَضْلَ ضِيَاءِ
فَارْفَعْ لِوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافِعٍ — وَاسْحَبْ ذُيُولَ العِزَّةِ الْقَعْسَاءِ
وَاهْنَأْ بِمَبْنَاكَ السَّعِيدِ فَإنَّهُ — كَهْفٌ لِيَوْمِ مَشُورَةٍ وَعَطَاءِ
لِلَّهِ مِنْهُ هَالَةٌ قَدْ أصْبَحَتْ — جَرَمَ الْعُفَاةِ وَمَصْرَعَ الأعْدَاءِ

---

(1) «غيث» في نفح.
(2) «كالزَّهْرِ» عند نيفر.
(3) «لألاءِ» في نفح.
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار بالإتباع: أنصارِ... حِزْبِ... السابقينَ...

تَنْتَابُهَا طَيْرُ الرَّجَاءِ فَتَجْتَنِي ... ثَمَرَ الْمُنَى مِنْ دَوْحَةِ الآلاَءِ

لِلَّهِ مِنْهُ قُبَّةٌ مَرْفُوعَةٌ ... دُونَ السَّمَاءِ تَفُوتَ لَحْظَ الرَّائِي

رَاقَتْ بَدَائِعُ وَشْيِهَا فَكَأَنَّهَا ... وَشْيُ الرَّبِيعِ بِمَسْقَطِ الأَنْدَاءِ

عَظَّمْتَ مِيلاَدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وَشَفَعْتَهُ بِاللَّيْلَةِ الغَرَّاءِ

أَحْيَيْتَ لَيْلَكَ سَاهِراً فَأَفَدْتَنَا ... قُوتَ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ الإِحْيَاءِ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ الْمُجْتَبَى ... فَاتَتْ عُلاَكَ مَدَارِكَ الْعُقَلاءِ

مَنْ لِي بِأَنْ أُحْصِي مَنَاقِبَكَ الَّتِي ... ضَاقَتْ بِهِنَّ مَذَاهِبُ الْفُصَحَاءِ

وَإِلَيْكَ مِنْهَا[1] رَوْضَةً مَطْلُولَةً ... أَرِجَتْ أَزَاهِرُهَا بِطِيبِ ثَنَاءِ

فَافْسَحْ لَهَا أَكْنَافَ صَفْحِكَ إِنَّهَا ... بِكْرٌ أَتَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءِ

(4)

وأنشده رضي الله عنه في طرد مولانا الوالد[2]، رحمة الله تعالى عليه، ويصف البازي، ويشكر ما أهداه من صيده:

[الكامل]

يَا مَنْ تَمُدُّ لَهُ الْمُلُوكُ أَكُفَّهَا ... تَدْعُو الإِلاَهَ لَهُ بِطُولِ بَقَاءِ

أَضْحَى وَلِيُّ الْعَهْدِ نَجْلُكَ صَائِداً ... شَأْنَ الْمُلُوكِ الْعِلْيَةِ الْعُظَمَاءِ

وَرَمَى الْبُزَاةَ عَلَى الْقَنَاةِ يَصِيدُهُ[3] ... صَيْدَ الْخَلِيفَةِ شَارِدَ الأَعْدَاءِ

مِنْ كُلِّ خَافِقَةِ الْجَنَاحِ إِذَا مَشَتْ ... تُبْدِي اخْتِيَالَ الْغَادَةِ الْعَذْرَاءِ

أَبْدَتْ[4] لَنَا سَبَجُ[5] الْعُيُونِ وَطَوَّقَتْ ... أَرْجَاءَهَا بِعَقِيقَةٍ حَمْرَاءِ

---

(1) «مِنِّي» في نفح.

(2) هو يوسف الثاني الملقب بالمستعين (انظر التعريف به سابقاً).

(3) «وَرَمى العُتَاةَ من البُزَاةِ» عند نيفر.

(4) «أَبْدَتْ» عنده كذلك.

(5) خزر أسود شبه عيون الطير به.

وَاسْتَاقَتِ الْيَاقُوتَ فِي مِنْقَارِهَا   وَمَشَتْ عَلَى الْمَرْجَانِ فِي اسْتِحْيَاءِ
وَوَشَتْ يَدُ الأَقْدَارُ فِي أَعْطَافِهَا   وَشْياً زَرَى بِالْحُلَّةِ السِّيَرَاءِ
مَلِكُ الطُّيُورِ أَتَى إِلَى مَلِكِ الْوَرَى   فَاسْتَاقَهَا لِمُؤَمَّلِ الْخُلَفَاءِ
وَقَضَى سَمَاحُكَ أَنْ تَجُودَ بِبَعْضِهَا   لِلْعَبْدِ تُعْلِيهِ عَلَى الْجَوْزَاءِ
لِلَّهِ هَلْ شَرَفٌ يُضَاهِي ذَا الَّذِي   أَوْلَيْتَهُ مِنْ مِنَّةٍ[1] غَرَّاءِ
هَيْهَاتَ أَيْنَ جَزَاؤُهَا مِنْ شُكْرِهِ   يَجْزِيكَ عَنَّا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءِ
أَوَلَسْتَ قَدْ أَوْلَيْتَ كُلَّ خَلِيفَةٍ   شَرْقاً وغَرْباً أَصْوَبَ الآرَاءِ؟[2]
فَلِصَاحِبِ الصَّفْرَاءِ[3] فَخْرٌ خَالِدٌ   يَحْظَى بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْحَمْرَاءِ
بِيضاً وسُمْراً[4] قَدْ شَرَعْتَ لِنَصْرِهِ   وَأَعَنْتَ بِالْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ
لاَ زِلْتَ شَمْسَ خِلاَفَةٍ أَبْنَاؤُهُ   مِثْلُ الْبُدُورِ بِمَرْقَبِ الْعَلْيَاءِ[5]

(5)

وفي التورية باسم قائد ولأه مولانا ـ رضي الله عنه ـ على جماعة من الجند:

[الكامل]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي أَيَّامُهُ   تَهْمِي بِسُحْبِ الْجُودِ مِنْ آلاَئِهِ
أَبْشِرْ لِجَيْشِكَ بِالسَّعَادَةِ كُلَّمَا   يَغْزُو وَنَصْرُ[6] اللَّهِ تَحْتَ لِوَائِهِ

---

(1) «نِعْمَةٍ» عند نيفر.
(2) «أَضْرُبَ الآلاَءِ» عنده.
(3) «الْبَيْضَاءِ» عنده كذلك.
(4) «وَحُمْراً» عنده.
(5) الجَوْزَاءِ عنده أيضاً.
(6) «فَنَصْرُ» في أزهار: II/ 132.

قافيـة البـاء

(6)

ومن مقطوعاته[1]:

[المتقارب]

لَقَـدْ عَلِـمَ اللَّـهُ أَنِّـي امْـرُؤٌ ... أُجَـرِّرُ ثَـوْبَ[2] الْعَفَـافِ الْقَشِيـبْ

فَكَـمْ غَمَّـضَ الـدَّهْـرُ أَجْفَـانَـهُ ... وَفَـازَتْ قِـدَاحِـي بِـوَصْـلِ الْحَبِيـبْ

وَقِيـلَ رَقِيبُـكَ فِـي غَفْلَـةٍ ... فَقُلْـتُ أَخَـافُ الإِلاَهَ الـرَّقِيـبْ

(7)

وقال تذييلاً لبيتَيْ ابن المعتزّ[3]:

[الطويل]

«سَقَتْنِـيَ فِـي لَيْـلٍ شَبِيـهٍ بِشَعْـرِهَـا ... شَبِيهَـةَ خَـدَّيْهَـا بِغَيْـرِ رَقِيـبِ

فَـأَمْسَيْـتُ فِـي لَيْلَيْـنِ لِلشَّعْـرِ وَالـدُّجَـا ... وَشَمْسَيْـنِ مِـنْ خَمْـرٍ وَخَـدِّ حَبِيـبِ»

إِلَـى أَنْ بَـدَا الصُّبْـحُ الْمُبِيـنُ كَـأَنَّـهُ ... مُحَيَّـا ابْـنِ نَصْـرٍ لَـمْ يُشَـنْ بِغُـرُوبِ

شَمَـائِلُـهُ مَهْمَـا أُدِيـرَتْ كُـؤُوسُهَـا ... قَـلاَئِـدُ أَسْمَـاعٍ وَأُنْـسِ قُلُـوبِ

(8)

وقال ممّا يُرْسم[4] للغنيّ بالله:

[مجزوء الرّمل]

لِلْغَنِـي بِـاللَّـهِ مُلْـكٌ ... بُـرْدُهُ بِـالْعِـزِّ مُـذْهَـبْ

---

(1) كذا جاء في الإحاطة: II/ 236 وعنه نقل المقّري في أزهار: II/ 10 ونفح: X 18.

(2) «ذيل» في نفح والإحاطة.

(3) الخليفة العبّاسي، الشاعر الناقد (247 هـ ـ 296 هـ).

(4) على الثوب أو العمامة.

دَامَ فِـــي رِفْعَـــةِ شَـــأنِ مَـــا جَلَـــى الإِصْبَـــاحُ غَيْهَـــبْ

(9)

ومن مقطوعاته:

[الخفيف]

وَابْــنُ نَصْــرٍ لَــهُ مُحَيَّــا كَصُبْــحِ إنْ تَجَلَّــى جَــلاَ دُجَــى كُــلِّ كَــرْبِ
ذُو حُسَــامٍ كَــأَنَّــهُ لَمْــعُ بَــرْقِ فِــي بَنَــانٍ كَــأَنَّهَــا غَيْــثُ سُحْــبِ

(10)

وكتب إليه[1] خاتمة رسالة كذلك:

[الطويل]

وَحَقِّكَ مَا اسْتَطْعَمْتُ بَعْدَكَ غَمْضَةً مِنَ النَّوْمِ حَتَّى آذَنَ النَّجْمُ بِالْغُرُوبْ
وَعَارَضْتُ مَسْرَى الرِّيحِ قُلْتُ لَعَلَّهَا تَنِــمُّ بِــرَيَّــا مِنْــكَ عَــاطِــرَةِ الْهُبُــوبْ
إلَــى أَنْ بَــدَا وَجْــهُ الصَّبَــاحِ كَــأَنَّــهُ مُحَيَّاكَ إِذْ يَجْلُو[2] بِغُرَّتِهِ الْخُطُوبْ
فَقُلْتُ لِقَلْبِي اسْتَشْعِرِ الأُنْسَ وَابْتَهِجْ فَإِنْ تَبْعُدِ الأَجْسَامُ لَمْ تَبْعُدِ الْقُلُوبْ
وَسِرْ فِي ضَمَانِ اللَّهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رِكَابُكَ لاَ تَخْشَى الْحَوَادِثَ أَنْ تَنُوبْ[3]

(11)

وكتــب إليهــم[4] فــي المعنــى أيضــاً[5] وقــد كــان السلطــان أبــو

---

(1) الضّمير يعود على الوزير لسان الدين ابن الخطيب أستاذ ابن زمرك ووليّ نعمته (انظر المقدمة).
(2) «تُجْلَى» في أزهار: II/ 169.
(3) عقّب المقري في نفح: X/ 190 بقوله: «قلت: هذه غاية في معناها لولا خروجها عن القواعد في ترتيب قافيتها وبناها» لأن الأبيات من الطويل إلا أن التفعيلة الأخيرة تختلف عن تفعيلاته.
(4) همّ كُتّاب الإنشاء بالمغرب.
(5) لقد حضر الشاعر بالمغرب ميلاد الرسول ﷺ فأنشدت قصائد الكتّاب في مدحه فاستنجز بعد=

العبّاس[1] أعطاه قصيدة من نظمه تلك الليلة :

[الطويل]

ظِـلاَلُكُـمْ تَنْدَى وَمَـوْرِدُكُـمْ عَـذْبُ ... وَتَرْضَوْنَ أَنْ أَضْحَى وَبِالْمِلْحِ لِي شَرْبُ

وَأَنْتُـمْ وَمَـا أَنْتُـمْ غَمَـائِـمُ رَحْمَـةٍ ... تَصُـوبُ وَأَحْـلاَمُ الْعُفَـاةِ لَهَـا تَصْبُـو

أَفِيضُـوا عَلَيْنَـا وَانْظُـرُونَـا بِفَضْلِكُـمْ ... لِنَقْبِـسَ نُـوراً لاَ يَخِيـبُ وَلاَ يَخْبُـو

أَلِفْـتُ الْهَـوَى حَتَّـى أَنِسْـتُ بِجَـوْرِهِ ... فَكُلُّ عَذَابٍ نَالَنِي فِي الْهَوَى عَذْبُ

وَقُلْتُ لِجِسْمِـي إِنَّـهُ ثَـوْبُكَ الضَّنَـى ... وَقُلْـتُ لِقَلْبِـي إِنَّـهُ إِلْفُـكَ الْحُـبُّ

وَقَـالُـوا صَبَـا وَالشَّيْـبُ لاَحَ صَبَـاحُـهُ ... فَقُلْـتُ بِبِيضٍ كَـالصَّبَـاحِ أَنَـا صَـبُّ

نَهَبْـتُ عَـذَارَى الْحَـيِّ لَيْلَـةَ عَـرْضِهَـا ... وَقَـدْ جُلِيَـتْ مِنْهَـا لِمُبْصِـرِهَـا شُهْـبُ

وَلَـمْ أَرَ مِنْهَـا غَيْـرَ رَجْـعِ حَـدِيثِهَـا ... فَتَجْهَلُ مِنْهُ الْعَيْنُ مَا يَعْرِفُ الْقَلْبُ

عِـرَابٌ إِذَا اسْتَنَّـتْ بِشَـأْوِ بَـلاَغَـةٍ ... تُقَصِّـرُ مِـنْ دُونِ اللَّحَـاقِ بِهَـا الْعُـرْبُ

وَإِنْ أَسْنَـدَتْ مَـا بَيْـنَ نَجْـدٍ وَحَـاجِـرٍ ... يَقُـولُ رُوَاةُ الشَّـرْقِ يَـا حَبَّـذَا الْغَـرْبُ

فَمَنْعَـةُ صِـدْقٍ لِلْخِـلاَفَـةِ قَـدْ ضَفَـتْ ... عَلَـى مَـنْ حَـوَاهُ مِـنْ مَهَـابَتِـهِ حُجْـبُ

وَجَـوٌّ صَقِيـلٍ قَـدْ جَلَتْـهُ يَـدُ الصَّبَـا ... يُسَافِرُ طِرْفُ الطَّرْفِ فِيهِ فَمَا يَكْبُو

فَلَوْلاَ الَّتِي مِنْ دُونِهَا طَاعَةُ الْهَوَى ... لَحَفَّتْ بِهَا حَوْلِي الأَبَارِيقُ وَالشَّرْبُ

وَلَكِنْ نَهَانِي الشَّيْبُ أَنْ أَقْرَبَ الْهَوَى ... إِذَا لَـمْ يُتَـحْ مِمَّـنْ أُحِـبُّ لِـيَ الْقُـرْبُ

فَـلاَ تَمْطُلُـوا دَيْـنَ الْمُعَلَّـلِ عَـنْ غِنًـى ... فَجَـانِبُكُـمْ سَهْـلٌ وَمَنْـزِلُكُـمْ رَحْـبُ

وَإِنْ لَـمْ تَـرَوْنِـي كُفْـأَهُـنَّ تَـرَفُّعـاً ... وَصَـدُّكُـمُ مِـنْ دُونِ خِطْبَتِهَـا خَطْـبُ

فَمَـوْلاَيَ قَـدْ أَهْـدَى الْعَمِيـدَ عَقِيلَـةً ... يُكَلِّلُهَـا مِـنْ لَفْظِـهِ اللُّـؤْلُـؤُ الـرَّطْـبُ

أَدَارَتْ كُـؤُوسـاً مِـنْ مُـدَامِ صَبَـابَـةٍ ... كَمَا امْتَزَجَ الصَّهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ

فَـوَاللَّـهِ لَـوْلاَ مَـوْعِـدٌ يَـوْمُـهُ غَـدٌ ... لِوَاجَهَكُمْ مِنِّي عَلَى مَطْلَبِي الْعَتْبُ

= ذلك وعدهم بتقييد نسخها بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها (انظر أزهار: II/ 173).

(1) انظر التعريف به سابقاً.

أَكُتَّـابَ مَـوْلاَنَـا الْخَلِيفَـةِ أَحْمَـدٍ وَحَسْبُكُـمُ الْفَخْرُ الْعَمِيـمُ بِـهِ حَسْـبُ
بِـهِ اعْتَـزَّتْ الآدَابُ وَامْتَـدَّ بَـاعُهَـا وَطَالَتْ يَدَاهَا وَاسْتَخَفَّ بِهَا الْعُجْبُ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِالْفَضْلِ تَنْفُقُ سُوقُهَا لَكَـانَ يُقَـالُ التِّبْـرُ فِـي أَرْضِـهِ تُـرْبُ
بَقِيتُـمْ بِـهِ فِـي ظِـلِّ جَـاهٍ وَغِبْطَـةٍ تَخُـبُّ إِلَـى لُقْيَـا نَجِيبِكُـمُ النُّجْـبُ

(12)

وممّا كتب به ابن زمرك إلى لسان الدين بن الخطيب جواباً عن رسالةٍ قوله[1]:

[البسيط]

حَيَّتْ صَبَاحاً فَأَحْيَتْ سَاكِنِي الْقَصَبَهْ وَاسْتَرْجَعَتْ أَنْفُساً بِالشَّوْقِ مُغْتَصَبَهْ
قَضَـى الْبَيَـانُ لَهَـا أَنْ لا نَظِيـرَ لَهَـا فَأَحْرَزَتْ مِنْ معَانِي فَضْلِهِ[2] قَصَبَهْ
نَاجَتْ طَلِيحَ سُرًى[3] لا يَسْتَفِيقُ لَهَا[4] هَـدَّتْ جَـوَارِحَـهُ وَاسْتَـوْهَنَـتْ عَصَبَـهْ
فَحَـرَّكَتْـهُ عَلَـى فَتْـكِ الْكَـلاَلِ بِـهِ وَأَذْهَبَـتْ بِسُـرُورِ الْمُلْتَقَـى نَصَبَـهْ
وَأَذْكَـرَتْ عَهْـدَ مُهْـدِيهَـا عَلَـى شَحَـطٍ فَعَـاوَدَ الْقَلْـبُ مِـنْ تَـذْكَـارِهِ وَصَبَـهْ
مَا كُنْتُ أَسْمَحُ مِنْ دَهْرِي[5] بِجَوْهَرِهِ لَوْ كَانَ يَسْمَحُ لِي بِالقَلْبِ مَنْ غَصَبَهْ
سلْ أَدْمُعَ الصَّبِّ مَنْ أَعْدَى[6] السَّحَابَ بِهَا وَقَلْبُـهُ بِجِمَـارِ الشَّـوْقِ مِـنْ حَصَبَـهْ
فَـاللَّـهُ يَحْفَـظُ مُهْـدِيهَـا وَيَشْكُـرُهُ فَـوَجْهُهَـا بِعِصَـابِ الْحُسْنِ قَدْ عَصَبَهْ
مَـنْ كَـانَ وَارِثَ آدَابٍ يُشَعْشِعُهَـا بِالْفَرْضِ إِنِّيَ فِي إِرْثِي[7] لَهَا عَصَبَهْ

(1) «هي رسالة خاطب أولاده بها» كما في أزهار: II/ 166.
(2) «خَصْلِهِ» في نفح.
(3) «بَاحَتْ ظَلِيمٌ سَرَى» عند نيفر.
(4) «لِمَا» عنده.
(5) «مِنْ قَلْبِي» عنده كذلك.
(6) «أَغْدَى» في نفح.
(7) «في إرْثِ» عند نيفر.

هُـوَ الْمَـلاَذُ مَـلاَذُ النَّـاسِ قَـاطِبَـةً سُبْحَانَ مَنْ لِغَيَاثِ الْخَلْقِ[1] قَدْ نَصَبَهْ

(13)

وحضرنا[2] بزاوية يحيى البرغواطي[3] وأوقد ناراً في حشيش لطبخ طعام فقال صاحِبُنا أبو عبد الله ابن زمرك في ذلك[4]:

[الخفيف]

أَضْـرَمَ النَّـارَ فِـي الحَشِيـشِ يَحْيَـى مِثْلَمَـا تُضْـرِمُ الحَشِيـشَ بِقَلْبِـهْ

قافيــة التّــاء

(14)

ثم قال: ومنها وقد أهداه[5] رحمه الله أطباقاً من حبّ الملوك[6]:

[الكامل]

كَتَـبَ الإِلاَهُ عَلَـى الْعِبَـادِ مَحَبَّـةً لَـكَ كَـانَ فَـرْضُ كِتَابِهَـا مَـوْقُـوتَـا

وَأَنَـا الَّـذِي شَـرَّفْتَـهُ مِـنْ بَيْنِهِـمْ حَتَّـى جَعَلْـتَ لَـهُ الْمَحَبَّـةَ قُـوتَـا

مَـا زِلْـتَ تُتْحِفُـهُ بِكُـلِّ ذَخِيـرَةٍ حَتَّـى لَقَـدْ أَتْحَفْتَـهُ الْيَـاقُـوتَـا

وَإِلَـى الْمُلُـوكِ قَـدِ اعْتَـزَى مِـنْ عِـزِّهِ فَغَـدَا لَـهُ يَـاقُـوتُهَـا مَمْقُـوتَـا

---

(1) «النّاسِ» عِند نيفر.

(2) الضمير يعود على ابن الخطيب.

(3) هو يحيى بن إبراهيم من بني الترجمان انقطع للعبادة والسياحة والأندلس توفي سنة 768 هـ.

(4) لم يرد هذا البيت إلاّ في ديوان ابن الخطيب المعروف بـ «الصَّيِّب والجَهَام» ص 304 ـ 305.

(5) هو الغَنيّ بالله كما يُفهم من سياق القصائد السابقة.

(6) ويقال له أيضاً «حبّ الزّلم» ويُعرفُ عند عامة أهل القاهرة «بحبّ العزيز» (زهر: II/ 126 في الهامش (2)).

قافيـة الحـاء

(15)

وقال أيضاً[1]:

[مجزوء الرمل]

يَـا ابْـنَ نَصْـرٍ لَـكَ مُلْـكٌ لَيْـسَ تَعْـدُوهُ الْفُتُـوحُ
دُمْـتَ رُوحـاً لِلْمَعَـالِـي مَـا سَـرَى فِـي الْجِسْـمِ رُوحُ

(16)

وخاطبه[2] كذلك:

[الكامل]

طَـالَعْتُهَـا دُونَ الصَّبَـاحِ صَبَـاحـاً لَمَّـا جَلَـتْ غُـرَرَ الْبَيَـانِ صِبَـاحَـا
وَلَقَـدْ رَأَيْـتُ وَمَـا رَأَيْـتُ كَحُسْنِهَـا وَجْهـاً أَغَـرَّ وَمَبْسِمـاً وَضَّـاحَـا
عَـذْرَاءَ أَرْضَعَهَـا الْبَيَـانُ لِبَـانَـهُ وَأَطَـالَ مَغْـدًى عِنْـدَهَـا وَمَـرَاحَـا
فَـأَتَـتْ كَمَـا شَـاءَتْ وَشَـاءَ نَجِيُّهَـا[3] تُـذْكِـي الْحِجَـا وَتُنَعِّـمُ الأَرْوَاحَـا
لاَ بَـلْ كَمِثْـلِ الـرَّوْضِ بَـاكَـرَهُ الْحَيَـا وَسَقَـى بِهَـا زَهْـرُ الْكِمَـامِ فَفَـاحَـا
وَطَـوَتْ بِسَـاطَ الشَّـوْقِ مِنِّـي بَعْـدَمَـا نَشَـرَتْ عَلَـيَّ مِـنَ الْقَبُـولِ جَنَـاحَـا

(17)

وقال مُذَيِّلاً[4] على بيت ابن وكيع[5] أيضاً:

---

(1) أي ممّا يُرسَم للغنيّ بالله (انظر نفح: X/ 45).
(2) أي ابن الخطيب جواباً عن رسالته.
(3) «نَجِيبُهَا» في نفح.
(4) البيت لم يرد في ديوانه.
(5) هو ابن وكيع التنيسي (ت 393 هـ).

[الخفيف]

«هِـيَ فِـي أَوْجُـهِ النَّـدَامَـى عَقِيـقٌ   وَهْـيَ مِثْـلُ النُّضَّـارِ فِـي الأَقْـدَاحِ»
كَـابْـنِ نَصْـرٍ تَـرَاهُ فِي الْحَـرْبِ لَيْثـاً   وَهْوَ بَدْرُ الْهُدَى[1] وَغَيْثُ السَّمَاحِ
ذِكْـرُهُ قَـدْ ثَنَـى قُـدُودَ النَّـدَامَـى   وَأَعَـادَ الْحَيَـاةَ فِـي الأَرْوَاحِ[2]

(18)

وفي مثل ذلك[3]:

[الطويل]

لَـكَ الْخَيْـرُ يَـا مَـوْلاَيَ أَبْشِـرْ بِعِصْمَـةٍ   عَقَدْتَ مَعَ الأَيَّامِ فِي حِفْظِهَا صُلْحَا
وَعَـافِيَـةٍ فِـي صِحَّـةٍ مُسْتَجَـدَّةٍ   تُجَـدِّدُ لِلـدِّيـنِ السَّعَـادَةَ وَالنُّجْحَـا
فَـوَجْـهُ التَّهَـانِـي مُشْـرِقٌ مُتَهَلِّـلٌ   وَجَوُّ الأَمَانِي بَعْدَمَا غَامَ قَدْ أَصْحَى[4]
وَقَـدْ ظَهَـرَتْ لِلْبُـرْءِ مِنْـكَ عَـلاَمَـةٌ   عَلاَمَتُكَ الْعُلْيَا[5] تَقُولُ لَنَا: صَحَّا

(19)

قال: وأنشد من ذلك[6] في مولد عام 68 [7] وقد كان مولانا رضي الله عنه أَبَـى أن يُرْسِلَ العنان في مدح مقامه، مبالغة في توقير جانب المصطفى ﷺ وإعْظَامِهِ؛ فلهذا القصد الأدبيّ الكريم أتى من المدح السلطاني في آخرها الملمح القريب واكتفى من القلادة بما أحاط بالتَّريب[7] ومَدَّ القولَ في ذكر الرسول

---

(1) «النَّدَى» في نفح.
(2) «الأَشْبَاحِ» في أزهار.
(3) أي أنشد الغنيّ بالله وهو بحال تألم (أزهار: II / 135، نفح: x / 90).
(4) «أَضْحَى» في نفح.
(5) «العُظْمَى» في أزهار.
(6) جاءت في سياق ما نظمه من ميلاديّات. (أزهار II: 51).
(7) جمع ترائب وهي ما يلي الترقوتين من عظام الصّدر؛ وهو يشير إلى المثل السائر: «يكفي من=

وعجائب مجده حسبما اقتضاه الاختيار من مولانا كافأ الله جميل قصده آمين:

[البسيط]

هَذَا الصَّبَاحُ صَبَاحُ الشَّيْبِ قَدْ وَضَحَا ... سَرْعَانَ مَا كَانَ لَيْلاً فَاسْتَنَارَ ضُحَى

لِلدَّهْرِ لَوْنَانِ مِنْ نُورٍ وَمِنْ غَسَقٍ ... هَـذَا يُعَـاقِـبُ هَـذَا كُلَّمَـا بَـرِحَـا

وَتِلْـكَ صِبْغَتُـهُ أَغْـدَى بَنِيـهِ بِهَـا ... إِذَا تَـرَاخَـى مَجَـالُ الْعُمْـرِ وَانْفَسَحَـا

مَا يُنْكِرُ الْمَرْءُ مِنْ نُورٍ جَلاَ غَسَقاً[1] ... مَا لَمْ يَكُنْ لأَمَانِي النَّفْسِ مُطَّرِحَا

إِذَا رَأَيْتَ بُرُوقَ الشَّيْبِ قَدْ بَسَمَتْ ... بِمَفْـرِقٍ فَمُحَيَّـا الْعَيْـشِ قَـدْ كَلَحَـا

يَلْقَـى الْمَشِيـبَ بِـإِجْـلالٍ وَتَكْـرِمَـةٍ ... مَنْ قَدْ أَعَدَّ مِنَ الأَعْمَالِ مَا صَلُحَا

أَمَّـا وَمِثْلِـيَ لَـمْ يَبْـرَحْ يُعَلِّلُـهُ ... مِـنَ النَّسِيـمِ عَلِيـلٌ كُلَّمَـا[2] نَفَحَـا

وَالْبَرْقُ مَا لاَحَ فِي الظَّلْمَاءِ مُبْتَسِماً ... مِـنْ جَانِـبِ السَّفْـحِ إِلاَّ دَمْعَـهُ سَفَحَـا

فَمَـا لَـهُ بِـرَقِيـبِ الشَّيْـبِ مِـنْ قِبَـلٍ ... مِنْ بَعْدِ مَا لاَمَ فِي شَأْنِ الْهَوَى وَلَحَا

يَـأْبَـى وَفَـائِـيَ أَنْ أُصْغِـي لِـلاَئِمَـةٍ ... وَأَنْ أُطِيـعَ عَـذُولِـي غَـشَّ أَوْ نَصَحَـا

يَا أَهْلَ نَجْدٍ سَقَى الْوَسْمِيُّ رَبْعَكُمُ ... غَيْثاً يُنِيلُ غَلِيلَ[3] التُّرْبِ مَا اقْتَرَحَا

مَـا لِلْفُـؤَادِ إِذَا هَبَّـتْ يَمَـا نِيَـةٌ ... تُهْـدِيـهِ أَنْفَـاسُهَـا الأَشْجَـانَ وَالْبُـرَحَـا

يَـا حَبَّـذَا نَسْمَـةٌ مِـنْ أَرْضِكُـمْ نَفَحَـتْ ... وَحَبَّـذَا رَبْـرَبٌ مِـنْ جَـوِّكُـمْ سَنَحَـا

يَـا جِيـرَةً تَعْـرِفُ الأَحْيَـاءُ جُـودَهُـمُ ... مَا ضَرَّ مَنْ[4] ضَنَّ بِالإِحْسَانِ لَوْ سَمَحَا

مَا شِمْتُ بَارِقَةً مِنْ جَوِّ كَاظِمَةٍ[5] ... إِلاَّ وَبِـتُّ لِـزَنْـدِ الشَّـوْقِ مُقْتَـدِحَـا

= القلادة ما أحاط بالعنق».

(1) الغسق: ظلمة أوّل الليل.

(2) «قَلَّمَا» عند نيفر.

(3) «غَيْثَ» عنده.

(4) «ما ضَرَّ لَوْ» عنده كذلك.

(5) موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان وأكثر الشعراء من ذكرها لمائها الشروب.

فِـي ذِمَّـةِ اللَّـهِ قَلْبِـي مَـا أُعَلِّلُـهُ ... بِـالْقُـرْبِ إِلاَّ وَعَـادَ الْقُـرْبُ مُنْتَـزَحَـا

كَـمْ لَيْلَـةٍ وَالـدُّجَى رَاعَـتْ جَـوَانِبُهَـا ... قَلْـبَ الْجَبَـانِ فَمَـا يَنْفَـكُّ مُطَّـرَحَـا

سَـرَيْتُهَـا وَنُجُـومُ الأُفْـقِ فِيـهِ طَفَـتْ ... جَـوَاهِـراً وَعُبَـابُ اللَّيْـلِ قَـدْ طَفَحَـا

بِسَـابِـحٍ أَهْتَـدِي لَيْـلاً بِغُـرَّتِـهِ ... وَالْبَـدْرُ فِـي لُجَّـةِ الظَّلْمَـاءِ قَـدْ سَبَحَـا

وَالسُّحْـبُ تَنْثُـرُ دُرَّ الـدَّمْـعِ مِـنْ فَـرَقٍ ... وَالْجَوُّ يَخْلَعُ مِنْ بَرْقِ الدُّجَى وُشُحَا

مَـا طَـالَبَـتْ هِمَّتِـي دَهْـرِي بِمَعْلُـوَةٍ ... إِلاَّ بَلَغْـتُ مِـنَ الأَيَّـامِ مُقْتَـرَحَـا

وَلا أَدَرْتُ كُـؤُوسَ الْعَـزْمِ مُغْتَبِقـاً ... إِلاَّ أَدَرْتُ كُـؤُوسَ العِـزِّ مُصْطَبِحَـا

هَـذَا وَكُـلُّ الّـذِي قَـدْ نِلْـتُ مِـنْ أَمَـلٍ ... مِثْـلَ الْخَيَـالِ تَـرَاءَى ثُمَّـتَ انْتَـزَحَـا

كَـمْ يَكْـدَحُ الْمَـرْءُ لاَ يَـدْرِي مَنِيَّتَـهُ[1] ... أَلَيْسَ كُلُّ امْرِىءٍ يُجْزَى بِمَا كَدَحَا

وَارَحْمَتَـا[2] لِشَبَـابِـي ضَـاعَ أَطْيَبُـهُ ... فَمَـا فَـرِحْـتُ بِـهِ قَـدْ عَـادَ لِـي تَـرَحَـا

أَلَيْـسَ أَيَّـامُنَـا الـلاَّئِـي سَلَفْـنَ لَنَـا ... مَنَـازِلاً أَعْمَلَـتْ فِيهَـا الْخُطَـا مَـرَحَـا

إِنَّـا إِلَـى اللَّـهِ مَـا أَوْلَـى الْمَتَـابُ بِنَـا ... لَـوْ أَنَّ قَلْبـاً إِلَـى التَّـوْفِيـقِ قَـدْ جَنَحَـا

الْحَـقُّ أَبْلَـجُ وَالْمَنْجَـاةُ عَـنْ كَثَـبٍ ... وَالأَمْـرُ لِلَّـهِ وَالْعُقْبَـى لِمَـنْ صَلَحَـا

يَا وَيْحَ نَفْسٍ تَوَانَت[3] عَنْ مَرَاشِدِهَا ... وَطِرْفُهَا فِي عِنَانِ الْغَـيِّ قَدْ جَنَحَا

نَرْجُو الْخَلاَصَ وَلَمْ نَنْهَجْ مَسَالِكَهُ[4] ... مَـنْ بَـاعَ رُشْـداً بِغَـيٍّ قَلَّمَـا رَبِحَـا

يَـا رَبِّ صَفْحَـكَ يَـرْجُـو كُـلُّ مُقْتَـرِفٍ ... فَـأَنْـتَ أَكْـرَمُ مَـنْ يَعْفُـو وَمَـنْ صَفَحَـا

يَـا رَبِّ لاَ سَبَـبٌ أَرْجُـو الْخَـلاَصَ بِـهِ ... إِلاَّ الـرَّسُـولَ وَلُطْفاً مِنْـكَ إِنْ نَفَحَـا

فَمَـا لَجِئْـتُ لَـهُ فِـي دَفْـعِ مُعْضِلَـةٍ ... إِلاَّ وَجَـدْتُ جَنَـابَ اللُّطْـفِ مُنْفَسِحَـا

وَلاَ تَضَـايَـقَ أَمْـرٌ فَـاسْتَجَـرْتُ بِـهِ ... إِلاَّ تَفَـرَّجَ بَـابُ الضِّيـقِ وَانْفَتَحَـا

يَـا هَـلْ تُبَلِّغُنِـي مَثْـوَاهُ نَـاجِيَـةٌ ... تَطْوِي بِيَ الْقَفْرَ مَهْمَا امْتَدَّ وَانْفَسَحَا

---

(1) «مَغَبَّته» عند نيفر.

(2) «وَارَحْمَةً» عنده.

(3) «تَوَلَّتْ» عنده كذلك.

(4) «ولم تَنْهَجْ مَسَالِكَهَا» في أزهار واخترنا قراءة نيفر.

حَيْثُ الرُّبُوعُ بِنُورِ الْوَحْيِ آهِلَةٌ ... مَنْ حَلَّهَا احْتَسَبَ[1] الآمَالَ مُقْتَرَحَا
حَيْثُ الرِّسَالَةُ تَجْلُو مِنْ عَجَائِبِهَا ... مَرْأَى جَمَالٍ[2] بِنُورِ اللَّهِ مُتَّضِحَا
حَيْثُ النُّبُوَّةُ تَتْلُو مِنْ غَرَائِبِهَا ... ذِكْراً يُغَادِرُ صَدْرَ الدِّينِ مُنْشَرِحَا
حَيْثُ الضَّرِيحُ بِمَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمٍ ... قَدْ بَذَّ فِي الْفَخْرِ مَنْ يَنْأَى[3] وَمَنْ نَجَحَا
يَا حَبَّذَا بَلْدَةٌ كَانَ النَّبِيءُ بِهَا ... يَلْقَى الْمَلاَئِكَ فِيهَا أَيَّةً سَرَحَا
يَا دَارَ هِجْرَتِهِ يَا أُفْقَ مَطْلَعِهِ ... لِي فِيكِ بَدْرٌ بِغَيْرِ[4] الْفِكْرِ مَا لَمَحَا
مِنْ هَاشِمٍ فِي سَمَاءِ الْعِزِّ مَطْلَعُهُ ... أَكْرِمْ بِهِ نَسَباً بِالعِزِّ[5] مُتَّشِحَا
مِنْ آلِ عَدْنَانَ فِي الأَشْرَافِ مِنْ مُضَرٍ ... مِنْ مَحْتِدٍ تَطْمَحُ الْعَلْيَاءُ إِنْ طَمَحَا
مِنْ عَهْدِ آدَمَ مَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ ... تُسَامُ بِالْمَجْدِ مِنْ آبَائِهِ الصُّرَحَا
عِنَايَةٌ سَبَقَتْ قَبْلَ الْوُجُودِ لَهُ ... وَاللَّهِ لَوْ وُوزِنَتْ[6] بِالْكَوْنِ مَا رَجَحَا
يَا مُصْطَفَى وَكِمَامُ الْكَوْنِ مَا فُتِقَتْ ... يَا مُجْتَبَى وَزِنَادُ النُّورِ مَا قُدِحَا
لَوْلاَكَ مَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرٌ ... لَوْلاَكَ مَا رَاقَتِ[7] الأَفْلاَكُ مُلْتَمِحَا
صَدَعْتَ بِالنُّورِ تَجْلُو كُلَّ دَاجِيَةٍ ... حَتَّى تَبَيَّنَ نَهْجُ الْحَقِّ وَاتَّضَحَا
يَا فَاتِحَ الرُّسْلِ أَوْ يَا خَتْمَهَا شَرَفاً ... بُورِكْتَ مُخْتَتِماً قُدِّسْتَ مُفْتَتِحَا
دَنَوْتَ لِلْخَلْقِ بِالأَلْطَافِ تَمْنَحُهَا ... وَالْقَلْبُ فِي العَالَمِ العُلْوِيِّ مَا بَرِحَا
كَالشَّمْسِ فِي الأُفُقِ الأَعْلَى مَجَرَّتُهَا ... وَالنُّورُ مِنْهَا إِلَى الأَبْصَارِ قَدْ وَضَحَا
كَمْ آيَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ مُعْجِزَةٍ ... تَكِلُّ عَنْ مُنْتَهَاهَا أَلْسُنُ الْفُصَحَا

---

(1) «يَحْسِبُ» عند نيفر.

(2) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «مِنَ الجَمَالِ».

(3) «مَنْ سَادَ» في أزهار واخترنا قراءة نيفر.

(4) «الغَير» عند نيفر.

(5) «لِلْمَجْدِ» عند نيفر.

(6) «وُزِنَتْ» عنده.

(7) «مَا رَامَتْ» عنده كذلك.

إنْ رُدَّتِ الشَّمْسُ مِنْ بَعْدِ الْغُرُوبِ لَهُ ... قَدْ ظَلَّلَتْهُ غَمَامُ الْجَوِّ حَيْثُ نَحَا

يَا نِعْمَةً عَظُمَتْ فِي الْخَلْقِ مِنَّتُهَا ... وَرَحْمَةً تَشْمَلُ الْغَادِينَ وَالرُّوَحَا

اللَّهُ أَعْطَاكَ مَا لَمْ يُؤْتِهِ أَحَداً ... وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَعْطَى وَمَنْ مَنَحَا

حَبِيبُهُ مُصْطَفَاهُ مُجْتَبَاهُ وَفِي ... هَذَا بَلاغٌ لِمَنْ جَلاَّكَ مُمْتَدَحَا

أَثْنَى عَلَيْكَ كِتَابُ اللَّهِ مُمْتَدِحاً ... فَأَيْنَ يَبْلُغُ فِي عَلْيَاكَ مَنْ مَدَحَا

قَدْ أَبْعَدَتْنِي[1] ذُنُوبِي عَنْكَ يَا أَمَلِي ... فَجُهْدِيَ الْيَوْمَ أَنْ أُهْدِي لَكَ الْمِدَحَا

لَعَلَّ رُحْمَاكَ وَالأَقْدَارُ سَابِقَةٌ ... تُدْنِي مُحِبًّا بِأَقْصَى الْغَرْبِ مُنْتَزِحَا

نَفْسِي[2] شَعَاعٌ وقَلْبِي[3] خَانَ أَضْلُعَهُ ... مِمَّا يُعَانِي مِنَ الأَشْوَاقِ قَدْ بَرِحَا[4]

إِذَا الْبُرُوقُ أَضَاءَتْ وَالغَمَامُ هَمَتْ ... فَزَفْرَتِي أُذْكِيَتْ أَوْ مَدْمَعِي سَفَحَا

لِمْ لاَ أَحِنُّ وَهَذَا الْجِذْعُ حَنَّ لَهُ ... لَمَّا تَبَاعَدَ عَنْ لُقْيَاهُ وَانْتَزَحَا

كَمْ ذَا التَّعَلُّلُ وَالأَيَّامُ تَمْطُلُنِي ... كَأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ عَنْ ذَاكَ مُنْتَدَحَا[5]

مَا أَقْدَرَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ ... وَأَنْ يُقَرِّبَ بَعْدَ الْبَيْنِ مَنْ نَزَحَا

يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ يَا نِعْمَ الشَّفِيعُ إِذَا ... طَالَ الْوُقُوفُ وَحَرُّ الشَّمْسِ قَدْ لَفَحَا

أَنْتَ الْمُشَفَّعُ وَالأَبْصَارُ شَاخِصَةٌ ... أَنْتَ الْغِيَاثُ وَهَوْلُ الْخَطْبِ قَدْ فَدَحَا

حَاشَا الْعُلَى وَجَمِيلُ الظَّنِّ يَشْفَعُ لِي ... أَنْ يُخْفِقَ السَّعْيُ مِنِّي بَعْدَمَا نَجَحَا

عَسَاكَ يَا خَيْرَ مَنْ تُرْجَى وَسَائِلُهُ ... تُنْجِي غَرِيقاً بِبَحْرِ الذَّنْبِ قَدْ سَبَحَا

مَا زَالَ مُعْتَرِفاً بِالذَّنْبِ مُعْتَذِراً ... لَعَلَّ حُبَّكَ يَمْحُو كُلَّ مَا اجْتَرَحَا

عَسَى الْبَشِيرُ غَدَاةَ الرَّوْعِ يُسْمِعُنِي ... بُشْرَى تَعُودُ لِيَ الْبَاسَا[6] بِهَا فَرَحَا

---

(1) «أقعدتني» عند نيفر.

(2) «نَفَسٌ» في أزهار.

(3) «قَلْبٌ» في أزهار.

(4) «فَدَحَا» عند نيفر.

(5) «لم تَزِدْ عن ذاك مُنْتَزَحَا» عند نيفر.

(6) «البُؤْسَى» في أزهار.

لا تَيْـأَسَـنَّ[1] فَـإِنَّ اللَّـهَ ذُو كَـرَمٍ وَحُبُّكَ الْعَاقِبُ الْمَاحِي الذُّنُوبِ مَحَا
صَلَّى الإِلاَهُ عَلَى الْمُخْتَارِ صَفْوَتِهِ مَا الْعَارِضُ انْهَلَّ أَوْ مَا الْبَارِقُ الْتَمِحَا
وَأَيَّـدَ اللَّـهُ مَـوْلاَنَـا بِعِصْمَتِـهِ بِـأَيِّ بَـابٍ إِلَـى الْعَلْيَـاءِ قَـدْ فَتَحَـا[2]
وَهَنَّـأَ الـدِّيـنَ وَالـدُّنْيَا عَلَى مَلِـكٍ بِسَعْدِهِ الطَّائِرُ الْمَيْمُونُ قَدْ سَنَحَا
أَنَـا الضَّمِيـنُ لِمَكْحُـولٍ بِغُـرَّتِـهِ[3] أَلاَّ تَـرَى عَيْنُـهُ بُـؤْسـاً وَلاَ تَـرَحَـا
مَوْلاَيَ خُذْهَا كَمَا شَاءَتْ بَلاَغَتُهَا غَرَّاءَ لَمْ تَعْدِمِ الأَحْجَالَ وَالْقَزَحَا[4]
كَـأَنَّ سِـرْبَ قَـوَافِيهَـا إِذَا سَنَحَـتْ[5] طَيْرٌ عَلَى فَنَنِ الإِحْسَانِ قَدْ صَدَحَا

قافيـة الـدّال

(20)

وكنتُ[6] لما نزلتُ بالينْبُع، لقِيتُ بها الفقيه الأديب المتقن أبا القاسم ابن محمّد ابن شيخ الجماعة وفارسِ الأدباء ومُنَفِّق سوق البلاغة أبـي إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف جدّه بالطُّويجن وقد قدم حاجًّا وفي صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم، كاتب سرّ السلطان ابن الأحمر صاحب غرناطة، الحظيّ لديه، أبـي عبد الله بن زمرك خاطبني فيه بنظم ونثر يتشوّق، ويذكِّرُ بعهود الصّحبة نصُّه:

[الطويل]

سَلُوا الْبَارِقَ النَّجْدِيَّ مِنْ عَلَمَيْ نَجْدِ تَبَسَّمَ فَاسْتَبْكَى جُفُونِي مِنَ الْوَجْدِ

---

(1) «لا تَأْسَيَنَّ» عند نيفر.
(2) «جَنَحَا» عنده.
(3) «بِعِزَّتِهِ» عنده كذلك.
(4) «الإِجْمَالَ والقَزَحا» عنده أيضاً.
(5) «نُسِخَتْ» عنده كذلك.
(6) الكلام لابن خلدون والقصيدة من «التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً» ص 282 ـ 290.

أَجَادَ رُبُوعِي بِاللِّوَى بُورِكَ اللِّوَى[1] ... وَسَحَّ بِهِ صَوْبُ الْغَمَائِمِ مِنْ بَعْدِي

وَيَا زَاجِرِي الأَظْعَانِ وَهْيَ ضَوَامِرٌ ... دَعُوهَا تَرِدْ هِيماً عِطَاشاً عَلَى نَجْدِ

وَلاَ تَنْشَقُوا الأَنْفَاسَ مِنْهَا مَعَ الصَّبَا ... فَإِنَّ زَفِيرَ الشَّوْقِ مِنْ مِثْلِهَا يُعْدِي

بَرَاهَا الْهَوَى بَرْيَ الْقِدَاحِ وخَطَّهَا ... حُرُوفاً عَلَى صَفْحٍ مِنَ القَفْرِ مُمْتَدِّ[2]

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى[3] تُجَاذِبُنِي الْهَوَى ... وَمَا شَوْقُهَا شَوْقِي وَلاَ وَجْدُهَا وَجْدِي

لَئِنْ شَاقَهَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقٍ ... مِيَاهٌ بِفَيْءِ الظِّلِّ لِلْبَانِ وَالرَّنْدِ

فَمَا شَاقَنِي إِلاَّ بُدُورُ خُدُورِهَا ... وَقَدْ لُحْنَ يَوْمَ النَّفْرِ فِي قُضُبٍ مُلْدِ[4]

فَكَمْ فِي قِبَابِ الحَيِّ مِنْ شَمْسِ كِلَّةٍ ... وَفِي فَلَكِ الأَزْرَارِ مِنْ قَمَرٍ سَعْدِ

وَكَمْ صَارِمٍ قَدْ سُلَّ مِنْ لَحْظِ أَحْوَرٍ ... وَكَمْ ذَابِلٍ قَدْ هُزَّ مِنْ نَاعِمِ الْقَدِّ

خُذُوا الْحِذْرَ مِنْ سُكَّانِ رَامَةَ إِنَّهَا ... ضَعِيفَاتُ كَرِّ اللَّحْظِ تَفْتِكُ بِالأُسْدِ

سِهَامُ جُفُونٍ عَنْ قِسِيِّ حَوَاجِبٍ ... يُصَابُ بِهَا قَلْبُ الْبَرِيِّ عَلَى عَمْدِ

وَرَوْضُ جَمَالٍ ضَاعَ عَرْفُ نَسِيمِهِ ... وَمَا ضَاعَ غَيْرُ الْوَرْدِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ

وَنَرْجِسُ لَحْظٍ أَرْسَلَ الدَّمْعَ لُؤْلُؤاً ... فَرَشَّ بِمَاءِ الْوَرْدِ رَوْضاً مِنَ الْوَرْدِ

وَكَمْ غُصُنٍ قَدْ عَانَقَ الْغُصْنَ مِثْلَهُ ... وَكُلٌّ عَلَى كُلٍّ مِنَ الشَّوْقِ يَسْتَعْدِي

قَبِيحُ وَدَاعٍ قَدْ جَلاَ لِعُيُونِنَا ... مَحَاسِنَ مِنْ رَوْضِ الْجَمَالِ بِلا عَدِّ

رَعَى اللَّهُ لَيْلَى لَوْ عَلِمْتُ طَرِيقَهَا ... فَرَشْتُ لأَخْفَافِ الْمَطِيِّ بِهَا خَدِّي

وَمَا شَاقَنِي وَالطَّيْفُ يُرْهِبُ أَدْمُعِي ... وَيَسْبَحُ فِي بَحْرٍ مِنَ اللَّيْلِ مُزْبَدِ

وَقَدْ سُلَّ خَفَّاقُ الذَّوَائِبِ بَارِقٌ ... كَمَا سُلَّ لَمَّاعُ الصِّقَالِ مِنَ الْغِمْدِ

---

(1) اللِّوى: واد من أودية بني سُليم.

(2) براها: نحتها، والقداح: السهام قبل أن تُراش وتنصل.

(3) «أنّي» في التعريف واخترنا قراءة نيفر.

(4) ج. أملد الناعم من الغصون.

وهُزَّتْ مَحلاَّةً يَدُ الشَّوْقِ فِي الدُّجَى … فَحُلَّ الَّذِي أَبْرَمْتُ لِلصَّبْرِ مِنْ عَقْدِي

وَأَفْلَقَ خَفَّاقُ الْجَوَانِحِ نَسْمَةً … تَنِمُّ مَعَ الإِصْبَاحِ خَافِقَةَ الْبُرْدِ

وَهَبَّ عَلِيلٌ لَفَّ طَيَّ بُرُودِهِ … أَحَادِيثَ أَهْدَاهَا إِلَى الْغَوْرِ مِنْ نَجْدِ

سِوَى صَادِحٍ فِي الأَيْكِ لَمْ يَدْرِ مَا الْهَوَى … وَلَكِنْ دَعَا مِنِّي الشُّجُونَ عَلَى وَعْدِ

فَهَلْ عِنْدَ لَيْلَى، نَعَّمُ اللَّهُ لَيْلَهَا، … بِأَنَّ جُفُونِي مَا تَمَلُّ مِنَ السُّهْدِ

وَلَيْلَةِ إِذْ وَافَى[1] الْحَجِيجُ إِلَى مِنَى … وَفَتْ لِي الْمُنَى مِنْهَا بِمَا شِئْتُ مِنْ قَصْدِ

تَقَضَّيْتُ مِنْهَا، فَوْقَ مَا أَحْسِبُ الْمُنَى … وَبُرْدُ عَفَافِي صَانَهُ اللَّهُ مِنْ بُرْدِ

وَلَيْسَ سِوَى لَحْظٍ خَفِيٍّ نُجِيلُهُ … وَشَكْوَى كَمَا ارْفَضَّ الْجُمَانُ مِنَ الْعِقْدِ

غَفَرْتُ لِدَهْرِي بَعْدَهَا كُلَّ مَا جَنَى … سِوَى مَا جَنَى وَفْدُ الْمَشِيبِ عَلَى فَوْدِي

عَرَفْتُ بِهَذَا الشَّيْبِ فَضْلَ شَبِيبَتِي … وَمَا زَالَ فَضْلُ الضِّدِّ يُعْرَفُ بِالضِّدِّ

وَمَنْ نَامَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ضَلاَلَةً … سَيُوقِظُهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ إِلَى الرُّشْدِ

أَمَا وَالْهَوَى مَا حُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْهَوَى … وَلاَ جُزْتُ فِي طُرْقِ الصَّبَابَةِ عَنْ قَصْدِي

تَجَاوَزْتُ حَدَّ الْعَاشِقِينَ الأُلَى قَضَوْا … وَأَقْفَرَ رَبْعُ الْقَلْبِ إِلاَّ مِنَ الْوَجْدِ

إِلَيْكَ أَبَا زَيْدٍ شَكَاةٌ رَفَعْتُهَا … وَمَا أَنْتَ مِنْ عَمْرٍو لَدَيَّ وَلاَ زَيْدِ

بِعَيْشِكَ خَبِّرْنِي وَمَا زِلْتَ مُفْضِلاً … أَعِنْدَكَ مِنْ شَوْقٍ كَمِثْلِ الَّذِي عِنْدِي؟

فَكَمْ ثَارَ بِي شَوْقٌ إِلَيْكَ مُبَرِّحٌ … فَظَلَّتْ يَدُ الأَشْوَاقِ تُقْدَحُ مِنْ زَنْدِي

وَصَفَّقَ حَتَّى الرِّيحُ فِي لُمَمِ الرُّبَا … وَأَشْفَقَ حَتَّى الطِّفْلُ فِي كَبِدِ الْمَهْدِ

يُقَابِلُنِي مِنْكَ الصَّبَاحُ بِوَجْنَةٍ … حَكَى شَفَقاً فِيهِ الْحَيَاءُ الَّذِي تُبْدِي

وَتُوهِمُنِي الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ غُرَّةٌ … بِوَجْهِكَ صَانَ اللَّهُ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّ

مُحَيَّاكَ أَجْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الضُّحَى … وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي الشِّفَاهِ مِنَ الشَّهْدِ

وَمَا أَنْتَ إِلاَّ الشَّمْسُ فِي عُلْوِ أُفْقِهَا … تُفِيدُكَ مِنْ قُرْبٍ وتُلْحَظُ مِنْ بُعْدِ

---

(1) «وَلّى» في التعريف واخترنا قراءة نيفر.

وفِي عَمَهٍ مَنْ لاَ تَرَى الشَّمْسَ عَيْنُهُ ... وَمَا نَفْعُ نُورِ الشَّمْسِ فِي الأَعْيُنِ الرُّمْدِ

مِنَ الْقَوْمِ صَانُوا الْمَجْدَ صَوْنَ عُيُونِهِمْ ... كَمَا قَدْ أَبَاحُوا الْمَالَ يُنْهَبُ لِلرِّفْدِ

إِذَا ازْدَحَمُوا يَوْماً عَلَى الْمَاءِ أُسْوَةً[1] ... فَمَا ازْدَحَمُوا إِلاَّ عَلَى مَوْرِدِ الْمَجْدِ

وَمَهْمَا أَغَارُوا مُنْجِدِينَ صَرِيخَهُمْ ... يَشُبُّونَ نَارَ الْحَرْبِ فِي الغَوْرِ وَالنَّجْدِ

ولَمْ يَقْتَنُوا بَعْدَ الثَّنَاءِ ذَخِيرَةً ... سِوَى الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ وَالصَّافِنِ النَّهْدِ

وَمَا اقْتَسَمَ الأَنْفَالَ إِلاَّ مُمَدَّحٌ ... بَلاَهَا بِأَغْرَافِ المُطَهَّمَةِ الْجُرْدِ

أَتَنْسَى وَلاَ تَنْسَى لَيَالِيَنَا الَّتِي ... خَلَسْنَا بِهِنَّ الْعَيْشَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

رَكِبْنَا إِلَى اللَّذَّاتِ فِي طَلَقِ الصِّبَا ... مَطَايَا اللَّيَالِي وَادِعِينَ إِلَى حَدِّ

فَإِنْ لَمْ نُدِرْ[2] فِيهَا الكُؤُوسَ فَإِنَّنَا ... وَرَدْنَا بِهَا لِلأُنْسِ مُسْتَعْذَبَ الْوِرْدِ

لَقِيتُكَ[3] فِي غَرْبٍ وَأَنْتَ رَئِيسُهُ ... وَبَابُكَ لِلأَعْلاَمِ مُجْتَمَعُ الْوَفْدِ

فَآنَسْتَ حَتَّى مَا شَكَوْتُ بِغُرْبَةٍ ... وَوَالَيْتَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَضَضَ الْفَقْدِ

وَعُدْتُ لِقُطْرِي شَاكِراً مَا بَلَوْتُهُ ... مِنَ الْخُلُقِ الْمَحْمُودِ وَالْحَسَبِ الْعِدِّ[4]

إِلَى أَنْ أَجَزْتَ الْبَحْرَ يَا بَحْرُ نَحْوَنَا ... وَزُرْتَ مَزَارَ الْغَيْثِ فِي عَقِبِ الْجَهْدِ

أَلَذُّ مِنَ النُّعْمَى عَلَى حَالِ فَاقَةٍ ... وَأَشْهَى مِنَ الْوَصْلِ الْهَنِيِّ عَلَى صَدِّ

وَإِذْ سَاءَنِي أَنْ قَوَّضَتْ رَحْلَكَ النَّوَى[5] ... وَعُوِّضْتَ مِنْهَا بِالذَّمِيلِ وبِالْوَخْدِ

لَقَدْ سَرَّنِي أَنْ لُحْتَ فِي أُفُقِ الْعُلَى ... عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ

طَلَعْتَ بِأُفْقِ الشَّرْقِ نَجْمَ هِدَايَةٍ ... فَجِئْتَ مَعَ الأَنْوَارِ فِيهِ عَلَى وَعْدِ

يَمِيناً بِمَنْ تَسْرِي الْمَطِيُّ سَوَاهِماً ... عَلَيْهَا سِهَامٌ قَدْ رَمَتْ هَدَفَ الْقَصْدِ

---

(1) «إذا ازدحَمَتْ يوماً على المال أُسْرَةٌ» في التعريف واخترنا قراءة نيفر.

(2) «لَمْ نَرِدْ» في التعريف.

(3) «أتَيْتُكَ» في التعريف واخترنا قراءة نيفر.

(4) الحسب العِدّ: القديم.

(5) «ولَوْ سَاءَ أَنْ قَوَّضْتَ رَحْلَكَ بالنّوى» عند نيفر.

الَى بَيْتِهِ كَيْمَا تَزُورَ مَعَاهِداً | أَبَانَ بِهَا جِبْرِيلُ عَنْ كَرَمِ الْعَهْدِ

لأَنْتَ الَّذِي[1] مَهْمَا دَجَا لَيْلُ مُشْكِلٍ | قَدَحْتَ بِهِ لِلنُّورِ وَارِيَةَ الزَّنْدِ

وَحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ بِي رِكَابٌ لِطِيَّةٍ | فَأَنْتَ نَجِيُّ النَّفْسِ فِي الْقُرْبِ وَالبُعْدِ

وَإِنِّي بِبَابِ الْمُلْكِ حَيْثُ عَهِدْتَنِي | مَدِيدُ ظِلالِ الْجَاهِ مُسْتَصْحَفُ الْعِقْدِ

أُجَهِّزُ بِالإِنْشَاءِ كُلَّ كَتِيبَةٍ | مِنَ الْكُتْبِ وَالْكُتَّابُ فِي عَرْضِهَا جُنْدِي

نَلُوذُ مِنَ الْمَوْلَى الإِمَامِ مُحَمَّدٍ | بِظِلٍّ عَلَى نَهْرِ المَجَرَّةِ[2] مُمْتَدِّ

إِذَا فَاضَ مِنْ يُمْنَاهُ بَحْرُ سَمَاحَةٍ | وَعَمَّ بِهِ الطُّوفَانُ فِي النَّجْدِ وَالْوَهْدِ

رَكِبْنَا إِلَى الإِحْسَانِ فِي سُفُنِ الرَّجَا[3] | بُحُورَ عَطَاءٍ لَيْسَ تَزْجُرُ عَنْ مَدِّ

فَمَنْ مُبْلِغُ الأَمْصَارَ[4] عَنِّي أَلُوكَةً | مُغَلْغَلَةً فِي الصِّدْقِ مُنْجَزَةَ الْوَعْدِ

بِآيَةِ مَا أَعْطَى الْخَلِيفَةَ رَبُّهُ | مَفَاتِيحَ فَتْحٍ سَاقَهَا سَائِقُ السَّعْدِ

وَدُونَكَ مِنْ رَوْضِ الْمَحَامِدِ نَفْحَةً | تَفُوقُ إِذَا اصْطَفَّ النَّدِيُّ عَلَى النِّدِّ

ثَنَاءٌ يَقُولُ الْمِسْكُ إِنْ ضَاعَ عَرْفُهُ: | أَيَا لَكَ مِنْ نَدٍّ أَمَا لَكَ مِنْ نِدِّ!

وَمَا الْمَاءُ فِي جَوِّ السَّحَابِ مُرَوَّقاً | بِأَطْهَرَ ذَاتاً مِنْكَ فِي كَنَفِ الْمَهْدِ

فَكَيْفَ وَقَدْ حَلَّتْكَ أَسْرَابُهَا الْعُلَى[5] | وَبَاهَتْ بِكَ الأَعْلاَمَ بِالْعَلَمِ الْفَرْدِ

وَمَا الطَّلُّ فِي ثَغْرٍ مِنَ الزَّهْرِ بَاسِمٍ | بِأَصْفَى وَأَذْكَى مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ وُدِّي

وَلاَ الْبَدْرُ مَعْصُوباً بِتَاجِ تَمَامِهِ | بِأَبْهَرَ مِنْ وُدِّي وَأَسْيَرَ مِنْ حَمْدِي

بَقِيتَ ابْنَ خَلْدُونٍ إِمَامَ هِدَايَةٍ | وَلاَ زِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

---

(1) «لنا» عند نيفر.

(2) «المبرّة» عنده كذلك.

(3) «الرِّضا» عنده.

(4) «الأنصار» عنده كذلك.

(5) «أشرافَها العُلَى» عنده.

(21)

وممّا يرجع إلى باب الفخر، ولعمري لقد صدق[1]؛ قوله:

[الطويل]

أَلاَئِمَتِي[2] فِي الْجُودِ وَالْجُودُ شِيمَتِي[3] — جُبِلْتُ عَلَى آثَارِهَا[4] يَوْمَ مَوْلِدِي

ذَرِينِي فَلَوْ أَنِّي أُخَلَّدُ بِالْغِنَى — لَكُنْتُ ضَنِيناً بِالَّذِي مَلَكَتْ[5] يَدِي

(22)

ومنها [في وصف القَرَنْفُل الصّعب الاجتناء بجبل الفتح وقد وقّع له مولانا الغنيّ بالله بذلك، فارتجل قطعاً منها][6]:

[الطويل]

رَعَى اللَّهُ زَهْراً يَنْتَمِي لِقَرَنْفُلٍ — حَكَى عَرْفَ مَنْ أَهْوَى وَإِشْرَاقَ خَدِّهِ

وَمَنْبِتُهُ فِي شَاهِقٍ مُتَمَنِّعٍ — كَمَا امْتَنَعَ الْمَحْبُوبُ فِي تِيهِ صَدِّهِ

أَمِيلُ إِذَا الأَغْصَانُ مَالَتْ بِرَوْضَةٍ — أُعَانِقُ مِنْهَا الْقُضْبَ شَوْقاً لِقَدِّهِ

وَأَهْفُو لِخَفَّاقِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى — وَأَهْوَى[7] أَرِيجَ الطِّيبِ مِنْ عَرْفِ نَدِّهِ

---

(1) العبارة لابن الخطيب: الإحاطة II/ 236؛ وعنه نقل المقّري هذه المقطوعة.

(2) كذا في إحاطة، «ولائِمَتي» في (أزهار: II/ 10؛ «أَلاَئِمَةً» في (نفح: 8/ 18).

(3) «شِيمَةٌ» في نفح.

(4) كذا في إحاطة؛ «إيثارِهَا» في أزهار ونفح.

(5) «كَسَبَتْ» عند نيفر.

(6) الإضافة من أزهار: II/ 40 وقد أورد مقطوعات في الغرض نفسه.

(7) «أُهْدِي» عند نيفر.

(23)

وفي مثل ذلك قوله[1]: [مجزوء الكامل]

إنَّ الإمَــــامَ مُحَمَّــــدَا أهْــدَى الْخَلِيفَــةَ أَحْمَــدَا
لِلِبَــاسِــهِ[2] ثَــوْبــاً وَقَــدْ لَبِسَ الْمَحَــامِــدَ[3] وَارْتَـدَى
وَغَمَــامَــةُ الشَّفَـقِ الَّــذِي[4] مِـنْ فَـوْقِهَـا شَمْـسُ الهُـدَى
يَـا حُسْنَهَـا إِذْ أَوْسَلَـتْ مِـنْ كَفِّـهِ غَيْـثَ النَّـدَى
وَكَــأَنَّ وَشْــيَ رُقُــومِهَـا بِـالْبَـرْقِ طُــرِّزَ عَسْجَـدَا
وَبِطَــرْزِهِ لَــوْنُ السَّمَـا ءِ وَوَجْهُــهُ قَمَــرٌ بَــدَا
لِلَّــهِ مِنْــهُ نَيِّــرٌ حَـلَّ الْمَنَــازِلَ أَسْعُــدَا
مُنْتَصِــرٌ، أَعْلَــى لَــهُ فَـوْقَ الْكَـوَاكِـبِ مَصْعَـدَا[5]

(24)

وقال في مثله[6] وقد ركب رحمة الله عليه لمعاهد حضرته:

[الطويل]

هَنِيئـاً هَنِيئـاً لاَ نَفَـادَ لِعَـدِّهِ وَبُشْـرَى لِـدِيـنِ اللَّـهِ إِنْجَـازُ وَعْـدِهِ
فَقَـدْ لاَحَ بَـدْرُ التِمِّ فِـي أُفْـقِ الْعُلَـى وَحَـلَّ كَمَـا يَـرْضَـى مَنَـازِلَ سَعْـدِهِ
وَطَـافَ أَمِيـرُ[7] الْمُسْلِمِيـنَ مُحَمَّـدٌ بِحَضْـرَتِـهِ الْعُلْيَـا مُبَلِّـغَ قَصْـدِهِ

---

(1) أي في الرسم على ثوب في بعض هدايا مولانا [الغني بالله] رحمه الله تعالى للسلطان أبي العباس [المريني]» (راجع أزهار: II/ 133).
(2) «مِلْبَاسَهُ» عند نيفر.
(3) «المَحَاسِنُ» عنده كذلك.
(4) «وعِمَامَةُ التَّقْوَى الَّتِي» في أزهار؛ «وعِمامة الشفق التي» في نفح؛ واخترنا قراءة نيفر.
(5) «فَوْقَ الْمَنَازِلِ أَسْعُدَا» في نفح.
(6) أي مهنّئاً بشفاء الغنيّ بالله.
(7) «إِمَامُ» في نفح.

وَلاَحَتْ بِهَا الأَنْوَارُ مِنْ بِشْرِ وَجْهِهِ وَفَاحَ بِهَا النُّوَّارُ[1] مِنْ نَشْرِ حَمْدِهِ
وَأَبْصَرَتِ الأَبْصَارُ شَمْسَ هِدَايَةٍ وَأَشْرَقَتِ الأَرْجَاءُ مِنْ زُهْرِ وَفْدِهِ
وَلَوَّحَتِ الأَعْلاَمُ فِيهَا بِنَصْرِهِ كَمَا لَوَّحَ الصُّبْحُ الْمُبِينُ بِبَنْدِهِ
سَتُهْدِي لَهُ الأَيَّامُ كُلَّ مَسَرَّةٍ وَيُحْيِي بِهَا الرَّحْمَانُ آثَارَ جَدِّهِ
فَسُلَّ حُسَامَ السَّعْدِ وَاضْرِبْ بِهِ الْعِدَا[2] وَخَلِّ حُسَامَ الْهِنْدِ فِي كَنْزِ[3] غِمْدِهِ
فَسَيْفُكَ سَيْفُ اللَّهِ مَهْمَا سَلَلْتَهُ يُقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ قَائِمُ حَدِّهِ

(25)

وأنشده وقد عاد ـ رحمة الله عليه ـ من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشُّوار[4]:

[الطويل]

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ قَدِمْتَ مَعَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ
وَقَدْ عُدْتَ مِنْ جَبْلِ الشُّوَارِ لِتَجْتَلِي عَقَائِلَ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ بِلاَ عَدِّ

(26)

وفيه[5]: [مجزوء الرّمل]

أَيُّ[6] قَوْسٍ ذِي جَمَالٍ[7] سَهْمُهُ سَهْمُ سَعَادَهْ
مَلِكُ الإِبْرِيقِ فِيهِ عُوِّدَ الإِحْسَانَ عَادَهْ

---

(1) «وفاحَتْ بها الأنوارُ» عند نيفر.
(2) كذا قراءة نفح؛ وفي أزهار: «واضْرِبْ بحَدِّه».
(3) «كَنٍّ» في أزهار.
(4) أو «الشّارات» عند الإدريسي، وهو الشّلير من سلسلة (سيرّانيفادا).
(5) أي فيما «رُسِمَ في طيقان الأبواب بالمباني السعيدة التي ابتناها مولانا [الغنيّ بالله] رضي الله عنه» (أزهار: II/ 139).
(6) «أنا» عند نيفر.
(7) «كَمَالٍ» في أزهار.

ذُو صَـــلاةٍ مِـــنْ صِـــلاَتٍ   كُلُّهَـــا دَأْبَـــاً مُعَـــادَهْ

(27)

وفي المعنى[1] ممّا كتبه لمُبتنَى لعمّنا الأمير سعد[2] رحمـــة الله تعالى عليه:

[مخلّع البسيط]

اُنْظُـــرْ لأُفْـــقِ جَمَـــالٍ   بِـــهِ[3] الأَبَـــارِيـــقُ تَصْعَـــدْ
حُسْـــنٌ بَـــدِيـــعٌ[4] حَبَـــاهُ   بِـــهِ الأَمِيـــرُ الْمُمَجَّـــدْ
فَخْـــرُ الإِمَـــارَةِ سَعْـــدٌ   بِـــهِ الْخَلِيفَـــةُ يَسْعَـــدْ
وَكَيْـــفَ لاَ وَأَبُـــوهُ   فَخْـــرُ الْمُلُـــوكِ مُحَمَّـــدْ؟
عَلَيْـــهِ حَلْـــيُ رِضَـــاهُ   فِـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ تَجَـــدَّدْ

(28)

وفي مثله[5]:

[الكامل]

مَـا لِلْعَـوَالِـمِ جُمِّعَـتْ فِـي قُبَّـةٍ   قَـدْ شَـادَهَـا كَـرَمُ الإِمَـامِ مُحَمَّـدِ
فِـي صَفْـحِ صَـرْحٍ بِـالـزُّجَـاجِ مُمَـوَّهٍ   وَبِجُـودِ مَـوْلاَيَ الإِمَـامِ مُمَهَّـدِ
مَـا إِنْ رَأَيْـتُ وَلاَ سَمِعْـتُ كطَـائِـرٍ[6]   عَـنْ ثَـوْبِ مَـوْشِـيِّ الـرِّيَـاشِ مُجَـرَّدِ

---

(1) أي ممّا رسم في طيقـان الأبواب.
(2) هو أحد أبناء الغنيّ بالله الخمسة ولم يحكم بعده (انظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص 24 وما بعدها؛ دائرة المعارف (اللغة الفرنسية) فصل بنـي نصر VII/ 1022).
(3) «فِيهِ» عند نيفر.
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بَدِيع حُسْنٍ».
(5) أي في غرض الشكر على ما أهداه من مغطّى صنهاجي.
(6) «بِطَائِرٍ» في أزهار.

إِنْ لَـمْ تَكُـنْ تِلْـكَ الطُّيُـورُ تَغَـرَّدَتْ فَلِشُكْـرِ هَـذَا الْعَبْـدِ سَجْـعُ مُغَـرِّدِ
صُفَّـتْ عَلَيْهَـا لِلْفَـوَاكِـهِ كُـلَّ مَـا قَـدْ عَـاهَـدَتْـهُ بِـدَوْحِهَـا الْمُتَعَـوَّدِ
لَـوْ أَبْصَـرَتْ صَنْهَـاجَـةٌ أَوْضَـاعَـهُ دَانَـتْ لَـهُ أَمْـلاَكُهَـا بِتَعَبُّـدِ
عَـوَّدْتَنِـي الصُّنْـعَ الجَمِيـلَ تَفَضُّـلاً لا زِلْـتَ خَيْـرَ مُعَـوَّدٍ ومُعَـوِّدِ
وَبِسُـورَةِ الأَنْعَـامِ كَـمْ مِـنْ آيَـةٍ فِيهَـا لِقَـارِ بِـالنَّـوَالِ مُجَـوِّدِ

(29)

وأنشد على لحده[1] المقدّس ـ رحمه الله تعالى ـ في المعنى قوله:

[الطويل]

ضَـرِيـحَ أَمِيـرِ الْمُسْلِمِيـنَ مُحَمَّـدِ يَخُصُّـكَ رَبِّـي بِـالسَّـلاَمِ الْمُـرَدَّدِ
وَحَيَّـاكَ[2] مِـنْ رَوْحِ الإِلاَهِ تَحِيَّـةٌ مَـعَ الْمَـلَإِ الأَعْلَـى تَـرُوحُ وتَغْتَـدِي
وَشَقَّتْ جُيُوبَ الزَّهْرِ فِيكَ كَمَائِمٌ يَرِفُّ بِهَا الرَّيْحَانُ عَن خَضِرٍ[3] نَدِيِّ
وَصَابَتْ مِنَ الرُّحْمَى عَلَيْكَ غَمَائِمٌ تُـرَوِّي ثَـرَى هَـذَا الضَّـرِيـحِ الْمُنَجَّـدِ
وَزَارَتْـكَ مِـنْ حُـورِ الْجِنَـانِ أَوَانِـسٌ نَـوَاعِـمُ فِـي كُـلِّ النَّعِيـمِ الْمُخَلَّـدِ
وَجَـاءَتْـكَ بِـالْبُشْـرَى مَـلاَئِكَـةُ الـرِّضَـا كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الْمُمَجَّدِ
وَصَـافَـحَ مِنْـكَ الـرَّوْضُ أَطْيَـبَ تُـرْبَـةٍ وَعَـاهَـدَ مِنْـكَ الْمُـزْنُ أَكْـرَمَ مَعْهَـدِ
رِضَـا اللَّـهِ وَالصَّفْـحُ الْجَمِيـلُ وَعَفْـوُهُ يُـوَالِـي عَلَـى ذَاكَ الصَّفِيـحِ الْمُنَضَّـدِ
وَيَا صَدَفاً قَدْ حَازَ[4] مِنْ جَوْهَرِ الْعُلاَ لِكُـلٍّ[5] نَفِيـسٍ بِـالنَّفَـاسَـةِ مُفْـرَدِ
أَعِنْـدَكَ أَنَّ الحِلْـمَ وَالْعِلْـمَ وَالْحِجَـا وَزَهْرَ الْحُلَى قَدْ أُدْرِجَتْ طَـيَّ مُلْحَدِ

(1) أي في رثاء الغنيّ بالله.
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وحَيَّتْكَ» (X/ 97).
(3) «خَضِلٍ» في نفح.
(4) «فَازَ» في نفس المصدر.
(5) «بِكُلِّ» فيه كذلك.

وَهَلْ أَنْتَ إِلاَّ هَالَةُ الْقَمَرِ الَّذِي ... بِنُورِ هُدَاهُ الشُّهْبُ تَهْدِي وَتَهْتَدِي

وَيَا عَجَباً مِنْ ذَلِكَ التُّرْبِ كَيْفَ لاَ ... يَفِيضُ بِبَحْرٍ لِلسَّمَاحَةِ مُزْبِدِ

لَقَدْ ضَاقَتِ الأَكْوَانُ وَهْيَ رَحِيبَةٌ ... بِمَا حُزْتَ مِنْ فَخْرٍ عَظِيمٍ وَسُؤْدَدِ

قَدِمْتَ عَلَى الرَّحْمَانِ أَكْرَمَ مَقْدَمٍ ... وَزُوِّدْتَ مِنْ رُحْمَاهُ خَيْرَ مُزَوَّدِ

أَقَامَ بِكَ الْمَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... مُؤَمِّلَ فَوْزٍ بِالشَّفِيعِ مُحَمَّدِ

فَجَاءَ كَمَا يَرْضَى[1] وَتَرْضَى بِهِ الْعُلاَ ... وَأَنْجَزَ لِلآمَالِ أَكْرَمَ مَوْعِدِ

وَمَدَّ ظِلاَلَ الْعَدْلِ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... وَكَفَّ أَكُفَّ الْبَغْيِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي

وَقَامَ بِمَفْرُوضِ الْجِهَادِ عَنِ الوَرَى ... وَعَوَّدَ دِينَ اللَّهِ خَيْرَ مُعَوَّدِ

قَضَى بَعْدَمَا قَضَّى الْخِلاَفَةَ حَقَّهَا ... وَعَامَلَ وَجْهَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَقْصِدِ

وَفَتَّحَ بِالسَّيْفِ الْمَمَالِكَ عَنْوَةً ... وَمَدَّتْ لَهُ أَمْلاَكُهَا كَفَّ مُجْتَدِي

وَكَسَّرَ تِمْثَالَ الصَّلِيبِ وَأُخْرِسَتْ ... نَوَاقِيسُ كَانَتْ لِلضَّلاَلِ بِمَرْصَدِ

وَطَهَّرَ مِحْرَاباً وَجَدَّدَ مِنْبَراً ... وَأَعْلَنَ ذِكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ

وَدَانَتْ لَهُ الأَمْلاَكُ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... وَكُلُّهُمُ أَلْقَى لَهُ الْمُلْكَ بِالْيَدِ

وَطَبَّقَ مَعْمُورَ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُهُ ... وَسَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ فَدْفَدِ

وَسَافَرَ عَنْ دَارِ الْفَنَاءِ لِيَجْتَنِي[2] ... بِمَا قَدَّمَ الْيَوْمَ السَّعَادَةَ فِي غَدِ

وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَقَّ قِيَامِهِ ... بِعَزْمَةِ لاَ وَانٍ وَلاَ مُتَرَدِّدِ

لَئِنْ سَارَ لِلرَّحْمَانِ خَيْرَ مُوَدَّعٍ ... وَحَلَّ مِنَ الْفِرْدَوْسِ أَشْرَفَ مَقْعَدِ

فَقَدْ خَلَّفَ الْمَوْلَى الْخَلِيفَةَ يُوسُفاً ... يُعِيدُ لَهُ غُرَّ الْمَسَاعِي وَيَبْتَدِي

سَبِيلَكَ فِي سُبْلِ الْمَكَارِمِ يَقْتَفِي ... وَهَدْيَكَ يَا خَيْرَ الأَئِمَّةِ يَقْتَدِي

مُحَمَّدُ جَلَّى الْخَطْبَ مِنْ بَعْدِ يُوسُفٍ ... وَيُوسُفُ جَلَّى الْخَطْبَ بَعْدَ مُحَمَّدِ

---

(1) «تَرْضَى» في نفح.

(2) «لِيَجْتَلِي» في نفس المصدر.

وَلَـو وَجَـدَ النَّـاسُ الْفِـدَاءَ مُسَـوَّغـاً فَـدَاكَ بِبَـذْلِ النَّفْـسِ كُـلُّ مُـوَحِّـدِ
سَتَبْكِيـكَ أَرْضٌ كُنْـتَ غَيْـثَ بِـلادِهَـا وَتَبْكِيكَ حَتَّى الشُّهْبُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَتَبْكِي عَلَيْكَ السُّحْبُ مِلْءَ جُفُونِهَا بِدَمْعٍ يُرَوِّي غُلَّةَ الْمُجْدِبِ الصَّدِي
وَتَلْبَـسُ فِيـكَ النَّيِّـرَاتُ ظَـلاَمَهَـا حِـدَاداً وَيُـذْكِي النَّجْـمُ جَفْـنَ مُسَهَّـدِ
وَمَـا هِـيَ إِلاَّ أَعْيُـنٌ قَـدْ تَسَهَّـدَتْ فَكَحَّلَهَـا نَجْـمُ الظَّـلاَمِ بِـإِثْمِـدِ
فَـلاَ زِلْـتَ فِـي ظِـلِّ النَّعِيـمِ مُخَلَّـداً وَنَجْلُـكَ يَحْيَـا بِـالْبَقَـاءِ الْمُخَلَّـدِ
وَأَوْرَدَكَ الـرَّحْمَـانُ حَـوْضَ نَبِيِّـهِ وَأَصْدَرَ مَنْ خَلَّفْتَ عَنْ خَيْرِ مَوْرِدِ
عَلَيْـكَ سَـلاَمٌ مِثْـلُ حَمْـدِكَ عَـاطِـرٌ يَفُضُّ خِتَامَ الْمِسْكِ عَنْ تُرْبِكَ النَّدِي
وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ صَـلاَةً بِهَـا نَـرْجُـو الشَّفَـاعَـةَ فِي غَـدِ

(30)

وقال أيضاً فيه[1] وقد نزل بالوَلَجة من مرج الحضرة:

[الخفيف]

مَنْـزِلُ الْيُمْـنِ وَالـرِّضَـا وَالسُّعُـودِ أُنْجِـزَتْ فِيـهِ صَـادِقَـاتُ الْـوُعُـودِ
كُـلُّ يَـوْمٍ نَـزَاهَـةٌ إِنْ تَقَضَّـتْ أَنْشَـدَتْهَـا السُّعُـودُ: بِـاللَّـهِ عُـودِي
جَمَـعَ الْمُسْتَعِيـنُ وَصْـفَ كَمَـالٍ بَيْـنَ بَـأْسٍ عَـمَّ الْمُلُـوكَ وَجُـودِ
فَـاهْـنَ فِـي غِبْطَـةٍ وعِـزَّةِ مُلْـكٍ أَنْـتَ وَاللَّـهِ فَخْـرُ هَـذَا الْـوُجُـودِ

(31)

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ يخاطب كُتَّابَ الإنشاء بالمغرب وقد حضر هنالك ميلاد الرسول ﷺ، وأُنشِدَتْ قصائدُهم واستنجز بعد ذلك وَعْدَهم بتقييد نسخها

(1) في السلطان أبي عبد الله مُحمّد السابع الملقب بالمستعين وهو أخو جامع الديوان.

بمقطوعات مرتجلة أجابوه عنها، منها:

[الكامل]

أَكَتِيبَــةَ الْكُتَّــابِ أُيِّــدَ جَمْعُكُــمْ بِعِنَـايَـةِ الْمَـوْلَـى الْخَلِيفَـةِ أَحْمَـدِ
لاَ تَمْطُلُـوا دَيْـنَ الْغَـرِيـبِ فَـإِنَّنِـي مِنْكُـمْ وَإِنْ رَغِمَـتْ لِـذَلِـكَ حُسَّـدِي
زَيَّنْتُـمُ حَفْــلَ الْبَيَــانِ بِسِحْــرِكُــمْ أَلِيَـوْمِ زِينَـةِ سِحْـرِكُـمْ مِـنْ مَـوْعِـدِ؟
فَلْتَسْمَحُـوا لِـي بَـالْقَصَـائِـدِ عَـاجِـلاً وَلْتَبْلُغُــوا مِمَّــا أُؤَمِّــلُ مَقْصِــدِي

(32)

وقال أيضاً:

[الطويل]

أَيَــا عِلْيَــةَ الكُتَّــابِ دَعْــوَةَ مُنْصِــفٍ عَلَيْكُمْ بِكُمْ فِي مَقْطَعِ الْحَقِّ يَسْتَعْدِي
سَمَحْتُـمْ بِنَظْـمِ الـدُّرِّ فِـي لَبَّـةِ الْعُـلاَ فَكَمْ رَاقَ مِنْ سِمْطٍ هُنَاكَ وَمِنْ عِقْدِ
فَمَـا ضَـرَّكُـمْ أَنْ تَسْمَحُـوا لِـي بِكَتْبِهَـا فَتَسْتَجْزِلُوا شُكْرِي وتَسْتَوْجِبُوا حَمْدِي

(33)

وقال أيضاً:

[الكامل]

مَــا عُــذْرُكَـمْ أَنْ لَـمْ تَجُـودُوا بَعْـدَمَـا مُلِّكْتُــمُ كَــفَّ الْخَلِيفَــةِ أَحْمَــدِ
فَلْتَبْعَثُــوا لِــي كُــلَّ بِكْــرٍ فَــذَّةٍ تَـأْتِـي بِفَخْـرِ خِـلاَلِهَـا وَسْطَ النَّـدِي

(34)

وقال يراجع الكاتب أبا زكريا ابن أبي دلامة[1] منهم، وقد أجابه ـ رحمة

(1) لم نعثر على ترجمته في المراجع.

الله تعالى عليه ـ:

[الطويل]

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ ... أَتَتْنِي مَعَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ

وَأَحْيَيْتَ يَا يَحْيَــى بِهَا نَفْسَ مُغْرَمٍ ... يُجِيلُ جِيَادَ الدَّمْعِ فِي مَلْعَبِ السُّهْدِ

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى وَفَائِي وَخِلَّتِي ... وَأَقْفَرَ رَبْعُ الْقَلْبِ إِلاَّ مِنَ الْوَجْدِ

وَمَا الطَّلُّ فِي ثَغْرٍ مِنَ الزَّهْرِ بَاسِمٍ ... بِأَذْكَى[1] وَأَصْفَى مِنْ ثَنَائِي وَمِنْ وُدِّي

فأَصْدَقْتُهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِراً ... تُنَظَّمُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِيِّ فِي عِقْدِ

وَكُنْتُ أُطِيلُ الْقَوْلَ لَوْلاَ ضَرُورَةٌ ... دَعَتْنِي إِلَى الإِيجَازِ فِي سُورَةِ الْحَمْدِ

(35)

وأنشد السلطانَ أبا العباس المذكور في غُراب من إنشائه:

[الطويل]

أَإِنْسَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا ... يَحُفُّكَ مِنْهُ طَائِرُ الْيُمْنِ وَالسَّعْدِ

إِذَا مَا هَفَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ شِرَاعُهُ ... أَرَاكَ جَنَاحاً مُدَّ لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ

(36)

ثم قال: ومن ذلك في الصّنيع[2] المختصّ بالأمراء الجلّة: أخينا المعزّ لدولتنا أبي الحسن، وأخينا أبي العبّاس، وابن عمّنا أبي عبد الله وَصَلَ اللَّهُ سعودَهم، ولقد أبدع في تشييده وتأسيسه وبسط يد الحسن من براعة تخميسه، وذلك عام عودة مولانا رحمة الله عليه من سبته لما عادت إلى ملكه، قال:

[الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ مِثْلَ جَفْنِيَ سَاهِراً ... يُنَظِّمُ مِنْ قَطْرِ الْغَمَامِ جَوَاهِرَا

---

(1) كذا قراءة أزهار؛ وفي نفح: «بأزْكى».

(2) يقصد بالصَّنيع موكب الإعذار والختان (انظر البيت 21 من القصيدة).

فَأَضْحَكَ زَهْرُ الرَّوْضِ مِنْهُ[1] أَزَاهِراً وَصُبْحٍ حَكَى وَجْهَ الْخَلِيفَةِ بَاهِرَا
تَجَشَّمَ مِنْ نُورِ الْهُدَى وَتَجَسَّدَا

شِفَائِيَ[2] مُعْتَلُّ النَّسِيمِ إِذَا انْبَرَى وَأَسْنَدَ عَنْ دَمْعِي الْحَدِيثَ الَّذِي جَرَى
وَقَدْ فَتَقَ الأَرْجَاءَ مِسْكاً وَعَنْبَراً كَأَنَّ الْغَنِي بِاللَّهِ فِي الرَّوْضِ قَدْ سَرَى
فَهَبَّتْ بِهِ الأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ الرِّدَا

عَذِيرِيَ مِنْ قَلْبٍ إِلَى الْحُسْنِ قَدْ صَبَا تُهَيِّجُهُ الذِّكْرَى وَيَصْبُو إِلَى الصَّبَا
وَيُجْرِي جِيَادَ اللَّهْوِ فِي مَلْعَبِ الصِّبَا وَلَوْلاَ ابْنُ نَصْرٍ مَا أَفَاقَ وَأَعْتَبَا
رَأَى وَجْهَهُ صُبْحُ الْهِدَايَةِ فَاهْتَدَى

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ شِكَايَةً جَنَى الْحُسْنُ فِيهَا لِلْقُلُوبِ جِنَايَةً
وَأَعْظَمَ فِيهَا بِالْعُيُونِ نِكَايَةً وَأَطْلَعَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ آيَةً
مُحَيًّا جَمِيلاً بِالصَّبَاحِ قَدِ ارْتَدَى

بِهَدْيِكَ تُهْدَى النَّيِّرَاتُ وتَهْتَدِي وَأَنْوَاءُهَا جَدْوَى يَمِينكَ تَجْتَدِي
وَعَدْلُكَ لِلأَمْلاَكِ أَوْضَحُ مُرْشِدِ بِآثَارِهِ فِي مُشْكِلِ الأَمْرِ تَقْتَدِي
فَمَا بَالُ سُلْطَانِ الْجَمَالِ قَدِ اعْتَدَى

تَحَكَّمَ مِنَّا فِي نُفُوسٍ ضَعِيفَةٍ وَسَلَّ سُيُوفاً مِنْ جُفُونٍ نَحِيفَةٍ
أَلَمْ يَدْرِ أَنَّا فِي ظِلاَلِ خَلِيفَةٍ وَصَوْلَةِ أَمْنٍ لاَ تُرَاعُ مُنِيفَةٍ
بِهَا قَدْ رَسَا دِينُ الْهُدَى وَتَمَهَّدَا

خُذُوا بِدَمِ الْمُشْتَاقِ لَحْظاً أَرَاقَهُ وَبَرْقاً بِأَعْلاَمِ الثَّنِيَّةِ شَاقَهُ
وَإِنْ كَلَّفُوهُ فَوْقَ مَا قَدْ أَطَاقَهُ يَبُثُّ حَدِيثاً مَا أَلَذَّ مَسَاقَهُ
خَلِيفَتَنَا الْمَوْلَى الإِمَامَ مُحَمَّدَا

تَقَلَّدَ حُكْمَ الْعَدْلِ دِيناً وَمَذْهَباً وَجَوْرَ اللَّيَالِي قَدْ أَزَاحَ وَأَذْهَبَا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فيبسِمُ ثغر الروض عنه» (X/56).

(2) «شَفَائِيَ» في نفح.

فَيَـا عَجَبـاً لِلشَّـوْقِ أَذْكَـى وَأَلْهَبَـا وَسَلَّ صَبَـاحـاً صَـارِمَ الْبَـرْقِ مُـذْهَبَـا

وَقَدْ بَاتَ فِي جَفْنِ الْغَمَامَةِ مُغْمَدَا

يُـذَكِّـرُنِـي ثَغْـراً لأَسْمَـاءَ أَشْنَبَـا إِذَا ابْتَسَمَـتْ تَجْلُـو مِـنَ اللَّيْـلِ غَيْهَبَـا

كَعَـزْمِ أَمِيـرِ الْمُسْلِمِيـنِ إِذَا اخْتَبَـى وَأَجْـرَى بِـهِ طِـرْفـاً مِـنَ الصُّبْـحِ أَشْهَبَـا

وَأَصْـدَرَ فِـي ذَاتِ الإِلاَهِ وَأَوْرَدَا

فَسُبْحَـانَ مَـنْ أَجْـرَى الـرِّيَـاحَ بِنَصْـرِهِ وَعَطَّـرَ أَنْفَـاسَ الـرِّيَـاضِ بِشُكْـرِهِ

فَبُـرْدُ الصَّبَـا يُطْـوَى عَلَـى طِيـبِ نَشْـرِهِ وَمَهْمَـا تَجَلَّـى وَجْهُـهُ وَسْـطَ قَصْـرِهِ

تَـرَى هَـالَـةً بَـدْرُ السَّمَـاءِ بِهَـا بَـدَا

إِمَـامٌ أَفَـادَ الْمَعْلُـوَاتِ زَمَـانُـهُ فَمَـا لَحِقَـتْ زُهْـرُ النُّجُـومِ مَكَـانَـهُ

وَمَـدَّ عَلَـى شَـرْقٍ وَغَـرْبٍ أَمَـانَـهُ وَلاَ عَيْـبَ فِيـهِ غَيْـرَ أَنَّ بَنَـانَـهُ

تُغَـرِّقُ مُسْتَجْـدِيـهِ فِـي أَبْحُـرِ النَّـدَا

هُـوَ الْبَحْـرُ مَـدَّ الْعَـارِضَ الْمُتَهَلِّـلاَ هُـوَ الْبَـدْرُ لَكِـنْ لاَ يَـزَالُ مُكَمَّـلاَ

هُوَ الدَّهْرُ لاَ يَخْشَى الْخُطُوبَ وَلاَ وَلاَ هُـوَ الْعَلَـمُ الْخَفَّـاقُ فِـي هَضْبَـةِ الْعُـلاَ

هُوَ الصَّارِمُ الْمَشْهُورُ فِي نُصْرَةِ الْهُدَى

أَمَـا وَالَّـذِي أَعْطَـى الْـوُجُـودَ وُجُـودَهُ وَأَوْسَـعَ مِـنْ فَـوْقِ الْبَسِيطَـةِ جُـودَهُ

لَقَـدْ أَصْحَـبَ النَّصْـرَ الْعَـزِيـزَ بُنُـودَهُ وَمَـدَّ بِـأَمْـلاَكِ السَّمَـاءِ جُنُـودَهُ

وَأَنْجَـزَ لِـلإِسْـلاَمِ بِـالنَّصْـرِ مَـوْعِـدَا

أَمَـوْلاَيَ قَـدْ أَنْجَحْـتَ رَأْيـاً وَرَايَـةً وَلَـمْ تُبْـقِ فِـي سَبْـقِ الْمَكَـارِمِ غَـايَـةً

فَتَهْـدِي سَجَـايَـاكَ ابْـنَ رُشْـدٍ[1] نِهَـايَـةً وَإِنْ كَـانَ هَـذَا السَّعْـدُ مِنْـكَ بِـدَايَـةً

سَيَبْقَـى عَلَـى مَـرِّ الـزَّمَـانِ مُخَلَّـدَا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فتَهْدِي سَجَايَا كابْنِ رُشدٍ»؛ يريد: إذا كان ابن رشد قد جاء «ببداية المجتهد» فقد جاءت سجاياك بالنهاية التي لا مطلب وراءها لمجتهد.

سُعُـودُكَ تُغْنِـي عَـنْ قِـرَاعِ الْكَتَـائِـبِ وَجُـودُكَ يُـزْرِي بِـالْغَمَـامِ السَّـوَاكِـبِ
وَإِنْ زَاحَمَتْهَـا شُهْبُهَـا بِـالْمَنَـاكِـبِ وَوَجْهُـكَ بَـدْرُ الْمُنْتَـدَى وَالْمَـوَاكِـبِ
وَقَدْ فَسَحَتْ فِي الْفَخْرِ أَبْنَاؤُكَ الْمَدَى

بَنُـوكَ كَـأَمْثَـالِ الأَنَـامِـلِ عِـدَّةً أُعِـدَّتْ لِمَـا يُخْشَـى مِـنَ الـدَّهْـرِ عُـدَّةً
وَزِيـدَ بِهِـمْ بُـرْدُ الْخِـلاَفَـةِ جِـدَّةً أَطَـالَ لَهُـمْ فِـي ظِـلِّ مُلْكِـكَ مُـدَّةً
إِلاَهٌ يُطِيـلُ الْعُمْـرَ مِنْـكَ مُـؤَبَّـدَا

بُـدُورٌ بِـأَوْصَـافِ الْكَمَـالِ اسْتَقَلَّـتِ غَمَـامٌ بِفَيَّـاضِ النَّـوَالِ اسْتَهَلَّـتِ
سُيُـوفٌ عَلَى الأَعْدَاءِ بِـالنَّصْـرِ سُلَّـتِ نُجُـومٌ بِـآفَـاقِ الْعَـلاَءِ تَجَلَّـتِ
وَلاَحَتْ كَمَا شَاءَتْ سُعُودُكَ أَسْعُدَا

وَإِنَّ أَبَـا الحَجَّـاجِ سَيْفُـكَ مُنْتَضَـى وَبَـدْرٌ بِـآفَـاقِ الْجَمَـالِ تَعَـرَّضَـا
بِنُـورِكَ يَـا شَمْـسَ الْخِـلافَـةِ قَـدْ أَضَـا وَرَاقَـتْ عَلَـى أَعْطَـافِـهِ حُلَـلُ الـرِّضَـا
فَحَـلَّ مَحَـلاًّ مِـنْ رِضَـاكَ[1] مُمَهَّـدَا

مَلِيـكٌ لَـهُ تَعْنُـو الْمُلُـوكُ جَـلاَلَـةً يُجَـرِّرُ أَذْيَـالَ الْفَخَـارِ مُطَـالَـةً
وَتَفْـرَقُ أُسْـدُ الْغَـابِ مِنْـهُ بَسَـالَـةً وَتَـرْضَـاهُ أَنْصَـارُ الـرَّسُـولِ سُـلاَلَـةً
فَـأَبْنَـاؤُهُ طَـابُـوا فُـرُوعـاً وَمَحْتِـدا

أَزَاهِـرُ فِـي رَوْضِ الْخِـلاَفَـةِ أَيْنَعَـتْ زَوَاهِـرُ فِـي أُفْـقِ الْعَـلاَءِ تَطَلَّعَـتْ
جَوَاهِرُ أَعْيَتْ[2] فِي الْجَمَالِ وَأَبْدَعَتْ وَعَـنْ قِيمَـةِ الأَعْـلاَقِ قَـدْراً تَـرَفَّعَـتْ
يُسَـرُّ بِهَـا الإِسْـلاَمُ غِيبـاً وَمَشْهَـدَا

بِعَهْـدِ وَلِـيِّ الْعَهْـدِ ـ كُـرِّمَ عَهْـدُهُ ـ وَأُنْجِـزَ فِـي تَخْلِيـدِ مُلْكِـكَ وَعْـدُهُ
تَنَظَّـمَ مِنْهُـمْ تَحْـتَ شَمْلِـكَ عِقْـدُهُ وَأَوْرَثَهُـمْ فَخْـراً أَبُـوهُ وَجَـدُّهُ
فَـأَعْلَـى عَلِيّـا حِيـنَ أَحْمَـدَ أَحْمَـدَا

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «عُلاَكَ».
(2) في نفح: «أَغْيَتْ».

تحُـوطُ بِهِـمْ مُلْكـاً عَـزِيـزاً وَمِلَّـةً وَتَلْحَـظُ عَيْـنُ السَّعْـدِ مِنْهُـمْ أَهِلَّـةً

سَتَبْـدُو عَلَـى أُفْـقِ الْعَـلاَ مُسْتَقِلَّـةً وَسُحْبـاً بِفَيّـاضِ النَّـدَى مُسْتَهِلَّـةً

تُفَجِّـرَ بَحْـراً لِلسَّمَـاحَـةِ مُـزْبِـدَا

وَنَجْلُـكَ نَصْـرٌ يَقْتَضِـي نَجْـلَ رَسْمِـهِ أَمِيـرٌ يَـزِيـنُ الْعَقْـلَ رَاجِـحُ حِلْمِـهِ

أَتَـاكَ بِنَجْـلٍ يُسْتَضَـاءُ بِنَجْمِـهِ لِحُـبِّ رَسُـولِ اللَّـهِ سَمَّـاهُ بِـاسْمِـهِ

وَبِاسْمِكَ فِي هَذِي الْمُوَافَقَةِ اقْتَدَى

أَقَمْـتَ بِـإِعْـذَارِ الإِمَـارَةِ سُنَّـةً وَطَـوَّقْتَهَـا مِـنْ حَلْـيِ فَخْـرِكَ[1] مِنَّـةً

وَأَسْكَنْتَهَـا فِـي ظِـلِّ بِـرِّكَ جَنَّـةً وَأَلْحَفْتَهَـا بُـرْدَ اعْتِنَـائِـكَ جُنَّـةً

وَعَمَّـرْتَ مِنْهَـا بِـالتِّـلاَوَةِ مَسْجِـدَا

فَلِلَّـهِ عَيْنَـا مَـنْ رَآهُـمْ تَطَلَّعُـوا غُصُوناً بِرَوْضِ الْجُودِ مِنْكَ تَرَعْرَعُوا

وَفِـي دَوْحَـةِ الْعَلْيَـاءِ مِنْـكَ تَفَـرَّعُـوا مُلُـوكٌ بِجِلْبَـابِ الْحَيَـاءِ تَقَنَّعُـوا

أَضَـاءَ بِهِـمْ مِنْ أُفْـقِ قَصْـرِكَ مُنْتَدَى

وقَدْ أَشْعَرُوا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ نُفُوسَهُمْ وَقَدْ أَفْرَغُوا فَوْقَ[2] الْحُلِيِّ لَبُوسَهُمْ

وَقَـدْ زَيَّنُـوا بِـالْبِشْـرِ فِيـهِ شُمُـوسَهُـمْ وَعَاطَوْا كُؤُوسَ الأُنْسِ فِيهِ جَلِيسَهُمْ

وَأَبْـدَوْا عَلَـى هَـوْلِ الْمَقَـامِ تَجَلُّـدَا

شَمَـائِـلُ فِيهِـمْ مِـنْ أَبِيهِـمْ وَجَـدِّهِـمْ تُفَصِّـلُ آيَ الْفَخْـرِ فِيهَـا بِحَمْـدِهِـمْ

وَتَنْسُبُهَـا الأَنْصَـارُ قِـدْمـاً لِسَعْـدِهِـمْ يُضِـيءُ بِهَـا نُـوراً مَصَـابِيـحُ سَعْـدِهِـمْ

وَلِمْ لاَ وَمِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ تَوَقَّدَا

فَـوَاللَّـهِ لَـوْلاَ سُنَّـةٌ قَـدْ أَقَمْتَهَـا وَسِيـرَةُ هَـدْيٍ لِلنَّبِـيِّ عَلِمْتَهَـا

وَأَحْكَـامُ عَـدْلٍ لِلْجُنُـودِ رَسَمْتَهَـا لَجَـالَـتْ بِهَـا الأَبْطَـالُ تَقْصِـدُ سَمْتَهَـا

وَتَتْـرُكُ أَوْصَـالَ الْـوَشِيـجِ مُقَصَّـدَا[3]

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وطوَّقْتَ مِنْ حِلْيِ بِفَخْرِك».

(2) في نفح: «وَأَضْفَوْا بِهِ».

(3) الوشيج: شجر الرماح، والمقصّد: المكسّر.

وَيَا عَاذِراً أَبْدَى لَنَا الشَّرْعُ عُذْرَهُ   طَرَقْتَ حِمًى قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَأَجْرَيْتَ طِيباً يَحْسُدُ الطِّيبُ نَشْرَهُ   لَقَدْ جِئْتَ مَا تَسْتَعْظِمُ الصِّيدُ أَمْرَهُ
وَتَفْدِيهِ إن يَقْبَلْ خَلِيفَتَهُ فِدَا

رَعَى اللَّهُ مِنْهَا دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً   أَفَادَتْ نُفُوسَ الْمُخْلِصِينَ إِنَابَةً
وَلَمْ تُلْفِ مِنْ دُونِ الْقَبُولِ حِجَابَةً   وَعَاذِرُهَا لَمْ يُبْدِ عُذْراً مَهَابَةً
فَأَوْجَبَ عَنْ نَقْصٍ كَمَالاً تَزَيَّدَا

فَنَقْصُ زَكَاةِ[1] الْمَالِ وَفْرُ نِصَابِهِ   وَمَا السَّيْفُ إلاَّ بَعْدَ مَشْقِ ذُبَابِهِ
وَمَا الزَّهْرُ إلاَّ بَعْدَ شَقِّ إهَابِهِ   بِقَطْعِ يَرَاعِ الْخَطِّ حُسْنُ كِتَابِهِ
وَبِالقَصِّ يَزْدَادُ الذُّبَالُ تَوَقُّدَا

وَلَمَّا قَضَوْا مِنْ سُنَّةِ الشَّرْعِ وَاجِبَا   وَلَمْ نَلْقَ مِنْ دُونِ الْخِلاَفَةِ حَاجِبَا
أَفَضْنَا نُهَنِّي مِنْكَ جَذْلاَنَ وَاهِبَا   أَفَاضَ عَلَيْنَا أَنْعُماً وَمَوَاهِبَا
تَعَوَّدَ بَذْلَ الْجُودِ فِيمَا تَعَوَّدَا

هَنِيئاً بِهَذَا قَدْ بَلَغْتَ مُؤَمَّلاَ   وَأَطْلَعْتَ نُوراً يُبْهِرُ الْمُتَأَمِّلاَ
وَأَحْرَزْتَ أَجْرَ الْمُنْعِمِينَ مُكَمَّلاَ   تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى جَزِيلاً وَأَجْمَلاَ
وَبَلَّغَ فِيكَ الدِّينَ وَالْمُلْكَ مَقْصِدَا

أَلاَ فِي سَبِيلِ العِزِّ وَالْفَخْرِ مَوْسِمُ   يَظَلُّ بِهِ ثَغْرُ الْمَسَرَّةِ يَبْسِمُ
وَعَرْفُ الرِّضَا مِنْ جَوِّهِ يَتَنَسَّمُ   وَأَرْزَاقُ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ تُقْسَمُ
فَفِي وَصْفِهِ ذِهْنُ الذَّكِيِّ تَبَلَّدَا

وَجَلَّلْتَ فِي هَذَا الصَّنِيعِ مَصَانِعَا   تَمَنَّى بُدُورُ التِّمِّ مِنْهَا مَطَالِعَا
وَأَبْدَيْتَ فِيهَا لِلْجَمَالِ بَدَائِعَا   وَأَجْرَيْتَ لِلإِحْسَانِ فِيهَا مَشَارِعَا
يَوَدُّ بِهَا نَهْرُ الْمَجَرَّةِ مَوْرِدَا

وَأَجْرَيْتَ فِيهَا الْخَيْلَ وَهْيَ سَوَابِقُ   وَإِنْ طُلِبَتْ فِي الرَّوْعِ فَهْيَ لَوَاحِقُ

(1) في نفح: «كَمَالِ».

نُجُـــومٌ وَآفَـــاقُ الطِّـــرَادِ مَشَـــارِقُ　　يَفُـوتُ الْتِمَـاحَ الطَّـرْفِ مِنْهَـا بَـوَارِقُ

إذَا مَا تُجَارِي الشُّهْبَ تَسْتَبِقُ الْمَدَى

وَتَطْلُـعُ فِـي لَيْـلِ الْقَتَـامِ كَـوَاكِبَـا　　وَقَـدْ وَرَدَتْ نَهْـرَ النَّهَـارِ مَشَـارِبَـا

تَقُـودُ إِلَـى الأَعْـدَاءِ مِنْهَـا كَتَـائِبَـا[1]　　فَتَـرْسُـمُ مِـنْ فَـوْقِ التُّـرَابِ مَحَـارِبَـا

تَخِـرُّ[2] رُؤُوسُ الرُّومِ فِيهِـنَّ سُجَّـدَا

سَـوَابِـحُ بِـالنَّصْـرِ الْعَـزِيـزِ سَـوَانِـحُ　　وَهُـــنَّ لأَبْـــوَابِ الْفُتُـــوحِ فَـــوَاتِـــحُ

تَقُـــودُ إِلَيْـــكَ النَّصْـــرَ وَاللَّـــهُ مَـــانِـــحُ　　فَمَـا زِلْـتَ بَـابَ الْخَيْـرِ وَاللَّـهِ فَـاتِـحُ

وَمَـا ثَـمَّ شَـيْءٌ قَـدْ عَـدَا بَعْـدَمَـا بَـدَا

رِيَـــاحٌ لَهَـــا مَثْنَـــى الْبُـــرُوقِ أَعِنَّـــةٌ　　ظِبَـــاءٌ فَـــإِنْ جَـــنَّ الظَّـــلاَمُ فَجِنَّـــةٌ

تَقِيهَـــا مِـــنَ الْبَـــدْرِ الْمُتَمَّـــمِ جُنَّـــةٌ　　وتُشْـــرَعُ مِـــنْ زُهْـــرِ النُّجُـــومِ أَسِنَّـــةٌ

فَتَقْذِفُ شُهْبَ الرَّجْمِ فِي ثُغَرِ[3] الْعِدَا

فَـأَشْهَـبُ مِـنْ نَسْـلِ الْـوَجِيـهِ إِذَا انْتَمَـى　　جَرَى فَشَأَى شُهْبَ الْكَوَاكِبَ فِي السَّمَا

وَخَلَّـفَ مِنْهَـا فِـي الْمُقَلَّـدِ أَنْجُمَـا　　تَـرَدَّى جَمَـالاً بِـالصَّبَـاحِ وَرُبَّمَـا

يَقُولُ لَهُ الإِصْبَاحُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَا

وَأَحْمَـرُ قَـدْ أَذْكَـى بِـهِ البَـأْسُ جَمْـرَةً　　وَقَـدْ سَلَـبَ الْيَـاقُـوتَ وَالْـوَرْدَ حُمْـرَةً

أَدَارَ بِـهِ سَـاقٍ مِـنَ الْحَـرْبِ خَمْـرَةً　　وَأَبْـدَى حَبَـابـاً فَـوْقَهَـا الْحُسْـنُ غُـرَّةً

يَـــزِيـــنُ بِهَـــا خَـــدًّا أَسِيـــلاً مُـــوَرَّدَا

وَأَشْقَـرُ مَهْمَـا شَعْشَـعَ الـرَّكْـضُ بَـرْقَـهُ　　أَعَـارَ جَـوَادَ الْبَـرْقِ فِـي الأُفْـقِ سَبْقَـهُ

بَـدَا شَفَقـاً قَـدْ جَلَّـلَ الْحُسْـنُ أُفْقَـهُ　　أَلَـــمْ تَـــرَ أَنَّ اللَّـــهَ أَبْـــدَعَ خَلْقَـــهُ

فَسَالَ عَلَى أَعْطَافِهِ الْحُسْنُ عَسْجَدَا

---

(1) كذا في أزهار، وفي نفح: «كَوَاكِبَا».

(2) في نفح: «تَخُورُ».

(3) في نفح: «أَثْغُرِ».

وَأَصْفَرُ قَدْ وَدَّ الأَصِيلُ جَمَالَهُ   وَقَدْ قَدَّ مِنْ بُرْدِ الْعَشِيّ جَلاَلَهُ
إِذَا أَسْرَجُوا جُنْحَ الظَّلاَمِ ذُبَالَهُ   فَغُرَّتُهُ نَجْمٌ يُضِيءُ مَجَالَهُ
وَفِي ذَيْلِهِ ذَيْلُ الظَّلاَمِ قَدِ ارْتَدَى

وَأَدْهَمُ فِي مِسْحِ الدُّجَى مُتَجَرِّدُ   يَجِيشُ بِهِ بَحْرٌ مِنَ النِّيلِ مُزْبِدُ
وَغُرَّتُهُ نَجْمٌ بِهِ مُتَوَقِّدُ[1]   لَهُ الْبَدْرُ سَرْجٌ وَالنُّجُومُ مُقَلَّدُ
وَفِي فَلَقِ الصُّبْحِ الْمُبِينِ تَقَيَّدَا

وَأَبْيَضُ كَالقِرْطَاسِ لاَحَ صَبَاحُهُ   عَلَى الْحُسْنِ مَغْدَاهُ وَفِيهِ مَرَاحُهُ
وَلِلظَّبَيَاتِ الآنِسَاتِ مِرَاحُهُ   تَرَاهُ كَنَشْوَانٍ أَمَالَتْهُ رَاحُهُ
وَتَحْسِبُهُ وَسْطَ الْجَمَالِ مُعَرْبِدَا

وَذَاهِبَةٌ فِي الجَوِّ مِلْءَ عِنَانِهَا   وَقَدْ لَفَّعَتْهَا السُّحْبُ بُرْدَ عَنَانِهَا
يَفُوتُ ارْتِدَادَ الطَّرْفِ لَمْحُ عِيَانِهَا   وَخَتَّمَتِ الْجَوْزَاءُ سَبْطَ بَنَانِهَا
وَصَاغَتْ لَهَا حَلْيَ النُّجُومِ مُقَيَّدَا

أَرَاهَا عَمُودُ الصُّبْحِ عُلْوَ الْمَصَاعِدِ   وَأَوْهَمَهَا قُرْبَ المَدَى الْمُتَبَاعِدِ
فَفَاتَتْهُ سَبْقاً فِي مَجَالِ الرَّوَاعِدِ   وَأَتْحَفَتِ الكَفَّ الخَضِيبَ بِسَاعِدِ
فَطَوَّقَتِ الزُّهْرُ النُّجُومَ بِهَا يَدَا

وَقَدْ قَذَفَتْهَا لِلعِصِيِّ حَوَاصِبُ   قَدِ انْتَشَرَتْ فِي الجَوِّ مِنْهَا ذَوَائِبُ
تَزَاوَرَ مِنْهَا فِي الْفَضَاءِ حَبَائِبُ   فَبَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ مَنَاسِبُ
لأَنَّهُمَا فِي الرَّوْضِ قَبْلُ تَوَلَّدَا

بَنَاتٌ لأُمٍّ قَدْ حَيِينَ بِرَوْحِهَا[2]   دَعَاهَا الْهَوَى مِنْ بَعْدِ كَتْمٍ لِبَوْحِهَا
فَأَقْلاَمُهَا تَهْوِي لِخَطٍّ بِلَوْحِهَا   فَبِالأَمْسِ كَانَتْ بَعْضَ أَغْصَانِ دَوْحِهَا
فَعَادَتْ إِلَيْهَا الْيَوْمَ مِنْ بَعْدُ عُوَّدَا

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «تَتَوَقَّدُ».
(2) في نفح: «حَيِينَ لِرَوْحِهَا».

وَيَا رُبَّ حِصْنٍ فِي ذُرَاهَا قَدِ اعْتَلَى   أَنَارَتْ بُرُوجَ الأُفْقِ فِي مَظْهَرِ الْعُلاَ
بُرُوجُ قُصُورٍ شِدْتَهَا مُتَطَوِّلاَ   فَأَنْشَأْتَ بُرْجاً صَاعِداً مُتَنَزِّلاَ
يَكُونُ رَسُولاً بَيْنَهَا مُتَرَدِّدَا

وَهَلْ هِيَ إِلاَّ هَالَةٌ حَوْلَ بَدْرِهَا   يَصُوغُ لَهَا حَلْياً يَلِيقُ بِنَحْرِهَا
تَطَوَّرَ أَنْوَاعاً تَشِيدُ بِفَخْرِهَا   فَحِجْلٌ بِرِجْلَيْهَا وِشَاحٌ بِخِصْرِهَا
وَتَاجٌ بِأَعْلَى رَأْسِهَا قَدْ تَنَضَّدَا

أَرَادَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهْوَ مُمَنَّعُ   فَقَامَ بِأَذْيَالِ الدُّجَى يَتَلَفَّعُ
وَأَصْغَى لأَخْبَارِ السَّمَا يَتَسَمَّعُ   فَأَتْبَعَهُ مِنْهَا ذَوَابِلُ شُرَّعُ
لِتَقْذِفَهُ بِالرَّجْمِ[1] مَثْنَى وَمَوْحِدَا

وَمَا هُوَ إِلاَّ قَائِمٌ مَدَّ كَفَّهُ   لِيَسْأَلَ مِنْ رَبِّ السَّمَاوَاتِ لُطْفَهُ
لِمَوْلَى تَوَلاَّهُ وَأَحْكَمَ رَصْفَهُ   وَكَلَّفَ أَرْبَابَ الْبَلاغَةِ وَصْفَهُ
وَأَكْرَمَ مِنْهُ القَانِتَ الْمُتَهَجِّدَا

مُلاَقِيَ رَكْبٍ مِنْ وُفُودِ النَّوَاسِمِ   مُقَبِّلَ ثَغْرٍ لِلْبُرُوقِ الْبَوَاسِمِ
مُخَتَّمَ كَفٍّ بِالنُّجُومِ الْعَوَاتِمِ   مُبَلِّغَ قَصْدٍ مِنْ خُضُورِ الْمَوَاسِمِ
تُجَدِّدُهُ مَهْمَا صَنِيعٌ تَجَدَّدَا

وَمُضْطَرِبٌ فِي الْجَوِّ أَثْبَتَ قَامَةً   تَقَدَّمَ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ كَرَامَةً
تَطَلَّعَ فِي غُصْنِ الرِّشَاءِ كِمَامَةً   وَتَحْسَبُهُ تَحْتَ الْغَمَامِ غَمَامَةً
يَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِهِ عَرَقُ النَّدَى

هَوَى وَاسْتَوَى فِي حَالِهِ[2] وتَقَلَّبَا   كَخَاطِفِ بَرْقٍ قَدْ تَأَلَّقَ خُلَّبَا
وَتَحْسَبُهُ قَدْ دَارَ فِي الأُفْقِ كَوْكَبَا   ومَهْمَا مَشَى وَاسْتَوْقَفَ الْعَقْلَ مُعْجِبَا
تُقَلِّبُ فِيهِ الْعَيْنُ لَحْظاً مُرَدَّدَا

---

(1) في نفح: «بالرُّعْبِ».
(2) في نفح: «حَالَةٍ».

لَقَــدْ رَامَ يَــرْقَــى لِلسَّمَــاءِ بِسُلَّــمِ فَيَمْشِــي عَلَــى خَــطٍّ بِــهِ مُتَــوَهَّــمِ
أَجِـلْ فِـي الَّـذِي يُبْـدِيـهِ فِكْـرَ تَـوَسُّـمِ تَـرَى طَـائِـراً قَـدْ حَـلَّ صُـورَةَ آدَمِـي
وَجِنّــا بِمَهْــوَاةِ الْفَضَــاءِ تَمَــرَّدَا

وَمُنْتَسِــبٍ لِلْخَــالِ[1] سَمَّــوْهُ مُلْجَمَــا لَــهُ حَكَمَــاتٌ حُكْمُهَــا فَــاهُ أَلْجَمَــا
تَخَــالَــفَ جِنْســاً وَالِــدَاهُ إِذَا انْتَمَــى كَمَــا جِنْسُــهُ أَيْضــاً تَخَــالَــفَ عَنْهُمَــا
عَجِبْــتُ لَــهُ إِذْ لَــمْ يَلِــدْ وَتَــوَلَّــدَا

ثَــلاَثَتُهَــا فِـي الـذِّكْـرِ جَـاءَتْ مُبِينَـةً مِـنَ الـلأَّءِ سَمَّــاهَــا لَنَــا اللَّــهُ زِينَــةً
وَأَنْــــزَلَ فِيهَــــا آيَـــةً مُسْتَبِينَـــةً وَأَوْدَعَ فِيهَــــا لِلْجَهُـــولِ سَكِينَـــةً
وآلاءَهُ فِيهَـا عَلَـى الْخَلْـقِ عَـدَّدَا[2]

كَسَـوْهُ مِنَ الْـوَشْـيِ اليَمَـانِـيِّ هَوْدَجَـا يَمُـدُّ عَلَـى مَـا فَـوْقَـهُ الظِّـلَّ سَجْسَجَـا
وَكَـمْ صُـورَةٍ تُجْلَـى بِـهِ تَبْهَـرُ الْحِجَـا وَجَـزْلٍ وَقُـودٍ نَـارُهُ تَصْـدَعُ الـدُّجَـى
وَقَلْـبِ حَسُـودٍ غَـاظَ مُذْكِيـهِ مَوْقِـدَا

وَمَــا هِـــيَ إِلاَّ مَظْهَـــرٌ لِجهَـــادِهِ أَرَتْنَـا بِهَـا الأَفْـرَاحُ فَضْـلَ اجْتِهَـادِهِ
مَـــلاَعِبُهَــا هَــزَّتْ قُــدُودَ صِعَــادِهِ وَأَذْكَـــرَتِ الأَبْطَـــالَ يَـــوْمَ طِـــرَادِهِ
فَمَـا ارْتَبْـتُ فِيـهِ الْيَـوْمَ صَـدَّقْتَـهُ غَـدَا

أَلاَ جَـدَّدَ الـرَّحْمَـانُ صُنْعـاً حَضـرْتُـهُ وَدَوْحُ الأَمَـــانِـي فــي ذُرَاهُ هَصَــرْتُــهُ
بِقَصْرٍ طَوِيلَ الْوَصْفِ فِيهِ اخْتَصَرْتُهُ يُقَيِّـدُ طِـرْفَ الطَّـرْفِ مَهْمَـا نَظَـرْتُـهُ
«وَمَـنْ وَجَـدَ الإِحْسَـانَ قَيْـداً تَقَيَّـدَا»

دَعَـوْتَ لَـهُ الأَشْـرَافَ مِـنْ كُـلِّ بَلْـدَةٍ فَجَــاؤُوا بِــآمَــالٍ لَــهُ مُسْتَجَـــدَّةٍ
وَخُصُّــوا بِــأَلْطَــافٍ لَـدَيْـهِ مُعَـدَّةٍ أَيَــادٍ بِفَيَّــاضِ النَّــدَى مُسْتَمَـــدَّةٍ
فَكُلُّهُــمُ مِــنْ فَضْلِــهِ قَــدْ تَــزَوَّدَا

---

(1) يريد به البغل.

(2) في نفح: «بَدَّدَا».

وجَـاءَتْـكَ مِـنْ آلِ النَّبِـيِّ عِصَـابَـةٌ لَهَـا فِـي مَرَامِـي الْمَكْـرُمَـاتِ إِصَـابَـةٌ
أَحَبَّتْـكَ حُبّـاً لَيْـسَ فِيـهِ اسْتِـرَابَـةٌ وَلَبَّتْ دَوَاعِـي الْخَيْـرِ[1] مِنْهَـا إِجَـابَـةٌ
وَنَادَاهُمُ التَّخْصِيصُ فَابْتَدَرُوا النَّدَى

أَجَـازُوا إِلَيْـكَ الْبَحْـرَ وَالْبَحْـرُ يَـزْخَـرُ لِبَحْـرِ سَمَـاحٍ مَـدُّهُ لَيْـسَ يَجْـزِرُ
فَـرَوَّاهُـمُ مِـنْ عَـذْبِ جُـودِكَ كَـوْثَـرُ وَوَالَيْـتَ مِـنْ نُعْمَـاكَ مَا لَيْسَ يُحْصَـرُ
وَعَظَّمْتَهُـمْ تَـرْجُـو النَّبِـيَّ مُحَمَّـدَا

عَلَيْـهِ صَـلاَةُ اللَّـهِ ثُـمَّ سَـلاَمُـهُ بِـهِ طَـابَ مِـنْ هَـذَا النِّظَـامِ اخْتِتَـامُـهُ
وَجَـاءَ بِحَمْـدِ اللَّـهِ حُلْـواً كَـلاَمُـهُ يَعِـزُّ عَلَـى أَهْـلِ البَيَـانِ مَـرَامُـهُ
وَتُمْسِـي لَـهُ زُهْـرُ الكَـوَاكِـبِ حُسَّـدَا

أَبُـثُّ بِـهِ حَـادِي الـرِّكَـابِ مُشَـرِّقَـا حَـدِيـثَ جِهَـادٍ لِلنُّفُـوسِ مُشَـوِّقَـا
رَمَيْـتُ بِـهِ مَـنْ بِـالْعِـرَاقِ مُفَـوِّقَـا وَأَرْسَلْـتُ مِنْـهُ بِـالْبَـدِيـعِ مُطَـوَّقَـا
حَمَـامـاً عَلَـى دَوْحِ الثَّنَـاءِ مُغَـرِّدَا

رَكَضْـتُ بِـهِ خَيْـلَ الْبَيَـانِ إِلَـى مَـدَى فَأَحْرَزْتُ فَضْلَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْهُدَى
وَنَظَّمْـتُ مِـنْ دُرِّ الـدَّرَارِي مُخَلَّـدَا[2] وَطَـوَّقْـتُ جِيـدَ الْفَخْـرِ عِقْـداً مُنَضَّـدَا
وَقُمْـتُ بِـهِ بَيْـنَ السَّمَـاطَيْـنِ مُنْشِـدَا

نَسَقْـتُ مِـنَ الإِحْسَـانِ فِيـه فَـرَائِـدَا وَأَرْسَلْـتُ فِـي رَوْضِ الْمَحَـاسِنِ رَائِـدَا
وَقَلَّـدْتُ عِطْـفَ الْمُلْـكِ مِنْـهُ قَـلاَئِـدَا تَعَـوَّدْتُ فِيـهِ لِلْقَبُـولِ عَـوَائِـدَا
فَلاَ زِلْتَ لِلْفَضْلِ الْجَزِيلِ[3] مُعَوِّدَا

وَلاَ زِلْـتَ لِلصُّنْـعِ الْجَمِيـلِ مُجَـدِّدَا وَلاَ زِلْـتَ لِلْفَخْـرِ الْعَظِيـمِ مُخَلِّـدَا
وَعُمِّـرْتَ عُمْـراً لا يَـزَالُ مُجَـدَّدَا وَمُتِّعْـتَ[4] بِـالأَبْنَـاءِ أَوْحَـدَ أَوْحَـدَا
وَقَـرَّتْ بِهِـمْ عَيْنَـاكَ مَـا سَـائِـقٌ حَـدَا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الفَوْزِ».
(2) في نفح: «مُقَلَّدَا».
(3) في نفح: «لِلْفِعْلِ الجميلِ».
(4) في نفح: «وعُمِّرْتَ».

قافيــة الــذّال

(37)

وفي مثل ذلك ـ أي أنشده وهو بحال تألّم[1] ـ:

[مجزوء الرمل]

يَــا إِمَــامــاً قَــدْ تَخَــذْ نَــاهُ مِــنَ الــدَّهْــرِ مَــلاَذَا
خَــطُّ يُمْنَــاكَ يُنَــادِي: صَــحَّ هَــذَا، صَــحَّ هَــذَا[2]

قافيــة الــرّاء

(38)

ومن ذلك أيضاً قوله هناءً لمولانا الجدّ ـ رحمه الله ـ بالفتح المغربيّ للسلطان أبـي العبّاس بن السّلطان أبـي سالم المريني[3]:

[الكامل]

هِــيَ نَفْحَــةٌ هَبَّــتْ مِــنَ الأَنْصَــارِ أَهْــدَتْــكَ فَتْــحَ مَمَــالِــكِ الأَمْصَــارِ
فِــي بِشْــرِهَــا وَبِشَــارَةِ الــدُّنْيَــا بِهَــا مُسْتَمْتَــعُ الأَسْمَــاعِ وَالأَبْصَــارِ
هَبَّتْ عَلَى قُطْرِ الْجِهَادِ فَرَوَّضَتْ[4] أَرْجَــاءَهُ بِــالنَّفْحَــةِ الْمِعْطَــارِ
وَسَــرَتْ وَأَمْــرُ اللَّــهِ طَــيَّ بُــرُودِهَــا يُهْـدِي البَرِيَّـةَ لُطْفَ صُنْعِ الْبَارِي[5]

(1) أنشد سلطانه الغنيّ بالله (أزهار: II/ 135).
(2) أي الإمضاء بالموافقة على العطاء.
(3) لقد أدرج المقرّي هذه القصيدة في نفح الطيب (VII/ 98) ضمن قصائد ثلاث نظمها ابن زمرك في مدح الغنيّ بالله وفيها ذَكَرَ ظفره بابن الخطيب ومَنْ حماه منه وهو الوزير ابن الكاس؛ ودور السلطان أبـي العباس أحمد المريني في فتح المغرب.
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار؛ «فروّحَتْ».
(5) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «صُنْعَ لُطْفِ البَارِي».

مَـرَّتْ بِـأَرْوَاحِ الْمَنَـابِـرِ فَـانْبَـرَتْ خُطَبَـاؤُهَـا مُفْتَنَـةُ الأَطْيَـارِ

حَنَّتْ مَعَـارِجُهَـا إِلَـى أَعْشَـارِهَـا لَمَّـا سَمِعْـنَ بِهَـا حَنِيـنَ عِشَـارِ

لَـوْ أَنْصَفَتْـكَ لَكَلَّلَـتْ أَدْوَاحَهَـا تِلْـكَ الْبَشَـائِـرُ يَـانِـعَ الأَزْهَـارِ

فَتْـحُ الْفُتُـوحِ أَتَـاكَ فِـي حُلَـلِ الـرِّضَـا بِعَجَـائِـبِ الأَزْمَـانِ وَالأَعْصَـارِ

فَتْـحُ الْفُتُـوحِ جَنَيْـتَ مِـنْ أَفْنَـانِـهِ مَـا شِئْـتَ مِـنْ نَصْـرٍ وَمِـنْ أَنْصَـارِ

كَـمْ آيَـةٍ لَـكَ فِـي السُّعُـودِ جَلِيَّـةٍ خَلَّـدْتَ مِنْهَـا عِبْـرَةَ اسْتِبْصَـارِ

كَـمْ حِكْمَـةٍ لَـكَ فِي النُّفُـوسِ خَفِيَّـةٍ[1] خَفِيَـتْ مَـدَارِكُهَـا عَـنِ الأَفْكَـارِ

كَـمْ مِـنْ أَمِيـرٍ[2] أَمَّ بَـابَـكَ فَـانْثَنَـى يُـدْعَـى الْخَلِيفَـةَ دَعْـوَةَ الإِكْبَـارِ

أَعْطَيْـتَ أَحْمَـدَ رَايَـةً[3] مَنْصُـورَةً بَـرَكَـاتُهَـا[4] تَسْرِي مِـنَ[5] الأَنْصَـارِ

أَرْكَبْتَـهُ فِـي الْمُنْشَـآتِ كَـأَنَّمَـا جَهَّـزْتَـهُ فِـي وُجْهَـةٍ لِمَـزَارِ

مِـنْ كُـلِّ خَـافِقَـةِ الشِّـرَاعِ مُصَفَّـقٍ[6] مِنْهَـا الْجَنَـاحُ تَطِيـرُ كُـلَّ مَطَـارِ

أَلْقَـتْ بِـأَيْـدِي الـرِّيـحِ فَضْـلَ عَنَـانِهَـا فَتَكَـادُ تَسْبِـقُ لَمْحَـةَ الأَبْصَـارِ

مِثْـلَ الْجِيَـادِ تَـدَافَعَـتْ[7] وَتَسَـابَقَـتْ مِـنْ[8] طَـافِـحِ الأَمْـوَاجِ فِـي مِضْمَـارِ

لِلَّـهِ مِنْهَـا فِـي الْمَجَـازِ سَـوَابِـحٌ وَقَفَـتْ عَلَيْـكَ الْفَخْـرَ وَهْـيَ جَـوَارِي

لَمَّـا قَصَـدْتَ بِهَـا مَـرَاسِـيَ سَبْتَـةٍ عَطَفَـتْ عَلَـى الأَسْـوَارِ عَطْـفَ سِـوَارِ

لَمَّـا رَأَتْ مِـنْ صُبْـحِ عَـزْمِـكَ غُـرَّةً مَحْفُـوفَـةً بِـأَشِعَّـةِ الأَنْـوَارِ

وَرَأَتْ جَبِينـاً دُونَـهُ شَمْـسُ الضُّحَـى لَبَّتْـكَ بِـالإِجْـلاَلِ وَالإِكْبَـارِ

---

(1) «جَلِيَّةٍ» في أزهار.

(2) «أَسِيرٍ» عند نيفر.

(3) «آيَةً» عنده كذلك.

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «بركاته».

(5) في نفح: «تَرْوِي عَن».

(6) «مُصَفَّرٍ» عند نيفر.

(7) «تَدَافَقَتْ» عنده.

(8) «في» عنده أيضاً.

فَـأَفَضْـتَ فِيهَـا مِـنْ نَـدَاكَ مَـوَاهِبـاً   حَسُنَـتْ مَـوَاقِعُهَـا عَلَـى التَّكْـرَارِ

وَأَرَيْـتَ أَهْـلَ الْغَـرْبِ عَـزْمَ مُغَـرِّبٍ   قَـدْ سَـاعَـدَتْـهُ غَـرَائِـبُ الأَقْـدَارِ

وَخَطَبْتَ مِـنْ فَـاسِ الْجَـدِيـدِ عَقِيلَـةً   لَبَّتْـكَ طَـوْعَ تَسَـرُّعٍ وَبَـدَارِ

مَـا صَـدَّقُـوا مَتْـنَ الْحَـدِيـثِ بِفَتْحِهَـا   حَتَّـى رَأَوْهُ فِـي مُتُـونِ شِفَـارِ

وَتَسَمَّعُـوا الأَخْبَـارَ بِـاسْتِفْتَـاحِهَـا   وَالْخُبْـرُ قَـدْ أَغْنَـى[1] عَـنِ الأَخْبَـارِ

قُـولُـوا لِقِرْدٍ[2] فِـي الْـوَزَارَةِ غَـرَّهُ   حِلْـمٌ مَنَنْـتَ بِـهِ عَلَـى مِقْـدَارِ

أَسْكَنْتَـهُ مِـنْ فَـاسَ جَنَّـةَ مُلْكِهَـا   مُتَنَعِّمـاً مِنْهَـا بِـدَارِ قَـرَارِ

حَتَّـى إِذَا كَفَـرَ الصَّنِيعَـةَ وَازْدَرَى   بِحُقُـوقِهَـا أَلْحَقْتَـهُ بِـالنَّـارِ

جَـرَّعْـتَ نَجْـلَ الْكَـأْسِ[3] كَـأْسـاً مُـرَّةً   دَسَّـتْ إِلَيْـهِ الْحَتْـفَ فِـي الإِسْكَـارِ

كَفَـرَ الَّـذِي أَوْلَيْتَـهُ مِـنْ نِعْمَـةٍ   لاَ تَـأْنَـسُ النَّعْمَـاءُ بِـالكُفَّـارِ

فَطَـرَحْتَـهُ طَـرْحَ النَّـوَاةِ فَلَـمْ يَفُـزْ   مِـنْ عِـزِّ مَغْـرِبِـهِ بِغَيْـرِ فِـرَارِ

لَـمْ يَتَّفِـقْ لِخَلِيفَـةٍ مِثْـلَ الَّـذِي   أَعْطَـى الإِلاَهُ خَلِيفَـةَ الأَنْصَـارِ

لَـمْ أَدْرِ وَالأَيَّـامُ ذَاتُ عَجَـائِـبٍ   تَـرْدَادُهَـا يَحْلُـو عَلَـى التَّـذْكَـارِ

أَلِـوَاءُ صُبْـحٍ فِـي ثَنِيَّـةِ مَشْـرِقٍ   أَمْ رَايَـةٌ فَـي جَحْفَـلٍ جَـرَّارِ؟

وَشِهَـابُ أُفْـقٍ أَمْ سِنَـانٌ لاَمِـعٌ   يَنْقَـضُّ نَجْمـاً فِـي سَمَـاءِ غُبَـارِ؟

وَمَنَـاقِـبُ الْمَـوْلَـى الإِمَـامِ مُحَمَّـدٍ   قَـدْ أَشْـرَقَـتْ أَمْ هُـنَّ زُهْـرٌ[4] دَرَارِي

فَـاقَ الْمُلُـوكَ بِهِمَّـةٍ عُلْـوِيَّـةٍ   مِـنْ دُونِهَـا نَجْـمُ السَّمَـاءِ السَّـارِي

لَـوْ صَـافَـحَ الكَـفَّ الْخَضِيـبَ بِكَفِّـهِ   فَخَـرَتْ بِنَهْـرٍ لِلْمَجَـرَّةِ جَـارِي

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «قَدْ يُغْنِي».

(2) يريد به ابن الخطيب.

(3) هو أبو بكر بن غازي بن الكاس وزير السلطان عبد العزيز المريني؛ امتنع بأمر سلطانه من تسليم ابن الخطيب إلى الغنيّ بالله لمّا بلغه أنه يحرّض السلطان عبد العزيز على تملّك غرناطة (راجع تاريخ ابن خلدون والاستقصاء للسلاوي).

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «شُهْبٌ».

وَالشُّهْبُ تَطْمَعُ[1] فِي مَطَالِعِ أُفْقِهَا ... لَـوْ أَحْـرَزَتْ مِنْـهُ مَنِيـعَ جِـوَارِ

سَلْ بِالْمَشَارِقِ صُبْحَهَا عَنْ وَجْهِهِ ... يَفْتَـرُّ مِنْـهُ عَـنْ جَبِيـنِ نَهَـارِ

سَلْ بِالْغَمَائِمِ صَوْبَهَا عَنْ كَفِّهِ ... تُنْبِيـكَ عَـنْ بَحْـرٍ بِهَـا زَخَّـارِ

سَلْ بِالْبُرُوقِ صِفَاحَهَا عَنْ عَزْمِهِ ... تُخْبِـرْكَ عَـنْ أَمْضَـى شَباً وَغِـرَارِ

قَدْ أَحْرَزَ الشِّيَمَ الْخَطِيرَةَ عِنْدَمَا ... أَمْطَـى الْعَـزَائِمَ صَهْـوَةَ الأَخْطَـارِ

إِنْ يَلْقَ ذُو الإِجْرَامِ صَفْحَةَ صَفْحِهِ ... فَسَـحَ القَبُـولُ لَـهُ خُطَـا الأَعْمَـارِ

يَـا مَـنْ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ ... أَزْرَتْ بِعَـرْفِ الـرَّوْضَـةِ الْمِعْطَـارِ

يَـا مَـنْ إِذَا افْتَرَّتْ مَبَاسِمُ بِشْرِهِ ... وَهَبَ النُّفُوسَ وَعَاشَ[2] فِي الإِقْتَارِ

يَـا مَـنْ إِذَا طَلَعَتْ شُمُوسُ سُعُودِهِ ... تُعْشِـي أَشِعَّتُهَـا قُـوَى الأَبْصَـارِ

قَسَماً بِوَجْهِكَ فِي الضِّيَاءِ وَإِنَّهُ[3] ... شَمْـسٌ تُمِـدُّ الشَّمْـسَ بِـالأَنْـوَارِ

قَسَماً بِعَزْمِكَ فِي الْمَضَاءِ فَإِنَّهُ[4] ... سَيْـفٌ تُجَـرِّدُهُ يَـدُ الأَقْـدَارِ

لَسَمَاحُ كَفِّكَ كُلَّمَا اسْتَوْهَبْتُهُ ... يُـزْرِي بِغَيْـثِ الـدِّيمَـةِ الْمِـدْرَارِ

لِلَّـهِ حَضْـرَتُـكَ الْعَلِيَّـةُ لَـمْ تَـزَلْ ... يُلْقِـي الْغَـرِيـبُ بِهَـا عَصَـا التَّسْيَـارِ

كَمْ مِنْ طَرِيدٍ نَازِحٍ قَذَفَتْ بِهِ ... أَيْـدِي النَّـوَى فِـي الْقَفْـرِ رَهْـنَ سِفَـارِ

بَلَّغْتَـهُ مَـا شَـاءَ مِـنْ آمَـالِـهِ ... فَسَـلا عَـنِ الأَوْطَـانِ بِـالأَوْطَـارِ

صَيَّـرْتَ بِـالإِحْسَـانِ دَارَكَ دَارَهُ ... مُتِّعْـتَ بِـالْحُسْنَـى وعُقْبَـى الـدَّارِ

وَالْخَلْقُ تَعْلَمُ أَنَّكَ الغَوْثُ الَّذِي ... يُضْفِـي عَلَيْهَـا وَافِـيَ الأَسْتَـارِ

كَمْ دَعْوَةٍ لَكَ فِي الْمُحُولِ مُجَابَةٍ ... أَغْـرَتْ جُفُـونَ الْمُـزْنِ بِـاسْتِعْبَـارِ

جَادَتْ[5] مَجَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى ... فَـرَعَـى الـرَّبِيـعُ لَهَـا حُقُـوقَ الْجَـارِ

---

(1) «تَطْلَعُ» عند نيفر.

(2) كذا في أزهار ورجّحناها على قراءة أزهار: «عَاثَ».

(3) في نفح: «فإنّهُ».

(4) في أزهار: «وَإِنَّهُ».

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «جَارَتْ».

فَـأَعَـادَ وَجْـهَ الأَرْضِ طَلْقـاً مُشْـرِقـاً مُتَضَـاحِكـاً بِمَبَـاسِـمِ النُّـوَّارِ

يَـا مَـنْ مَـآثِـرُهُ وَفَضْـلُ جِهَـادِهِ تُحْـدَى الْقِطَـارُ بِهَـا إِلَـى الأَقْطَـارِ

حُطْـتَ الْبِـلاَدَ وَمَـنْ حَـوَتْـهُ ثُغُـورُهَـا وَكَفَـى بِسَعْـدِكَ حَـامِيـاً لِـذِمَـارِ

فَلَـرُبَّ بِكْـرٍ لِلْفُتُـوحِ خَطَبْتَهَـا بِـالْمَشْـرَفِيَّـةِ وَالْقَنَـا الخَطَّـارِ

وَعَقِيلَـةٍ لِلْكُفْـرِ لَمَّـا رُعْتَهَـا أَخْـرَسْـتَ مِـنْ نَـاقُـوسِهَـا الْمِهْـذَارِ

أَذْهَبْـتَ مِـنْ صَفْـحِ الْـوُجُـودِ كِيَـانَهَـا وَمَحَـوْتَهَـا إِلاَّ مِـنَ التَّـذْكَـارِ

عَمَـرُوا بِهَـا جَنَّـاتِ عَـدْنٍ زُخْـرِفَـتْ ثُـمَّ انْثَنَـوْا عَنْهَـا دِيَـارَ بَـوَارِ

صَبَّحْـتَ مِنْهَـا رَوْضَـةً مَطْلُـولَـةً فَـأَعَـدْتَهَـا لِلْحَيْـنِ مَـوْقِـدَ نَـارِ

وَاسْوَدَّ وَجْهُ الكُفْرِ مِنْ خِزْيٍ[1] مَتَى مَـا احْمَـرَّ وَجْـهُ الأَبْيَـضِ البَتَّـارِ

وَلَـرُبَّ رَوْضٍ لِلْغِنَـا[2] مُتَـأَوِّدٍ نَـابَ الصَّهِيـلُ بِـهِ عَـنِ الأَطْيَـارِ

مَهْمَـا حَكَـتْ زُهْـرُ الأَسِنَّـةِ زَهْـرَهُ حَكَـتِ السُّيُـوفُ مَعَـاطِـفَ الأَنْهَـارِ

مُتَـوَقِّـدٍ لَهَـبُ الْحَـدِيـدِ بِجَـوِّهِ تَصْلَـى بِـهِ الأَعْـدَاءُ لَفْـحَ أُوَارِ

فَبِكُـلِّ مُلْتَفِـتٍ صُقَـالٌ مُشْهَـرٌ قَـدَّاحُ زَنْـدٍ لِلْحَفِيظَـةِ وَارِي

فِـي كَـفِّ أَرْوَعَ فَـوْقَ نَهْـدٍ سَـابِـحٍ مُتَمَـوِّجِ الأَعْطَـافِ فِـي الإِحْضَـارِ

مِـنْ كُـلِّ مُنْحَفِـزٍ بِلَمْحَـةِ بَـارِقٍ حَمَـلَ السِّـلاَحَ بِـهِ عَلَـى طَيَّـارِ

مِـنْ أَشْهَـبٍ كَـالصُّبْـحِ يَطْلُـعُ غُـرَّةً فِـي مُنْتَهَـلِّ الْعَسْكَـرِ الجَـرَّارِ

أَوْ أَدْهَـمٍ كَـاللَّيْـلِ إِلاَّ أَنَّـهُ لَـمْ يَـرْضَ بِـالْجَـوْزَاءِ حَلْـيَ عِـذَارِ

أَوْ أَحْمَـرٍ كَـالْجَمْـرِ يُـذْكِـي شُعْلَـةً وَقَـدْ ارْتَمَـى مِـنْ بَـأْسِـهِ بِشَـرَارِ

أَوْ أَشْقَـرٍ حَلَّـى الْجَمَـالُ أَدِيمَـهُ وَكَسَـاهُ مِـنْ زَهْـوٍ جَـلاَلَ نُضَـارِ

أَوْ أَشْعَـلٍ رَاقَ العُيُـونَ كَـأَنَّـهُ غَلَـسٌ يُخَـالِـطُ سُـدْفَـةً بِنَهَـارِ

شُهْـبٌ وَشُقْـرٌ فِـي الطِّـرَادِ كَـأَنَّهَـا رَوْضٌ تَفَتَّـحَ عَـنْ شَقِيـقِ بَهَـارِ

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «مِنْ حَزَنٍ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لِلْقَنَا».

عَــوَّدْتَهَــا أَنْ لَيْــسَ تَقْــرَبُ مَنْهَــلاً — حَتَّــى يُخَــالَــطَ بِــالــدَّمِ الْمَــوَّارِ

يَــا أَيُّهَــا الْمَلِــكُ الَّــذِي أَيَّــامُــهُ — غُــرَرٌ تَلُــوحُ بِــأَوْجُــهِ الأَعْصَــارِ

يَهْنِــي لِــوَاءَكَ أَنَّ جَــدَّكَ زَاحِــفٌ — بِلِــوَاءِ خَيْــرِ الْخَلْــقِ لِلْكُفَّــارِ[1]

لا غَــرْوَ أَنْ فُقْــتَ الْمُلُــوكَ سِيَــادَةً[2] — إِذْ كَــانَ جَــدُّكَ سَيِّــدَ الأَنْصَــارِ

السَّــابِقُــونَ الأَوَّلُــونَ إِلَــى الْهُــدَى — وَالْمُصْطَفَــوْنَ لِنُصْــرَةِ الْمُخْتَــارِ

مُتَهَلِّلُــونَ إِذَا النَّــزِيــلُ عَــرَاهُــمْ — سَفَــرُوا لَــهُ عَــنْ أَوْجُــهِ الأَقْمَــارِ

مِــنْ كُــلِّ وَضَّــاحِ الْجَبِيــنِ إِذَا احْتَبَــى — تَلْقَــاهُ مَعْصُــوبــاً بِتَــاجِ فَخَــارِ

قَــدْ لاَثَ صُبْحــاً فَــوْقَ بَــدْرٍ بَعْــدَمَــا — لَبِــسَ الْمَكَــارِمَ وَارْتَــدَى بِــوَقَــارِ

فَــاسْــأَلْ بِبَــدْرٍ عَــنْ مَــوَاقِــفِ بَــأْسِهِــمْ — فَهُــمُ تَــلاَفَــوْا أَمْــرَهُ بِبِــدَارِ

لَهُــمُ الْعَــوَالِــي عَــنْ مَعَــالِــي فَخْــرِهَــا — نَقَــلَ الــرُّوَاةُ عَــوَالِــيَ الأَخْبَــارِ

وَإِذَا كِتَــابُ اللَّــهِ يَتْلُــو حَمْــدَهُــمْ[3] — أَوْدَى الْقُصُــورُ بِمُنَّــةِ الأَشْعَــارِ

يَــا ابْــنَ الَّــذِيــنَ إِذَا تُــذُوكِــرَ فَخْــرُهُــمْ — فَخَــرُوا بِطِيــبِ أَرُومَــةٍ وَنِجَــارِ

حقًّــا لَقَــدْ أَوْضَحْــتَ مِــنْ آثَــارِهِــمْ — لَمَّــا أَخَــذْتَ لِــدِينِهِــمْ بِــالثَّــارِ

أَصْبَحْــتَ وَارِثَ مَجْــدِهِــمْ وَفَخَــارِهِــمْ — وَمُشَــرِّفَ الأَعْصَــارِ وَالأَمْصَــارِ

يَــا صَــادِراً فِــي الْفَتْــحِ عَــنْ وِرْدِ الْمُنَــى — رِدْ نَــاجِــحَ الإِيــرَادِ وَالإِصْــدَارِ

وَاهْنَــأْ بِفَتْــحٍ جَــاءَ يَشْتَمِــلُ الــرِّضَــا — جَــذْلاَنَ يَــرْفُــلُ فِــي حِلَــى اسْتِبْشَــارِ

وَإِلَيْكَهَــا مِــلْءَ الْعُيُــونِ وَسَــامَــةً — حَيَّتْــكَ بِــالأَبْكَــارِ مِــنْ أَفْكَــارِي

تُجْــرِي حُــدَاةُ العِيسِ طِيــبَ حَــدِيثِهَــا — يَتَعَلَّلُــونَ بِــهِ عَلَــى الأَكْــوَارِ

إِنْ مَسَّهُــمْ لَفْــحُ الهَجِيــرِ أَبَلَّهُــمْ — مِنْــهُ نَسِيــمُ ثَنَــائِــكَ الْمِعْطَــارِ

وَتُمِيــلُ مَــنْ أَصْغَــى لَهَــا فَكَــأَنَّنِــي — عَــاطَيْتُــه مِنْهَــا كُــؤُوسَ عُقَــارِ

قَــذَفَــتْ بُحُــورُ الْفِكْــرِ مِنْهَــا جَــوْهَــراً — لَمَّــا وَصَفْــتُ أَنَــامِــلاً بِبِحَــارِ

(1) يُشير إلى حمل سعد بن عُبادة ـ رضي الله عنه ـ الداية يوم فتح مكة.

(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «سِيَاسَةً».

(3) عند نيفر: «مَجْدَهُمْ».

لاَ زِلْتَ لِلإِسْلاَمِ سِتْراً كُلَّمَا أَمَّ الْحَجِيجُ الْبَيْتَ ذَا الأَسْتَارِ

وَبَقِيتَ يَا بَدْرَ الْهُدَى تُجْرِي بِمَا شَاءَتْ عُلاَكَ سَوَابِقَ الأَقْدَارِ

(39)

ومن ذلك[1] أثناء وجهة مولانا الجدّ ـ رحمه الله ـ لتجديد الدولة الأحمدية[2] صدر عام 789:

[الكامل]

هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الرِّيَاضِ مَعَ السَّحَرْ فَاسْتَيْقَظَتْ فِي الدَّوْحِ أَجْفَانُ الزَّهَرْ

وَرَمَى القَضِيبُ دَرَاهِماً مِنْ نَوْرِهِ فَاعْتَاضَ مِنْ طَلِّ الْغَمَامِ بِهَا دُرَرْ

نَثَرَ الأَزَاهِرَ بَعْدَمَا نَظَمَ النَّدَا يَا حُسْنَ مَا نَظَمَ النَّسِيمُ وَمَا نَثَرْ

قُمْ هَاتِهَا وَالجَوُّ أَزْهَرُ بَاسِمٌ شَمْساً تَحُلُّ مِنَ الزُّجَاجَةِ فِي قَمَرْ

إِنْ شَجَّهَا بِالْمَاءِ كَفُّ مُدِيرِهَا تَرْمِيهِ مِنْ شُهْبِ الْحَبَابِ بِهَا شَرَرْ

نَارِيَّةٌ نُورِيَّةٌ مِنْ ضَوْئِهَا يَقِدُ[3] السِّرَاجُ لَنَا إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ

لَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ إِلاَّ صِبْغَةً قَدْ أُرْعِشَتْ فِي الكَأْسِ مِنْ ضُعْفِ الكِبَرْ

مِنْ عَهْدِ كِسْرَى لَمْ يُفَضَّ خِتَامُهَا إِذْ كَانَ يَذْخَرُ كَنْزَهَا فِيمَا ذَخَرْ[4]

كَانَتْ مُذَابَ التِّبْرِ فِيمَا قَدْ مَضَى فَأَحَالَهَا ذَوْبَ اللُّجَيْنِ لِمَنْ نَظَرْ

جَدِّدْ بِهَا عُرْسَ الصَّبُوحِ فَإِنَّهَا بِكْرٌ تُحَيِّيهَا الْكِرَامُ مَعَ البُكَرْ

وَابْلُلْ بِهَا رِيقَ[5] الأَصِيلِ عَشِيَّةً وَالشَّمْسُ مِنْ وَعْدِ الغُرُوبِ عَلَى خَطَرْ

---

(1) أي من شعره في الغني بالله.

(2) نسبة إلى أبي العباس أحمد بن سالم المريني تولى سلطنة المغرب مرتين بمساعدة الغنيّ بالله: الأولى من 776 إلى 786؛ والثانية من 789 إلى 796 وهي المشار إليها هنا (راجع الاستقصاء للسلاوي).

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «قَدَعَ».

(4) في نفح: «دَخَرْ».

(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «رَمَق»؛ وعند نيفر: «زمن».

مُحْمَــــرَّةٌ مُصْفَــــرَّةٌ قَــدْ أَظْهَــرَتْ   خَجَلَ الْمُرِيبِ يَشُوبُهُ وَجَلُ الْحَذَرْ

مِــنْ كَــفٍّ شَفَّــافٍ تَجَسَّــدَ نُــورُهُ   مِــنْ جَــوْهَــرِ الآلاَءِ بَهْجَتُــهُ بَهَــرْ

تَهْــوَى الْبُــدُورُ كَمَــالَــهُ وتَــوَدُّ أَنْ   لَــوْ أُوتِيَــتْ مِنْـهُ الْمَحَــاسِــنَ وَالْغُــرَرْ

قَــدْ خَــطَّ نُــونَ عِــذَارِهِ فِــي خَــدِّهِ   قَلَمَــانِ مِــنْ آسٍ هُنَــاكَ وَمِــنْ شَعَــرْ

وَالَــى عَلَيْــكَ بِهَــا الْكُــؤُوسَ وَرُبَّمَــا   يَسْقِيــكَ مِــنْ كَــأْسِ الْفُتُــورِ إِذَا فَتَــرْ

سُكْــرُ النَّــدَامَــى مِــنْ يَــدَيْـهِ وَلَحْظِـهِ   مُتَعَــاقِــبٌ مَهْمَــا سَقَــى وَإِذَا نَظَــرْ

حَيْــثُ الْهَـدِيــلُ مَــعَ الْهَـدِيــرِ تَنَــاغَيَــا   فَــالطَّيْــرُ تَشْـدُو فِــي الْغُصُــونِ بِــلاَ وَتَــرْ

وَالْقُضْــبُ مَــالَــتْ لِلْعِنَــاقِ كَــأَنَّمَــا   وَفْــدُ الأَحِبَّــةِ قَــادِمِيــنَ مِــنَ السَّفَــرْ

مُتَــلاعِبَــاتٍ فِــي الْحُلِــيِّ يَنُــوبُ فِــي   وَجَنَــاتِهِــنَّ الْــوَرْدُ حُسْنــاً عَــنْ خَفَــرْ

وَالنَّــرْجِسُ الْمَطْلُــولُ يَــرْنُــو نَحْــوَهَــا   بِلَــوَاحِــظٍ دَمْــعُ النَّــدَى مِنْهَــا انْهَمَــرْ

وَالنَّهْــرُ مَصْقُــولُ الْحُسَــامِ مَتَــى يَــرِدْ   دِرْعَ الْغَــدِيــرِ مُصَفَّقــاً فِيــهِ صَــدَرْ

يَجْرِي عَلَى الْحَصْبَاءِ وَهْيَ جَوَاهِرٌ   مُتَكَسِّــراً مِــنْ فَــوْقِهَــا مَهْمَــا عَثَــرْ

لَــمْ أَدْرِ مِــنْ شَغَــفٍ بِهَــا وَبِهَــذِهِ   مَــنْ مِنْهُمَــا فَتَــنَ الْقُلُــوبَ وَمَــنْ سَحَــرْ

جَــاءَتْ بِهَــا الأَجْفَــانُ مِــلْءَ ضُلُــوعِهَــا   مِــلْءَ الْخَــوَاطِــرِ وَالْمَسَــامِــعِ وَالْبَصَــرْ

وَمُسَــافِــرٍ فِــي الْبَحْــرِ مِــلْءَ عِنَــانِــهِ   وَافَــى مَــعَ الْفَتْــحِ الْمُبِيــنِ عَلَــى قَــدَرْ

قَــادَتْــهُ نَحْــوَكَ بِــالْخِطَــامِ كَــأَنَّــهُ   جَمَــلٌ يُسَــاقُ إِلَــى الْقِيَــادِ وَقَــدْ نَفَــرْ

وَأَرَاهُ دِيــــنُ اللَّـــــهِ عِـــــزَّةَ أَهْلِـــــهِ   بِــكَ يَــا أَعَــفَّ الْقَــادِرِيــنَ إِذَا قَــدَرْ

يَــا فَخْــرَ أَنْــدَلُــسٍ وَعِصْمَــةَ أَهْلِهَــا   لِلَّهِ[1] سِرٌّ فِي اخْتِصَاصِكَ قَدْ ظَهَرْ

كَــمْ مُعْضِــلٍ مِــنْ دَائِهَــا عَــالَجْتَــهُ   فَشَفَيْــتَ مِنْــهُ بِــالْبِــدَارِ وَبِــالْبِــدَرْ

مَــاذَا عَسَــى يَصِــفُ الْبَلِيــغُ خَلِيفَــةً   وَاللَّـــهِ مَـــا أَيَّـــامُـــهُ إِلاَّ غُـــرَرْ

وُرِّثْــتَ هَــذَا الْفَخْــرَ يَــا مَلِــكَ الْهُــدَى   عَنْ[2] كُلِّ مَنْ آوَى النَّبِيَّ وَمَنْ نَصَرْ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لِلنَّاسِ».

(2) في نفح: «مِنْ».

مَنْ شَاءَ يَعْرِفُ فَخْرَهُمْ وَكَمَالَهُمْ ... فَلْيَتْلُ وَحْيَ اللَّهِ فِيهِمْ وَالسِّيَرْ

أَبْنَاؤُهُمْ أَبْنَاءُ نَصْرٍ بَعْدَهُمْ ... بِسُيُوفِهِمْ دِينُ الإِلَاهِ قَدِ انْتَصَرْ

مَوْلَايَ سَعْدُكَ وَالصَّبَاحُ تَشَابَهَا ... وَكِلَاهُمَا فِي الْخَافِقَيْنِ قَدِ اشْتَهَرْ

هَذَا وَزِيرُ الْغَرْبِ عَبْدٌ آبِقٌ ... لَمْ يُلْفِ غَيْرَكَ فِي الشَّدَائِدِ مِنْ وَزَرْ[1]

كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ ... وَاللَّهُ قَدْ حَتَمَ الْعَذَابَ لِمَنْ كَفَرْ

إِنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْظِهِ ... وَصَلَى سَعِيراً لِلتَّأَسُّفِ وَالْفِكَرْ

رَكِبَ الْفِرَارَ مَطِيَّةً يَنْجُو بِهَا ... فَجَرَتْ بِهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى سَقَرْ

وَكَذَا أَبُو حَمُّو[2] وَكَانَ حِمَامُه[3] ... قَدْ حُمَّ وَهْوَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى غَرَرْ

بَلَّغْتَهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ، ... مَا شَاءَ مِنْ وَطَنٍ يَعِزُّ وَمِنْ وَطَرْ

حَتَّى إِذَا جَحَدَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ ... لَمْ تُبْقِ مِنْهُ الْحَادِثَاتُ وَلَمْ تَذَرْ

فِي حَالِهِ وَاللَّهِ أَعْظَمُ عِبْرَةٍ ... لِلَّهِ عَبْدٌ فِي الْقَضَاءِ قَدِ اعْتَبَرْ

فَاصْبِرْ تَنَلْ أَمْثَالَهَا فِي مِثْلِهِ ... إِنَّ الْعَوَاقِبَ فِي الأُمُورِ لِمَنْ صَبَرْ

رِدْ حَيْثُ شِئْتَ مُسَوَّغاً وِرْدَ الْمُنَى ... فَاللَّهُ حَسْبُكَ فِي الْوُرُودِ وَفِي الصَّدَرْ

لَا زِلْتَ مَحْرُوساً بِعَيْنِ كَلَاءَةٍ ... مَا دَامَ عَيْنُ الشَّمْسِ تُعْشِي مَنْ نَظَرْ

ومنها[4] وقد أضاف إليه من التغزّل طوع بداره وحجّة اقتداره فقال:

وَالْعُودُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ بِسِرِّ مَا ... تُلْقِي لَنَا مِنْهُ الأَنَامِلُ قَدْ جَهَرْ

غَنَّى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهْوَ بِدَوْحِهِ ... وَالآنَ غَنَّى فَوْقَهُ ظَبْيٌ أَغَرْ

عُودٌ ثَوَى حِجْرَ الْقَضِيبِ رَعَى لَهُ ... أَيَّامَ كَانَا فِي الرِّيَاضِ مَعَ الشَّجَرْ

---

(1) يريد ذا الوزارتين لسان الدين بن الخطيب.

(2) هو أبو حمّو موسى بن يوسف الزيّاني سلطان المغرب الأوسط، من بني عبد الواد، وكان بينه وبين بني مرين سلاطين المغرب حروب (انظر: تاريخ ابن خلدون).

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وكذا أبوه وكان منه حِمَامُه».

(4) لقد كان المقرّي في أزهار ونفح ينتقي من ديوان ابن زمرك فيثبت ما يشاء ويترك ما يشاء.

لاَ سِيَّمَا لَمَّا رَأَى مِنْ ثَغْرِهِ زَهْراً وَأَيْنَ الزَّهْرُ مِنْ تِلْكَ الدُّرَرْ؟
وَيُظَنُّ أَنَّ عِذَارَهُ مِنْ آسِهِ وَيُظَنُّ تُفَّاحَ الْخُدُودِ مِنَ الثَّمَرْ
يَسْبِي الْقُلُوبَ بِلَفْظِهِ وَبِلَحْظِهِ وَافِتْتَنِي بَيْنَ التَكَلُّمِ وَالنَّظَرْ
قَدْ قَيَّدَتْهُ لأُنْسِنَا أَوْتَارُهُ كَالظَّبْيِ قُيِّدَ فِي الْكِنَاسِ إِذَا نَفَرْ
لَمْ يُبْلَ قَلْبِي قَبْلَ سَمْعِ غِنَائِهِ بِمُعَذِّرٍ سَلَبَ الْعُقُولَ وَمَا اعْتَذَرْ
جَسَّ الْقُلُوبَ بِجَسِّهِ أَوْتَارَهُ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَنَا بَيْنَ الْوَتَرْ
نَمَّتْ لَنَا أَلْحَانُهُ بِجَمِيعِ مَا قَدْ أَوْدَعَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْفِكَرْ
يَا صَامِتاً وَالْعُودُ تَحْتَ بَنَانِهِ يُغْنِيكَ نُطْقُ الْخُبْرُ فِيهِ عَنِ الْخَبَرْ
أَغْنَى غِنَاؤُكَ عَنْ مُدَامِكَ يَا تُرَى هَلْ مِنْ لِحَاظِكِ أَمْ بَنَانِكَ ذَا السَّكَرْ؟
بَاحَتْ أَنَامِلُكَ اللِّدَانُ بِكُلِّ مَا كَانَ الْمُتَيَّمُ فِي هَوَاهُ قَدْ سَتَرْ
وَمُقَاتِلٍ مَا سَلَّ غَيْرَ لِحَاظِهِ وَالرُّمْحَ هَزَّ مِنَ الْقَوَامِ إِذَا خَطَرْ
دَانَتْ لَهُ مِنَّا الْقُلُوبُ بِطَاعَةٍ وَالسَّيْفُ يَمْلِكُ رَبَّهُ مَهْمَا[1] قَهَرْ

(40)

وقال شاكراً لنعمة وصلَتْه من مولانا ـ رحمة الله عليه ـ في عاشوراء:

[الكامل]

مَوْلاَيَ يَا ابْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْعُلاَ وَالرَّافِعِينَ لِوَاءَهَا الْمَنْشُورَا
إِنْ لُوحِظُوا[2] فِي الْمَعْلُواتِ فَإِنَّهُمْ طَلَعُوا بِآفَاقِ الْعَلاَءِ بُدُورَا
أَوْ فُوخِرُوا فِي الْمَكْرُمَاتِ فَإِنَّهُمْ نَظَمُوا بِأَسْلاَكِ الْفَخَارِ شُذُورَا
أَبْنَاءَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ فِي الذِّكْرِ أَصْبَحَ فَخْرُهُمْ مَذْكُورَا
وَالْمُوثِرِينَ وَرَبُّنَا أَثْنَى بِهَا فِي الْحَشْرِ خَلَّدَ وَصْفَهُمْ مَسْطُورَا

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «فِيمَنْ».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لُوحِقُوا».

فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ نَدَاكَ غَمَائِمٌ وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورَا
مِنْ كَفٍّ شَفَّافِ الضِّيَاءِ تَخَالُهُ لِصَفَاءِ جَوْهَرِهِ تَجَسَّدَ نُورَا
نِعَمٌ مُنَوَّعَةٌ تَعَدَّدَ وَفْرُهَا أَعْجَزْتَ عَنْهَا شُكْرِيَ الْمَوْفُورَا
فِي مَوْسِمٍ لِلدِّينِ قَدْ جَدَّدْتَهُ وَأَقَمْتَ فِينَا عِيدَهُ الْمَشْهُورَا
أَضْعَافَ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مِنَّةٍ تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورَا
وَعَلَى الطَّرِيقِ بَشَائِرٌ مَحْمُودَةٌ أَلْقَاكَ جَذْلاناً بِهَا مَسْرُورَا

(41)

ومن ذلك[1] وقد عاد من وجهة للصيد أعملها؛ وأعنّة للجياد في ميادين ذلك الطّراد أرسلها، ما أنشده:

[الكامل]

حَيَّاكِ يَا دَارَ الْهَوَى مِنْ دَارِ نَوْءُ السِّمَاكِ بِدِيمَةٍ مِدْرَارِ
وَأَعَادَ وَجْهَ رُبَاكِ طَلْقاً مُشْرِقاً مُتَضَاحِكاً بِمَبَاسِمِ النُّوَّارِ
أَمُذَكِّرِي دَارَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى حَيْثُ الشَّبَابُ يَرِفُّ غُصْنَ[2] نُضَارِ
عَاطَيْتَنِي عَنْهَا الْحَدِيثَ كَأَنَّمَا عَاطَيْتَنِي عَنْهَا كُؤُوسَ عُقَارِ
إِيهٍ وَإِنْ أَذْكَيْتَ نَارَ صَبَابَتِي وَقَدَحْتَ زَنْدَ الشَّوْقِ بِالتِّذْكَارِ
يَا زَاجِرَ الأَظْعَانِ وَهْيَ مَشُوقَةٌ أَشْبَهْتَهَا فِي زَفْرَتِي وَأُوَارِي[3]
حَنَّتْ إِلَى نَجْدٍ وَلَيْسَتْ دَارَهَا وَصَبَتْ إِلَى هِنْدِيَّةٍ وَالْقَارِ[4]
لَكِنَّهَا شَامَتْ بِهِ بَرْقَ الْحِمَى وَاعْتَادَهَا طَيْفُ الْكَرَى بِمَزَارِ[5]

(1) أي من عيديّاته في مدح الغني بالله.
(2) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «يَرُوقُ حُسْنَ».
(3) في أزهار: «زفرةٍ وأُوَارِ».
(4) كذا في الإحاطة وأزهار؛ وفي نفح: «والغَارِ».
(5) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة ونفح:

هَـلْ تُبْلِـغُ الْحَـاجَـاتِ إنْ حُمِّلْتَهَـا ... إنَّ الْـــوَفَـــاءَ سَجِيَّـــةُ الأَحْـــرَارِ
عَـرِّضْ بِـذِكْـرِي فِـي الْخِيَـامِ وَقُـلْ إذَا ... جِئْــتَ الْعَقِيــقَ مُبَلِّــغَ الأَوْطَــارِ
عَـارٌ بِقَـوْمِـكِ يَـا ابْنَـةَ الْحَيَّيْــنِ أَنْ ... تُلْـوِي الـدُّيُـونَ وَأَنْـتِ ذَاتُ يَسَـارِ
أَمَنَعْـتِ مَيْسُـورَ الْكَـلاَمِ أَخَـا الْهَـوَى ... وَبَخِلْـتِ حَتَّـى بِـالْخَيَـالِ السَّـارِي
وَأَبَـانَ جَـارِي الـدَّمْـعِ عُـذْرَ هُيَـامِـهِ ... لَكِـنْ أَضَعْـتِ لَـهُ حُقُـوقَ الْجَـارِ[1]
هَذَا وَقَوْمُكِ ـ مَا عَلِمْتِ خِلاَلَهُمْ ـ ... أَوْفَـى الْكِـرَامِ بِـذِمَّـةٍ وَجِـوَارِ
اللَّـــهَ فِـــي نَفْـسٍ شَعَـاعٍ كُلَّمَـا ... هَـبَّ النَّسِيـمُ تَطِيـرُ كُـلَّ مَطَـارِ
بِـاللَّـهِ يَـا لَمْيَـاءُ مَـا مَنَـعَ الصَّبَـا ... أَلاَّ تَهُــبُّ بِعَــرْفِــكِ الْمِعْطَــارِ
يَـا بِنْـتَ مَـنْ تَشْـدُو الْحُـدَاةُ بِـذِكْـرِهِ ... مُتَعَلِّلِيـــنَ بِـــهِ عَلَـــى الأَكْــوَارِ
مَـا ضَـرَّ نَسْمَـةَ حَـاجِـزٍ لَـوْ أَنَّهَـا ... أَهْـدَتْ لَنَـا خَبَـراً مِـنَ الأَخْبَـارِ
هَــلْ بَـانُـهُ مِـنْ بَعْـدِنَـا مُتَـأَوِّدٌ ... مُتَجَــاوِبٌ مُتَــرَنِّــمُ الأَطْيَــارِ
وَهَـلِ الظِّبَـاءُ الآنِسَـاتُ كَعَهْـدِنَـا[2] ... يَصْرَعْـنَ أُسْـدَ الْغَـابِ وَهْـيَ ضَـوَارِي
يَفْتِكْــنَ مِــنْ قَـامَـاتِهَـا ولِحَـاظِهَـا ... بِـــالْمَشْـــرَفِيَّـــةِ وَالْقَنَـا الْخَطَّـارِ
أَشْعَــرْتُ قَلْبِــي حُبَّهُــنَّ صَبَـابَـةً ... فَــرَمَيْنَنِــي مِــنْ لَــوْعَتِـي بِجِمَـارِ
وَعَلَـى الْكَثِيـبِ سَـوَانِـحٌ حُمْـرُ الْحِلَـى ... بِيـضُ الْـوُجُـوهِ يَصِـدْنَ بِـالأَفْكَـارِ
أَدْنَـى الْحَجِيـجُ جِمَـارَهُـنَّ[3] ثَـلاثَـةً ... بِمِنًـى لَـوْ آنَّ مِنًـى بِـدَارِ[4] قَـرَارِ
لَكِـنَّ يَـوْمَ النَّفْـرِ جُـدْنَ لَنَـا بِمَـا ... عَــوَّدْنَنَــا مِــنْ جَفْــوَةٍ وَنِفَــارِ
يَا ابْنَ الأُلَى قَدْ أَحْرَزُوا فَضْلَ الْعُلَى ... وَسَمَــوْا بِطِيــبِ أَرُومَــةٍ وَنِجَــارِ
وَتَنُـوبُ عَـنْ صَـوْبِ الْغَمَـامِ أَكُفُّهُـمْ ... وَتَنُــوبُ أَوْجُهُهُــمْ عَــنِ الأَقْمَـارِ

= «شَاقَتْ بِهِ برقُ الحِمَى واعتَادَهَا ... طيفُ الكَرَى بِمَزَارِهَا المِزْوَارِ»

(1) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «حُقُوقَ ذَاكَ الجَارِ».
(2) كذا في الإحاطة ونفح؛ أما في أزهار: «كعَهْدِها».
(3) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «مَزَارَهُنَّ».
(4) في أزهار: «دِيَارُ».

مِـنْ آلِ سَعْـدٍ رَافِعِـي عَلَـمَ الْهُـدَى وَالْمُصْطَفَيْـنَ لِنُصْـرَةِ الْمُخْتَـارِ

أَصْبَحْـتَ وَارِثَ مَجْدِهِـمْ وَفَخَارِهِـمْ وَمُشَـرِّفَ الأَعْصَـارِ وَالأَمْصَـارِ

وَجْـهٌ كَمَـا حَسَـرَ الصَّبَـاحُ نِقَـابَـهُ وَيَـدٌ تَمُـدُّ أَنَـامِـلاً بِبِحَـارِ

جَـرَّدْتَ[1] دُونَ الـدِّيـنِ عَـزْمَـةَ أَرْوَعٍ جَـدَّدْتَ مِنْهَـا سُنَّـةَ الأَنْصَـارِ

حُطْـتَ الْبِـلاَدَ وَمَـنْ حَـوَتْـهُ ثُغُـورُهَـا وَكَفَـى بِسَعْـدِكَ حَـامِيـاً لِـذِمَـارِ

لِلَّـهِ رِحْلَتُـكَ الَّتِـي نِلْنَـا بِهَـا أَجْـرَ الْجِهَـادِ وَنُـزْهَـةَ الأَبْصَـارِ

أَوْرَدْتَنَـا فِيهَـا لِجُـودِكَ مَـوْرِداً مُسْتَعْـذَبَ الإِيـرَادِ وَالإِصْـدَارِ

وَأَفَضْـتَ فِينَـا مِـنْ نَـدَاكَ مَـوَاهِبـاً حَسُنَـتْ مَـوَاقِعُهَـا عَلَـى التَّكْـرَارِ

أَضْحَكْـتَ ثَغْـرَ الثَّغْـرِ لَمَّـا جِئْتَـهُ وَخَصَصْتَـهُ بِخَصَـائِـصِ الإِيثَـارِ

حَتَّـى الْفَـلاةُ تُقِيـمُ يَـوْمَ وَرَدْتَهَـا سُنَـنَ القِـرَى بِتَـلأْلُـؤِ الأَنْـوَارِ[2]

وَسَـرَتْ عُقَـابُ الْجَـوِّ تُهْـدِيـكَ الّـذِي تَصْطَـادُ مِـنْ وَحْـشٍ وَمِـنْ أَطْيَـارِ

وَالأَرْضُ تَعْلَـمُ أَنَّـكَ الْغَـوْثُ الّـذِي تُضْفِـي عَلَيْهَـا وَاقِـيَ[3] الأَسْتَـارِ

وَلَـرُبَّ مُمْتَـدِّ الأَبَـاطِـحِ مُـوحِـشٍ عَـالِـي الـرُّبَـى مُتَبَـاعِـدِ الأَقْطَـارِ

هَمَـلِ الْمَسَـارِحِ لا يُـرَاعُ قَنِيصُـهُ إِلاّ لِنَبْـأَةِ فَـارِسٍ مِغْـوَارِ

سَـرَحَـت عِنَـانُ الـرِّيـحِ فِيـهِ وَرُبَّمَـا أَلْقَـتْ بِسَـاحَتِـهِ عَصَـى التَّسْيَـارِ

بَـاكَـرْتَـهُ وَالأُفْـقُ قَـدْ خَلَـعَ الـدُّجَـا مِسْحـاً لِيَلْبَـسَ حُلَّـةَ[4] الإِسْفَـارِ

وَجَـرَى بِـهِ نَهْـرُ النَّهَـارِ كَمِثْـلِ مَـا سَكَـبَ النَّـدِيـمُ[5] سُـلاَفَـةً مِـنْ قَـارِ

عَـرَضَـتْ بِهَـا الْمُسْتَنْفَـرَاتُ كَـأَنَّهَـا خَيْـلٌ عِـرَابٌ جُلْـنَ فِـي مِضْمَـارِ

أَتْبَعْتَهَـا غُـرَرَ الْجِيَـادِ كَـوَاكِبـاً تَنْقَـضُّ رَجْمـاً فِـي سَمَـاءِ غُبَـارِ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «جَدَّدْتَ».

(2) كذا في الإحاطة وأزهار؛ وفي نفح: «بثلاثة الأنوار».

(3) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «وَافِي».

(4) في أزهار: «خِلْعَة».

(5) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «النَّسِيمُ».

وَالْهَادِيَاتُ يَؤُمُّهَا عَبْلُ الشَّوَى مُتَدَفِّقٌ كَتَدفُّقِ التَّيَارِ

أَجْرَيْتَهَا[1] شَقْرَاءَ رَائِقَةَ الْحُلَى فَرَمَيْتَهُ مِنْهَا بِشُعْلَةِ نَارِ

أَثْبَتَّ فِيهِ الرُّمْحَ ثُمَّ تَرَكْتَهُ خَضِبَ الْجَوَانِحِ بِالدَّمِ الْمَوَّارِ

حَامَتْ عَلَيْهِ الذَّابِلاَتُ كَأَنَّهَا طَيْرٌ أَوَتْ مِنْهُ إِلَى أَوْكَارِ

طَفِقَتْ أَرَانِبُهُ غَدَاةَ أَثَرْتَهَا تَبْغِي الْفِرَارَ وَلاَتَ حِينَ فِرَارِ

هَلْ يَنْفَعُ الْبَاعُ الطَّوِيلُ وَقَدْ غَدَتْ يَوْمَ الطِّرَادِ قَصِيرَةَ الأَعْمَارِ

مِنْ كُلِّ مُنْحَفِزٍ بِلَمْحَةِ بَارِقٍ فَاتَتْ خُطَاهُ مَدَارِكَ الأَبْصَارِ

وَجَوَارِحٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ طِلاَبُهَا فَكَأَنَّمَا طَالَبْنَهُ بِالثَارِ

سُودٌ وَبِيضٌ فِي الطِّرَادِ تَتَابَعَتْ كَاللَّيْلِ طَارَدَهُ بَيَاضُ نَهَارِ

تَرْمِي بِهَا وَهْيَ الْحَنَايَا ضُمَّراً مِثْلَ السِّهَامِ نَزَعْنَ[2] عَنْ أَوْتَارِ

ظَنَّتْ بِأَنْ يَنْجُو لَهَا[3] كَلاَّ وَلَوْ أَغْرَيْتَهُ بِأَرَانِبِ الأَقْمَارِ

وَبِكُلِّ فَتْخَاءِ الْجَنَاحِ إِذَا ارْتَمَتْ فَكَأَنَّهَا نَجْمُ السَّمَاءِ السَّارِي

زَجِلُ الْجَنَاحِ مُصَفِّقٌ كَمَنِ الرَّدَى فِي مِخْلَبٍ مِنْهُ وَفِي مِنْقَارِ

أَجْلَى الطَّرِيدَ مِنَ الْوُحُوشِ وَإِنْ رَمَى طَيْراً أَتَاكَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ

وَأَرَيْتَنَا الْكَسْبَ الَّذِي أَعْدَادُهُ مَلأَتْ جَمَالاً أَعْيُنَ النُّظَّارِ

بِيضٌ وَصُفْرٌ خِلْتَ مَطْرَحَ سَرْحِهَا رَوْضاً تَفَتَّحَ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ

مِنْ كُلِّ مَوْشِيِّ الأَدِيمِ مُفَوَّفٍ[4] رَقَمَتْ بَدَائِعَهُ يَدُ الأَقْدَارِ

خُلِطَ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فِي لَوْنِهِ فَتَرَى اللُّجَيْنَ يَشُوبُ ذَوْبَ نُضَارِ

---

(1) كذا في نفح؛ وفي الإحاطة وأزهار: «أَزْجَيْتَهَا».

(2) في الإحاطة: «فزعْنَ».

(3) كذا في الإحاطة؛ وفي أزهار: «تَنْجُو بِهَا».

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «مُفَوَّقٍ».

أَوْ أَشْعَــلِ رَاقَ الْعُيُــونَ كَــأَنَّــهُ غَلَسٌ يُخَالِطُ[1] سُدْفَةً[2] بِنَهَارِ

سَرَحَتْ بِمُخْضَرِّ الْجَوَانِبِ يَانِعٍ تَنْسَابُ فِيهِ أَرَاقِمُ الأَنْهَارِ

قَدْ أَرْضَعَتْهُ السَّارِيَاتُ لِبَانَهَا وَحَلَلْنَ فِيهِ أَزِرَّةَ النَّوَّارِ

أَخَذَتْ سُعُودُكَ حِذْرَهَا فَلِحِكْمَةٍ أَغْرَتْ جُفُونَ الْمُزْنِ بِاسْتِعْبَارِ

لَمَّا أَرَتْكَ الشَّمْسُ صُفْرَةَ حَاسِدٍ لِجَبِينِكَ[3] الْمُتَأَلِّقِ الأَنْوَارِ

نَفَثَتْ عَلَيْكَ السُّحْبُ نَفْثَ مُعَوِّذٍ مِنْ عَيْنِهَا الْمُتَوَقَّعِ الأَضْرَارِ[4]

فَارْفَعْ لِوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَاسْحَبْ ذُيُولَ الْعَسْكَرِ الْجَرَّارِ

وَاهْنَأْ بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ مُخَوَّلاً مَا شِئْتَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ أَنْصَارِ

قَدْ جِئْتُ دَارَكَ مُحْسِناً وَمُؤَمِّلاً مُتِّعْتَ بِالْحُسْنَى وعُقْبَى الدَّارِ

وَإِلَيْكَهَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْحَةً شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الأَزْهَارِ

(42)

ومن رقيق منازعه في بعض نُزَهِ مولانا ـ رضوان الله عليه ـ بالقصر السلطاني من شنِّيل قوله:

[الكامل]

نفْسِي الْفِدَاءُ لِشَادِنٍ مَهْمَا خَطَرْ فَالْقَلْبُ مِنْ سَهْمِ الْجُفُونِ عَلَى خَطَرْ

فَضَحَ الْغَزَالَةَ وَالأَقَاحَةَ وَالْقَنَا مَهْمَا تَثَنَّى أَوْ تَبَسَّمَ أَوْ نَظَرْ

عَجَباً لِلَيْلِ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهِ وَالْوَجْهُ مِنْهُ عَنْ صَبَاحٍ قَدْ سَفَرْ[5]

عَجَباً لِعِقْدِ الثَّغْرِ مِنْهُ مُنَظَّماً وَالْعِقْدُ مِنْ دَمْعِي عَلَيْهِ قَدِ انْتَثَرْ

مَا رُمْتُ أَنْ أَجْنِي الأَقَاحَ بِثَغْرِهِ إِلاَّ وَقَدْ سَلَّ السُّيُوفَ مِنَ الْحَوَرْ

(1) كذا قراءة أزهار وهي الأرجح؛ وفي الإحاطة ونفح: «تُخَالِطُ».
(2) كذا أزهار؛ وفي نفح: «سَدْفَةً».
(3) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «بِجَبِينِكَ».
(4) وفي نفح: «الإِضْرَارِ».
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «والوجهُ يسفر عن صباح قد سَفَر».

وَرِضَـاكَ عَنْـهُ غَـايَـةٌ مَـا بَعْـدَهَـا إلاَّ رِضَـا اللَّـهِ الَّـذِي ابْتَـدَعَ الْبَشَـرْ
فَـاشْكُـرْ صَنِيـعَ اللَّـهِ فِيـكَ فَـإِنَّـهُ سُبْحَـانَـهُ ضَمِـنَ الْمَـزِيـدَ لِمَـنْ شَكَـرْ
وَعَلَيْـكَ مِـنْ رَوْحِ الإِلاَهِ تَحِيَّـةٌ تَهْفُـو إِلَيْـكَ مَـعَ الأَصَـائِـلِ وَالْبُكَـرْ

(43)

ومنها[1] يوم عاشوراء:

[الكامل]

يَـا أَيُّهَـا الْمَـوْلَـى الَّـذِي بَـرَكَـاتُـهُ رَفَعَـتْ لِـوَاءً لِلنَّـدَى مَنْشُـورَا
لَـكَ رَاحَـةٌ تُـزْجِـي الْغَمَـامَ بِـأَنْمُـلٍ فَجَّـرَتْ مِنْهَـا بِـالنَّـوَالِ بُحُـورَا
وَالْيَـوْمَ مَـوْسِـمُ قُـرْبَـةٍ وَعِبَـادَةٍ وَغـداً ظَفِـرْتَ بِـأَجْـرِهِ عَـاشُـورَا
رَاعَيْـتَ فِيـهِ سُنَّـةً نَبَـوِيَّـةً يَـرْوِي الثِّقَـاتُ حَـدِيثَهَـا الْمَشْهُـورَا
لاَ زِلْـتَ عَـامَـكَ كُلَّـهُ فِـي غِبْطَـةٍ لُقِّيـتَ مِنْهَـا نَضْـرَةً وَسُـرُورَا

(44)

ومنها[1] في جفنةِ ثَريدٍ:

[الطويل]

طَعَـامُـكَ مِـنْ دَارِ النَّعِيـمِ بَعَثْتَـهُ فَشَرَّفْتَنِي[2] مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي
بِهَضْبَـةِ نُعْمَـى قَـدْ سَمَـوْنَـا لأَوْجِهَـا قَصَـدْنَـا بِـأَعْـلاَهَـا الشَّهِـيَّ مِـنَ الطَّيْـرِ
وَقَـوْرَاءَ قَـدْ دُرْنَـا بِهَـالَـةِ بَـدْرِهَـا كَمَا دَارَتِ الزُّهْرُ النُّجُومُ عَلَى الْبَدْرِ
وَقَـدْ حُمِّلَـتْ فَـوْقَ الـرُّؤُوسِ لأَنَّهَـا هَـدِيَّـةُ مَـوْلًـى حَـلَّ فِـي مَفْـرِقِ الْفَخْـرِ
فَمَـا شِئْـتَ مِـنْ طَعْـمٍ زَكِـيٍّ مُهَنَّـإٍ وَمَا شِئْتَ مِنْ عَرْفٍ ذَكِيٍّ وَمِنْ نَشْرِ

---

(1) أي في غرض الشكر على الهدايا.
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فشرَّفتَهُ».

فَلَوْ أَنَّهَا قَدْ قُدِّمَتْ لِخَلِيفَةٍ ... لأَعْظَمَهَا قَدْراً وَبَالَغَ فِي الشُّكْرِ
وَكَمْ لَكَ مِنْ نُعْمَى عَلَيَّ عَمِيمَةٍ ... يَقِلُّ لأَدْنَاهَا الْجَمِيلُ مِنَ الذِّكْرِ
فَلاَ زِلْتَ يَا مَوْلَى الْمُلُوكِ مُبَلَّغاً ... أَمَانِيَّ تَرْجُوهَا إِلَى سَالِفِ الدَّهْرِ[1]

(45)

ومنها شكراً على خِلعةٍ:

[الكامل]

يَا بَدْرَ تِمٍّ فِي سَمَاءِ خِلاَفَةٍ ... حَفَّتْ نُجُومُ السَّعْدِ هَالَةَ قَصْرِهِ
أَلْبَسْتَ عَبْدَكَ مِنْ ثِيَابِكَ مَلْبَساً ... قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ مَدَارِكُ شُكْرِهِ
وَرِضَاكَ عَنْهُ خَيْرُ مَا أَلْبَسْتَهُ ... فَلَقَدْ أَشَادَ بِجَاهِهِ وَبِبِرِّهِ
أَلْبَسْتَنِي أَرْكَبْتَنِي شَرَّفْتَنِي ... أَهْدَيْتَنِي مَا لاَ أَقُومُ بِحَصْرِهِ
نَظَرِي لِوَجْهِكَ وَهْوَ أَجْمَلُ[2] نَيِّرٍ ... يُزْرِي عَلَى شَمْسِ الزَّمَانِ وَبَدْرِهِ
أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنَّةً لاَ سِيَّمَا ... وَأَنَا الْمُنَعَّمُ فِي الْحُضُورِ بِبِشْرِهِ
لاَ زِلْتَ مَوْلَى لِلْمُلُوكِ مُؤَمَّلاً ... وَحُلاَكَ[3] لِلإِسْلاَمِ مَفْخَرُ دَهْرِهِ

(46)

وكتب له مع هدية زهريّة:

[الطويل]

أَمَوْلاَيَ تَقْبِيلِي لِيُمْنَاكَ شَاقَنِي ... وَلاَ يُنْكِرُ الظَّمْآنُ شَوْقاً إِلَى الْبَحْرِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَاطَلَنِي بِهَا ... وَشَوَّقَنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهْرَ الْجَنِيَّ لَعَلَّهَا ... يُقَبِّلُهَا عَنِّي ثُغُورٌ مِنَ الزَّهْرِ

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «مَا نَرْجُو إلى آخِرِ».
(2) عند نيفر: «أبيض».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «عُلاَكَ».

لَـمْ أَنْسَـهُ لَيْـلَ ارْتِقَـابِ هِـلاَلِـهِ وَالْقَلْبُ مِنْ شَكِّ الظُّهُورِ عَلَى غَـرَرْ

بِتْنَـا نُـرَاقِبُـهُ بِـأَوَّلِ لَيْلَـةٍ فَـإِذَا بِـهِ قَـدْ لاَحَ فِـي[1] نِصْفِ الشَّهَـرْ

وَكِـلاَهُمَـا يُبْـدِي مَحَـاسِـنَ جَمَّـةً مِلْءَ الْمَشَامِمِ[2] وَالْمَسَامِعِ وَالْبَصَرْ

وَالكَـأْسُ تَطْلَـعُ شَمْسُهَـا فِـي خَـدِّهِ فَتَكَـادُ تُعْشِـي بِـالأَشِعَّـةِ مَـنْ نَظَـرْ[3]

نُـورِيَّـةٌ كَجَبِينِـهِ وَكِـلاَهُمَـا يَجْلُـو ظَـلاَمَ اللَّيْـلِ بِـالْـوَجْـهِ الأَغَـرْ

هِـيَ شِيمَـةٌ[4] لِلشَّيْـخِ فِيهَـا نِسْبَـةٌ مَـا إِنْ يَـزَالاَ يَـرْعَشَـانِ مِـنَ الْكِبَـرْ

أَفْرَغْتُ فِي جِسْمِ الزُّجَاجَةِ رُوحَهَا فَـرَأَيْـتُ رُوحَ الأُنْـسِ مِنْهَـا قَـدْ بَهَـرْ

لا تَسْـقِ غَيْـرَ الـرَّوْضِ فَضْلَـةَ كَـأْسِهَـا فَـالْغُصْـنُ فِـي ذَيْـلِ الأَزَاهِـرِ قَـدْ عَثَـرْ

مَـا هَـبَّ خَفَّـاقُ النَّسِيـمِ مَـعَ السَّحَـرْ إِلاَّ وَقَـدْ شَـاقَ النُّفُـوسَ وَقَـدْ سَحَـرْ

نَـاجَـى الْقُلُـوبَ الْخَـافِقَـاتِ كَمِثْلِـهِ وَوَشَى بِمَا تُخْفِي الْكِمَامُ مِنَ الزَّهَرْ

وَرَوَى عَنِ الضَّحَاكِ عَنْ[5] زَهْرِ الرُّبَـى مَـا أَسْنَـدَ الـزَّهْـرِيُّ عَنْـهُ عَـنْ مَطَـرْ

وَتَحَمَّلَـتْ عَنْـهُ صَحِيـحَ حَـدِيثِـهِ[6] رُسُـلُ النَّسِيـمِ وَصَـدَّقَ الْخُبْـرُ الْخَبَـرْ

يَـا قَصْـرَ شِنِّيْـلٍ وَرَبْعُـكَ آهِـلٌ وَالرَّوْضُ مِنْكَ عَلَى الْجَمَالِ قَدِ اقْتَصَرْ

لِلَّـهِ بَحْـرُكَ وَالصَّبَـا قَـدْ سَـرَّدَتْ مِنْـهُ دُرُوعـاً تَحْـتَ أَعْـلاَمِ الشَّجَـرْ

وَالآسُ حَـفَّ عِـذَارُهُ مِـنْ حَـوْلِـهِ عَـنْ كُـلِّ مَـنْ يَهْوَى الْعِذَارَ قَدِ اعْتَذَرْ

قَبِّـلْ بِثَغْـرَ الـزَّهْـرِ كَـفَّ خَلِيفَـةٍ يُغْنِيكَ صَوْبُ الْجُودِ مِنْهُ عَنِ الْمَطَرْ

وَافْـرِشْ خُـدُودَ الْـوَرْدِ تَحْـتَ نِعَـالِـهِ وَاجْعَلْ بِهَا لَوْنَ الْمُضَاعَفِ عَنْ خَفَرْ

وَانْظِـمْ غِنَـاءَ الطَّيْـرِ فِيـهِ مَـادِحـاً وَانْثُـرْ مِـنَ الـزَّهْـرِ الـدَّرَاهِـمَ وَالـدُّرَرْ

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مِنْ».
(2) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «المَفَاهِمِ».
(3) في نفح: «بالأشعَةِ والنَّظَرْ».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «نُسْخَةٌ».
(5) في أزهار: «مِنْ».
(6) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «حديث صحيحِهِ».

الْمُنْتَقَى مِنْ جَوْهَرِ الشَّرَفِ الَّذِي   فِي مَدْحِهِ قَدْ أُنْزِلَتْ آيُ السُّوَرْ

وَالْمُجْتَبَى مِنْ عُنْصُرِ النُّورِ الَّذِي   فِي مَطْلَعِ الْهَدْيِ الْمُقَدَّسِ قَدْ ظَهَرْ

ذُو سَطْوَةٍ مَهْمَا كَفَى ذُو رَحْمَةٍ   مَهْمَا عَفَا ذُو عِفَّةٍ مَهْمَا قَدَرْ

كَمْ سَائِلٍ فِي الدَّهْرِ أَقْسَمَ قَائِلاً:   وَاللَّهِ مَا أَيَّامُهُ إِلاَّ غُرَرْ

مَوْلاَيَ سَعْدُكَ كَالْمُهَنَّدِ فِي الْوَغَى   لَمْ يُبْقِ مِنْ رَسْمِ الضَّلاَلِ وَلَمْ يَذَرْ

مَوْلاَيَ وَجْهُكَ وَالصَّبَاحُ تَشَابَهَا   وَكِلاَهُمَا فِي الْخَافِقَيْنِ قَدِ اشْتَهَرْ

إِنَّ الْمُلُوكَ كَوَاكِبٌ أَخْفَيْتَهَا   وَطَلَعْتَ وَحْدَكَ[1] فِي مَظَاهِرِهَا قَمَرْ

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ زَمَانِكَ مَوْسِمٌ   فِي طَيِّهِ لِلْخَلْقِ أَعْيَادٌ[2] كُبَرْ

فَاسْتَقْبِلِ الأَيَّامَ يَنْدَى رَوْضُهَا   وَيَرِفُّ وَالنَّصْرُ الْعَزِيزُ لَهُ ثَمَرْ

قَدْ ذَهَّبَتْ[3] مِنْهُ الْعَشَايَا ضِعْفَ مَا   قَدْ فَضَّضَتْ مِنْهَا الْمَحَاسِنُ فِي السَّحَرْ

يَا ابْنَ الَّذِينَ إِذَا تُعَدُّ خِلاَلُهُمْ   نَفِدَ الْحِسَابُ وَأَعْجَزَتْ عَنْهَا الْقُدَرْ

إِنْ أَوْرَدُوا هِيمَ السُّيُوفِ غَدَائِراً   مَصْقُولَةً فَلَطَالَمَا حَمِدُوا الصَّدَرْ

سَائِلْ بِبَدْرٍ عَنْهُمُ بَدْرَ الْهُدَى   فَبِهِمْ عَلَى حِزْبِ الضَّلاَلِ قَدِ انْتَصَرْ

وَاسْأَلْ مَوَاقِفَهُمْ بِكُلِّ مُشَهَّرٍ   وَاقْرَ الْمَغَازِيَ فِي الصَّحِيحِ وَفِي السِّيَرْ

تَجِدِ الثَّنَاءَ بِبَاسِهِمْ وَبِجُودِهِمْ   فِي مُصْحَفِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مُسْتَطَرْ

فَبِمِثْلِ هَذِيكَ فَلْتُنِرْ شَمْسُ الضُّحَى   وَبِمِثْلِ فَخْرِكَ[4] فَلْيُفَاخِرْ مَنْ فَخَرْ

مَاذَا أَقُولُ وَكُلُّ وَصْفٍ مُعْجِزٌ   وَالْقَوْلُ فِيكَ مَعَ الإِطَالَةِ مُخْتَصَرْ

تِلْكَ الْمَنَاقِبُ كَالثَّوَاقِبِ فِي الْعُلَى   مَنْ رَامَهَا بِالْحَصْرِ أَدْرَكَهُ الْحَصَرْ

إِنْ غَابَ عَبْدُكَ عَنْ حِمَاكَ فَإِنَّهُ   بِالْقَلْبِ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ قَدْ حَضَرْ

فَاذْكُرْهُ إِنَّ الذِّكْرَ مِنْكَ سَعَادَةٌ   وَبِهَا عَلَى كُلِّ الأَنَامِ قَدِ افْتَخَرْ

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار؛ «وَجْهُكَ».

(2) في نفح: «أغناءٌ».

(3) عند نيفر: «أذْهَبَتْ».

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «قَوْمِكَ».

(47)

وقال أيضاً في نحوٍ منه[1]:

[الطويل]

نَعَـمْ قَـرَّتِ الْعَيْنَـانِ وَانْشَـرَحَ الصَّـدْرُ ... وَقَـدْ لاَحَ مِـنْ وَجْـهِ الإمَـامِ لَنَـا الْبَـدْرُ

سَـرَيْنَـا بِلَيْـلِ التِّيـهِ يَكْـذِبُ فَجْـرُهُ ... فَلَمَّـا تَجَلَّـى بِشْـرُهُ صَـدَقَ الْفَجْـرُ

أَغَـرُّ الْمُحَيَّـا بِـالْحَيَـاءِ مُقَنَّـعٌ ... زَهَـاهُ الْكَـلاَمُ الْحُـرُّ وَالنَّسَـبُ الْحُـرُّ

إِمَـامُ الْهُـدَى قَـدْ خَصَّـهُ بِخِـلاَفَـةٍ ... إِلاَهٌ لَـهُ فِـي خَلْقِـهِ النَّهْـيُ وَالأَمْـرُ

(48)

وقال يصف غرباناً أجراها ـ رحمة الله عليه ـ ويتفاءل له بالراحة من شكاية ثلاثة:

[البسيط]

أَعْـلاَمُـكَ الْحُمْرُ فَـوْقَ السُّفْـنِ خَـافِقَـةٌ ... وَرِيـحُ سَعْـدِكَ تُجْـرِيهَـا عَلَـى قَـدَرِ

مَـا إِنْ رَفَعْـتَ قِسِـيَّ السُّفْـنِ فِـي وَطَـنٍ ... إِلاَّ وَنِلْـتَ قَصِـيَّ السُّـؤْلِ فِـي وَطَـرِ[2]

قَـالُـوا السَّفَـائِـنُ فَـوْقَ الْبَـرِّ ذَا عَجَـبٌ ... مِـنْ غَيْـرِ مُجْـرٍ[3] وَلاَ مَـوْجٍ وَلاَ غَـرَرِ

فَقُلْـتُ آثَـارُ مَـوْلاَنَـا الَّتِـي سَفَـرَتْ ... لَنَـا الْعِنَـايَـةُ عَـنْ آيَـاتِهَـا الْكُبَـرِ

تُجْـرِي بِـرِيـحِ سُعُـودٍ فِـي بِحَـارِ نَـدًى ... تُغْنِـي بَنَـانُـكَ عَـنْ بَحْـرٍ وَعَـنْ مَطَـرِ

لِلَّـهِ يَـوْمٌ عَجِيـبُ الصُّنْـعِ ذُو أَثَـرٍ ... مُحَجَّـلٌ رَايِـقُ الأَوْضَـاعِ وَالْغُـرَرِ

اُسْتَبْشَـرَ النَّـاسُ فِيـهِ بِـالصَّنِيـعِ وَقَـدْ ... تَضَمَّـنَ الْبِشْـرَ فِـي وِرْدٍ وَفِـي صَـدَرِ

زَجَـرْتُـهُ بِشِفَـاءٍ قَـدْ أَتَـاكَ كَمَـا ... تُرْضِي[4] عُلاَكَ حَمِيدَ[5] الْخُبْرِ وَالْخَبَرِ

---

(1) أي في الهناء بالشّفاء (أزهار II: 136).

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «وَالوَطَرِ».

(3) في أزهار: «بَحْرٍ».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يُرْضِي».

(5) في أزهار: «جَمِيلِ».

إِذَا شَكَـوْتَ فَكُـلُّ الْكَـوْنِ ذُو وَصَـبٍ فَـأَنْـتَ مِنْـهُ مَكَـانَ السَّمْـعِ وَالْبَصَـرِ
وَمَـنْ شَكَـا بِـأَلِيـمِ الْـوَجْـدِ فِـي بَصَـرٍ فَهَـلْ تَعَـوَّدَ غَيْـرَ السُّهْـدِ وَالسَّهَـرِ [1]
وَأَسْأَلُ[2] اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ فِي لُطُفٍ يَسْـرِي إِلَيْـكَ بِهَـا إِنْعَـامُ مُقْتَـدِرِ
وَأَنْ يُـدَافِـعَ عَـنْ ذَاتٍ بِحُـرْمَتِهَـا تَعَـوَّدَ الْخَلْـقُ لُطْـفَ اللَّـهِ فِـي الْقَـدَرِ

(49)

فمن ذلك ومن أوّليّاتِ نظمه يُخاطب شيخَه الوزيرَ أبا عبد الله بن الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ مادحاً، قوله من قصيدة مطلعها:

«أَمَا وانْصِداعِ النُّورِ مِنْ مَطْلَعِ الفَجْرِ»

يقول فيها بعد أبيات[3]:

[الطويل]

لَـكَ اللَّـهُ مِـنْ فَـذِّ الْجَـلاَلَـةِ أَوْحَـدِ تُطَـاوِعُـهُ الآمَـالُ فِـي النَّهْـيِ وَالأَمْـرِ
لَـكَ الْقَلَـمُ الأَعْلَـى الَّـذِي طَـالَ فَخْـرُهُ عَلَى الْمُرْهَفَاتِ الْبِيضِ وَالأَسَلِ السُّمْرِ
يُقَلِّـدُ[4] أَجْيَـادَ الطُّـرُوسِ تَمَـائِمـاً بِصِنْفَـيْ لآلٍ مِـنْ نِظَـامٍ وَمِـنْ نَثْـرِ
تَهَيَّبَـكَ الْقِـرْطَـاسُ فَـاْحْمَـرَّ إِذْ غَـدَا يُقَبِّـلُ بُحُـوراً مِـنْ أَنَـامِلِـكَ الْعَشْـرِ
كَـأَنَّ رِيَـاضَ الطِّـرْسِ خَـدٌّ مُـوَرَّدٌ يُطَـرِّزُهُ وَشْـيُ الْعِـذَارِ مِـنَ الْحِبْـرِ
فَشَـارَةُ هَـذَا الْمُلْـكِ رَائِقَـةُ الْحُلَـى بِـأَلْـوِيَـةٍ حُمْـرٍ وَبِـالصُّحُـفِ الْحُمْـرِ
وَمَـا رَوْضَـةٌ غَنَّـاءُ عَـاهَـدَهَـا الْحَيَـا تَحُـوكُ بِهَـا وَشْـيَ الـرَّبِيـعِ يَـدُ الْقَطْـرِ
تُغَنِّـي قِيَـانُ الطَّيْـرِ فِـي جَنَبَـاتِهَـا فَيُرْقِصْنَ غُصْنَ الْبَانِ فِي حُلَلٍ خُضْرِ
تَمُـدُّ لأَكْـوَاسِ الْعَـرَارِ أَنَـامِـلاً مِـنَ السَّـوْسَـنِ الْغَضِّ الْمُخَتَّـمِ بِـالتِّبْـرِ

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «والسّقرِ».

(2) «فَأَسْأَلُ» في أزهار.

(3) لقد سقط أوّل هذه القصيدة.

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «فقلّدَ».

وَيَحْرُسُ خَدَّ الْوَرْدِ صَارِمُ نَهْرِهَا   وَيُمْنَعُ ثَغْرُ النَّوْرِ بِالذَّابِلِ النَّضْرِ

يُفَاخِرُ مَرْآهَا السَّمَاءَ مُحَاسِناً   فَتُزْرِي نُجُومُ الزَّهْرِ مِنْهَا عَلَى الزُّهْرِ

إِذَا مَسَحَتْ كَفُّ الصَّبَا جَفْنَ نَوْرِهَا   تَنَفَّسَ ثَغْرُ الزَّهْرِ عَنْ عَنْبَرِ الشِّحْرِ

بِأَعْطَرَ مِنْ رَيَّا ثَنَائِكَ فِي السُّرَى   وَأَبْهَرَ حُسْناً مِنْ شَمَائِلِكَ الْغُرِّ

عَجِبْتُ لَهُ يَحْكِي خِلاَلَ خَمِيلَةٍ   وَتَفْرَقُ مِنْهُ الأُسْدُ فِي مَوْقِفِ الذُّعْرِ

إِذَا أَضْرَمَتْ مِنْ بَأْسِهَا الْحَرْبُ جَاحِماً   تَأَجَّجُ مِنْهُ الْعَضْبُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ

وَإِن كَلَحَ[1] الأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى   تَرَقْرَقَ مَاءُ الْبِشْرِ فِي صَفْحَةِ الْبَدْرِ

لَكَ الْحَسَبُ الْوَضَّاحُ وَالسُّؤْدُدُ الَّذِي   يَضِيقُ نِطَاقُ الْوَصْفِ فِيهِ عَنِ الْحَصْرِ

تَشَرَّفَ أُفْقٌ أَنْتَ بَدْرُ كَمَالِهِ   فَغَرْنَاطَةٌ تَخْتَالُ تِيهاً عَلَى مِصْرِ

تُكَلِّلُ تَاجَ الْمُلْكِ مِنْهَا مَحَاسِناً   وَفَاخَرَتِ الأَمْلاَكَ مِنْكَ بَنُو نَصْرِ

بِعَزْمَةِ مَضْمُونِ السَّعَادَةِ أَوْحَدٍ   وعِزَّةِ وَضَّاحِ الْمَكَارِمِ وَالنَّجْرِ

طَوَى الْحِيفَ مَنْشُورَ اللِّوَاءِ مُؤَيَّداً   فَعَزَّ حِمَى الإِسْلاَمِ بِالطَّيِّ وَالنَّشْرِ

وَمَدَّ ظِلاَلَ الأَمْنِ[2] إِذْ قَصَرَ الْعِدَا   فَيُتْلَى ثَنَاءُ[3] الْمُلْكِ بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ

إِذَا احْتَفَلَ الإِيوَانُ يَوْمَ مَشُورَةٍ   وَتَضْطَرِبُ الآرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرِ

صَدَعْتَ بِفَصْلِ الْقَوْلِ غَيْرَ مُنَازَعٍ   وَأَطْلَعْتَ آرَاءً قُبِسْنَ مِنَ الْفَجْرِ

فَإِنْ تَظْفَرِ الْخَيْلُ الْمُغِيرَةُ بِالضُّحَى   فَعَنْ رَأْيِكَ الْمَيْمُونِ تَظْفَرُ بِالنَّصْرِ

فَلاَ زِلْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَحْمِي ذِمَارَهَا   وَتَسْحَبُ أَذْيَالَ الْفَخَارِ عَلَى النَّسْرِ

وَلِلْعِلْمِ فَخْرُ الدِّينِ وَالْفَتْكِ بِالْعِدَا   بَأَوْتَ بِهِ يَا ابْنَ الْخَطِيبِ عَلَى الْفَخْرِ

يُهَنِّيكَ عِيدُ الْفِطْرِ مَنْ أَنْتَ عِيدُهُ   وَيُثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ غُرِّ

جَبَرْتَ مَهِيضاً مِنْ جَنَاحِي وَرِشْتَهُ   وَسَهَّلْتَ لِي مِنْ جَانِبِ الزَّمَنِ الوَعْرِ

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «كَلَمَ».

(2) عند نيفر: «العَدْلِ».

(3) عنده: «سَنَاءُ».

وَبَــوَّأْتَنِــي مِــنْ ذِرْوَةِ العِــزِّ مُعْتَلَــى   وَشَـرَّفْتَنِـي مِـنْ حَيْـثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي
وَسَــوَّغْتَنِــي الآمَــالَ عَـذْبـاً مُسَلْسَـلاً   وَأَسْمَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَرَفَّعْتَ مِنْ قَدْرِي
فَـدَهْـرِيَ عِيـدٌ بِـالسُّـرُورِ وَبِـالْمُنَـى   وَكُـلُّ لَيَـالِـي الْعُمْـرِ لِـي لَيْلَـةُ القَـدْرِ
فَـأَصْبَحْـتُ مَغْبُـوطـاً عَلَـى خَيْـرِ نِعْمَـةٍ   يَقِـلُّ لأَدْنَـاهَـا الْكَثِيـرُ مِـنَ الشُّكْـرِ

(50)

وخاطبه[1] كذلك:

[الطويل]

ذَرُونِــي فَــإِنِّــي بِــالْعَــلاَءِ خَبِيــرُ   أَسِيــرُ فَــإِنَّ النَّيِّــرَاتِ تَسِيــرُ
وَكَمْ بِتُّ أَطْوِي اللَّيْلَ فِي طَلَبِ الْعُلاَ   كَــأَنِّـي إِلَــى نَجْـمِ السَّمَـاءِ سَفِيـرُ[2]
بِعَــزْمٍ إِذَا مَــا اللَّيْــلُ مَــدَّ رِوَاقَــهُ   يَكُــرُّ عَلَــى ظَلْمَــائِــهِ فَيُنِيــرُ[3]
أَخُــو كَلَــفٍ بِــالْمَجْــدِ لاَ يَسْتَفِــزُّهُ   مِهَــادٌ إِذَا جَــنَّ الظَّــلاَمُ وَثِيــرُ
إِذَا مَـا طَـوَى يَـوْمـاً عَلَـى السِّرِّ كَشْحَهُ   فَلَيْــسَ لَــهُ حَتَّــى الْمَمَــاتِ نُشُــورُ
وَإِنِّــي، وَإِنْ كُنْــتُ الْمُمَنَّــعَ جَــارُهُ   لَتَسْبِــي فُــؤَادِي أَعْيُــنٌ وَثُغُــورُ
وَمَـا تَعْتَـرِينِـي فَتْـرَةٌ فِـي مَـدَى الْعَـلاَ   إِلَــى أَنْ أَرَى لَحْظــاً عَلَيْــهِ فُتُــورُ
وَفِـي السِّـرْبِ مِـنْ نَجْـدٍ تَعَلَّقْـتُ ظَبْيَـةً   تَصُــولُ عَلَــى أَلْبَــابِنَــا وَتُغِيــرُ
وَتَمْنَـعُ مَيْسُـورَ الْكَـلاَمِ أَخَـا الْهَـوَى[4]   وَتَبْخَــلُ حَتَّــى بِــالْخَيَــالِ يَــزُورُ
أَسُكَّـانَ[5] نَجْـدٍ جَـادَهَـا وَاكِـفُ الْحَيَـا   هَــوَاكُــمْ بِقَلْبِــي مُنْجِــدٌ وَمُغِيــرُ

(1) أي ابن الخطيب جواباً عن رسالة.
(2) في الكتيبة الكامنة: «سَمِيرُ» (ص 283).
(3) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الكتيبة: «فتُنِيرُ»؛ أما في «نثر فوائد الجمان في نظم فحول الزمان» لابن الأحمر (الأمير إسماعيل بن يوسف) ف: «تُغِيرُ» (ص 328).
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الهُدَى».
(5) «أَسَاكِنُ» في الكتيبة.

وَيَا سَاكِنِي[1] بِالأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مِنًى ... وَأَيْسَرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكِ كَثِيرُ
ذَكَرْتُكِ فَوْقَ الْبَحْرِ، وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا ... فَمَدَّتْهُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ بُحُورُ
وَأَوْمَضَ خَفَّاقَ الذُّؤَابَةِ بَارِقٌ ... فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
وَيَهْفُو فُؤَادِي كُلَّمَا هَبَّتِ[2] الصَّبَا ... أَمَا لِفُؤَادِي فِي[3] هَوَاكِ نَصِيرُ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَذِكْرُكِ هَزَّنِي ... أَمِ الْكَأْسُ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ تَدُورُ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي النَّوَى مَا يَسُوؤُهَا[4] ... وَلِلْبَيْنِ حُكْمٌ يَعْتَدِي وَيَجُورُ
بِأَنَّا غَداً أَوْ بَعْدَهُ[5] سَوْفَ نَلْتَقِي ... وَنُمْسِي وَمِنَّا زَائِرٌ وَمَزُورُ
إِلَى كَمْ أُرَى أَكْنِي وَوَجْدِي مُصَرِّحٌ ... وَأُخْفِي اسْمَ مَنْ أَهْوَاهُ، وَهُوَ شَهِيرُ
أَمُنْجِدَ آمَالِي وَمُغْلِيَ[6] كَاسِدِي ... وَمَصْدَرَ جَاهِي وَالْحَدِيثُ كَثِيرُ[7]
أَأَنْسَى، وَلاَ أَنْسَى، مَجَالِسَكَ الَّتِي ... بِهَا تَلْتَقِينِي نَضْرَةٌ وَسُرُورُ
نَزُورُكَ فِي جُنْحِ الظَّلاَمِ ونَنْثَنِي ... وَبَيْنَ يَدَيْنَا مِنْ حَدِيثِكَ نُورُ
عَلَى أَنَّنِي إِذْ غِبْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَغِبْ ... لَطَائِفُ لَمْ يُحْجَبْ لَهُنَّ سُفُورُ
نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَعِنْدَهَا ... رَوَاحٌ عَلَيْنَا دَائِمٌ وَبُكُورُ
فَظِلُّكَ فَوْقِي حَيْثُمَا كُنْتُ وَارِفٌ ... وَمَوْرِدُ آمَالِي لَدَيْكَ نَمِيرُ
وَعُذْراً فَإِنِّي إِنْ أَطَلْتُ فَإِنَّمَا ... قُصَارَايَ مِنْ بَعْدِ الْبَيَانِ قُصُورُ

(51)

وقال من أخرى عيدية شارَكَتْها في كثير من أبياتها قصيدةٌ فتحيّة تقدَّمَتْ[8]

---

(1) «سَاكِناً» في نثر فوائد الجمان.
(2) كذا في نثر ونفح؛ وفي أزهار: «هَفَتِ».
(3) «مِنْ» في نثر.
(4) في نثر فقط: «مَا يَسُرُّهَا».
(5) في الكتيبة: «من بعده».
(6) «ومُنْفِقَ» في نثر.
(7) كذا في الكتيبة وأزهار ونفح؛ وفي نثر الفوائد: «كَبِيرُ». (8) انظر القصيدة 38 ص 403.

أولّها:

«هِيَ نَفْحَةٌ هَبّتْ من الأَنْصَارِ»

والمختصُّ بهذه: [الكامل]

أَضِيَـــاءُ هَـــدْيٍ أَمْ ضِيَـــاءُ نَهَـــارِ وَشَـــذَا الْمَحَـــامِـدِ أَمْ شَـــذَا الأَزْهَـــارِ

ومنها بعد كثير:

قَسَمـاً بِهَـدْيِـكَ فِـي الضِّيَـاءِ وَإِنَّـهُ شَمْـــسٌ تُمِــدُّ الشُّهْــبَ بِـــالأَنْـــوَارِ

ومنها أيضاً:

كَـمْ مِـنْ لَطَـائِـفَ لِلْهُـدَى أَوْضَحْتَهَـا خَفِيَـتْ مَـدَارِكُهَـا[1] عَلَـى الأَفْكَـارِ
كَـمْ مِـنْ جَـرَائِـمَ قَـدْ غَفَـرْتَ عَظِيمَهَـا مُسْتَنْـــزِلاً مِـــنْ رَحْمَـــةِ الغَفَّـــارِ
عَلِمَـتْ مُلُـوكُ الأَرْضِ أَنَّـكَ فَخْـرُهَـا فَتَسَـابَقَـتْ لِـرِضَـاكَ فِـي مِضْمَـارِ

ومنها يصفُ الجيش:

سَـالَـتْ بِـهِ تَحْـتَ الْعَجَـاجِ سَفِينَـةٌ نُفِحَـتْ بِـرِيـحِ الْعَـزْمِ[2] عَـنْ أَنْصَـارِ
أَرْسَتْ بِجُودِي الْجُودِ فِي يَوْمِ النَّدَى وَجَـرَتْ بِيَـوْمِ الْحَـرْبُ فِـي تَيَّـارِ

ومنها:

أَلْقَـى بِـأَيْـدِي الـرِّيـحِ فَضْـلَ عِنَـانِـهِ فَيَكَـــادُ يَسْبِـــقُ لَمْحَـــةَ الأَبْصَـــارِ

ومنها:

فَهْيَ الْعِرَابُ مَتَى انْبَرَتْ يَوْمَ الْوَغَى[3] قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ لُطْفِ صُنْعِ[4] البَارِي

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لَطَائِفُهَا».
(2) كذا في أزهار: «الْعِزُّ» في نفح.
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «مَتَى أُثِيرَتْ في الوَغَى».
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «عَنْ صُنْعِ لُطْفِ البَارِي».

ومنها:

إنْ خَاضَ فِي لَيْلِ[1] الْعَجَاجِ رَأَيْتَهُ ... يَجْلُو دُجُنَّتَهُ بِوَجْهِ نَهَارِ

ومنها:

كَمْ فِيهِمُ مِنْ قَارِي ضَيْفٍ طَارِقٍ ... وَضَحَتْ شَوَاهِدُ فَضْلِهِ لِلقَارِي

ومنها:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ ... غُرَرٌ تَلُوحُ بِأَوْجُهِ الأَعْصَارِ

قَدْ زَارَكَ الْعِيدُ السَّعِيدُ مُبَشِّراً ... فَاسْمَحْ لأَلْفِ مِثْلِهِ[2] بِمَزَارِ

لَمَّا ازْدَهَتْهُ عَوَاطِفٌ أَلْطَفْتَهَا ... عَطْفَ الإِلاَهِ بِهِنَّ[3] عَطْفَ سِوَارِ

فَأَتَى يُؤَمِّمُ مِنْكَ هَدْياً صَالِحاً ... كَيْ يَسْتَمِدَّ النُّورَ بَعْدَ سِرَارِ

وَأَتَاكَ يَسْحَبُ[4] ذَيْلَ سُحْبٍ أَغْدَقَتْ ... تُغْرِي جُفُونَ الْمُزْنِ بِاسْتِعْبَارِ

جَادَتْ بِجَارِي الدَّمْعِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى[5] ... فَرَعَى الرَّبِيعُ لَهَا حُقُوقَ الْجَارِ

فَأَعَادَ وَجْهَ الأَرْضِ طَلْقاً مُشْرِقاً ... مُتَضَاحِكاً بِمَبَاسِمِ النُّوَّارِ

لَمَّا دَعَاكَ إِلَى الْقِيَامِ بِسُنَّةٍ ... حَكَّمْتَ دَاعِي[6] الْجُودِ وَالإِيثَارِ

فَأَفَضْتَ فِينَا مِنْ نَدَاكَ مَوَاهِباً ... حَسُنَتْ مَوَاقِعُهَا عَلَى التَّكْرَارِ

فَاهْنَأْ بِعِيدٍ عَادَ يَشْتَمِلُ الرِّضَا ... جَذْلاَنَ يَرْفُلُ فِي حِلَى اسْتِبْشَارِ

لا عُذْرَ لِي إِنْ كُنْتُ فِيهِ مُقَصِّراً ... سَدَّتْ صِفَاتُكَ أَوْجُهَ الأَعْذَارِ

فَإِذَا نَظَمْتَ مِنَ الْمَنَاقِبِ دُرَّهَا ... شَرَّفْتَنِي مِنْهَا بِنَظْمِ دَرَارِي

فَلِذَاكَ أَنْظِمُهَا قَلائِدَ لُؤْلُؤٍ ... لأْلاَؤُهَا قَدْ شَفَّ بِالأَنْوَارِ

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بَحْرِ».
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مِنْهُمُ».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «عَطَفَ الإلاَهُ عَلَيْكَ».
(4) كذا قراءة أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «وَأَتَى يُسَحِّبُ».
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «يَقْطُرُ بالنّدى».
(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «حَكَمَتْ دَوَاعِي».

(52)

وقال يصف الزَّرافة[1] في قصيدة مدح بها السلطان أبا سالم ملك المغرب ـ رحمه الله ـ وقد ورد عليه بها وفد الأحابيش في هديّة من ملكهم[2]. ونصُّها[3]:

[الكامل]

لَوْلاَ تَأَلُّقُ بَارِقِ التَّذْكَارِ ... مَا صَابَ وَاكِفُ دَمْعِيَ الْمِدْرَارِ

لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقاً ... قَدَحَتْ يَدُ الأَشْوَاقِ زَنْدَ أُوَارِي

وَعَلَى[4] الْمَشُوقِ إِذَا تَذَكَّرَ مَعْهَداً ... أَنْ يُغْرِيَ الأَجْفَانَ بِاسْتِعْبَارِ

أَمُذَكِّرِي غَرْنَاطَةً حَلَّتْ بِهَا ... أَيْدِي السَّحَابِ أَزِرَّةَ النُّوَّارِ

كَيْفَ التَّخَلُّصُ لِلْحَدِيثِ وَدُونَهَا[5] ... عَرْضُ الفَلاَةِ وَطَافِحٍ زَخَّارِ

هَذَا عَلَى أَنَّ التغَرُّبَ مَرْكَبِي ... وَتَوَلُّجَ الْفِيحِ الفِسَاحِ[6] شِعَارِي

فَلَكَمْ أَقَمْتُ غَدَاةَ زُمَّتْ عِيسُهُمْ ... أَبْغِي الْقَرَارَ وَلاَتَ حِينَ قَرَارِ

وَطَفِقْتُ أَسْتَقْرِي الْمَنَازِلَ بَعْدَهُمْ ... يَمْحُو الْبُكَاءُ مَوَاقِعَ الآثَارِ

إِنَّا بَنِي الآمَالِ تَخْدَعُنَا الْمُنَى ... فَنُخَادِعُ الآمَالَ بِالتَّسْيَارِ

نَتَجَشَّمُ الأَهْوَالَ فِي طَلَبِ العُلاَ ... وَنَرُوعُ سِرْبَ النَّوْمِ بِالأَفْكَارِ

لاَ يُحْرِزَ الْمَجْدَ الخَطِيرَ سِوَى امْرِيءٍ ... يُمْطِي[7] الْعَزَائِمَ صَهْوَةَ الأَخْطَارِ

---

(1) في الإحاطة: «الحيوان الغريب المسمّى بالزرافة» (II/ 227).

(2) «من ملك السودان» في الإحاطة؛ «سلطان مَالِي» عند نيفر.

(3) في الإحاطة: «فأمر [أي السلطان] من يعاني الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض فقال وهي من بدائعه...».

(4) في أزهار: «عَلَّ».

(5) في الإحاطة ونفح: «وبَيْنَنَا».

(6) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة: «العِسَاج».

(7) في الإحاطة ونفح: «يُعْطِي».

إمَّا[1] يُفَاخِرُ بِالْعَتَادِ فَفَخْرُهُ بِالمَشْرَفِيَّةِ وَالْقَنَا الخَطَّارِ
مُسْتَبْصِرٌ مَرْمَى الْعَوَاقِبِ وَاصِلٌ فِي حَمْلِهِ الإِيرَادَ بِالإِصْدَارِ
فَأَشَدُّ مَا قَادَ الْجَهُولَ إِلَى الرَّدَى عَمَهُ الْبَصَائِرِ لا عَمَى الأَبْصَارِ
ولَرُبَّ مُزْبَدِّ الْجَوَانِحِ مُزْبِدٍ سَبَحُ الْهِلَالِ[2] بِلُجَّةِ الزَّخَّارِ
فُتِقَتْ كَمَائِمُ جُنْحِهِ عَنْ أَنْجُمٍ سَفَرَتْ زَوَاهِرُهُنَّ عَنْ أَزْهَارِ
مَثَلَتْ عَلَى شَاطِي المَجَرَّةِ نَرْجِساً تَضْطَفُّ مِنْهُ عَلَى خَلِيجٍ جَارِي
وَكَأَنَّمَا[3] بَدْرُ التَّمَامِ بِجُنْحِهِ وَجْهُ الإِمَامِ بِجَحْفَلٍ جَرَّارِ
وَكَأَنَّمَا خُمْسُ الثُّرَيَّا رَاحَةٌ ذَرَعَتْ مَسِيرَ اللَّيْلِ بِالأَشْبَارِ
أَسْرَجْتُ مِنْ عَزْمِي مَصَابِيحاً بِهَا تَهْدِي السُّرَاةَ لَهَا مِنَ الأَقْطَارِ
وَارْتَاعَ[4] مِنْ بَازِي الصَّبَاحِ غُرَابُهُ لَمَّا أَطَلَّ فَطَارَ كُلَّ مَطَارِ

ومنها:

وَغَرِيبَةٍ قَطَعَتْ إِلَيْكَ عَلَى الْوَنَى بِيداً تَبِيدُ بِهَا هُمُومُ السَّارِي
تُنْسِيهِ طِيَّتَهُ الَّتِي قَدْ أَمَّهَا وَالرَّكْبُ فِيهَا مَيِّتُ الأَخْبَارِ
يَقْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الدُّجَى[5] وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ[6] جُذْوَةُ نَارِ
تَشْدُو بِحَمْدِ الْمُسْتَعِينِ حُدَاتُهَا يَتَعَلَّلُونَ بِهِ عَلَى الأَكْوَارِ
إِنْ مَسَّهُمْ لَفْحُ الْهَجِيرِ أَبَلَّهُمْ مِنْهُ نَسِيمُ ثَنَائِكَ الْمِعْطَارِ
خَاضُوا بِهَا لُجَجَ الفَلاَ فَتَخَلَّصَتْ مِنْهَا خُلُوصَ الْبَدْرِ بَعْدَ سِرَارِ
سَلِمَتْ بِسَعْدِكَ مِنْ غَوَائِلِ مِثْلِهَا وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِياً لِذِمَارِ

---

(1) «إلاَّ» في أزهار.
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «سَبَحَ الهِلَالُ».
(3) «فكأنما» في أزهار.
(4) «ازْتَاحَ» في الإحاطة.
(5) كذا في الإحاطة ونفح وأزهار؛ وعند نيفر: «الرَّجَا».
(6) عند نيفر: «يمناهُ».

وَأَتَتْكَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ غَرِيبَةٌ ... قَيْدُ النَّوَاظِرِ نُزْهَةُ الأَبْصَارِ

مَوْشِيَّةُ الأَعْطَافِ رَائِقَةُ الحُلَى ... رَقَمَتْ بَدَائِعَهَا يَدُ الأَقْدَارِ

رَاقَ العُيُونَ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهُ ... رَوْضٌ تَفَتَّحَ[1] عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ

مَا بَيْنَ مُبْيَضٍّ وَأَصْفَرَ فَاقِعٍ ... سَالَ اللُّجَيْنُ بِهِ خِلَالَ نُضَارِ

يَحْكِي حَدَائِقَ نَرْجِسٍ فِي شَاهِقٍ ... تَنْسَابُ فِيهِ أَرَاقِمُ الأَنْهَارِ

تَحْدُو قَوَائِمُ كَالْجُذُوعِ وَفَوْقَهَا ... جَبَلٌ أَشَمُّ بِنُورِهِ مُتَوَارِي

وَسَمَتْ بِجِيدٍ مِثْلَ جِذْعٍ مَائِلٍ ... سَهْلِ التَعَطُّفِ لَيِّنٍ خَوَّارِ

تَسْتَشْرِفُ الْجُدْرَانُ[2] مِنْهُ تَرَائِباً ... فَكَأَنَّمَا هُوَ قَائِمٌ بِمَنَارِ

تَاهَتْ[3] بِكَلْكَلِهَا وَأَتْلَعَ جِيدُهَا ... وَمَشَى بِهَا الإِعْجَابُ مَشْيَ وَقَارِ

خَرَجُوا لَهَا الْجَمَّ الْغَفِيرَ وَكُلُّهُمْ ... مُتَعَجِّبٌ مِنْ لُطْفِ صُنْعِ الْبَارِي

كُلٌّ يَقُولُ لِصَحْبِهِ قُومُوا انْظُرُوا ... كَيْفَ الْجِبَالُ تُقَادُ بِالأَسْيَارِ

أَلْقَتْ بِبَابِكَ رَحْلَهَا وَلَطَالَمَا ... أَلْقَى الْغَرِيبُ بِهِ عَصَا التَّسْيَارِ

عَلِمَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ أَنَّكَ فَخْرُهَا ... فَتَسَابَقَتْ لِرِضَاكَ فِي مِضْمَارِ

يَتَبَوَّؤُونَ بِهِ وَإِنْ بَعُدَ الْمَدَى ... مِنْ جَاهِكَ الأَعْلَى أَعَزَّ جِوَارَ

فَارْفَعْ لِوَاءَ الْفَخْرِ غَيْرَ مُدَافِعٍ ... وَاسْحَبْ ذُيُولَ العَسْكَرِ الجَرَّارِ

وَاهْنَأْ بِأَعْيَادِ الْفُتُوحِ مُخَوَّلاً ... مَا شِئْتَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ أَنْصَارِ

وَإِلَيْكَهَا مِنْ رَوْضِ فِكْرِي نَفْحَةً ... شَفَّ الثَّنَاءُ بِهَا عَلَى الأَزْهَارِ

فِي فَضْلِ[4] مَنْطِقِهَا وَرَائِقِ[5] رَسْمِهَا ... مُتَمَتِّعُ الأَسْمَاعِ وَالأَبْصَارِ

وَتُمِيلُ مَنْ أَصْغَى لَهَا فَكَأَنَّنِي ... عَاطَيْتُهُ مِنْهَا كُؤُوسَ عُقَارِ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة ونفح: «تَفَتَّحُ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة ونفح: «الجُدُرَاتُ».

(3) كذا في أزهار والإحاطة؛ وفي نفح: «نَاءَتْ».

(4) كذا في الإحاطة وأزهار؛ وفي نفح: «فَصْلِ».

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «ورَوْنَقِ».

(53)

وله في غرضٍ يظهر من الأبيات:

[الطويل]

وَمُشْتَمِـلٍ بِـالْحُسْـنِ أَحْـوَى مُهَفْهَـفٍ ... قَضَى رَجْعُ طَرْفِي مِنْ مَحَاسِنِهِ الْوَطَرْ

فَـأَبْصَـرْتُ أَشْبَـاهَ الـرِّيَـاضِ مَحَـاسِنـاً ... وَفِـي خَـدِّهِ جُـرْحٌ بَـدَا مِنْـهُ لِـي أَثَـرْ

فَقُلْـتُ لِجُـلاَّسِـي خُـذُوا الْحِـذْرَ إِنَّمَـا ... بِـهِ وَصَـبٌ مِـنْ أَسْهُـمِ الْغُنْـجِ وَالْحَـوَرْ

وَيَـا وَجْنَـةً قَـدْ جَـاوَرَتْ سَيْـفَ لَحْظِـهِ ... وَمِنْ شَأْنِهَا تُدْمِي مِنَ اللَّمْحِ بِالْبَصَرْ

تُخَيَّـــلُ لِلْعَيْنَيْـــنِ جُـــرْحــاً وَإِنَّمـــا ... بَـدَا كَلَـفٌ مِنْـهُ عَلَـى صَفْحَـةِ الْقَمَـرْ

قافيـة السّيـن

(54)

ومن قصائده الّتي يَوَدُّ الصباحُ سناها، والنسيمُ اللّدْنُ رقّةَ معناها، يُهنّىء مولانا الجدّ ـ رضي الله عنه ـ عند وصول خالصةِ مقامه، وكبيرِ خدّامه، القائدِ خالدِ ـ رحمه الله تعالى ـ من تلمسان بالهدية، وتجديد المقاصد الوديّة، ووافق استئناف راحة من الذات العليّة، ومن بعض فروع دوحتها الزكيّة:

[الطويل]

أَدِرْهَـا ثَـلاثـاً مِـنْ لِحَـاظِـكَ وَاحْبِـسِ ... فَقَـدْ غَـالَ مِنْهَـا السُّكْـرُ أَبْنَـاءَ مَجْلِسِ

إِذَا مَا نَهَانِي الشَّيْبُ عَنْ أَكْؤُسِ الطِّلاَ ... تُـدِيـرُ عَلَـيَّ الْخَمْـرَ مِنْهَـا بِـأَكْـؤُسِ

عَـذِيـرِيَ مِـنْ لَحْـظٍ ضَعِيـفٍ وَقَـدْ غَـدَا ... يُحَكَّـمُ مِنَّـا فِـي جُسُـومٍ وَأَنْفُـسِ

وَرَوْضِ شَبَـابٍ مَـاسَ غُصْـنُ قَـوَامِـهِ ... وَفَتَّـحَ فِيـهِ اللَّحْـظُ أَزْهَـارَ نَـرْجِـسِ

وَمَـا زَالَ وَرْدُ الْخَـدِّ وَهْـوَ مُضَعَّـفٌ ... يُعِيـرُ أَقَـاحَ الثَّغْـرِ طِيـبَ تَنَفُّـسِ

وَكَمْ جَالَ طِرْفُ الطَّرْفِ فِي رَوْضِ حُسْنِهِ ... يُقَيِّدُهُ فِيهِ العِذَارُ بِسُنْدُسِ
أَمَا وَلَيَالِي الْوَصْلِ فِي رَوْضَةِ الصِّبَا ... وَمَأْلَفُ أَحْبَابِي وَعَهْدُ تَأَنُّسِي
لَئِنْ نَسِيَتْ تِلْكَ الْعُهُودَ أَحِبَّتِي ... فَقَلْبِيَ عَهْدَ[1] الْعَامِرِيَّةِ مَا نَسِي
وَحَاشَا لِنَفْسِي بَعْدَمَا افْتَرَّ فَوْدُهَا ... مِنَ الشَّيْبِ عَنْ صُبْحٍ بِهِ مُتَنَفِّسِ
وَأَلْبَسَهَا ثَوْبَ الْوَقَارِ خَلِيفَةٌ ... بِهِ لَبِسَ الإِسْلاَمُ أَشْرَفَ مَلْبَسِ
وَجَدَّدَ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ مَوَاسِماً ... أَقَامَ بِهَا الإِيمَانُ أَفْرَاحَ مُعْرِسِ
وَأَوْرَثَهُ الْعَلْيَاءَ كُلُّ خَلِيفَةٍ ... نَمَاهُ إِلَى الأَنْصَارِ كُلُّ مُقَدَّسِ
فَيَا زَاجِرَ الأَظْعَانِ وَهْيَ ضَوَامِرٌ ... بِغَيْرِ الْفَلاَ وَالْوَحْشِ لَمْ تَتَأَنَّسِ
إِذَا جِئْتَ مِنْ دَارِ الْغَنِيِّ بِرَبِّهِ ... مُنَاخَ الْعُلَى وَالْعِزِّ فَاعْقَلْ[2] وَعَرِّسِ
فَإِنْ شِئْتَ مِنْ بَحْرِ السَّمَاحَةِ فَاغْتَرِفْ ... وَإِنْ شِئْتَ مِنْ نُورِ الْهِدَايَةِ فَاقْبِسِ
أَمَوْلاَيَ إِنَّ السَّعْدَ مِنْكَ لآيَةٌ[3] ... أَنَارَتْ بِهَا الأَكْوَانَ جَذْوَةُ مُقْبِسِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَرْمِي الْقَصِيَّ مِنَ الْمُنَى ... تَدُورُ لَكَ الأَفْلاَكُ مَرْفُوعَةَ الْقِسِيِّ
فَتَرْمِي بِسَهْمٍ مِنْ سَعُودِكَ صَائِبٍ ... سَدِيدٍ لأَغْرَاضِ الأَمَانِي مُقَرْطِسِ
أُهَنِّيكَ بِالإِبْلاَلِ مِمَّنْ شِفَاؤُهُ ... شِفَاؤُكَ فَاشْكُرْ مَنْ تُلاَفِي[4] وَقَدِّسِ
وَدَعْنِي أَرِدْ يُمْنَاكَ فَهْيَ غَمَامَةٌ ... تُبَخِّلُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْمُتَبَجِّسِ
أُقَبِّلُ مِنْهَا رَاحَةً إِثْرَ رَاحَةٍ ... أَتَتْكَ بِهَا الرُّكْبَانُ مِنْ بَيْتِ مَقْدِسِ
وَمَنْ نَسَبَ الْفَتْحَ الْمُبِينَ وِلاَدَةً ... إِلَيْهِ بِغَيْرِ الْفَخْرِ لَمْ يَتَأَسَّسِ
فَيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بِكَمَالِهِ ... خَلاَئِفُ هَذَا الْعَصْرِ فِي الْفَخْرِ تَأْتَسِي

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «عُهُودَ».
(2) «فأَنْزِلْ» في أزهار؛ ورجّحنا قراءة نفح.
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «وَالَى السَّعْدُ منك وِلايةً».
(4) في أزهار: «تُلاَقِي».

فَأَمَّنْتَ[1] مُوسَى[2] مِنْ عَوَادِي سَمِّيهِ[3] وَلَوْلاَكَ لَمْ يَبْرَحْ بِخِيفَةِ مُوجِسِ

بَعَثْتَ بِمَيْمُونِ النَّقِيبَةِ، فِي اسْمِهِ خُلُودٌ لِعِزٍّ ثَابِتٍ مُتَأَسِّسِ

فَجَاءَكَ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ هَدِيَّةً بِهَا الدِّينُ أَثْوَابَ الْمَسَرَّةِ يَكْتَسِي

وَشَفَّعَهَا بِالصَّافِنَاتِ كَأَنَّهَا وَقَدْ رَاقَ مَرْآهَا جَآذِرُ مَكْنِسِ

تَنُصُّ مِنَ الإِشْرَافِ جِيدَ غَزَالَةٍ وَتَرْنُو مِنَ الإِيجَاسِ عَنْ لَحْظِ أَشْوَسِ

لَكَ الْخَيْرُ، مُوسَى مِثْلُ مُوسَى كِلاَهُمَا بِغَيْرِ شِعَارِ الْوُدِّ لَمْ يَتَلَبَّسِ

فَلاَ زِلْتَ فِي ظِلِّ النَّعِيمِ وَكُلُّ مَنْ يُعَادِيكَ لا يَنْفَكُّ يَشْقَى بِأَبْؤُسِ

عَلَيْكَ سَلامٌ مِثْلُ حَمْدِكَ عَاطِرٌ تَنَفَّسَ وَجْهُ الصُّبْحِ عَنْهُ بِمِعْطَسِ

(55)

وقال برسم ما يُرْسَمُ على ثوبٍ في بعض هدايا مولانا ـ رحمه الله تعالى ـ للسلطان أبي العبّاس[4]:

[مجزوء الكامل]

أُهْدِي أَبَا الْعَبَّاسِ مَلْكَ النَّدَى وَالبَاسِ

ثَوْبَ السَّمَاءِ لأَنَّهُ بَدْرٌ بَدَا لِلنَّاسِ

فَلَقُ الصَّبَاحِ بِوَجْهِهِ عَوَّذْتُهُ بِالنَّاسِ

يَكْسُو إِمَاماً لَمْ يَزَلْ بِحُلَى الْمَحَامِدِ كَاسِي

فَيَا لَهُ مِنْ مُرْتَدٍ ثَوْبَ التُّقَى لَبَّاسِ

---

(1) «الآمَنْتَ» في أزهار ونفح؛ ورجّحنا قراءة نيفر.

(2) هو موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن المريني أقام بالمغرب الأقصى دولة بمساعدة الغنيّ بالله بين 786 هـ و 788 هـ.

(3) لعلّه أبو حمّو موسى بن يوسف الزياني من بني عبد الواد، حَكَمَ المغرب الأوسط، وكانت بينه وبين ملوك المغرب الأقصى مُواجهات.

(4) هو أبو العباس المريني سلطان المغرب الأقصى (انظر التعريف به سابقاً).

أَذْيَالُهُ مِنْ حَمْدِهِ   مِسْكِيَّةُ الأَنْفَاسِ
وَبِطَرْزِهِ مَدْحٌ زَرَى   بَالْمَدْحِ فِي الْقِرْطَاسِ
إِنْ كُنْتُ فِي لَوْنِ السَّمَا   ءِ بِنِسْبَةٍ وَقِيَاسِ
فَلأَنْتَ يَا بَدْرَ الْعُلَى   شَرَّفْتَنِي بِلِبَاسِ
أَنَا مُنْشِدٌ «مَا فِي وُقُو   فِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ»
لِتَرَى رِيَاضاً أَطْلَعَتْ   زَهْراً عَلَى أَجْنَاسِ
أَوْرَاقُهَا تَوْرِيقُهَا   بِقَضِيبِهَا الْمَيَّاسِ
وَمِنَ الْمَدِيحِ مُدَامَتِي   وَمِنَ الْمَحَابِرِ كَأْسِي
فَاللَّهُ يُمْتِعُ لاَبِسِي   بِالْبِشْرِ وَالإِينَاسِ

(56)

ومن لَفْظِهِ في وصف القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح، وقد وقَّعَ له مولانا الغنيّ بالله بذلك، فارتجل قطعاً منها:

[الطويل]

أَتَوْنِي بِنَوَّارٍ يَرُوقُ نَضَارَةً   كَخَدِّ الَّذِي أَهْوَى وَطِيبِ تَنَفُّسِهْ
وَجَاؤُوا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ مُتَمَنِّعٍ   تَمَنُّعَ ذَاكَ الظَّبْيِ فِي ظِلِّ مَكْنَسِهْ
رَعَى اللَّهُ مِنِّي عَاشِقاً مُتَقَنِّعاً   بِزَهْرٍ حَكَى فِي الْحُسْنِ خَدَّ مُؤَنِّسِهْ
وَإِنْ هَبَّ خَفَّاقُ النَّسِيمِ بِنَفْحَةٍ   حَكَتْ عَرْفَهُ طِيباً قَضَى بِتَأَنُّسِهْ

(57)

وقال أيضاً: وكتبها إليه[1] مع خمسة أقلام:

---

(1) هو السلطان محمد السابع أخو جامع الديوان وفي القصائد السابقة يشير إلى ذلك بقوله: «ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبد الله» (أزهار: II/ 158).

[الطويل]

أَيَـا مَـالِكـاً[1] لَـمْ يُبْـدِ لِلعَيْـنِ حُسْنَـهُ ... سِوَى مَلَكٍ قَدْ حَلَّ مِنْ عَالَمِ الْقُدْسِ
لَـكَ الْخَيْـرُ خُـذْهَـا كـالأَنَـامِـلِ خَمْسَـةً ... تُعَـوِّذُ مَـرْآكَ الْمُكَمَّـلَ بِـالْخَمْـسِ
فَمَـنْ أَبْصَـرَتْ عَيْنَـاهُ مَـرْآكَ[2] فَلْيَقُـلْ: ... أَعُـوذُ بِـرَبِّ النَّـاسِ أَوْ آيَـةِ الْكُـرْسِـي

(58)

ومن أخرى[3]:

[الخفيف]

وَكَـأَنَّ النُّجُـومَ فِـي غَسَـقِ اللَّيْـ ... ـلِ جُمَـانٌ يَلُـوحُ فِـي آبَنُـوسِ
وَكَـأَنَّ الصَّبَـاحَ فِـي الأُفْـقِ يُجْلَـى ... بِحُلِـيِّ النُّجُـومِ مِثْـلُ الْعَـرُوسِ
وَكَـأَنَّ الـرِّيَـاضَ تُهْـدِي ثَنَـاءً ... لِلْغَنِـي بِـاللَّـهِ فَـوْقَ الطُّـرُوسِ

قافيـة العيـن

(59)

ومنها شكراً عن كتاب:

[مجزوء الرجز]

مَـوْلاَيَ يَـوْمُ الْجُمُعَـهْ ... سُعُـودُهُ مُجْتَمِعَـهْ
فَـانْعَـمْ صَبَـاحـاً وَاغْتَنِـمْ ... أَوْقَـاتَـهُ الْمُجْتَمِعَـهْ
وَابْشِـرْ بِصُنْـعٍ عَـاجِـلٍ ... أَعْـلاَمُـهُ مُـرْتَفِعَـهْ
وَانْتَظِـرِ الْفَتْـحَ الَّـذِي ... يَـأْتِيـكَ بِـالنَّصْـرِ مَعَـهْ

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «مَلِكاً».
(2) في نفح: «عيناك مَرْآهُ» ورجّحنا قراءة أزهار.
(3) أي من مقطوعة مما يرسم للغني بالله (أزهار: II/ 143).

وَبِيضُــــــهُ وَسُمْــــــرُهُ إِلَــى الْعُــدَاةِ مُشْــرَعَــهْ
وَاللُّطْــفُ مَــزجُــوٌّ فَــرِدْ بِفَضْــلِ رَبِّــي مَشْــرَعَــهْ
فَــاتَحْتَنِــي شَــرَّفْتَنِــي بِــرُقْعَــةٍ مُــرَفَّعَــهْ
بَــلْ رَوْضَــةٍ مَمْطُــورَةٍ أَزْهَــارُهَــا مُنَــوَّعَــهْ
حَــدِيقَــةٍ قَــدْ جُــدْتَهَــا بِصَــوْبِ جُــودٍ مُتْــرَعَــهْ
وَرَايَــــةٍ مَنْشُــــورَةٍ وَآيَــةٍ مُسْتَبْــدَعَــهْ
كَــمْ حِكْمَــةٍ لَطِيفَــةٍ فِــي طَيِّهَــا مُسْتَــوْدَعَــهْ
عَقِيلَــةٍ صَــوَّرْتَهَــا مِــنَ الْجَمَــالِ مُبْــدَعَــهْ
سَقَيْتَنِــي بِفَضْلِهَــا مِــنْ فَضْــلِ كَــأْسٍ مُتْــرَعَــهْ
فَــدُمْ وَأَمْــلاَكُ الْــوَرَى عَلَــى عُــلاَكَ مُجْمِعَــهْ

(60)

وأجاب عن أبيات خمس كتب ـ رضي الله عنه ـ بها إليه: [الكامل]

لَــكَ فِــي الْخِــلاَفَــةِ مَنْظَــرٌ لاَ يُفْــرَعُ مِــنْ دُونِ مَــرْقَبِــهِ النُّجُــومُ الطُّلَّــعُ
يَــا أَيُّهَــا الْمَلِــكُ الَّــذِي أَيَّــامُــهُ غُــرَرٌ بِــوَجْــهِ الــدَّهْــرِ لاَ تَتَقَنَّــعُ
سُبْحَــانَ مَــنْ حَــلاَّكَ بِــالْخُلُــقِ الــرِّضَــا وَكَسَــاكَ مِنــهُ حُلَّــةً لا تُخْلَــعُ
أَمَّــا الْمُــدَامُ فَــدُمْــتَ تُطْلِــعُ شَمْسَهــا بَيْــنَ الْبُــدُورِ وَشَمْــسُ وَجْهِــكَ تَسْطَــعُ
أَغْنَيْتَنِــي عَنْهَــا بِخَمْــرِ بَــلاَغَــةٍ فَــالطِّيــبُ مِــنْ نَفَحَــاتِهَــا يَتَضَــوَّعُ
بَــوَّأْتَنِــي مِــنْ عِــزِّ نَظْمِــكَ رَوْضَــةً طَــابَ الْجَنَــى مِنْهَــا وَلَــذَّ الْمَشْــرَعُ
وَأَرَيْتَنِــي جُنْــحَ الــدُّجُنَّــةِ غُــرَّةً فَــالنُّــورُ مِــنْ قَسَمَــاتِهَــا يَتَطَلَّــعُ
يَعْنُــو لَــكَ الْبَــدْرُ الْمُنِيــرُ وَقَــدْ عَــلاَ وَالْبَــدْرُ تَــاجٌ بِــالنُّجُــومِ مُــرَصَّــعُ
فَــاتَحْتَنِــي مِنْهَــا بِخَمْــسٍ وَلاَئِــدٍ لِتُعِيــذَهَــا مِــنْ كُــلِّ عَيْــنٍ تَلْقَــعُ[1]

---

(1) لقع فلانٌ فلاناً بعينه: أصابه بها.

قَبَلْتُهَا أَلْفاً وَبِتُّ لِرَبِّهَا أَدْعُو لَهُ حَتَّى الصَّباحِ وأَضْرَعُ

(61)

وفي المعنى[1]:

[مجزوء الرمل]

مَنْ رَأَى التَّاجَ الرَّفِيعَا قَدْ حَوَى الشُّكْرَ[2] الْبَدِيعَا
تَحْسُدُ[3] الأَفْلاَكُ مِنْهُ قَوْسَهُ السَّهْلَ الْمَنِيعَا
دُمْتَ رَبْعاً لِلتَّهَانِي أَنْظِمِ الشَّمْلَ الْجَمِيعَا

(62)

وفي مدح[4] كتاب الشفاء[5] وقد طلبه الفقيه أبو عبد الله ابن مرزوق[6] عندما شرع في شرحه:

[الطويل]

وَمَسْرَى رِكَابٍ لِلصَّبَا[7] قَدْ وَنَتْ بِهِ نَجَائِبُ سُحْبٍ لِلتُّرَابِ نُزُوعُهَا
تَسُلُّ سُيُوفَ الْبَرْقِ أَيْدِي حُدَاتِهَا فَتَنْهَلُّ خَوْفاً مِنْ سَطَاهَا دُمُوعُهَا
تَعَرَّضْنَ غَرْباً يَبْتَغِينَ مُعَرَّساً فَقُلْتَ لَهَا مُرَاكُشٌ وَرُبُوعُهَا
لِتَسْقِيَ أَجْدَاثاً بِهَا وَضَرَائِحاً عِيَاضٌ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ ضَجِيعُهَا
وَأَجْدَرُ مَنْ نَبْكِي عَلَيْهِ يَرَاعَةٌ بِصَفْحَةِ طِرْسٍ وَالْمِدَادُ نَجِيعُهَا

---

(1) أي فيما رُسِم في طيقان الأبواب والمباني التي ابتناها الغني بالله (أزهار: II/ 139).
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الشَكْلَ».
(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «تَحْسَبُ».
(4) القصيدة غير موجودة في أزهار.
(5) هو كتاب الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض وفيه سيرة الرسول وأخلاقه ومعجزاته وما يجب في حقّه وما يجوز.
(6) انظر التعريف به سابقاً.
(7) كذا في نفح؛ وفي الإحاطة: «الوَنَى».

فَكَمْ مِنْ يَدٍ فِي الدِّينِ قَدْ سَلَفَتْ لَهُ ... يُـرَضِّـي رَسُـولَ اللَّـهِ عَنْـهُ صَنِيعُهَـا

وَلاَ مِثْـلَ تَعْـرِيـفِ الشِّفَـاءِ حُقُـوقَـهُ[1] ... فَقَـدْ بَـانَ فِيـهِ لِلْعُقُـولِ جَمِيعُهَـا

بِمِـرْآةِ حُسْـنٍ قَـدْ جَلَتْهَـا يَـدُ النُّهَـى ... فَـأَوْصَـافُـهُ يَلْتَـاحُ فِيـهِ بَـدِيعُهَـا

نُجُـومُ اهْتِـدَاءٍ وَالْمِـدَادُ يُجِنُّهَـا ... وَأَسْـرَارُ غَيْـبٍ وَالْيَـرَاعُ تُـذِيعُهَـا[2]

لَقَدْ حُزْتَ فَضْلاً يَا أَبَا الْفَضْلِ شَامِلاً ... فَيَجْـزِيـكَ عَـنْ نُصْـحِ الْبَـرَايَا شَفِيعُهَا

وَلِلَّـهِ مِمَّـنْ قَـدْ تَصَـدَّى لِشَـرْحِـهِ ... فَلَبَّـاهُ مِـنْ غُـرِّ الْمَعَـانِـي مُطِيعُهَـا

فَكَـمْ مُجْمَـلٍ فَصَّلْـتَ مِنْـهُ وَحِكْمَـةٍ ... إِذَا كَتَـمَ الإِدْمَـاجُ مِنْـهُ تُشِيعُهَـا

مَحَـاسِـنُ وَالإِحْسَـانُ يَبْـدُو خِـلاَلَهَـا ... كَمَـا افْتَـرَّ عَـنْ زَهْـرِ الْبِطَـاحِ رَبِيعُهَـا

إِذَا مَـا أَجَلْـتَ الْعَيْـنَ فِيهَـا تَخَـالُهَـا ... نُجُـومـاً بِآفَـاقِ الطُّـرُوسِ طُلُـوعُهَا

مَعَـانِيـهِ كَـالْمَـاءِ الـزُّلاَلِ إِذَا جَـرَى[3] ... وَأَلْفَـاظُـهُ دُرٌّ يُـرَوَّى نَصِيعُهَـا

رِيَـاضٌ سَقَـاهَـا الْفِكْـرُ صَـوْبَ ذَكَـائِـهِ ... فَـأَخْصَـبَ لِلْـوُرَّادِ مِنْهَـا مُـرِيعُهَـا

تَفَجَّـرَ عَـنْ عَيْـنِ الْيَقِيـنِ زُلاَلُهَـا ... فَلَـذَّ لأَرْبَـابِ الْخُلُـوصِ شُـرُوعُهَـا

أَلاَ يَـا ابْـنَ جَـارِ اللَّـهِ يَـا ابْـنَ وَلِيَّـةٍ ... لأَنْـتَ إِذَا عُـدَّ الكِـرَامُ رَفِيعُهَـا

إِذَا مَـا أُصُـولُ الْمَـرْءِ طَـابَـتْ أَرُومَـةً ... فَـلاَ عَجَـبَ أَنْ أَشْبَهَتْهَـا فُـرُوعُهَـا

بَقِيـتَ لأَعْـلاَمِ الـزَّمَـانِ تُنِيلُهَـا ... هُـدًى وَلأَحْـدَاثِ الْخُطُـوبِ تَـرُوعُهَـا

قافيـة الـفـاء

(63)

ولمّا انتقل مولانا الجدّ إلى رضوان الله ونعيم خُلده، وقام مولانا الوالد ولـيُّ عهده بالأمر من بعده، أنشده رثاءً في السّلف، وهناءً في الخلف ـ رحمة

---

(1) كذا في نفح؛ وفي الإحاطة: «الشِّفَا بِحُقُوقِهِ».

(2) في الإحاطة: «يُذِيعُهَا».

(3) كذا في الإحاطة؛ وفي نفح: «لِذِي صَدًى».

الله تعالى عليهما[1] ـ: [الطويل]

عَـزَاءً فَـإِنَّ الشَّجْـوَ قَـدْ كَـادَ يُسْـرِفُ ... وَبُشْرَى بِهَا الدَّاعِي عَلَى الْفَوْزِ يُشْرِفُ

لَئِـنْ غَـرَبَ الْبَـدْرُ الْمُنِيـرُ مُحَمَّـدٌ ... لَقَـدْ طَلَـعَ الْبَـدْرُ الْمُكَمَّـلُ يُـوسُـفُ

وَإِنْ رُدَّ سَيْـفُ الْمُلْـكِ صَـوْنـاً لِغِمْـدِهِ ... فَقَـدْ سُـلَّ مِـنْ غِمْـدِ الْخِـلافَةِ مُرْهَـفُ

وَإِنْ طَـوَتِ الْبُـرْدَ الْيَمَـانِـي يَـدُ الْبِلَـى ... فَقَـدْ نُشِـرَ الْبُـرْدُ الْجَـدِيـدُ الْمُفَـوَّفُ

وَإِنْ نَضَـبَ الْـوَادِي وَجَـفَّ مَعِينُـهُ ... فَقَـدْ فَـاضَ بَحْـرٌ بِـالْجَـوَاهِـرِ يَقْـذِفُ

وَإِنْ صَوَّحَ الرَّوْضُ الَّذِي يُنْبِتُ الغِنَى ... فَقَدْ أَنْبَتَ[2] الرَّوْضُ الَّذِي هُوَ يُخْلِفُ

وَإِنْ أَقْلَعَـتْ سُحْـبُ الْحَيَـا وَتَقَشَّعَـتْ ... فَقَـدْ نَشَـأَتْ مِنْهَـا غَمَـائِـمُ وُكَّـفُ

وَإِنْ صَـدَعَ الشَّمْـلَ الْجَمِيعَ يَـدُ النَّـوَى ... بِيُـوسُـفَ فَخْـرِ الْمُنْتَـدِي يَتَـأَلَّـفُ

وَإِنْ رَاعَ قَلْـبَ الـدِّيـنِ نَعْـيُ إِمَـامِـهِ ... فَقَـدْ هُـزَّ مِنْـهُ بِـالبِشَـارَةِ مَعْطِـفُ

وَقَـدْ مَلَـكَ الإِسْـلاَمَ خَيْـرُ خَلِيفَـةٍ ... مِنَ الْبَدْرِ أَبْهَى أَوْ مِنَ الشَّمْسِ أَشْرَفُ

يُغِيـرُ[3] مُحَيَّـاهُ الصَّبَـاحَ إِذَا بَـدَا ... وَتُخْجِـلُ يُمْنَـاهُ الْغَمَـامَ فَتَخْلُـفُ[4]

فَمِـنْ نُـورِ مَـرْآهُ الْكَـوَاكِـبُ تَهْتَـدِي ... وَمِـنْ فَيْـضِ جَـدْوَاهُ الْحَيَـا يَتَـوَكَّـفُ[5]

ولَمَّـا قَضَـى الْمَـوْلَـى الإِمَـامُ مُحَمَّـدٌ ... تَحَكَّـمَ فِـي النَّـاسِ الأَسَـى وَالتَّأَسُّـفُ

فَـلاَ جَفْـنَ إِلاَّ مُـرْسِـلٌ سُحْـبَ دَمْعِـهِ ... وَلاَ قَلْـبَ إِلاَّ بِـالْجَـوَى يَتَلَهَّـفُ

وَقَـدْ كَـادَتِ الـدُّنْيَـا تَمِيـدُ بِـأَهْلِهَـا ... وقَـدْ كَـادَتِ الشُّـمُّ الشَّـوَامِـخُ تَـرْجُـفُ

وَقَدْ كَادَتِ الأَفْلاَكُ[6] تَرْفَضُّ حَسْرَةً ... وَكَادَتْ بِهَا الأَنْوَارُ تَخْبُو[7] وتُكْسَفُ

---

(1) يمكن تأريخ هذه القصيدة بسنة 793 هـ وهي سنة موت الغني بالله وتولى ابنه يوسف الثاني بعده.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «أَزْهَرَ».

(3) «يُعِيرُ» في أزهار.

(4) في أزهار: «وَتَخْلُفُ».

(5) «نَتَوَكَّفُ» في أزهار.

(6) في نفح: الأَنْوَارُ، واخترنا قراءة أزهار.

(7) «تَخْفُو» في أزهار.

وَلَكِـنْ تَـلاَفَـى اللَّـهُ أَمْـرَ عِبَـادِهِ   بِـوَارِثِـهِ وَاللَّـهُ بِـالنَّـاسِ أَرْأَفُ
فَلِلـدِّيـنِ وَالـدُّنْيَـا ابْتِهَـاجٌ وَغِبْطَـةٌ   وَلِلثَّغْـرِ ثَغْـرٌ بِـالْمُنَـى يَتَـرَشَّـفُ
أَمَـانٌ[1] كَمَـا تَنْـدَى الشَّبِيبَـةُ نَضْـرَةً   يُمَـدُّ لَـهُ ظِـلٌّ عَلَـى الأَرْضِ أَوْرَفُ
طَلَعْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ فِي دَوْلَةِ الرِّضَا   فَـأَمَّنْتَـهُ فِـي[2] كُـلِّ مَـا يَتَخَـوَّفُ
بِـوَجْـهٍ يُـرِينَـا الْبَـدْرَ عِنْـدَ طُلُـوعِـهِ   وَفِـي وَجْنَـةِ الْبَـدْرِ الْمُنِيـرِ التَّكَلُّـفُ
وَعَـزْمٍ كَمَـا انْشَـقَّ الصَّبَـاحُ مُصَمِّـمٍ   وَرَأْيٍ بِـهِ بِيضُ الصَّـوَارِمِ تُـرْهَـفُ
وحَـوْلَـكَ مِـنْ حِفْـظِ الإِلاَهِ كَتَـائِـبٌ   وَفَـوْقَـكَ مِـنْ ظِـلِّ السَّعَـادَةِ رَفْـرَفُ
وَوَاللَّـهِ[3] مَـا نَـدْرِي وَلِلْعِلْـمِ عِنْـدَنَـا   بَـرَاهِيـنُ عَـنْ وَجْـهِ الْحَقَـائِـقِ تَكْشِفُ
أَوَجْهُـكَ أَمْ شَمْـسُ النَّهَـارِ تَطَلَّعَـتْ؟   وَكَفُّكَ أَوْ سُحْبَ الْحَيَـا تَتَـوَكَّـفُ[4]؟
فَكَـمْ لَـكَ مِـنْ ذِكْـرٍ جَمِيـلٍ وَمَفْخَـرٍ   عَمِيـمٍ عَلَـى أَوْجِ الْكَـوَاكِـبِ يُشْـرِفُ
يُـزَارُ بِـهِ الْبَيْـتُ الْعَتِيـقُ وَزَمْـزَمٌ   وَيَعْـرِفُـهُ حَتَّـى الصَّفَـا وَالْمُعَـرَّفُ
وَمَـنْ يَسْـأَلِ الأَيَّـامَ تُخْبِـرْهُ أَنَّهَـا   بِقَوْمِكَ تُزْهَـى فِـي الْفَخَـارِ وَتَشْـرُفُ
وَهَـلْ تَهْـدِمُ الأَيَّـامُ بُنْيَـانَ مَفْخَـرٍ   تُشَيِّـدُهُ آيٌ كِـرَامٌ وَمُصْحَـفُ
وَلَـوْ كَـانَـتِ الأَيَّـامُ قَبْـلُ تَنَكَّـرَتْ   فَبِـاسْمِـكَ يَـا بَـدْرَ الْهُـدَى تَتَعَـرَّفُ
أَلاَ لاَ تَـرُعْنَـا الْحَـادِثَـاتُ فَـإِنَّنَـا   عِصَـابَـةُ تَـوْحِـيدٍ بِـهِ تَتَشَـرَّفُ[5]
وَلَيْـسَ لَنَـا إِلاَّ التَّـوَكُّـلَ عَـادَةٌ   وَظَـنٌّ جَمِيـلٌ وَعْـدُهُ لَيْـسَ يُخْلَـفُ
فَمَـنْ مُبْلِـغٌ عَنَّـا الْغَنِـيَّ بِـرَبِّـهِ   وَقَـدْ سَـارَ لِلْفِـرْدَوْسِ يَحْيَـا وَيُتْحَـفُ
بِـآيَـةِ مَـا أَبْلَغْـتَ[6] دِيـنَ مُحَمَّـدٍ   أَمَـانِـيَّ لِلـرَّحْمَـانِ تُـدْنِـي وتُـزْلِـفُ

(1) في أزهار: «أَمَانٌ».
(2) «مِنْ» في نفس المصدر.
(3) فيه كذلك: «فَوَاللَّهِ».
(4) «تَتَوَكَّفُ» في نفح.
(5) «نتشرَّفُ» في أزهار».
(6) «بَلَّغْتَ» في المصدر نفسه.

وعَنْـكَ يُـرَوِّي النَّـاسُ كُـلَّ غَـرِيبَـةٍ يُـرَوِّي لَنَـا مِنْهَـا الْغَـرِيـبُ الْمُصَنَّـفُ[1]

وَكَسَّـرْتَ[2] تِمْثَـالاً وَهَـدَّمْـتَ بَيْعَـةً وَنَـاقُـوسُهَـا بِـالْكُفْـرِ يَهْنِـي[3] ويَهْتِـفُ

وَكَـمْ مِـنْ مَنَـارٍ بِـالأَذَانِ عَمَـرْتَـهُ فَصَـارَتْ بِـهِ الآذَانُ بَعْـدُ تَشَنَّـفُ

وَسِـرْتَ وَقَـدْ خَلَّفْـتَ خَيْـرَ خَلِيفَـةٍ لَـكَ الْفَخْـرُ مِنْـهُ وَالثَّنَـاءُ الْمُخَلَّـفُ

أَيُـوسُـفُ قَـدْ أَرْضَيْتَـهُ أَجْمَـلَ الـرِّضَـا وَكَـانَ بِمَـا تَـرْضَـى وَتَخْتَـارُ يَكْلَـفُ

وَكُنْـتَ لَـهُ يَـا قُـرَّةَ الْعَيْـنِ قُـرَّةً عَلَـى بِـرِّهِ الْمَحْتُـومِ تَحْنُـو وَتَـرْأَفُ

سَتَجْـرِي عَلَـى آثَـارِهِ سَابِـقَ الْمَـدَى فَيُهْـدَى لَـهُ مِنْـكَ الثَّنَـاءُ الْمُضَعَّـفُ

سَيَلْقَـى عَـدُوُّ الـدِّيـنِ مِنْـكَ عَـزَائِمـاً إِلَيْـهِ بِجَـرَّارِ الْكَتَـائِـبِ تَـزْحَـفُ

وَيَـأْسَـفُ لَمَّـا يُبْصِـرُ الْبَـرَّ يَـرْتَمِـي بَفُرْسَانِهِ[4] وَالْبَحْرَ بَالسُّفْنِ تَجْذِفُ[5]

وَتَفْتَـحُ مِـنْ بُلْـدَانِـهِ كُـلَّ مَعْقَـلٍ[6] يُعَبِّـدُ عُبَّـادَ الصَّلِيـبِ وَيُؤْسِـفُ

فَمَـا أَرْؤُسُ الْكُفَّـارِ إِلاَّ حَصَـائِـدٌ بِسَيْفِـكَ سَيْـفِ اللَّـهِ تُجْنَى وتُقْطَـفُ

حُسَـامُـكَ رَقْـرَاقُ الصَّفِيـحِ كَـأَنَّـهُ بِكَفِّـكَ مِـنْ مَـاءِ السَّمَـاحَـةِ[7] يُنْطِـفُ

ضَعِيـفٌ يَصِـحُّ النَّصْـرُ مِـنْ فَتَكَـاتِـهِ فَيُـرْوَى لَنَـا مِنْـهُ الصَّحِيـحُ المُضَعَّـفُ

وَرُمْحُـكَ مُـرْتَـاحُ الْمَعَـاطِـفِ هِـزَّةً كَـأَنْ قَـدْ سَقَتْـهُ مِـنْ دَمِ الْكُفْـرِ قَـرْقَفُ

وَلاَ عَيْـبَ فِيـهِ غَيْـرَ أَنَّ سِنَـانَـهُ إِذَا شَمَّ رِيحَ النَّقْعِ فِي الْحَرْبِ يَرْعَفُ

فَإِنْ كَعَّتِ[8] الأَبْطَالُ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى يُشِيـرُ لَنَـا مِنْـهُ الْبَنَـانُ الْمُطَـرَّفُ

---

(1) في البيت تورية بكتاب «الغريب المصنف» في اللغة لأبي عبيد القاسم بن سلاّم.

(2) «فَكَسَّرْتَ» في أزهار.

(3) «يَهْذِي» في نفس المصدر.

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بِفُرْسَان» والوزن لا يستقيم.

(5) «يَقْذِفُ» في أزهار».

(6) «كُل مُقْفَلٍ» في المصدر السابق.

(7) «السَّمَاءِ» في المصدر نفسه.

(8) كَعَّت: جَبُنَت.

لقَــدْ فَخَــرَ الإِسْــلاَمُ مِنْــكَ بِبَيْعَــةٍ وَزَالَ بِهَــا عَنْــهُ[1] الأَسَــى وَالتَّخَــوُّفُ

وَأَلْبَسْتَــهُ بُــرْداً مِــنَ الْفَخْــرِ ضَــافِيــاً عَلَى بَسْطِهِ[2] وَشْيُ الْمَدِيحِ يُفَوَّفُ

وَقَــدْ نُظِمَــتْ فِيــكَ السُّعُــودُ مَيَــامِنــاً كَمَــا يُنْظَمُ الْعِقْــدُ النَّفِيــسُ وَيُــرْصَــفُ

فَدُمْتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي ظِلِّ[3] غِبْطَةٍ بِمَــا شِئْــتَ مِــنْ آمَــالِــكَ الْغُــرِّ تُسْعَــفُ

(64)

ومنها[4]:

[الطويل]

يَقَــرُّ بِعَيْنِــي أَنْ أَرَى الــزَّهْــرَ يَــانِعــاً وَقَدْ نَازَعَ الْمَحْبُوبَ فِي الْحُسْنِ وَصْفَهُ

وَمَــا أَبْصَــرَتْ عَيْنِــي كَــزَهْــرِ قَــرَنْفُــلٍ حَكَــى خَــدَّ مَــنْ يَسْبِــي الْفُــؤَادَ وَعَــرْفَــهُ

تَمَنَّــعَ فِــي أَعْلَــى الْهِضَــابِ لِمُجْتَــنٍ تَمَنُّعَــــهُ مِنِّــــي إِذَا رُمْــــتُ إِلْفَــــهُ

وَفِــي جَبَــلِ الْفَتْــحِ اجْتَنَــوْهُ تَفَــاؤُلاً بِفَتْــحٍ لِبَــابِ الْــوَصْــلِ يَمْنَــحَ عَطْفَــهُ

وَمَــا ضَــرَّ ذَاكَ الْغُصْــنَ وَهُــوَ مُــرَنَّــحٌ إِذَا مَــا ثَنَــى نَحْــوَ الْمُتَيَّــمِ عِطْفَــهُ

(65)

وقال يصف مصباحاً:

[الطويل]

لَقَدْ زَادَنِي وَجْداً وَأَغْرَى بِيَ الْجَوَى ذُبَــالٌ بِــأَذْيَــالِ الظَّــلاَمِ قَــدِ الْتَفَّــا

تُشِيــرُ وَرَاءَ اللَّيْــلِ مِنْــهُ بَنَــانَــةٌ مُخَضَّبَــةٌ وَاللَّيْــلُ قَــدْ حَجَــبَ الْكَفَّــا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «عِنْدَ».

(2) في أزهار: «على عِطْفِهِ».

(3) في نفس المصدر: «في كُلِّ».

(4) في وصف القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح. (أزهار II/ 39).

تَلُـوحُ سِنَـانـاً حِيـنَ لا تَنْفَـحُ الصَّبَـا وَتُبْدِي[1] سِوَاراً حِينَ تَثْنِي لَهُ الْعِطْفَا

قَطَعْتُ بِهَا[2] لَيْلِي[3] يُطَارِحُنِي الْجَوَى وَآوِنَــةً[4] يَبْــدُو وَآوِنَــةً يَخْفَــى

إِذَا قُلْـتُ لاَ يَبْـدُو أَشَـالَ لِسَـانَـهُ وَإِنْ قُلْـتُ لاَ يَخْبُـو[5] الضِّيَـاءُ بِـهِ كَفَّـا

إِلَى أَنْ أَفَاقَ الصُّبْحُ مِنْ غَمْرَةِ الدُّجَى وَأَهْدَى نَسِيمُ الرَّوْضِ مِنْ طِيبِهِ عَرْفَا

كَـأَنَّـكَ[6] يَـا مِصْبَـاحُ أَشْبَهْـتَ مُهْجَتِي وَقَـدْ شَفَّهَـا مِـنْ لَـوْعَـةِ الحُـبِّ مَـا شَفَّـا

(66)

وأنشده[7] أيضاً وهو بحالة تألّم:

[الطويل]

كَـأَنِّـي بِلُطْـفِ اللَّـهِ قَـدْ عَـمَّ خَلْقَـهُ وَعَـافَـى إِمَـامَ الْمُسْلِمِيـنَ وَقَـدْ شَفَـى

وَقَاضِي الْقَضَاءِ الْحَتْمِ سَجَّلَ خَتْمَهُ[8] وَخَـطَّ عَلَـى رَسْـمِ الشِّفَـاءِ لَـهُ اكْتَفَـى

قافيـة الـقـاف

(67)

قال: ومن غير السُّلطانيات[9]، ممّا بَزَّفيه سبقاً وتبريزاً، وعرضه على نقدة البيان، فرأت كلَّ مُذْهَبة خَلَقت إبريزاً مرثيتُه للقاضي المعظّم الشريف أبي القاسم

(1) «تَبْدُو» في أزهار.

(2) «به» في الإحاطة ونفح.

(3) «لَيْلاً» في المصدرين المذكورين.

(4) «فآونة» في أزهار.

(5) كذا في الإحاطة وأزهار؛ وفي نفح: «لا يَخْفَى».

(6) كذا في نفح؛ في الإزهار والإحاطة: «لَكَ اللَّهُ».

(7) أي الغنيّ بالله.

(8) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «حُكْمَهُ».

(9) يقصد المدائح والعيديات في الغني بالله وفي ذلك إشارة لخضوع الترتيب إلى الأغراض الشعرية وذلك نسبيّ (انظر المقدمة ص 35).

الحسني[1] من شيوخه، أنجزها الواعد السابق في المقدمة بها:

[الكامل]

أَغْـرَى سَرَاةَ الْحَـيِّ بِـالإِطْـرَاقِ نَبَـأٌ أَصَـمَّ مَسَـامِـعَ الآفَـاقِ

أَمْسَـى بِـهِ لَيْـلُ الْحَـوَادِثِ دَاجِيـاً وَالصُّبْـحُ أَصْبَـحَ كَـاسِـفَ الإِشْـرَاقِ

فُجِـعَ الْجَمِيـعُ بِـوَاحِـدٍ جُمِعَـتْ لَـهُ شَتَّـى الْعُلَـى وَمَكَـارِمُ الأَخْـلاَقِ

هُبُّـوا لِحُكْمِكُـمُ[2] الـرَّصِيـنِ فَـإِنَّـهُ صَـرْفُ الْقَضَـاءِ فَمَـا لَـهُ مِـنْ وَاقِ

نَقَـشَ الـزَّمَـانُ بِصَـرْفِـهِ فِـي صَفْحَةٍ: كُـلُّ اجْتِمَـاعٍ مُـؤْذِنٌ بِفِـرَاقِ

مَـاذَا تُـرَجِّـي مِـنْ زَمَـانِـكَ بَعْـدَمَـا عَلِـقَ الْفَنَـاءُ بِـأَنْفَـسِ الأَعْـلاَقِ

مَـنْ تَحْسُـدِ السَّبْـعُ الطِّبَـاقُ عَـلاءَهُ عَـالَـوْا[3] عَلَيْـهِ فِـي الثَّـرَى بِطِبَـاقِ

إِنَّ الْمَنَـايَـا لِلْبَـرَايَـا غَـايَـةٌ سَبَـقَ الْكِـرَامُ لِخَصْلِهَـا بِسِبَـاقِ

لَمَّـا حَسِبْنَـا أَنْ تُحَـوِّلَ أَبْـؤُسـاً كَشَفَـتْ عَـوَانُ حُـرُوبِهَـا عَـنْ سَـاقِ

مَـا كَـانَ إِلاَّ الْبَـدْرَ طَـالَ سِـرَارُهُ حَتَّـى رَمَتْـهُ يَـدُ الـرَّدَى بِمَحَـاقِ

أَنِـفَ الْمُقَـامَ مَـعَ الْفَنَـاءِ نَـزَاهَـةً فَنَـوَى الـرَّحِيـلَ إِلَـى مَقَـامٍ بَـاقِـي

عَـدِمَ الْمُـوَافِـقَ[4] فِـي مُرَافَقَـةِ الـدُّنَـا فَنَضَى[5] الرِّكَابَ إِلَى الرَّفِيقِ الْبَاقِي

أَسَفـاً عَلَـى ذَاكَ الْجَـلالِ تَقَلَّصَـتْ أَفْيَـاؤُهُ وَعَهِـدْنَ خَيْـرَ رِوَاقِ

يَـا آمِـرِي بِـالصَّبْـرِ عِيـلَ تَصَبُّـرِي دَعْنِـي عَـدَتْـكَ لَـوَاعِـجُ الأَشْـوَاقِ

وَذَرِ الْيَـرَاعَ تَشِـي بِـدَمْـعِ مِـدَادِهَـا وَشْـيَ الْقَـرِيـضِ يَـرُوقُ فِـي الأَوْرَاقِ

وَاحَسْـرَتَـا[6] لِلْعِلْـمِ أَقْفَـرَ رَبْعُـهُ وَالْعَـدْلِ جُـرِّدَ أَجْمَـلَ الأَطْـوَاقِ

---

(1) هو محمد بن أحمد الحسني ولد بسبته 697 هـ وتوفي بغرناطة سنة 760 هـ وقد تولّى قضاءها.

(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «لِحِلْمِكُمْ».

(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «عَاثُوا».

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «المُرَافِقُ».

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «فثنى».

(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «وَاحَسْرَتِي».

رَكَـدَتْ رِيَـاحُ الْمَعْلُوَاتِ لِفَقْـدِهَـا ... كَسَـدَتْ بِـهِ الآدَابُ بَعْـدَ نَفَـاقِ

كَمْ مِنْ غَوَامِضَ قَدْ صَدَعْتَ بِفَهْمِهَا ... خَفِيَتْ مَدَارِكُهَا عَنِ[1] الحُـذَّاقِ

كَـمْ قَاعِـدٍ فِـي الْبِيـدِ فَوْقَ[2] قُعُودِهِ ... قَعَـدَتْ بِـهِ الآمَـالُ دُونَ لَحَـاقِ

لِمَنِ الـرَّكَـائِـبُ بَعْـدَ بُعْـدِكَ تُنْتَضَـى ... مَـا بَيْـنَ شَـامٍ تَـرْتَمِـي وعِـرَاقِ

تَفْلِـي الْفَـلاَ بِمَنَـاسِـمٍ مَغْلُـولَـةٍ ... تَسِـمُ الْحَصَـى بِنَجِيعِهَـا الـرَّقْـرَاقِ

كَـانَتْ إِذَا اشْتَكَـتِ الْـوَجَى وَتَـوَقَّفَتْ ... يَهْفُـو نَسِيـمُ ثَنَـائِـكَ الخَفَّـاقِ

فَـإِذا تَنَسَّمَـتِ الثَّنَـاءَ أَمَـامَهَـا ... مَـدَّتْ لَهَـا الأَعْنَـاقَ فِـي الإِعْنَـاقِ

يَـا مُـزْجِيَ الْبُـدْنِ الْقِـلاَصِ خَـوَافِقـاً ... رِفْقـاً بِهَـا فَـالسَّعْـيُ فِـي إِخْفَـاقِ

مَـاتَ الَّـذِي وَرِثَ الْعُـلاَ عَـنْ مَعْشَـرٍ ... وَرِثُـوا تُـرَاثَ الْمَجْـدِ بِـاسْتِحْقَـاقِ

رُفِعَـتْ لَهُـمْ رَايَـاتُ كُـلِّ جَـلاَلَـةٍ ... فَتَمَيَّـزُوا فِـي حَلْبَـةِ السُّبَّـاقِ

عَلَـمُ الْهُـدَاةِ وَقُطْـبُ أَعْـلاَمِ الْهُـدَى[3] ... حَـرَمُ الْعُفَـاةِ الْمُجْتَنَـى الأَرْزَاقِ

رَقَّـتْ سَجَـايَـاهُ وَرَاقَـتْ مُجْتَلَّـى ... كَـالشَّمْـسِ فِـي بُعْـدٍ وَفِـي إِشْـرَاقِ

كَـالـزُّهْـرِ فِـي لأْلاَئِـهِ وَالْبَـدْرِ فِـي ... عَلْيَـائِـهِ وَالـزَّهْـرِ فِـي الإِيـرَاقِ[4]

مَهْمَـا مَـدَحْـتَ سِـوَاهُ قَيَّـدَ وَصْفَـهُ ... وَصِفَـاتُـهُ حَمْـدٌ عَلَـى الإِطْـلاَقِ

يَـا وَارِثـاً نَسَـبَ النُّبُـوَّةِ جَـامِعـاً ... فِـي الْعِلْـمِ وَالأَخْـلاَقِ وَالأَعْـرَاقِ

يَـا ابْـنَ الـرَّسُـولِ وَإِنَّهَـا لَـوَسِيلَـةٌ ... يَـرْقَـى بِهَـا أَوْجَ الْمَصَـاعِـدِ رَاقِـي

وَرَدَ الْكِتَـابُ بِفَضْلِكُـمْ وَكَمَـالِكُـمْ ... فَكَفَـى[5] ثَنَـاءُ الْـوَاحِـدِ الْخَـلاَّقِ

مَـوْلاَيَ إِنِّـي فِـي عُـلاَكَ مُقَصِّـرٌ ... قَدْ ضَاقَ عَنْ حَصْرِ[6] النُّجُومِ نِطَاقِي

---

(1) «عَلَى» في أزهار.

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بَعْدَ».

(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الوَرَى».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الإِبْرَاقِ».

(5) «وكَفَى» في نفح.

(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار؛ «عِلْمِ».

وَمَنْ الَّذِي يُحْصِي مَنَاقِبَ مَجْدِكُمْ ... عَدُّ الْحَصَا وَالرَّمْلِ غَيْرُ مُطَاقِ

يَهْنِي قُبُوراً زُرْتَهَا فَلَقَدْ ثَوَتْ ... مِنَّا مَصُونَ جَوَانِحٍ وَحِدَاقِ

خَطَّ الرَّدَى مِنْهَا سُطُوراً نَصُّهَا: ... لاَ بُدَّ أَنَّكَ لِلْفَنَاءِ مُلاَقِي

وَلَحِقْتَ تَرْجَمَةَ الكِتَابِ وَصَدْرَهُ ... وَفَوَائِدُ الْمَكْتُوبِ فِي الإِلْحَاقِ

كَمْ مِنْ سَرَاةٍ فِي الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ ... فِي بَطْنِهَا دُرٌّ ثَوَى بِحِقَاقِ

قُلْ لِلسَّحَابِ اِسْحَبْ ذُيُولَكَ نَخْوَةً[1] ... وَالْعَبْ بِصَارِمِ بَرْقِكَ الْخَفَّاقِ

أَوْدَى الَّذِي غَيْثُ الْعِبَادِ بِكَفِّهِ ... يُزْرِي بِوَاكِفِ غَيْثِكَ الْغَيْدَاقِ

إِنْ كَانَ صَوْبُكَ بِالْمِيَاهِ فَدَرُّهَا ... دُرٌّ يُرَوِّضُ مَا حِلَ الإِمْلاَقِ

بَشَرٌ كَثِيرٌ قَدْ نُعُوا لَمَّا قَضَى[2] ... قَاضِي الْقُضَاةِ وغَابَ فِي الأَطْبَاقِ

أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الْكَرَامَةِ ضَافِياً ... وَأَرَحْتَ مِنْ كَدٍّ وَمِنْ إِرْهَاقِ

يَتَفَيَّؤُونَ ظِلاَلَ جَاهِكَ[3] كُلَّمَا ... لَفَحَتْ[4] سَمُومُ الْخَطْبِ بِالإِحْرَاقِ

عَدِمُوا الْمُوَافِقَ فِي فِرَاقِكَ وَانْطَوَى ... عَنْهُمْ بِسَاطُ الرِّفْقِ وَالإِرْفَاقِ

رَفَعُوا سَرِيرَكَ خَافِضِينَ رُؤُوسَهُمْ ... مَا مِنْهُمُ إلاَّ حَلِيفُ سِيَاقِ[5]

لَكِنْ مَصِيرُكَ لِلنَّعِيمِ مُخَلَّداً ... كَانَ الَّذِي أَبْقَى عَلَى الأَرْمَاقِ

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُرَى بَحْرُ النَّدَى ... طَوْدُ الْهُدَى يَسْرِي عَلَى الأَعْنَاقِ

إِنْ يَحْمِلُوكَ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا ... قَدْ كُنْتَ مَحْمُولاً عَلَى الأَحْدَاقِ

أَوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَاتِقِ طَالَمَا ... رَفَعَتْكَ[6] ظَهْرُ مَنَابِرٍ وَعِتَاقِ

---

(1) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «نَخْوَهُ».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لَمَّا نُعِي».

(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «وَجْهِكَ».

(4) «نَفَحَتْ» في نفح.

(5) ساق المريض سياقاً إذا أخذ في النزع قبل الموت.

(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «رُفِعْتَ ظَهرَ».

وَلَئِنْ رَحَلْتَ إِلَى الْجِنَانِ فَإِنَّمَا[1] نَصْلَى بِنَارِ الْوَجْدِ وَالأَشْوَاقِ
لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ حُزْنَ مَنْ خَلَّفْتَهُ لَثَنَى عِنَانَكَ كَثْرَةُ الإِشْفَاقِ
إِنْ جَنَّ لَيْلٌ جُنَّ مِنْ فَرْطِ الأَسَى وَسِوَى كَلَامِكَ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ
فَابْعَثْ خَيَالَكَ بِالْكَرَى يَبْعَثْ بِهِ مَيْتَ السُّرُورِ لِثَاكِلٍ مُشْتَاقِ
أَغْلَيْتَ يَا رُزْءُ التَّصَبُّرَ مِثْلَمَا أَرْخَصْتَ دُرَّ الدَّمْعِ فِي الآمَاقِ
إِنْ تُخْلِفِ[2] الأَرْضَ الْغَمَامُ فَإِنَّنِي أَسْقِي الضَّرِيحَ بِدَمْعِيَ الْمُهْرَاقِ

قافية الكاف

(68)

ومن أغراضه الوَقْتِيَّةِ استرسالاً مع الطبع البديهي، في الشكر على ضروب من التُّحَف التي يقتضيها التحفِّي السلطاني بأولياء خدمته، نُبَذٌ متعددة فيما يظهر؛ فمنها قوله:

[الكامل]

يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ الْمُلُوكَ[3] بِجُودِهِ وَبِفَضْلِهِ قَدْ أَشْبَهَ الأَمْلَاكَا
وَاللَّهِ مَا عَرَفَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ أَمْناً وَيُمْناً دَائِماً لَوْلَاكَا
وَافَيْتُ أَهْلِي بِالرِّيَاضِ عَشِيَّةً فِي رَوْضِ[4] جَاهِكَ تَحْتَ ظِلِّ رِضَاكَا[5]
فَوَجَدْتُهُ قَدْ طَلَّهُ صَوْبُ النَّدَى بِسَحَائِبٍ تَنْهَلُّ مِنْ يُمْنَاكَا
وَسَفَائِنٍ مَشْحُونَةٍ أَلْقَى بِهَا بَحْرُ السَّمَاحِ يَجِيشُ مِنْ نُعْمَاكَا
رُطَبٌ مِنَ الطَّلْحِ النَّضِيدِ كَأَنَّهَا قَدْ نُظِّمَتْ مِنْ حُسْنِهَا[6] أَسْلَاكَا

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «فإنّنا».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يُخْلِفِ».
(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «الوُجُودِ».
(4) عند نيفر: «في ظِلّ».
(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «ذُرَاكَا».
(6) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «من حُسْنِها قد «نُظِّمَتْ».

مِــنْ كُــلِّ مَــا كَــانَ النَّبِــيُّ يُحِبُّهَــا ... وَأَحَبَّهَــا الأَنْصَــارُ مِــنْ أُولاَكَــا
وَبَــدَائِــعُ التُّحَــفِ الَّتِــي قَــدْ أُطْلِعَــتْ ... مِثْــلَ الْبُــدُورِ أَنَــارَتِ الأَحْــلاَكَــا
نُطَــفٌ مِــنَ النُّــورِ الْمُبِيــنِ تَجَسَّمَــتْ ... حَتَّــى حَسِبْنَــا أَنَّهُــنَّ هُــدَاكَــا
يَحْلُــو عَلَــى الأَفْــوَاهِ طِيــبُ مَــذَاقِهَــا ... لَــوْلاَ التَّجَسُّــدُ خِلْتُهُــنَّ ثَنَــاكَــا[1]
طَــافَــتْ بِهَــا النَّشْــأُ الصِّغَــارُ كَــأَنَّهَــا ... سِــرْبُ الْقَطَــا لَمَّــا وَرَدْنَ نَــدَاكَــا
نَجْــوَاهُــمُ مَهْمَــا سَمِعْــتَ كَــلاَمَهُــمْ ... وَنِــدَاهُــمُ: مَــوْلاَيَ أَوْ مَــوْلاَكَــا
أَبْلَغْــتَ فِــي الأَبْنَــاءِ[2] عَبْــدَكَ سُــؤْلَــهُ ... لاَ زِلْــتَ تَبْلُــغُ فِــي بَنِيــكَ مُنَــاكَــا
يَتَــدَارَسُــونَ مِــنَ الــدُّعَــاءِ صَحَــائِفــاً ... كَيْمَــا يُطِيــلُ اللَّــهُ فِــي بُقْيَــاكَــا
فَبَقِيــتَ شَمْســاً فِــي سَمَــاءِ خِــلاَفَــةٍ ... وَهُــمُ الْبُــدُورُ أَمَــدَّهُــنَّ سَنَــاكَــا

(69)

ومنها في مثل ذلك[3]:

[مجزوء الكامل]

يَــا خَيْــرَ مَــنْ مَلَــكَ الْمُلُــوكْ ... أَهْــدَيْتَنِــي حَــبَّ الْمُلُــوكْ
فَكَــأَنَّمَــا يَــاقُــوتُهَــا ... قَــدْ نُظِّمَــتْ[4] نَظْــمَ السُّلُــوكْ
إِنَّ الْمُلُــوكَ إِذَا لَجَــوْا ... فَغِيَــاثُهُــمْ أَنْ أَمْلُــوكْ
وَكَــذَا الْعُفَــاةُ إِذَا شَكَــوْا ... فَغِنَــاهُــمْ أَنْ يَسْــأَلُــوكْ
فَــاللَّــهُ يَقْبَــلُ مَــنْ دَعَــا ... لِعُــلاَكَ مِــنْ أَهْــلِ السُّلُــوكْ
لا زِلْــتَ تَطْلُــعُ غُــرَّةً ... كَــالشَّمْــسِ فِــي وَقْــتِ الــدُّلُــوكْ

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «سَنَاكَا».
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أبْنَاءِ».
(3) أي في الشكر على إهدائه أطباقاً من حبّ الملوك (أزهار: II/ 126).
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «نُظِمَتْ لَنَا».

(70)

وفي مثله[1] يقول ـ رحمه الله ـ:

[الطويل]

أَقُولُ لِبَدْرِ التِّمِّ كَيْفَ هِلاَلُكَا ... نَعِمْتَ صَبَاحاً بِالسُّرُورِ[2] وَآلُكَا

وَبُلِّغْتَ فِي النَّجْلِ الْكَرِيمِ[3] سَعَادَةً ... تَقَرُّ بِهَا عَيْناً وَيَنْعَمُ بَالُكَا

وَخُصِّصْتَ بِالْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ رَبِّنَا ... كَمَا عَمَّ أَقْطَارَ الْبِلاَدِ نَوَالُكَا

قافية اللاّم

(71)

ومن ذلك أيضاً فيما اعتُمدنا به نحن وأخونا المتولّي بالأمر بعد مولانا الوالد، رحمة الله تعالى على الجميع، من تلك الصّنائع[4]، وهي جامعة لجمّ الأوصاف والبدائع:

[الطويل]

نُجُومٌ أَمَدَّتْهَا بُدُورٌ كَوَامِلُ ... لَهَا النُّورُ مِنْ شَمْسِ الْخِلاَفَةِ شَامِلُ

وَفِي الشُّهْبِ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءِ مَشَابِهٌ ... وَفِي الْبَدْرِ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ[5] مَخَايِلُ

وَتُعْرَفُ فِيهَا مِنْ أَبِيهَا شَمَائِلٌ ... كَمَا فِي أَبِيهَا مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلُ

مَرَاتِبُ فِي عَدِّ الْحِسَابِ ثَلاثَةٌ ... وَهُنَّ لِأَقْمَارِ الْعَلاَءِ مَنَازِلُ

طَلَعْنَ عَلَى حُكْمِ السُّعُودِ أَهِلَّةً ... وَسَرْعَانَ مَا تَبْدُو وَهُنَّ كَوَامِلُ

---

(1) أي: أنشده وقد مرض بعض أبنائه سائلاً عن حاله (أزهار: II/ 131).

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «نعمت صباحاً بالسّعُودِ» (X/ 80).

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «السّعِيدِ».

(4) القصيدة في التهنئة بختان حفيدَيْ الغنيّ بالله، جامع الديوان وأخيه (انظر البيت 23).

(5) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «السَّمَاءِ».

تَجَلَّتْ إِلَى الأَبْصَارِ مِنْ أُفُقِ الهُدَى ... وَمَتَّتْ[1] إِلَى الأَنْصَارِ مِنْهَا وَسَائِلُ

فَيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي شَادَ آخِراً ... مِنَ الْفَخْرِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأَوَائِلُ

بَنُوكَ كَأَمْثَالِ الأَنَامِلِ عِدَّةً ... فَزَانَتْ يَدَ الإِسْلاَمِ تِلْكَ الأَنَامِلُ

غُصُونٌ بِرَوْضِ الْجُودِ مِنْكَ تَرَعْرَعَتْ ... وَقَدْ جَادَهَا مِنْ صَوْبِ نُعْمَاكَ وَابِلُ

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا مَا تُذُوكِرَتْ ... أَأَخْلاَقُهَا تُجْلَى لَنَا أَمْ خَمَائِلُ؟

غُيُوثُ سَمَاحٍ وَالْعُفَاةُ تُسَائِلُ[2] ... لُيُوثُ كِفَاحٍ وَالْكُمَاةُ تُنَازِلُ

سُيُوفٌ مُحَلاَّةٌ عَلَى عَاتِقِ الْهُدَى ... إِذَا تُنْتَضَى تَمْضِي وَتَنْبُو الْمَنَاصِلُ

تَخَافُ عُدَاةُ الدِّينِ مِنْهُمْ وَتَتَّقِي ... كَمَا تَتَّقِي الأُسْدَ الظِّبَاءُ الْجَوَافِلُ[3]

وَإِنَّ أَبَا الْحَجَّاجِ وَهُوَ كَبِيرُهُمْ ... وَكُلُّ كَبِيرٍ[4] دُونَهُ مُتَضَائِلُ

مَلِيكٌ إِذَا اسْتَقْبَلْتَ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... تَخَيَّلْتَ أَنَّ الشَّمْسَ فِيما[5] تُقَابِلُ

إِذَا اسْتُمْطِرَتْ فِي المَحْلِ سُحْبُ بَنَانِهِ ... فَهُنَّ لِمُسْتَجْدٍ هَوَامٍ هَوَامِلُ

وَإِنْ سَالَ مَاءُ الْبِشْرِ فَوْقَ جَبِينِهِ ... فَلَيْسَ بِمَدْفُوعٍ مِنَ الْوِرْدِ سَائِلُ

تَقَلَّدَ مِنْهُ عَاتِقُ الْمُلْكِ صَارِماً ... لَهُ الْعِزُّ[6] نَصْلٌ وَالسُّعُودُ حَمَائِلُ

وَأَبْنَاؤُهُ دُرٌّ تَنَاسَقَ عِقْدُهُ ... يُحَلَّى بِهِمْ مِنْ لَبَّةِ الْفَخْرِ عَاطِلُ

أَزَاهِرُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ أَيْنَعَتْ ... فَلاَ رَوْضُهَا ذَاوٍ وَلاَ الزَّهْرُ ذَابِلُ

زَوَاهِرُ فِي أُفْقِ الْعَلاَءِ تَطَلَّعَتْ ... يُشَابِهُ بَعْضٌ بَعْضَهَا وَيُشَاكِلُ

فَمَا مِنْهُمُ إِلاَّ أَغَرُّ مُحَجَّلٌ ... بِوِرْدِ الْمَعَالِي فِي الشَّبِيبَةِ نَاهِلُ

---

(1) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «وبَثَّتْ».

(2) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «مَسَايِلُ».

(3) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «الخَوَاذِلُ».

(4) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «مَحَلٌّ كثيرٌ».

(5) عند نيفر: «فِيهَا».

(6) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «لَهُ الْعَزْمُ».

أَقَمْتَ لَهَا الإِعْذَارَ مَوْسِمَ رَحْمَةٍ … تَسَنَّتْ بِهِ لِلْمُعْتَفِينَ[1] الْمَآمِلُ

وَمَا هُوَ إِلاَّ مَوْرِدٌ لِسَعَادَةٍ … تَفِيضُ لَنَامِنْهَا اللُّهَى[2] وَالْفَوَاضِلُ

وَأَجْرَيْتَ سَرْعَانَ الْجِيَادِ بِمَلْعَبٍ … تَذَكَّرَ[3] فِيهِ مَوْقِفَ الْجِدِّ هَازِلُ

نُجُومٌ وَآفَاقُ الطِّرَادِ مَشَارِقٌ … عَلَيْهَا بُدُورٌ مِنْ وُجُوهٍ كَوَامِلُ

مَفَاتِحُ[4] أَبْوَابِ الْفُتُوحِ فَطَالَمَا … أُبِيحَتْ بِهَا لِلْكَافِرِينَ الْمَعَاقِلُ

فَأَشْهَبُ كَالإِصْبَاحِ رَاقَ أَدِيمُهُ … وَغَالَتْ بِهِ شُهْبُ السَّمَاءِ الغَوَائِلُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشُّهْبَ فِي الأُفْقِ كُلَّمَا … تَجَلَّى لَهَا[5] الإِصْبَاحُ فَهْيَ أَوَافِلُ[6]

وَأَحْمَرُ زَانَ الْوَرْدُ مِنْهُ خَمِيلَةً … يَحُفُّ بِهَا[7] نَهْرٌ مِنَ السَّيْفِ سَائِلُ

جَرَتْ لَوْنَهُ مِنْ فَوْقِهِ مُهَجُ الْعِدَا … فَلِلَّهِ مِنْهُ الْجَامِدُ الْمُتَسَايِلُ

تَلاَقَى بِهِ أَمْثَالَهُ فَكَأَنَّهَا … جِمَارٌ وَقَدْ أَذْكَى بِهَا الْبَاسَ بَاسِلُ

إِذَا قُبِسَتْ بِالرَّكْضِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى … تُنِيرُ[8] بِهَا لَيْلَ الْقَتَامِ مَشَاعِلُ

وَأَشْقَرُ مَهْمَا جَاوَلَ الْبَرْقَ فِي مَدًى … يَفُوتُ جَوَادَ الْبَرْقِ مِنْهَا الْمُجَاوِلُ

تَحَلَّى بِمَحْلُولِ النُّضَارِ أَدِيمُهُ … فَكُلُّ مُحَلًّى دُونَهُ فَهْوَ عَاطِلُ

وَأَدْهَمُ فِي مِسْحِ الدُّجَى مُتَلَفِّعٌ … وَقَدْ خَاضَ مِنْهُ فِي الصَّبَاحِ الأَسَافِلُ

يُكَلَّلُ بِالْجَوْزَاءِ حَلْيُ لِجَامِهِ … فَدُرُّ الدَّرَارِي مِنْ حِلاَهُ عَوَاطِلُ

وَلَمْ يُرْضِهِ سَرْجُ الْهِلاَلِ مُفَضَّضاً … فَأَعْرَضَ عَنْهَا لِلأَهِلَّةِ نَاعِلُ

وَأَصْفَرُ فِي ثَوْبِ الأَصِيلِ قَدِ ارْتَدَى … وَرُبَّتَمَا وَدَّتْ حِلاَهُ الأَصَائِلُ

---

(1) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار؛ «لِلمتّقِينَ».

(2) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «تَفِيضُ لها مِنْهُ المُنَى».

(3) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «يُذَكِّرُ».

(4) «مَفَاتِيحُ» في أزهار.

(5) «لَهُ» في أزهار.

(6) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «أَوَائِلُ».

(7) «بِهِ» في أزهار.

(8) كذا في أزهار؛ وعند نيفر؛ «تُثِيرُ».

وَقَـدْ قُـدَّ مِـنْ بُـرْدِ الْعَشِـيِّ جِـلالُـهُ   وَفِـي ذَيْلِـهِ صِبْـغٌ مِـنَ اللَّيْـلِ حَـائِـلُ

وَصَـاعِـدَةٌ فِـي ٱلْجَـوِّ مِـلْءَ عِنَـانِهَـا   تُسَـامِـتُ أَعْنَـاقَ السَّمَـا وَتُطَـاوِلُ

طَعَنْـتَ مِجَـنَّ[1] الْبَـدْرِ مِنْهَـا بِصَعْـدَةٍ   عَلَيْهَـا لِـوَاءُ الصُّبْـحِ فِـي الأُفْـقِ مَـائِـلُ

وقَدْ أَعْرَبَتْ بِالرَّفْعِ[2] عَنْ طِيبِ فَخْرِهَا[3]   مَتَـى نَصَبَتْهَـا فِـي الفَضَـاءِ الْعَـوَامِـلُ

يَمُـدُّ لَهَا[4] الْكَفُّ الْخَضِيبُ بِسَاعِدٍ[5]   ويَشْكِي السِّمَاكَ الأَعْزَلَ الرُّمْحُ عَامِلُ

وَتَنْتَـابُهَـا هِيـفُ الْعِصِـيِّ كَـأَنَّهَـا   سِهَـامٌ رَمَـاهَـا[6] لِلـرَّمِيَّـةِ نَـابِـلُ

تُـرَاوِغُهَـا طَـوْراً وَطَـوْراً تُضِيفُهَـا[7]   فَسَـامٍ لأَعْلَـى مُـرْتَقَـاهَـا وَنَـازِلُ

وَبِالأَصْلِ[8] كَانَتْ بَعْضَ أَغْصَانِ دَوْحَةٍ[9]   فَنَقَّلَهَـا مِنْهَـا عَلَـى الـرَّغْـمِ نَـاقِـلُ

فَحَنَّـتْ إِلَـى أَوْطَـانِهَـا وتَسَـابَقَـتْ   تُعَـاوِدُ مَسْـرَاهَـا لَهَـا وتُـوَاصِـلُ

وَبُـرْجٌ مُنِيـفٌ فِـي ذُرَاهَـا قَـدِ ٱرْتَقَـى   لِتُـرْفَـعَ مِنْهَـا لِلْبُـرُوجِ الـرَّسَـائِـلُ

تَطَـوَّرَ حَـالاَتٍ أَتَـى فِـي جَمِيعِهَـا   بِأَنْوَاعِ[10] حَلْيٍ وَضْعُهُ[11] مُتَكَافِلُ[12]

فَتَـاجٌ بِـأَعْـلاَهَـا وِشَـاحٌ بِخَصْـرِهَـا   وَفِـي السَّاقِ مِنْـهُ قَـدْ أُدِيـرَتْ خَـلاَخِـلُ

وَمَـا هُـوَ إِلاَّ قَـائِـمٌ مَـدَّ مُلْكَـهُ   إِلَى اللَّهِ فِي بُقْيَا ظِلاَلِكَ سَائِلُ[13]

---

(1) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «طَلَعْتَ تُحَيِّي».

(2) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «بالرَّبْعِ».

(3) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «نَشْرِهَا».

(4) كذا عند أزهار؛ وعند نيفر: تَمُرُّ بِهَا».

(5) «لِسَاعِدٍ» عند نيفر.

(6) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «وعَاهَا».

(7) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «قَضِيبُهَا».

(8) في أزهار: «وبالأمْسِ».

(9) «دَوْحِهَا» في أزهار كذلك.

(10) في أزهار: «بأوضاعِ».

(11) كذلك فيه: «وَصْفُهُ».

(12) «مُتَغَافِلُ» في أزهار أيضاً.

(13) «في البقيا لِمَا صَدَّ سَائِلُ» في أزهار ورجّحنا قراءة نيفر.

وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى الْقَصْرَ حَوْلَهُ مَنَازِلُ فِيهَا لِلسُّعُودِ مَنَازِلُ
تَرُوقُكَ فِيهَا لِلْبُدُورِ مَطَالِعٌ إِذَا مُثِّلَتْ فِي سَاحَتَيْهِ الأَمَاثِلُ
مَظَاهِرُ أَقْمَارٍ مَرَاقِبُ[1] أَنْجُمٍ مَرَابِعُ[2] بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ أَوَاهِلُ
وَقَدْ كَانَ هَوْلُ الْحَفْلِ رَوَّعَ أَهِلَّةٍ وَأُشْعِرَتِ الإِشْفَاقَ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
وَأَبْدَتْ بِهِ أَبْنَاءُ نَجْلِكَ أَوْجُهاً تَبِينُ إِلَى السَّارِينَ مِنْهَا الْمَجَاهِلُ
فَلاَ الْحَفْلُ مَرْهُوبٌ وَلاَ الْخَطْوُ قَاصِرٌ وَلاَ السِّرْبُ مُرْتَاعٌ وَلاَ الرَّوْعُ هَائِلُ
وَلاَ الْقَلْبُ مَنْجُوبٌ[3] وَلاَ الْحِلْمُ طَائِشٌ وَلاَ الْعَقْلُ مَعْقُولٌ وَلاَ الْفِكْرُ ذَاهِلُ
أُولَئِكَ أَبْنَاءُ الْخِلاَفَةِ بُوكِرُوا وَتَجْرِي عَلَى أَعْدَائِهِنَّ الصَّوَاهِلُ
هَنِيئاً بِهَا مِنْ سُنَّةٍ نَبَوِيَّةٍ زَهَا الْفَخْرُ مَحْصُولٌ لَدَيْهَا وَحَاصِلُ
وَرُحْمَى لَهُ مِنْ عَاذِرٍ بَانَ عُذْرُهُ وَأَوْهَمَ نَقْصاً فَضْلُهُ مُتَكَامِلُ[4]
فَنَقْصُ هِلاَلِ الأُفْقِ مَا زَالَ مُؤْذِناً لِمَرْآهُ أَنْ يَبْدُو لَنَا وَهُوَ كَامِلُ
وَفِي[5] نَقْصِ ظِلِّ الشَّمْسِ تَزْدَادُ رِفْعَةً إِلَى أَنْ تُرَى وَالظِّلُّ فِي الشَّرْقِ مَائِلُ
وَإِنْ تَابَعَ النَّقْصُ الشُّهُورَ فَإِنَّهَا عَلَى إِثْرِهِ تَأْتِي وَهُنَّ كَوَامِلُ
وَنَقْصُ صَلاَةِ الظُّهْرِ يَوْمَ عَرُوبَةٍ لِمَعْنَى كَمَالٍ أَوْضَحَتْهُ الدَّلاَئِلُ
وَإِنْ نَقَصَ الْبَازِي رِيَاشَ جَنَاحِهِ يَزِيدُ اسْتِبَاقاً وَهُوَ لِلصَّيْدِ خَاتِلُ
وَتَسْتَفْرِغُ الأَنْعَامُ مَا فِي ضُرُوعِهَا عَشِيّاً لِتَغْدُو وَالضُّرُوعُ حَوَافِلُ
وَنَقْصُ زَكَاةِ الْمَالِ فِيهِ وُفُورُهُ وَمَشْقُ ذُبَابِ السَّيْفِ يَخْشَاهُ صَاقِلُ
لَكَ الْخَيْرُ مِنْ صُنْعٍ جَلَوْتَ مَحَاسِناً يَخِبُّ[6] بِهَا حَادِي السُّرَى وَيُنَاقِلُ

(1) «مَرَاتِبُ» في أزهار.
(2) «مَنَازِلُ» في أزهار كذلك.
(3) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «مَنْخُوب».
(4) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «مُتَطَاوِلُ».
(5) «وَمِنْ» في أزهار.
(6) في أزهار: «يُحَدِّي»؛ واخترنا قراءة نيفر.

أَلاَ هَكَذَا فَلْيَعْقُدِ الْفَخْرُ تَاجَهُ ... وَيَسْمُو إِلَى أَوْجِ الْعُلَى وَيُطَاوِلُ

بِأَبْلَجَ غَارَ الصُّبْحُ مِنْهُ بِطَلْعَةٍ ... لَهَا الْبَدْرُ تَاجٌ وَالنُّجُومُ قَبَائِلُ

إِذَا خَطَبَ الْعَلْيَا تَخَطَّتْ بِرَكْبِهِ ... عَلَى خَطَرِ الْمَسْرَى[1] الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ

وَلَوْ رَامَ إِدْرَاكَ النُّجُومِ بِحِيلَةٍ ... لأَحْرَزَ مِنْ إِدْرَاكِهَا مَا يُحَاوِلُ

وَإِنْ طَلَبَتْ زُهْرُ النُّجُومِ لَحَاقَهُ ... فَمِنْ دُونِ مَا تَبْغِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ

وَتَخْفُقُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ بُنُودُهُ ... إِذَا خَفَقَتْ فِيهَا الصَّبَا وَالشَّمَائِلُ

وَلَيْلِ جِهَادٍ بَاتَ يَرْعَى نُجُومَهُ ... فَلاَ اللَّيْلُ مُنْجَابٌ وَلاَ النَّجْمُ آفِلُ

يُرَاعِي حُمَاةَ الدِّينِ مِنْهُ بِمُقْلَةٍ ... يُرَاعِي بِهَا الإِسْلاَمَ كَافٍ وَكَافِلُ

إِذَا اشْتَاقَ هَزَّ الرِّيحُ خَافِقَ بَنْدِهِ ... وَإِنْ حَنَّ غَنَّتْهُ الجِيَادُ الصَّوَاهِلُ

وَفِي اللَّهِ عَنْ وَصْلِ الأَحِبَّةِ مَرْغَبٌ ... وَفِي الْغَزْوِ عَنْ ذِكْرِ الْمَعَاهِدِ[2] شَاغِلُ

مِنَ الْخَزْرَجِيِّينَ الَّذِينَ نَمَتْهُمُ ... عَشَائِرُ مِنْ قَحْطَانِهَا وَفَضَائِلُ

تَسَامَى إِلَى مَاءِ السَّمَاءِ فَجُودُهُ ... بِمَاءِ سَمَاءٍ فِي الْبَسِيطَةِ جَائِلُ[3]

أَقُولُ لِمُسْتَامِ الرَّبِيعِ وَقَدْ غَدَا ... يَرُودُ مَصَابَ الْغَيْثِ وَالْعَامُ مَاحِلُ

أَمَامَكَ دَارٌ لِلْغَنِيِّ بِرَبِّهِ ... بِأَرْجَائِهَا لِلْمُعْتَفِينَ مَنَاهِلُ

تَفَجَّرُ مِنْ كَفَّيْهِ عَشْرَةُ أَبْحُرٍ ... يَغَصُّ بِهِنَّ الْبَرُّ[4] وَهْيَ أَنَامِلُ

فَتَجْرِي بِهَا سُفْنُ الرَّجَاءِ إِلَى مَدًى ... وَلَيْسَ سِوَى[5] الْجُودِي مِنَ الْجُودِ سَاحِلُ

فَرَاجِيهِ تَسْتَجْدِي الْعُفَاةُ نَوَالَهُ ... وَسَائِلُهُ تُرْجَى[6] لَدَيْهِ[7] الوَسَائِلُ

---

(1) في أزهار: «المَسْعَى».

(2) «المَنَازِلِ» في أزهار كذلك.

(3) «حَائِلُ» في نفس المصدر.

(4) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «البَحْرُ».

(5) «إِلَى» في أزهار.

(6) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «تُزْجَى».

(7) «إِلَيْهِ» في أزهار.

أَحَـادِيـثُ عَنْـهُ فِـي السَّمَـاحِ غَـرِيبَـةٌ ... يُـرَوِّي عَـوَالِيهَـا عَطَـاءٌ وَوَاصِـلُ

لَـكَ اللَّـهُ مِـنْ مَـوْلًى[1] غَمَـامُ بَنَـانِـهِ ... أَقَـامَـتْ فُرُوضَ[2] الْبِـرِّ مِنْهَـا النَّـوَافِـلُ

طَلَعْـتَ بِـأُفْـقِ الغَـرْبِ[3] نَيِّـرَ رَحْمَـةٍ ... وَقَـدْ شَرُفَـتْ مِنْـكَ الْعُلَـى وَالْفَضَـائِـلُ

فَحَمْدُكَ أَجْدَى[4] مَا أَفَادَتْ حَقَائِبٌ ... وَذِكْـرُكَ أَسْنَـى مَـا أَقَلَّـتْ رَوَاحِـلُ

تَرُومُ جَوَارِي الشُّهْبِ شَأْوَكَ فِي الْعُلَى ... وَمِـنْ دُونِـهِ لِلنَّيِّـرَاتِ مَـرَاحِـلُ

وَفِـي الصُّبْـحِ مِـنْ ذَاكَ الجَبِيـنِ أَشِعَّـةٌ ... وَفِـي الشَّمْـسِ مِـنْ ذَاكَ الْمُحَيَّا دَلاَئِـلُ

وَفِـي الصُّبْـحِ مِـنْ رَيَّـاكَ عَـرْفٌ وَنَفْحَـةٌ ... وَفِـي الْغَيْـثِ مِـنْ يُمْنَـاكَ جُـودٌ وَنَـائِـلُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُزْجِ الْجُنُودَ إِلَى الْعِدَى[5] ... فَـإِنَّ جُنُـودَ اللَّـهِ عَنْـكَ تُقَـاتِـلُ

وَإِنْ لَـمْ تُقَـوِّمْهَـا سِهَـامـاً مَـرِيشَـةً ... فَـإِنَّ سِهَـامَ اللَّـهِ عَنْـكَ تُنَـاضِـلُ

تَـرِيـشُ لَـكَ الأَقْـدَارُ أَسْهُـمَ أَسْعُـدٍ ... تُصَـابُ بِهَـا لِلـدَّارِعِيـنَ مَقَـاتِـلُ

لَكَ الْعَزْمُ[6] تَسْتَجْلِي الْخُطُوبَ بِنُورِهِ ... فَلَيْـسَ لَـهُ إِلاَّ الصَّبَـاحُ مُمَـاثِـلُ

إِذَا الْعَـزْمُ لَـمْ يَصْقُـلْ حُسَـامَ كَمِيِّـهِ ... فَمَـا نَـافِـعٌ مَـا قَـدْ جَلَتْـهُ الصَّيَـاقِـلُ

فَقَبْـلَ مَضَـاءِ السَّيْـفِ تُمْضِـي عَـزَائِـمٌ ... وَبَعْـدَ بِنَـاءِ الـرَّأْيِ تُبْنَـى الْمَعَـاقِـلُ

وَمَـا يَسْتَـوِي ـ وَالْعِلْـمُ لِلَّـهِ وَحْـدَهُ ـ ... عَلِيـمٌ بِـأَعْقَـابِ الأُمُـورِ وَجَـاهِـلُ

تُظَلِّلُ سُحْبُ الطَّيْرِ جَيْشَكَ حَيْثُمَا[7] ... تَمِيـلُ بِهَـا الـرَّايَـاتُ وَهِـي حَـوَامِـلُ[8]

---

(1) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «مِنْ تُولٍ».

(2) رجّحنا قراءة أزهار؛ وعند نيفر: «بِرَوْضٍ».

(3) «البَرِّ» عند نيفر.

(4) «أَحْرَى» في أزهار.

(5) في أزهار «العُلاَ».

(6) «لَكَ العِزّ» في نفس المصدر.

(7) «كلما» عند نيفر.

(8) عنده كذلك: «فهي مَوَائِلُ».

تَـلاَقَـى[1] بِـهِ[2] عُقْبَـانُ طَيْـرٍ وَرَايَـةٍ لِصَيْـدِ[3] الأَعَـادِي وَالـرِّمَـاحُ حَبَـائِـلُ
فَقُـلْ لِعَمِيـدِ ٱلـرُّومِ دُونَـكَ فَـٱرْتَقِـبْ طَـلاَئِـعَ فِيهَـا لِلْمَنَـايَـا رَسَـائِـلُ
وَشِمْ بَارِقَ السَّيْفِ اللَّمُوعِ فَفَوْقَهُ[4] سَحَـابُ قَتَـامٍ تَحْتَـهُ الـدَّمُ سَـائِـلُ
وَلاَ تَزْجُـرِ[5] الغِرْبَانَ فِي البَحْرِ إِنَّهَا سَفَـائِـنُ وَالبَحْـرُ الْمُـذَلَّـلُ حَـامِـلُ
وَلَكِنَّهَـا وَٱللهُ يُنْجِـزُ وَعْـدَهُ جَـوَارٍ بِـآسَـادِ الـرِّجَـالِ حَـوَامِـلُ
وَمُخْضَـرَّةُ الأَرْجَـاءِ فِـي جَنَبَـاتِهَـا مَسَـارِحُ تَحْمِيهَـا الـرِّمَـاحُ الـذَّوَابِـلُ
تَـرَى الـدَّوْحَ مِنْهَـا بِـالأَسِنَّـةِ مُـزْهِـراً إِذَا مَـا سَقَتْـهُ لِلسُّيُـوفِ الجَـدَاوِلُ
تَبُـلُّ غَلِيـلَ الـرُّمْـحِ مِـنْ مُهَـجِ الْعِـدَا إِذَا مَـا كَسَـتْ مِنْهَـا الـرِّمَـاحُ غَـلائِـلُ
فَيَـا عَجَبـاً لِلـرُّمْـحِ رَوَّيْتَـهُ دَمـاً وَقَـدْ رَاقَ مِنْهَـا الْعَيْـنَ رَيَّـانُ ذَابِـلُ
لَقَـدْ كَمُلَـتْ فِيـكَ الْمَحَـاسِـنُ كُلُّهَـا وَمَـا كُـلُّ مَـنْ يُعْطَـى الْخِـلافَـةَ كَـامِـلُ
فَعِنْـدَ جَمِيـعِ الْخَلْـقِ شُكْـرُكَ عَـاجِـلٌ وَعِنْـدَ الإِلاَهِ الْحَـقِّ أَجْـرُكَ آجِـلُ
وَدُونَـكَ مِـنْ نَظْمِـي جَـوَاهِـرَ حِكْمَـةٍ يُفَـاخِـرُ مِنْهَـا السِّحْـرَ بِـالشِّعْـرِ بَـابِـلُ
وَمَـا هُـوَ إِلاَّ ذِكْـرُ أَوْصَـافِـكَ الْعُلَـى فَتَفْعَـلُ يَـا مَـوْلاَيَ وَالْعَبْـدُ قَـائِـلُ
فَتُتْلَـى عَلَـى الأَسْمَـاعِ مِنْهَـا بَـدَائِـعٌ وَتُجْلَـى عَلَـى الأَبْصَـارِ مِنْهَـا عَقَـائِـلُ
وَلَـوْ أَنَّنِي أَدْرَكْـتُ أَعْصَـارَ مَـنْ مَضَـى لَمَـا قَـالَ فِيهَـا الشَّـاعِـرُ الْمُتَخَـايِـلُ:
«وَإِنِّـي وَإِنْ كُنْـتُ الأَخِيـرَ زَمَـانُـهُ لآتٍ بِمَـا لَـمْ تَسْتَطِعْـهُ الأَوَائِـلُ»[6]
وَلاَ افْتَخَـرَتْ قِـدْمـاً إِيَـادٌ بِقُسِّهَـا وَلاَ اسْتَصْحَبَتْ سُحْبَانَ فِي الفَخْرِ وَائِلُ
فَـلاَ زِلْـتَ يَـا مَـوْلاَيَ مَـوْرِدَ رَحْمَـةٍ عِطَـاشُ الأَمَـانِـي فـي نَـدَاكَ نَـوَاهِـلُ

(1) «فَلاَقَى» في أزهار.
(2) «بها» في نفس المصدر.
(3) «تُبِيدُ» فيه كذلك.
(4) «جُفُونُهُ» فيه أيضاً.
(5) «ولا مُزْجِرٌ» عند نيفر.
(6) بيت مشهور لأبي العلاء المعرّي.

تُقِيمُ رُسُومَ الْمَعْلُوَاتِ بِمَغْرِبٍ[1] وَذِكْرُكَ فِي أَقْصَى الْبَسِيطَةِ جَائِلُ
وَأَدْرَكْتَ فِي الأَعْدَاءِ ما أنتَ طَالِبٌ وَبُلِّغْتَ فِي الأَبْنَاءِ مَا أَنْتَ آمِلُ

(72)

ومن ذلك ما أنشده، رضي الله عنه، في رحلة ركاب المجاهد إلى المريّة بالقصر الصُّمادحيّ في حدود عشر سنين وسبعمائة [710][2] :

[الكامل]

مَا لِلْحُمُولِ تَحِنُّ لِلأَطْلَالِ وَيَشُوقُهَا ذِكْرُ الزَّمَانِ الْخَالِي
يَثْنِي أَزِمَّةَ هِيمِهَا شَوْقٌ إِلَى ظِلِّ ٱلأَرَاكِ وَأَزْرَقٍ سَلْسَالِ
ذَكَرَتْ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ كَعَهْدِهَا وَالرَّبْعُ مِنْهَا أَخْضَرُ السِّرْبَالِ
وَالدَّارُ حَالِيَةُ الْمَعَاطِفِ وَالرُّبَا وَمَرَادُهَا بِالرَّوْضَةِ المِخْضَالِ
أَيَّانَ مَا لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى وَتَرَاهَنَتْ فِي الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ
وَجَرَتْ بِسِدَّتِهَا الحُدَاةُ كَأَنَّهَا قِطَعُ السَّفَائِنِ خُضْنَ بَحْرَ لَيَالِ
دَعْنِي أُطَارِحْهَا الْحَنِينَ فَإِنَّنِي لا أَنْثَنِي لِمقَالَةِ الْعُذَّالِ
وَهْيِ الْمَنَازِلُ أَشْبَهَتْ سُكَّانَهَا أَعْمَارُهَا تُنْضِي إِلَى الآجَالِ
بَلِيَتْ مَحَاسِنُهَا وَخَفَّ أَنِيسُهَا وَالشَّوْقُ وَالتِّذْكَارُ لَيْسَ بِبَالِي
وَلَقَدْ أَقُولُ وَمَا يُعَنِّفُ ذُو الهَوَى[3] ذَهَبَ الغَرَامُ بِحِيلَةِ الْمُحْتَالِ
أَحَشَى تَذُوبُ صَبَابَةً وَمَدَامِعٌ تُغْرِي جُفُونَ الْمُزْنِ بِاسْتِهْلَالِ
وَوَرَاءَ مُطَّلِعِ الْخُدُورِ جَآذِرٌ تُجْلَى شُمُوساً فِي غَمَامِ حِجَالِ
يَا سَاكِنِي نَجْدٍ وَمَا نَجْدٌ سِوَى دَارِ الْهَوَى وَمُخَيَّمِ الآمَالِ

---

(1) عند نيفر: «بِذِكْرِهِ».

(2) كذا في الأصل، وهو خطأ واضح ولعلّ الصواب: «في حدود الستّين وسبعمائة» اختلطت على الناسخ ستّين بسنين، لأنّ الغني بالله ـ والمدحية فيه (انظر البيت 54) ـ إنّما تولّى الحكم للمرّة الأولى سنة 755 هـ؛ أما ابن زمرك فقد ولد سنة 733 هـ أي قبل 710 على كل حالٍ. (والغريب أن محققي الأزهار والنفح لم يشيرُوا إلى هذا الخلط).

(3) هكذا في أزهار؛ وعند نيفر: «وما يُعقّبُ ذو النُّهى».

مَـا لِلظِّبَـاءِ الآنِسَـاتِ بِـرَبْعِكُـمْ — عُطُـلاً وَهُـنَّ مِـنَ الْجَمَـالِ خَـوَالِ[1]

أَوْ لِلـرِّيَـاحِ تَهُـبُّ وَهْـيَ بَلِيلَـةٌ — فَتَهِيـجُ مِـنْ وَجْـدِي وَمِـنْ بَلْبَـالِـي

هِـيَ شِيمَـةٌ عُـذْرِيَّـةٌ عَـوَّدْتُهَـا — قَلْبـاً شَعَـاعـاً مَـا يُـرَى بِـالسَّالِـي

يَـا بِنْـتَ مَـنْ غَمَـرَ الْعُفَـاةَ نَـوَالُـهُ — هَـلاَّ سَمَحْـتِ وَلَـوْ بِطَيْـفِ خَيَـالِ

فَلَكُـمْ بَعَثْـتُ مَـعَ النَّسِيـمِ تَحِيَّتِـي — عَـوَّدْتُ سَـارِيَ الْبَـرْقِ مِـنْ أَرْسَـالِـي

بِـاللَّـهِ يَـا رِيـحَ النُّعَـامَـى جَـرِّرِي — فَـوْقَ الْخُـزَامَـى عَـاطِـرَ الأَذْيَـالِ

وَإِذَا مَـرَرْتَ عَلَـى الْكَثِيـبِ بِـرَامَـةٍ[2] — صَـافِـحْ مُحَيَّـا الـرَّوْضَـةِ المِخْضَـالِ

فِيهَـا المَعَـاهِـدُ قَـدْ طَلَعْـنَ بِـأُفْقِهَـا — زَمَنـاً وَلَـمْ أَجْنَـحْ لِـوَقْـتِ زَوَالِ

أَمُـذَكِّـرِي عَهْـدَ الشَّبِيبَـةِ جَـادَهُ — صَـوْبُ الْعِهَـادِ بِـوَاكِـفٍ هَطَّـالِ

عَـاطَيْتَنِـي عَنْـهُ الْحَـدِيـثَ كَـأَنَّمَـا — عَـاطَيْتَنِـي مِنْـهُ ابْنَـةَ الْجِـرْيَـالِ

هَـذَا عَلَـى أَنِّـي نَـزَعْـتُ عَـنِ الصِّبَـا — وصَرَمْـتُ مِنْ حُـبِّ الْحِسَانِ حِبَالِـي

حَسْبِي وَقَاراً فِي النَّدِيِّ إِذَا احْتَبَوْا[3] — وَتَجَـاوَلُـوا فِـي الْفَخْـرِ أَيَّ[4] مَجَـالِ

إِنِّـي أَلُـوذُ بِـدَوْلَـةٍ نَصْـرِيَّـةٍ — حَلِيَـتْ مَحَـاسِنُهَـا بِكُـلِّ كَمَـالِ

حَيْـثُ الْـوُجُـوهُ صَبِيحَـةٌ وَالْمَكْـرُمَـا — تُ صَـرِيحَـةٌ وَالعِـزُّ غَيْـرُ مُـذَالِ[5]

حَيْـثُ الْمَكَـارِمُ سَنَّهَـا أَعْـلاَمُهَـا — مِـنْ كُـلِّ فَيَّـاضِ النَّـدَى مِفْضَـالِ

بِيـضُ الأَيَـادِي وَالْـوُجُـوهِ أَعِـزَّةٌ — قَـدْ شَيَّـدُوا العَلْيَـا بِسُمْـرٍ عَـوَالِـي

هُـمْ آلُ نَصْـرٍ نَـاصَـرُوا دِيـنَ الْهُـدَى — وَالْمُصْطَفَـوْنَ لِخِـيرَةِ الأَرْسَـالِ

مَـا شِئْـتَ مِـنْ مَجْـدٍ قَـدِيـمٍ شَـادَهُ — أَبْنَـاءُ قَيْلَـةَ أَشْـرَفُ الأَقْيَـالِ

مَـا مِنْهُـمُ إِلاَّ أَغَـرُّ مُحَجَّـلٌ — يَلْقَـى الْعَظَـائِـمَ وَهُـوَ غَيْـرُ مُبَـالِ

مُتَبَسِّـمٌ وَالْيَـوْمُ أَكْلَـحُ عَـابِـسٌ — وَالْحَـرْبُ تَـدْعُـو بِـالْكُمَـاةِ نَـزَالِ

قَدْ عُوِّدُوا النَّصْرَ الْعَزِيزَ وخُوِّلُوا الـ — ـفَتْـحَ الْمُبِيـنَ بِمُلْتَقَـى الأَبْطَـالِ

---

(1) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «خَوَالِي».

(2) موضع بالعقيق؛ أو وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة.

(3) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «إِذَا احْتَبَى».

(4) «كُلَّ» في أزهار.

(5) «مُزَالِ» في نفس المصدر.

بَـذَلُـوا لَـدَى الْهَيْجَـا كَـرَائِـمَ أَنْفُـسٍ ... قَـدْ أُرْخِصَـتْ فِـي اللَّـهِ وَهْـيَ غَـوَالِـي

يَـا أَيُّهَـا الْمَلِـكُ الْهُمَـامُ الْمُجْتَبَـى ... وَمُنِيـلُ دِيـنِ اللَّـهِ خَيْـرَ مَنَـالِ

أَصْبَحْـتَ وَارِثَ مَجْدِهِـمْ وَفَخَـارِهِـمْ ... وَمُشَـرِّفَ الأَمْصَـارِ وَالأَجْيَـالِ[1]

وَطَلَعْـتَ فِـي أُفُـقِ الْخِـلافَـةِ نَيِّـراً ... تَجْلُـو ظَـلاَمَ الظُّلْـمِ وَالإِضْـلالِ

فُقْـتَ الْمُلُـوكَ جَـلالَـةً وَبَسَـالَـةً ... وَشَـأَوْتَهُـمْ فِـي الْحِلْـمِ وَالإِجْمَـالِ

أَعْـدَتْ مَحَـاسِنُـكَ الْمَحَـاسِـنَ كُلَّهَـا ... فَجَمَـالُهَـا يُـزْرِي بِكُـلِّ جَمَـالِ

فَـالشَّمْسُ تَـأْخُـذُ عَـنْ جَبِينِكَ نُـورَهَـا ... وَالـرَّوْضُ يَنْفَـحُ عَـنْ كَـرِيـمِ خِـلالِ

وَالـرِّيـحُ تَحْمِـلُ عَـنْ ثَنَـائِـكِ طِيبَهَـا ... فِـي مُلْتَقَـاهَـا مِـنْ صَبـاً وَشَمَـالِ

وَالغَيْـثُ إلاَّ مِـنْ يَـدَيْـكَ[2] مُبَخَّـلٌ ... فَـالْغَيْـثُ يُقْلِـعُ وَالنَّـدَى مُتَـوَالِـي

تُعْطِـي الَّـذِي لا فَـوْقَـهُ لِمُـؤَمِّـلٍ ... وَتَجُـودُ بِـالإِحْسَـانِ قَبْـلَ سُـؤَالِ

طَـاوَلْـتَ عُلْـوِيَّ النُّجُومِ بِهِمَّـةٍ ... لا فَـاقِـداً عِـزّاً ولاَ مِكْسَـالِ

وبَلَغْـتَ مِـنْ رُتَـبِ السَّعَـادَةِ مَبْلَغـاً ... أَبْعَـدْتَ فِيـهِ مُـرْتَقَـاكَ الْعَـالِـي

وَقِيَـاسُ سَعْـدِكَ فِـي مَـرَامِـكَ كُلِّـهِ ... يَقْضِـي مُقَـدِّمُـهُ بِصِـدْقِ التَّـالِـي

لِمَـنِ الْجِيَـادُ الصَّـافِنَـاتُ كَـأَنَّهَـا ... فِـي الْـوِرْدِ أَسْـرَابُ الْقَطَـا الأَرْسَـالِ

مِـنْ كُـلِّ مَلْمُـومِ الْقُـوَى عَبْلِ الشَّـوَى ... مُـرْخَـى الْعِنَـانِ مُحَفَّـزٍ جَـوَّالِ

لِمَـنِ الْقِبَـابُ الْحُمْـرُ تُشْـرَعُ لِلنَّـدَى ... فَتَفِيـضُ لِلْعَـافِيـنَ فَيْـضَ سِجَـالِ

لِمَـنِ الْخِيَـامُ الْبِيـضُ تَحْسِـبُ أَنَّهَـا ... زُهْـرُ الْكَـوَاكِـبِ أُطْلِعَـتْ بِجِـلاَلِ

مُنْـدَاحَـةُ الأَرْجَـاءِ عَـالِيَـةُ الـذُّرَى ... فَكَـأَنَّهَـا فِـي الْـوَهْـدِ شُـمُّ جِبَـالِ

هُوَ مَظْهَرُ الْمُلْكِ الْعَلِيِّ . . . وَمَطْلَعُ النُّـ ... ـورِ[3] . . . الْجَلِيِّ بِمَرْقَبٍ مُتَعَالِي

آثَـارُ مَـوْلاَنَـا الإِمَـامِ مُحَمَّـدٍ ... بَـدْرِ الْهُـدَى لاَ زَالَ حِلْـفَ كَمَـالِ

---

(1) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «الأَبْطَالِ».

(2) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «نَدَاكَ».

(3) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «ومَرْقَبُ النُّورِ».

لِلَّـهِ وِجْهَتُـكَ الَّتِـي نِلْنَـا بِهَـا أَجْـرَ الْجِهَـادِ وبُغْيَـةَ الآمَـالِ
مَـا شِئْـتَ مِـنْ حُسْـنٍ يَفُـوقُ كَمَـالُـهُ وَيَـرُوقُ مَنْظَـرُهُ الْجَمِيـلُ الْحَـالِـي
كَـمْ مِـنْ عَجَـائِـبَ جَمَّـةٍ أَظْهَـرْتَهَـا مَـا كَـانَ يَخْطُـرُ وَصْفُهُـنَّ بِبَـالِ
أَمَّـتْ وَفُـودُ النَّـاسِ مِنْـكَ مُمَلَّكـاً قَـدْ خُـصَّ بِـالتَّعْظِيـمِ وَالإِجْـلاَلِ
جَـاؤُوا مَـوَاقِيـتَ اللِّقَـاءِ كَـأَنَّهُـمْ وَفْـدُ الْحَجِيـجِ بِـرَامَـةٍ[1] وَأَلاَلِ[2]
لِلَّـهِ عَيْنَـا مَـنْ رَأَى مَلِـكَ الْعُلَـى حَـفَّ الْـوَقَـارُ جَمَـالَـهُ بِجَـلاَلِ
فِي مَوْكِبٍ لَبِسُوا الْخُلُوصَ شِعَارَهُمْ[3] وَتَمَيَّـزُوا مِنْـهُ بِـزِيِّ جَمَـالِ
بَلَغُـوا بِـهِ الْعَـدَدَ الْكَثِيـرَ وَكُلُّهُـمْ أَرْضَـاهُـمُ إِحْسَـانُـكَ الْمُتَـوَالِـي
يَهْنِـي الْمَـرِيَّـةَ نِعْمَـةٌ سَـوَّغْتَهَـا جَـادَتْ بِهَـا الأَيَّـامُ بَعْـدَ مَطَـالِ
قَـدَّسْـتَ وَادِيهَـا وَزُرْتَ خِـلاَلَهَـا فَلَهَـا الْفَخَـارُ بِـهِ[4] عَلَـى الأَمْثَـالِ[5]
وَكَسَـوْتَهَـا بُـرْدَ الشَّبَـابِ مُفَـوَّفـاً وَشَفَيْـتَ مَـا تَشْكُـو مِـنَ الأَوْجَـالِ
مَـوْلاَيَ لاَ أُحْصِـي ثَنَـاءَكَ إِنَّـهُ أَرْبَـى عَلَـى التَّفْصِيـلِ وَالإِجْمَـالِ
أَعْلَيْتَ فِـي أُفْـقِ الْعِنَـايَـةِ مَظْهَـرِي وَخَصَصْتَنِـي[6] بِعَـوَارِفِ الإِفْضَـالِ
ظَفِـرَتْ يَـدَايَ بِكُـلِّ مَـا أَمَّلْتُـهُ فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الْجَاهِ أَوْ فِي الْمَالِ
لَـمْ تُبْـقِ لِـي أَمَـلاً وَمَـا بُلِّغْتُـهُ بُلِّغْـتَ مَـا تَـرْجُـو مِـنَ الآمَـالِ

(73)

ومن ذلك[7]:

---

(1) تطلق على أكثر من مكان.
(2) جبل بعرفات.
(3) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «شِعَارَهُ».
(4) «بِهَا» في أزهار.
(5) «الآمَالِ» في الأزهار كذلك.
(6) «وخَصَصْتَهُ» في نفس المصدر.
(7) أي من العيديّات في الغني بالله.

[الكامل]

بُشْرَى كَمَا وَضَحَ الصَّبَاحُ[1] وَأَجْمَلُ يُعْشِي سَنَاهَا كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ[2]

أَبْدَى لَهَا وَجْهُ النَّهَارِ طَلاقَةً وَافْتَرَّ مِنْ ثَغْرِ الأَقَاحِ مُقَبَّلُ

وَمَنَابِرُ الإِسْلَامِ يَا مَلِكَ[3] الْعُلَى[4] بِحُلَاكَ أَوْ بِحُلِيِّهَا تَتَكَلَّلُ[5]

تَجْلُو لَنَا الأَكْوَانُ مِنْكَ مَحَاسِناً تُرْوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وتُنْقَلُ

فَالشَّمْسُ تَأْخُذُ مِنْ جَبِينِكَ نُورَهَا وَالْبِشْرُ مِنْكَ بِوَجْهِهَا مُتَهَلِّلُ[6]

وَالرَّوْضُ يَنْفَحُ عَنْ ثَنَائِكَ طِيبُهُ والْوُرْقُ فِيهَا[7] بِالْمَمَادِحِ تَهْدِلُ

وَالْبَرْقُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ مُنْتَضَى وَالسُّحْبُ تَهْمِي مِنْ يَدَيْكَ وتَهْمُلُ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَوْصَافُهُ دُرٌّ عَلَى جِيدِ الزَّمَانِ مُفَصَّلُ[8]

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَا وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لاَ يُجْهَلُ

وَجْهٌ كَمَا حَسَرَ الصَّبَاحُ نِقَابَهُ لِضِيَائِهِ تَعْشُو الْبُدُورُ الكُمَّلُ

تَلْقَاهُ فِي يَوْمِ السَّمَاحَةِ وَالوَغَى وَالْبِشْرُ فِي وَجَنَاتِهِ[9] يَتَهَلَّلُ

كَفٌّ أَبَتْ أَلاَّ تَكُفَّ عَنِ النَّدَى أَبداً فَإِنْ ضَنَّ الْحَيَا تَسْتَرْسِلُ

وَشَمَائِلٌ كَالرَّوْضِ بَاكَرَهُ الْحَيَا وَسَرَتْ بِرَيَّاهُ الصَّبَا وَالشَّمْأَلُ

خُلُقُ ابْنِ نَصْرٍ فِي الْجَمَالِ كَخَلْقِهِ مَا بَعْدَهَا[10] مِنْ غَايَةٍ تُسْتَكْمَلُ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الزمانُ».
(2) في نفح: «يتهلّلُ».
(3) «بالملك» في المصدر السابق.
(4) «الوَرَى» في نفس المصدر.
(5) في أزهار: «تتكَمَّلُ».
(6) «يَتَهَلَّلُ» في أزهار ونفح واخترنا قراءة نيفر.
(7) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فيهِ».
(8) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «يُفصَّلُ».
(9) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «جَنَباتِهِ».
(10) في نفح: «ما بعده».

نُورٌ عَلَى نُورٍ بِأَبْهَى مَنْظَرٍ … فِي حُسْنِهِ لِمُؤَمِّلٍ مَا يَأْمَلُ

فَاقَ الْمُلُوكَ بِسَيْفِهِ وبِسَيْبِهِ … فَبِعَدْلِهِ وَبِفَضْلِهِ يُتَمَثَّلُ

وَإِذَا تَطَاوَلَ لِلْفَخَارِ عَمِيدُهُمْ[1] … فَلَهُ عَلَيْهِ تَطَاوُلٌ وَتَطَوُّلُ

يَا آيَةَ اللَّهِ الَّتِي أَنْوَارُهَا … يُهْدَى بِهَا قَصْدَ الرَّشَادِ الضُّلَّلُ

قُلْ لِلَّذِي الْتَبَسَتْ مَعَالِمُ رُشْدِهِ … هَيْهَاتَ قَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ الأَمْثَلُ

قَدْ نَاصَحَ الإِسْلاَمَ خَيْرُ خَلِيفَةٍ … وَحَمَى عَرِينَ الْمُلْكِ أَغْلَبُ مُشْبِلُ[2]

فَلَقَدْ ظَهَرْتَ مِنَ الْكَمَالِ بِمُسْتَوًى … مَا بَعْدَهُ لِذَوِي الْخِلاَفَةِ مَأْمَلُ

وعِنَايَةُ اللَّهِ اشْتَمَلْتَ رِدَاءَهَا … وَعَلِقْتَ مِنْهَا عُرْوَةً لاَ تُفْصَلُ

فَالْجُودُ إِلاَّ مِنْ يَدَيْكَ مُقَتَّرٌ … وَالغَيْثُ إِلاَّ مِنْ يَدَيْكَ[3] مُبَخَّلُ

وَالْعُمْرُ إِلاَّ تَحْتَ ظِلِّكَ ضَائِعٌ … وَالْعَيْشُ إِلاَّ فِي جَنَابِكِ مُمْحِلُ

حَيْثُ الْجِهَادُ قَدِ اعْتَلَتْ[4] رَايَاتُهُ … حَيْثُ الْمَغَانِمُ لِلْعُفَاةِ تُنَفَّلُ

حَيْثُ الْقِبَابُ الْحُمْرُ تُرْفَعُ لِلْقِرَى … قَدْ عَمَّ[5] فِي أَرْجَائِهِنَّ الْمَنْدَلُ

يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا … عَزَّ الْمُحِقُّ بِهَا[6] وذَلَّ الْمُبْطِلُ

قُلْ لِلَّذِي نَاوَاكَ يَرْقُبُ يَوْمَهُ[7] … فَوَرَاءَه مَلِكٌ يَقُولُ ويَفْعَلُ

وَاللَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ إِنْ أَمْهَلَتْ … أَحْكَامُهُ مُسْتَدْرَجاً لا تُهْمِلُ

يَا نَاصِرَ الإِسْلاَمِ وَهْوَ فَرِيسَةٌ … أُسْدُ الْعِدَا[8] مِنْ حَوْلِهَا تَتَسَلَّلُ

يَا فَخْرَ أَنْدَلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا … لَكَ فِيهِمُ النُّعْمَى الَّتِي لاَ تُجْهَلُ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «للعميد عَميدُهُمْ».
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أَشْمَلُ».
(3) في نفح: «نَدَاك».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «غدَا عَلَتْ».
(5) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «قَدْ قَامَ».
(6) «بِهِ» في أزهار.
(7) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «يَدْفَعُ نومَه».
(8) «الفَلاَ» في نفح.

لاَ يُهْمِلُ اللَّهُ الَّذِينَ رَعَيْتَهُمْ ... فَلأَنْتَ أَكْفَى وَالعِنَايَةُ أَكْفَلُ
لاَ يَبْعُدُ النَّصْرُ الْعَزِيزُ فَإِنَّهُ ... آوَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ نِعْمَ الْمَوْئِلُ
لَوْلاَ نَدَاكَ لَهَا لَمَا نَقَعَ النَّدَى ... وَلَجَفَّ مِنْ وِرْدِ الصَّنَائِعِ مَنْهَلُ
لَوْلاَكَ كَانَ الدِّينُ يُغْمَطُ حَقُّهُ ... وَلَكَانَ دَيْنُ النَّصْرِ فِيهِ يُمْطَلُ
لَكِنْ جَنَيْتَ الْفَتْحَ مِنْ شَجَرِ الْقَنَا ... وَجَنَى الْفُتُوحِ لِمَنْ عَدَاكَ مُعَلَّلُ[1]
فَلَطَالَمَا اسْتَفْتَحْتَ كُلَّ مُمَنَّعٍ ... مِنْ دُونِهِ بَابُ الْمَطَامِعِ مُقْفَلُ
وَمَتَى نَزَلْتَ بِمَعْقِلٍ مُتَأَشِّبٍ ... فَالْعُصْمُ مِنْ شَعَفَاتِهِ[2] تُسْتَنْزَلُ
وَإِذَا غَزَوْتَ فَإِنَّ سَعْدَكَ ضَامِنٌ ... أَلاَّ تَخِيبَ وَأَنَّ قَصْدَكَ يَكْمُلُ
فَمِنَ السُّعُودِ أَمَامَ جَيْشِكَ مَوْكِبٌ ... وَمِنَ الْمَلاَئِكِ دُونَ جُنْدِكَ جَحْفَلُ
وَكَتِيبَةٍ أَرْدَفْتَهَا بِكَتِيبَةٍ ... وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي الْحَدِيدِ وَتَرْفُلُ
مِنْ كُلِّ مُنْحَفِزٍ كَلَمْحَةِ[3] بَارِقٍ ... بِالْبَدْرِ يُسْرَجُ وَالأَهِلَّةِ يُنْعَلُ
أَوْفَى بِهَادٍ كَالظَّلِيمِ وَخَلْفَهُ ... كَفَلٌ كَمَا مَاجَ الْكَثِيبُ الأَهْيَلُ
حَتَّى إِذَا مَلَكَ الْكَمِيُّ عِنَانَهُ ... يَهْوِي كَمَا يَهْوِي بِجَوٍّ أَجْدَلُ
حَمَلَتْ أُسُودَ كَرِيهَةٍ يَوْمَ الْوَغَى ... مَا غَابَهَا[4] إِلاَّ الْوَشِيجُ الذُّبَّلُ
لَبِسُوا الدُّرُوعَ غَدَائِراً مَصْقُولَةً ... وَالسُّمْرُ قُضْبٌ فَوْقَهَا تَتَهَدَّلُ
مِنْ كُلِّ مُعْتَدِلِ الْقَوَامِ مُثَقَّفٍ ... لَكِنَّهُ دُونَ الضَّرِيبَةِ يَعْسِلُ
أَذْكَيْتَ فِيهِ شُعْلَةً مِنْ نَصْلِهِ ... يُهْدَى بِهَا إِنْ ضَلَّ عَنْهُ الْمَقْتَلُ
وَلَرُبَّ لَمَّاعِ الصِّقَالِ مُشَهَّرٍ ... مَاضٍ وَلَكِنْ فِعْلُهُ مُسْتَقْبَلُ
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ وَرَاقَ فِرِنْدُهُ ... فَالْحُسْنُ فِيهِ مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلُ
فَإِذَا الْحُرُوبُ تَسَعَّرَتْ أَجْذَالُهَا[5] ... يَنْسَابُ فِي يُمْنَاهُ مِنْهُ[6] جَدْوَلُ
وَإِذَا دُجَى لَيْلِ الْقَتَامِ رَأَيْتَهُ ... وَكَأَنَّهُ فِيهِ ذُبَالٌ مُشْعَلُ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مُؤَمَّلُ».
(2) ج. شَعَفَة وهي رؤوس الجبال.
(3) كذا في أزهر؛ وفي نفح: «كلمعَةِ».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مَا عَابَهَا».
(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «أَجْزَالَهَا».
(6) «مِنْهَا» في نفح.

فَاعْجَبْ لَهَا مِنْ جَذْوَةٍ لاَ تَنْطَفِي — فِي أَبْحُرٍ زَخَرَتْ وَهُنَّ الأَنْمُلُ
هِيَ سُنَّةٌ أَحْيَيْتَهَا وَفَرِيضَةٌ — أَدَّيْتَهَا قُرُبَاتُهَا تُتَقَبَّلُ
فَإِذَا الْمُلُوكُ تَفَاخَرَتْ بِجِهَادِهَا[1] — فَلأَنْتَ أَحْفَى بِالجِهَادِ وَأَحْفَلُ
يَا ابْنَ الَّذِينَ جَمَالُهُمْ وَنَوَالُهُمْ — شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
يَا ابْنَ الإِمَامِ ابْنِ الإِمَامِ ابْنِ الإِمَا — مِ ابنِ الإِمَامِ وَقَدْرُهَا لاَ يُجْهَلُ
آبَاؤُكَ الأَنْصَارُ تِلْكَ شِعَارُهُمْ — فَلِحَيِّهِمْ آوَى النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ
فَهُمُ الأُلَى نَصَرُوا الْهُدَى بِعَزَائِمٍ — مَصْقُولَةٍ وَبَصَائِرٍ لا تُخْذَلُ
مَاذَا يُحَبِّرُ شَاعِرٌ فِي مَدْحِهِمْ — وَبِفَضْلِهِمْ أَثْنَى الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
مَوْلاَيَ لا أُحْصِي مَآثِرَكَ الَّتِي — بِحَدِيثِهَا تَمْضِي[2] الْمَطِيُّ الذُّلَّلُ
وَإِذَا الْحَقَائِقُ لَيْسَ يُدْرَكُ كُنْهُهَا — سِيَّانِ فِيهَا مُكْثِرٌ وَمُقَلِّلُ
فَإِلَيْكَ مِنْ شَوَّالَ غُرَّةَ وَجْهِهِ — أَهْدَاكَهَا يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
عَذْرَاءُ رَاقَ الْعِيدَ رَوْنَقُ حُسْنِهَا — فغَدَا بِنَظْمِ حُلِيِّهَا يَتَجَمَّلُ
رَضَعَتْ لِبَانَ الْعِلْمِ فِي حِجْرِ النُّهَى — فَوَفَتْ لَهَا مِنْهُ ضُرُوعٌ حُفَّلُ
سَلَكَ الْبَيَانُ بِهَا[3] سَبِيلَ إِجَادَةٍ — لَوْلاَ صِفَاتُكَ كَانَ عَنْهَا يَعْدِلُ
جَاءَتْ تُهَنِّي الْعِيدَ أَيْمَنَ قَادِمٍ — وَافَى بِشَهْرِ صِيَامِهِ يَتَوَسَّلُ
وَطَوَى الشُّهُورَ مَرَاحِلاً مَعْدُودَةً — كَيْمَا يُرَى بِفَنَاءِ جُودِكَ يَنْزِلُ
وَأَتَى وَقَدْ شَفَّ النُّحُولُ هِلاَلَهُ — وَلِشَوْقِهِ لِلِقَاءِ وَجْهِكَ يَنْحَلُ
عَقَدَتْ بِمَرْقَبِهِ الْعُيُونُ مَسَرَّةً — فَمُكَبِّرٌ لِطُلُوعِهِ ومُهَلِّلُ
فَاسْلَمْ لأَلْفٍ مِثْلِهِ فِي غِبْطَةٍ — ظِلُّ الْمُنَى مِنْ فَوْقِهَا يَتَهَدَّلُ
فَإِذَا بَقِيتَ لَنَا فَكُلُّ سَعَادَةٍ — لِلدِّينِ[4] وَالدُّنْيَا بِهَا تَتَكَفَّلُ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بِجُدُودِهَا».
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «تَنضِي».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لَهَا».
(4) في نفح: «فِي الدِّينِ».

(74)

ومن جياد أناشيده المتميزة بالسبقيّة، وبارقات تهانيه في المواسم الحقيقيّة، قوله يهنّئه، رضوان الله تعالى عليه، بطلوع مولانا الوالد[1] قدّسه الله تعالى:

[الكامل]

طَلَــعَ الْهِــلالُ وَأُفْقُــهُ مُتَهَلِّــلُ ... فَمُكَبِّــرٌ لِطُلُــوعِــهِ ومُهَلِّــلُ

أَوْفَــى عَلَــى وَجْــهِ الصَّبَــاحِ بِغُــرَّةٍ ... فَغَــدَا الصَّبَــاحُ بِنُــورِهَــا يَتَجَمَّــلُ

شَمْــسُ الْخِــلاَفَــةِ قَــدْ أَمَــدَّتْ نُــورَهُ ... وَبِسَعْــدِهَــا يَــرْجُــو التَّمَــامَ[2] ويَكْمُــلُ

لِلَّــهِ مِنْــهُ هِــلاَلُ سَعْــدٍ طَــالِــعٌ ... لِضِيَــائِــهِ تَعْشُــو الْبُــدُورُ الكُمَّــلُ

وَأَلَحْــتَ يَــا شَمْــسَ الْهِــدَايَــةِ كَــوْكَبــاً ... يُعْشِــي سَنَاهُ كُلَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ

وَالتَّــاجُ تَــاجُ الْبَــدْرِ فِــي أُفْــقِ الْعُلَــى ... مَــا زَالَ بِــالــزُّهْــرِ النُّجُــومِ مُكَلَّــلُ

وَلَئِــنْ حَــوَى كــلَّ الجَمَــالِ فَــإِنَّــهُ ... بِــالشُّهْــبِ أَبْهَــى مَــا يَكُــونُ وَأَجْمَــلُ

أَطْلَعْــتَ يَــا بَــدْرَ السَّمَــاحِ هِــلاَلَــهُ ... وَالْمُلْــكُ أُفْــقٌ وَالْخِــلافَــةُ مَنْــزِلُ

يَبْــدُو بِهَــالاَتِ السُّــرُوجِ وَإِنَّــهُ ... مِــنْ نُــورِ وَجْهِــكَ فِــي الْعُلَــى يَسْتَكْمِــلُ

قَلَّــدْتَ عِطْــفَ الْمُلْــكِ مِنْــهُ صَــارِمــاً ... بِغَنَــائِــهِ وَمَضَــائِــهِ يُتَمَثَّــلُ

حَلَّيْتَــهُ بِحُلَــى الْكَمَــالِ وَجَــوْهَــر الــ ... خُلُــقِ النَّفِيــسِ وَكُــلُّ خُلْــقٍ يَجْمُــلُ

يَغْــزُو أَمَــامَــكَ وَالسُّعُــودُ أَمَــامَــهُ ... وَمَــلاَئِــكُ السَّبْــعِ الْعُلَــى تَتَنَــزَّلُ

مَــنْ مُبْلِــغُ الأَنْصَارِ مِنْهُ بِشَارَةً[3] ... غُــرَرٌ[4] الْبَشَــائِــرِ بَعْــدَهَــا مُسْتَــرْسِــلُ[5]

أَحْيَــا جِهَــادَهُــمُ وَجَــدَّدَ فَخْــرَهُــمْ ... بَعْــدَ الْمِئِيــنَ فَمُلْكُهُــمْ يَتَــأَثَّــلُ

فَبِــهِ إِلَــى الأَجْــرِ الْجَــزِيــلِ تَــوَصَّلُــوا ... وَبِهِــمْ إِلَــى رَبِّ السَّمَــا يُتَــوَسَّــلُ

---

(1) هو السلطان يوسف الثاني. (انظر التعريف به سابقاً).

(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «الكَمَالَ».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بِشَأْنِهِ».

(4) «غُرَرٌ» في نفح.

(5) في نفح كذلك: «تَسْترسِلُ».

مَنْ مُبْلِغُ الأَذْوَاءَ مِنْ يَمَنٍ وَهُمْ ... قَدْ تُوِّجُوا وَتَمَلَّكُوا وتَقَيَّلُوا

أَنَّ الْخِلاَفَةَ فِي بَنِيهِمْ أَطْلَعَتْ ... قَمَراً بِهِ سَعْدُ الْخَلِيفَةِ يَكْمُلُ

مَنْ مُبْلِغٌ قَحْطَانَ آسَادَ الشَّرَى ... مَا غَابُهَا إلاَّ الْوَشِيجُ الْذُّبَّلُ

أَنَّ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ شِبْلُ لُيُوثِهِمْ ... قَدْ حَاطَ مِنْهُ[1] الدِّينَ لَيْثٌ مُشْبِلُ

يَهْنِي بَنِي الأَنْصَارِ أَنَّ مَلِيكَهُمْ[2] ... قَدْ بَلَّغَتْهُ سُعُودُهُ مَا يَأْمَلُ

يَهْنِي الْبُنُودَ فَإِنَّهَا سَتُظِلُّهُ ... وَجَنَاحُ جِبْرِيلِ الأَمِينِ يُظَلِّلُ

يَهْنِي الْجِيَادَ الصَّافِنَاتِ فَإِنَّهَا ... بِفُتُوحِهِ تَحْتَ الْفَوَارِسِ تَهْدِلُ

يَهْنِي الْمَذَاكِيَ وَالْعَوَالِيَ وَالظُّبَى ... فَبِهَا[3] إلى نَيْلِ الْمُنَى يُتَوَصَّلُ

يَهْنِي الْمَعَالِيَ وَالْمَفَاخِرَ إِنَّهُ ... فِي مُرْتَقَى أَوْجِ الْعُلَى يَتَوَقَّلُ

سَبَقَتْ مُقَدِّمَةُ الْفُتُوحِ قُدُومَهُ ... وَأَتَاكَ وَهْوَ الْوَادِعُ الْمُتَمَهِّلُ

وَبَدَتْ نُجُومُ السَّعْدِ قَبْلَ طُلُوعِهِ ... تَجْلُو الْمَطَالِعَ[4] قَبْلَهُ وتُؤَثِّلُ[5]

وَرَوَتْ أَحَادِيثُ الْفُتُوحِ غَرَائِباً ... وَالنَّصْرُ يُمْلِي وَالْبَشَائِرُ تَنْقُلُ

أَلْقَتْ إِلَيْكَ بِهِ السُّعُودُ زِمَامَهَا ... فَالسَّعْدُ يُمْضِي مَا تَقُولُ وتَفْعَلُ[6]

فَالْفَتْحُ بَيْنَ مُعَجَّلٍ وَمُؤَجَّلٍ ... يُنْسِيكَ مَاضِيهِ الَّذِي يُسْتَقْبَلُ

أَوَلَيْسَ فِي شَأْنِ الْمَسِيرِ[7] دَلاَلَةٌ ... أَنَّ الْمَقَاصِدَ مِنْ طِلاَبِكَ تَكْمُلُ

نَادَاهُمُ دَاعِي الضَّلاَلِ فَأَقْبَلُوا ... وَدَعَاهُمُ دَاعِي الْمَنُونِ فَجُدِّلُوا

عَصَوُا الرَّسُولَ إِبَايَةً وتَحَكَّمَتْ ... فِيهِمْ سُيُوفُكَ بَعْدَهَا فَاسْتَمْثَلُوا

كَانُوا جِبَالاً قَدْ عَلَتْ هَضَبَاتُهَا ... نَسَفَتْهُمُ رِيحُ الْجِلاَدِ فَزُلْزِلُوا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مِنها».

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «إمامهم».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فيها».

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «المَطَامِعَ»

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لا تَأَفُلُ».

(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «ويَفْعَلُ».

(7) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «المُشِيرِ».

كَانُوا بِحَاراً مِنْ حَدِيدٍ زَاخِرٍ ... أَذْكَتْهُمُ نَارُ الْوَغَى فَتَسَيَّلُوا

رَكَّبْتَ أَرْجُلَهَا الأَدَاهِمَ كُلَّمَا ... يَتَحَرَّكُونَ إِلَى قِيَامٍ تَصْهَلُ

كَانَ الْحَدِيدُ لِبَاسَهُمْ وَشِعَارَهُمْ ... وَالْيَوْمَ لَمْ تَلْبِسْهُ إِلاَّ الأَرْجُلُ

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لاَ فَوْقَهَا ... فَتْحاً بِهِ دِينُ الْهُدَى يَتَأَثَّلُ

جَدَّدْتَ لِلأَنْصَارِ حَلْيَ جِهَادِهِمْ ... فَالدِّينُ وَالدُّنْيَا بِهِ تَتَجَمَّلُ

مَنْ يُتْحِفِ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَزَمْزَماً ... وَالْوَفْدُ وَفْدُ اللَّهِ فِيهِ يَنْزِلُ

مُتَسَابِقِينَ إِلَى مَثَابَةِ رَحْمَةٍ ... مِنْ كُلِّ مَا حَدَبٍ إِلَيْهِ تَنْسِلُ

هِيماً كَأَفْوَاجِ الْقَطَا قَدْ سَاقَهَا ... ظَمَأٌ شَدِيدٌ وَالْمَطَافُ الْمَنْهَلُ

مِنْ كُلِّ مَرْفُوعِ الأَكُفِّ ضَرَاعَةً ... وَالْقَلْبُ يَخْفِقُ وَالْمَدَامِعُ تَهْمُلُ

حَتَّى إِذَا رَوَتِ الْحَدِيثَ مُسَلْسَلاً ... بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالرِّمَاحُ الْعُسَّلُ

عَنْ[1] فَتْحِكَ الأَسْنَى عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي ... بِثَبَاتِهِ أَهْلُ الْوَغَى تَتَمَثَّلُ

أَهْدَتْهُمُ السَّرَّاءُ نُصْرَةَ دِينِهِمْ ... وَاسْتَبْشَرُوا بِحَدِيثِهَا وتَهَلَّلُوا

وَتَنَاقَلُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ مَسَرَّةً ... بِسَمَاحَةٍ[2] وَاهْتَزَّ ذَاكَ الْمَحْفِلُ

وَدَعَوْا بِنَصْرِكَ وَهْوَ أَعْظَمُ مَفْخَراً ... إِنَّ الْحَجِيجَ بِنَصْرِ مُلْكِكَ يَحْفِلُ

فَاهْنَأْ بِمُلْكِكَ وَاعْتَمِدْ شُكْراً بِهِ ... لُطْفَ الإِلاَهِ وَصُنْعَهُ تَتَخَوَّلُ

شُرِّفْتَ مِنْهُ بِاسْمِ وَالِدِكَ الرِّضَى ... يَحْيَى بِهِ مِنْهُ الْكَرِيمُ الْمُفْضِلِ

أَبْدَيْتَ مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعِ عَجَائِباً ... تُرْوَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتُنْقَلُ

خَفَقَتْ بِهِ أَعْلاَمُكَ الْحُمْرُ الَّتِي ... بِخُفُوقِهَا النَّصْرُ الْعَزِيزُ مُوَكَّلُ

هَدَرَتْ طُبُولُ الْعِزِّ تَحْتَ ظِلاَلِهَا ... عُنْوَانَ فَتْحٍ إِثْرَهَا يُسْتَعْجَلُ

وَدَعَوْتَ أَشْرَافَ الْبِلاَدِ وَكُلُّهُمْ ... يُثْنِي الْجَمِيلَ وَصُنْعُ جُودِكَ أَجْمَلُ

---

(1) في نفح: «مِنْ».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِسَمَاعِهِ».

وَرَدُوا وُرُودَ الْهِيـمِ أَجْهَـدَهَـا الظَّمَـا ... فَصَفَـى لَهُـمْ مِـنْ وِرْدِ كَفِّـكَ[1] مَنْهَـلُ
وَأَثَــرْتَ فِيــهِ لِلطِّــرَادِ فَــوَارِسـاً ... مِثْـلَ الشُّمُـوسِ وُجُـوهُهُـمْ تَتَهَلَّـلُ
مِــنْ كُــلِّ وَضَّــاحِ الْجَبِيــنِ كَـأَنَّـهُ ... نَجْــمٌ وَجُنْــحُ النَّقْــعِ لَيْــلٌ مُسْبَـلُ
يَـرِدُ الطِّــرَادَ عَلَــى أَغَــرَّ مُحَجَّــلٍ ... فِـي سَـرْجِـهِ بَطَـلٌ أَغَـرُّ مُحَجَّــلُ
قَــدْ عُــوِّدُوا قَنْـصَ الْكُمَـاةِ كَـأَنَّمَا ... عُقْبَــانُهَــا يَنْقَــضُّ مِنْهَــا أَجْــدَلُ
يَسْتَتْبِعُــونَ[2] هَــوَادِجـاً مَــوْشِيَّـةً ... مِــنْ كُــلِّ بِــدْعٍ فَــوْقَ مَـا يُتَخَيَّــلُ
قَــدْ صُــوِّرَتْ مِنْهَــا غَـرَائِـبُ جَمَّـةٌ ... تُنْسِـي[3] عُقُـولَ النَّـاظِـرِيـنَ وَتُـذْهِـلُ
وَتَضَمَّنَـتْ جَـزْلَ الـوَقُـودِ حُمُـولُهَـا ... وَالنَّصْـرُ فِـي التَّحْقِيـقِ مَا هِـيَ تَحْمِـلُ
وَالْعَــادِيَــاتُ إِذَا تَلَــتْ فُـرْسَـانُهَـا ... آيَ الْقِتَــالِ صُفُــوفُهَــا تَتَــرَتَّــلُ
لِلَّـــهِ خَيْلَـكَ إِنَّهَـــا لَسَــوَابِــحٌ ... بَحْــرَ الْقَتَــامِ وَمَــوْجُــهُ مُتَهَيِّــلُ
مِــنْ كُــلِّ بَـرْقٍ بِـالثُّـرَيَّـا مُلْجَـمٌ ... بِــالْبَــدْرِ يُسْــرَجُ وَالأَهِلَّــةِ يُنْعَــلُ
أَوْفَــى بِهَــادٍ كَـالظَّلِيـمِ وَخَلْفَــهُ ... كَفَـلٌ كَمَـا مَـاجَ[4] الْكَثِيـبُ الأَهْيَـلُ
هُــنَّ الْبَــوَارِقُ غَيْــرَ أَنَّ جِيَــادَهَــا ... عَـنْ سَبْـقِ خَيْلِـكَ يَـا مُـؤَيَّـدُ تَنْكُـلُ
مِـنْ أَشْهَـبٍ كَـالصُّبْحِ يَعْلُـو سَرْجَـهُ ... صُبْـحٌ بِـهِ نَجْـمُ الضَّـلاَلَـةِ يَـأْفَـلُ
أَوْ أَدْهَــمٍ كَــاللَّيْــلِ قُلِّــدَ شُهْبَــهُ ... خَــاضَ الصَّبَــاحَ فَـأَثْبَتَتْـهُ الأَرْجُـلُ
أَوْ أَشْقَــرٍ سَــالَ النُّضَــارُ بِعَطْفِــهِ ... وَكَسَــاهُ صِبْغَــةَ بَهْجَــةٍ لاَ تَنْصُــلُ
أَوْ أَحْمَـرٍ كَـالْجَمْـرِ أُضْـرِمَ[5] بَـأْسُـهُ ... بِـالـرَّكْـضِ فِـي يَـوْمِ الْحَفِيظَـةِ يُشْعَـلُ
كَـالْخَمْـرِ أَتْـرَعَ كَـأْسَهَـا نُـدْمَـانُهَـا[6] ... وَبِهَــا حُبَــابَــةُ غُــرَّةٍ تَتَسَيَّــلُ

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «من كَفِّ وِرْدِكَ».
(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «يتّبعون».
(3) عند نيفر: «تُسْلِي».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لاَحَ».
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أضْمَرَ».
(6) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «أُترِعُ كَأْسُهَا لِنَدَامِهَا».

أَوْ أَصْفَرٍ لَبِسَ الْعَشِيِّ مُلاَءَةً ... وَبِذَيْلِهِ لِلَّيْلِ ذَيْلٌ يُسْبَلُ

أَجْمَلْتَ فِي هَذَا الصَّنِيعِ عَوَائِداً ... الْجُودُ فِيهَا مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلُ

أَنْشَأْتَ فِيهِ مِنْ نَدَاكَ غَمَائِماً ... بِالْفَضْلِ تَنْشَأُ وَالسَّمَاحَةُ تَهْمُلُ

فَجَّرْتَ مِنْ كَفَّيْكَ عَشْرَةَ أَبْحُرٍ ... تُزْجِي سَحَابَ الْجُودِ وَهْيَ الأَنْمُلُ

مَنْ قَاسَ كَفَّكَ بِالْغَمَامِ فَإِنَّهُ ... جَهِلَ الْقِيَاسَ وَمِثْلُهَا لاَ يُجْهَلُ

تَسْخُو الْغَمَامُ وَوَجْهُهَا مُتَجَهِّمٌ ... وَالْوَجْهُ مِنْهُ مَعَ النَّدَى يَتَهَلَّلُ

وَالسُّحْبُ تَسْمَحُ بِالْمِيَاهِ وَجُودُهُ ... ذَهَبٌ بِهِ أَهْلُ الْغِنَى تَتَمَوَّلُ

مَنْ قَاسَ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ وَجْهَهُ ... أَلْفَيْتَهُ فِي حُكْمِهِ لاَ يَعْدِلُ

مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ مَنْطِقٌ ... بِبَيَانِهِ دُرُّ الْكَلاَمِ يُفَصَّلُ؟

مِنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ رَاحَةٌ ... تَسْخُو إِذَا بَخِلَ الزَّمَانُ الْمُمْحِلُ؟

مَنْ قَاسَ بِالْبَدْرِ الْمُنِيرِ كَمَالَهُ ... فَالْبَدْرُ يَنْقُصُ وَالْخَلِيفَةُ يَكْمُلُ

مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ شَمَائِلٌ ... تَسْرِي بِرَيَّاهَا الصَّبَا وَالشَّمْأَلُ؟

مِنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ مَنَاقِبٌ ... بِجِهَادِهَا تُنْضَى الْمَطِيُّ الذُّلَّلُ؟

يَا مَنْ إِذَا نَفَحَتْ نَوَاسِمُ حَمْدِهِ ... فَالْمِسْكُ يَعْبَقُ طِيبُهُ وَالْمَنْدَلُ

يَا مَنْ إِذَا لُمِحَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ ... تَعْشُو الْعُيُونَ وَيُبْهَرُ الْمُتَأَمِّلُ

يَا مَنْ إِذَا تُلِيَتْ مَفَاخِرُ قَوْمِهِ ... آيُ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا تَتَنَزَّلُ[1]

كَفَلَ الْخِلاَفَةَ مِنْكَ يَا مَلِكَ الْعُلَى ... وَاللَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ بِكَ أَكْفَلُ

مَأْمُونُهَا وَأَمِينُهَا وَرَشِيدُهَا ... مَنْصُورُهَا مَهْدِيُّهَا الْمُتَوَكِّلُ

حَسْبُ الْخِلاَفَةِ أَنْ تَكُونَ وَلِيَّهَا ... وَمُجِيرَهَا مِنْ كُلِّ مَنْ يَتَخَيَّلُ

حَسْبُ الزَّمَانِ بِأَنْ تَكُونَ إِمَامَهُ ... فَلَهُ بِذَلِكَ عِزَّةٌ لا تُهْمَلُ

حَسْبُ الْمُلُوكِ بِأَنْ تَكُونَ عَمِيدَهَا ... تَرْجُو النَّدَى مِنْ رَاحَتَيْكَ وَتَأْمَلُ[2]

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «تَتَرَتَّلُ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وتَكْمُلُ».

حَسْبُ الْمَعَالِي أَنْ تَكُونَ عِمَادَهَا[1] فَعَلَيْكَ أَطْنَابُ الْمَفَاخِرِ[2] تُسْدَلُ
يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا عَزَّ الْمُحِقُّ بِهِ وَذَلَّ الْمُبْطِلُ
أَنْتَ الإمَامُ ابْنُ الإمَامِ ابْنِ الإمَا مِ ابْنِ الإمَامِ وَفَخْرُهَا لاَ يُعْدَلُ
عَلَّمْتَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ مِنْ جَاهِلٍ أَعْطَيْتَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ مَنْ يَسْأَلُ
وَعِنَايَةُ اللَّهِ اشْتَمَلْتَ رِدَاءَهَا وَعَلِقْتَ مِنْهَا عُرْوَةً لاَ تُفْصَلُ

اتّصل بهذا البيت جملة أبيات من القصيدة المترجمة في العيديّات التي أوّلها:

«بُشْرَى كَما وَضحُ الصّباحُ وأجمَلُ»

وحذفناها من هذه اختصاراً للتكرار، وزاد في هذه:

أَخَذَتْ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ مَهَابَةٌ فَعُقُولُهُمْ مِنْ خَوْفِهَا لاَ تَعْقِلُ
حَسِبُوا الْبُرُوقَ صَوَارِماً مَسْلُولَةً أَرْوَاحُهُمْ مِنْ بَأْسِهَا تَتَسَيَّلُ
وَتَرَى النُّجُومَ مَنَاصِلاً مَرْهُوبَةً فَيَفِرُّ مِنْهَا الْخَائِفُ الْمُتَنَصِّلُ
يَا ابْنَ الأُلَى إجْمَالُهُمْ وَجَمَالُهُمْ شَمْسُ الضُّحَى وَالْعَارِضُ الْمُتَهَلِّلُ
مَوْلاَيَ لاَ أُحْصِي مَآثِرَكَ الَّتِي بِجِهَادِهَا يَتَوَسَّلُ[3] الْمُتَوَسِّلُ
أَصْبَحْتُ فِي ظِلِّ امْتِدَاحِكَ سَاجِعاً ظِلٌّ[4] الْمُنَى مِنْ فَوْقِهِ يَتَهَدَّلُ
طَوَّقْتَهُ طَوْقَ الْحَمَائِمِ أَنْعُماً فَغَدَا بِشُكْرِكَ فِي الْمَحَافِلِ يَهْدِلُ
فَإلَيْكَ مِنْ صَوْغِ الْعُقُولِ عَقِيلَةً أَهْدَاكَهَا صَنَعٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
عَذْرَاءُ رَاقَ الصُّنْعَ رَوْنَقُ حُسْنِهَا فَغَدَا بِنَظْمِ حُلِيِّهَا يَتَكَلَّلُ
خَيَّرْتَهَا بَيْنَ الْمُنَى فَوَجَدْتُهَا أَقْصَى مُنَاهَا عَلَّهَا تُتَقَبَّلُ

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «إمَامَهَا».
(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «الخلافة».
(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «يتوصَّلُ».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «طَلٌّ».

لاَ زِلْتَ شَمْساً فِي سَمَاءِ خِلاَفَةٍ وَهِلاَلُكَ الأَسْمَى يَتِمُّ ويَكْمُلُ

(75)

ومنها وقد أهداه باكوراً:

[الكامل]

يَا وَارِثَ الأَنْصَارِ وَهْيَ مَزِيَّةٌ بِفَخَارِهَا أَثْنَى الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
أَهْدَيْتَنِي الْبَاكُورَ وَهْيَ بِشَارَةٌ بِبَوَاكِرِ الْفَتْحِ الَّذِي تَسْتَقْبِلُ
وَوِلاَدَةٌ لِهِلاَلٍ تِمٍّ[1] طَالِعٍ وَجْهُ الزَّمَانِ بِوَجْهِهِ يَتَهَلَّلُ
هُوَ أَوَّلُ الأَنْوَارِ فِي أُفُقِ الْهُدَى وَتَرَى الأَهِلَّةَ بَعْدَهُ تَسْتَرْسِلُ
مَوْلاَيَ صِدْقُ الْفَأْلِ قَدْ جَرَّبْتَهُ مِنْ لَفْظِ عَبْدِكَ وَالْعَوَاقِبُ أَجْمَلُ

(76)

ثم قال: ومنها وقد خَلَعَ ـ رضوان الله عليه ـ على رسولٍ من أرساله:

[الطويل]

أَبَحْرَ سَمَاحٍ مَدَّ عَشْرَةَ أَبْحُرٍ تُفِيضُ غَمَامَ الْجُودِ وَهْيَ الأَنَامِلُ
فَكَفُّكَ[2] غَيْثٌ لِلْبِلاَدِ وَأَهْلِهَا يُرَوِّضُ مَحْلَ الأَرْضِ وَالْعَامُ مَاحِلُ
لَكَ الْخَيْرُ[3] إِنْ أَصْبَحْتَ بَحْرَ سَمَاحَةٍ يَعُمُّ نَدَاهُ فَالْمَوَاهِبُ سَاحِلُ
خَلَعْتَ عَلَى هٰذَا الرَّسُولِ مَلاَبِساً بِهَا تَتَسَنَّى فِي عُلاَكَ[4] المَآمِلُ
وَبَلَّغْتَهُ آمَالَهُ كَيْفَ شَاءَهَا فَبُلِّغْتَ يَا مَوْلاَيَ مَا أَنْتَ آمِلُ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «سرٍّ».
(2) كذا عند نيفر وقد رجّحنا قراءته؛ وفي أزهار ونفح: «بِكَفِّكَ».
(3) محذوفة في نفح (X/ 87).
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «عِدَاكَ».

(77)

وأنشده وقد مرض بعض أبنائه ـ رحمة الله عليه وعليهم ـ سائِلاً عن حاله:

[الطويل]

أُسَائِلُ بَدْرَ التِّمِّ كَيْفَ هِلاَلُهُ وَأَدْعُو لَهُ الرَّحْمَانَ جَلَّ جَلاَلُهُ

وَأَسْأَلُهُ تَعْجِيلَ رَاحَتِهِ الَّتِي وَسِيلَتُنَا فِيهَا النَّبِيُّ وَآلُهُ

تُبَلِّغُ[1] فِيهِ مَا تُؤَمِّلُ مِنْ مُنًى وَيُرْضِيكَ يَا بَدْرَ الْكَمَالِ كَمَالُهُ

(78)

وقال مما رُسم في طيقان الأبواب بالمباني السعيدة الّتي ابتناها مولانا ـ رضي الله عنه ـ:

[مجزوء الرمل]

أنَا تَاجٌ كَهِلاَلِ أَنَا كُرْسِيُّ الْجَمَالِ

يَنْجَلِي الإِبْرِيقُ فِيهِ كَعَرُوسٍ ذِي اخْتِيَالِ

جُودُ مَوْلاَنَا ابْنِ نَصْرٍ قَدْ حَبَانِي بِالْكَمَالِ

(79)

وفيه أيضاً[2]:

[مخلّع البسيط]

رَفَعْتَ قَوْسَ سَمَاءٍ[3] يُزْهَى بِتَاجِ الْهِلاَلِ

قَدْ قَلَّدَتْهُ نُقُوشِي دُرَّ الدَّرَارِي الْعَوَالِي[4]

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «سَتُبْلِغُ».

(2) أي ممّا كتبه لمبتنى لعمّ جامع الديوان الأمير «سعد» (أزهار: II/ 140).

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «سَمَائِي».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الغَوَالِي».

تَــرَى الأَبَــارِيــقَ فِيــهِ　　تُهْــدِيــكَ عَــذْبَ الــزُّلاَلِ

قَــدْ زَانَ قَصْــرِيَ سَعْــدٌ　　بِسَعْــدِهِ الْمُتَــوَالِــي

فَــدَامَ يَعْمُــرُ رَبْعِــي　　فِــي ظِــلِّ[1] مَــوْلَــى الْمَــوَالِــي

(80)

ثم ذكر هذا المؤلّف جملة نَظْمِ ابن زمرك في السّلطان أبـي الحجاج[2] واستعطافه وما يهزّ له الرّضا من شمائل أعطافه، ومنها:

[الوافر]

بِمَــا قَــدْ حُــزْتَ مِــنْ كَــرَمِ الْخِــلاَلِ　　بِمَــا أَدْرَكْــتَ مِــنْ رُتَــبِ الْجَــلاَلِ

بِمَــا خُــوِّلْــتَ مِــنْ دِيــنٍ وَدُنْيَــا　　بِمَــا قَــدْ حُــزْتَ مِــنْ شَــرَفِ الْمَعَــالِي

بِمَــا أُولِيــتَ مِــنْ صُنْــعٍ جَمِيــلٍ　　يُطَــابِــقُ لَفْظُــهُ[3] مَعْنَــى الْكَمَــالِ

تَغَمَّــدْنِــي بِفَضْلِــكَ وَاغْتَفِــرْهَــا　　ذُنُــوبــاً فِــي الْفَعَــالِ وَفِــي الْمَقَــالِ

(81)

وقال أيضاً مشيراً لتوليته العلامة:

[الكامل]

لَــكَ غُــرَّةٌ وَدَّ الصَّبَــاحُ جَمَــالَهَــا　　وَمَحَــاسِــنٌ تَهْــوَى الْبُــدُورُ كَمَــالَهَــا

وَشَمَــائِــلٌ تَحْكِــي الــرِّيَــاضُ خِــلاَلَهَــا　　وَأَنَــامِــلٌ تُــزْجِــي[4] الأَنَــامُ خِــلاَلَهَــا

لِلْمُسْتَعِيــنِ خِــلاَفَــةٌ نَصْــرِيَّــةٌ　　عَــرَفَــتْ مُلُــوكُ الْعَــالَمِيــنَ جَــلاَلَهَــا[5]

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «كَلِّ».

(2) هو يوسف الثاني الملقب بالمستعين بالله (793 هـ ـ 794 هـ) وهو والد جامع الأبيات.

(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «بعضه».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «تَزْجُو».

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «جَمَالَهَا».

وَأَنَــا الَّــذِي قَــدْ نَــالَ مِنْــكَ مَعَــالِيــاً تُهْـدِي[1] النُّجُـومُ الـزَّاهِـرَاتُ مَنَـالَهَـا
تُهْـدِيـهِ مَـا قَـدْ نِلْتَـهُ مِـنْ بَعْضِهَـا فَـالْفَخْـرُ[2] كُـلُّ الْفَخْـرِ فِيمَـنْ نَـالَهَـا
فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِنْـكَ مِنَّـةُ مُنْعِـمٍ لَوْ طَاوَلَتْ سَمْكَ السَّمَا[3] مَا طَالَهَا
بَلَّغْـتَ آمَـالَ الْعَبِيـدِ فَبُلِّغَـتْ فِيـكَ الْعَبِيـدُ مِـنَ ٱلْبَقَا آمَـالَهَـا

(82)

ومن بدائعه المُنيفة عيدية ميلادية[4]، وافقَتْها وجهته من غزوات مولانا الجدّ أيضاً:

[الكامل]

لَـوْ كُنْـتُ أُعْطَـى مِـنْ لِقَـائِكَ سُولاً لَـمْ أَتَّخِـذْ بَـرْقَ الْغَمَـامِ رَسُـولاَ
لَـوْ كُنْـتُ أَبْلَـغُ مِـنْ قَبُـولِكَ مَـأْمِلِـي لَـمْ أُودِعِ الشَّكْـوَى صَبـاً وَقَبُـولاَ
لَكِـنَّ مُعْتَـلَّ النَّسِيـمِ إِذَا سَـرَى مَـا زَالَ يُـوسِـعُ ذَا الْهَـوَى تَعْلِيـلاَ
وَبِمُلْتَقَـى الأَرْوَاحِ دَوْحَـةُ أَيْكَـةٍ جَاذَبْتُهَـا عِنْـدَ الْهُبُـوبِ مَمِيـلاَ[5]
عَهْـدِي بِهَـا سَـدَلَـتْ عَلَـيَّ ظِـلاَلَهَـا فَسَـدَلْـتُ ظِـلاًّ لِلشَّبَـابِ ظَلِيـلاَ
رَتَعَـتْ بِـهِ حَـوْلِـي الظِّبَـاءُ أَوَانِسـاً فَنَعِمْـتُ فِيـهِ مُعَـرَّسـاً وَمَقِيـلاَ
وَصَقَلْـتُ لِلْحَسْنَـاءِ[6] صَفْـحَ مَـوَدَّتِـي لَمَّـا اجْتَلَيْـتُ الْعَـارِضَ الْمَصْقُـولاَ
ثُـمَّ انْتَشَيْـتُ[7] وَقَـدْ تَعَـاطَيْـتُ الْهَـوَى رِيمـاً أَغَـرَّ وَجُـؤْذَراً مَكْحُـولاَ

---

(1) كذا في نفح؛ «تَهْوَى» في أزهار.
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الفَخْرُ».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «العُلاَ».
(4) لم يورد المقرّي هذه العيديّة في نفح الطيب بعد أن أوردها بأكملها في أزهار الرياض (II/96- 102).
(5) «هَميلاً» عند نيفر.
(6) «وبمقلة الحسناء» عنده.
(7) «انتشيتُ» عنده كذلك.

كَمْ فِيهِ مِنْ مُلَحٍ لِمُرْتَادِ الْهَوَى   تَرَكَتْ فُؤَادَ مُحِبِّهِ مَتْبُولاَ

لَمْ تَرْوِ لِي عَيْنَاهُ حِكْمَةَ بَابِلٍ   إلاَّ أَخَذْتُ حَدِيثَهَا مَقْبُولاَ

وَلَقَدْ أَجَدَّ جَوَايَ لَمَّا زُرْتُهُ   رَسْماً كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ مُحِيلاَ

قَدْ أَنْكَرَتْهُ الْعَيْنُ إلاَّ لَمْحَةً   عَرَفَتْ بِهِ آثَارَهُ تَخْيِيلاَ

وَإِذَا الطُّلُولَ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيَّمٍ   غَادَرْنَ دَمْعَ جُفُونِهِ مَطْلُولاَ

مَنْ مُنْجِدُ[1] الصَّبْرَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ   بَعْدَ الأَحِبَّةِ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلاَ

كَيْفَ التَّجَمُّلُ[2] بَعْدَهُمْ وَأَنَا الَّذِي   أَنْسَيْتُ قَيْساً فِي الهَوَى وَجَمِيلاَ

مَنْ عَاذِرِي وَالْقَلْبُ أَوَّلُ عَاذِلٍ   فِيمَنْ أُفَنِّدُ لاَئِماً وَعَذُولاَ

أَتْبَعْتُ فِي دِينِ الصَّبَابَةِ أُمَّةً   مَا بَدَّلُوا فِي حُبِّهِمْ تَبْدِيلاَ

يَا مَوْرِداً حَامَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُنَا   لَوْ نِيلَ لَمْ تَجْرِ الْمَدَامِعُ نِيلاَ

مَا ضَرَّ مَنْ رَقَّتْ غَلاَئِلُهُ ضُحَى   لَوْ بَاتَ يَنْقَعُ لِلْمُحِبِّ غَلِيلاَ

أَغْدَيْتُ وَاصِلَةَ الْهَدِيلِ بِسُحْرَةٍ   شَجْواً وَجَانِحَةَ الأَصِيلِ نُحُولاَ

وَسَرَيْتُ فِي طَيِّ النَّسِيمِ لَعَلَّنِي   أَحْتَلُّ حَيّاً بِالْعَقِيقِ حُلُولاَ

هَذَا وَمَا وَجْدِي بِوَجْدِكَ[3] عِنْدَمَا اسْـ   ـتَشْعَرْتُ مِنْ رَكْبِ الحِجَازِ رَحِيلاَ

قَدْ سَدَّدُوا الأَنْضَاءَ ثُمَّ تَتَابَعُوا   يَتْلُو رَعِيلٌ فِي الْفَلاَتِ رَعِيلاَ

مِثْلُ الْقِسِيِّ ضَوَامِرٌ قَدْ أُرْسِلَتْ   يَذْرَعْنَ عَرْضَ الْبِيدِ مِيلاً مِيلاَ

مُتَرَنِّحِينَ عَلَى الرِّحَالِ كَأَنَّمَا   عَاطَيْنَ مِنْ فَرْطِ الْكَمَالِ شَمُولاَ

إِنْ يَلْتَبِسْ عَلَمُ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمُ   جَعَلُوا التَّشَوُّفَ[4] لِلرَّسُولِ دَلِيلاَ

يَا رَاحِلِينَ وَمَا تَحَمَّلَ رَكْبُهُمْ   إلاَّ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ حُمُولاَ

نَاشَدْتُكُمْ عَهْدَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا   وَالْعَهْدُ فِينَا لَمْ يَزَلْ مَسْؤُولاَ

---

(1) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «مَنْ يُنْجِدُ».

(2) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «التحمُّلُ».

(3) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «هَذَا وَوَجْدِي مِثْلُ وَجْدِي».

(4) «التشوّق» في أزهار.

مَهْمَا وَصَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى   أَنْ تُوسِعُوا ذَاكَ الثَّرَى تَقْبِيلاَ

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُعَرِّسُ لَيْلَةً   فَأَشُمَّ حَوْلِي إِذْخِرًا وجَلِيلاَ[1]

أَوْ تُرْونِي[2] يَوْماً مِيَاهُ مَجَنَّةٍ[3]   ويَشِيمُ طَرْفِي شَامَةً وَطَفِيلاَ[4]

وَأَحُطُّ فِي مَثْوَى الرَّسُولِ رَكَائِبِي   وَأَبِيتُ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ نَزِيلاَ

بِمَنَازِلِ الْوَحْيِ الَّتِي قَدْ شُرِّفَتْ   قَدْ شَافَهَتْ أَعْلاَمُهَا التَّنْزِيلاَ

بِمَعَاهِدِ الإِيمَانِ وَالدِّمَنِ الَّتِي   قَدْ صَافَحَتْ عَرَصَاتُهَا جِبْرِيلاَ

وَمُهَاجَرِ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ   حَيْثُ اسْتَقَرَّ بِهِ الأَمَانُ دَخِيلاَ

دَارِ الرَّسُولِ وَمَطْلَعِ الْقَمَرِ الَّذِي   إِبْدَارُهُ[5] مَا فَارَقَ التَّكْمِيلاَ

يَا حَبَّذَا تِلْكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّبَى   يَا حَبَّذَا تِلْكَ الطُّلُولُ طُلُولاَ

حَيْثُ النُّبُوَّةُ قَدْ جَلَتْ آفَاقُهَا   وَجْهاً مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ جَمِيلاَ

حَيْثُ الرِّسَالَةُ فُصِّلَتْ أَحْكَامُهَا   لِتُبَيِّنَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلاَ

حَيْثُ الشَّرِيعَةُ قَدْ رَسَتْ أَرْكَانُهَا   فَالنَّصُّ مِنْهَا يَعْضُدُ التَّأْوِيلاَ

حَيْثُ الْهُدَى وَالدِّينُ وَالحَقُّ الَّذِي   مَحَقَ الضَّلاَلَ وَأَذْهَبَ التَّضْلِيلاَ

حَيْثُ الضَّرِيحُ يَضُمُّ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ   وَأَجَلَّ خَلْقِ اللَّهِ جِيلاً جِيلاَ

إِنَّ الإِلاَهَ اخْتَارَهَا لِمُقَامِهِ   وَاخْتَارَهُ لِلْعَالَمِينَ رَسُولاَ

رَحِمَ الإِلاَهُ الْعَالَمِينَ بِبَعْثِهِ   فِيهِمْ وَفَضَّلَ جِنْسَهُ تَفْضِيلاَ

بِدُعَائِهِ انْقَشَعَ الْغَمَامُ وَقَبْلَهَا   وَالَتْ بِدَعْوَتِهِ الْغَمَامُ هُمُولاَ

وَالشَّمْسُ قَدْ رُدَّتْ لَهُ وَلَطَالَمَا   قَدْ ظَلَّلَتْهُ سَحَابُهَا تَظْلِيلاَ

لِمْ لاَ يُطَاوِعُهُ الْوُجُودُ وَقَدْ غَدَا   مِنْ نُورِهِ فِي خَلْقِهِ مَعْلُولاَ

يَا نُكْتَةَ الأَكْوَانِ يَا عَلَمَ الْهُدَى   آيَاتُ فَضْلِكَ رُتِّلَتْ تَرْتِيلاَ

---

(1) في أزهار: «فَأَشَمَّ»؛ والإذخر: نبات طيّب الرائحة، والجليل: الثُمام.

(2) «أَوْ أَرْتَوِي» عند نيفر.

(3) موضع قرب مكة.

(4) جبلان بمكة.

(5) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «إِبْدَاؤُهُ».

لَوْلاَكَ لَمْ يَكُ لِلْكِيَانِ حَقِيقَةٌ   وَلَكَانَ بَابُ وُجُودِهَا مَقْفُولاَ
لَوْلاَكَ لِلزُّهْرِ الْكَوَاكِبِ لَمْ تَلُحْ   مِثْلَ الأَزَاهِرِ مَا عَرَفْنَ ذُبُولاَ
لَوْلاَكَ لَمْ تَجْلُ السَّمَاءُ شُمُوسَهَا   وَلَكَانَ سَجْفُ ظَلاَمِهَا مَسْدُولاَ(1)
لَوْلاَكَ مَا عُبِدَ الإِلاَهُ وَمَا غَدَا   رَبْعُ الْجِنَانِ بِأَهْلِهِ مَأْهُولاَ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَلْطَافُهَا   سَحَبَتْ عَلَيْنَا لِلْقَبُولِ ذُيُولاَ
يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي بُرْهَانُهَا   مَا كَانَ يَوْماً صِدْقُهُ مَجْهُولاَ
كَمْ آيَةٍ لَكَ قَدْ صَدَعْتَ بِنُورِهَا   لَيْلَ الضَّلاَلِ وَإِفْكَهُ الْمَنْحُولاَ
أَوْضَحْتَهَا كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا   وَعَقَلْتَ عَنْ إِدْرَاكِهِنَّ عُقُولاَ
وَأَتَيْتَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُبَيِّناً   قَدْ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ تَفْصِيلاَ
أَثْنَى عَلَيْكَ بِكُتْبِهِ مَنْ أَنْزَلَ الْـ   ـقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلاَ
فَإِذَا الْبَلِيغُ يَرُومُ مَدْحَكَ جَاهِداً   أَضْحَى حُسَامُ لِسَانِهِ مَغْلُولاَ
يَا شَافِعَ الرُّسْلِ الْكِرَامِ وَمَنْ بِهِ   يَرْجُونَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ قَبُولاَ
رِفْقاً بِمَنْ مَلَكَ الْقَضَاءُ زِمَامَهُ   فَغَدَا بِقَيْدِ ذُنُوبِهِ مَغْلُولاَ(2)
وَاحَسْرَتَا ضَيَّعْتُ عُمْرِي فِي الْهَوَى   وَالتَّوْبُ أَضْحَى دَيْنُهُ مَمْطُولاَ
وَجَرَيْتُ فِي طَلْقِ البَطَالَةِ جَامِحاً   حَتَّى انْثَنَى طَرْفُ الشَّبَابِ كَلِيلاَ
وَعَثَرْتُ فِي طَلَبِ الْمَفَازِ جَهَالَةً   لَكِنْ وَجَدْتُكَ لِلْعِثَارِ مُقِيلاَ
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الأَمِينَ لِوَحْيِهِ   مَنْ أَمَّ جَاهَكَ أَحْرَزَ التَّأْمِيلاَ
وَاللَّهِ مَالِي لِلْخَلاَصِ وَسِيلَةٌ   إِلاَّ رِضَاكَ وَعفْوَكَ الْمَأْمُولاَ
إِنْ كُنْتُ مَا أَعْدَدْتُ زَاداً نَافِعاً   أَعْدَدْتُ حُبَّكَ شَافِعاً مَقْبُولاَ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا رَكْبٌ سَرَى(3)   فَأَجَدَّ وَخْداً فِي الْفَلاَ وذَمِيلاَ(4)

---

(1) «مَسْبُولاً» في أزهار.
(2) «مَفْلُولاَ» «يُخْشِي» في أزهار.
(3) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «مَا رَكِبَ السُّرَى».
(4) كذا عند نيفر، في أزهار: «في الْمَفَازَةِ مِيلاً».

وَأَعَزَّ مَنْ وَلاَّهُ أَمْرَ عِبَادِهِ ... فَحَبَاهُمُ إِحْسَانَهُ الْمَوْصُولاَ
وَأَقَامَ مَفْرُوضَ الْجِهَادِ بِعَزْمَةٍ ... تَرَكَتْ بِأَفْئِدَةِ الْعُدَاةِ فُلُولاَ
وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَقَدْ حَضَرَ الْوَغَى ... أَحُسَامُهُ أَمْ عَزْمُهُ الْمَصْقُولاَ[1]
مَلِكٌ إِذَا لَثَمَ الْوُفُودُ[2] يَمِينَهُ ... فَالْبَحْرُ عَذْباً وَالرِّيَاضُ بَلِيلاَ
أَوْ يُخْلِفُ النَّاسَ الْغَمَامُ وَأَمْحَلُوا ... بِنَدَاهُ لا تَخْشَى[3] الْعُفَاةُ مُحُولاَ
مِنْ دَوْحَةٍ نَصْرِيَّةٍ يَمَنِيَّةٍ ... وَشَجَتْ فُرُوعاً فِي الْعُلَى وَأُصُولاَ
فَإِذَا سَأَلْتَ الْكُتْبَ نَقْلَ فَضِيلَةٍ ... لَمْ تُلْفِ إِلاَّ فَخْرَهَا مَنْقُولاَ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَيَّامُهُ ... وَضُحَتْ بِأَوْجُهِ دِخْرِزِ حُجُولاَ[4]
وَاللَّهِ مَا آثَارُ هَذِيكَ عِنْدَنَا ... إِلاَّ نُجُوماً مَا عَرَفْنَ أُفُولاَ
لَمْ يَعْرِفِ التَّرْكِيبَ سَيْفُكَ فِي الْوَغَى ... فَاعْجَبْ لَهُ قَدْ أَحْكَمَ التَّحْلِيلاَ
كَمْ صُورَةٍ لَكَ فِي الْفُتُوحِ وَسُورَةٍ ... تُجْلَى وتُتْلَى بُكْرَةً وَأَصِيلاَ
لَمْ تَسْرِ سَارِيَةُ الرِّيَاحِ بِطَيْبَةٍ ... إِلاَّ لِتَحْمِلَ ذِكْرَكَ الْمَغْسُولاَ
وَكَأَنَّ صَفْحَ الْبَرْقِ سَيْفُكَ ظَلَّ مِنْ ... غِمْدِ الْغَمَامَةِ مُرْهَفاً مَسْلُولاَ
كَمْ بَلْدَةٍ لِلْكُفْرِ قَدْ عَوَّضْتَ مِنْ ... نَاقُوسِهَا التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلاَ
صَدَقَتْ مُقَدِّمَةُ الْجُيُوشِ فَصَيَّرَتْ ... مِنْ حِينِهَا مَوْضُوعَهَا مَحْمُولاَ
كَسَرُوا تَمَاثِيلَ الصَّلِيبِ وَمَثَّلُوا ... بِمَنِ ارْتَضَى[5] لِوَلاَئِهِ تَمْثِيلاَ
لَمَّا أَحَطْتَ بِهَا وَحَانَ دَمَارُهَا ... أَخْرَجْتَ مُتْرَفَهَا الأَعَزَّ ذَلِيلاَ
تَجْرِي الدُّمُوعُ وَمَا تَبُلُّ غَلِيلَهُ ... فَمُصَفَّدٌ يَبْكِي هُنَاكَ قَتِيلاَ
سَلَّتْ يَمِينُ الْمُلْكِ مِنْكَ عَلَى الْعِدَى ... عَضْباً مَهِيبَ الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلاَ
لَمْ يَرْضَ سَيْفُكَ أَنْ يُحَلَّى جَوْهَراً ... حَتَّى يُحَلَّى عَسْجَداً مَحْلُولاَ
لَمْ تَرْضَ هِمَّتُكَ الْقَلِيلَ مِنَ التُّقَى ... حَتَّى أَتَتْ بِالصَّالِحَاتِ قَبِيلاَ
فَأَقَمْتَ مِيلاَدَ الرَّسُولِ بِلَيْلَةٍ ... أَوْضَحْتَ فِيهَا لِلْجِهَادِ سَبِيلاَ

---

(1) «مَصْقُولاً» في أزهار.

(2) في أزهار: «الوُجُودُ»؛ ورجّنا قراءة نيفر.

(3) «فنداهُ لا يُخْشي» في أزهار.

(4) «مَحْولاً» في نفس المصدر؛ والمعنى غير واضح لتحريف في النقل.

(5) «اِنْتَمى» فيه كذلك.

حَيْثُ الْقِبَابُ البِيضُ جَلَّلَتِ الرُّبَى ... أَزْهَارَ رَوْضٍ مَا اكْتَسَبْنَ ذُبُولاَ

وَمَوَاقِدُ النِّيرَانِ تُذْكَى حَوْلَهَا ... فَيُنِيرُ مِشْعَلُهَا رُبًى وَسُهُولاَ

وَالأُفْقُ فَوْقَكَ قُبَّةٌ مَحْبُوكَةٌ ... مَدَّتْ عَلَيْكَ طِرَافَهَا الْمَسْدُولاَ

وَرَمَى[1] إِلَيْكَ بِبَدْرِهِ وَنُجُومِهِ ... يُهْدِيكَ مِنْهُ التَّاجَ وَالإِكْلِيلاَ

حَيْثُ الْكَتَائِبُ قَدْ تَلاَطَمَ مَوْجُهَا ... وَتَدَفَّعَتْ[2] فِيهَا الْخُيُولُ سُيُولاَ

زَخَرَتْ بِأَمْوَاجِ الْحَدِيدِ وَرُبَّمَا ... ضَاقَ الْفَضَاءُ فَمَا[3] وَجَدْنَ سَبِيلاَ

يَتَجَاوَبُ التَّكْبِيرُ فِي جَنَبَاتِهَا ... فَتُعِيدُهُ غُرُّ الْجِيَادِ صَهِيلاَ

حَمَلَتْ مِنَ الأَبْطَالِ كُلَّ مُشَهَّرٍ[4] ... لا يَقْتَنِي إِلاَّ قَنًا[5] وَنُصُولاَ

آسَادُ مَلْحَمَةٍ إِذَا اشْتَجَرَ الْوَغَى ... دَخَلُوا مِنَ الأَسَلِ الْمُثَقَّفِ غِيلاَ

إِنْ شَمَّرُوا يَوْمَ الْحُرُوبِ ذُيُولَهُمْ ... سَحَبُوا مِنَ الزَّرْدِ الْمُفَاضِ ذُيُولاَ

أَوْ قَصَّرُوا يَوْمَ الطِّعَانِ رِمَاحَهُمْ ... وَصَلُوا بِهَا الْخَطْوَ الْوَسَاعَ طَوِيلاَ

يَا لَيْلَةً ظَفِرَتْ يَدَايَ بِأَجْرِهَا ... وَسَهِرْتُ فِيهَا بِالرِّضَى مَشْمُولاَ

وَاللَّهِ لَوْ عُوِّضْتُ عَنْكِ شَبِيبَتِي ... مَا كُنْتُ أَرْضَى بِالشَّبَابِ بَدِيلاَ

يَا نَاصِرَ الإِسْلاَمِ يَا مَلِكَ الْعُلَى ... اللَّهُ يُؤْتِيكَ الْجَزَاءَ جَزِيلاَ

جَهِّزْ جُيُوشَكَ لِلْجِهَادِ مُوَفَّقاً ... وَكَفَى بِرَبِّكَ كَافِياً وَكَفِيلاَ

وَلْتُبْعِدِ الْغَارَاتِ فِي أَرْضِ الْعِدَى ... وَاللَّهُ حَسْبُكَ نَاصِراً وَوَكِيلاَ

وَإِلَيْكَ مِنْ سُمْرِ الْجِهَادِ غَرِيبَةً ... جَاءَتْكَ تُقْرِضُكَ الثَّنَاءَ جَمِيلاَ

وَأَطَلْتُ لَكِنِّي أَطَبْتُ وَعَادَتِي ... أُلْفَى مُطِيباً فِي الْمَدِيحِ مُطِيلاَ

لاَ زَالَ نَصْرُكَ كُلَّمَا اسْتَنْجَدْتَهُ ... لِمُهِمِّ دِينِكَ عَائِداً مَوْصُولاَ

(83)

ومنها وقد أهداه ـ رحمه الله تعالى ـ أصنافاً من الفواكه:

---

(1) «أَوْمَا» عند نيفر.
(2) «وتَدَفَّقَتْ» في أزهار.
(3) «وَمَا» عند نيفر.
(4) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «كُلَّ مُشَمِّرٍ».
(5) في أزهار: «لا يَقْتَنِي سُمْرَ القَنَا».

[الكامل]

يَـا مَـنْ لَـهُ الْـوَجْـهُ الْجَمِيـلُ إِذَا بَـدَا ... فَـاقَـتْ مَحَـاسِنُـهُ الْبُـدُورَ كَمَـالاَ
وَالْمُنْتَقَـى مِـنْ جَـوْهَـرِ الْفَخْـرِ الَّـذِي ... فَـاتَ الخَـلاَئِـفَ عِـزَّةً وَجَـلاَلاَ
مَـا أَبْصَـرَتْ عَيْنَـايَ مِثْـلَ هَـدِيَّـةٍ ... أَبْـدَتْ لَنَـا صُنْـعَ الإِلاَهِ تَعَـالَـى
فِيهَـا مِـنَ التُّفَـاحِ كُـلُّ عَجِيبَـةٍ ... تُـذْكِـي بِـرَيَّـاهَـا صَبـاً وَشَمَـالاَ
تُهْـدِي لَنَـا نَهْـدَ الْحَبِيـبِ وَخَـدَّهُ ... وَتُـرِي مِـنَ الْـوَرْدِ الْجَنِـيِّ مِثَـالاَ
وَبِهَـا مِـنَ الأُتْـرُجِّ شَمْـسٌ أَطْلَعَـتْ ... مِـنْ كُـلِّ شَطْـرٍ لِلْعُيُـونِ هِـلاَلاَ
وَيَحُفُّهَـا وَرَقٌ يَـرُوقُ كَـأَنَّـهُ ... وَرَقُ النُّضَـارِ وَقَـدْ أَجَـادَ نِبَـالاَ[1]
لَـوْنُ العَشِيَّـةِ ذُهِّبَـتْ صَفَحَـاتُهَـا ... رَقَّـتْ وَرَاقَـتْ بَهْجَـةً وَجَمَـالاَ
وَبِهَـا مِـنَ النُّقْـلِ الشَّهِـيِّ مُـذَكِّـرٌ ... عَهْـداً تَـوَلَّـى لَيْتَـهُ يَتَـوَالَـى
لِلَّـهِ مِنْهَـا خُضْـرَةٌ مِـنْ خَضْـرَةٍ ... تُغْنِـي الْعُفَـاةَ وَتُحْسِـبُ الآمَـالاَ
أَذْكَـرْتَنِـي الْعَهْـدَ الْقَـدِيـمَ ومَعْهَـداً ... كَـانَـتْ شُمُـوسُ الـرَّاحِ فِيـهِ تَـلاَلاَ
فَـأَرَدْتُ تَجْـدِيـدَ الْعُهُـودِ وَإِنَّمَـا ... كَتَبَ الْمَشِيـبُ عَلَـى عِـذَارِيَ: لاَ لاَ
فَـأَدَرْتُ مِـنْ ذِكْـرَاكَ كَـأْسَ مُـدَامَـةٍ ... وَشَـرِبْـتُ مِـنْ حُبِّـي لَهَـا جِـرْيَـالاَ
فَبَقِيـتَ شَمْسـاً فِـي سَمَـاءِ خِـلاَفَـةٍ ... لاَ يَسْتَطِيـعُ لَهَـا الـزَّمَـانُ زَوَالاَ

(84)

وأنشده في ملبس اتّخذه:

[الطويل]

أَمَـوْلاَيَ يَـا ابْـنَ السَّـابِقِيـنَ إِلَـى الْعُلَـى ... وَمَـنْ نَصَـرُوا الـدِّيـنَ الْحَنِيفِـيَّ أَوَّلاَ
غَنِيـتَ بِنُـورِ اللَّـهِ عَـنْ كُـلِّ زِينَـةٍ ... وَأُلْبِسْـتَ مِـنْ رِضْـوَانِـهِ أَشْـرَفَ الْحِلَـى
وَقَـارُكَ زَادَ الْمُلْـكَ عِـزّاً وَهَيْبَـةً ... وَسَـوَّغَـهُ مِـنْ رَحْمَـةِ اللَّـهِ مَنْهَـلاَ

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «تَبَالاَ».

وَيَا شَمْسَ هَدْيٍ فِي سَمَاءِ خِلافَةٍ   وَأَبْنَاؤُهُ الزُّهْرُ الْمُنِيرَةُ تُجْتَلَى
تَبَارَكَ مَنْ أَبْدَاكَ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ   جَمِيلاً جَلِيلاً مُسْتَعَاذاً مُؤَمَّلاَ
فَيُخْجِلُ[1] مِنْكَ الشَّمْسَ شَمْسُ هِدَايَةٍ   وَيَحْسُدُ مِنْكَ الْبَدْرُ بَدْراً مُكَمَّلاَ
إِذَا أَنْتَ أَلْبَسْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ   مَلاَبِسَ عِزٍّ لَيْسَ يُدْرِكُهَا الْبِلَى
وَطَوَّقْتَ أَعْنَاقَ[2] الْمُلُوكِ أَيَادِياً   وَتَوَّجْتَهُمْ بِالْفَخْرِ[3] تَاجاً مُكَلَّلاَ
فَمَا شِئْتَ فَالْبَسْ فَالْمُشَاهِدُ[4] قَائِلٌ[5]:   تَبَارَكَ مَنْ أَبْهَى وَأَسْنَى[6] وَأَجْمَلاَ
أَلاَ كُلُّ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى وَمَنْ دَعَا   وَمَدَّ يَدَيْهِ ضَارِعاً مُتَوَسِّلاَ[7]
وَجُودُكَ شَرْطٌ فِي حُصُولِ قَبُولِهِ   وَجُودُكَ أَثْرَى كَفَّهُ فَتَنَفَّلاَ[8]

(85)

ثم قال وكتب له[9] صدر رسالة:

[الطويل]

أَزُورُ بِقَلْبِي مَعْهَدَ الأُنْسِ وَالهَوَى   وَأَنْهَبُ مِنْ أَيْدِي النَّسِيمِ رَسَائِلاَ
وَمَهْمَا سَأَلْتُ الْبَرْقَ يَهْفُو مِنَ الْحِمَى   يُبَادِرْ بِهِ[10] دَمْعِي مُجِيباً وَسَائِلاَ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالأَمَانِي تَعَلُّلٌ   أَيَرْعَى لِي الحَيُّ الْكِرَامُ الْوَسَائِلاَ؟
وَهَلْ جِيرَتِي الأُوْلَى كَمَا قَدْ عَهِدْتُهُمْ   يُوَالُونَ بِالإِحْسَانِ مَنْ جَاءَ سَائِلاَ؟

---

(1) «فتُخجل» في نفح.
(2) رجحنا قراءة نيفر، وفي أزهار ونفح: «أَجْيَادَ».
(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «بالمُلْك».
(4) في نفح: «في المشاهد».
(5) في نفس المصدر: «كَلِّهَا».
(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «أسْنَى وأَبْهَى».
(7) في أزهار: «وتَوَسَّلاَ».
(8) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «مُتَنَفِّلاَ».
(9) أي إلى شيخه ابن الخطيب.
(10) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة ونفح: «يُبَادِرُهُ».

قافيــة الـميــم

(86)

ومن ذلك ما أَنْشد في الصّنيع الثاني المختصّ بعمَّيْنا السيدين الأميرين: سَعْدٍ ونصرٍ، رحمة الله عليهما، وأجاد في وصف الجُنْد والجُرْد[1] والطَّلْبة[2] وغرائبِ الأوضاع:

[الكامل]

أَلِلَمْحَـةٍ مِـنْ بَـارِقٍ مُتَبَسِّـمِ ... أَرْسَلْتَـهُ دَمْعـاً تَضَـرَّجَ بِالـدَّمِ

وَلِنَفْحَـةٍ[3] تَهْفُـو بِبَـانَـاتِ اللِّـوَى ... يَهْفُـو فُـؤَادُكَ عَـنْ جَـوَانِـحِ مُغْـرَمِ

هِـيَ عَـادَةٌ عُـذْرِيَّـةٌ مِـنْ يَـوْمِ أَنْ ... خُلِـقَ الْهَـوَى تَعْتَـادُ كُـلَّ مُتَيَّـمِ

قَـدْ كُنْتُ أَعْـذِلُ ذَا الْهَـوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ ... أَدْرِي الْهَـوَى وَالْيَـوْمَ أَعْـذِرُ[4] لُـوَّمِي

كَـمْ زَفْـرَةٍ بَيْـنَ الْجَـوَانِـحِ مَـا ارْتَقَـتْ ... حَـذَرَ الـرَّقِيـبِ وَمَدْمَـعٍ لَـمْ يَسْجُـمِ

إِنْ كَانَ وَاشِي الدَّمْعِ قَدْ كَتَمَ الْهَوَى ... هَيْهَـاتَ وَاشِـي السُّقْـمِ لَمَّـا يَكْتُـمِ

وَلَقَـدْ أَجَـدَّ هَـوَايَ رَسْـمٌ دَارِسٌ ... قَـدْ كَـانَ يَخْفَـى عَـنْ خَفِـيِّ تَـوَهُّـمِ

وَذَكَـرْتُ عَهْـداً فِـي حِمَـاهُ قَـدِ انْقَضَـى ... فَـأَطَلْـتُ فِيـهِ تَـرَدُّدِي وَتَلَـوُّمِـي

وَلَـرُبَّمَـا أَشْجَـى فُـؤَادِي عِنْـدَهُ ... وَرْقَـاءُ تَنْفُـثُ شَجْـوَهَـا بِتَـرَنُّـمِ

لاَ أَجْـدَبَ[5] اللَّـهُ الطُّلُـولَ فَطَـالَمَـا ... أَشْجَـى الفَصِيـحَ بِهَـا بُكَـاءُ الأَعْجَـمِ[6]

يَـا زَاجِـرَ الأَظْعَـانِ يَحْفِـزُهَـا السُّـرَى ... قِـفْ بِـي عَلَيْهَـا وِقْفَـةَ الْمُتَلَـوِّمِ

لِتَـرَى دُمُـوعَ الْعَـاشِقِيـنَ بِـرَسْمِهَـا ... حُمْـراً كَحَـاشِيَـةِ الـرِّدَاءِ الْمُعْلَـمِ

---

(1) ج. أجرد من صفات الخيول الأصيلة.

(2) لعلّها «الساعة»؛ (انظر آخر القصيدة) أو بعض آلات الحرب (راجع معجم دوزي).

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لِلَمْحَةٍ».

(4) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «أَعْذِلُ».

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لا أَخْرَبَ».

(6) في أزهار: «الأَبْكَمِ».

دِمَنٌ عَهِدْتُ بِهَا الشَّبِيبَةَ وَالْهَوَى   سُقْياً لَهَا وَلِعَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
وَكَتِيبَةٍ لِلشَّوْقِ قَدْ جَهَّزْتُهَا   أَغْزُو بِهَا السُّلْوَانَ غَزْوَ مُصَمِّمِ
وَرَفَعْتُ فِيهَا الْقَلْبَ بَنْداً خَافِقاً   وَأَرَيْتُ لِلْعُشَّاقِ فَضْلَ تَهَمُّمِ
فَأَنَا الَّذِي شَابَ الْحَمَاسَةَ بِالْهَوَى   لَكِنَّ مَنْ أَهْوَاهُ ضَايَقَ[1] مَقْدَمِي
فَطُعِنْتُ مِنْ قَدِّ الْقَوَامِ بِأَسْمَرٍ   وَرُمِيتُ مِنْ غُنْجِ اللِّحَاظِ بِأَسْهُمِ
يَا قَاتَلَ اللَّهُ الْجُفُونَ فَإِنَّهَا   مَهْمَا رَمَتْ لَمْ تُخْطِ شَاكِلَةَ الرَّمِي
ظَلَمَتْ قَتِيلَ الْحُبِّ ثُمَّ تَبَيَّنَتْ   لِلسُّقْمِ فِيهَا فَتْرَةُ الْمُتَظَلِّمِ
يَا ظَبْيَةً سَنَحَتْ بِأَكْنَافِ الْحِمَى   سُقِيَ الْحِمَى صَوْبَ الغَمَامِ الْمُسْجَمِ
مَا ضَرَّ إِذْ أَرْسَلْتِ نَظْرَةَ فَاتِكٍ   أَنْ لَوْ عَطَفْتِ بِنَظْرَةِ الْمُتَرَحِّمِ
فَرَأَيْتِ جِسْماً قَدْ أُصِيبَ فُؤَادُهُ   مِنْ مُقْلَتَيْكِ وَأَنْتِ لَمْ تَتَأَثَّمِي
وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ يُقَادَ بِجُرْحِهِ   فَوَهَبْتُ لَحْظَكِ مَا أَحَلَّكَ مِنْ دَمِي
كَمْ خُضْتُ دُونَكِ مِنْ غِمَارِ مَفَازَةٍ   لاَ تَهْتَدِي فِيهَا اللُّيُوثُ لِمَجْثِمِ
وَالنَّجْمُ يَسْرِي مِنْ دُجَاهُ بِأَدْهَمٍ[2]   رَحْبِ المُقَلَّدِ بِالثُّرَيَّا مُلْجَمِ
وَالْبَدْرُ فِي صَفْحِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ   مِرْآةُ هِنْدٍ وَسْطَ لُجٍّ تَرْتَمِي
وَالزُّهْرُ زَهْرٌ وَالسَّمَاءُ حَدِيقَةٌ   فُتِقَتْ كَمَائِمُ جُنْحِهَا عَنْ أَنْجُمِ
وَاللَّيْلُ مُرْبَدُّ الْجَوَانِحِ قَدْ بَدَا   فِيهِ الصَّبَاحُ كَغُرَّةٍ فِي أَدْهَمِ
فَكَأَنَّمَا فَلَقُ الصَّبَاحِ وَقَدْ بَدَا   مَرْأَى ابْنِ نَصْرٍ لاَحَ لِلْمُتَوَسِّمِ
مَلِكٌ أَفَاضَ عَلَى الْبَسِيطَةِ عَدْلَهُ   فَالشَّاةُ لاَ تَخْشَى اعْتِدَاءَ الضَّيْغَمِ
هُوَ مُنْتَهَى آمَالِ كُلِّ مُوَفَّقٍ   هُوَ مَوْرِدُ ٱلصَّادِي وَكَنْزُ ٱلْمُعْدِمِ
لاَحَتْ مَنَاقِبُهُ كَوَاكِبَ أَسْعُدٍ   فَرَأَتْ مَلاَمِحَ نُورِهِ عَيْنُ الْعَمِي

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «مَنْ أَهْوَى مُضَايِقٌ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بِأَسْهُم»، والأدهم: الأسود وهو من أوصاف الخيل، كأن النجم ركب أدهم الليل.

وَلَقَدْ تَرَاءَى بَأْسُهُ وَسَمَاحُهُ فَأَتَى ٱلْجَلاَلُ مِنَ ٱلْجَمَالِ بِتَوْأَمِ
مِثْلُ ٱلْغَمَامِ وَقَدْ تَضَاحَكَ بَرْقُهُ فَأَفَادَ بَيْنَ تَجَهُّمٍ وَتَبَسُّمِ
أَنْسَى سَمَاحَةَ حَاتِمٍ وَكَذَاكَ[1] فِي يَوْمِ ٱللِّقَاءِ رَبِيعَةَ بْنَ مُكَدَّمِ
سِيَرٌ تَسِيرُ ٱلنَّيِّرَاتُ بِهَدْيِهَا وَتُعِيرُ عَرْفَ ٱلرَّوْضِ طِيبَ تَنَسُّمِ
فَٱلْبَدْرُ دُونَكَ فِي عُلاً وَإِنَارَةٍ وَٱلْبَحْرُ دُونَكَ فِي نَدًى وَتَكَرُّمِ
وَلَكَ ٱلْقِبَابُ ٱلْحُمْرُ تُرْفَعُ لِلنَّدَى فَتَرَى ٱلْعَمَائِمَ تَحْتَهَا كَٱلأَنْجُمِ
يُذْكَى ٱلْكِبَاءُ بِهَا كَأَنَّ دُخَانَهُ قِطَعُ السَّحَابِ بِجَوِّهَا ٱلْمُتَغَيِّمِ
وَلَكَ ٱلْعَوَالِي ٱلسُّمْرُ تُشْرَعَ لِلْعِدَا فَتَخِرُّ صَرْعَى لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَلَكَ الأَيَادِي ٱلْبِيضُ قَدْ طَوَّقْتَهَا صِيدَ ٱلْمُلُوكِ ذَوِي ٱلتِّلاَدِ ٱلأَقْدَمِ
شِيَمٌ يُقِرُّ ٱلْحَاسِدُونَ بِفَضْلِهَا وَٱلصُّبْحُ لَيْسَ ضِيَاؤُهُ بِمُكَتَّمِ
وَرِثَ ٱلسَّمَاحَةَ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ فَٱلأَكْرَمُ ٱبْنُ ٱلأَكْرَمِ ٱبْنِ ٱلأَكْرَمِ
نَقَلُوا ٱلْمَعَالِي كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَٱلرُّمْحِ مُطَّرِدِ ٱلْكُعُوبِ مُقَوَّمِ
وَتَسَنَّمُوا رُتَبَ ٱلْعَلاَءِ بِحَقِّهَا مَا بَيْنَ جَدٌّ فِي[2] ٱلْخِلاَفَةِ وَٱبْنَمِ
يَا آلَ نَصْرٍ أَنْتُمُ سُرُجُ ٱلْهُدَى فِي كُلِّ خَطْبٍ قَدْ تَجَهَّمَ مُظْلِمِ
ٱلْفَاتِحُونَ لِكُلِّ صَعْبٍ مُقْفَلٍ وَٱلْفَارِجُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ مُبْهَمِ
وَٱلْبَاسِمُونَ إِذَا ٱلْكُمَاةُ عَوَابِسٌ وَٱلْمُقْدِمُونَ عَلَى ٱلسَّوَادِ ٱلأَعْظَمِ
أَبْنَاءُ أَنْصَارِ ٱلنَّبِيِّ وَحِزْبِهِ وَذَوِي ٱلسَّوَابِقِ وَٱلْجِوَارِ ٱلأَعْصَمِ
سَلْ عَنْهُمُ أُحُداً وَبَدْراً تُلْفِهِمْ[3] أَهْلَ ٱلْغَنَاءِ بِهِ وَأَهْلَ ٱلْمَغْنَمِ
وَبِفَتْحِ مَكَّةَ كَمْ لَهُمْ فِي يَوْمِهِ بِلِوَاءِ خَيْرِ ٱلْخَلْقِ مِنْ مُتَقَدِّمِ
أَقْسَمْتُ بِٱلْحَرَمِ ٱلأَمِينِ وَمَكَّةٍ وَٱلرُّكْنِ وَٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ وَزَمْزَمِ
لَوْلاَ مَآثِرُهُمْ وَفَضْلُ عُلاَهُمُ مَا كَانَ يُعْزَى ٱلْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «وَكَفَاكَ».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِأَبٍ وَجَدٍّ فِي».
(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «تَلْقَهُمْ».

مَـاذَا عَسَـى أُثْنِـي وَقَـدْ أَثْنَـتْ عَلَـى ... عَلْيَـائِهِـمْ آيُ ٱلْكِتَـابِ ٱلْمُحْكَـمِ

يَـا وَارِثًـا عَنْهَـا مَـآثِـرَهَـا ٱلَّتِـي ... قَـدْ شَيَّـدَتْ لِلْفَخْـرِ أَعْظَـمَ مَعْلَـمِ

يَـا فَخْـرَ أَنْـدَلُـسٍ لَقَـدْ مَـدَّتْ إِلَـى ... عَلْيَـاكَ كَـفَّ ٱلـلَّائِـذِ ٱلْمُسْتَعْصِـمِ

أَمَّـا سُعُـودُكَ فِـي ٱلْـوَغَـى فَتَكَفَّلَـتْ ... بِسَـلَامَـةِ ٱلإِسْـلَامِ فَـٱخْلُـدْ وَٱسْلَـمِ

وَافَيْـتَ هَـذَا ٱلثَّغْـرَ وَهُـوَ عَلَـى شَفًـى ... فَشَفَيْـتَ مُعْضِـلَ دَائِـهِ ٱلْمُسْتَحْكِـمِ

وَرَعَيْتَـهُ بِسِيَـاسَـةٍ دَارَتْ عَلَـى ... مُخْتَطِـهِ دَوْرَ السِّـوَارِ بِمِعْصَـمِ

كَـمْ لَيْلَـةٍ قَـدْ بِـتَّ فِيهَـا سَـاهِـراً ... تُهْـدِي ٱلأَمَـانَ إِلَـى ٱلْعُيُـونِ ٱلنُّـوَّمِ

يَـا مُظْهِـرَ ٱلأَلْطَـافِ وَهْـيَ خَفِيَّـةٌ ... وَمُهِّـبَ رِيـحِ ٱلنَّصْـرِ لِلْمُتَنَسِّـمِ

لِلَّـهِ دَوْلَتُـكَ ٱلَّتِـي آثَـارُهَـا ... سِيَـرٌ[1] ٱلـرِّكَـابُ لِمُنْجِـدٍ أَوْ مُتْهِـمِ

مَا بَعْدَ يَوْمِكَ فِي ٱلْمَوَاسِمِ بَعْدَمَا ... أَتْبَعْـتَ عِيـدَ ٱلْفِطْـرِ أَكْـرَمَ مَـوْسِـمِ

وَافَتْـكَ أَشْـرَافُ ٱلْبِـلَادِ لِيَـوْمِهَـا[2] ... مِـنْ كُـلِّ نَـدْبٍ لِلْعُلَـى مُتَسَنِّـمِ

صَـرَفُـوا إِلَيْـكَ رِكَـابَهُـمْ وَتَيَمَّمُـوا ... مِـنْ بَـابِـكَ ٱلْمُنْتَـابِ خَيْـرَ مُيَمَّـمِ

وَتَبَـوَّؤُوا مِنْـهُ بِـدَارِ كَـرَامَـةٍ ... فَـٱلْكُـلُّ بَيْـنَ مُقَـرَّبٍ وَمُنَعَّـمِ

وَدَّتْ نُجُـومُ ٱلأُفْـقِ لَـوْ مَثَلَـتْ بِـهِ ... لِتَفُـوزَ فِيـهِ بِـرُتْبَـةِ ٱلْمُسْتَخْـدَمِ

وَٱلْـرَّوْضُ مُخْتَـالٌ بِحُلَّـةِ سُنْـدُسٍ ... مِـنْ كُـلِّ مَوْشِـيِّ ٱلـرُّقُـومِ مُنَمْنَمِ

وَرِيَـاحُـهُ نَسَمَـتْ بِنَشْـرٍ لَطِيمَـةٍ ... وَأَقَـاحُـهُ بَسَمَـتْ بِثَغْـرٍ مُثَلَّـمِ[3]

وَأَرَيْتَنَـا فِيـهِ عَجَـائِـبَ جَمَّـةً ... لَـمْ تَجْـرِ فِـي خَلَـدٍ وَلَـمْ تُتَـوَهَّـمِ

أَرْسَلْـتَ سَـرَعَـانَ ٱلْجِيَـادِ كَـأَنَّهَـا ... أَسْـرَابُ طَيْـرٍ فِـي ٱلتَّنُـوفَـةِ حُـوَّمَ

مِـنْ كُـلِّ مُنْحَفِـزٍ بِخَطْفَـهِ بَـارِقٍ ... قَـدْ كَـادَ يَسْبِـقُ لَمْحَـةَ ٱلْمُتَـوَهِّـمِ

طِـرْفٍ يَشُـكُّ ٱلطَّـرْفُ فِـي ٱسْتِثْبَـاتِـهِ ... فَكَـأَنَّـهُ ظَـنٌّ بِصَـدْرِ مُـرَجِّـمِ

وَمُسَـافِـرٍ فِـي ٱلْجَـوِّ تَحْسِـبُ أَنَّـهُ ... يَـرْقَـى إِلَـى أَوْجِ السَّمَـاءِ بِسُلَّـمِ

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «يَسْرِي».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِيَومِهِ».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مُنَلَّمِ»؛ والمثلّم: المفلّج الأسنان.

رَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهْوَ مُمَنَّعُ فَأُصِيبَ مِنْ قُضُبِ الْعِصِيِّ بِأَسْهُمِ
رَجَمَتْهُ مِنْ شُهْبِ النِّصَالِ حَوَاصِبٌ لَوْلاَ تَعَرُّضُهُ لَهَا لَمْ يُرْجَمِ
وَمُدَارَةُ الأَفْلاَكِ أَعْجَزَ كُنْهُهَا إبْدَاعَ كُلِّ مُهَنْدِسٍ ومُهَنْدِمِ
يَمْشِي الرِّجَالُ بِجَوْفِهَا وَجَمِيعُهُمْ عَنْ مُسْتَوَى قَدَمَيْهِ لَمْ يَتَقَدَّمِ
وَمُنَوَّعِ الْحَرَكَاتِ قَدْ رَكِبَ الْهَوَا يَمْشِي عَلَى خَطٍّ بِهِ مُتَوَهَّمِ
فَإِذَا هَوَى مِنْ جَوِّهِ ثُمَّ اسْتَوَى أَبْصَرْتَ طَيْراً حَلَّ صُورَةَ آدَمِي
يَمْشِي عَلَى فَنَنِ الرِّشَاءِ كَأَنَّهُ فِيهِ مُسَاوِرُ ذَابِلٍ أَوْ أَرْقَمِ
وَإِلَيْكَ مِنْ صَوْنِ الْعُقُولِ عَقِيلَةً وَقَفَتْ بِبَابِكَ وِقْفَةَ الْمُسْتَرْحِمِ
تَرْجُو قَبُولَكَ وَهْوَ أَعْظَمُ[1] مِنْحَةٍ فَاسْمَحْ بِهِ خُلِّدْتَ مِنْ مُتَكَرِّمِ
طَارَدْتُ فِيهَا وَصْفَ كُلِّ غَرِيبَةٍ فَنَظَمْتُ شَارِدَةَ الَّذِي لَمْ يُنْظَمِ
وَدَعَوْتُ أَرْبَابَ الْبَيَانِ أُرِيهُمُ: «كَمْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ»[2]
مَا ذَاكَ إلاَّ بَعْضُ أَنْعُمِكَ الَّتِي قَدْ عَلَّمَتْنَا كَيْفَ شُكْرُ الْمُنْعِمِ

(87)

ثم أورد هذا المؤلّف[3] قصيدة ميمية[4] طويلة، أولُها:

[الطويل]

هَنَاءٌ لَهُ ثَغْرُ الْهُدَى يَتَبَسَّمُ وبُشْرَى بِهَا عَرْفُ الرِّضَى يَتَنَسَّمُ
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الثَّغْرِ عَنْهَا بِشَارَةً فَأَعْدَى ثُغُورَ الثَّغْرِ مِنْهُ الْتَبَسُّمُ
وَلاَ عَجَبٌ مِنْ مَبْسِمِ الزَّهْرِ فِي الرُّبَى فَلِلْبَرْقِ مِنْ خَلْفِ السَّحَائِبِ مَبْسِمُ
عِنَايَةُ مَنْ أَعْطَى الْخَلِيفَةَ رُتْبَةً عَلَيْهَا النُّجُومُ النَّيِّرَاتُ تُحَوِّمُ

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أَكْبَرُ»؛ وعند نيفر: «أَكْرَمُ».
(2) تضمين لصدر البيت الأول من معلّقة عنترة المشهورة.
(3) هو حفيد ابن الأحمر جامع الديوان. السّلطان يوسف III.
(4) هي مدحية وعيدية.

فَمِنْــهُ اسْتَفَــادَ الْمُلْــكُ كُــلَّ غَــرِيبَــةٍ   تُخَــطُّ عَلَــى صَفْــحِ الــزَّمَــانِ وتُرْسَمُ
وَمِنْــهُ تَلَقَّــى الْهَــدْيَ كُــلُّ خَلِيفَــةٍ   كَــأَنَّهُــمُ مِمَّــا أَفَــادَ تَعَلَّمُــوا

ومنها بعد نيّفٍ على ستين بيتاً[1] :

وَكَــمْ مِــنْ لِــوَاءٍ فِــي الْفُتُــوحِ نَشَــرْتَــهُ   وَلِلــرُّعْــبِ جَيْــشٌ دُونَــهُ يَتَقَــدَّمُ
فَقُــلْ لِمُلُــوكِ الأَرْضِ دُونَكُــمْ ارْبَعُــوا   فَــذَا عَلَــمٌ مَــا زَالَ[2] بِــالنَّصْــرِ يُعْلَــمُ
تَسَــامَــتْ بِــهِ لِلنَّصْــرِ أَشْــرَفُ هِمَّــةٍ[3]   لَهَــا مِــنْ رَسُــولِ اللَّــهِ عَهْــدٌ مُكَــرَّمُ
وَكَــمْ مِــنْ جِهَــادٍ قَــدْ أَقَمْــتَ فُــرُوضَــهُ   يُــزَارُ بِــهِ الْبَيْــتُ الْعَتِيــقُ وزَمْــزَمُ
وَكَــمْ عَــزْمَــةٍ جَــرَّدْتَ مِنْهَــا إِلَــى الْعِــدَا   حُسَــامــاً بِــهِ دَاءُ الضَّــلاَلَــةِ يُحْسَــمُ
وَكَــمْ بَيْــتِ مَــالٍ فِــي الْجِهَــادِ بَــذَلْتَــهُ   وَأَقْــرَضْــتَ مِنْــهُ اللَّــهَ مَــا اللَّــهُ يَعْلَــمُ
وَكَــمْ لَيْلَــةٍ قَــدْ جِئْــتَ فِيهَــا بِلَيْلَــةٍ   مِــنَ النَّقْــعِ فِيهَــا لِــلأَسِنَّــةِ أَنْجُــمُ
سَهِــرْتَ بِهَــا وَاللَّــهُ يَكْتُــبُ أَجْــرَهَــا   تُــؤَمِّــنُ فِيهَــا الْخَلْــقَ وَالْخَلْــقُ نُــوَّمُ
وَفَــوْقَــكَ مِــنْ سَعْــدٍ لِــوَاءٌ مُشَهَّــرٌ   وَدُونَــكَ مِــنْ عَــزْمٍ حُسَــامٌ مُصَمِّــمُ
إِذَا أَنْــتَ جَهَّــزْتَ الْجِيَــادَ لِغَــارَةٍ   فَــإِنَّ صَبَــاحَ الحَــيِّ أَغْبَــرُ أَقْتَــمُ
فَمِــنْ أَشْهَــبٍ مَهْمَــا يَكُــرَّ رَأَيْتَــهُ   صَبَــاحــاً بِلَيْــلِ النَّقْــعِ لاَ يَتَكَتَّــمُ
وَأَحْمَــرَ قَــدْ أَذْكَــى بِــهِ الْبَــاسُ جَــذْوَةً   إِذَا ابْتَــلَّ عِطْفــاً فِــي الْــوَغَــى يَتَضَــرَّمُ
وَأَشْقَــرَ أَعْــدَى الْبَــرْقَ لَــوْنــاً وَسُــرْعَــةً   وَلَكِــنْ لَــهُ دُونَ الْبُــرُوقِ التَقَــدُّمُ
وَأَصْفَــرَ فِــي لَــوْنِ الْعَشِــيِّ وَذَيْلُــهُ   بِلَــوْنِ الَّــذِي بَعْــدَ الْعَشِيَّــةِ يُعْلَــمُ
وأَدْهَــمَ مِثْــلِ اللَّيْــلِ وَالْبَــدْرُ غُــرَّةٌ   وَبِالشُّهْــبِ فِــي حَلْــيِ المُقَلَّــدِ مُلْجَــمُ
وَأَشْهَبَ كَالْقِرْطَاسِ قَدْ خَطَّ صَفْحَهُ   كِتَــابٌ مِــنَ النَّصْــرِ الْمُــؤَزَّرِ مُحْكَــمُ
وَرُبَّ جِــلاَدٍ مِــنْ جِــدَالٍ سَطَــرْتَــهُ   يَــرَاعُ الْقَنَــا فِيــهِ تَخُــطُّ وتَــرْسُــمُ

(1) على عادة جامع الديوان في الاختيار فهو يختصر في الغالب (انظر المقدمة).
(2) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «دُونَكُمْ فَقَدْ أُعْلِمُ مَا لاَ زَالَ...».
(3) في أزهار: «ذمّة».

وقَامَ خَطِيبُ السَّيْفِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فَـأَعْجَبُ مِنْهُ أَعْجَمٌ يَتَكَلَّمُ
فَكَمْ مِنْ رُؤُوسٍ عَنْ جُسُومٍ أَزَالَهَا فَأَثْكَلَ مِنْهَا كُلَّ بَاغٍ يُجَسِّمُ
وَزُرْقِ عُيُونٍ لِلأَسِنَّةِ قَدْ بَكَتْ وَلاَ دَمْعَ إِلاَّ مَا أُسِيلَ بِهِ[1] الدَّمُ
وَنَهْرِ حُسَامٍ كُلَّمَا أَغْرَقَ الْعِدَا تَلَقَّتْهُمْ مِنْهُ سَرِيعاً جَهَنَّمُ
فَأَصْلَيْتَ عُبَّادَ ٱلْمَسِيحِ مِنَ ٱلْوَغَى سَعِيراً بِهِ يَرْضَى ٱلْمَسِيحُ وَمَرْيَمُ
أَبِدْ زُمَرَ[2] التَّثْلِيثِ بِاللَّهِ وَحْدِهِ فَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَاللَّهُ يَعْصِمُ
وَنَبِّهْ سُيُوفاً[3] مَاضِيَاتٍ عَلَى الْعِدَا وَخَلِّ جُفُونَ الْمُرْهَفَاتِ تُهَوِّمُ
وَلِلَّهِ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ مُوَدِّعٍ عَلَى كُلِّ مَخْتُومِ السَّعَادَةِ يَكْرُمُ
تَنَزَّلَ فِيهِ الذِّكْرُ مِنْ عِنْدَ رِبِّنَا فَيُبْدَأُ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ ويُخْتَمُ
وَلِلَّهِ فِيهِ مِنْ لَيَالٍ مُنِيرَةٍ أَضَاءَ[4] بِنُورِ الْوَحْيِ مِنْهُنَّ مُظْلِمُ
وَصَابَتْ سَحَابُ الدَّمْعِ يُمْحَى بِمَائِهَا مِنَ الصُّحْفِ أَوْزَارٌ تُخَطُّ وَمَأْثَمُ
وَلِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْ غَدَتْ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فِي الثَّوَابِ تُقَدَّمُ
تَبِيتُ بِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ بِإِذْنِهِ مَلاَئِكَةُ السَّبْعِ الطِّبَاقِ تُسَلِّمُ
وَبُشْرَى بِعِيدِ الْفِطْرِ أَيْمَنَ قَادِمٍ عَلَيْكَ بِمَجْمُوعِ الْبَشَائِرِ يَقْدَمُ
جَعَلْتَ قِرَاهُ سُنَّةً نَبَوِيَّةً لَهَا فِي شِعَارِ الدِّينِ قَدْرٌ مُعَظَّمُ
وَمِنْ دَعَوَاتٍ لِلإِلاَهِ رَفَعْتَهَا تُسَدَّدُ مِنْهَا لِلإِجَابَةِ أَسْهُمُ
وَفِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ مُحَيَّاكَ قُرَّةٌ وَفِي كُلِّ كَفٍّ مِنْ نَوَالِكَ أَنْعُمُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَفْخَرْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَلاَ أَبْصَرَ الإِصْبَاحُ[5] مَنْ يَتَوَسَّمُ

---

(1) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «ما أسال بها».

(2) اخترنا قراءة نيفر وهي الأرجح؛ إذ قراءة أزهار تبقى غامضة: «أَبَرَّ مِنَ التثليثِ؟».

(3) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «سُعُوداً».

(4) «أنارَ» عنده أيضاً.

(5) كذا عنده؛ وفي أزهار: «المِصْبَاحُ».

فَمَـا مَهَّدَ الإِسْـلاَمَ غَيْرُ خَلِيفَـةٍ عَلَـى عِطْفِـهِ دُرُّ الْمَحَـامِـدِ يُنْظَـمُ

فَكَـمْ بَيْتِ شِعْـرٍ قَـدْ عَمَرْتُ بِـذِكْـرِهِ فَبَـاتَ بِـهِ حَـادِي السُّـرَى يَتَـرَنَّـمُ

وَلَيْـسَ بُيُـوتـاً بَـلْ قُصُـوراً مَشِيـدَةً تُطِـلُّ عَلَـى أَوْجِ الْعُلَـى وتُخَيِّـمُ

وَمَـا ضَرَّهَـا أَنْ قَـدْ[1] تَـأَخَّـرَ عَصْـرُهَـا إِذَا طَـالَ مَبْنَـاهَـا الَّـذِيـنَ تَقَـدَّمُـوا

وَمُـذْ[2] أَنْـتَ مَـوْلاَهَـا وَعَـامِـرُ رَبْعِهَـا فَكُـلُّ فَخَـارٍ تَـدَّعِيـهِ مُسَلَّـمُ

أَنَـا الْعَبْـدُ قَـدْ أَسْكَنْتَـهُ جَنَّـةَ الـرِّضَـا فَـلاَ زِلْـتَ فِيهَـا خَـالِـداً تَتَنَعَّـمُ[3]

وَلاَ زِلْتُ فِي الأَعْيَادِ سَاجِعَ رَوْضِهَا إِذَا احْتَفَلَـتْ أَشْـرَافُهَـا أَتَـرَنَّـمُ

بَقِيـتَ مَتَـى يَبْلَـى الـزَّمَـانُ تُجِـدُّهُ وَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِنْـكَ عِيـدٌ وَمَـوْسِـمُ

وَدُمْـتَ لأَلْـفِ مِثْلِـهِ فِـي سَعَـادَةٍ يَـذِلُّ بِهَـا بَـاغٍ وَيَعْتَـزُّ مُسْلِـمُ

وَلَمَّـا رَأَيْـتُ الْمَـدْحَ جُهْـدَ مُقَصِّـرٍ وَأَنَّـكَ أَعْلَـى مِـنْ مَـدِيحِي وَأَعْظَـمُ

خَتَمْـتُ ثَنَـائِـي بِـالـدُّعَـاءِ[4] وَهَـا أَنَـا أُقَبِّـلُ فِـي كَـفِّ النَّـدَى وَأُسَلِّـمُ

(88)

وأنشد السلطان[5] في ليلة ميلاد رسول الله ﷺ عَقِب ما فرغ من البنية المشهورة ببابه ـ رحمه الله[6] ـ:

[الطويل]

تَـأَمَّـلَ أَطْـلاَلَ الْهَـوَى فَتَـأَلَّمَـا وَسِيمَـا الْجَـوَى وَالسُّقْـمَ مِنْـهُ[7] تَعَلَّمَـا

---

(1) عند نيفر: «لَمَّا تَأَخرَ».
(2) «وَإِذْ» في أزهار؛ واخترنا قراءة نيفر.
(3) عنده أيضاً: «فلا زلتُ... أَتَنَعَّمُ».
(4) عنده كذلك: «دُعائي بالثناء» وهو جائز أيضاً.
(5) هو الغني بالله.
(6) هذا التقديم جاء في الإحاطة (II/ 230)؛ ويذكر المقري في نفح (X / 13) أنّ القصيدة تقارب تسعين بيتاً»، لكن لم يُثبت منها ـ ولا ابن الخطيب ـ إلاّ البيتين؟.
(7) كذا في نفح؛ وفي الإحاطة: «مِنْهَا».

أَخُـو زَفْـرَةٍ هَـاجَـتْ لَـهُ مِنْـهُ ذِكْـرُهُ[1] فَـأَنْجَـدَ فِـي شِعْـبِ الْغَـرَامِ وَأَتْهَمَـا

(89)

ومن أبياته الغراميات:

[الوافر]

قِيَـــادِي قَـــدْ تَمَلَّكَـــهُ الْغَـــرَامُ وَوَجْـــدِي لاَ يُطَـــاقُ ولا يُـــرَامُ

وَدَمْعِـــي دُونَـــهُ صَـــوْبُ الْغَـــوَادِي وَشَجْـوِي فَـوْقَ مَـا يَشْـدُو[2] الحَمَـامُ

إذَا مَـا الْـوَجْـدُ لَـمْ يَبْـرَحْ فُـؤَادِي عَلَـى الـدُّنْيَـا وَسَـاكِنِهَـا السَّـلاَمُ

(90)

فَتَوَّجَهُ بالعمامة[3] التي ارتجل بين يديه فيها:

[مخلّع البسيط]

تَـــوَّجْتَنِـــي بِعِمَـــامَـــهْ تُـــوِّجْـــتَ تَـــاجَ الْكَـــرَامَـــهْ

فَـــرَوْضُ حَمْـــدِكَ يُـــزْهَـــى مِنِّـــي بِسَجْـــعِ الْحَمَـــامَـــهْ

(91)

وأنشده وهو على جوادٍ أدهم:

[الطويل]

تَجَلَّـى لَنَـا الْمَـوْلَـى الإِمَـامُ مُحَمَّـدٌ عَلَـى أَدْهَـمٍ قَـدْ رَاقَ حُسْـنُ أَدِيمِـهِ

فَأَبْصَرْتُ صُبْحاً فَوْقَ لَيْلٍ وَقَدْ حَكَى مُقَلَّـدَ ذَاكَ الطِّـرْفِ بَعْـضُ نُجُـومِـهِ

---

(1) كذا في الإحاطة؛ وفي نفح: «نَارُ ذِكْرَةٍ».

(2) كذا في الإحاطة؛ وفي نفح: «يَشْكُو».

(3) هي العمامة الصوفية؛ توّج بها «الخطيبُ المعظّم أبو عبد الله بن مرزوق» صَفِيَّهُ ابن زمرك بعد أن هداه إلى «طريق الخطبة ومناهج الصوفية» وكان ذلك عند تغرّبه إلى المغرب في دولة السلطان أبي سالم المريني (انظر أزهار: 15/II).

(92)

وأنشده فيه أيضاً[1]:

[الطويل]

لَكَ الْخَيْرُ شَأْنُ الْجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ ... وَهَذَا بِعَيْنِ اللَّهِ يُحْرَسُ دَائِمَا

تَبِيتُ لَهُ خَمْسُ الثُّرَيَّا مُعِيذَةً ... تُقَلِّدُهُ زُهْرَ النُّجُومِ تَمَائِمَا

فَيَا جَفْنُ لاَ تَنْفَكَّ فِي الْحِفْظِ دَائِماً ... وَإِنْ كُنْتَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ عَائِمَا

(93)

ومن شعره في عَرض النَّسيب[2]:

[الطويل]

رَضِيتُ بِمَا تَقْضِي عَلَيَّ وَتَحْكُمُ ... أُهَانُ فَأُقْصَى أَمْ أُعَزُّ فَأُكْرَمُ

إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ قِيَادُهُ ... فَمَا لِي عَلَيْهِ فِي ٱلْهَوَى أَتَحَكَّمُ

عَلَى أَنَّ رُوحِي فِي يَدَيْكَ بَقَاؤُهَا ... بِوَصْلِكَ تَحْيَى أَوْ بِهَجْرِكَ تُعْدَمُ

وَأَنْتَ إِلَى ٱلْمُشْتَاقِ نَارٌ وَجَنَّةٌ ... بِبُعْدِكَ يَشْقَى أَوْ بِقُرْبِكَ يَنْعَمُ

وَلِي كَبِدٌ تَنْدَى إِذَا مَا ذَكَرْتُمُ ... وَقَلْبٌ بِنِيرَانِ ٱلْهَوَى يَتَضَرَّمُ

وَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْكَ بِٱلْبَرْقِ مَا سَرَى ... وَلاَ ٱسْتَصْحَبَ ٱلأَنْوَاءَ تَبْكِي وَتَبْسِمُ

أُرَاعِي نُجُومَ ٱلأُفْقِ فِي ٱللَّيْلِ مَا دَجَا ... وَأَقْرَبُ مِنْ عَيْنَيَّ لِلنَّجْمِ أَنْجُمُ

وَمَا زِلْتُ أُخْفِي ٱلْحُبَّ عَنْ كُلِّ عَاذِلٍ ... وَتُبْدِي دُمُوعُ ٱلصَّبِّ مَا هُوَ يَكْتُمُ

كَسَانِي ٱلْهَوَى ثَوْبَ ٱلسَّقَامِ وَإِنَّهُ ... مَتَى صَحَّ حُبُّ ٱلْمَرْءِ لاَ شَيْءَ يُسْقِمُ

فَيَا مَنْ لَهُ ٱلْفِعْلُ ٱلْجَمِيلُ سَجِيَّةٌ ... وَمِنْ جُودِ يُمْنَاهُ ٱلْحَيَا يَتَعَلَّمُ

---

(1) أي في أبي العباس السلطان المريني في «غُرَاب من إنشائه» وهو الجفن أرسله في البحر (انظر أزهار: II/ 175).

(2) انفرد ابن الخطيب برواية هذه القصيدة «الإحاطة: II/ 234» ولم يروها ابن الأحمر في الديوان.

وَعَنْـهُ يُـروِّي ٱلنَّـاسُ كُـلَّ غَـرِيبَـةٍ ... تُخَـطُّ عَلَـى صَفْـحِ ٱلـزَّمَـانِ وَتُـرْسَـمُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْ خُضُوعِيَ فِي ٱلْهَوَى ... فَمَـنْ ذَا ٱلـذِّي يَحْنِـي عَلَـيَّ وَيَـرْحَـمُ
وَوَٱللهِ مَـا فِـي ٱلْحَـيِّ حَـيٌّ وَلَـمْ يَنَـلْ ... رِضَـاكَ وَعَمَّتْـهُ أَيَـادٍ وَأَنْعُـمُ
وَمِـنْ قَبْـلُ مَـا طَـوَّقْتَنِـي كُـلَّ نِعْمَـةٍ ... كَـأَنِّـيَ وَإِيَّـاهَـا سِـوَارٌ وَمِعْصَـمُ
وَفَتَّحْـتَ لِـي بَـابَ ٱلْقَبُـولِ مَـعَ ٱلـرِّضَـا ... فَمَـا بَـالُ ذَاكَ ٱلْبَـابِ عَنِّـيَ مُبْهَـمُ
وَلَوْ كَانَ لِي نَفْسٌ تَخُونُكَ فِي ٱلْهَوَى ... لَفَـارَقْتُهَـا طَـوْعـاً وَمَـا كُنْـتُ أَنْـدَمُ
وَأَتْـرُكُ أَهْلِـي فِـي رِضَـاكَ إِلَـى ٱلأَسَـى ... وَأُسْلِـمُ نَفْسِـي فِـي يَـدَيْـكَ وَأَسْلَـمُ
أَمَـا وَٱلـذِّي أَشْقَـى فُـؤَادِي وَقَـادَنِـي ... وَإِنْ كَـانَ فِـي تِلْـكَ ٱلشَّقَـاوَةِ يَنْعَـمُ
لأَنْـتَ مُنَـى قَلْبِـي وَنُـزْهَـةُ خَـاطِـرِي ... وَمَـوْرِدُ آمَـالِـي وَإِنْ كُنْـتُ أُحْـرَمُ

قافيـة النّـون

(94)

وأنشد في مولد عام 765:

[الطويل]

لَعَلَّ ٱلصَّبَا إِنْ صَافَحَتْ رَوْضَ نَعْمَانِ ... تُؤَدِّي أَمَانَ ٱلْقَلْـبِ عَـنْ ظَبْيَـةِ ٱلْبَـانِ
وَمَـاذَا عَلَـى ٱلأَرْوَاحِ وَهْـيَ طَلِيقَـةٌ ... لَـوِ ٱحْتَمَلَـتْ أَنْفَـاسُهَـا حَـاجَـةَ ٱلْعَانِي؟
وَمَـا حَـالُ مَـنْ يَسْتَـوْدِعِ ٱلـرِّيـحَ سِـرَّهُ ... وَيَطْلُبُهَـا وَهْـيَ ٱلنَّمُـومُ بِكِتْمَـانِ؟
وَكَـٱلطَّيْـفِ أَسْتَقْـرِيـهِ فِـي سِنَـةِ ٱلْكَـرَى ... وَهَـلْ تَنْقَـعُ ٱلأَحْـلاَمُ غُلَّـةَ ظَمْـآنِ
أُسَـائِلُ عَـنْ نَجْـدٍ وَمَرْمَـى صَبَـابَتِـي ... مَـلاَعِـبَ غِـزْلاَنِ الصَّـرِيـمِ بِنَعْمَـانِ
وَأُبْـدِي إِذَا رِيـحُ ٱلشَّمَـالِ تَنَفَّسَـتْ ... شَمَـائِـلَ مُـرْتَـاحِ ٱلْمَعَـاطِـفِ نَشْـوَانِ
عُـرِفْـتُ بِهَـذَا ٱلْحُـبِّ لَـمْ أَدْرِ سَلْـوَةً ... وَأَنَّـى لِمَسْلُـوبِ ٱلْفُـؤَادِ بِسُلْـوَانِ
فَيَـا صَـاحِبَـيْ نَجْـوَايَ وَٱلْحُـبُّ غَـايَـةٌ ... فَمِـنْ سَـابِـقٍ جَلَّـى مَـدَاهِ وَمِـنْ وَانِـي
وَرَاءَكُمَـا مَـا ٱللَّـوْمُ يَثْنِـي مَقَـادَتِـي ... فَـإِنِّـيَ عَـنْ شَـأْنِ ٱلْمَـلاَمَـةِ فِـي شَـانِ

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلأَبِيَّ قِيَادُهُ ... لَيَأْمُرُنِي حُبُّ ٱلْحِسَانِ وَيَنْهَانِي

وَلاَ زِلْتُ[1] أَرْعَى ٱلْعَهْدَ فِيمَنْ يُضِيعُهُ ... وَأَذْكُرُ إِلْفِي مَا حَيِيتُ وَيَنْسَانِي

فَلاَ تُنْكِرَا مَا سَامَنِي مَضَضُ ٱلْهَوَى ... فَمِنْ قَبْلُ قَدْ[2] أَوْدَى بِقَيْسٍ وَغَيْلاَنِ[3]

لِيَ ٱللَّهُ إِمَّا أَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلدُّجَى ... أُقَلِّبُ تَحتَ ٱللَّيْلِ مُقْلَةَ[4] وَسْنَانِ

وَإِنْ سُلَّ مِنْ غِمْدِ ٱلْغَمَامِ حُسَامُهُ ... بَرَى كَبِدِي ٱلشَّوْقُ ٱلْمُلِمُّ وَأَضْنَانِي

تَرَاءَى بِأَعْلاَمِ ٱلثَّنِيَّةِ بَاسِمًا ... فَأَذْكَرَنِي ٱلْعَهْدَ ٱلْقَدِيمَ وَأَبْكَانِي

أُسَامِرُ نَجْمَ ٱلأُفْقِ حَتَّى كَأَنَّنَا ... وَقَدْ سَدَلَ ٱللَّيْلُ ٱلْرِوَاقَ حَلِيفَانِ

وَمِمَّا أُنَاجِي ٱلأُفْقَ أُعْدِيهِ بِٱلْجَوَى ... فَأَرْعَى لَهُ سَرْحَ ٱلنُّجُومِ وَيَرْعَانِي

وَيُرْسِلُ صَوْبَ ٱلْقَطْرِ مِنْ فَيْضِ أَدْمُعِي ... وَيَقْدَحُ زَنْدَ ٱلْبَرْقِ مِنْ نَارِ أَشْجَانِي

وَضَاعَفَ وَجْدِي رَسْمُ دَارٍ عَهِدْتُهَا ... مَطَالِعَ شُهْبٍ أَوْ مَرَاتِعَ غِزْلاَنِ

عَلَى حِينِ شِرْبُ ٱلْوَصْلِ غَيْرُ مُصَرَّدٍ ... وَصَفْوُ ٱللَّيَالِي لَمْ يُكَدَّرْ بِهِجْرَانِ

لَئِنْ أَنْكَرَتْ[5] عَيْنِي ٱلطُّلُولَ فَإِنَّهَا ... تَمُتُّ إِلَى قَلْبِي بِذِكْرٍ وَعِرْفَانِ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ٱلدَّمْعِ فِي عَرَصَاتِهَا ... سَقَى تُرْبَهَا حِينَ ٱسْتَهَلَّ وَأَظْمَانِي

وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ سَرَى ٱلرَّكْبُ مَوْهِنًا ... تُقَادُ بِهِ هُوجُ ٱلرِّيَاحِ بِأَرْسَانِ

غَوَارِبُ فِي بَحْرِ ٱلسَّرَابِ تَخَالُهَا ... وَقَدْ سَبَحَتْ فِيهِ مَوَاخِرَ غِرْبَانِ

عَلَى كُلِّ نِضْوٍ مِثْلِهِ فَكَأَنَّمَا ... رَمَى مِنْهُمَا صَدْرَ ٱلْمَفَازَةِ سَهْمَانِ

وَمِنْ زَاجِرٍ كَوْمَاءَ مُخْطَفَةِ ٱلْحَشَا ... تَوَسَّدَ مِنْهَا فَوْقَ عَوْجَاءَ مِرْنَانِ

نَشَاوَى غَرَامٍ يَسْتَمِيلُ رُؤُوسَهُمْ ... مِنَ ٱلنَّوْمِ وَٱلشَّوْقِ ٱلْمُبَرِّحِ سُكْرَانِ

أَجَابُوا نِدَاءَ ٱلْبَيْنِ طَوْعَ غَرَامِهِمْ ... وَقَدْ تُبْلِغُ ٱلأَوْطَارَ فُرْقَةُ أَوْطَانِ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فَما زلتُ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «مَا».

(3) يشير إلى مجنون بني عامر؟ فذي الرُّمّة.

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أجفانَ».

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «كَدَّرَتْ».

يَؤُمُّونَ مِنْ قَبْرِ ٱلشَّفِيعِ مَثَابَةً ... تَطَلَّعُ مِنْهَا جَنَّةٌ ذَاتُ أَفْنَانِ

إِذَا نَزَلُوا مِنْ طَيْبَةٍ بِجِوَارِهِ ... فَأَكْرِمْ مَوْلًى ضَمَّ أَكْرَمَ ضِيفَانِ

بِحَيْثُ عَلاَ ٱلإِيمَانُ وَٱمْتَدَّ ظِلُّهُ ... وَزَانَ حِلَى ٱلتَّوْحِيدِ تَعْطِيلُ أَوْثَانِ

مَطَالِعُ آيَاتٍ مَثَابَةُ رَحْمَةٍ ... مَعَاهِدُ أَمْلاَكٍ مَظَاهِرُ إِيمَانِ

هُنَالِكَ تَصْفُو لِلْقَبُولِ مَوَارِدٌ ... يُسَقَّوْنَ مِنْهَا فَضْلَ عَفْوٍ وَغُفْرَانِ

هُنَالِكَ تُؤَدَّى لِلسَّلاَمِ أَمَانَةٌ ... يُحَيِّيهِمُ عَنْهَا بِرَوْحٍ وَرَيْحَانِ

يُنَاجُونَ عَنْ قُرْبٍ شَفِيعَهُمُ ٱلَّذِي ... يُؤَمِّلُهُ ٱلْقَاصِي مِنَ ٱلْخَلْقِ وَٱلدَّانِي

لَئِنْ بُلِّغُوا دُونِي وَخُلِّفْتُ إِنَّهُ ... قَضَاءٌ جَرَى مِنْ مَالِكِ ٱلأَمْرِ[1] دَيَّانِ

وَكَمْ عَزْمَةٍ مَنَّيْتُ[2] نَفْسِيَ صِدْقَهَا[3] ... وَقَدْ عَرَفَتْ مِنِّي مَوَاعِدَ لَيَّانِ[4]

إِلَى ٱللَّهِ نَشْكُوهَا نُفُوساً أَبِيَّةً ... تَحِيدُ عَنِ ٱلْبَاقِي وَتَغْتَرُّ بِٱلْفَانِي

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُسَاعِدُنِي ٱلْمُنَى ... فَأَتْرُكَ أَهْلِي فِي رِضَاهُ وَجِيرَانِي

وَأَقْضِي لُبَانَاتِ ٱلْفُؤَادِ بِأَنْ أَرَى ... أُعَفِّرُ خَدِّيَ فِي ثَرَاهُ وَأَجْفَانِي

إِلَيْكَ رَسُولَ ٱللَّهِ دَعْوَةَ نَازِحٍ ... خَفُوقِ ٱلْحَشَا رَهْنِ ٱلْمَطامعِ هَيْمَانِ

غَرِيبٍ بِأَقْصَى ٱلْغَرْبِ قَيَّدَ خَطْوَهُ ... شَبَابٌ تَقَضَّى فِي مَرَاحٍ وَخُسْرَانِ

يُجِدُّ ٱشْتِيَاقاً لِلْعَقِيقِ وَبَانِهِ ... وَيَصْبُو إِلَيْهَا مَا ٱسْتَجَدَّ ٱلْجَدِيدَانِ

وَإِنْ أَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ ٱلْحِجَازِيُّ مَوْهِناً ... يُرَدِّدُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ أَنَّةَ لَهْفَانِ

فَيَا مُولِيَ ٱلرُّحْمَى وَيَا مُذْهِبَ ٱلْعَمَى ... وَيَا مُنْجِدَ[5] ٱلْغَرْقَى وَيَا مُنْقِذَ ٱلْعَانِي

بَسَطْتُ يَدَ ٱلْمُحْتَاجِ يَا خَيْرَ رَاحِمٍ ... وَذَنْبِيَ ٱلْجَانِي إِلَى مَوْقِفِ ٱلْجَانِي

وَسِيلَتِيَ ٱلْعُظْمَى شَفَاعَتُكَ ٱلَّتِي ... يَلُوذُ بِهَا عِيسَى وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانِ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الأَرْضِ».

(2) في نفح: «مَلَّيتُ».

(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «صَرْفَهَا».

(4) اللَّيان: المماطلة.

(5) «مُنْجِيَ» في نفح.

فَـأَنْـتَ حَبِيـبُ ٱللَّـهِ خَـاتِـمُ رُسْلِـهِ   وَأَكْـرَمُ مَخْصُـوصٍ بِزُلْفَـى وَرِضْـوَانِ

وَحَسْبُـكَ أَنْ سَمَّـاكَ أَسْمَـاءَهُ ٱلْعُلَـى   وذَاكَ كَمَـالٌ لاَ يُشَـابُ[1] بِنُقْصَـانِ

وَأَنْـتَ لِهَـذَا ٱلْكَـوْنِ عِلَّـةُ كَـوْنِـهِ   وَلَـوْلاَكَ مَـا ٱمْتَـازَ ٱلْـوُجُـودُ بِـأَكْـوَانِ

وَلَـوْلاَكَ لِـلأَفْـلاَكِ لَـمْ تَجْـلُ نَيِّـرًا   وَلاَ قُلِّـدَتْ لَبَّـاتُهُـنَّ بِشُهْبَـانِ

خُـلاَصَـةُ صَفْـوِ ٱلْمَجْـدِ مِنْ آلِ هَـاشِـمٍ   وَنُكْتَـةُ سِـرِّ ٱلْفَخْـرِ مِـنْ آلِ عَـدْنَـانِ

وَسَيِّـدُ هَـذَا ٱلْخَلْـقِ مِـنْ نَسْـلِ آدَمٍ   وَأَكْـرَمُ مَبْعُـوثٍ إِلَـى الإِنْـسِ وَٱلْجَـانِ

وَكَـمْ آيَـةٍ أَطْلَعْـتَ فِـي أُفُـقِ ٱلْهُـدَى   يَبِيـنُ صَبَـاحُ ٱلـرُّشْـدِ مِنْهَـا لِيَقْظَـانِ

وَمَا ٱلشَّمْسُ يُجْلِيهَا[2] ٱلنَّهَارُ لِمُبْصِرٍ   بِأَجْلَى ظُهُوراً[3] أَوْ بِأَوْضَح بُرْهَانِ

وَأَكْـرِمْ بِـآيَـاتٍ تُحَـدِّثُنَـا[4] بِهَـا   وَلاَ مِثْـلُ آيَـاتٍ بِمُحْكَـمِ[5] فُـرْقَـانِ

وَمَـاذَا عَسَـى يُثْنِـي ٱلْبَلِيـغُ وَقَـدْ أَتَـى   ثَنَـاؤُكَ فِـي وَحْـيٍ قَـدِيـمٍ[6] وَقُـرْآنِ

فَصَلَّـى عَلَيْـكَ ٱللَّـهُ مَـا ٱنْسَكَـبَ ٱلْحَيَـا   وَمَـا سَجَعَـتْ وَرْقَـاءُ فِـي غُصُـنِ ٱلْبَـانِ

وَأَيَّـدَ مَـوْلاَنَـا ٱبْـنَ نَصْـرٍ فَـإِنَّـهُ   لأَشْـرَفُ مَـنْ يُنْمَـى لِمُلْـكٍ وَسُلْطَـانِ

أَقَـامَ ـ كَمَـا يُـرْضِيـكَ ـ مَوْلِـدَكَ الَّـذِي   بِـهِ سَفَـرَ ٱلإِسْـلاَمُ عَـنْ وَجْـهِ جَـذْلاَنِ

سَمِـيُّ رَسُـولِ اللَّـهِ نَـاصِـرُ دِينِـهِ   مُعَظِّمُـهُ فِـي حَـالِ سِـرٍّ وَإِعْـلاَنِ

وَوَارِثُ سِـرِّ ٱلْمَجْـدِ مِـنْ آلِ خَـزْرَجٍ   وَأَكْـرَمُ مَـنْ تَنْمِـي قَبَـائِـلُ قَحْطَـانِ

وَمُـرْسِلُهَـا مِـلْءَ ٱلْفَضَـاءِ كَتَـائِبًـا   تَـدِيـنُ لَهَـا غُلْـبُ ٱلْمُلُـوكِ بِـإِذْعَـانِ

حَـدَائِـقُ خُضْـرٍ وَٱلـدُّرُوعُ غَـدَائِـرٌ   وَمَـا أَنْبَتَـتْ إِلاَّ ذَوَابِـلَ مُـرَّانِ

تَجَـاوَبُ فِيهَـا ٱلصَّـاهِـلاَتُ وَتَـرْتَمِـي   جَـوَانِبُهَـا بِـٱلأُسْـدِ مِـنْ فَـوْقِ عُقْبَـانِ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح؛ وعند نيفر «لاَ يُشَانُ».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يَجْلُوهَا».

(3) في نفح: «بأَجْلَى ظُهُورٍ».

(4) كذا في نفح: وفي أزهار: «تَحَدَّيْتَنَا».

(5) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «المُحْكَمِ».

(6) في نفح: «كَرِيمٍ».

فَمِنْ كُلِّ خَوَّارِ الْعِنَانِ قَدِ ٱرْتَمَى بِهِ كُلُّ مِطْعَامِ ٱلْعَشِيَّاتِ مِطْعَانِ
وَمُورِدِهَا ظَمْأَى ٱلْكُعُوبِ ذَوَابِلاً وَمُصْدِرِهَا مِنْ كُلِّ أَمْلَدَ رَيَّانِ
وَلِلَّهِ مِنْهَا وَٱلرُّبُوعُ مَوَاحِلٌ غَمَامُ نَدًى كَفَّتْ بِهِ ٱلْمَحْلَ كَفَّانِ
إِذَا أَخْلَفَ ٱلنَّاسَ ٱلْغَمَامُ وَأَمْحَلُوا فَإِنَّ نَدَاهُ وَٱلْغَمَامَ لَسِيَّانِ
إِمَامٌ أَعَادَ ٱلْمُلْكَ بَعْدَ ذَهَابِهِ إِعَادَةَ لاَنَابِي ٱلْحُسَامِ وَلاَ وَانِي
فَغَادَرَ أَطْلاَلَ ٱلضَّلاَلِ دَوَارِسًا وَجَدَّدَ لِلإِسْلاَمِ أَرْفَعَ بُنْيَانِ
وَشَيَّدَهَا وَٱلْمَجْدُ يَشْهَدُ دَوْلَةً مَحَافِلُهَا تُزْهَى[1] بِيُمْنٍ وَإِيمَانِ
وَرَاقَ مِنَ ٱلثَّغْرِ ٱلْغَرِيبِ ٱبْتِسَامُهُ وَهَزَّلَهُ ٱلإِسْلاَمُ أَعْطَافَ مُزْدَانِ
لَكَ ٱلْخَيْرُ مَا أَسْنَى شَمَائِلَكَ الَّتِي يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلُّ إِنْسَانِ
ذَكَاءُ إِيَاسٍ فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ وَإِقْدَامُ عَمْرٍو فِي بَلاَغَةِ سَحْبَانِ
أَمَوْلاَيَ مَا أَسْنَى مَنَاقِبَكَ ٱلَّتِي هِيَ ٱلشُّهْبُ لاَ تُحْصَى بِعَدٍّ وَحُسْبَانِ
فَلاَ زِلْتَ يَا غَوْثَ ٱلْبِلاَدِ وَأَهْلِهَا مُبَلَّغَ أَوْطَارٍ مُمَهِّدَ أَوْطَانِ

(95)

وممّا امتزج فيه نثرُه ونظمه[2]، وظهر فيه أدبه وعلمُه، قولُه يُخاطبُني[3] جواباً عن رسالة خاطبتُ بها الأولادَ وهم مع مولانا أيّده الله بالمنكب:

[مخلع البسيط]

مَالِي بِحَمْلِ ٱلْهَوَى يَدَانِ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْوَزَ ٱلتَّدَانِي
أَصْبَحْتُ أَشْكُو إِلَى زَمَانٍ مَا بِتُّ مِنْهُ عَلَى أَمَانِ
مَا بَالُ عَيْنَيْكَ تَسْجُمَانِ وَٱلدَّمْعُ يَرْفَضُّ كَٱلْجُمَانِ
مَا ذَاكَ[4] وَٱلإِلْفُ عَنْكَ وَانٍ وَٱلْبُعْدُ مِنْ بَعْدِهِ كَوَانِي؟

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «تَزْهُو».
(2) في الرسالة نثر كثير به يفتتحُها كما يتخللها وبه يختم جوابه.
(3) المخاطَب هو الوزيرُ ابن الخطيب (الإحاطة: II/ 237).
(4) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة: «نَادَاكَ».

يَـا شِقْـوَةَ[1] ٱلنَّفْـسِ مِـنْ هَـوَانِ لَجَجْـتُ فـي[2] أَبْحُـرِ ٱلْهَـوَانِ
لَـمْ يَثْنِـهِ[3] عَـنْ هَـوَاكِ ثَـانِ يَـا بُغْيَـةَ ٱلْقَلْـبِ قَـدْ كَفَـانِـي

(96)

وقال يُخاطبُ مولانا الوالد[4] ـ رحمة الله عليه ـ وقد مرّ معه بفحص ريّة[5] والثلج قد عم أنديته، وبسط أرديته في وجهة توجّهها مولانا الجدُّ، تغمّده الله تعالى برحمته، إلى مالقة[6]:

[الكامل]

يَـا مَـنْ بِـهِ رُتَـبُ ٱلإِمَـارَةِ[7] تَعْتَلِـي وَمَعَـالِـمُ ٱلْفَخْـرِ ٱلْمَشِيـدَةِ تَبْتَنِـي
ٱزْجُـرْ بِهَـذَا ٱلثَّلْـجِ فَـأْلاً[8] إِنَّـهُ ثَلْـجُ ٱلْيَقِيـنِ بِنَصْـرِ مَـوْلاَنَـا ٱلْغَنِـي
بَسَـطَ البَيَـاضَ كـرامَـةً لِقُـدُومِـهِ وَٱفْتَـرَّ ثَغْـراً عَـنْ مَسَـرَّةِ مُعْتَنِـي
فَـٱلأَرْضُ جَـوْهَـرَةٌ تَلُـوحُ لِمُجْتَـلِ[9] وَٱلـدَّوْحُ مَـزْهَـرَةٌ تَفُـوحُ لِمُجْتَنِـي
سُبْحَـانَ مَـنْ أَعْطَـى ٱلْـوُجُـودَ وُجُـودَهُ لِيَـدُلَّ مِنْـهُ عَلَـى ٱلْجَـوَادِ ٱلْمُحْسِـنِ
وَبَـدَائِـعُ ٱلأَكْـوَانِ فِـي إِتْقَـانِهَـا أَثَـرٌ يُشِيـرُ إِلَـى ٱلْبَـدِيـعِ ٱلْمُتْقِـنِ

(97)

ومنها وقد أهداه صيداً ممّا صاده بنوه ـ رضي الله تعالى عنه ـ:

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي الأحاطة: «يا شُقَّـةَ».
(2) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة: «في لُجَجِ مِنْ».
(3) في أزهار «لم يَثْنِنِي».
(4) هو أبو الحجّاج يوسف الثاني.
(5) هي المروج الخصبة بجانب رَيّة، وريّة متصلة بالجزيرة الخضراء بالأندلس قبليّ قوطبة.
(6) ميناء في الجنوب الغربي من غرناطة.
(7) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «المَعَالي».
(8) رجَحنا قراءة أزهار؛ وفي نفح: «حَالاً».
(9) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لِمُعْتَلِ».

[الكامل]

يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ ٱلسَّمَاحَ عَنِ ٱلأَلَى ... نَصَرُوا ٱلْهُدَى[1] وَتَبَوَّؤُوا ٱلإِيمَانَا

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ تُحْفَةُ مُنْعِمٍ ... وَالَى ٱلْجَمِيلَ وَأَجْزَلَ ٱلإِحْسَانَا

قَدْ أَذْكَرَتْ دَارَ ٱلنَّعِيمِ عَبِيدَهُ ... وَتَضَمَّنَتْ مِنْ فَضْلِهِ رِضْوَانَا

تُهْدِي مَوَالِيَّ[2] ٱلَّذِينَ تَفَرَّعُوا ... عَنْ دَوْحِ فَخْرِكَ فِي ٱلْعُلَى أَغْصَانَا

لِجَلاَلِكَ ٱلأَعْلَى قَنِيصًا أَتْعَبُوا ... فِي صَيْدِهِ ٱلأَرْوَاحَ وَٱلأَبْدَانَا

فَتَخُصُّنِي مِنْهُ بِأَوْفَرِ قِسْمَةٍ ... فَسَحَتْ لِعَبْدِكَ فِي ٱلرِّضَا مَيْدَانَا

لِلَّهِ مِنْ مَوْلًى كَرِيمٍ بِٱلَّذِي ... تُهْدِي ٱلْمَوَالِي يُتْحِفُ ٱلْعُبْدَانَا

تَدْعُو بَنِيَّ إِلَى ٱلْغَنِيِّ بِرَبِّهِ ... يَا رَبَّنَا أَغْنِ ٱلَّذِي أَغْنَانَا

وَعَلَيْكَ مِنْ قُدْسِ ٱلإِلاَهِ تَحِيَّةٌ ... تُهْدِيكَ مِنْهُ ٱلرُّوحَ وَٱلرَّيْحَانَا

(98)

وقال مُهَنِّئاً بالشفاء: [مخلّع البسيط]

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلَغْنَا ٱلْمُنَى ... لَمَّا رَأَيْنَاكَ وَزَالَ ٱلْعَنَا

وَفُزْتَ بِٱلأَجْرِ وَكَبْتِ ٱلْعِدَا ... وَفُزْتَ بِٱلعِزِّ وَطِيبِ ٱلثَّنَا

فَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا بِهِ ... مَنَّ عَلَيْنَا مِنْ ظُهُورِ ٱلسَّنَا

قافيـة الهـاء

(99)

فمن ذلك قوله[3] في ذكر الحضرَة العليّة[4]، وتهنئة مولانا

---

(1) «الأُلَى» في نفح.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «مَوَالِيكَ».

(3) هذه المدحية العيدية هي أولى مختارات المقرّي من ديوان البقية والمدرك لابن الأحمر (انظر أزهار II/ 21 وما بعدها؛ نفح: X/ 30 وما بعدها).

(4) هي غرناطة.

الجدْ[1]، رحمة الله عليه، ببعض المواسم العيديّة، ووصف كَرَائِمَ من جياده، وآثار ملكه وجهاده:

[البسيط]

يَـا مَـنْ يَحِـنُّ إِلَـى نَجْـدٍ وَنَـادِيهَـا ... غَـرْنَـاطَـةٌ قَـدْ ثَـوَتْ نَجْـدٌ بِـوَادِيهَـا

قِـفْ بِـٱلسَّبِيكَـةِ وَٱنْظُـرْ مَـا بِسَـاحَتِهَـا ... عَقِيلَـةٌ وَٱلكَثِيـبُ ٱلْفَـرْدُ جَـالِيهَـا

تَقَلَّـدَتْ بِـوِشَـاحِ ٱلنَّهْـرِ وَٱبْتَسَمَـتْ ... أَزْهَـارُهَـا وَهْـيَ حَلْـيٌ فِـي تَـرَاقِيهَـا

وَأَعْيُـنُ ٱلنَّـرْجِسِ ٱلْمُطْلُـولِ يَـانِعَـةٌ ... تَـرَقْـرَقَ ٱلطَّـلُّ دَمْعًـا فِـي مَـآقِيهَـا

وَٱفْتَّـرَ ثَغْـرُ أَقَـاحٍ مِـنْ أَزَاهِـرِهَـا ... مُقَبِّـلاً خَـدَّ وَرْدٍ مِـنْ نَـوَاحِيهَـا

كَـأَنَّمَـا ٱلـزَّهْـرُ فِـي حَـافَـاتِهَـا سَحَـراً ... دَرَاهِـمٌ وَٱلنَّسِيـمُ ٱللَّـدْنُ يَجْبِيهَـا

وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلدَّوْحِ وَٱلأَنْهَارُ تَكْنُفُهَا ... مِثْـلُ ٱلنَّـدَامَـى سَـوَاقِيهَـا سَـوَاقِيهَـا

كَـمْ حَـوْلَهَـا مِـنْ بُـدُورٍ تَجْتَنِـي زَهَـرًا ... فَتَحْسِـبُ ٱلـزَّهْـرَ قَـدْ قَبَّلْـنَ أَيْـدِيهَـا

حَصْبَاؤُهَا لُؤْلُؤٌ قَدْ شَفَّ جَوهَرُهَا[2] ... وَٱلنَّهْـرُ[3] قَـدْ سَـالَ ذَوْبـاً مِـنْ لآلِيهَـا

نَهْـرُ ٱلْمُنَجِّـمِ وَٱلـزَّهْـرُ ٱلْمُطِيـفُ بِـهِ ... زُهْـرُ ٱلنُّجُـومِ إِذَا مَـا شِئْـتَ تَشْبِيهَـا

يَـزِيـدُ حُسْـنًا عَلَـى نَهْـرِ ٱلْمَجَـرَّةِ قَـدْ ... أَغْنَـاهُ دُرُّ حَبَـابٍ عَـنْ دَرَارِيهَـا

يُـدْعَـى[4] ٱلْمُنَجِّـمَ رَائِيـهِ وَنَـاظِـرُهُ ... مُسَمَّيَـاتٌ أَبَـانَتْهَـا أَسَـامِيهَـا

إِنَّ ٱلْحِجَـازَ مَغَانِيـهِ بِـأَنْـدَلُـسٍ ... أَلْفَـاظُهَـا طَـابَقَـتْ مِنْهَـا[5] مَعَـانِيهَـا

فَتِلْـكَ نَجْـدٌ سَقَـاهَـا كُـلُّ مُنْسَجِـمٍ ... مِـنَ ٱلْغَمَـامِ يُحَيِّيهَـا فَيُحْيِيهَـا

وَبَـارِقٌ وَعُـذَيْـبٌ كُـلُّ مُبْتَسِـمٍ ... مِـنَ ٱلثُّغُـورِ يُحَلِّيهَـا مُجَلِّيهَـا

وَإِنْ أَرَدْتَ تَـرَى وَادَ ٱلْعَقِيـقِ فَـرِدْ ... دُمُـوعَ عُشَّـاقِهَـا حُمْـراً جَـوَارِيهَـا

(1) في الأصل «مولاه الجدّ» (أزهار) وفي نفح: «سلطانه الغني بالله».
(2) كذا في نفح؛ في أزهار: «جوهرهُ».
(3) في نفح: «اوالنّهْلُ».
(4) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «يَرْعَى».
(5) «مِنْهُ» عنده كذلك.

وَلِلسَّبِيكَـةِ تَـاجٌ فَـوْقَ مَفْـرِقِهَـا ... تَـوَدُّ دُرُّ ٱلـدَّرَارِي لَـوْ تُحَلِّيهَـا

فَـإِنَّ[1] حَمْـرَاءَهَـا وَٱللَّـهُ يَكْلَـؤُهَـا ... يَـاقُـوتَـةٌ فَـوْقَ ذَاتِ ٱلتَّـاجِ يُغْلِيهَـا

إِنَّ ٱلْبُـدُورَ لَتِيجَـانٌ مُكَلَّلَـةٌ ... جَـوَاهِـرُ ٱلشُّهْـبِ فِـي أَبْهَـى مَجَـالِيهَا

لَكِنَّهَـا حَسَـدَتْ تَـاجَ السَّبِيكَـةِ إِذْ ... رَأَتْ أَزَاهِـرَهُ زَهْـراً يُجَلِّيهَـا

بُـرُوجُهَـا لِبُـرُوجِ ٱلأُفْـقِ مُخْجِلَـةٌ ... فَشُهْبُهَـا فِـي جَمَـالٍ لاَ تُضَـاهِيهَـا

تِلْكَ ٱلْقُصُورُ الَّتِي رَاقَتْ مَظَاهِرُهَا ... تَهْوِي ٱلنُّجُومُ قُصُوراً عَـنْ مَعَـالِيهَا

لِلَّـهِ لِلَّـهِ عَيْنَـا مَـنْ رَأَى سَحَـرًا ... تِلْـكَ ٱلْمَنَـارَةَ[2] قَـدْ رَقَّـتْ حَـوَاشِيهَا

وَٱلصُّبْحُ فِي ٱلشَّرْقِ قَدْ لاَحَتْ بَشَائِرُهُ ... وَٱلشُّهْبُ تَسْتَنُّ سَبَقًا فِي مَجَارِيهَا

تَهْوِي إِلَى ٱلْغَرْبِ لَمَّا هَالَهَا[3] سَحَرٌ ... وَغَمَّـضَ ٱلْفَجْـرُ مِـنْ أَجْفَـانِ وَاشِيهَـا

وَسَـاجِـعُ ٱلْعُـودِ فِـي كَـفِّ النَّـدِيـمِ إِذَا ... مَا ٱسْتَوْقَفَ ٱلطَّيْرُ يُدْنِيهَا وَيُقْرِيهَا[4]

يُبْـدِي أَفَـانِيـنَ سِحْـرٍ فِـي تَـرَنُّمِـهِ ... يُصْبِـي ٱلْعُقُـولَ بِهَـا حُسْنًـا وَيَسْبِيهَـا

يَجُسُّـهُ نَـاعِـمُ ٱلأَطْـرَافِ تَحْسَبُهَـا ... لآلِئًـا وَهْـيَ نُـورٌ فِـي تَـلاَلِيهَـا

مُقَـاتِـلٌ بِلِحَـاظٍ قَـوْسُ حَـاجِبِهَـا ... تَـرْمِـي ٱلْقُلُـوبَ بِهَـا عَمْـدًا فَتُصْمِيهَـا

فَبَـاكِـرَ ٱلـرَّوْضَ وَٱلأَغْصَـانُ مَـائِلَـةٌ ... يَثْنِـي ٱلنُّفُـوسَ لَهَـا شَـوْقًـا تَثَنِّيهَـا

لَمْ يَرْقُصِ ٱلدَّوْحُ بِٱلأَكْوَامِ مِنْ طَرَبٍ ... حَتَّـى شَـدَا مِـنْ قِيَانِ ٱلطَّيْـرِ شَـادِيهَا

وَأَسْمَعَتْهَـا فُنُـونَ ٱلسِّحْـرِ مُبْـدِعَـةٌ ... وُرْقُ ٱلْحَمَـامِ وَغَنَّـاهَـا مُغَنِّيهَـا

غَـرْنَـاطَـةٌ آنَسَ ٱلـرَّحْمَـانُ سَـاكِنَهَـا ... بَـاحَـتْ بِسِـرِّ مَعَـانِيهَـا أَغَـانِيهَـا

أَغْـدَى نَسِيمُهُـمُ لُطْفًـا نُفُـوسَهُـمُ ... فَـرِقَّـةُ ٱلطَّبْـعِ طَبْـعٌ مِنْـهُ يُغْـدِيهَـا

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «كَأَنَّ».

(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «المَنَازِهَ».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «غَالَهَا».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «ما استوقفتْ ساجِعَاتُ الطَيْرِ يُغْرِيهَا».

فَخَلَّدَ ٱللَّهُ أَيَّامَ ٱلسُّرُورِ بِهَا ... صُفْرًا عَشِيَّاتُهَا بِيضًا لَيَالِيهَا

وَرَوَّضَ ٱلْمَحْلَ مِنْهَا كُلُّ مُنْبَجِسٍ[1] ... إِذَا ٱشْتَكَتْ بِغَلِيلِ ٱلْجَدْبِ يُرْوِيهَا

يَحْكِي ٱلْخَلِيفَةَ كَفًّا كُلَّمَا وَكَفَتْ ... بِٱلْجُودِ فَوْقَ مَوَاتِ ٱلأَرْضِ يُحْيِيهَا

تُغْنِي ٱلْعُفَاةَ وَقَدْ أَمَّتْ مَكَارِمَهُ ... عَنِ ٱلسُّؤَالِ وَبِٱلإِحْسَانِ تُغْنِيهَا

لَهَا بَنَانٌ فَلاَ[2] غَيْثٌ يُسَاجِلُهَا ... جُودًا وَلاَ سُحْبُهُ يَوْماً تُدَانِيهَا

فَإِنْ تَصُبْ سُحْبُهُ بِٱلْمَاءِ حِينَ هَمَتْ ... بِعَسْجَدٍ وَلُجَيْنٍ صَابَ هَامِيهَا

يَا أَيُّهَا ٱلْغَيْثُ أَنْتَ ٱلْغَوْثُ فِي زَمَنٍ ... مُلُوكُهُ تَلِفَتْ لَوْلاَ تَلاَفِيهَا

إِنَّ ٱلرَّعَايَا، جَزَاكَ ٱللَّهُ، صَالِحَةٌ ... مَلَكْتَ شَرْقاً وَغَرْباً مَنْ يُرَاعِيهَا

إِنَّ ٱلْخَلاَئِقَ فِي ٱلأَقْطَارِ أَجْمَعِهَا ... سَوَائِمٌ أَنْتَ فِي ٱلتَّحْقِيقِ رَاعِيهَا

فَكُلُّ مَصْلَحَةٍ لِلخَلْقِ تَعْلَمُهَا[3] ... وَكُلُّ صَالِحَةٍ لِلدِّينِ تَنْوِيهَا

إِذَا تَيَمَّمْتَ أَرْضًا وَهْيَ مُجْدِبَةٌ ... فَرَحْمَةُ ٱللَّهِ بِٱلسُّقْيَا تُحَيِّيهَا

يَا رَحْمَةً بَثَّتْ ٱلرُّحْمَى بِأَنْدَلُسٍ ... لَوْلاَكَ زُلْزِلَتِ ٱلدُّنْيَا بِمَنْ فِيهَا

فِي فَضْلِ جُودِكَ قَدْ عَاشَتْ مَشِيخَتُهَا ... فِي ظِلِّ أَمْنِكَ قَدْ نَامَتْ ذَرَارِيهَا

فِي طُولِ عُمْرِكَ يَرْجُو ٱللهَ آمِلُهَا ... بِنَصْرِ مُلْكِكَ يَدْعُو ٱللَّهَ دَاعِيهَا

عَوَائِدُ ٱللَّهِ قَدْ عُوِّدْتَ أَفْضَلَهَا ... لِتُبْلِغَ ٱلْخَلْقَ مَا شَاءَتْ أَمَانِيهَا

سُلَّ ٱلسُّعُودَ وَخَلِّ ٱلْبِيضَ مُغْمَدَةً ... وَٱضْرِبْ بِهَا فِرْيَةَ[4] ٱلتَّثْلِيثِ تَفْرِيهَا

لِلَّهِ أَيَّامُكَ ٱلْغُرُّ ٱلتِي ٱطَّرَدَتْ ... فِيهَا ٱلسُّعُودُ بِمَا تَرْضَى وَيُرْضِيهَا

لِلَّهِ دَوْلَتُكَ ٱلْغَرَّاءُ إِنَّ لَهَا ... لَكَافِلاً مِنْ إِلاَهِ ٱلْعَرْشِ يَكْفِيهَا

هَيْهَاتَ أَنْ تَبْلُغَ ٱلأَعْدَاءُ مَأْرَبَةً ... فِي جَرْيِهَا وَجُنُودُ ٱللَّهِ تَحْمِيهَا

هَذِي سُيُوفُكَ فِي ٱلأَجْفَانِ نَائِمَةٌ ... وَٱلْمُشْرِكُونَ سُيُوفُ ٱللَّهِ تُفْنِيهَا

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «مُنْسَجِمٌ».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «فمَا».

(3) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «تحكمها».

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «قرية».

سَرِيرَةٌ لَكَ فِي ٱلإِخْلاَصِ قَدْ عَرَفَتْ ... حُسْنَى عَـوَاقِبِهَـا حَتّـى أَعَـادِيهَـا

لَمْ يَحْجُبِ ٱلصُّبْحُ شُهْبَ ٱلأُفْقِ عَنْ بَصَرٍ[1] ... إِلاَّ وَهَدْيُـكَ لِـلأَبْصَـارِ يُبْـدِيهَـا[2]

يَـا ٱبْـنَ ٱلْمُلُـوكِ وَأَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ إِذَا ... تَـدْعُـو ٱلْمُلُـوكُ إِلَـى طَـوْعٍ تُلَبِّيهَـا

أَبْنَـاءُ نَصْـرٍ مُلُـوكٌ عَـزَّ نَصْـرُهُـمُ ... وَأَوْسَعُـوا ٱلْخَلْـقَ تَنْـوِيهًـا وَتَـرْفِيهَـا

هُـمُ ٱلْمَصَـابِيـحُ نُورُ اللّـهِ مُـوقِـدُهَـا ... تُضِـيءُ لِلدِّيـنَ وَٱلـدُّنْيَـا مَشَـاكِيهَـا

هُـمُ ٱلنُّجُـومُ وَأُفْـقُ ٱلْهَـدْيِ مَطْلَعُهَـا ... فَـوْزاً لِمَهْـدِيِّهَـا عِـزًّا لِهَـادِيهَـا

هُـمُ ٱلْبُـدُورُ كَمَـالٌ مَـا يُفَـارِقُهَـا ... هُـمُ ٱلشُّمُـوسُ ظَـلاَمٌ لاَ يُـوَارِيهَـا

قَضَـتْ قَـوَاضِبُهَـا أَنْ لاَ انْقِضَـاءَ لَهَـا[3] ... وَأَمْضَتِ ٱلْحُكْمَ فِي ٱلأَعْدَا مَوَاضِيهَا

وَخَلَّـدَتْ فِـي صِفَـاحِ ٱلْهِنْـدِ سِيـرَتَهَـا ... وَأَسْنَـدَتْ عَـنْ عَـوَالِيهَـا مَعَـالِيهَـا

وَأَوْرَثَتْـكَ جِهَـادًا أَنْـتَ نَـاصِـرُهُ ... وَٱلأَجْـرُ مِنْـكَ يُـرَضِّيهَـا وَيُحْظِيهَـا

كَمْ مَوْقِفٍ تَرْهَبُ ٱلأَعْدَاءُ مَوْقِعَهُ[4] ... وَٱلْخَيْلُ تَرْدِي وَوَقْعُ ٱلسَّيْفِ[5] يُرْدِيهَا

ثَـارَتْ عَجَـاجَتُـهُ وَٱلْيَـوْمُ مُحْتَجِـبٌ ... وَٱلنَّقْـعُ يُـوثِـرُ غَيْمًـا مِـنْ دَيَـاجِيهَـا

وَلِـلأَسِنَّـةِ شُهْـبٌ كُلَّمَـا غَـرَبَـتْ[6] ... تُزْجِي ٱلدِّمَاءَ وَرِيحُ ٱلنَّصْرِ يُزْجِيهَا

أَطْلَعْتَ وَجْهًا تُـرِيكَ ٱلشَّمْسَ غُرَّتُهُ ... تَبَـارَكَ ٱللّـهُ مَـا شَمْـسٌ تُسَـامِيهَـا

مِـنْ أَيْـنَ لِلشَّمْـسِ نُطْـقٌ كُلُّـهُ حِكَـمٌ ... يُفِيـدُهَـا[7] كُـلَّ حِيـنٍ مِنْـكَ مُبْدِيهَـا

لَـكَ ٱلْجِيَـادُ إِذَا تَجْـرِي سَـوَابِقُهَـا ... فَلِلـرِّيَـاحِ جِيَـادٌ مَـا تُجَـارِيهَـا

إِذَا ٱنْبَـرَتْ يَـوْمَ سَبْـقٍ فِـي أَعِنَّتِهَـا ... تَـرَى ٱلبُـرُوقَ طِلاَحًا لاَ تُبَـارِيهَـا

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لم تحتجب شُهُبُ الآفاقِ عَنْ بَصَرٍ».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يهديها».

(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «أَنْ لا نظير لَهَا».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «موقفَه».

(5) في أزهار: «السُّمْرِ».

(6) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «لمعَتْ».

(7) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يُعِيدُها».

مِـنْ أَشْهَـبٍ قَـدْ بَـدَا صُبْحًـا تُـرَاعُ لَـهُ ... شُهْـبُ ٱلسَّمَـاءِ فَـإِنَّ ٱلصُّبْـحَ يُخْفِيهَـا

إِلَّا ٱلَّتِـي فِـي لِجَـامٍ مِنْـهُ قَيَّـدَهَـا ... فَـإِنَّـهُ سَـامَهَـا عِـزًّا وَتَنْـوِيهَـا

أَوْ أَشْقَـرٍ مُـرْعِـبٍ شُقْـرَ ٱلْبُـرُوقِ وَقَـدْ ... أَبْقَـى لَهَـا شَفَقًـا فِـي ٱلْجَـوِّ تَنْبِيهَـا

أَوْ أَحْمَـرٍ جَمْـرُهُ فِـي ٱلْحَـرْبِ مُتَّقِـدٌ ... يَعْلُـو لَهَـا شَـرَرٌ مِـنْ بَـأْسِ مُـذْكِيهَـا

لَـوْنُ ٱلْعَقِيـقِ وَقَـدْ سَـالَ ٱلْعَقِيـقُ دَمًـا ... بِعِطْفِـهِ مِـنْ كُمَـاةٍ كَـادَ[1] يُـدْمِيهَـا

أَوْ أَدْهَمٍ مِثْلِ[2] صَدْرِ ٱللَّيْلِ تَنْعَلُـهُ ... أَهِلَّـةٌ فَـوْقَ وَجْـهِ ٱلْأَرْضِ يُبْـدِيهَـا

إِنْ حَـارَتِ ٱلشُّهْـبُ لَيْـلاً فِـي مُقَلَّـدِهِ ... فَصُبْـحُ غُـرَّتِـهِ بِـٱلنُّـورِ يَهْـدِيهَـا

أَوْ أَصْفَـرٍ بِـٱلْعَشِيَّـاتِ ٱرْتَـدَى مَـرَحًـا ... وَعُـرْفُـهُ بِتَمَـادِي ٱللَّيْـلِ يُنْبِيهَـا

مُمَـوَّهٍ بِنُضَـارٍ تَـاهَ مِـنْ عَجَـبٍ ... فَلَيْـسَ يَعْـدَمُ تَنْـوِيهًـا[3] وَلَا تِيهَـا

وَرُبَّ نَهْـرِ حُسَـامٍ رَاقَ رَائِقُـهُ ... مَتَـى تَـرِدْهُ نُفُـوسُ ٱلْكُفْـرِ يُرْدِيهَـا

تَجْرِي ٱلرُّؤُوسُ حُبَاباً فَوْقَ صَفْحَتِهِ ... وَمَـا جَـرَى غَيْـرَ أَنَّ ٱلْبَـأْسَ يُجْـرِيهَـا

وَذَابِـلٍ مِـنْ دَمِ ٱلْكُفَّـارِ مَشْـرَبُـهُ ... يُجْنِـي ٱلْفُتُـوحَ وَكَـفُّ ٱلنَّصْـرِ تَجْنِيهَـا

وَكَـمْ هِـلَالٍ لِقَـوْسٍ كُلَّمَـا نَبَضَـتْ ... تَـرَى ٱلنُّجُـومَ رُجُـومًا فِي مَـرَامِيهَـا[4]

أَئِمَّـةُ ٱلْكُفْـرِ مَـا يَمَّمْـتَ سَـاحَتَهَا ... إِلَّا وَقَـدْ زُلْـزِلَـتْ قَسْـرًا صَيَـاصِيهَـا

يَـا دَوْلَـةَ ٱلنَّصْـرِ هَـلْ مِـنْ مُبْلِـغٍ دُوَلاً ... مَضَيْـنَ أَنَّـكَ تُحْيِيهَـا وَتُنْسِيهَـا

أَوْ مُبْلِـغٍ سَـالِـفَ ٱلْأَنْصَـارِ مَـأْلُكَـةً ... وَٱللَّهُ بِٱلْخُلْدِ فِي ٱلْفِرْدَوْسِ يَجْزِيهَا

إِنَّ ٱلْخِلَافَةَ، أَعْلَى ٱللَّهُ مَظْهَرَهَا، ... أَبْقَـتْ لَنَـا شَـرَفًـا وَٱللَّـهُ يُبْقِيهَـا

يَـا ٱبْـنَ ٱلَّـذِيـنَ لَهُـمْ فِـي كُـلِّ مَكْـرُمَـةٍ ... مَفَـاخِـرٌ وَلِسَـانُ ٱلـدَّهْـرِ يُمْلِيهَـا

أَنْصَـارُ خَيْـرِ ٱلْـوَرَى مُخْتَـارِ هِجْـرَتِـهِ ... جِيـرَانُ رَوْضَتِـهِ أَكْـرِمْ بِـأَهْلِيهَـا

---

(1) كذا في نفح: «كَرَّ» في أزهار.

(2) رجّحنا قراءة أزهار؛ وفي نفح: «مِلْءَ».

(3) في أزهار: «تَمْويها».

(4) كذا في أزهار وفي نفح؛ وعند نيفر: «مراقيها».

سَمَّتْهُمُ[1] ٱلْمِلَّةُ ٱلسَّمْحَاءُ تَكْرِمَةً ... أَنْصَارَهَا وَبِهِمْ عَزَّتْ أَوَالِيهَا[2]

فَفِي حُنَيْنٍ وَفِي بَدْرٍ وَفِي أُحُدٍ ... تُلْفِي مَفَاخِرَهُمْ مَشْهُورَةً فِيهَا[3]

وَلْتَسْأَلِ ٱلسِّيَرَ ٱلْمَرْفُوعَ مُسْنَدُهَا ... فَعَنْ مَوَاقِفِهِمْ تُرْوَى مَغَازِيهَا

مَآثِرٌ خَلَّدَ ٱلرَّحْمَانُ أُثْرَتَهَا ... يَتْلُو نُصُوصَهَا مِنْ كِتَابِ ٱللَّهِ قَارِيهَا

مَاذَا يُجِيدُ بَلِيغٌ أَوْ يُنَمِّقُهُ ... مِنَ ٱلْكَلَامِ وَوَحْيُ ٱللَّهِ تَالِيهَا

لَهُ ٱلْجِهَادُ بِهِ تَسْرِي ٱلرِّيَاحُ إِلَى ... مَمَالِكِ ٱلْأَرْضِ مِنْ شَتَّى أَقَاصِيهَا

تُحْدَى ٱلرِّكَابُ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ بِهِ ... فَمَكَّةٌ عَمَرَتْ مِنْهُ نَوَادِيهَا

بَشَائِرٌ تُسْمِعُ ٱلدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا ... إِذَا دَعَا بِٱسْمِكَ ٱلْأَعْلَى مُنَادِيهَا

كَفَى خِلَافَتُكَ ٱلْغَرَّاءُ مَنْقَبَةً ... أَنَّ ٱلْإِلَاهَ يُوَالِي مَنْ يُوَالِيهَا

وَقَدْ أَفَادَ بَنِيهِ ٱلدَّهْرُ تَجْرِبَةً ... أَنَّ ٱلسُّعُودَ تُعَادِي مَنْ يُعَادِيهَا

إِذَا رَمَيْتَ سِهَامَ ٱلْعَزْمِ صَائِبَةً ... فَمَا رَمَيْتَ بَلِ ٱلتَّوْفِيقُ رَامِيهَا

شُكْراً لِمَنْ عَظُمَتْ مِنَّا مَوَاهِبُهُ ... وَإِنْ تُعَدَّ فَلَيْسَ ٱلعَدُّ يُحْصِيهَا

عَمَّا قَرِيبٍ تَرَى ٱلْأَعْيَادَ مُقْبِلَةً ... مِنَ ٱلْفُتُوحِ وَوَفْدُ ٱلنَّصْرِ حَادِيهَا

وَتَبْلُغُ ٱلْغَايَةَ ٱلْقُصْوَى بَشَائِرُهَا ... فَقَدْ أَظَلَّتْ بِمَا تَرْضَى مَبَادِيهَا

فَٱهْنَأْ بِمَا شِئْتَ مِنْ صُنْعٍ تُسَرُّ بِهِ ... وَٱنْوِ ٱلْأَمَانِيَّ بِٱلْأَقْدَارِ[4] تُدْنِيهَا

مَوْلَايَ خُذْهَا كَمَا شَاءَتْ بَلَاغَتُهَا ... وَلَوْ تُبَاعُ لَكَانَ ٱلْحُسْنُ يَشْرِيهَا

أَرْسَلْتُهَا حَيْثُمَا ٱلْأَرْوَاحُ مُرْسَلَةٌ ... نَوَادِرًا تَنْشُرُ ٱلْبُشْرَى أَمَالِيهَا

جَاءَتْ تُهَنِّيكَ عِيدَ ٱلْفِطْرِ مُعْجَبَةً ... بِحُسْنِهَا وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ يُطْرِيهَا

ٱلْبِشْرُ فِي وَجْهِهَا وَٱلْيُمْنُ فِي يَدِهَا ... وَٱلسِّحْرُ فِي لَفْظِهَا وَٱلدُّرُّ فِي فِيهَا

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «أَسْمَتْهُمُ».

(2) ج أوَل بمعنى أوائلها.

(3) في نفح: «تِيهَا».

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فَٱلْأَقْدَارُ».

لَـوْ رَصَّـعَ ٱلْبَـدْرُ مِنْهَـا تَـاجَ مَفْـرِقِـهِ لَـمْ يَـرْضَ دُرَّ ٱلـدَّرَارِي أَنْ تُحَلِّيهَـا

فَـإِنْ تَكُنْ بِنْتَ فِكْرِي وَهْوَ أَوْجَـدَهَـا نُعْمَـاكَ فِـي حِجْـرِهِ كَـانَـتْ تُـرَبِّيهَـا

فِـي رَوْضِ جُـودِكَ قَـدْ طَـوَّقْتَنِـي مِنَنًـا طَـوْقَ ٱلْحَمَـامِ فَمَـا سَجْعِـي مُـوَفِّيهَـا

وَلَـوْ أُعِرْتُ لِسَـانَ ٱلـدَّهْـرِ يَشْكُـرُهَـا لَكَـانَ يَقْصُـرُ عَـنْ شُكْـرٍ يُـوَفِّيهَـا

بَقِيـتَ لِلـدِّيـنِ وَٱلـدُّنْيَـا إِمَـامَ هُـدًى مُبَلِّـغَ ٱلنَّفْـسِ مَـا تَـرْجُـو أَمَـانِيهَـا

وَٱلسَّعْـدُ يَجْـرِي لِغَـايَـاتٍ تُـؤَمِّلُهَـا مَا دَامَتِ ٱلشُّهْبُ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

(100)

ومن العيديّات : [البسيط]

هَـذِي ٱلْعَـوَالِـمُ[1] لَفْـظٌ أَنْـتَ مَعْنَـاهُ كُـلٌّ يَقُـولُ، إِذَا ٱسْتَنْطَقْتَـهُ، ٱللَّـهُ

بَحْرُ[2] الوُجُودِ وَفُلْكُ ٱلْكَوْنِ جَارِيَةٌ وَبِـٱسْمِـكَ ٱللَّـهُ مُجْـرَاهُ وَمَـرْسَـاهُ

مِـنْ نُـورِ وَجْهِـكَ ضَـاءَ ٱلْكَوْنُ أَجْمَعُـهُ حَتَّـى تَشَيَّـدَ بِـٱلأَفْـلاَكِ مَبْنَـاهُ

عَـرْشٌ وَفَـرْشٌ وَأَفْـلاَكٌ[3] مُسَخَّـرَةٌ وَكُلُّهَـا سَـاجِـدٌ لِلَّـهِ مَـوْلاَهُ

سُبْحَـانَ مَـنْ أَوْجَـدَ ٱلأَشْيَـاءَ مِـنْ عَـدَمٍ وَأَوْسَـعَ ٱلْكَـوْنَ قَبْـلَ ٱلْكَـوْنِ نُعْمَـاهُ

مَنْ يَنْسُبِ ٱلنُّورَ لِلأَفْلاَكِ قُلْـتُ لَهُ مِـنْ أَيْـنَ أُطْلِعَـتِ ٱلأَنْـوَارُ لَـوْلاَهُ

مَـوْلاَيَ مَـوْلاَيَ بَحْـرُ ٱلْجُـودِ أَغْرَقَنِـي وَٱلْخَلْقُ أَجْمَعُ فِي ذَا ٱلْبَحْرِ قَدْ تَاهُوا

فَـٱلْفُلْـكُ تَجْـرِي كَمَـا ٱلأَفْـلاَكُ جَـارِيَـةٌ بَحْـرُ ٱلسَّمَـاءِ وَبَحْـرُ ٱلأَرْضِ أَشْبَـاهُ

وَكُلُّهُـمْ[4] نِعَـمٌ لِلْخَلْـقِ شَـامِلَـةٌ[5] تَبَـارَكَ اللَّـهُ لاَ تُحْصَـى عَطَـايَـاهُ

يَا فَاتِقَ ٱلرَّتْقِ مِنْ هَذَا ٱلْوُجُودِ كَمَا فِـي سَـابِـقِ ٱلْعِلْـمِ قَـدْ خُطَّـتْ قَضَـايَـاهُ

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «المَعَالِمُ».

(2) كذا في أزهار وفي نفح؛ وعند نيفر: «فَخْرُ».

(3) رجّحنا قراءة نفح؛ وفي أزهار: «وَأَمْلاَكٌ».

(4) «وَكُلُّهَا» في أزهار.

(5) كذا في أزهار وفي نفح: «جارية».

كُنْ لِي كَمَا كُنْتَ لِي إِذْ كُنْتُ لاَ عَمَلاً[1] أَرجُو وَلاَ ذَنْبَ قَدْ أَذْنَبْتُ أَخْشَاهُ
وَأَنْتَ فِي حَضَرَاتِ ٱلْقُدْسِ تَنْقُلُنِي حَتَّى ٱسْتَقَرَّ بِهَذَا ٱلْكَوْنِ مَثْوَاهُ
مَا أَقْبَحَ ٱلْعَبْدَ أَنْ يَنْسَى وَتَذْكُرَهُ وَأَنْتَ بِٱللُّطْفِ وَٱلإِحْسَانِ تَرْعَاهُ
غُفْرَانَكَ ٱللَّهُ مِنْ جَهْلٍ بُلِيتُ بِهِ فَمَنْ[2] أَفَادَ وُجُودِي كَيْفَ أَنْسَاهُ
مِنِّي عَلَيَّ حِجَابٌ لَسْتُ أَرْفَعُهُ إِلاَّ بِتَوْفِيقِ هَذِي مِنْكَ تَرْضَاهُ
فَعُدْ عَلَيَّ كَمَا[3] عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَمَّلْتُ رُحْمَاهُ
ثُمَّ ٱلصَّلاَةُ صَلاَةُ ٱللَّهِ دَائِمَةٌ عَلَى الَّذِي بِٱسْمِهِ فِي ٱلذِّكْرِ سَمَّاهُ
ٱلْمُجْتَبَى وَزِنَادُ ٱلنُورِ مَا قُدِحَتْ وَلاَ زَكَا[4] مِنْ نَسِيمِ ٱلرَّوْضِ مَسْرَاهُ
وَٱلْمُصْطَفَى وَكِمَامُ ٱلكَوْنِ مَا فُتِقَتْ عَنْ زَهْرٍ زُهْرٍ يَرُوقُ ٱلْعَيْنَ مَرْآهُ
وَلاَ تَفَجَّرَ نَهْرٌ لِلنَّهَارِ عَلَى دُرِّ ٱلدَّرَارِي فَغَطَّاهُ وَأَخْفَاهُ
يَا فَاتِحَ ٱلرُّسْلِ أَوْ يَا خَتْمَهَا شَرَفًا وَٱللَّهُ قَدَّسَ فِي ٱلْحَالَيْنِ مَعْنَاهُ
لَمْ أَدَّخِرْ غَيْرَ حُبٍّ فِيكَ أَرْفَعُهُ وَسِيلَةً لِكَرِيمٍ يَوْمَ أَلْقَاهُ
صَلَّى عَلَيْكَ[5] إِلاَهٌ أَنْتَ صَفْوَتُهُ مَا طُيِّبَتْ بِلَذِيذِ ٱلذِّكْرِ أَفْوَاهُ
وَعَمَّ بِٱلرَّوْحِ وَٱلرَّيْحَانِ صُحْبَتَهُ وَجَادَهُمْ مِنْ نَمِيرِ ٱلعَفْوِ أَصْفَاهُ
وَخَصَّ أَنْصَارَهُ الأَعْلَيْنَ صَفْوَتَهُ وَأُسْكِنُوا مِنْ جِوَارِ ٱللَّهِ أَعْلاَهُ
أَنْصَارَ مِلَّتِهِ أَعْلاَمَ بَيْعَتِهِ مَنَاقِبٌ شَرُفَتْ أَثْنَى بِهَا ٱللَّهُ
وَأَيَّدَ ٱللَّهُ مَنْ أَحْيَى جِهَادَهُمُ وَوَاصَلَ[6] ٱلْفَخْرَ أُخْرَاهُ بِأُولاَهُ[7]

---

(1) وفي نفح: «ولا عَمَلٌ».
(2) «فِيمَنْ» في أزهار.
(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بِمَا».
(4) في نفح: «ذَكَا».
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «عَلَيْهِ».
(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «وَأَوْصَلَ».
(7) في أزهار: «أُولاَهُ بِأُخْرَاهُ».

ٱلْمُنْتَقَى مِنَ صَمِيمِ ٱلْفَخْرِ جَوْهَرُهُ ... مَا بَيْنَ نَصْرٍ وَأَنْصَارٍ تَهَادَاهُ
ٱلْعِلْمُ وَٱلْحِلْمُ وَٱلإِفْضَالُ شِيمَتُهُ ... وَٱلْبَأْسُ وَٱلْجُودُ بَعْضٌ مِنْ سَجَايَاهُ

وهي طويلة؛ سردها هذا المؤلّف[1] كُلَّها، ومنها:

يَهْنِي زَمَانَكَ أَعْيَادٌ مَجَدَّدَةٌ ... مِنَ ٱلْفُتُوحِ مَعَ[2] ٱلأَيَامِ تَغْشَاهُ
غَضِبْتَ لِلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا بِحَقِّهِمَا ... يَا حَبَّذَا غَضَبٌ فِي ٱللَّهِ أَرْضَاهُ
فَوَّقْتَ لِلْغَرْبِ سَهْمًا رَاشَهُ قَدَرٌ ... وَسَدَّدَ ٱللَّهُ لِلأَعْدَاءِ مَرْمَاهُ
سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ ... لَقَدْ رَمَى ٱلْغَرَضَ ٱلأَقْصَى فَأَصْمَاهُ
مَنْ كَانَ بَنْدُكَ يَا مَوْلاَيَ يَقْدُمُهُ ... فَلَيْسَ يُخْلِفُهُ فَتْحٌ تَرَجَّاهُ
مَنْ كَانَ جُنْدُكَ جُنْدَ اللَّهِ يَنْصُرُهُ ... أَنَالَهُ ٱللَّهُ مَا يَرْجُو وَأَسْنَاهُ
مَلَّكْتَهُ غَرْبَهُ[3] خُلِّدْتَ مِنْ مَلِكٍ ... لِلْغَرْبِ وَٱلشَّرْقِ[4] مِنْهُ مَا تَمَنَّاهُ
وَسَامَ أَعْدَاءَكَ ٱلأَشْقَيْنَ مَا كَسَبُوا ... وَمَنْ تَرَدَّى رِدَاءَ ٱلْغَدْرِ أَرْدَاهُ
قُلْ لِلَّذِي رَمَدَتْ جَهْلاً بَصِيرَتُهُ ... فَلَمْ تَرَ ٱلشَّمْسَ شَمْسَ ٱلْهَدْيِ عَيْنَاهُ
غَطَّى ٱلْهَوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ ... لَهُ ٱلْمَرَاشِدُ أَغْشَاهُ[5] وَأَعْمَاهُ
هَلْ عِنْدَهُ وَذُنُوبُ ٱلْغَدْرِ تُوبِقُهُ ... أَنَّ ٱلَّذِي قَدْ كَسَاهُ ٱلعِزَّ أَعْرَاهُ
لَوْ كَانَ يَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... مَا زِلْتَ مَلْجَأَهُ ٱلأَحْمَى وَمَنْجَاهُ
سُلَّ ٱلسُّعُودَ[6] وَخَلِّ ٱلْبِيضَ مُغْمَدَةً ... فَٱلسَّيْفُ مَهْمَا مَضَى فَٱلسَّعْدُ أَمْضَاهُ[7]

---

(1) يقصد جامع الديوان يوسف الثالث.
(2) «مَدَى» في أزهار.
(3) هو السلطان أحمد المريني وقد أعانه الغني بالله على استرجاع ملكه. وهو يعرّض في هذا المقطع بظفر الغني بالله بابن الخطيب وبمن حماه وهو الوزير ابن الكاسي بمعاضدة السلطان المريني؛ وفي نفح: «مَلِكٌ غَرْبًا بِهِ».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «لِلشَّرْقِ والغربِ».
(5) كذا في أزهار وفي نفح: «أَعْشَاهُ».
(6) كذا في أزهار وفي نفح؛ وعند نيفر: «السُّيُوفَ».
(7) في نفح: «أَقْصَاهُ».

وَٱشْرَعْ مِنَ ٱلْبَرْقِ نَصْلاً رَاعَ مُصْلَتُهُ ... وَٱرْفَعْ مِنَ ٱلصُّبْحِ بَنْداً رَاقَ مَجْلاَهُ

فَٱلْعُدْوَتَانِ وَمَا[1] قَدْ ضَمَّ مُلْكُهُمَا ... أَنْصَارُ مُلْكِكَ صَانَ ٱللَّهُ عَلْيَاهُ

لاَ أَوْحَشَ ٱللَّهُ قُطْراً أَنْتَ مَالِكُهُ ... وَأَنَّسَ[2] ٱللَّهُ بِٱلأَلْطَافِ مَغْنَاهُ

لاَ أَظْلَمَ ٱللَّهُ أُفْقاً أَنْتَ نَيِّرُهُ ... لاَ أَهْمَلَ ٱللَّهُ سَرْحاً أَنْتَ تَرْعَاهُ

وَٱهْنَأْ بِشَهْرِ صِيَامٍ جَاءَ زَائِرُهُ[3] ... مُسْتَنْزِلاً مِنْ إِلاَهِ ٱلْعَرْشِ رُحْمَاهُ

أَهَلَّ بِٱلسَّعْدِ فَٱنْهَلَّتْ بِهِ مِنَنٌ ... وَأَوْسَعَ ٱلصُّنْعَ إِجْمَالاً وَوَفَّاهُ

أَمَا تَرَى بَرَكَاتِ ٱلأَرْضِ شَامِلَةً ... وَأَنْعُمَ ٱللَّهِ قَدْ عَمَّتْ بَرَايَاهُ

وَعَادَكَ ٱلْعِيدُ تَسْتَحْلِي[4] مَوَارِدَهُ ... وَيُجْزِلُ ٱلأَجْرَ وَٱلرُّحْمَى مُصَلاَّهُ

جَهَّزْتَ جَيْشَ دُعَاءٍ فِيهِ تَرْفَعُهُ ... لِذِي ٱلْمَعَارِجِ وَٱلإِخْلاَصُ رَقَّاهُ

أَفَضْتَ فِيهِ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ أَجْزَلَهَا ... وَأَحْسَنُ البِرِّ ما الإحْسَانُ زَكَّاهُ»[5]

وَالَيْتَ لِلْخَلْقِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... وَالَى لَكَ ٱللَّهُ مَا أَوْلَى وَوَالاَهُ

(101)

وقال أيضاً في هذا الغرض من رِثَائِه، ومَدْحِ مولانا الوالد في أثنائه[6]:

[الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا فِيهَا ... غَدَاةَ نَعَتْ شَمْسُ ٱلْخِلاَفَةِ مَنْ فِيهَا

---

(1) في نفح: «لنَا».
(2) عند نيفر: «وَآنَسَ».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «رَائِدُهُ».
(4) عند نيفر: «قَدْ تَحْلَى».
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وَأَشْرَفُ البِرِّ بِٱلإِحْسَانِ زَكَّاهُ».
(6) هي مرثية في الغني بالله ومدح والد جامع الديوان يوسف الثالث يمكن تأريخها بسنة 793 هـ.

نَعَتْ مَلِكَ[1] ٱلْأَمْلَاكِ وٱلْكَافِلَ[2] ٱلَّذِي يَكُفُّ عَوَادِي[3] ٱلْحَادِثَاتِ وَيَنْفِيهَا[4]

عَمِيدَ بَنِي ٱلْأَنْصَارِ غَيْرَ مُدَافَعٍ وَمُحْيِي مَعَالِيهَا وَمَوْلَى مَوَالِيهَا

وَبَدْرَ دَيَاجِيهَا وَشَمْسَ نَهَارِهَا وَبِشْرَ مُحَيَّاهَا وَنُورَ مَجَالِيهَا

خَبَا ٱلْكَوْكَبُ[5] ٱلْوَقَّادُ قَدْ كَانَ نُورُهُ يُجَلِّي مِنَ ٱلدُّهْمِ ٱلْخُطُوبِ دَيَاجِيهَا

هَوَى[6] ٱلْقَمَرُ ٱلْوَضَّاحُ مِنْ أُفُقِ ٱلْعُلَى فَأَظْلَمَ جَوُّ ٱلنَّيِّرَاتِ لِسَارِيهَا[7]

وَقَدْ كُسِفَتْ شَمْسُ ٱلْهِدَايَةِ بَعْدَمَا أَبَانَ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ لِلْخَلْقِ هَادِيهَا

هُوَ ٱلْجَبَلُ ٱلرَّاسِي تَصَدَّعَ بَعْدَمَا أَقَرَّتْ بِهِ شُمُّ ٱلْجِبَالِ[8] رَوَاسِيهَا

يَعِزُّ عَلَى دِينِ ٱلْهُدَى أَنَّ شَمْسَهُ يَطُولُ بِأَطْبَاقِ ٱلتُّرَابِ تَوَارِيهَا

يَعِزُّ عَلَى زُهْرِ ٱلنُّجُومِ مَتَى سَرَتْ وَلَا تَلْمَحُ ٱلْهَدْيَ ٱلَّذِي كَانَ يَهْدِيهَا

لِأَنْدَلُسٍ ثُكْلٌ عَلَيْهِ مُرَدَّدٌ لَهُ لَبِسَتْ سُودَ ٱلْمُسُوحِ نَوَاحِيهَا[9]

ثَلَاثِينَ حَوْلاً بَعْدَ خَمْسٍ تَعَدَّدَتْ[10] يُدَافِعُ عَنْهَا كُلَّ خَطْبٍ وَيَحْمِيهَا

أُبَكِّيهِ لِلرَّايَاتِ يَخْفُقُ بَنْدُهَا وَفِي مَرْقَبِ ٱلنَّصْرِ ٱلْمُؤَزَّرِ يُعْلِيهَا

أُبَكِّيهِ لِلْخَيْلِ ٱلْمُغِيرَةِ بِٱلضُّحَى وَقَدْ أَبْعَدَ ٱلْفَتْحُ ٱلْمُبِينُ مَرَامِيهَا

وَيَبْكِيهِ مَعْمُورُ ٱلْبَسِيطَةِ كُلِّهَا وَمَا ضَمَّ مِنْ دَانِي ٱلْبِلَادِ وَقَاصِيهَا

وَتَبْكِيهِ سُحْبٌ أَخْجَلَتْهَا بَنَانُهُ وَتُرْسِلُ دَمْعَ ٱلْغَيْثِ حُزْناً مَآقِيهَا

---

(1) كذا في أزهار وفي نفح؛ وعند نيفر: «مَالِكَ».

(2) في أزهار «الكامل».

(3) «عَوَارِي» في المصدر نفسه.

(4) وكذلك فيه: «ويكفيها».

(5) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «خَفَا الكوكبُ».

(6) كذا في أزهار؛ وعند نيفر «هو» ولعله تحريف.

(7) «بِسَارِيها» في أزهار.

(8) كذا في أزهار؛ وعند نيفر: «الرَّوَاسِي».

(9) «لَيَالِيهَا» عند نيفر.

(10) «تعوّدت» في أزهار.

وَتَبْكِيهِ حَتَّى ٱلشُّهْبُ فِي أُفُقِ ٱلْعُلَى ... وَتَلْبَسُ جِلْبَابَ ٱلظَّلَامِ جَوَارِيهَا

عَـزَاءً أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهَا ... مَقَادِيرُ رَبِّ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلْخَلْقِ يُجْرِيهَا

هُوَ ٱلْمَوْتُ وِرْدٌ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا ... أَوَاخِرُهَا تَقْفُو سَبِيلَ أَوَالِيهَا

وَمَا بَيْنَنَا حَيٌّ وَمَا بَيْنَ آدَمٍ ... أَلَا هَكَذَا سَوَّى ٱلْبَرِيَّةَ بَارِيهَا

وَفِي مَوْتِ خَيْرِ ٱلْخَلْقِ أَكْبَرُ أُسْوَةٍ ... تُصَبِّرُ أَحْرَارَ ٱلنُّفُوسِ وَتُسْلِيهَا

أَمَوْلَايَ لَوْ كَانَ ٱلْفِدَاءُ مُسَوَّغاً ... فَدَيْنَاكَ بِٱلدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَنْ[1] فِيهَا

أَمَوْلَايَ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَنَا ... إِذَا نَحْنُ رُمْنَا حَصْرَهَا لَسْنَا نُحْصِيهَا

أَمَوْلَايَ خَلَّفْتَ ٱلْعَبِيدَ إِلَى ٱلْأَسَى ... يُنَاجِيكَ مِنْ فَرْطِ ٱلشُّجُونِ مُنَاجِيهَا

وَقَدْ مَاتَ مِنَّا ٱلصَّبْرُ إِلَّا صُبَابَةً ... بِذِكْرِكَ فِي جُنْحِ ٱلدُّجُنَّةِ نُحْيِيهَا

أَمَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ هَلْ أَنْتَ سَامِعِي ... أَبُثُّكَ مَا يُشْجِي ٱلْقُلُوبَ وَيُدْمِيهَا

تَحَفَّيْتَ بِي حَتَّى نَضَوْتُ شَبِيبَتِي ... عَزِيزًا وَجِيهًا حَيْثُمَا رُمْتُ تَوْجِيهَا

وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنْ تَكُونَ جَنَازَتِي ... يُشَيِّعُهَا مِنْكَ ٱلرِّضَا وَيُوَارِيهَا

فَقَدْ عِشْتُ حَتَّى ذُقْتُ فَقْدَكَ قَلَّمَا ... تُبَلِّغُ نَفْسٌ مَا تُرِيدُ أَمَانِيهَا

وَلَوْلَا أَبُو ٱلْحَجَّاجِ نَجْلُكَ لَمْ يَكُنْ ... لِدِينِ ٱلْهُدَى كَرَّاتُ عِزٍّ[2] يُرَجِّيهَا[3]

وَلَكِنَّهُ وَٱللَّهُ يُجْمِلُ صَبْرَهُ ... مَنَاقِبُكَ ٱلْغُرُّ ٱلْكِرَامَ سَيُحْيِيهَا

فَخَلَّفْتَنَا مِنْهُ لِأَكْرَمِ كَافِلٍ ... يُحَمَّلُ أَعْبَاءَ ٱلْخِلَافَةِ كَافِيهَا

سَرِيرَتُهُ ٱلرُّحْمَى وَسِيرَتُهُ ٱلرِّضَى ... وَأَخْلَاقُهُ ٱلْغُرُّ ٱلْكَرِيمَةُ نَدْرِيهَا[4]

وَسِيلَتُنَا[5] ٱلْعُظْمَى وَظِلُّكَ فَوْقَنَا ... وَعُمْدَتُنَا وَٱللَّهُ فِي ٱلْعِزِّ يُبْقِيهَا

فَمَا كُنْتَ إِلَّا ٱلشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ لَنَا ... وَأَنْوَارُهَا بَدْرُ ٱلتَّمَامِ يُجَلِّيهَا

---

(1) «وَمَا» في أزهار.

(2) في نفس المصدر: «كَرَّاتُ بَحْرٍ».

(3) «يُزَجِّيهَا» فيه كذلك.

(4) «تَذْرِيهَا» في المصدر السابق.

(5) كذا عند نيفر؛ وفي أزهار: «وَسِيلَتُكَ».

وَمَا أَنْتَ إِلاَّ ٱلْمِسْكُ إِنْ تَخْفَ ذَاتُهُ — يَنِمُّ بِهَا ٱلْعَرْفُ ٱلذَّكِيُّ فَيُفْشِيهَا

أَلاَ قَدَّسَ ٱلرَّحْمَانُ نَفْساً كَرِيمَةً — بِكُلِّ عَزِيزٍ فِي ٱلْوُجُودِ نُفَدِّيهَا

وَبُشْرَى لَنَا أَنَّ ٱلسَّعَادَةَ نُزْلُهَا — وَأَنَّ رِضَا ٱللَّهِ ٱلْكَرِيمِ يُرَضِّيهَا

وَحَاشَا وَكَلاَّ أَنْ تَضِيعَ وَسَائِلٌ — سَيَذْخَرُهَا الرَبُّ ٱلْحَلِيمُ[1] وَيُنْشِيهَا

فَكَمْ مِنْ جِهَادٍ قَدْ رَفَعْتَ بُنُودَهُ — وَقَدْ أَثْمَرَتْ فِيهِ[2] ٱلْمَعَالِي عَوَالِيهَا

كَسَرْتَ تَمَاثِيلَ ٱلصَّلِيبِ وَأُخْرِسَتْ — نَوَاقِيسُ كَانَتْ بِٱلضَّلاَلِ تُنَاغِيهَا

وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ قَدْ أَعَدْتَ أَذَانَهُ — وَأَعْلَنَ فِيهِ دَعْوَةَ ٱلْحَقِّ دَاعِيهَا

وَكَمْ مِنْ رِيَاضٍ لِلْكَتَائِبِ قَدْ غَدَتْ — تَضِيقُ بِمُسْتَنِّ ٱلْجِيَادِ نَوَاحِيهَا

وَمُلْتَفِّ زَرْعٍ بِالأَسِنَّةِ مُزْهِرٍ — وَلكِنْ بِهِ المُرّانُ تَحْلُو مَجَانِيهَا

إِذَا ظَمِئَتْ مِنْهَا ٱلذَّوَابِلُ فِي ٱلْوَغَى — جَدَاوِلُ أَنْهَارِ ٱلسُّيُوفِ تُرَوِّيهَا

غِرَاسٌ زَكِيٌّ لِلْجِهَادِ غَرَسْتَهُ — فَسِرْتَ[3] إِلَى دَارِ ٱلسَّعَادَةِ تَجْنِيهَا

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ سِنِينَ قَطَعْتَهَا — رَهِينَ شَكَاةٍ لاَ تَزَالُ تُعَانِيهَا

صَبَرْتَ لَهَا صَبْرَ ٱلْكِرَامِ وَإِنَّمَا — ذَخَرْتَ أُجُوراً فَضْلُ رَبِّكَ جَازِيهَا

أَمَالَكَ فِي ٱلأَنْصَارِ خَيْرُ وَسِيلَةٍ — وَقَدْ كُنْتَ بِٱلنَّصْرِ ٱلْعَزِيزِ تُحَيِّيهَا

وَحَسْبُكَ بِٱلْمُخْتَارِ أَكْرَمِ شَافِعٍ — وَسُنَّتُهُ وَٱللَّهِ مَا زِلْتَ تُحْيِيهَا

عَلَى عَلَمِ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِ مُلُوكِهَا — تَحِيَّةُ رَبٍّ لاَ يَزَالُ يُوَالِيهَا

سَأَبْكِيهِ مَا دَامَ ٱلْحَمَامُ مُطَوَّقَا — وَمَا سَجَعَتْ تَبْكِي ٱلْهَدِيلَ قُمَارِيهَا

وَأُهْدِيهِ مِنْ طِيبِ السَّلاَمِ مُعَطَّرًا — كَمَا فَتَقَتْ أَيْدِي ٱلتِّجَارِ غَوَالِيهَا

وَأَسْأَلُ رَبَّ ٱلْعَرْشِ سُحْبَ كَرَامَةٍ — تَسُحُّ عَلَى ذَاكَ ٱلضَّرِيحِ غَوَادِيهَا

وَنَسْأَلُ فَتْحًا لِلْخَلِيفَةِ يُوسُفٍ — يُمَلِّكُهُ أَقْصَى ٱلْبِلاَدِ وَمَنْ فِيهَا

---

(1) «الكَرِيمُ» في أزهار.

(2) في نفس المصدر: «فِيهَا».

(3) «فصِرْتَ» فيه كذلك.

(102)

وقال في الغَرض[1]:

[الخفيف]

مَا تَرى فِي ٱلرِّيَاضِ أَشْبَاهِي ... يَسْحَرُ ٱلْعَقْلَ حُسْنِيَ ٱلْبَاهِي[2]

زَانَ رَوْضِي أَمِيرُهُ سَعْدٌ ... وَهُوَ نَجْلُ ٱلغَنِيِّ بِٱللَّهِ

دَامَ مِنْهُ بِمُرْتَقَى عِزٍّ ... آمِرٌ بِٱلسُّعُودِ أَوْ نَاهِي

(103)

وفيه[3]:

[مجزوء الرمل]

لِلْغَنِي بِاللَّهِ قَصْرٌ ... لِلتَّهَانِي يَصْطَفِيهِ

فِيهِ مِحْرَابُ صَلَاةٍ ... يَقِفُ ٱلإِبْرِيقُ فِيهِ

تَالِيًا سُورَةَ حُسْنٍ[4] ... وَٱلْمَعَالِي تَقْتَفِيهِ

قافية الياء

(104)

ومِن إعذَاريّاته المحكمة نَسْقًا وَرَصْفاً، المتناهية في كلّ فنّ حُسْنَ تَحْلِيَةٍ غريبةٍ وَوَصْفًا ـ حَسْبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة لصنائع مولانا، رحمة الله

(1) أي ممّا كتبه بالنقش على مبنى للأمير سعد عم جامع الديوان وابن الغني بالله (انظر: أزهار II/ 141).

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الزَّاهِي».

(3) أي مما رُسِمَ في طيقَان الأبواب بالمباني السعيدة التي ابتناها الغني بالله (أزهار II/ 140).

(4) في أزهار «حُبِيّ».

عليه، واحتفاله المناسب لعزّ ملكه، من تعميم الخلق بالجَفَلَى في دعواهم[1]، واستدعاء أشراف الأمم من أهل المغرب وسِواهم؛ تفنّنًا في مكارمَ متعدّدةٍ، أيّامها عن أَصَالَةِ المجد مُعرِبة؛ وإغراءً لهِمَمِ المُلك بما يُتَمِّمُ الأمنَ من أوضاع مُغْرِبَهْ، ومباهاةً بعرض الجيوش والكتائب للعدوّ الكافر، ومُكاثِراً من مماليك دولته بالعدو الوافر؛ ممّا ألجم اللَّسِنَ الذكيَّ عِييًّا، وغادر الإعذار الذَّنُونيّ[2] مَنْسِيًّا؛ كافأ اللهُ أُبوّته المَوْلَوِيَّةَ عنَّا وعن آبائنا، وتلقَى بالقَبول الكفيلِ بتجديد الرّضوان ما نَصِلُ إليه من خالص دعائنا؛ إنّه مُنْعِمٌ جَوَادٌ ـ قولُه في الصَنيع[3] المختصّ من ذلك بمولانا الوالد، قدّس الله روحه، وذلك سنة 764 هـ[4]:

[الطويل]

مَعَاذَ ٱلْهَوَى أَنْ أَصْحَبَ ٱلْقَلْبَ سَالِيَا ... وَأَنْ يَشْغَلَ ٱللُّوَّامُ بِٱلْعَذْلِ بَالِيَا

دَعَانِيَ أُعْطِ ٱلحُبَّ فَضْلَ مَقَادَتِي ... وَيَقْضِي عَلَيَّ ٱلْوَجْدُ مَا كَانَ قَاضِيَا

وَدُونَ ٱلَّذِي رَامَ ٱلْعَوَاذِلُ صَبْوَةٌ ... رَمَتْ بِيَ فِي شِعْبِ ٱلْغَرَامِ ٱلْمَرَامِيَا

وَقَلْبٌ إِذَا مَا ٱلْبَرْقُ أَوْمَضَ مَوْهِنًا ... قَدَحْتُ بِهِ زَنْدًا مِنَ ٱلشَّوْقِ وَارِيَا

خَلِيلَيَّ إِنِّي يَوْمَ طَارِقَةِ ٱلنَّوَى ... شَقِيتُ بِمَنْ لَوْ شَاءَ أَنْعَمَ بَالِيَا

وَبِٱلْخَيْفِ يَوْمَ ٱلنَّفْرِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... تَخَلَّفْتُ[5] قَلْبِي فِي حِبَالِكِ عَانِيَا

وَذِي أُشُرٍ عَذْبِ ٱلثَّنَايَا مُخَصَّرٍ ... يُسَقَّى بِهِ مَاءُ ٱلنَّعِيمِ ٱلْأَقَاحِيَا

أَحُومُ عَلَيْهِ مَا دَجَا ٱللَّيْلُ سَاهِرًا ... وَأُصْبِحُ دُونَ ٱلْوِرْدِ ظَمْآنَ صَادِيَا

يُضِيءُ ظَلَامُ ٱللَّيْلِ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي ... إِذَا ٱلْبَارِقُ ٱلنَّجْدِيُّ وَهْنًا بَدَا لِيَا

---

(1) هي الدعوة العامّة. يقول الشاعر الجاهلي: «نحن في المشتاة ندعو الجَفَلَى».

(2) نسبة إلى ابن ذنّون وهو المأمون أحد ملوك الطوائف له الإعذار الذنونيَ المشهور به يُضربُ المثل في الترف والبذخ.

(3) هو الإعذار (راجع الإحاطة II/ 223).

(4) يعتبر ابن الخطيب أنّ هذه المدحية الإعذارية هي من بدائع ابن زمرك المشهورة (راجع المصدر المذكور سابقاً).

(5) كذا في نفح وفي أزهار؛ وفي الإحاطة: «تَخَلَّفَ».

أَجِيرَتَنَا بِٱلرَّمْلِ وَٱلرَّمْلُ مَنْزِلٌ ... مَضَى ٱلْعَيْشُ فِيهِ بِٱلشَّبِيبَةِ حَالِيَا

وَلَمْ أَرَ رَبْعًا مِنْهُ أَقْضَى لُبَانَةً ... وَأَشْجَى حَمَامَاتٍ وَأَحْلَى مَجَانِيَا

سَقَتْ ظِلَّهُ[1] ٱلْغُرُّ ٱلْغَوَادِي وَنَظَّمَتْ ... مِنَ ٱلْقَطْرِ فِي جِيدِ ٱلْغُصُونِ لآلِيَا

أَبُثُّكُمُ أَنِّي عَلَى ٱلنَّأْيِ حَافِظٌ ... ذِمَامَ ٱلْهَوَى لَوْ تَحْفَظُونَ ذِمَامِيَا

أُنَاشِدُكُمْ وَٱلْحُرُّ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ... وَلَنْ يَعْدَمَ ٱلإِحْسَانُ وَٱلْخَيْرُ جَازِيَا

هَلِ ٱلْوُدُّ إِلاَّ مَا تَحَامَاهُ كَاشِحٌ ... وَأَخْفَقَ فِي مَسْعَاهُ مَنْ جَاءَ وَاشِيَا

تَأَوَّبَنِي وَٱللَّيْلُ يُذْكِي عُيُونَهُ ... وَيَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِ ٱلدُّجُنَّةِ ضَافِيَا[2]

وَقَدْ مَثَّلَتْ زُهْرُ ٱلنُّجُوم بِأُفْقِهِ ... حَبَابًا عَلَى نَهْرِ ٱلْمَجَرَّةِ طَافِيَا

خَيَالٌ عَلَى بُعْدِ ٱلْمَزَارِ أَلَمَّ بِي ... فَأَذْكَرَنِي مَنْ لَمْ أَكُنْ عَنْهُ سَالِيَا

عَجِبْتُ لَهُ كَيْفَ ٱهْتَدَى نَحْوَ مَضْجَعِي ... وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي ٱلسُّقْمُ وَٱلشَّوْقُ بَاقِيَا

رَفَعْتُ لَهُ نَارَ ٱلصَّبَابَةِ فَٱهْتَدَى ... وَخَاضَ لَهَا عَرْضَ ٱلدُّجُنَّةِ سَارِيَا

وَمِمَّا أَجَدَّ ٱلْوَجْدَ سِرْبٌ عَلَى ٱلنَّقَا ... سَوَانِحُ يَصْقِلْنَ ٱلطُّلَى وَٱلتَّرَاقِيَا

نَزَعْنَ عَنِ ٱلأَلْحَاظِ كُلَّ مُسَدَّدٍ ... فَغَادَرْنَ أَفْلاذَ ٱلْقُلُوبِ دَوَامِيَا

وَلَمَّا تَرَاءَى ٱلسِّرْبُ[3] قُلْتُ لِصَاحِبِي ... وَأَيْقَنْتُ أَنَّ ٱلْحُبَّ مَا عِشْتُ دَائِيَا

حَذَارِكَ مِنْ سُقْمِ ٱلْجُفُونِ[4] فَإِنَّهُ ... سَيُعْدِي[5] بِمَا يُعْيِي ٱلطَّبِيبَ ٱلْمُدَاوِيَا

وَإِنَّ أَمِيرَ ٱلْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا ... لَيُعْدِي نَدَاهُ ٱلسَّارِيَاتِ ٱلْهَوَامِيَا

تُضِيءُ ٱلنُّجُومَ ٱلزَّاهِرَاتِ خِلالُهُ ... وَيَنْفُثُ فِي رَوْعِ ٱلزَّمَانِ ٱلْمَعَالِيَا

---

(1) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «ظلّه».

(2) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «صَافِيًا».

(3) في الإحاطة: «السِّرْتُ» ولعله تحريف.

(4) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «القلوب».

(5) انفرد نيفر بقراءة ثانية: «سَيُعْيِي».

معَالٍ[1] إذَا مَا ٱلنَّجْمُ صَوَّبَ طَالِبًا ... مَبَالِغَهَا فِي ٱلعِزِّ حَلَّقَ[2] وَانِيَا[3]

يُسَابِقُ عُلْوِيَّ ٱلرِّيَاحِ إِلَى ٱلنَّدَى ... وَيَفْضَحُ[4] جَدْوَى رَاحَتَيْهِ ٱلْغَوَادِيَا

وَيُغْضِي عَلَى ٱلْعَوْرَاءِ إِغْضَاءَ قَادِرٍ ... وَيَرْجَحُ فِي ٱلْحِلْمِ ٱلْجِبَالَ ٱلرَّوَاسِيَا

هُمَامٌ يَرُوعُ ٱلأُسْدَ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى ... كَمَا رَاعَتِ ٱلأُسْدُ ٱلظِّبَاءَ ٱلْحَوَارِيَا[5]

مَنَاقِبُ تَسْمُو لِلْفَخَارِ كَأَنَّمَا ... تُجَارِي إلى ٱلْمَجْدِ ٱلنُّجُومَ ٱلْجَوَارِيَا

إِذَا ٱسْتَبَقَ ٱلأَمْلاَكُ يَوْماً لِغَايَةٍ ... أَبَيْتَ وَذَاكَ ٱلْمَجْدُ إلا ٱلتَّنَاهِيَا

بَهَرْتَ فَأَخْفَيْتَ ٱلْمُلُوكَ وَذِكْرَهَا ... وَلاَ عَجَبٌ فَٱلشَّمْسُ تُخْفِي ٱلدَّرَارِيَا

جَلَوْتَ ظَلاَمَ ٱلظُّلْمِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدٍ ... وَلاَ غَرْوَ أَنْ تَجْلُو ٱلْبُدُورُ ٱلدَّيَاجِيَا

هَدَيْتَ سَبِيلَ ٱللَّهِ مَنْ ضَلَّ رُشْدَهُ ... فَلاَ زِلْتَ مَهْدِيًّا إِلَيْهِ وَهَادِيَا

أَفَدْتَ وَحَتَّى[6] ٱلْمُلْكُ مِمَّا أَفَدْتَهُ ... وَطَوَّقْتَ أَشْرَافَ ٱلْمُلُوكِ ٱلأَيَادِيَا

وَقَدْ عَرَفَتْ مِنْهَا مَرِينُ[7] سَوَابِقًا ... تُقِرُّ لَهَا بِٱلْفَضْلِ أُخْرَى ٱللَّيَالِيَا

وكَانَ أَبُو زَيَّانَ[8] جِيدًا مُعَطَّلاً ... فَزَيَّنْتَهُ حَتَّى ٱغْتَدَى بِكَ حَالِيَا

لَكَ ٱلْخَيْرُ لَمْ تَقْصِدْ بِمَا قَدْ أَفَدْتَهُ ... جَزَاءً وَلَكِنْ هِمَّةٌ هِيَ مَا هِيَا

فَمَا تُكْبِرُ ٱلأَمْلاَكُ غَيْرَكَ آمِرًا ... وَلاَ تَرْهَبُ ٱلأَشْرَافُ غَيْرَكَ نَاهِيَا

وَلاَ تَشْتَكِي ٱلأَيَّامُ مِنْ دَاءِ فِتْنَةٍ ... فَقَدْ عَرَفَتْ مِنْكَ ٱلطَّبِيبَ ٱلْمُدَاوِيَا

---

(1) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «مَقَال».

(2) كذا في نفح والإحاطة؛ وفي أزهار: «خُلُقٌ».

(3) «وَالِيًا في الإحاطة».

(4) في أزهار: «وَتَفْضَحُ».

(5) كذا في الإحاطة؛ وفي أزهار ونفح: «والجَوَازِيَا».

(6) كذا في أزهار؛ وفي الأحاطة: «خَفِيَّ»؛ وفي نفح: «وَحَيَّ».

(7) قبيل من البربر حكموا بعد الموحدّين بالمغرب الأقصى (669 هـ ـ 823 هـ) وخلفهم بنو وطّاس.

(8) هو محمد بن موسى من أسرة بني عبد الواد من سلاطين تلمسان تولّى سنة 796 هـ بعد أن انتزع الحكم من أخيه، ثم قُتِل سنة 802 هـ.

وَأَنْــدَلُسًــا أَوْلَيْــتَ مَــا أَنْــتَ أَهْلُـهُ وَأَوْرَدْتَهَــا وِرْدًا مِــنَ ٱلْأَمْــنِ صَــافِيَــا

تَـلَافَيْـتَ هَـذَا ٱلثَّغْـرَ وَهُـوَ عَلَـى شَفًـى وَأَصْبَحْـتَ مِـنْ دَاءِ ٱلْحَـوَادِثِ شَـافِيَـا

وَمِـنْ بَعْـدِ مَـا سَـاءَتْ ظُنُـونٌ بِـأَهْلِهَـا وَحَـامُـوا عَلَـى وِرْدِ ٱلْأَمَـانِـي صَـوَادِيَـا

فَمَــا يَــأْمَلُــونَ ٱلْعَيْــشَ إِلاّ تَعَلُّــلاً وَلَا يَعْــرِفُــونَ ٱلْأَمْــنَ إِلاَّ أَمَــانِيَــا

عَطَفْــتَ عَلَــى ٱلْأَيَّــامِ عِطْفَــةَ رَاحِــمٍ وَأَلْبَسْتَهَــا ثَــوْبَ ٱمْتِنَــانِــكَ ضَــافِيَــا

فَـآنَسَ مِـنْ تِلْقَـائِـكَ ٱلْمُلْـكُ رُشْـدَهُ وَنَــالَ بِــكَ الإِسْــلَامُ مَــا كَــانَ رَاجِيَــا

وَقَفْـتَ عَلَـى ٱلإِسْـلَامِ نَفْسًـا كَـرِيمَـةً تَصُــدُّ عَــدُوًّا عَــنْ حِمَــاهُ وَعَــادِيَــا

فَـرَأْيٌ كَمَـا ٱنْشَـقَّ ٱلصَّبَـاحُ وَعَـزْمَـةٌ كَمَا صَقَلَ ٱلقَيْنُ[1] ٱلحُسَامَ ٱليَمَانِيَا

وَكَـانَـتْ رِمَـاحُ ٱلخَـطِّ خُمْصًـا ذَوَابِـلاً فَـأَنْهَلْـتَ مِنْهَـا فِـي ٱلـدِّمَـاءِ صَـوَادِيَـا

وَأَوْرَدْتَ صَفْحَ ٱلسَّيْفِ أَبْيَضَ نَاصِعًا فَـأَصْـدَرْتَـهُ فِـي ٱلـرَّوْعِ أَحْمرَ قَـانِيَـا

لَكَ ٱلْعَزْمُ تُسْتَجْلَى ٱلْخُطُوبُ بِهَدْيِهِ وَيُلْفَـى إِذَا تَنْبُـو ٱلصَّـوَارِمُ مَـاضِيَـا

إِذَا أَنْــتَ لَــمْ تَفْخَـرْ بِمَــا أَنْــتَ أَهْلُـهُ فَمَـا ٱلصُّبْـحُ وَضَّـاحَ ٱلْمَشَـارِقِ عَـالِيَـا

وَيَهْنِيـكَ دُونَ ٱلْعِيــدِ عِيــدٌ شَـرَعْتَـهُ نَبَـتُّ[2] بِـهِ فِـي ٱلْخَـافِقَيْـنِ ٱلتَّهَـانِيَـا

أَقَمْـتَ بِـهِ مِـنْ فِطْـرَةِ ٱلـدِّيـنِ سُنَّـةً وَجَـدَّدْتَ مِـنْ رَسْـمِ ٱلْهِـدَايَـةِ عَـافِيَـا

صَنِيـعٌ تَـوَلَّـى ٱللَّـهُ تَشْيِيـدَ فَخْـرِهِ وَكَــانَ لِمَــا أَوْلَيْــتَ فِيـهِ مُجَــازِيَــا

تَـوَدُّ ٱلنُّجُـومُ ٱلـزُّهْـرُ لَـوْ مَثَلَـتْ بِـهِ وَقَضَّـتْ مِـنَ ٱلزُّلْفَــى إِلَيْـكَ ٱلْأَمَـانِيَا

وَمَا زَالَ وَجْهُ ٱلْيَوْمِ بِٱلشَّمْسِ مُشْرِقًا سُـرُوراً بِـهِ وَٱللَّيْـلُ بِـٱلشُّهْـبِ حَـالِيَـا

عَلَـى مِثْلِـهِ فَلْيَعْقِـدِ ٱلْفَخْـرُ تَـاجَـهُ وَيَسْمُــو بِــهِ فَــوْقَ ٱلنُّجُــومِ مَــرَاقِيَــا

بِــهِ تَغْمُــرُ ٱلْأَنْــوَاءُ[3] كُــلَّ مُفَــوَّهِ وَيَحْدُو بِهِ مَنْ كَانَ[4] بِٱلْقَفْرِ[5] سَارِيَا

---

(1) «العَيْنُ» في الإحاطة.

(2) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «تبثُّ».

(3) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «يَغْمُر الأنداءُ».

(4) «مَنْ بَاتَ» في أزهار.

(5) «بالفقْر» في الإحاطة ولعلّه تحريف.

وَيُــوسُـفُ فِيــهِ بِــٱلْجَمَــالِ مُقَنَّــعٌ ... كَــأَنَّ لَــهُ مِــنْ كُــلِّ قَلْــبٍ مُنَــاجِيَــا

وَأَقْبَــلَ قَـدْ شَــابَ[1] ٱلْحَيَــاءَ مَهَــابَــةٌ ... يُقَلِّــبُ وَجْــهَ ٱلْبَــدْرِ أَزْهَــرَ بَــاهِيَــا

وَأَقْــدَمَ لاَ هَيَّــابَــةَ الْحَفْــلِ وَاجِمًــا ... وَلاَ قَــاصِــرًا فِيــهِ ٱلْخُطَــا مُتَــوَانِيَــا

شَمَــائِــلُ فِيــهِ مِــنْ أَبِيــهِ وَجَــدِّهِ ... تَــرَى ٱلْعِــزَّ فِيهَــا مُسْتَكِنًّا وَبَــادِيَــا

فَيَــا عَلَقًــا أَشْجَــى ٱلْقُلُــوبَ لَــوْ ٱنَّنَا ... فَــدَيْنَــاكَ بِــٱلأَعْــلاَقِ مَــا كُنْـتَ غَــالِيَــا

جَــرَيْــتَ فَــأَجْــرَيْــتَ ٱلــدُّمُــوعَ تَعَطُّفًــا ... وَأَطْلَعْــتَ فِيهَــا لِلسُّــرُورِ فَــوَاشِيَــا

وَكَــمْ مِــنْ وَلِــيٍّ دُونَ بَــابِــكَ مُخْلِــصٍ ... يُفَــدِّيــهِ بِــٱلنَّفْــسِ ٱلنَّفِيسَــةِ وَاقِيَــا

وَصِيــدٍ مِــنَ ٱلْحَيَّيْــنِ أَبْنَــاءِ قَيْلَــةٍ ... تَكُــفُّ ٱلْعَــوَادِي[2] أَوْ تُبِيــدُ ٱلأَعَــادِيَــا

بَهَــالِيــلُ غُــرٌّ إِنْ أَعَــدُّوا لِغَــارَةٍ ... أَعَــادُوا صَبَــاحَ ٱلْحَــيِّ أَظْلَــمَ دَاجِيَــا

فَــوَاللَّــهِ لَــوْلاَ أَنْ تَــوَخَّيْــتَ سُنَّــةً ... رَضِيــتَ بِهَــا أَنْ كَــانَ رَبُّــكَ رَاضِيَــا

لَكَــانَ بِهَــا لِــلأَعْــوَجِيَّــاتِ جَــوْلَــةٌ ... تُشِيبُ مِنْ ٱلْغُلْــبِ ٱلشَّبَابِ ٱلنَّــوَاصِيَا

وَتَتْــرُكُ أَوْصَــالَ ٱلْــوَشِيــجِ مُقَصَّــدًا ... وَبِيــضَ ٱلظُّبَــى حُمْــرَ ٱلْمُتُــونِ دَوَامِيَــا

وَلَمَّا قَضَى[3] مِنْ سُنَّةِ ٱللَّهِ مَا قَضَى ... وَقَــدْ حَسَــدَتْ مِنْــهُ ٱلنُّجُــومُ ٱلْمَسَــاعِيَــا

أَفَضْنَــا نُهَنِّــي مِنْــكَ أَكْــرَمَ مُنْعِــمٍ ... أَبَــى لِعَمِيــمِ ٱلْجُــودِ إِلاَّ تَــوَالِيَــا

فَيَهْنِــي صِفَــاحَ ٱلْهِنْــدِ وَٱلْبَــاسَ وَٱلنَّــدَى ... وَسُمْرَ ٱلْعَوَالِي وَٱلْعِتَاقَ ٱلْمَذَاكِيَا[4]

وَيَهْنِــي ٱلْبُنُــودَ ٱلْخَــافِقَــاتِ فَــإِنَّهَــا ... سَيَعْقِدُهَــا فِــي ذِمَّــةِ ٱلنَّصْــرِ غَــازِيَــا

كَأَنِّــي بِــهِ يَشْفِــي ٱلْصَــوَارِمَ وَٱلظُّبَــى ... وَيَحْطِــمُ فِــي لأْمِ ٱلضَّــلاَلِ ٱلْعَــوَالِيَــا

كَــأَنِّــي بِــهِ قَــدْ تُــوِّجَ ٱلْمُلْــكَ يَــافِعًــا ... وَجَمَّــعَ أَشْتَــاتَ ٱلْمَكَــارِمِ نَــاشِيَــا

وَقَضَّــى حُقُوقَ ٱلْفَخْرِ فِي مَيْعَةِ[5] ٱلْصِّبَا ... وَأَحْسَــنَ مِــنْ دَيْــنِ ٱلْكَمَــالِ ٱلتَّقَاضِيَــا

---

(1) كذا في الإحاطة وأزهار؛ وفي نفح: «مَا شَابَ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي الإحاطة ونفح: «الأعَادِي».

(3) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «مَضَى».

(4) هذا البيت سقط من الإحاطة ومن أزهار.

(5) كذا في أزهار ونفح؛ وفي الإحاطة: «فِي مِنْعَةٍ».

وَمَـا هُـوَ إِلاَّ السَّعْـدُ إِنْ رُمْـتَ مَطْلَعًـا وَسَـدَّدْتَ سَهْمًـا كَـانَ رَبُّـكَ رَامِيَـا
فَـلاَ زِلْـتَ يَـا فَخْـرَ ٱلْخِـلاَفَـةِ كَـافِـلاً وَلاَ زِلْـتَ يَـا خَيْـرَ ٱلأَيِمَّـةِ كَـافِيَـا
وَدُمْـتَ قَـرِيـرَ ٱلْعَيْـنِ مِنْـهُ بِغِبْطَـةٍ وَكَـانَ لَـهُ رَبُّ البَـرِيَّـةِ وَاقِيَـا
نَظَمْـتُ لَـهُ حُـرَّ ٱلْكَـلاَمِ تَمَـائِمًـا جَعَلْـتُ مَكَـانَ ٱلـدُّرِّ فِيـهِ ٱلْقَـوَافِيَـا
لآلٍ بِهَـا تَبْـأَى[1] ٱلْمُلُـوكُ نَفَـاسَـةً وَجَلَّـتْ لَعَمْـرِي أَنْ تَكُـونَ لآلِيَـا
أَرَى ٱلْمَـالَ يَـرْمِيـهِ ٱلْجَـدِيـدَانِ بِـٱلْبِلَـى وَمَـا إِنْ أَرَى إِلاَّ ٱلْمَحَـامِـدَ بَـاقِيَـا

(105)

وأنشد من ذلك في الصّنيع المخصوص بعمّنا الأمير أبي عبدالله ـ رحمة الله تعالى عليه ـ وأطنب في وصف دار المُلك وغيرِ ذلك من ضخامة آثار مولانا الجدّ رضي الله عنه:

[الطويل]

سَلِ ٱلأُفْقَ بِٱلزُّهْرِ ٱلْكَوَاكِبِ حَالِيَا فَـإِنِّـيَ قَـدْ أَوْدَعْتُـهُ شَـرْحَ حَـالِيَـا
وَحمَّلْـتُ مُعْتَـلَّ ٱلنَّسِيـمِ أَمَـانَـةً قَطَعْـتُ بِهَـا عُمْـرَ ٱلـزَّمَـانِ أَمَـانِيَـا
فَيَـا مَـنْ رَأَى ٱلأَرْوَاحَ وَهْـيَ ضَعِيفَـةٌ أُحَمِّلُهَـا مَـا يَسْتَخِّـفُ ٱلـرَّوَاسِيَـا
وَسَاوِسُ كَمْ جَدَّتْ وجَدَّ بِيَ ٱلْهَوَى فَعُـدَّ بِـهِ[2] ٱلْقَلْـبُ ٱلْمُقَلَّـبُ هَـازِيَـا
وَمَنْ يُطِعِ الأَلْحَاظَ في شِرْعَةِ ٱلْهَوَى فَـلاَ بُـدَّ أَنْ يَعْصِـي نَصِيحاً وَلاَحِيَـا
عَـدَلْـتُ بِقَلْبِـي عَـنْ وِلاَيَـةِ حُكْمِـهِ غَدَاةَ ٱرْتَضَى مِنْ جَائِرِ ٱللَّحْظِ وَالِيَا
وَمَـا ٱلْحُـبُّ إِلاَّ نَظْـرَةٌ تَبْعَـثُ ٱلْهَـوَى وَتُعْقِـبُ مَـا يُعْيِـي ٱلْطَبِيـبَ ٱلْمُـدَاوِيَـا
فَيَـا عَجَبًـا لِلْعَيْـنِ تَمْشِـي طَلِيقَـةً وَيُصْبِـحُ مِـنْ جَـرَّائِهَـا ٱلْقَلْـبُ عَـانِيَـا
أَلاَ فِـي سَبِيـلِ ٱللَّـهِ نَفْـسٌ نَفِيسَـةٌ يُـرَخِّـصُ مِنْهَـا ٱلْحُـبُّ مَـا كَـانَ غَـالِيَـا

(1) كذا في الإحاطة ونفح؛ وفي أزهار: «بَاهَى».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِهَا».

وَيَا رُبَّ عَهْدٍ لِلشَّبَابِ قَضَيْتُهُ ... وَأَحْسَنْتُ مِنْ دَيْنِ ٱلْوِصَالِ ٱلتَّقَاضِيَا

خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَاهُ مِنْ غَيْرِ رِقْبَةٍ ... وَلَكِنْ عَفَافِي لَمْ أَكُنْ عَنْهُ خَالِيَا

وَيَوْمٍ بِمُسْتَنِّ ٱلظِّبَاءِ شَهِدْتُهُ ... أَجَدَّ وِصَالاً بَالِياً فِيهِ بَالِيَا

وَلَمْ أَصْحُ مِنْ خَمْرِ ٱللِّحَاظِ وَقَدْ غَدَا ... بِهِ ٱلْجَوُّ[1] وَضَّاحَ ٱلْأَسِرَّةِ ضَاحِيَا

وَجَرَّدَ مِنْ غِمْدِ ٱلْغَمَامَةِ صَارِمًا ... مِنَ ٱلْبَرْقِ مَصْقُولَ ٱلصَّفِيحَةِ صَافِيَا[2]

تَبَسَّمَ فَٱسْتَبْكَى جُفُونِيَ عَبْرَةً[3] ... مَلأْتُ بِدُرِّ ٱلدَّمْعِ مِنْهَا رِدَائِيَا

وَأَذْكَرَنِي ثَغْرًا ظَمِئْتُ لِوِرْدِهِ ... وَلاَ وَٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ مَا كُنْتُ نَاسِيَا

وَرَاحَ خَفُوقَ ٱلْقَلْبِ مِثْلِي كَأَنَّمَا ... بِبَرْقِ ٱلْحِمَى مِنْ لَوْعَةِ ٱلْحُبِّ مَابِيَا

وَلَيْلَةَ بَاتَ ٱلْبَدْرُ فِيهَا مُضَاجِعِي ... وَبَاتَتْ عُيُونُ ٱلشُّهْبِ نَحْوِي رَوَانِيَا

كَرَعْتُ بِهَا بَيْنَ ٱلْعُذَيْبِ وَبَارِقٍ ... بِمَوْرِدِ ثَغْرٍ بَاتَ بِٱلدُّرِّ حَالِيَا

رَشَفْتُ بِهِ[4] شَهْدَ ٱلرُّضَابِ سُلاَفَةً ... وَقَبَّلْتُ فِي مَاءِ ٱلنَّعِيمِ ٱلْأَقَاحِيَا

فَيَا بَرْدَ ذَاكَ ٱلثَّغْرِ رَوَّيْتَ غُلَّتِي ... وَيَا حَرَّ أَنْفَاسِي أَذَبْتَ فُؤَادِيَا

وَرَوْضَةِ حُسْنٍ لِلشَّبَابِ نَضِيرَةٍ ... هَصَرْتُ[5] بِغُصْنِ ٱلْبَانِ فِيهَا ٱلْمَجَانِيَا

وَبِتُّ أُسَقِّي[6] وَرْدَةَ ٱلْخَدِّ أَدْمُعِي ... فَأَصْبَحَ فِيهَا نَرْجِسُ ٱللَّحْظِ ذَاوِيَا

وَمَالَتْ بِقَلْبِي مَائِلاَتٌ قُدُودِهَا ... فَمَا لِلْقُدُودِ ٱلْمَائِلاَتِ وَمَالِيَا

جَزَى ٱللَّهُ ذَاكَ ٱلْعَهْدَ عَوْدًا فَطَالَمَا ... أَعَادَ عَلَى رَبْعِ ٱلظِّبَاءِ ٱلْجَوَازِيَا

وَقُلْ لِلَيَالٍ فِي ٱلشَّبَابِ نَعِمْتُهَا ... وَقَضَّيْتُهَا أُنْسًا : سُقِيتِ لَيَالِيَا

وَيَا وَادِيًا رَقَّتْ عَلَيَّ ظِلاَلُهُ ... وَنَحْنُ نُدِيرُ ٱلْوَصْلَ : فُدِّيتَ وَادِيَا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح : «الجوّة» وهو تحريف.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار : «مصقول الصفيح يمانيا».

(3) في أزهار : «عَبرَةً».

(4) كذا في نفح : وفي أزهار : «بها».

(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح : «بصرت».

(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار : «وقد بتُّ أَسْقِي».

رَمَتْنِي عُيُونُ ٱلسِّرْبِ فِيهِ وَإِنَّمَا ... رَمَيْنَ بِقَلْبِي فِي ٱلْغَرَامِ ٱلْمَرَامِيَا

فَلَوْلاَ ٱعْتِصَامِي بِٱلأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ... لَمَا كُنْتُ مِنْ فَتْكِ ٱللَّوَاحِظِ نَاجِيَا

فَقَلْ لِلَّذِي يَبْنِي عَلَى ٱلْحُسْنِ شِعْرَهُ ... عَلَيْهِ مَعَ ٱلإِحْسَانِ لاَ زِلْتَ بَانِيَا

فَكَمْ مِنْ شَكَاةٍ فِي ٱلْهَوَى قَدْ رَفَأْتُهَا ... وَرَقَّعْتُهَا[1] بِٱلْمَدْحِ إِذْ جَاءَ تَالِيَا

وَكَمْ لَيْلَةٍ فِي مَدْحِهِ قَدْ سَهِرْتُهَا ... أُبَاهِي بِدُرِّ ٱلنَّظْمِ فِيهِ ٱلدَّرَارِيَا

وَلاَحَ عَمُودُ ٱلصُّبْحِ مِثْلَ ٱنْتِسَابِهِ ... رَفَعْتُ عَلَيْهِ لِلْمَدِيحِ ٱلْمَبَانِيَا

إِمَامٌ أَفَادَ ٱلْمَكْرُمَاتِ زَمَانَهُ ... وَسَاكِنُهُ فَوْقَ ٱلنُّجُومِ ٱلْعَوَالِيَا[2]

وَجَاوَزَ قَدْرَ ٱلْبَدْرِ نُوراً وَرِفْعَةً ... وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ بِٱلْكَمَالِ مُوَالِيَا

هُوَ ٱلشَّمْسُ بَثَّتْ فِي ٱلْبَسِيطَةِ نَفْعَهَا ... وَأَنْوَارُهَا أَهْدَتْ قَرِيبًا وَقَاصِيَا

هُوَ ٱلْبَحْرُ بِٱلإِحْسَانِ يَزْخَرُ مَوْجُهُ ... وَلَكِنَّهُ عَذْبٌ لِمَنْ جَاءَ عَافِيَا

هُوَ ٱلْغَيْثُ مَهْمَا يُمْسِكِ[3] ٱلْغَيْثُ سُحْبَهُ ... يُرَوِّي بِسُحْبِ ٱلْجُودِ مَنْ كَانَ صَادِيَا

شَمَائِلُ لَوْ أَنَّ ٱلرِّيَاضَ بِحُسْنِهَا ... لَمَا صَارَ فِيهَا زَهْرُهَا ٱلْغَضُّ ذَاوِيَا

فَيَا ٱبْنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلصِّيدِ مِنْ آلِ خَزْرَجٍ ... وَذَا نَسَبٍ كَالصُّبْحِ عَزَّ مُسَامِيَا

أَلَسْتَ ٱلَّذِي تَرْجُو ٱلْعُفَاةُ نَوَالَهُ ... فَتُخْجِلَ جَدْوَاهُ ٱلسَّحَابَ ٱلْغَوَادِيَا

أَلَسْتَ ٱلَّذِي تَخْشَى ٱلْبُغَاةُ صِيَالَهُ ... فَتُوجِلَ[4] عَلْيَاهُ ٱلصِّعَابَ ٱلْعَوَادِيَا

وَهَدْيُكَ مَهْمَا ضَلَّتِ ٱلشُّهْبُ قَصْدَهَا ... تَوَلَّتْهُ فِي جُنْحِ ٱلدُّجُنَّةِ هَادِيَا

وَعَزْمُكَ أَمْضَى مِنْ حُسَامِكَ فِي ٱلْوَغَى ... وَإِنْ كَانَ مَصْقُولَ ٱلْغِرَارَيْنِ مَاضِيَا

فَكَمْ قَادِحٍ فِي ٱلدِّينِ يَكْفُرُ رَبَّهُ ... قَدَحْتَ لَهُ زَنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَارِيَا

وَمَا رَاعَهُ إِلاَّ حُسَامٌ وَعَزْمَةٌ ... يُضِيئَانِ فِي لَيْلِ ٱلْخُطُوبِ ٱلدَّوَاجِيَا

فَلَوْلاَكَ يَا شَمْسَ ٱلْخِلاَفَةِ لَمْ يَبِنْ ... سَبِيلُ جِهَادٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ خَافِيَا

---

(1) كذا في أزهار وفي نفح: «وَرَفَّعْتَهَا».

(2) في أزهار: «وَشَادَ له فوقَ النجوم ٱلْمَعَالِيَا».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «يَهْمِي يمسك» وهو تحريف من الناسخ.

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «فَتُنْزِلَ».

ولَـوْلاَكَ لَـمْ تُنْهَلْ غُصُـونٌ مِـنَ ٱلْقَنَـا … وَكـانَـتْ إلـى وِرْدِ ٱلـدِّمَـاءِ صَـوَادِيَـا

فَـأَثْمَـرَ فِيهَـا ٱلنَّـصْلُ نَصْـرًا مُـؤَزَّرًا … وَأَجْنَـى[1] قِطَـافَ ٱلْفَتْـحِ غَضًّـا وَدَانِيَـا

وَمَهْمَـا غَـدَا سَفَّـاحُ سَيْفِـكَ عَـارِيًـا … يُغَـادِرُ وَجْـهَ ٱلأَرْضِ بِـٱلـدَّمِ كَـاسِيَـا

قَضَـى ٱللَّـهُ مِـنْ فَـوْقِ ٱلسَّمَـاوَاتِ أَنَّـهُ … عَلَى مَنْ أَبَى ٱلإِسْلاَمَ فِي ٱلأَرْضِ قَاضِيَا

فَكَـمْ مَعْقِـلٍ لِلْكُفْـرِ صَبَّحْـتَ أَهْلَـهُ … بِجَيْـشٍ أَعَـادَ ٱلصُّبْـحَ أَظْلَـمَ دَاجِيَـا

رَقِيـتَ إِلَيْـهِ وَٱلسُّيُـوفُ مُشِيحَـةٌ … وَقَـدْ بَلَغَـتْ فِيـهِ ٱلنُّفُـوسُ ٱلتَّـرَاقِيَـا

فَفَتَّحْـتَ مَـرْقَـاةَ ٱلْمُمَنَّـعِ عَنْـوَةً … وَبَـاتَ بِـهِ ٱلتَّـوْحِيـدُ يَعْلُـو مُنَـادِيَـا

وَنَـاقُـوسُـهُ بِـٱلْقَسْـرِ أَمْسَـى مُعَطَّـلاً … وَمِنْبَـرُهُ بِـٱلـذِّكْـرِ أَصْبَـحَ حَـالِيَـا

عَجَـائِـبُ لَـمْ تَخْطُـرْ بِبَـالٍ وَإِنَّمَـا … ظَفِرْنَـا بِهَـا عَـنْ هِمَّـةٍ هَـيَ مَـاهِيَـا

فَمِنْـكَ ٱسْتَفَـادَ ٱلـدهْـرُ كُـلَّ عَجِيبَـةٍ … يُبَـاهِـي بِهَـا ٱلأَمْـلاَكَ أُخْرَى لَيَـالِيَـا

وَعَنْـكَ يُـرَوِّي ٱلنَّـاسُ كُـلَّ غَـرِيبَـةٍ … تَخُـطُّ عَلَـى صَفْـحِ الـزّمَـانِ أَمَالِيَـا[2]

وَلِلَّـهِ مَبْنَـاكَ ٱلْجَمِيـلُ فَـإِنَّـهُ … يَفُـوقُ عَلَـى حُكْـمِ ٱلسُّعُـودِ ٱلْمَبَـانِيَـا

فَكَـمْ فِيـهِ لِـلأَبْصَـارِ مِـنْ مُتَنَـزَّهٍ … تُجَـدُّ بِـهِ نَفْـسُ ٱلْحَلِيـمِ ٱلأَمَـانِيَـا

وَتَهْـوَى ٱلنُّجُـومُ الزُّهْـرُ لَـوْ ثَبَتَـتْ بِـهِ … وَلَـمْ تَـكُ فِـي أُفْـقِ ٱلسَّمَـاءِ جَـوَارِيَـا

وَلَـوْ مَثَّلَـتْ فِي سَاحَتَيْهِ[3] لَسَـابَقَـتْ … إِلَـى خِـدْمَـةٍ تُـرْضِيـكَ مِنْهَـا ٱلْجَـوَارِيَـا

بِـهِ ٱلْبَهْـوُ قَـدْ حَـازَ ٱلْبَهَـاءَ وَقَـدْ غَـدَا … بِـهِ ٱلْقَصْـرُ آفَـاقَ ٱلسَّمَـاءِ مُبَـاهِيَـا

وَكَـمْ حُلَّـةٍ جَلَّلْتَـهُ بِحُلِيِّهَـا … مِنَ ٱلْوَشْيِ تُنْسِي ٱلسَّابِرِيَّ ٱلْيَمَانِيَا

وَكَـمْ مِـنْ قِسِيٍّ فِـي ذُرَاهُ تَرَفَّعَـتْ … عَلَـى عَمَـدٍ بِـٱلنُّـورِ بَـاتَـتْ حَـوَالِيَـا

فَتَحْسِبُهَـا ٱلأَفْـلاَكَ دَارَتْ قِسِيُّهَـا … تُظِـلُّ عَمُـودَ ٱلصُّبْـحِ إِذْ بَـاتَ[4] بَـادِيَـا

سَـوَارِيَ قَـدْ جَـاءَتْ بِكُـلِّ غَـرِيبَـةٍ … فَطَـارَتْ بِهَـا ٱلأَمْثَـالُ تَجْـرِي سَـوَارِيَـا

بِـهِ ٱلْمَـرْمَـرُ ٱلْمَجْلُـوُّ قَـدْ شَـفَّ نُـورُهُ … فَيَجْلُـو مِـنَ ٱلظَّلْمَـاءِ مَـا كَـانَ دَاجِيَـا

---

(1) في أزهار: «فأَجْنَى».

(2) كذا في نفس المصدر؛ وفي نفح: «الأمالِيَا».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «سَابِقِيهِ».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لاَحَ».

إِذَا مَـا أَضَـاءَتْ بِـٱلشُّعَـاعِ تَخَـالُهَـا
عَلَـى عِظَـمِ ٱلأَجْـرَامِ مِنْهَـا لآلِيَـا

بِـهِ ٱلْبَحْـرُ دَفَّـاعُ ٱلْعُبَـابِ تَخَـالُـهُ
إِذَا مَـا ٱنْبَـرَى وَفْـدُ ٱلنَّسِيـمِ مُبَـارِيَـا

إِذَا مَا جَلَتْ أَيْدِي ٱلصَّبَا مَتْنَ صَفْحِهِ[1]
أَرَتْنَـا دُرُوعـاً أَكْسَبَتْنَـا ٱلأَيَـادِيَـا

وَرَاقِصَـةٍ فِـي ٱلْبَحْـرِ طَـوْعَ عِنَانِهَـا
تُـرَاجِـعُ أَلْحَـانَ ٱلْقِيَـانِ ٱلأَغَـانِيَـا

إِذَا مَـا عَلَـتْ فِـي ٱلْجَـوِّ ثُـمَّ تَحَـدَّرَتْ
تُحَلِّـي بِمُـرْفَـضِّ ٱلْجُمَـانِ ٱلنَّـوَاحِيَـا

يَـذُوبُ لُجَيْـنٌ سَـالَ بَيْـنَ جَـوَاهِـرٍ
غَدَا مِثْلَهَا فِي ٱلْحُسْنِ أَبْيَضَ صَافِيَا

تَشَـابَـهَ جَـارٍ لِلْعُيُـونِ بِجَـامِـدٍ
فَلَـمْ أَدْرِ أَيًّـا مِنْهُمَـا كَـانَ جَـارِيَـا

فَـإِنْ شِئْـتَ تَشْبِيهًـا لَـهُ عَـنْ حَقِيقَـةٍ
تُصِيـبُ بِهَـا ٱلْمَـرْمَـى وَبُـورِكْـتَ رَامِيَـا

فَقُـلْ أَرْقَصَـتْ مِنْهَـا ٱلْبُحَيْرَةُ مَتْنَهَا[2]
كَمَا يُرْقِصُ ٱلْمَوْلُودَ مَنْ كَانَ لاَهِيَا

أَرَتْنَـا طِبَـاعَ ٱلْجُـودِ وَهْـيَ وَلِيـدَةٌ
وَلَـمْ تَـرْضَ فِـي ٱلإِحْسَـانِ إِلَّا تَغَـالِيَـا

سَقَتْ ثَغْرَ زَهْرِ ٱلرَّوْضِ عَذْبَ بَرُودِهَا
وَقَامَتْ لِكَيْ تُهْدِي إِلَى ٱلرَّوْضِ سَاقِيَا

كَـأَنْ قَـدْ رَأَتْ نَهْـرَ ٱلْمَجَـرَّةِ نَـاضِبًـا
فَرَامَتْ بِأَنْ تُجْرِي إِلَيْـهِ ٱلسَّـوَاقِيَـا

وَقَـامَـتْ بَنَـاتُ ٱلـدَّوْحِ فِيهَا مَـوَائِـلاً
فُـرَادَى وَيَتْلُـو بَعْضُهُـنَّ مَثَـانِيَـا

رَوَاضِعَ فِي حِجْرِ ٱلْغَرَامِ[3] تَرَعْرَعَتْ
وَشَبَّـتْ فَشَبَّـتْ حُبَّهَـا فِـي فُـؤَادِيَـا

بِهَـا كُـلُّ مُلْتَـفِّ ٱلْغَـدَائِـرِ مُسْبَـلٍ
تُجِيـلُ بِـهِ أَيْـدِي ٱلنَّسِيـمِ مَـدَارِيَـا

وَأَشْـرَفَ جِيـدُ ٱلْغُصْـنِ فِيهَا مُعَطَّـلاً
فَقَلَّـدَتِ ٱلنُّـوَّارَ مِنْـهُ ٱلتَّـرَاقِيَـا

إِذَا مَـا تَحَلَّـتْ دُرَّ زَهْـرٍ غُـرُوسُـهُ
يَبِيـتُ لَهَـا ٱلنَّمَّـامُ بِـالطِّيـبِ وَاشِيَـا

مُصَـارَفَـةُ ٱلنَّقْـدَيْـنِ فِيهَـا بِمِثْلِهَـا
أَجَازَ بِهَا قَاضِي ٱلْجَمَالِ التَّقَاضِيَا[4]

فَـإِنْ مَلأَتْ كَفَّ النَّسِيـمِ مَعَ ٱلضُّحَى
دَرَاهِـمَ نَـوْرٍ ظَـلَّ عَنْهَـا مُكَـافِيَـا

فَيَمْـلأُ حِجْـرَ ٱلـرَّوْضِ حَـوْلَ غُصُـونِهَـا
دَنَانِيـرَ شَمْـسٍ تَتْـرُكُ ٱلـرَّوْضَ حَـالِيَـا

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «صَفْحَ مَتْنِهِ».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِنْتَهَا».
(3) «الغَمَامِ» في أزهار.
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أجاز بها النقدين منها كما هيَ».

تُغِرِّدُ[1] فِي أَفْنَانِهَا ٱلطَّيْرُ كُلَّمَا … تَجُسُّ بِهِ أَيْدِي ٱلْقِيَانِ ٱلْمَلَاهِيَا

تُرَاجِعُهَا سَجْعًا فَتَحْسِبُ أَنَّهَا … بِأَصْوَاتِهَا تُمْلِي عَلَيْهَا ٱلْأَغَانِيَا

فَلَمْ نَدْرِ رَوْضًا مِنْهُ أَنْعَمَ نَضْرَةً … وَأَعْطَرَ أَرْجَاءً وَأَحْلَى مَجَانِيَا

وَلَمْ نَرَ قَصْرًا مِنْهُ أَعْلَى مَظَاهِرًا … وَأَرْفَعَ آفَاقًا وَأَفْسَحَ نَادِيَا

مَعَانِيَ مِنْ نَفْسِ ٱلْكَمَالِ ٱنْتَقَيْتَهَا … وَزَيَّنْتَ مِنْهَا بِٱلْجَمَالِ ٱلْمَغَانِيَا

وَفَاتَحْتَ مَبْنَاهُ بِعِيدٍ شَرَعْتَهُ … تَبُثُّ بِهِ فِي ٱلْخَافِقَيْنِ ٱلتَّهَانِيَا

وَلَمَّا دَعَوْتَ ٱلنَّاسَ نَحْوَ صَنِيعِهِ … أَجَابُوا لَهُمْ مِنْ جَانِبِ ٱلْغَوْرِ دَاعِيَا

وَأَمُّوهُ مِنْ أَقْصَى ٱلْبِلَادِ تَقَرُّبًا … وَمَا زَالَ مِنْكَ ٱلسَّعْدُ يُدْنِي ٱلْأَقَاصِيَا

وَأَذْكَرْتَ يَوْمَ ٱلْعَرْضِ جُودًا وَمَنْعَةً … بِمَا[2] غَرَسَتْ يُمْنَاهُ أَصْبَحَ جَانِيَا

وَأَطْلَعْتَ مِنْ جَزْلِ ٱلْوَقُودِ هَوَادِجًا … تُذَكِّرُ يَوْمَ ٱلنَّفْرِ مَنْ كَانَ سَاهِيَا

وَحِينَ غَدَا يُذْكِي مَنَايِرَ[3] لِلْقِرَى … فَلَا غَرْوَ أَنْ أَجْرَيْتَ فِيهِ ٱلْمَذَاكِيَا

وَطَامِحَةٍ فِي ٱلْجَوِّ غَيْرِ مُطَالَةٍ … يَرُدُّ مَدَاهَا ٱلطَّرْفَ أَحْسَرَ عَارِيَا

تَمُدُّ لَهَا ٱلْجَوْزَاءُ كَفَّ مُسَارِعٍ[4] … وَيَدْنُو لَهَا بَدْرُ ٱلسَّمَاءِ مُنَاجِيَا

وَلَا عَجَبٌ أَنْ فَاتَتِ ٱلشُّهْبَ بِٱلْعُلَى … وَأَنْ جَاوَزَتْ مِنْهَا ٱلْمَدَى ٱلْمُتَنَاهِيَا

فَبَيْنَ يَدَيْ مَثْوَاكَ قَامَتْ لِخِدْمَةٍ … وَمَنْ خَدَمَ ٱلْأَعْلَى ٱسْتَفَادَ ٱلْمَعَالِيَا

وَشَاهِدُ ذَا أَنِّي بِبَابِكَ وَاقِفٌ … وَقَدْ حَسَدَتْ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ مَكَانِيَا

وَقَدْ أُرْضِعَتْ ثَدْيَ ٱلْغَمَائِمِ قَبْلَهَا … بِحِجْرِ رِيَاضٍ كُنَّ فِيهِ نَوَاشِيَا

فَلَمَّا أُبِينَتْ عَنْ قَرَارَةِ أَصْلِهَا … أَرَادَتْ إِلَى مَرْقَى ٱلْغَمَامِ تَعَالِيَا

وَعَدَّتْ لِقَاءَ ٱلسُّحْبِ عِيدًا وَمَوْسِمًا … لِذَاكَ ٱغْتَدَتْ بِٱلزَّمْرِ تُلْهِي ٱلْغَوَادِيَا

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «تَعُودُ» وهو تحريف من الناسخ.

(2) «فَمَا» في أزهار.

(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِبَابِكَ».

(4) في أزهار: «مُصَافِحٍ».

فَأَضْحَكَتِ ٱلْبَرْقَ ٱلطَّرُوبَ خِلاَلَهَا ... وَبَاتَ لأَكْوَاسِ[1] الدَّرَارِي مُعَاطِيَا
رَأَتْ نَفْسَهَا طَالَتْ فَظَنَّتْ بِأَنَّهَا ... تَفُوتُ عَلَى رَغْمِ ٱللَّحَاقِ ٱلْمَرَامِيَا
فَخَفَّتْ إِلَيْهَا ٱلزَّائِلاَتُ[2] كَأَنَّهَا ... طُيُورٌ إِلَى وَكْرٍ أَطَلْنَ تَهَاوِيَا
حَكَتْ شَبَهًا لِلنَّخْلِ وَٱلنَّخْلُ حَوْلَهُ ... عَصِيٌّ إِلَى مَثْوَاهُ تَهْوِي عَوَالِيَا
فَمِنْ مُثْبَتٍ مِنْهَا ٱلرَّمِيَّةَ مُدْرِكٍ ... وَمِنْ طَائِشٍ فِي ٱلْجَوِّ حَلَّقَ وَانِيَا
وَحِصْنٍ مَنِيعٍ فِي ذُرَاهَا[3] قَدِ ٱرْتَقَى ... فَأَبْعَدَ فِي ٱلْجَوِّ ٱلْفَضَاءِ ٱلْمَرَاقِيَا
كَأَنَّ بُرُوقَ ٱلْجَوِّ[4] غَارَتْ وَقَدْ رَأَتْ ... بُرُوجَ قُصُورٍ شِدْتَهُنَّ سَوَامِيَا
فَأَنْشَأْتَ بُرْجًا صَاعِدًا مُتَنَزِّلاً ... يَكُونُ رَسُولاً بَيْنَهُنَّ مُدَارِيَا
تَطَوَّرَ حَالاَتٍ أَتَى فِي ضُرُوبِهَا ... بِأَنْوَاعِ حَلْيٍ تَسْتَفِزُّ ٱلْغَوَانِيَا
فَحِجْلٌ بِرِجْلَيْهَا وِشَاحٌ بِخِصْرِهَا ... وَتَاجٌ إِذَا[5] مَا حَلَّ مِنْهَا ٱلأَعَالِيَا
وَمَا هُوَ إِلاَّ طَيْرُ سَعْدٍ بِذِرْوَةٍ ... غَدَا زَاجِرًا مِنْ أَشْهَبِ ٱلصُّبْحِ بَازِيَا
أَمَوْلاَيَ يَا فَخْرَ ٱلْمُلُوكِ وَمَنْ بِهِ ... سَيَبْلُغُ دِينُ ٱللَّهِ مَا كَانَ رَاجِيَا
بَنُوكَ عَلَى حُكْمِ ٱلسَّعَادَةِ خَمْسَةٌ[6] ... وَذَا عَدَدٌ لِلْعَيْنِ مَا زَالَ وَاقِيَا
تَبِيتُ لَهُمْ كَفُّ ٱلثُّرَيَّا مُعِيذَةً ... وَيُصْبِحُ مُعْتَلُّ ٱلنَّسِيمِ رَوَاقِيَا
أَسَامٍ عَلَيْهَا لِلسَّعَادَةِ مِيسَمٌ ... تَرَى ٱلعِزَّ فِيهَا مُسْتَكِنًّا وَبَادِيَا
جَعَلْتَ أَبَا ٱلْحَجَّاجِ فَاتِحَ طِرْسِهِمْ ... وَقَدْ عَرَفَتْ مِنْكَ ٱلْفُتُوحُ ٱلتَّوَالِيَا
وَحَسْبُكَ سَعْدٌ ثُمَّ نَصْرٌ يَلِيهِمُ ... مُحَمَّدُ ٱلأَرْضَى فَمَا زِلْتَ رَاضِيَا
أَقَمْتَ بِهِ مِنْ فِطْرَةِ ٱلدِّينِ سُنَّةً ... وَجَدَّدْتَ مِنْ رَسْمِ ٱلْهِدَايَةِ عَافِيَا

---

(1) لم يُسمَع أكواس جمعاً لكأس إنما يجمع على كؤوس وأكؤس وكئاس.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الذابلات».

(3) في أزهار: «ذراه».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بُروجَ الأُفْقِ».

(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «إلى».

(6) يشير إلى أبناء الغني بالله الخمسة: أبو الحجاج يوسف؛ سعد، نصر، محمد، عليّ.

وَجَاءُوا بِـهِ مِـلْءَ ٱلْعُيُـونِ وَسَـامَـةً يُقَبِّـلُ وَجْـهَ ٱلأَرْضِ[1] أَزْهَـرَ بَـاهِيَـا

فَيَـا عَـاذِلاً مَـا كَـانَ أَجْـرَأَ مِثْلَـهُ فَمِثْلُـكَ لاَ يُـدْمِـي ٱلأُسُـودَ ٱلْضَـوارِيَـا

وَجَاءَتْكَ مِنْ مِصْرَ ٱلتَّحَايَا كَرَائِمًا فَمَـا فُتِقَـتْ أَيْـدِي ٱلتِّجَـارِ ٱلْغَـوَالِيَـا

وَوَافَتْـكَ مِـنْ أَرْضِ ٱلْحِجَـازِ تَمِيمَـةٌ تُتَمِّـمُ صُنْـعَ ٱللَّـهِ لاَ زَالَ بَـادِيَـا

وَنَـادَاكَ بِـٱلتَّهْـوِيـلِ سُلْطَـانُ طَيْبَةٍ فَيَـا طِيـبَ مَـا أَهْـدَى إِلَيْـكَ مُنَـادِيَـا

وَقَـامَ وَقَـدْ وَافَـى ضَـرِيـحَ مُحَمَّـدٍ لِسُلْطَـانِـكَ ٱلأَعْلَـى هُنَـالِـكَ دَاعِيَـا

سَـرِيـرَتُـكَ ٱلـرُّحْمَـى جَزَاكَ بِسَعْيِهَـا إِلاَهٌ يُـوَفِّـي فِـي ٱلْجَـزَاءِ ٱلْمَسَـاعِيَـا

فَـوَٱللَّـهِ لَـوْلاَ سُنَّـةٌ نَبَـوِيَّـةٌ عَهِـدْنَـاهُ مَهْـدِيًّـا إِلَيْهَـا وَهَـادِيَـا

وَعُـذْرٌ مِـنَ ٱلأَعْـذَارِ قَـرَّرَ حُكْمَـهُ مِـنَ ٱلشَّـرْعِ أَخْبَـارٌ رُفِعْـنَ عَـوَالِيَـا

لَرَاعَتْ بِهَا لِلْجَزْرِ[2] أَهْـوَالُ مَـوْقِفٍ تُشِيـبُ بِمُبْيَـضِّ ٱلنُّصُـولِ ٱلْعَـوَالِيَـا

لَـكَ ٱلْحَمْـدُ فِيـهِ مِـنْ صَنِيـعٍ تُعِـدُّهُ فَثَـالِثُـهُ فِـي ٱلْفَخْـرِ عَـزَّزَ ثَـانِيَـا

تَشُـدُّ لَـهُ ٱلْجَـوْزَاءُ عِقْـدَ نِطَـاقِهَـا لِتَخْـدُمَ فِيـهِ كَـيْ تَنَـالَ ٱلْمَعَـالِيَـا

وَهُنِّيـتَ بِـٱلأَمْـدَاحِ فِيـهِ وَقَـدْ غَـدَا وُجُـودُكَ فِيـهِ بِـٱلإِجَـادَةِ وَاقِيَـا[3]

وَدُونَـكَ مِـنْ بَحْـرِ ٱلْبَيَـانِ جَـوَاهِـرًا كَـرُمْـنَ فَمَـا يُشْـرَيْـنَ إِلاَّ غَـوَالِيَـا

وَطَـارَدْتُ فِيهَـا وَصْـفَ كُـلِّ غَـرِيبَـةٍ فَأَعْجَزْتُ مَنْ يَأْتِي وَمَنْ كَانَ مَاضِيَا

فَيَـا وَارِثَ ٱلأَنْصَـارِ لاَ عَـنْ كَـلاَلَـةٍ تُـرَاثُ جَـلاَلٍ يَسْتَخِـفُّ ٱلـرَّوَاسِيَـا

بِـأَمْـدَاحِـهِ جَـاءَ ٱلكِتَـابُ مُفَصَّـلاً يُـرَتِّلُـهُ فِـي ٱلـذِّكْـرِ مَـنْ كَـانَ تَـالِيَـا

لَقَـدْ عَـرَفَ ٱلإِسْـلاَمُ مِمَّـا أَفَـدْتَـهُ مَكَـارِمَ أَنْصَـارِيَّـةً وَأَيَـادِيَـا

عَلَيْـكَ سَـلاَمُ ٱللَّـهِ فَـٱسْلَـمْ مُخَلَّـدًا تُجَـدِّدُ أَعْيَـادًا وَتُبْلِـي أَعَـادِيَـا

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يُقَلِّبُ وَجْهَ البَدْرِ».

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «لِلْحَـزْبِ».

(3) في نفح: «وَافِيًا».

(106)

ومن ذلك أيضاً يخاطب أخانا السلطان أبا عبدالله ـ رحمة الله تعالى عليه ـ مُتوسِّلاً بقديم ذمامه، والخِدم المتعدِّدة من نظَامه:

[الطويل]

أَيَعْطِشُ[1] أَوْلَادِي وَأَنْتَ غَمَامَةٌ   تَعُمُّ جَمِيعَ ٱلْخَلْقِ بِٱلنَّفْعِ وَٱلسُّقْيَا

وَتُظْلِمُ أَوْقَاتِي وَوَجْهُكَ نَيِّرٌ   تَفِيضُ بِهَا[2] ٱلْأَنْوَارُ لِلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا

وَجَدُّكَ قَدْ سَمَّاكَ رَبُّكَ بِٱسْمِهِ   وَأَوْرَثَكَ ٱلرَّحْمَانُ رُتْبَتَهُ ٱلْعُلْيَا

وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي ٱلَّذِي أَنَا سَائِلٌ   وَسَوَّغَنِي مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثُنْيَا[3]

وَشِعْرِيَ فِي غُرِّ[4] ٱلْمَصَانِعِ خَالِدٌ   يُحَيِّيهِ عَنِّي فِي ٱلْمَمَاتِ وَفِي ٱلْمَحْيَا

وَمَا زِلْتُ أُهْدِي ٱلْمَدْحَ مِسْكًا مُفَتَّقًا   فَتَحْمِلُهُ ٱلْأَرْوَاحُ عَاطِرَةَ ٱلرَّيَّا

وَقَدْ أَكْثَرَ ٱلْعَبْدُ ٱلتَّشَكِّي وَإِنَّهُ   وَحَقِّكَ يَا فَخْرَ ٱلْمُلُوكِ قَدِ ٱسْتَحْيَا

وَمَا ٱلْجُودُ إِلَّا مَيِّتٌ غَيْرَ أَنَّهُ   إِذَا نَفَحَتْ يُمْنَاكَ فِي رُوحِهِ يَحْيَا

فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْعُو لِدِينِ مُحَمَّدٍ   فَيَدْعُو لِمَوْلَانَا ٱلْخَلِيفَةِ بِٱلْبُقْيَا

(107)

وكتب إليه[5] أيضاً مُتَشَوِّقاً:

[الطويل]

كَتَبْتُ وَدَمْعِي بَلَّلَ ٱلرَّكْبَ قَطْرُهُ   وَأَجْرَى بِهِ بَيْنَ ٱلْخِيَامِ ٱلسَّوَاقِيَا

---

(1) رجّحنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار ونفح: «أَتَعْطَشُ».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بِهِ».
(3) أي من غير استثناء.
(4) اخترنا قراءة أزهار؛ وفي نفح: «غَيْرِ».
(5) أي إلى سلطانه الغني بالله (أزهار: II/ 134).

حَنِينًا لِمَوْلَى أَتْلَفَ ٱلْمَالَ جُودُهُ   وَلَكِنَّهُ قَدْ خَلَّدَ ٱلْفَخْرَ بَاقِيَا
وَمَا عِشْتُ بَعْدَ ٱلْبَيْنِ إِلاَّ لأَنَّنِي   أُرَجِّي بِفَضْلِ ٱللَّهِ مِنْهُ ٱلتَّلاَقِيَا

(108)

وخاطبه[1] كذلك:

[الطويل]

يُكَلِّفُنِي مَوْلاَيَ رَجْعَ جَوَابِهِ   وَمَا لِتَعَاطِي ٱلْمُعْجِزَاتِ وَمَالِيَا
أُجِيبُكَ[2] لِلْفَضْلِ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ   وَأَكْتُبُ مِمَّا قَدْ أَفَدْتُ ٱلأَمَالِيَا
فَأَنْتَ الَّذِي طَوَّقْتَنِي كُلَّ مِنَّةٍ   وَأَحْيَيْتَ[3] آمَالِي وَأَكْسَبْتَ مَالِيَا
وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَعْرَى[4] ٱلزَّمَانَ كَمَالُهُ   وَصَيَّرْتَ[5] أَحْرَارَ ٱلزَّمَانِ مَوَالِيَا
فَلاَ زِلْتَ لِلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ مُوَاصِلاً[6]   وَلاَ زِلْتُ لِلشُّكْرِ ٱلجَزِيلِ مُوَالِيَا

---

(1) أي ابنَ الخطيب مُجيبًا عن رسالة (أزهار: II/ 167).
(2) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «أُحَيِّكَ».
(3) كذا في أزهار وفي نفح: «أَحْسَبْتَ».
(4) اخترنا قراءة نيفر؛ وفي أزهار: «أَعْدَى»؛ وفي نفح: «أَغْدَى».
(5) عند نيفر: «وَصَيَّرَ».
(6) عند نيفر: «مُؤَمَّلاً».

الموشّحات[1]

(109)

فمن ذلك قولُه تَشَوُّقاً إلى غرناطة ـ أعادها الله ـ ومادحاً الغنيَّ بالله:

[مخلع البسيط]

بِـــاللَّـــهِ يَـــا قَـــامَـــةَ ٱلْقَضِيـــبِ وَمُخْجِـــلَ ٱلشَّمْـــسِ وَٱلْقَمَـــرْ

مَـــنْ مَلَّـــكَ ٱلْحُسْـــنَ فـــي ٱلْقُلُـــوبِ وَأَيَّـــدَ ٱللَّحْـــظَ بِـــٱلْحَـــوَرْ

مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ طَبْعُـهُ رَقِيقَـا لَـمْ يَـدْرِ مَـا لَـذَّةُ ٱلصِّبَـا

فَـــرُبَّ حُـــرٍّ غَـــدَا رَقِيقَـا تَمْلِكُـــهُ نَفْحَـــةُ ٱلصَّبَـــا

نَشْـوَانُ لَـمْ يَشْـرَبِ ٱلـرَّحِيقَـا لَكِـنْ إِلَـى ٱلْحُسْـنِ قَـدْ صَبَـا

فَعَـــذَّبَ ٱلْقَلْـــبَ بِـــٱلْـــوَجِيـــبِ وَنَعَّـــمَ ٱلْعَيْـــنَ بِـــٱلنَّظَـــرْ

وَبَـــاتَ وَٱلـــدَّمْـــعُ فِـــي صَبِيـــبِ يَقْـــدَحُ مِـــنْ قَلْبِـــهِ ٱلشَّـــرَرْ

عَجِبْـتُ[2] مِـنْ قَلْبِـيَ ٱلْمُعَنَّـى يَهْفُـو إِذَا هَبَّـتِ ٱلـرِّيَـاحْ

لَـوْ كَـانَ لِلصَّـبِّ مَـا تَمَنَّـى لَطَـارَ شَـوْقًـا بِـلاَ جَنَـاحْ

وَبُلْبُـــلُ ٱلـــدَّوْحِ إِنْ تَغَنَّـــى أَسْهَـرُ لَيْلِـي إِلَـى ٱلصَّبَـاحْ

عَسَـــاكَ إِنْ زُرْتَ يَـــا طَبِيبِـــي بِٱلطَّيْـــفِ فِـــي رَقْـــدَهِ ٱلسَّحَـــرْ

---

(1) لقد أورد المقّري في أزهار (II/ 176 وما بعدها) وفي نفح (X/ 102 وما بعدها) نفس الموشحات التي انتقاها ممّا جمعه ابنُ الأحمر يوسف الثالث في «البقية والمدرك» قائلاً: «وقد عنّ لي أن أذكر جملة من موشحاته لغرابتها ولأنَ جلّ ما وقَفْتُ عليه منها ينخرط في سلك المُغْرب، إذْ أكثره مخلَع البسيط» (أزهار II/ 176) وقد احتفظنا بنفس ترتيب هذه الموشحات كما جاءت في المصدرين.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «أَوَّاهُ».

أَنْ تَجْعَـلَ ٱلنَّـوْمَ مِـنْ نَصِيبِـي وَٱلْعَيْـنَ تَحْمِـي مِـنَ ٱلسَّهَـرْ

كَـمْ شَـادِنٍ قَـادَ لِـي ٱلْحُتُـوفَـا بِمَـرْبَـعِ ٱلْقَلْـبِ قَـدْ سَكَـنْ

يَسُـلُّ مِـنْ لَحْظِـهِ سُيُـوفَـا فَـٱلْقَلْـبُ بِـٱلـرَّوْعَ مَـا سَكَـنْ

خُلِقْـتُ مِـنَ عَـادَتِـي ٱلْـوفَـا أَحِـنُّ لِـلإِلْـفِ وَٱلسَّكَـنْ

غَـرْنَـاطَـةٌ مَنْـزِلُ ٱلْحَبِيـبِ وَقُـرْبُهَـا ٱلسُّـؤْلُ وَالْـوَطَـرْ

تَبْهَـرُ بِـٱلْمَنْظَـرِ ٱلْعَجِيـبِ فَـلاَ عَـدَا رَبْعُهَـا ٱلْمَطَـرْ

عَـرُوسَـةٌ تَـاجُهَـا ٱلسَّبِيكَـهْ وَزَهْـرُهَـا ٱلْحَلْـيُ وَٱلْحُلَـلْ

لَمْ تَرْضَ مِنْ عِزِّهَا شَرِيكَهْ بِحُسْنِهَـا يُضْـرَبُ ٱلْمَثَـلْ

أَيَّـدَهَـا ٱللَّـهُ مِـنْ مَلِيكَـهْ تَمْلِكُهَـا أَشْـرَفُ ٱلـدُّوَلْ

بِـدَوْلَـةِ ٱلْمُـرْتَجَـى ٱلْمَهِيـبِ ٱلْمَلِـكِ ٱلظَّـاهِـرِ ٱلأَغَـرْ

تَخْتَـالُ مِـنْ بُـرْدِهَـا ٱلْقَشِيـبِ فِـي حُلَّـةِ ٱلنَّـوْرِ وَٱلـزَّهَـرْ

كُـرْسِيُّهَـا جَنَّـةُ ٱلْعَـرِيـفِ مِـرْآتُهَـا صَفْحَـةُ ٱلْغَـدِيـرْ

وَجَـوْهَـرُ ٱلطَّـلِّ عَـنْ شُنُـوفِ تُحْكِمُهَـا[1] صَنْعَـةُ ٱلْقَـدِيـرْ

وَٱلأُنْـسُ فِيهَـا عَلَـى صُنُـوفِ فَمِـنْ هَـدِيـلٍ وَمَـنْ هَـدِيـرْ

كَـمْ خَـرَّقَ ٱلـزَّهْـرُ مِنْ جُيُـوبِ وَكَلَّـلَ ٱلْقُضْـبَ بِـٱلـدُّرَرْ

فَـٱلْغُصْـنُ كَـٱلْكَـاعِـبِ ٱللَّعُـوبِ وَالطَّيْـرُ تَشْـدُو بِـلاَ وَتَـرْ[2]

وَلاَئِـمُ ٱلنَّصْـرِ فِـي ٱحْتِفَـالِ وَفَـرْحُ دِيـنِ ٱلْهُـدَى جَـدِيـدْ

سُلْطَـانُهَـا مُعْمِـلُ ٱلْعَـوَالِـي مُحَمَّـدُ ٱلظَّـافِـرُ ٱلسَّعِيـدْ

وَمُخْجِـلُ ٱلْبَـدْرِ فِـي ٱلْكَمَـالِ سُلْطَـانُهَـا ٱلْمُجْتَبَـى ٱلْفَـرِيـدْ

أَصْفَـحُ مَـوْلًـى عَـنِ ٱلـذُّنُـوبِ أَكْـرَمُ عَـافٍ إِذَا قَـدَرْ

وَشَمْـسُ هَـدْيٍ بِـلاَ مَغِيـبِ وَبَحْـرُ جُـودٍ بِـلاَ حَسَـرْ

---

(1) في أزهار: «تحكمُهُ».

(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وطَرْ».

مَـوْلَايَ يَـا عَـاقِـدَ ٱلْبُنُـودِ تُظَلِّـلُ ٱلأَوْجُـهَ ٱلصِّبَـاحْ
أَوْحَشْـتَ يَـا نُخْبَـةَ ٱلْـوُجُـودِ غَـرْنَـاطَـةً هَـالَـةَ ٱلسَّمَـاحْ
سَـافَـرْتَ بِٱلْيُمْـنِ وَٱلسُّعُـودِ وَعُـدْتَ بِـٱلْفَتْـحِ وَٱلنَّجَـاحْ
يَـا مُلْهِـمَ القَلْـبِ لِلْغُيُـوبِ وَمُطْعَـمَ النَّصْـرِ وَالظَّفَـرْ
أَسْمَعَـكَ ٱللَّـهُ عَـنْ قَـرِيـبِ: «عَلَـى ٱلسَّـلَامَـةْ[1] مِـنَ ٱلسَّفَـرْ»

(110)

وقال أيضاً من الموشّحات الفائقة، وفي مثل أغراض هذه السابقة وأشار إلى محاسنَ من وصف الدِّشَارِ[2]:

[مخلع البسيط]

نَسِيـمُ غَـرْنَـاطَـةٍ عَلِيـلُ لَكِنَّـهُ يُبْـرِئُ ٱلْعَلِيـلْ
وَرَوْضُهَـا زَهْـرُهُ[3] بَلِيـلُ وَرَشْفُـهُ يَنْقَـعُ ٱلْغَلِيـلْ
سَقَـى بِنَجْـدٍ رُبَـى ٱلْمُصَلَّـى مُبَـاكِـرًا رَوْضَـهُ[4] ٱلْغَمَـامْ
فَجَفْنُـهُ كُلَّمَـا ٱسْتَهَـلَّا[5] تَبَسَّـمَ ٱلـزَّهْـرُ فِـي ٱلْكِمَـامْ
وَٱلرَّوْضُ بِٱلْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّـى وَجَـرَّدَ ٱلنَّهْـرَ عَـنْ حُسَـامْ
ودَوْحُهَـا ظِلُّـهُ ظَلِيـلُ يَحْسُـنُ فِـي رَبْعِـهِ ٱلْمَقِيـلْ
وَٱلْبَـرْقُ وَٱلْجَـوُّ مُسْتَطِيـلُ يَلْعَـبُ بِـٱلصَّـارِمِ ٱلصَّقِيـلْ
عَقِيلَـةٌ تَـاجُهَـا ٱلسَّبِيكَـهْ تُطِـلُّ بِـٱلْمَـرْقَـبِ ٱلْمُنِيـفْ
كَـأَنَّهَـا فَـوْقَـهُ مَلِيكَـهْ كُـرْسِيُّهَـا جَنَّـةُ ٱلْعَـرِيـفْ

(1) «عَلَى السَّلَامَا» في أزهار.
(2) هو الدسكرة أو البستان (دوزي: الملحق 1/ 443)؛ وفي أزهار: «الرَّشَادِ» ولعلّه تحريف.
(3) «زَاهِرٌ» في أزهار.
(4) «رَوْضَهَا» في نفس المصدر.
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح إعادة لصدر نفس البيت السابق: «سَقَى بنجدٍ...».

تَطْبَعُ[1] مِنْ عَسْجَدٍ سَبِيكَهْ ... شُمُوسُهَا كُلَّمَا تُطِيفْ

أَبْدَعَكَ ٱلْخَالِقُ ٱلْجَمِيلُ[2] ... يَا مَنْظَرًا كُلُّهُ جَمِيلْ

قَلْبِي إِلَى حُسْنِهِ يَمِيلُ ... وَقَبْلَنَا قَدْ صَبَا جَمِيلْ

وَزَادَ لِلْحُسْنِ فِيكَ حُسْنَا ... مُحَمَّدُ ٱلْحَمْدِ وَٱلسَّمَاحْ

جَدَّدَ لِلْفَخْرِ فِيكَ مَبْنَى[3] ... فِي طَالِعِ ٱلْيُمْنِ وَٱلنَّجَاحْ

تُدْعَى دِشَارًا[4] وفِيكَ مَعْنَى ... يَخُصُّكَ ٱلْفَأْلُ بِٱفْتِتَاحْ

فَٱلنَّصْرُ وَٱلسَّعْدُ لاَ يَزُولُ ... لِأَنَّهُ ثَابِتٌ أَصِيلْ

سَعْدٌ وَأَنْصَارُهُ قَبِيلُ ... آبَاؤُهُ عِتْرَةُ ٱلرَّسُولْ

أَبْدَى بِهِ حِكْمَةَ ٱلْقَدِيرِ ... وَتَوَّجَ ٱلرَّوْضَ بِٱلْقِبَابْ

وَدَرَّعَ ٱلزَّهْرَ بِٱلْغَدِيرِ ... وَزَيَّنَ ٱلنَّهْرَ بِٱلْحَبَابْ

فَمِنْ هَدِيلٍ وَمِنْ هَدِيرِ ... مَا أَوْلَعَ ٱلْحُسْنَ بِٱلشَّبَابْ

هَبَّتْ[5] عَلَى رَوْضِهَا ٱلْقَبُولُ ... وَطَرْفُهَا بِٱلسُّرَى كَلِيلْ

فَلَمْ يَزَلْ بَيْنَهَا يَجُولُ ... حَتَّى تَبَدَّتْ لَهُ حُجُولْ

لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهَا رُقُومُ ... تَلُوحُ لِلْعَيْنِ كَالنُّجُومْ

وَلِلنَّدَى بَيْنَهَا رُسُومُ ... عِقْدُ النَّدَى فَوْقَهُ نَظِيمْ

وَكُلُّ وَادٍ بِهَا يَهِيمُ ... وَلَمْ يَزَلْ حَوْلَهَا يَحُومْ

شَنِّلُهَا مُدَّ مِنْهُ نِيلُ ... وَٱلشِّينُ أَلْفٌ لِمُسْتَنِيلْ

وَعَيْنُ وَادٍ بِهَا تَسِيلُ ... مِنْ فَوْقِ خَدٍّ لَهُ أَسِيلْ

كَمْ مِنْ ظِلاَلٍ بِهِ تَرِفُّ ... تَضْفُو لَهُ فَوْقَهَا[6] سُتُورْ

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «تُطْلِعُ».

(2) «الجليلُ» في أزهار.

(3) «مَغْنَى»: في نفس المصدر.

(4) «رَشادًا»: فيه كذلك.

(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «هَبَّتْ».

(6) «لها فَوْقَهُ» في أزهار.

وَمِـنْ زُجَـاجٍ بِـهِ يَشِـفُّ مَـا بَيْـنَ نَـوْرٍ وَبَيْـنَ نُـورْ
وَمِـنْ شُمُـوسٍ بِهَـا تُصَـفُّ تُـدِيـرُهَـا بَيْنَهَـا ٱلْبُـدُورْ
مِـزَاجُهَـا ٱلْعَـذْبُ سَلْسَبِيـلُ يَـا هَـلْ إِلَـى رَشْفِهَـا سَبِيـلْ
وَكَيْـفَ وَٱلشَّيْـبُ لِـي عَـذُولُ وَصِبْغُـهُ صُفْـرَةُ ٱلأَصِيـلْ
يَـا سَرْحَةً فِـي الحِمَـى ظَلِيلَهْ كَـمْ نِلْـتُ فِـي ظِلِّـكِ ٱلْمُنَـى
رَوَّضَـكِ ٱللَّـهُ مِـنْ خَمِيلَـهْ يُجْنَـى بِهَـا أَطَيَـبُ ٱلْجَنَـى
وَبَـرْقُهَـا صَـادِقُ الْمَخِيلَـهْ مَـا زَالَ بِـالْغَيْـثِ مُحْسِنَـا
أَنْجَـزَ لِـي وَعْـدَكِ الْقَبُـولُ فَلَـمْ أَقُـلْ مِثْـلَ مَـنْ يَقُـولْ:
«يَـا سَـرْحَـةَ الحَـيِّ يَـا مَطُـولُ شَـرْحُ الَّـذِي بَيْنَنَـا يَطُـولْ»[1]

(111)

ومن ذلك ما كتب به للغنيّ بالله:

[مخلع البسيط]

أَبْلِـغْ لِغَـرْنَـاطَـةِ السَّـلَامْ[2] وَصِـفْ لَهَـا عَهْـدِيَ السَّلِيـمْ
فَلَـوْ رَعَـى طَيْفُهَـا ذِمَـامْ[3] مَـا بِـتُّ فِـي لَيْلَـةِ السَّلِيـمْ
كَـمْ بِـتُّ فِيهَـا عَلَـى اقْتِـرَاحِ أُعَـلُّ مِـنْ خَمْـرَةِ الـرُّضَـابْ
أُدِيـرُ فِيهَـا[4] كُـؤُوسَ رَاحِ قَـدْ زَانَهـا[5] الثَّغْـرُ بِـالْحَبَـابْ
أَخْتَـالُ كَـالْمُهْـرِ فِـي الْجِمَـاحِ نَشْـوَانَ فِـي رَوْضَـةِ الشَّبَـابْ
أُضَـاحِـكُ ٱلـزَّهْـرَ فِـي ٱلْكِمَـامِ مُبَـاهِيًـا رَوْضَـهُ الْـوَسِيـمْ

(1) هذا البيت مطلع لمقطوعة نظمها ابن الخطيب أوردها المقري في نفح الطيب (٧/ 60).
(2) في أزهار: «سَلَامِي».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «ذِمَامِي».
(4) «مِنْهَا» في أزهار.
(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «قَدْ زَانَتْ».

وَأَفْضَحُ الْغُصْنَ فِي الْقَوَامِ   إِنْ هَبَّ مِنْ جَوِّهَا النَّسِيمْ[1]

بَيْنَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافِي[2]   وَظِلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدْ

وَمَوْرِدُ ٱلأُنْسِ فِيهِ صَافِي   وَبُرْدُهُ رَائِقٌ جَدِيدْ

إِذْ لاَحَ فِي الْفَوْدِ غَيْرَ خَافِي   صُبْحٌ بِهِ نُبِّهَ الْوَلِيدْ

أَيْقَظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامِ   لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمْ

وَأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْغَمَامِ   فِي كُلِّ وَادٍ بِهِ أَهِيمْ

يَا جِيرَةً عَهْدُهُمْ كَرِيمُ   وَفِعْلُهُمْ كُلُّهُ جَمِيلْ

لاَ تَعْذِلُوا الصَّبَّ إِذْ يَهِيمُ   فَقَبْلَهُ[3] قَدْ صَبَا جَمِيلْ

الْقُرْبُ مِنْ رَبْعِكُمْ نَعِيمُ   وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلْ

كَمْ مِنْ رِيَاضٍ بِهِ وِسَامِ   يُزْهَى بِهَا الرَّائِدُ[4] الْمُسِيمْ

غَدِيرُهَا أَزْرَقُ الْجِمَامِ   وَنَبْتُهَا كُلُّهُ جَمِيمْ

أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي بِفَاسِ   أُكَابِدُ الشَّوْقَ وَالْحَنِينْ

أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَاسِي   وَالْيَوْمُ[5] فِي الطُّولِ كَالسِّنِينْ

اللَّهُ حَسْبِي فَكَمْ أُقَاسِي   مِنْ وَحْشَةِ الصَّحْبِ[6] وَالْبَنِينْ

مُطَارِحًا سَاجِعَ الْحَمَامِ   شَوْقًا إِلَى ٱلإِلْفِ وَٱلْحَمِيمْ

وَالدَّمْعُ قَدْ لَجَّ فِي انْسِجَامِ   وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيمْ

يَا سَاكِنِي جَنَّةِ الْعَرِيفِ   أُسْكِنْتُمُ جَنَّةَ الْخُلُودْ

كَمْ ثَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفِ   قَدْ حُفَّ بِالْيُمْنِ وَالسُّعُودْ

---

(1) في أزهار: «نَسِيمْ».

(2) في نفح: «ضَافِ».

(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «فقَلْبُه» وهو تحريف من الناسخ ظاهر.

(4) في نفح: «الرَّائِضُ».

(5) في أزهار: «فاليومُ».

(6) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الصَّبِّ».

وَرُبَّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفِ ... أَدْوَاحُهُ الْخُضْرُ كَالْبُنُودْ

وَالنَّهْرُ قَدْ سُلَّ كَالْحُسَامِ ... لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُسْتَدِيمْ

وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِابْتِسَامِ ... مُقَبِّلاً رَاحَةَ النَّدِيمْ

بَلِّغْ عُبَيْدَ المَقَامِ صَحْبِي ... لاَ زِلْتُمُ الدَّهْرَ فِي هَنَا

لِقَاكُمُ بُغْيَةُ الْمُحِبِّ ... وَقُرْبُكُمْ غَايَةُ المُنَى

فَعِنْدَكُمْ قَدْ تَرَكْتُ قَلْبِي ... فَجَدَّدَ اللَّهُ عَهْدَنَا

وَدَارَكَ الشَّمْلَ بِانْتِظَامِ ... مَنْ يُرْتَجَى[1] فَضْلُهُ الْعَمِيمْ

فِي ظِلِّ سُلْطَانِنَا الإمَامِ ... الْطَاهِرِ الظَّاهِرِ الْحَمِيمْ[2]

مُؤَمِّنِ العُدْوتَيْنِ مِمَّا ... يُخَافُ مِنْ سَطْوَةِ الْعِدَا

وَفَارِجِ الْكَرْبِ إِنْ[3] أَلَمَّا ... وَمُذْهِبِ الْخَطْبِ وَالرَّدَى

قَدْ رَاقَ حُسْنًا وَفَاقَ حِلْمًا ... وَمَا عَدَا غَيْرَ مَا بَدَا

مَوْلاَيَ يَا نُخْبَةَ الأَنَامِ ... وَحَائِزَ الْفَخْرِ فِي الْقَدِيمْ

كَمْ أَرْقُبُ[4] الْبَدْرَ فِي التَّمَامِ ... شَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمْ

(112)

ومن موشحاته في غير المخلّع، مُوَطِّئاً على موشّحَة ابن سهل[5] التي أَوَّلُهَا:

* لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانْ *

قولُه:

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: مِنْ مُرْتَجَى».

(2) في أزهار: «الحَلِيمْ».

(3) «أن» في نفح.

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «رَاقَبَ».

(5) أبو إسحاق إبراهيم الإشبيلي (605 هـ - 649 هـ) الوشاح المعروف سكن بسبته.

[مجزوء الرجز]

نَوَاسِمُ الْبُسْتَانْ ... تَنْشُرُ سِلْكَ الزَّهَرِ

وَالطَّلُّ فِي الأَغْصَانْ ... يَنْظِمُهُ بِالْجَوْهَرِ

وَرَايَةُ[1] الإِصْبَاحْ ... أَضَاءَ مِنْهَا المَشْرِقُ

تَنْشُرُهَا الأَرْوَاحْ ... فَلاَ تَزَالُ تَخْفِقُ

وَالزَّهْرُ زَهْرٌ فَاحْ ... لَهَا عُيُونٌ تَرْمُقُ

فَأَيْقِظِ النُّدْمَانْ ... تُبْصِرُ[2] مَا لَمْ يُبْصَرِ

جَوَاهِرَ الشُّهْبَانْ[3] ... قَدْ عُرِضَتْ لِلْمُشْتَرِي

قَدَحْتَ لِي زَنْدَا ... يَا أَيُّهَذَا[4] الْبَارِقُ

أَذْكَرْتَنِي عَهْدَا ... إِذِ الشَّبَابُ رَائِقُ

فَالشَّوْقُ لاَ يَهْدَا ... وَلاَ الْفُؤَادُ الْخَافِقُ

وَكَيْفَ بِالسُّلْوَانْ ... وَالْقَلْبُ رَهْنُ الْفِكَرِ

وَسُحُبُ الْهِجْرَانْ ... تَحْجُبُ وَجْهَ الْقَمَرِ

لَوْلاَ شُمُوسُ الكَاسْ ... نُدِيرُهَا بَيْنَ الْبُدُورْ

وَأَعْرَجُ[5] الإِينَاسْ ... مِنَّا عَلَى رَبْعِ الصُّدُورْ

لَكِنْ لَهَا وَسْوَاسْ ... يُغْرِي بِرَبَّاتِ الْخُدُورْ

كَمْ وَالِهٍ هَيْمَانْ ... بِصُبْحِ وَجْهٍ مُسْفِرِ

ضِيَاؤُهُ قَدْ بَانْ ... مِنْ تَحْتِ لَيْلٍ مُقْمِرِ

يَا مَطْلَعَ الأَنْوَارْ ... كَمْ فِيكَ مِنْ مَرْأًى جَمِيلْ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «وَرَاحَةُ».

(2) في نفح: «يُبْصِرْنَ».

(3) كذا في أزهار والشهبان جمع شهاب؛ وفي نفح: «الشبان» وهو تحريف من الناسخ.

(4) وفي نفح: «يا أيُّهَا» والوزن لا يستقيم.

(5) في أزهار: «وَعَرَّجَ».

وَنُــــــزْهَــــةَ الأَبْصَــــارْ ... مَــا ضَــرَّ لَــوْ تَشْفِــي الْغَلِيــلْ

يَــــا رَوْضَــــةَ الأَزْهَــــارْ ... وَعَــرْفُهَــا يُبْــرِي الْعَلِيــلْ

قَضِيبُــــــكِ الْفَتَّــــانْ[1] ... يُسْقَــــى بِــــدَمْــــعٍ هَمِــــرِ

فَــــلاَعِــــجُ الأَشْجَــــانْ ... فَيْــــضَ الــــدُّمُــــوعِ يُجْرِي[2]

هَــلْ فِــي الْهَــوَى نَــاصِرْ ... أَوْ هَــلْ يُجَــارَ الْهَــائِــمُ

لَــــوْ كَــانَ لِــي زَائِــرْ ... طَيْــفُ الْخَيَــالِ الحَــائِــمُ

مَــا بِــتُّ بِــالسَّــاهِــرْ ... وَدَمْــعُ عَيْنِــي سَــاجِــمُ

وَالْحُــــــبُّ ذُو عُــــــدْوَانْ ... يَجْهَــــدُ فِــــي ظُلْــــمِ الْبَــرِي

وَصَــــــارِمُ الأَجْفَــــانْ ... مُــــؤَيَّــــدٌ بِــــالْحَــــوَرِ

رُحْمَــــاكَ فِــــي صَــــبٍّ ... أَذْكَــــرْتَــــهُ عَهْــــدَ الصِّبَــا

بَــــوَاعِــــثُ الحُــــبِّ ... قَــــادَتْ إِلَيْــــهِ الْــــوَصَبَــا

لَــــمْ تَهْــــفُ بِــــالْقَلْــــبِ ... رِيــــحُ الصَّبَــا إِلاَ هَبَــا[3]

بَلِيلَــــــــــــــةَ الأَرْدَانْ ... قَــــدْ ضُمِّخَــــتْ بِــــالْعَنْبَــــرِ

يُشِيــــرُ غُصْــــنُ الْبَــــانْ ... مِنْهَــــا بِفَضْــــلِ المِئْــــزَرِ

طَيِّبَهَــــــا حَمْــــــدْ ... فَخْــــرَ الْمُلُــــوكِ الْمُجْتَبَــــى

مَــــنْ يَــــرْجُــــحُ الطَّــــوْدْ ... مِــــنْ حِلْمِــــهِ إِذَا ٱحْتَبَــــى

قَــــدْ جَــــرَّدَ السَّعْــــدْ ... مِنْــــهُ حُسَــــامًــــا مُــــذْهَبَــــا

فَــــالبَــــأْسُ وَالإِحْسَــــانْ ... وَالْغَــــوْثُ لِلْمُسْتَنْصِــــرِ

تَحْمِلُــــهُ الــــرُّكْبَــــانْ ... تَحِيَّــــةً لِلْمِنْبَــــرِ

عِصَــــابَــــةُ الكُتَّــــابْ ... حُــــقَّ لَهَــا ٱلْفَــوْزُ الْعَظِيــمْ

---

(1) «الفَيْنَان» في أزهار.

(2) كذا في أزهار؛ والوزن لا يستقيم.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «صَبَا».

تَخْتَالُ فِي أَثْوَابْ أَلْبَسَهَا الطَّوْلُ اَلْجَسِيمْ[1]
فَحَسْبُهَا الإِطْنَابْ فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ الْعَمِيمْ
خَلِيفَةَ الرَّحْمَانْ لاَ زِلْتَ سَامِي[2] الْمَظْهَرِ
يَا مَوْرِدَ الظَّمْآنْ وَرَأْسَ مَالِ الْمُعْسِرِ
خُذْهَا عَلَى[3] دَعْوَى تُزْرِي[4] عَلَى الرَّوْضِ الْوَسِيمْ
جَاءَتْ كَمَا تَهْوَى أَرَقَّ مِنْ لَدْنِ النَّسِيمْ
قَدْ طَارَحَتْ شَكْوَى مَنْ قَالَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمْ:
«لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانْ وَالْحُبُّ تِرْبُ السَّهَرِ
وَالصَّبْرُ لِي خَوَّانْ وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرِي»

(113)

ومن مخلّع البسيط في الصبوحيّات[5] قوله سامحه الله تعالى[6] ورحمه ورضي عنه:

[مخلع البسيط]

رَيْحَانَةُ الْفَجْرِ قَدْ أَطَلَّتْ خَضْرَاءَ بِالزُّهْرِ تَزْهَرْ
وَرَايَةُ الصُّبْحِ قَدْ[7] أَظَلَّتْ فِي مَرْقَبِ الشَّمْسِ[8] تُنْشَرْ
فَالشُّهْبُ مِنْ غَارَةِ الصَّبَاحِ تَرْعَدُ خَوْفًا وَتَخْفِقْ

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «حُقَّ لَهَا اَلْفَخْرُ اَلْجَسِيمْ».
(2) «زَاهِي» في أزهار.
(3) في نفس المصدر: «بِلاَ».
(4) «تُزْهَى» في أزهار.
(5) جمع صبوحيّة وهي المدحية التي تُقال في الصباح.
(6) لما فيها من ذكر لشرب الخمر والتهتّك.
(7) «إِذْ» في أزهار.
(8) «الشَّرْقِ» في المصدر نفسه.

وَأَدْهَمُ اللَّيْلِ فِي جِمَاحِ … أَعِنَّةَ الْبَرْقِ يُطْلِقْ
وَالأُفُقُ فِي مُلْتَقَى الرِّيَاحِ … بِأَدْمُعِ الْغَيْثِ يَشْرَقْ
وَالسُّحْبُ بِالجَوْهِرِ اسْتَهَلَّتْ … فَالبَرْقُ سَيْفٌ مُجَوْهَرْ
صِفَاحُهُ الْمُذْهَبَاتُ حَلَّتْ … فِي رَاحَةِ الْجَوِّ تُشْهَرْ
كَمْ لِلصَّبَا ثَمَّ مِنْ مَقِيلِ … بِطِيبِهِ الزَّهْرُ يَشْهَدْ
وَٱلنَّهْرُ كَالصَّارِمِ ٱلصَّقِيلِ … فِي حِلْيِهِ ٱلنَّوْرُ يُغْمَدْ
وَرُبَّ قَالٍ بِهِ وَقِيلِ … لِلطَّيْرِ فِي حِينِ تُنْشِدْ
فَأَلْسُنُ ٱلْوُرْقِ قَدْ أَمَلَّتْ … مَدَائِحًا عَنْهُ تَشْكَرْ
وَنَسْمَةُ الصُّبْحِ قَدْ تَجَلَّتْ[1] … فِي سُنْدُسِ الرَّوْضِ تَعْثُرْ
وَالْكَأْسُ فِي رَاحَةِ النَّدِيمِ … يَجْلُو بِهَا غَيْهَبَ الْهُمُومْ
أَقْبَسَتِ ٱلنَّارَ فِي ٱلْقَدِيمِ … مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ ٱلْكُرُومْ
وَٱلنَّهْرُ[2] فِي مَلْعَبِ ٱلنَّسِيمِ … لِلزَّهْرِ فِي عِطْفِهِ رُقُومْ
فَلَبَّةُ ٱلْحَلْيِ[3] قَدْ تَحَلَّتْ … وَٱلطَّلُّ فِي ٱلْحَلْيِ جَوْهَرْ
وَبَهْجَةُ الْكَوْنِ قَدْ تَجَلَّتْ … وَٱلرَّوْضُ بِٱلْحُسْنِ يَبْهَرْ
يُذْكِرُنِي وَجْنَةَ ٱلْحَبِيبِ … وَٱلآسَ فِي صَفْحَةِ ٱلْعِذَارْ
وَشَارِبَ ٱلشَّارِبِ ٱلْعَجِيبِ … بَيْنَ أَقَاحٍ وَجُلَّنَارْ
يُدِيرُ مِنْ ثَغْرِهِ ٱلشَّنِيبِ … سُلاَفَةً دُونَهَا ٱلْعُقَارْ
حَلَّتْ لأَهْلِ ٱلْهَوَى وَجَلَّتْ … بِٱلذِّكْرِ وَٱلْوَهْمِ تُسْكِرْ
كَمْ مِنْ نُفُوسٍ بِهَا تَسَلَّتْ … فَمَا لَهَا الدَّهْرَ مُنْكِرْ
يَا غُصْنَ بَانٍ يَمِيلُ زَهْوَا … رَيَّانَ فِي رَوْضَةِ ٱلشَّبَابْ

---

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «حينَ كلَّتْ».
(2) في أزهار: «والغُصْنُ».
(3) «القُضْبِ» في نفس المصدر.

لَوْ كُنْتَ تُصْغِي لِرَفْعِ شَكْــوَى | أَطَلْــتُ مِــنْ قِصَّــةِ ٱلْعِتَــابْ[1]
وَمَــنْ لِمِثْلِــي بِبَــثِّ نَجْــوَى | لِلْبَــدْرِ فِــي رَفْــرَفِ ٱلسَّحَــابْ
عَــزَائِــمُ الصَّبْــرِ فِيــكَ حُلَّــتْ | وَعُقْــدَةُ الصَّبْــرِ تُــذْخَــرْ
قَــدْ أَكْثَــرَتْ مِنْــكَ مَــا ٱسْتَقَلَّــتْ | وَلَيْــتَ لَــوْ كُنْــتَ تَشْعُــرْ
كَــمْ لَيْلَــةٍ بِتُّهَــا وَبِتْنَــا | ضِــدَّيْنِ فِــي ٱلسُّهْــدِ وَٱلــرُّقَــادْ
أُسَــامِــرُ ٱلنَّجْــمَ فِيــكَ حَتَّــى | عَلَّمْــتُ أَجْفَــانَــهُ[2] ٱلسُّهَــادْ
أَرْقُــبُ بَــدْرَ الــدُّجَــى وَأَنْتَــا | قَــدْ لُحْــتَ فِــي هَــالَــةِ الفُــؤَادْ
نَفْسِــيَ وَلَّيْــتَ مَــا تَــوَلَّــتْ | دَعْهَــا عَلَــى الشَّــوْقِ تَصْبِــرْ
لَــوْ سُمْتَهَــا ٱلْهَجْــرَ مَــا تَــوَلَّــتْ | وَلَــمْ تَكُــنْ عَنْــكَ تَنْفِــرْ
عَلَّمَهَــا ٱلصَّبْــرَ فِــي ٱلْحُــرُوبِ | سُلْطَــانُنَــا عَــاقِــدُ ٱلْبُنُــودْ
مُعَفِّــرُ ٱلصَّيْــدِ لِلْجُنُــوبِ | أَعَــزُّ مَــنْ حُــفَّ بِــٱلْجُنُــودْ
نُصِــرْتَ بِــٱلرُّعْــبِ فِــي ٱلْقُلُــوبِ | وَٱلْبِيــضُ لَــمْ تَبْــرَحِ ٱلْغُمُــودْ
عِنَــايَــةُ ٱللَّــهِ فِيــهِ جَلَّــتْ[3] | بِسَعْــدِهِ ٱلــدِّيــنُ يُنْصَــرْ
وَٱلْخَلْــقُ فِــي عَصْــرِهِ تَمَلَّــتْ | غَنَــائِمًــا لَيْــسَ تُحْصَــرْ
مَــوْلاَيَ يَــا نُكْتَــةَ ٱلــزَّمَــانِ | دَارَ بِمَــا تَــرْتَضِــي ٱلْفَلَــكْ
جَلَّلْــتَ بِــٱلْيُمْــنِ وَٱلأَمَــانِ | كُــلَّ مَلِيــكٍ وَمَــا مَلَــكْ
لَــمْ يَــدْرِ وَصْفِــي وَلاَ عِيَــانِــي | أَمَلِــكٌ[4] أَنْــتَ أَمْ مَلَــكْ؟
جُنُــودُكَ ٱلْغُلْــبُ حَيْــثُ حَلَّــتْ | بِــٱلْفَتْــحِ وَٱلنَّصْــرِ تُخْفَــرْ[5]
وَعَــادَةُ ٱللَّــهِ فِيــكَ دَلَّــتْ | أَنَّــكَ بِــٱلْكُفْــرِ تَظْفَــرْ

---

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «العِقَابْ».
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «أَجْفَانَهَا».
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «حَلَّتْ».
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «أَمُمَلَّكٌ» والوزن لا يستقيم.
(5) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «تُخْمَرُ».

يَـا آيَـةَ ٱللَّـهِ فِـي ٱلْكَمَـالِ وَمُخْجِـلَ ٱلْبَـدْرِ فِـي ٱلتَّمَـامْ
قَـدِمْـتَ بِـٱلْعِـزِّ وَٱلْجَـلَالِ وَٱلـدَّهْـرُ فِـي ثَغْـرِهِ ٱبْتِسَـامْ
يَخْتَـالُ فِـي حُلَّـةِ ٱلْجَمَـالِ وَٱلْبَـدْرُ[1] قَـدْ عَـادَ فِـي ٱخْتِتَامْ
رَيْحَـانَـةُ ٱلْفَجْـرِ قَـدْ أَطَلَّـتْ خَضْـرَاءَ بِـٱلـزُّهْـرِ تَـزْهَـرْ
وَرَايَـةُ ٱلصُّبْـحِ قَـدْ أَطَلَّـتْ فِـي مَـرْقَـبِ ٱلشَّـرْقِ تُنْشَـرْ

(114)

وقال رحمه الله تعالى وسامحه:

[مخلع البسيط]

قَـدْ طَلَعَـتْ رَايَـةُ الصَّبَـاحِ وَآذَنَ اللَّيْـلُ بِـٱلـرَّحِيـلْ
فَبَـاكِـرِ ٱلـرَّوْضِ بِـٱصْطِبَـاحِ وَٱشْـرَبْ عَلَـى زَهْـرِهِ ٱلْبَلِيـلْ
فَـٱلْـوُرْقُ هَبَّـتْ مِـنَ ٱلسِّنَاتِ لِمِنْبَـرِ ٱلـدَّوْحِ تَخْطُـبْ
تَسْجَـعُ مُفْتَنَّـةَ ٱللُّغَـاتِ كُـلٌّ عَـنِ ٱلشَّـوْقِ مُعْـرِبْ
وَٱلْغُصْـنُ بَعْـدَ ٱلذَّهَابِ يَاتِي لِأَكْـؤُسِ ٱلطَّـلِّ يَشْـرَبْ
وَأَدْمُـعُ ٱلسُّحْـبِ فِـي ٱنْسِيَـاحِ فِـي كُـلِّ رَوْضٍ لَهَـا سَبِيـلْ
وَٱلْجَـوُّ مُسْتَبْشِـرُ ٱلنَّـوَاحِـي يَلْعَـبُ بِـٱلصَّـارِمِ ٱلصَّقِيـلْ
قُـمْ فَـٱغْتَنِـمْ بَهْجَـةَ ٱلنُّفُـوسِ مَـا بَيْـنَ نَـوْرٍ وَبَيْـنَ نُـورْ
وَشَفِّـعْ ٱلصُّبْـحَ بِـٱلشُّمُـوسِ تُـدِيـرُهَـا بَيْنَنَـا ٱلْبُـدُورْ
وَنَبِّـهْ ٱلشَّـرْبَ لِلْكُـؤُوسِ تُمْـزَجُ مِـنْ رِيقِـهِ ٱلثُّغُـورْ
مَـا أَجْمَـلَ ٱلـرَّاحَ فَـوْقَ رَاحِ صَفْـرَاءَ كَـالشَّمْـسِ فِـي ٱلْأَصِيـلْ
تُغَـادِرُ ٱلصَّـدْرَ ذَا ٱنْشِـرَاحِ لِـلْأُنْـسِ فِـي طَيِّـهِ[2] مَقِيـلْ
وَلَا تَـذَرْ خَمْـرَةَ ٱلْجُفُـونِ فَسُكْـرَهَـا فِـي ٱلْهَـوَى جُنُـونْ

(1) في أزهار: «البَدْءُ».
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «طَيْفِهِ».

وَلْتَخْشَ مِنْ أَسْهُمِ ٱلْعُيُونِ ... فَإِنَّهَا رَائِدُ ٱلْمَنُونْ
عُرِّضْتُ مِنْهَا إِلَى ٱلْفُتُونِ ... وَكُلُّ خَطْبٍ لَهَا يَهُونْ
أَهِيمُ بِٱلْغَادَةِ ٱلرَّدَاحِ ... وَٱلْجِسْمُ مِنْ حُبِّهَا عَلِيلْ
لَوْ بِتُّ مِنْهَا عَلَى ٱقْتِرَاحِ ... نَقَعْتُ مِنْ رِيقِهَا ٱلْغَلِيلْ
أُوَاعِدُ ٱلطَّيْفَ لِلْمَنَامِ ... وَمَنْ لِعَيْنَيَّ بِٱلْمَنَامْ
أَسْهَرُ فِي لَيْلِهِ ٱلتِّمَامِ ... وَأَنْتَ يَا بَدْرُ فِي ٱلتَّمَامْ
وَأَلْثُمُ ٱلزَّهْرَ فِي ٱلْكِمَامِ ... عَلَيْهِ مِنْ ثَغْرِكَ ٱبْتِسَامْ
سَفَرْتِ عَنْ مَبْسِمُ ٱلْأَقَاحِ ... وَرِيقُكَ ٱلْعَذْبُ سَلْسَبِيلْ
قُلْ لِيَ يَا رَبَّةَ ٱلْوِشَاحِ ... هَلْ لِي إِلَى ٱلْوَصْلِ مِنْ سَبِيلْ
يَا كَعْبَةَ ٱلْحُسْنِ زِدْتِ حُسْنَا ... وَلِلْهَوَى حَوْلَكِ ٱلْمَطَافْ
وَغُصْنَ بَانٍ إِذَا تَثَنَّى ... لَوْ حَانَ مِنْ زَهْرِكِ ٱلْقِطَافْ
أَلَا ٱنْعِطَافٌ عَلَى ٱلْمُعَنَّى ... فَٱلْغُصْنُ يُزْهَى[1] بِلَا ٱنْعِطَافْ
أَصْبَحْتَ تَزْهُو عَلَى ٱلْمِلَاحِ ... بِذَلِكَ ٱلْمَنْظَرِ ٱلْجَمِيلْ
وَوَجْهُكَ ٱلشَّمْسُ فِي ٱتِّضَاحِ ... لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَمِيلْ
مَا ٱلزَّهْرُ إِلَّا بِنَظْمِ دُرٍّ ... تَحْسُدُ فِي حُسْنِهِ ٱلْعُقُودْ
لِلْمَلِكِ ٱلظَّاهِرِ ٱلْأَغَرِّ ... أَكْرَمِ مَنْ حُفَّ بِٱلسُّعُودْ
مُحَمَّدِ ٱلْحَمْدِ وَٱبْنِ نَصْرِ ... وَبَاسِطِ ٱلْعَدْلِ فِي ٱلْوُجُودْ
مُسَاجِلِ ٱلسُّحْبِ فِي ٱلسَّمَاحِ ... بِٱلْغَيْثِ مِنْ رِفْدِهِ ٱلْجَلِيلْ
وَمُخْجِلِ ٱلْبَدْرِ فِي ٱللِّيَاحِ ... بِغُرَّةٍ مَا لَهَا مَثِيلْ
يَا مُشْرِبَ ٱلْحُبِّ فِي ٱلْقُلُوبِ ... وَوَاهِبَ ٱلصَّفْحِ لِلصِّفَاحْ
نُصِرْتَ بِٱلرُّعْبِ فِي ٱلْحُرُوبِ ... وَٱلرُّعْبُ أَجْدَى مِنَ ٱلسِّلَاحْ

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «يَزْهُو».

قَدْ لُحْتَ مِنْ عَالَمِ ٱلْغُيُوبِ ... لَمْ تَعْدَمِ ٱلْفَوْزَ وَٱلْفَلَاحْ[1]

مُرَّاكُشٌ نُهْبَةُ ٱفْتِتَاحِ ... وَٱلصُّنْعُ فِي فَتْحِهَا جَلِيلْ

بُشْرَاكَ بِٱلْفَتْحِ وَٱلنَّجَاحِ ... وَٱلشُّكْرُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْقَبِيلْ

(115)

ومن غير المخلّع قوله في الهناء بالشفاء من مرض:

[الرمل]

فِي كُؤُوسِ ٱلثَّغْرِ[2] مِنْ ذَاكَ[3] ٱللَّعَسْ ... رَاحَةُ ٱلْأَرْوَاحْ

وَتَغَشَّى ٱلرَّوْضَ مِسْكِيُّ ٱلنَّفَسْ ... عَاطِرُ ٱلْأَرْوَاحْ

وَكَسَا[4] ٱلْأَرْوَاحَ وَشْيًا مُذْهَبًا[5] ... يَبْهَرُ ٱلشَّمْسَا

عَسْجَدٌ قَدْ حَلَّ مِنْ فَوْقَ الرُّبَا ... يُبْهِجُ ٱلنَّفْسَا

فَٱتَّخِذْ لِلَّهْوِ فِيهِ مَرْكَبَا ... تَلْحَقِ ٱلْأُنْسَا

مِنْبَرُ ٱلْغُصْنِ عَلَيْهِ قَدْ جَلَسْ ... سَاجِعُ ٱلْأَدْوَاحْ

حُلَلُ ٱلسُّنْدُسِ خُضْرًا قَدْ لَبِسْ ... عِطْفُهُ ٱلْمُرْتَاحْ

قُمْ تَرَى هَذَا ٱلْأَصِيلَ شَاحِبَا ... حُسْنُهُ قَدْ رَاقْ

وَلِأَذْيَالِ ٱلْغُصُونِ سَاحِبَا ... فِي حِلَى ٱلْأَوْرَاقْ

وَنَدِيمٌ[6] قَالَ لِي مُخَاطِبَا ... قَوْلَ ذِي إِشْفَاقْ:

عَادَةُ ٱلشَّمْسِ بِغَرْبٍ تُخْتَلَسْ ... هَاتِ شَمْسَ ٱلرَّاحْ

---

(1) «النَّجَاحْ» في أزهار.

(2) في نفس المصدر السابق: «الثَّغْرِ».

(3) «خَمْرٍ»: فيه أيضاً.

(4) «قَدْ كسَا» في المصدر المذكور سابقاً.

(5) «مُذَهَّبَا» فيه كذلك ولا يستقيم الوزن.

(6) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «وَنَدِيمي».

إِنْ أَرَانَا ٱلْجَوُّ وَجْهًا قَدْ عَبَسْ ... أَوْقِدِ ٱلْمِصْبَاحْ

وَوُجُوهُ ٱلشَّرْبِ تُغْنِي عَنْ شُمُوسْ ... كُلَّمَا تُجْلَى

بِلِحَاظٍ أَسْكَرَتْنَا عَنْ كُؤُوسْ ... خَمْرُهَا أَحْلَى

مظهِرَاتٌ مِنْ خَفَايَا[1] فِي النُّفُوسْ ... سُوَرًا تُتْلَى

مَا زَمَانُ ٱلْأُنْسِ إِلَّا مُخْتَلَسْ ... فَٱغْتَنِمْ يَا صَاحْ

وَعُيُونُ ٱلشُّهْبِ تُذْكَى عَنْ حَرَسْ ... تَخْصِمُ ٱلنُّصَّاحْ

مَا تَرَى ثَغْرَ الوَمِيضِ بَاسِمَا ... يُظْهِرُ ٱلبِشْرَا

وَثَنَاءَ ٱلرَّوْضِ هَبَّ نَاسِمَا ... عَاطِرًا نَشْرَا

بَثَّ مِنْ أَزْهَارِهِ دَرَاهِمَا ... قَائِلًا بُشْرَى:

رَكِبَ ٱلْمَوْلَى مَعَ الظُّهْرِ ٱلْفَرَسْ ... وَشُفِي[2] وَٱرْتَاحْ

بِجُنُودِ ٱللَّهِ دَأْبًا يُحْتَرَسْ ... إِنْ غَدَا أَوْ رَاحْ

وَجَبَ ٱلشُّكْرُ عَلَيْنَا وَٱلْهَنَا ... بَعْضُنَا بَعْضَا

فَزَمَانُ ٱلسَّعْدِ وَضَّاحُ ٱلسَّنَا ... وَجْهُهُ ٱلأَرْضَى

أَثْمَرَتْ فِيهِ ٱلْعَوَالِي بِٱلْمُنَى ... ثَمَرًا غَضَّا

يَجْتَنِي ٱلإِسْلَامُ مِنْهَا مَا ٱغْتَرَسْ ... سَيْفُهُ ٱلسَّفَّاحْ

فِي ضَمِيرِ ٱلنَّقْعِ مِنْهَا قَدْ هَجَسْ ... شُهُبٌ تَلْتَاحْ

يَا إِمَامًا بِٱلْحُسَامِ ٱلْمُنْتَضَى ... نَصَرَ ٱلحَقَّا

ثَغْرُكَ ٱلْوَضَّاحُ مَهْمَا أَوْمَضَا ... أَخْجَلَ ٱلْبَرْقَا

وَدُيُونُ ٱلسَّعْدِ مِنْهُ تُقْتَضَى ... تُوسِعُ ٱلحَقَّا

لَكَ وَجْهٌ مِنْ صَبَاحٍ مُقْتَبَسْ ... بِشْرُهُ وَضَّاحْ

وَجَمِيلُ ٱلصَّفْحِ مِنْهُ مُلْتَمَسْ ... مُنْعِمٌ صَفَّاحْ

---

(1) في أزهار: «خبَايَا».

(2) كذا في أزهار وفي نفح ؛: «وَسَقَى».

هَـاكَهَـا تُمْـزَجُ لُطْفـاً بِـٱلنَّسِيـمْ — كُلَّمَـــــــا هَبَّـــــــا
قَدْ أَتَتْ بِٱلْبُرْءِ[1] وَٱلصُّنْعِ ٱلْجَسِيمْ — تَشْكُـــــرُ ٱلــــرَّبَّــا
أَخْجَلَتْ مَنْ قَالَ فِي ٱلصُّبْحِ ٱلْوَسِيمْ — مُغْـــــرَمَــــا صَبَّـــا:
«غَـرَّدَ ٱلطَّيْـرُ فَنَبِّـهْ مَـنْ نَعَـسْ»[2] — يَـــا مُـــدِيـــرَ ٱلْــرَّاحْ
«وَتعَـرَّى ٱلْفَجْرُ عَنْ ثَوْبِ ٱلْغَلَسْ»[2] — وَٱنْجَلَـــــى ٱلإِصْبَـــــاحْ

(116)

وقال في الهناء بالشفاء أيضاً، من مُخَلَّع البسيط:

[مخلع البسيط]

قَـــدْ أَنْعَـــمَ ٱللَّـــهُ بِـــٱلشِّفَـــاءِ — وَٱسْتَكْمَلَـــتْ رَاحَـــةُ ٱلإِمَـــامْ
فَلْتَنْطِـــقِ ٱلطَّيْــرُ بِـــٱلْهَنَـــاءِ — وَلْيَضْحَـكِ ٱلـزَّهْـرُ فِـي ٱلْكِمَـامْ
وُجُـــودُهُ بَهْجَـــةُ ٱلْـــوُجُـــودِ — وَبُـــرْؤُهُ رَاحَـــةُ ٱلنُّفُـــوسْ
قَـدْ لاَحَ فِـي مَـرْقَـبِ ٱلسُّعُـودِ — وَٱسْتَبْشَـرَتْ أَوْجُـهُ ٱلشُّمُـوسْ
فَـٱلـدَّوْحُ يُـومِـي إِلَـى ٱلْبُنُـودِ[3] — أَكْمَـامُـه غَطَّـتِ[4] ٱلـرُّؤُوسْ
وَٱلْــزُّهْـــرُ فِـــي رَوْضَـــةِ ٱلسَّمَـــاءِ — كَـــالـــزَّهْـــرِ قَـــدْ رَاقَ بَـــٱبْتِسَـــامْ
وَٱلصُّبْـــحُ مُسْتَشْـــرِفُ ٱللِّـــوَاءِ — وَٱلْبَـــدْرُ مُسْتَقْبِــــلُ ٱلتَّمَـــامْ
مُحَـاسِـنُ ٱلْكَـوْنِ قَـدْ تَجَلَّـتْ — جَمَـــالُهَـــا ٱلْعَقْـــلَ يَبْهَـــرُ
عَـــرَائِـــسٌ بِـــٱلْبَهَـــا تَحَلَّـــتْ — وَٱلطَّـلُّ فِـي ٱلْحَلْـيِ جَـوْهَـرُ
وَأَلْسُـــنُ ٱلْـــوُرْقِ قَـــدْ أَمَلَّـــتْ — مَـــدَائِحَـــا عَنْـــهُ تَشْكُـــرُ

---

(1) كذا في أزهار وفي نفح: «بالبِرّ».
(2) الشطران من بيتين لابن وكيع من مقطوعة أوردها ابن منظور في كتابه «نثار الأزهار في الليل والنهار» (ص 48 ط. الجوائب).
(3) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «السُّجُودِ».
(4) «حَطَّتْ» في أزهار.

تَسْتَوقِفُ ٱلْخَلْقَ بِٱلْغِنَاءِ كَأَنَّهَا تُحْسِنُ ٱلْكَلَامْ
تُطْنِبُ لِلَّهِ فِي ٱلثَّنَاءِ تَقُولُ: سَلِّمْتَ يَا سَلَامْ

كَمْ مِنْ ثُغُورٍ لَهَا ثُغُورُ تَبْسِمُ إِذْ جَاءَهَا ٱلْبَشِيرْ
وَمِنْ خُدُورٍ بِهَا بُدُورُ يُشِيرُ مِنْهَا لَهُ ٱلْمُشِيرْ
تَقُولُ إِذْ خَفَّهَا[1] ٱلسُّرُورُ: تَبَارَكَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْقَدِيرْ

قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ بِٱلْبَقَاءِ فِي ظِلِّ مَوْلًى بِهِ ٱعْتِصَامْ
قَدْ صَادَفَ ٱلنَّجْمَ فِي ٱلذُّرَاءِ[2] فَٱلدَّاءُ عَنَّا لَهُ ٱنْفِصَامْ

يَهْنِيكَ مَوْلَايَ بَلْ يُهَنَّى بِبُرْئِكَ ٱلدِّينُ وَٱلْهُدَى
فَٱلْغَرْبُ وَٱلشَّرْقُ مِنْكَ يُعْنَى بِمَذْهَبِ ٱلْخَطْبِ وَٱلرَّدَى
وَٱللَّهِ لَوْلَاكَ مَا تَهَنَّى مَا[3] فِيهِ مِنْ سَطْوَةِ ٱلرَّدَى

يَا مَوْرِدَ ٱلأَنْفُسِ الظِّمَاءِ قَدْ كَانَ يَشْتَفُّهَا الأُوَامْ
وَقُرَّةَ ٱلْعَيْنِ بِٱلْبَهَاءِ رَدَدْتَ لِلأَعْيُنِ المَنَامْ[4]

لَوْ أَبْذُلُ ٱلرُّوحَ فِي ٱلْبِشَارَهْ بَذَلْتُ بَعْضَ ٱلَّذِي مَلَكْ
فَأَنْتَ يَا نَفْسُ مُسْتَعَارَهْ مَوْلَايَ[5] بِٱلْفَضْلِ جَمَّلَكْ
لَمْ أَدْرِ إِذْ سَطَّرَ[6] ٱلْعِبَارَهْ: أَمَلِكٌ هُوَ أَمْ مَلَكْ؟

لَا زِلْتَ مَوْلَايَ فِي هَنَاءِ مُبَلَّغَ[7] ٱلْقَصْدِ وَٱلْمَرَامْ
وَدُمْتَ لِلْمُلْكِ فِي ٱعْتِلَاءِ تَسْحَبُ أَذْيَالَهُ ٱلغَمَامْ[8]

---

(1) «حَفَّهَا» في أزهار.
(2) في المصدر السابق: «النُّجحَ في الدّواءِ».
(3) «مَنْ» فيه أيضاً.
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «التَّمَامْ».
(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «مَوْلَاكَ».
(6) في أزهار: «إذْ أَسْطُرُ».
(7) فيه أيضاً: «تُبَلِّغُ».
(8) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «التَّمَامْ».

(117)

وقال أيضاً يصف مالقة ويمدح الغنِيّ بالله:

[مخلع البسيط]

عَلَيْكِ يَا رَيَّةُ ٱلسَّلَامُ … وَلَا عَدَا رَبْعَكِ ٱلمَطَرْ

قَدْ[1] حَلَّ فِي قَصْرِكَ ٱلإِمَامُ … فَقُرْبُكِ ٱلسُّولُ وَٱلْوَطَرْ

وَٱلدَّوْحُ فِي رَوْضِكِ ٱلأَنِيقْ … لِلشُّكْرِ قَدْ حَطَّتِ الرُّؤُوسْ[2]

وَٱلْغُصْنُ فِي نَهْرِهِ غَرِيقْ … وَفِي حُلَاهُ كَمَا عَرُوسْ[3]

وَٱلجَوُّ مِنْ وَجْهِهِ ٱلشَّرِيقْ … تَحْسُدُهُ أَوْجُهُ ٱلشُّمُوسْ

وَأَعْيُنُ ٱلزَّهْرِ لَا تَنَامُ … تَسْتَعْذِبُ ٱلسُّهْدَ وَٱلسَّهَرْ

تَنْفُثُ مِنْ تَحْتِهَا ٱلْغَمَامُ … تَرْقِيكَ[4] مِنْ أَعْيُنِ ٱلزَّهَرْ

عَرُوسَةٌ أَنْتِ يَا عَقِيلَهْ … تُجْلَى عَلَى مَظْهَرِ ٱلكَمَالْ

مُدَّتْ لَكِ ٱلكَفُّ مُسْتَقِيلَهْ … تَمْسَحُ أَعْطَافَكِ ٱلشَّمَالْ

وَٱلْبَحْرُ مِرْآتُكِ ٱلصَّقِيلَهْ … تَشِفُّ عَنْ ذَلِكَ ٱلْجَمَالْ

وَٱلحَلْيُ زَهْرٌ لَهُ ٱنْتِظَامُ … يُكَلِّلُ ٱلْقُضْبَ بِالدُّرَرْ

قَدْ رَاقَ مِنْ ثَغْرِهِ ٱبْتِسَامُ … وَٱلْوَرْدُ فِي خَدِّهَا خَفَرْ

إِنْ قِيلَ مَنْ بَعْلُهَا ٱلْمُفَدَّى … وَمَنْ لَهُ وَصْلُهَا مُبَاحْ

أَقُولُ أَسْنَى ٱلْمُلُوكِ رِفْدَا … مُخَلَّدُ ٱلْفَخْرِ بِالصِّفَاحْ

---

(1) «مُذْ» في أزهار.

(2) كذا فيه؛ وفي نفح: «قد حَطَّطَتْ رُؤُوسْ».

(3) اختلفت رواية هذا البيت والذي سبقه في أزهار (II/ 195 ـ 196) وكانت كما يَلِي:

كم فيك للمغرَم المشُوقِ … مِنْ مَنْظَرٍ يُبْهِجُ النفوس

والدّوحُ في روضِك الأنيقِ … للشُكْرِ قد حَطَّتِ الرُؤُوس

(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «يَنْفُثُ... يَرْقِيكَ...».

مُحَمَّـدُ ٱلْحَمْـدِ حِيـنَ يُهْـدَى	ثَنَـاؤُهُ عَـاطِـرَ ٱلـرِّيَـاحْ
تُخْبِـرُ عَـنْ طِيبِـهِ ٱلْكِمَـامُ	وَٱلْخُبْـرُ يُغْنِـي عَـنِ ٱلْخَبَـرْ
فَـالسَّعْـدُ وَٱلـرُّعْـبُ وَٱلْحُسَـامُ	وَٱلنَّصْـرُ أَيَـاتُـهُ ٱلْكُبَـرْ
ذُو غُـرَّةٍ تَسْحَـرُ ٱلْبُـدُورَا	وَطَلْعَـةٍ تُخْجِـلُ الصَّبَـاحْ
كَـمْ رَايَـةٍ سَـامَهَـا ظُهُـورَا	تُظَلِّـلُ ٱلْأَوْجُـهَ الصِّبَـاحْ
وَكَـمْ ظَـلَامٍ[1] جَـلَاهُ نُـورَا	أَظْفَـرَ بِـالْفَـوْزِ وَٱلنَّجَـاحْ
ٱلطَّـاهِـرُ الظَّـاهِـرُ ٱلْهُمَـامُ	أَعَـزُّ مَـنْ صَـالَ وَٱفْتَخَـرْ
لِسَيْفِـهِ فِـي ٱلْعِـدَا ٱحْتِكَـامُ	جَـرَى بِـهِ سَـابِـقُ ٱلْقَـدَرْ
يَا مُرْسِلَ ٱلْخَيْلِ فِي ٱلْغَوَارِي[2]	لَـوْ تَطْلُـبِ ٱلْبَحْـرَ[3] تَلْحَـقُ
لَـكَ ٱلْجَـوَارِي إِذَا تُجَـارِي	سَـوَابِـقَ ٱلشُّهْـبِ تَسْبِـقُ
تَسْتَـنُّ فِـي لُجَّـةِ ٱلْبِحَـارِ	فَـٱلْكُفْـرُ مِنْهُـنَّ يَفْـرَقُ
فَـالـدِّيـنُ وَلْيُقْصَـرِ ٱلْكَـلَامُ	بِسَيْفِـكَ اِعْتَـزَّ وَٱنْتَصَـرْ
كَـذَاكَ أَسْـلَافُـكَ ٱلْكِـرَامُ	هُـمْ نَصَـرُوا سَيِّـدَ ٱلْبَشَـرْ

(118)

وقال من غير هذا البحر في المحدَث بمالقة:

[مخلَّع البسيط]

قَـدْ نُظِـمَ ٱلشَّمْـلُ أَتَـمَّ ٱنْتِظَـامْ	وَاغْتَنَـمَ ٱلْأَحْبَـابُ قُـرْبَ ٱلْحَبِيـبْ
وَٱسْتَضْحَـكَ ٱلرَّوْضُ ثُغُـورَ ٱلْغَمَـامْ[4]	عَـنْ مَبْسِـمِ ٱلـزَّهْـرِ ٱلْبَـرُودِ ٱلشَّنِيـبْ
وَعَمَّـمَ ٱلنَّـوْرُ رُؤُوسَ ٱلـرُّبَـا	وَجَلَّـلَ ٱلنُّـورُ صُـدُورَ ٱلْبِطَـاحْ

(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «جِهَادٍ».

(2) في أزهار: «الغِوَار» بمعنى الإغارة.

(3) «البَرْقَ» في المصدر السابق.

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الكِمَامْ».

وَصَافَحَ الْقُضْبَ نَسِيمُ الصَّبَا فَٱلزَّهْرُ يَرْنُو عَنْ عُيُونٍ وِقَاحْ
وَعَاوَدَ ٱلنَّهْرُ[1] زَمَانَ ٱلصِّبَا فَقُلِّدَ ٱلزَّهْرَ[2] مَكَانَ الْوِشَاحْ
وَأَطْلَعَ ٱلْقَصْرُ بُدُورَ ٱلتَّمَامْ فِي طَالِعِ ٱلْفَتْحِ ٱلْقَرِيبِ ٱلْغَرِيبْ
خُدُورُهَا[3] قَامَتْ مَقَامَ ٱلْغَمَامْ لَا أَشْتَكِي مِنْ بُعْدِهَا بِٱلْمَغِيبْ
أَصْبَحْتِ يَا رَيَّةَ مَجْلَى ٱلنُّفُوسْ[4] جَمَالُكِ ٱلْعَيْنُ بِهَا يُبْهَرُ[5]
وَٱلْبِشْرُ يَسْرِي فِي جَمِيعِ ٱلشُّمُوسْ[6] وَرَايَةُ ٱلْأُنْسِ بِهَا تُشْهَرُ[7]
وَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحُطُّ الرُّؤُوسْ وَأَنْجُمُ الزُّهْرِ بِهَا تَزْهَرُ
وَرَاجَعَ النَّهْرُ غِنَاءَ الْحَمَامْ وَقَدْ شَدَتْ تَسْجَعُ سَجْعَ ٱلْخَطِيبْ
بِمِنْبَرِ ٱلْغُصْنِ الرَّشِيقِ ٱلْقَوَامْ لَمَّا انْثَنَى يَهْفُو بِقَدٍّ رَطِيبْ
يَا حَبَّذَا مَبْنَاكَ فَخْرُ ٱلْقُصُورْ بُرُوجُهُ[8] طَالَتْ بُرُوجَ السَّمَا
مَا مِثْلُهُ فِي سَالِفَاتِ الْعُصُورْ وَلَا الَّذِي شَادَ ٱبْنُ مَاءِ السَّمَا
كَمْ فِيهِ مِنْ مَرْأًى بَهِيجٍ وَنُورْ فِي مُرْتَقَى ٱلْجَوِّ بِهِ قَدْ سَمَا
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَنِعْمَ الإِمَامْ أَتْحَفَكَ الدَّهْرُ بِصُنْعٍ عَجِيبْ
يَهْنِيكِ شَمْلٌ قَدْ غَدَا فِي ٱلْتِئَامْ مُمَهَّدًا فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَصِيبْ
نَوَاسِمُ ٱلْوَادِي بِمِسْكٍ تَفُوحْ وَنَفْحَةُ النَّدِّ بِهِ تَعْبَقُ
وَبَهْجَةُ السُّكَّانِ فِيهِ تَلُوحْ وَجَوُّهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقُ
وَرَوْضُهُ بِالسِّرِ مِنْهُ يَبُوحْ بَلَابِلٌ عَنْ وَجْدِهِ تَنْطِقُ

---

(1) في أزهار: «وَعَادَ لِلرَّوْضِ».
(2) «النَّهْرَ» فيه أيضاً.
(3) «خُدُودُهَا» في نفح.
(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الشُّمُوسْ».
(5) في أزهار: «بِهِ تُبْهَرُ».
(6) «النُّفُوسْ» في المصدر السابق.
(7) في أزهار: «تُنْشَرُ».
(8) «بُرُوجُهُ» في نفس المصدر.

لَــوْ أَنَّ مَــنْ يَفْهَــمُ عَنْهَــا ٱلْكَــلَامْ | فَهْــيَ تُهنِّيــكَ هَنَــاءَ الأَدِيــبْ
وَنَهْــرُهُ قَــدْ سُــلَّ مِنْــهُ الْحُسَــامْ | يَلْحَظُــهُ ٱلنَّرْجِسُ لَحْـظَ ٱلْمُـرِيـبْ
فَـأَجْمَـلُ الأَيَّامِ عَصْـرُ الشَّبَابْ | وَأَجْمَلُ ٱلأَجْمَلِ[1] يَوْمُ الْلِقَـا
يَـا دُرَّةَ ٱلقَصْـرِ وَشَمْسَ الْقِبَابْ | وَهَـازِمَ ٱلأَحْـزَابِ فِـي ٱلْمُلْتَقَـى
بَشَّـرَكَ الـرَّبُ بِحُسْـنِ ٱلْمَـآبْ | مَتَّعَـكَ ٱللَّـهُ بِطُـولِ الْبَقَـا
وَلَا يَـزَالُ الْقَصْـرُ قَصْـرُ السَّـلَامْ | يَخْتَـالُ فِـي بُـرْدِ ٱلشَّبَـابِ ٱلْقَشِيـبْ
يَتْلُـو عَلَيْـكَ الـدَّهْـرُ فِـي كُـلِّ عَامْ: | نَصْـرٌ مِـنَ اللَّـهِ وَفَتْـحٌ قَـرِيـبْ

(119)

وقال ـ رحمه الله ـ من المخلّع في الشفاء:

[مخلع البسيط]

فِـي طَـالِـعِ ٱلْيُمْـنِ وَٱلسُّعُـودِ | قَـدْ كَمُلَـتْ رَاحَـةُ الإِمَـامْ
فَـأَشْـرَقَ النُّـورُ فِـي ٱلْـوُجُـودِ | وَٱبْتَسَـمَ الـزَّهْـرُ فِـي الْكِمَـامْ
قَـدْ طَلَعَـتْ رَايَـةُ النَّجَـاحِ | وَانْهَـزَمَ البُـؤْسُ وَالعَنَـا
وَقَـالَ: حَـيَّ عَلَـى الفَـلَاحِ | مُـؤَذِّنُ القَـوْمِ[2] بِـالمُنَـى
فَـالـدَّهْـرُ يَـأْتِـي بِـالاقْتِـرَاحِ | مُسْتَقْبِـلًا أَوْجُـهَ الْهَنَـا
تَخْفِـقُ مَنْشُـورَةَ البُـرُودِ[3] | وَالسَّعْـدُ يَقْـدُمُ مِـنْ أَمَـامْ
وَالأُنْـسُ مُسْتَجْمِـعُ الْـوُفُـودِ | وَٱللُّطْـفُ مُسْتَعْـذَبُ الْجِمَـامْ
وَأَكْـؤُسُ الطَّـلِّ مُتْـرَعَـاتْ | بِـأَنْمُـلِ ٱلسَّـوْسَـنِ النَّـدِي
وَٱلطَّيْـرُ مُفْتَنَّـةُ اللُّغَـاتْ | تَشْـدُو بِـأَصْـوَاتِ مَعْبَـدِ
وَالْغُصْـنُ يَـذْهَـبُ ثُـمَّ يَـاتْ | بِـالسُّنْـدُسِ ٱلغَـضِّ مُـرْتَـدِي

(1) «الإِجْمَالِ» في نفح.
(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الفَوْزِ».
(3) «البُنُودِ» في أزهار.

وَٱلدَّوْحُ يُومِي إِلَى السُّجُودِ — شُكْرًا لِذِي ٱلأَنْعُمِ ٱلْجِسَامْ

وَالرِّيحُ خَفَّاقَةُ ٱلْبُنُودِ — تُبَاكِرُ الرَّوْضَ بِٱلْغَمَامْ

مَظَاهِرٌ لِلْجَمَالِ تُجْلَى — قَدْ هَزَّ أَعْطَافَهَا ٱلسُّرُورْ

وَبَاهِرُ الْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى — مَا بَيْنَ نَوْرٍ وَبَيْنَ نُورْ

قَدْ هَنَّأَتْ بِٱلشِّفَاءِ مَوْلَى — بِعَصْرِهِ تَفْخَرُ ٱلْعُصُورْ

مَا بَيْنَ بَأْسٍ وَبَيْنَ جُودِ — قَدْ مَهَّدَ الأَمْنَ لِلأَنَامْ

فَالدِّينُ ذُو أَعْيُنٍ رُقُودِ — وَكَانَ لاَ يُطْعَمُ ٱلْمَنَامْ

وَٱلكَأْسُ فِي رَاحَةِ السُّقَاةِ — تَرُوحُ طَوْرًا وَتَغْتَدِي

يهْدِيكَهَا رَائِقُ ٱلسِّمَاتِ — مَا بَيْنَ بَرْقٍ وَفَرْقَدِ

وَٱلشَّمْسُ تَذْهَبُ لِلْبَيَاتِ — قَدْ لَبِسَتْ ثَوْبَ عَسْجَدِ

وَٱلزَّهْرُ فِي ٱليَانِعِ المجودِ — يُقَابِلَ ٱلشَّرْبَ بِٱبْتِسَامْ

وَالرَّوْضُ مِنْ حِلْيَةِ ٱلغُمُودِ — قَدْ جَرَّدَ ٱلنَّهْرَ عَنْ حُسَامْ

مَوْلاَيَ يَا أَشْرَفَ الْمُلُوكِ — وَعِصْمَةَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينْ

أُهْدِيكَ مِنْ جَوْهَرِ ٱلسُّلُوكِ — يَقْذِفُهُ بَحْرُكَ ٱلمَعِينْ

جَعَلْتُ تَنْظِيمَهُ سُلُوكِي — وَأَنْتَ لِي الْمُنْجِدُ ٱلْمُعِينْ

تَحِيَّةُ ٱلْوَاحِدِ ٱلْمَجِيدِ — وَرَحْمَةُ ٱللَّهِ وَالسَّلاَمْ

عَلَيْكَ مِنْ رَاحِمٍ وَدُودِ — يَا مُخْجِلَ ٱلْبَدْرِ فِي ٱلتَّمَامْ

(120)

وقال رحمه الله تعالى من الرمل المجزوء:

[مجزوء الرمل]

وَجْهُ هَذَا اليَوْمِ بَاسِمْ — وَشَذَا الأَزْهَارِ نَاسِمْ

هَاتِهَا صَاحِ كُؤُوسَا — جَالِبَاتٍ لِلسُّرُورْ

وَٱرْتَقِبْ مِنْهَا شُمُوسَا طَالِعَاتٍ فِي حُبُورْ[1]
مَا تَرَى ٱلرَّوْضَ عَرُوسَا فِي حُلَى نَوْرٍ وَنُورْ
وَأَتَتْ رُسْلُ النَّوَاسِمْ تَجْتَلِي هَذِي ٱلْمَوَاسِمْ[2]
قَدْ أَهَلَّتْ بِالبَشَائِرْ أَضْحَكَتْ ثَغْرَ الأَزَاهِرْ
سَنَحَتْ فِي يُمْنِ طَائِرْ وَنُظِمْنَ كَالجَوَاهِرْ
فَٱنْشُرُوهَا فِي ٱلْعَشَائِرْ إِنَّ هَذَا الصُّنْعَ بَاهِرْ
وَأَشِيعُوا فِي الْعَوَالِمْ الْغَنِي بِٱللَّهِ سَالِمْ
أَيُّ نُورٍ يَتَوَقَّدْ أَيُّ بَدْرٍ يَتَلاَلاَ
أَيُّ فَخْرٍ يَتَخَلَّدْ أَيُّ غَيْثٍ يَتَوَالَى
إِنَّمَا الْمَوْلَى مُحَمَّدْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
كَفُّهُ بَحْرُ ٱلْمَقَاسِمْ وَبِهَا حجُّ ٱلْمَبَاسِمْ
خَيْرُ أَمْلاَكِ الزَّمَانِ مِنْ بَنِي سَعْدٍ وَنَصْرِ
مَا تَرَى أَنَّ ٱلشَّوَانِي[3] فِي صَعِيدِ ٱلبَّرِ تَجْرِي
قَدْ أَطَارَتْهَا ٱلتَّهَانِي دُونَ بِحْرِيٍّ وَبَحْرِي
مُذْ رَأَتْ بَحْرَ ٱلنَّعَائِمْ كُلُّهَا جَارٍ وَعَائِمْ
فَهَنِيئًا بِٱلشِّفَاءِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَا[4]
وَلَنَا حَقُّ الْهَنَاءِ وَجَمِيعُ ٱلعَالَمِينَا[5]
إِنْ جَهَرْنَا بِٱلدُّعَاءِ يَنْطِقُ ٱلدَّهْرُ أَمِينَا[6]

---

(1) «بُدُور» في أزهار.
(2) في نفس المصدر: «النَّواسِمْ».
(3) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «السَّوَاقِي».
(4) في نفح: «المُسْلِمينَا».
(5) في أزهار: «المسلمين».
(6) «أَمِينْ» فيه أيضاً.

دُمْــتَ مَحْــرُوسَ الْمَكَــارِمْ بِظُبَــى ٱلْبِيــضِ الصَــوَارِمْ

(121)

وقال يُهَنِّى السلطانَ موسى بنَ السلطان أبي عنان[1]، وقد وجّه إليه الغَنِيُّ بالله أمَّه وعِيالَه عند تملّكه المغرب من قِبَله:

[مخلع البسيط]

قَــدْ نُظِــمَ الشَّمْــلُ أَتَــمَّ انْتِظَــامْ وَلاَحَــتْ الأَقْمَــارُ بَعْــدَ المغَيــبْ

وَأَضْحَـكَ الرَّوْضُ ثُغُـورَ الْغَمَـامْ[2] عَـنْ مَبْسِـمِ الـزَّهْـرِ الْبَـرُودِ ٱلْشَنِيـبْ

وَعَـاوَدَ ٱلْغُصْـنَ زَمَـانُ الصِّبَـا وَأُشْرِبَ الأُنْسَ جَمِيعُ النُّفُوسْ

وَعَمَّـمَ ٱلنَّـوْرُ رُؤُوسَ الـرُّبَـا وَجَلَّـلَ النُّورُ وُجُـوهَ الشُّمُـوسْ

وَأَطْرَبَ الْغُصْـنَ نَسِيـمُ الصَّبَا فَالدَّوْحُ لِلشُّكْرِ تَحُطُّ الرُّؤُوسْ

وَٱسْتَقْبَــلَ البَــدْرُ لَيَــالِــي التَّمَــامْ وَصَــافَـحَ الصُّبْـحَ بِكَــفٍّ خَضِيــبْ

وَرَاجَــعَ الأَطْيَـارُ سَجْـعَ الْحَمَــامْ بِكُــلِّ ذِي لَحْــنٍ بَــدِيــعٍ غَـرِيــبْ

نَـوَاسِمُ ٱلْـوَادِي بِمِسْكٍ تَفُوحْ وَنَفْحَـــةُ النَّـــدِّ بِـــهِ تَعْبَـــقُ

وَبَهْجَـةُ السُكَـانِ مِنْـهُ[3] تَلُـوحْ وَجَـوُهُ مِـنْ نُـورِهِـمْ[4] يُشْـرِقُ

وَعَرْفُهُ بِٱلطِّيبِ مِنْهُمْ[5] يَفُوحْ كَــأَنَّــهُ عَــنْ عَنْبَــرٍ يُفْتَــقُ

وَالنَّهْــرُ قَــدْ سُــلَّ كَمِثْــلِ الحُسَــامْ حَبَــابُــهُ تَطْفُــو وَطَــوْرًا تَغِيــبْ

---

(1) هو أبو فارس الملقَّب بالمتوكّل (757 هـ ـ 788 هـ) أُبعِد للأندلس وأقام في حماية الغني بالله وأرجعه إلى ملكه سنة 786 هـ.

(2) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الكِمَامْ».

(3) «مِنْهُ» في أزهار.

(4) «من نُورهِمْ» في نفس المصدر.

(5) «مِنْهُمْ» في المصدر المذكور سابقاً.

وَثَغْـرُهُ[1] قَـدْ رَاقَ[2] مِنْـهُ ابْتِسَـامْ	يُهَنِّـئُ الأَحْبَـابَ قُـرْبَ[3] ٱلْحَبِيـبْ
كَـوَاكِـبٌ أَبْـرَاجُهُـنَّ الْخُـدُورْ	يَلُـوحُ عَنْهَـا كُـلُّ بَـدْرٍ لِيَـاحْ
جَـوَاهِـرٌ أَصْـدَافُهُـنَّ القُصُـورْ	نَظَمَهَـا السَّعْـدُ كَنَظْـمِ الْـوِشَـاحْ
يَا حَبَّذَا وَاللَّهِ رَكْبُ ٱلسُّرُورْ	يُبَشِّـرُ الْمَـوْلَـى لِنَيْـلِ اقْتِـرَاحْ
فَـٱبْتَهَـجَ ٱلْكَـوْنُ بِمُـوسَـى ٱلإِمَـامْ	وَٱخْتَـالَ فِي بُـرْدِ الشَّبَـابِ القَشِيـبْ
وَعَـادَهُ يَخْـدُمُ مِثْـلَ الغُـلاَمْ	شَبَـابُـهُ قَـدْ عَـادَ بَعْـدَ الْمَشِيـبْ
أَكْـرِمْ بِـهِ وَٱللَّـهِ وَفْـدِ الْكَـرِيـمْ	مَـوْلاَتُنَـا[4] الحُـرَّةُ فِي مَقْـدَمِـهْ
مَـرْضَـاتُهَـا تُحْظِي بِـدَارِ النَّعِيـمْ	وَتُـوجِـبُ التَّـوْفِيـقَ مِـنْ مُنْعِمِـهْ
بَشَّـرَهُ نَصْـرٌ[5] وَفَتْـحٌ جَسِيـمْ	وَخَيْـرُهُ أَجْمَـعُ فِـي مَقْـدَمِـهْ
لِقَـاؤُهَـا ٱلْمَبْـرُورُ مِسْـكُ ٱلْخِتَـامْ	بَشَّـرَكَ ٱللَّـهُ بِصُنْـعٍ عَجِيـبْ
وَقَصْـرُكَ الْمَيْمُـونُ قَصْـرُ السَّـلاَمْ	خُـطَّ[6] بِحِفْـظٍ مِـنْ سَمِيـعٍ مُجِيـبْ
مَـوْلاَيَ يَهْنِيـكَ وَحُـقَّ الهَنَـا	قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ كَنَظْمِ السُّعُودْ[7]
قَـدْ فُزْتَ بِـالفَخْـرِ وَنَيْلِ الْمُنَى	وَأَنْجَـزَ السَّعْـدُ جَمِيـعَ ٱلْـوُعُـودْ
وَقَـرَّتِ ٱلْعَيْـنُ وَزَالَ ٱلْعَنَـا	وَكُلَّمَـا مَـرَّ صَنِيـعٌ يَعُـودْ
وَلاَ يَـزَلْ[8] مُلْكُـكَ حِلْـفَ الـدَّوَامْ	يَحُـوزُ فِـي التَّخْلِيـدِ أَوْفَـى نَصِيـبْ
يَتْلُـو عَلَيْـكَ الـدَّهْـرُ بَعْـدَ السَّـلاَمْ:	«نَصْـرٌ مِـنَ اللَّـهِ وَفَتْـحٌ قَـرِيـبْ»

(1) «ثَغْرُهَا» في أزهار.
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «رَاقَهُ».
(3) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الحِبَّ بقُرْبِ».
(4) كذا في أزهار؛ وفي نفح «مَوْلَى سَنَا».
(5) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «بَشَّرَ بالنَصْرِ».
(6) «خُصَّ» في أزهار.
(7) كذا في أزهار ونفح؛ وعند نيفر: «المُرَادُ».
(8) «فَلاَ يَزَلْ» في أزهار.

(122)

وقال ـ رحمه الله ـ في وصف غرناطة والطَّرَدِ وغيرهما:

[مخلع البسيط]

لِلَّـــهِ مَـــا أَجْمَـــلَ رَوْضَ الشَّبَـــابْ   مِـــنْ قَبْـــلِ أَنْ يُفْتَـــحَ زَهْـــرُ المَشِيـــبْ

فِـــي عَهْـــدِهِ أَدَرْتُ كَـــأْسَ الـــرُّضَـــابْ   حَبَـــابُهَـــا الـــدُّرُ بِثَغْـــرِ الْحَبِيـــبْ

مِنْ كُلِّ مَنْ يُخْجِلُ بَدْرَ التَّمَامْ   إِذَا[1] تَبَـدَّى وَجْهُـهُ لِلْعُيُـونْ

وَيَفْضَـحُ الْغُصْـنَ بِلِيـنِ الْقَـوَامْ   وَأَيْـنَ مِنْـهُ لِيـنُ قَـدِّ الغُصُـونْ

وَلَحْظُـهُ يَمْضِـي مَضَـاءَ الحُسَـامْ   وَيُذهِلُ ٱلعَقْلَ[2] بِسِحْرِ الجُفُونْ

أَبْصَـــرْتُ مِنْـــهُ إِذْ يَحُـــطُّ النِّقَـــابْ   شَمْسًـا وَلَكِـنْ مَـا لَهَـا مِـنْ مَغِيـبْ

إِذَا تَجَلَّـــتْ بَعْـــدَ طُـــولِ ٱرْتِقَـــابْ   صَرَفْتُ عَنْهَا اللَّحْظَ خَوْفَ الرَّقِيبْ

مَـنْ عَـاذِرِي مِنْـهُ فُـؤَادٌ صَبَـا   لِـلاَمِـعِ البَـرْقِ وخَفْـقِ الـرِّيَـاحْ

يَطِيـرُ إِنْ هَـبَّ نَسِيـمُ ٱلصَّبَـا   تُعِيرُهُ الرِّيحُ خُفُوقَ الرِّيَاحْ[3]

مَـا أَوْلَـعَ ٱلصَبَّ بِعَهْدِ الصِّبَـا   وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَا مِنْ جُنَاحْ

فَقَلْبُـــهُ مِـــنْ شَـــوْقِـــهِ فِـــي الْتِهَـــابْ   قَـــدْ أَحْـــرَقَ الأَكْبَـــادَ مِنْـــهُ الْـــوَجِيـــبْ

وَٱلْجَفْـنُ مِنْـهُ سُحْبُـهُ فِـي ٱنْسِكَـابْ   قَـــدْ رَوَّضَ الخَـــدَّ بِـــدَمْـــعٍ سَكِيـــبْ

غَرْنَاطَةٌ رَبْعُ ٱلْهَوَى[4] وَالمُنَى   وَقُرْبُهَـا السُّـؤْلُ وَنَيْـلُ الـوَطَـرْ

وَطِيبُهَـا بِـالْـوَصْـلِ لَـوْ أَمْكَنَـا   لَـمْ أَقْطَـعِ اللَّيْـلَ بِطُـولِ السَّهَـرْ

عَمَّـا قَـرِيـبٍ حُـقَّ فِيهَـا[5] الهَنَـا   بِيُمْـنِ ذِي الْعَـوْدَةِ بَعْـدَ السَّفَـرْ

---

(1) «مَهْمَا» في أزهار.

(2) «القَلْبَ» في نفس المصدر.

(3) فيه أيضاً: «الجَنَاحْ».

(4) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «الهَنَا».

(5) «فِيهِ» في أزهار.

وَيَحْمَـدُ النَّـاسُ نَجَـاحَ الإيَـابْ بِكُـلِ صُنْـعٍ مُسْتَجَـدٍّ غَـرِيـبْ
وَيَكْتُـبُ الفَـالُ عَلَـى كُـلِّ بَـابْ: «نَصْـرٌ مِـنَ اللَّـهِ وفَتْـحٌ قَـرِيـبْ»
مَـا لَـذَّةُ الأَمْـلاَكِ إلاَّ القَنَـصْ لأَنَّـهُ الفَـالُ بِصَيْـدِ ٱلْعِـدَا
كَـمْ شَـارِدٍ جُـرِّعَ فِيـهِ الغُصَـصْ وَأُورِدَ المَحْـرُوبُ وِرْدَ الـرَّدَى
وَكَم بِذَا[1] الفَحْصِ لَنَا مِنْ حِصَصْ قَـدْ جُمِّـعَ البَـأسُ بِهَـا وَالنَّـدَى

ومنها بعد أبيات سقطتْ:

مَـوْلاَيَ مَـوْلاَيَ وَأَنْـتَ الَّـذِي جَدَّدْتَ لِلأَمْلاَكِ عَهْدَ ٱلْجَـلاَلْ
وَالشَّمْـسُ وَالبَـدْرُ مِـنَ الْعُـوَّذِ لَمَّـا رَأَتْ مِنْـكَ بَدِيـعَ الْجَمَـالْ
وَٱلـرَّوْضُ فِـي نِعْمَتِـهِ يَغْتَـذِي بِطِيبِ مَا قَدْ حُزْتَهُ مِنْ خِلاَلْ
بُشْـرَاكَ بُشْـرَاكَ بِحُسْـنِ الْمَـآبْ تَسْتَضْحِـكُ الـرَّوْضَ بِثَغْـرٍ شَنِيـبْ
وَدُمْـتَ مَحْـرُوسَ العُـلاَ وَٱلْجَنَـابْ بِعِصْمَـةِ اللَّـهِ السَّمِيـعِ المُجِيـبْ

(123)

وَلْنجعلْ آخرَ موشَّحَةٍ له ـ رحمه الله تعالى ـ زَهْرِيَّةً في مدح المصطفى، ﷺ، تكون مسكَ الختام وهي:

[مخلع البسيط]

لَـوْ تَـرْجِـعُ ٱلأَيَّـامُ بَعْـدَ الـذَّهَـابْ لَـمْ تَقْـدَحِ الأَشْـوَاقَ ذِكْـرَى حَبِيـبْ
وَكُـلُّ مَـنْ نَـامَ بِلَيْـلِ ٱلشَّبَـابْ يُـوقِظُـهُ الـدَّهْـرُ بِصُبْـحِ ٱلْمَشِيـبْ
يَـا رَاكِـبَ ٱلعَجْـزِ أَلاَ نَهْضَـةٌ قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ ٱلْمَجَالْ
لاَ تَحْسِبَـنْ أَنَّ الصِّبَـا رَوْضَـةٌ تَنَـامُ فِيهَـا تَحْـتَ فَـيْءِ الظِّـلاَلْ
فَـٱلْعَيْـشُ نَـوْمٌ وَٱلـرَّدَى يَقْظَـةٌ وَٱلْمَـرْءُ مَـا بَيْنَهُمَـا كَـٱلْخَيَـالْ
وَالْعُمْـرُ قَـدْ مَـرَّ كَمَـرِّ ٱلسَّحَـابْ وَٱلْمُلْتَقَـى بِـٱللَّـهِ عَمَّـا قَـرِيـبْ
وَأَنْـتَ مَخْـدُوعٌ بِلَمْـعِ السَّـرَابْ تَحْسِبُـهُ مَـاءً وَلاَ تَسْتَـرِيـبْ

---

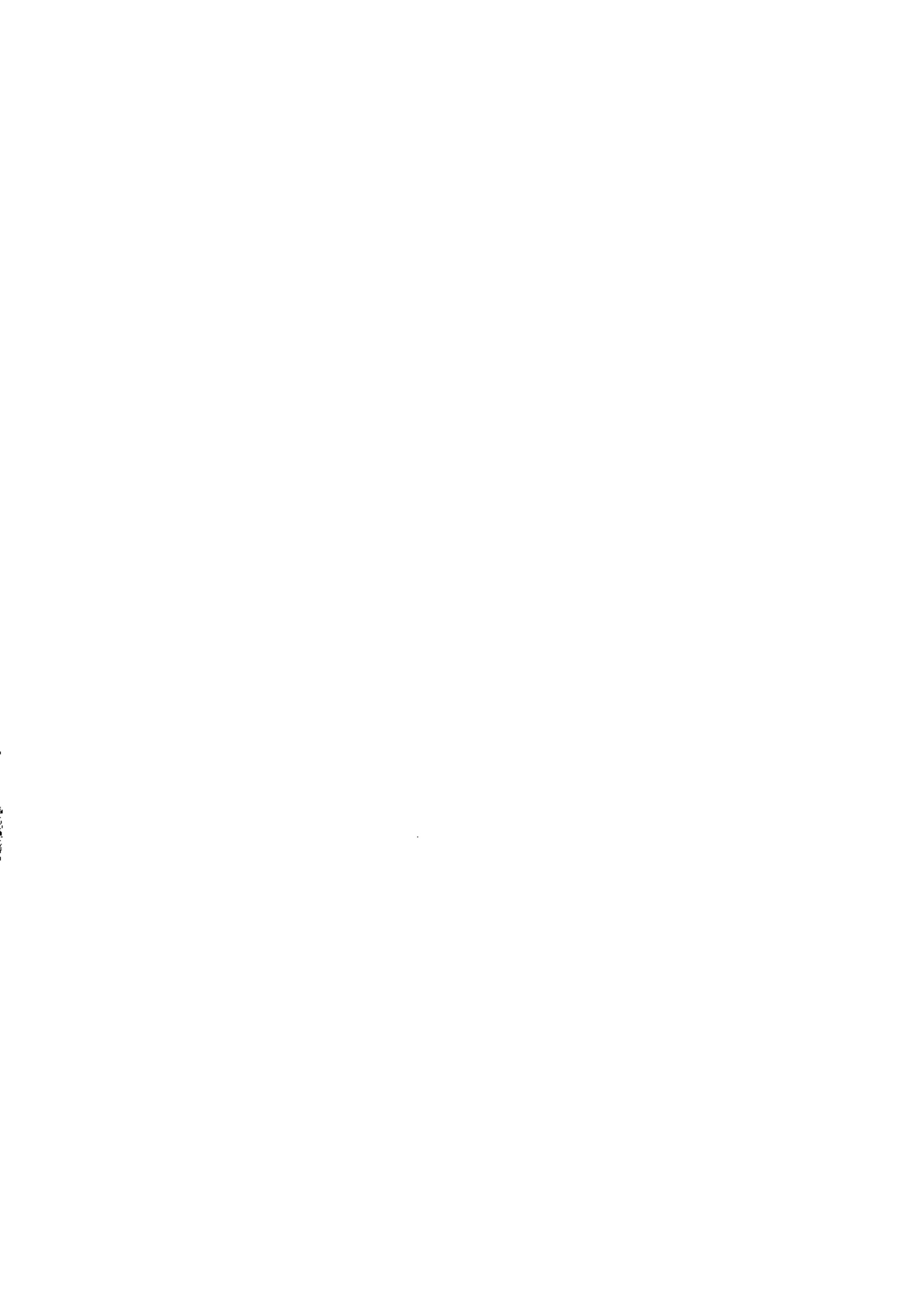
(1) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «بَدَا».

وَاللَّهِ مَا الْكَوْنُ بِمَا قَدْ حَوَى إلاَّ ظِلاَلٌ تُوهِمَ الغَافِلاَ
وَعَادَةُ ٱلْظِلِّ إِذَا مَا ٱسْتَوَى تُبْصِرُهُ مُنْتَقِلاً زَائِلاَ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ عَبِيدُ الْهَوَى لَمْ نَعْرِفِ ٱلْحَقَّ وَلاَ الْبَاطِلاَ
فَكُلُّ مَنْ يَرْجُو سِوَى اللَّهِ خَابْ وَإِنَّمَا ٱلْفَوْزُ لِعَبْدٍ مُنِيبْ
يَسْتَقْبِلُ الرُّجْعَى بِصِدْقِ ٱلْمَتَابْ وَيَرْقُبُ ٱللَّهَ الشَّهِيدَ ٱلْرَّقِيبْ[1]
يَا حَسْرَتَا مَرَّ ٱلْصِّبَا وَٱنْقَضَى وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ يَقُصُّ الأَثَرْ
وَاخَجْلَتَا وَالرَّحْلُ قَدْ قُوِّضَا وَمَا بَقِي فِي الخُبْرِ غَيْرُ الْخَبَرْ
وَلَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَدَّخِرُ الزَّادَ لِطُولِ السَّفَرْ
قَدْ حَانَ مِنْ رَكْبِ ٱلْتَّصَابِي إِيَابْ وَرَائِدُ الرُّشْدِ أَطَالَ المَغِيبْ
يَا أَكْمَهَ ٱلْقَلْبِ بِغَيْنِ الْحِجَابْ كَمْ ذَا أُنَادِيكَ فَلاَ تَسْتَجِيبْ
هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمْ وَٱلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِي شَفِيعٌ مُطَاعْ
فَجَاهُهُ ذُخْرُ ٱلْفَقِيرِ ٱلْعَدِيمْ وَحُبُّهُ زَادِي وَنِعْمَ الْمَتَاعْ
وَٱللَّهُ سَمَّاهُ الرَّؤُوفَ الرَحِيمْ فجَارُهُ ٱلْمَكْفُولُ مَا إِنْ يُضَاعْ
عَسَى شَفِيعُ ٱلْنَّاسِ[2] يَوْمَ ٱلْحِسَابْ وَمَلْجَأُ ٱلخَلْقِ لِرَفْعِ[3] ٱلْكُرُوبْ
يَلْحَقُنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابْ يَشْفَعُ لِي فِي مُوبِقَاتِ ٱلْذُّنُوبْ
يَا مُصْطَفَى وَٱلْخَلْقُ رَهْنُ ٱلْعَدَمْ وَٱلْكَوْنُ لَمْ يَفْتِقْ كِمَامَ ٱلْوُجُودْ
مَزِيَّةٌ أُعطِيتَهَا فِي ٱلْقِدَمْ بِهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسُودْ
مَوْلِدُكَ المَرْقُوبُ لَمَّا نَجَمْ أَنْجَزَ لِلأُمَّةِ وَعْدَ السُّعُودْ
نَادَيْتُ لَوْ يَسْمَحُ لِي بِٱلْجَوَابْ شَهْرَ رَبِيعٍ: يَا رَبِيعَ ٱلْقُلُوبْ
أَطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ ٱحْتِجَابْ شَمْسًا وَلَكِنْ مَا لَهَا مِنْ غُرُوبْ

(1) كذا في نفح؛ وفي أزهار: «القَرِيبْ».
(2) كذا في أزهار؛ وفي نفح: «الخَلْق».
(3) «لِدَفْعِ» في أزهار.

تم بحمده تعالى

الفهارس العامّة



1 ـ فهرس القوافي والبحور

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
	قافية الهمزة				
240	هَا أَنَا مَرْقَبٌ لِبَدْرٍ كَمَالٍ نُورُهُ يَملأُ الوُجُودَ ضِياءَ	ضِيَاءَ	الخفيف	4	رسم في طاق
253	أَلاَ عِمْ صَبَاحاً يَا صَبَاحَ هِدَايةٍ وشَمْسَ عُلًى يُهْدِي الشموسَ ضِياءَهَا	ضِياءَهَا	الطويل	2	صباحية وتحية
277	طَلَع البَدْرُ جَانِبَ الحَمْراءِ وهوَ يَزْهَى بالحُلّة الحَمْراءِ	اَلْحَمْرَاءِ	الخفيف	10	غزل ومدح
291	إمامَ المُسْلِمِينَ لك البقاءُ وَبُشْرَاكَ السَّلاَمَةُ والشِّفَاءُ	اَلشِّفَاءُ	الوافر	5	الهناء بالشفاء
361	لِمَنْ قُبَّةٌ حمراء مُذّ فَضَاؤُها تَطَابَقَ منها أَرْضُهَا وسَمَاؤُهَا	سماؤُها	الطويل	7	الشكر
362	أمدامِعٌ مُنْهَلَّةٌ أم لُؤْلُؤُ لمّا اُستهلّ العارضُ المتَلأْلِيءُ	المُتَلأْلِيءُ	الكامل	1	المدح
362	زار الخيالُ بِأَيْمَنِ الزَّوْرَاءِ فجلا سناه غياهبَ الظَّلْمَاءِ	الظَّلْمَاءِ	الكامل	76	مولدية

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
366	يا من تَمُدُّ له الملوكُ أكُفَّهَا تدعو الإلاهَ له بطول بَقَاءِ	بَقَاءِ	الكامل	15	طردية
367	يا أَيُّهَا المولى الذي أيامُه تَهْمِي بسُحْبِ الجُود من آلائِهِ	آلائِهِ	الكامل	2	التورية
	قـافيـة البـــاء				
66	لِمُسْتَطْلَعِ الأَنْوَارِ تُجْلَى الغَيَاهِبُ وَمِنْ مَنْبَعِ الأَسْرَارِ تُمْلَى المَواهِبُ	الْمَوَاهِبُ	الطويل	24	خطاب لقاضي الجماعة ابن الحسن
85	يَا طَلْعَةَ الصُبْحِ ٱلْمُبِينِ وَمُخْجِلَ ٱلْـ ـبَدْرِ المُنِيرِ إِذَا بَدَا في مَوْكِبِ	مَوْكِبِ	الكامل	9	الشكر ووصف الجند
97	أُعِيذُكَ مِنْ خَدٍّ إِذَا ٱخْضَرَّ آسُهُ ذَوَى وَرْدُهُ فَٱزْوَرَّ عَنْهُ ٱلْمُجَانِبُ	المُجَانِبُ	الطويل	2	في العذار
99	أَطَعْتُ الهَوَى بَعْدَ ٱلْمَشِيبِ جَهَالَةً وَأَقْبَحُ حَالِ الشَّيْخِ يَوْماً إِذَا صَبَا	صَبَا	الطويل	2	في المشيب
154	يَا ٱبْنَ المُلُوكِ وأَبْنَاءِ الملوكِ وَمَن تَعْنُو النجومُ لَهُمْ قَدْراً إذا ٱنْتَسَبُوا	انْتَسَبُوا	البَسيط	6	نقش حول خزانة
155	إِنَّ ٱبْنَ نصر وما أدراكَ من مَلِكٍ من قصره طَالعَاتُ النصر تُرْتَقَبُ	تُرْتَقَبُ	البسيط	6	نقش حول خزانة
159	سَرَى وركابُ النَّجْمِ للغرب يَذْهبُ وللصُّبْحِ بَنْدٌ بالبروق يُذَهَّبُ	يُذَهَّبُ	الطويل	41	مدح وحث على الجهاد

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
163	بَثّ الضميرُ إلى الضمير مَحَبةً بصميم قلبٍ في الخُلوصِ مُقَلَّبِ	مُقَلَّبِ	الكامل	99	مدح واستنفار للجهاد
171	أَبَعْدَ مَشِيبٍ جَاءَ إِثْرَ شَبَابِ يَعُودُكَ عيد من هَوًى وَتَصَابِ	تَصَابِ	الطويل	60	إخوانيات
175	لَوْلاَ تَذَكُّرُ عَهْدٍ ذِكْرُهُ كَرَمٌ مَا كَان دَمْعِي إِثْرَ الرَّكْبِ يَنْسَكِبُ	يَنْسَكِبُ	البسيط	87	اعتذار ومدح
183	تَسَتَّرَتْ فِي لَيْلِ المَشِيبِ بِحُبِّهَا وَقَالَتْ: أَمِنْتَ العَاذِلاَتِ تَشِي بِي؟	تشي بي	الطويل	2	توقير الشيب عن طاعة الهوى
183	لك الخيرُ سَرِّحْ رَائِدَ الطَّرْفِ يَرْتَعِي فَمَرْعَاهُ فِي رَوْضِ الجَمَالِ خَصِيبُ	خَصِيبُ	الطويل	8	الملح والمداعبة
184	بِعَيْنِكَ حَدِّثْنِي عن الظَّبْيِ يَرْتَعِي مَسَارِح تُدْعَى أَعْيُناً وقُلُوبا	قُلُوبا	الطويل	2	مُلح وغزل
184	لي في ٱلْبَلاَبِلِ أسرارٌ مُحَجَّبَةٌ لكنها عن فؤادي ليس تُحْتَجَبُ	تُحْتَجَبُ	البسيط	2	مُلَح ومداعبة
233	حَاجِيَتُكُمْ بِمُسَبِّحٍ أَوَّابِ وبخَاشِعٍ من عِلْيَةِ الأَحْبَابِ	الأَحْبَابِ	الكامل	30	مُلْغِزٌ؟
250	زَمَانُ اعتِدَالٍ قد أَجَدَّ شَبَابَا وأَلْبِسَ من زهر الربيع ثيابا	ثِيَابَا	الطويل	35	ربيعية
254	يقولون ديوانُ الصبابة نَيِّرٌ تَسَيَّرَ من شرقٍ إلى أُفْقِ الغربِ	ٱلْغَرْبِ	الطويل	2	في ديوان الصبابة لابن حجلة

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــــرض
255	خليلــي دِيــوانُ الصبــابــة رقّــةٌ يكاد كجِسْمِي أنْ يطير مع الصَّبَا	الصبا	الطويل	2	في ديوان الصبابة لابن حجلة
255	خليلَيّ ديوانُ الصبابة مُعجِبٌ وقد شنّف الآذانَ باللؤلؤ الرّطْبِ	الرَّطْبِ	الطويل	2	في ديوان الصبابة لابن حجلة
265	يا خَيْرَ من وَرِثَ المُلْكَ العزيزَ وَمَنْ بِذاته وكمال الخلقِ قد كَسَبَهْ	كَسَبَهْ	البسيط	4	كتب يسأله عن شكاةٍ
282	وأزْمَانِ أُنْسٍ قد شرِبْتُ كؤوسها فَأبْقَتْ بفودِي للمشَيب حَبَابَا	حَبَابَا	الطويل	6	الوصف
292	أَبُثُكَ أَنَا في ذَوَائبِ شَاهِقٍ ثُلاثٌ عليها للبروق ذوائبُ	ذَوَائِبُ	الطويل	18	إخوانية وبُرْءُ الممدوح
340	عذارٌ بَدَا في وَجْنَةٍ قَمرَية أرانا كسوفَ البدر والبَدرُ يُرْقَبُ	يُرْقَبُ	الطويل	2	في العذار
368	لَقَدْ عَلِمَ اللهُ أنِي آمْرُؤٌ أُجَدِّدُ ثَوْبَ العفافِ القَشِيبِ	القَشِيبِ	المتقارب	3	التورية
368	سَقَتْنِي في ليلٍ شبيهٍ بشَعْرِها شَبِيهَةَ خَدَّيْها بغير رَقِيبِ	رَقِيبِ	الطويل	4	التذييل
368	لِلغَنِـــيّ بـــالله ملـــكٌ بُـــرْدُه بـــالعـــزّ مُـــذْهَـــبْ	مُذْهَبْ	مجزوء الرمل	2	النّقش

الصفحة	البيــــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــــرض
369	وابنُ نصرٍ له محيًا كصبحٍ إنْ تَجَلَّى جَلاَ دُجَى كُلِّ كَرْبِ	كَرْبِ	الخفيف	2	النقش
369	وحَقِّكَ ما استطَعَمْتُ بعدَكَ غمضةً مِنَ النَّوْم حتى آذن النجمُ بالغُروب	الغُرُوبْ	الطويل	5	المراسلة
370	ظِلالُكُمْ تَنْدَى وموردُكُمْ عَذْبُ وتَرْضَوْنَ أن أضحى وبالمِلْحِ لِي شَرْبُ	شَرْبُ	الطويل	23	استنجاز الوعد
371	حَيَتْ صباحاً فأَحْيَتْ ساكِني القَصَبَهْ واستَرْجَعَتْ أنفساً بالشَوْقِ مُغْتَصَبَهْ	مُغْتَصَبَهْ	البسيط	10	المراسلة
372	أَضْرَمَ النَّارَ في الحشِيشِ يَحْتَى مِثْلَما تُضْرِمُ الحشيشَ بِقَلْبِهْ	بِقَلْبِهْ	الخفيف	1	المداعبة
	قــافيــة التـــاء				
77	يَا رَحْمَةً عَمَّ الوَرَى بَرَكَاتُهَا اِهْنَأْ بِيَوْمٍ وَافِرِ البَرَكَاتِ	البَرَكَاتِ	الكامل	8	تحية
213	أَيَا واجِداً عن واحِدٍ لَسْتَ غَيْرَهُ وإنْ عرض التكثيرُ فيك لِعِلَّةِ	لِعِلَّةِ	الطويل	5	التصوّف
221	عَهِدْتُكَ يا عَمِيدَ المجد تحيي رُسومَ الدين عهداً قد عَهِدْتَهْ	عَهِدْتَهْ	الوافر	6	حث على التمادي في الإفادة بالعلم
316	بالــرّيــاح الـــذّاريَـــاتِ بالنجــــوم السَّــاريَــاتِ	السَّاريَات	مجزوء الرجز	6	تغزّل

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
372	كتب الإلاهُ على العِبَادِ مَحبَّةً لك كان فرضُ كِتَابِهَا مَوْقُوتَا	مَوْقُوتَا	الكامل	4	الشكر
	قافية الثاء				
271	لك الخير ما حُبِّي وحبُّك حادثٌ فقد نُميتْ عني وعنك الأَحَادِثُ	الأَحَادِثُ	الطويل	7	التغزل
272	يا مُديرَ الطَّلَى مع الغَيْثِ حُثَّها عاجلا بِلاَ رَيْثِ	رَيْثِ	الخفيف	5	التغزل
272	صَاحِ ثَوْبُ الظَّلاَمِ قَدْ رَثَّا وحَديثُ الرياض قَدْ بُثَّا	بُثّا	الخفيف	3	مُجُون وخمر
338	أصْدِرُوها تَرْعَى الجَمِيمَ الكَثَّا لا تُطِيلوا عَلَى الجَمَامِ المُكْثَا	ألْمُكْثَا	الخفيف	26	معارضة رسالة لابن فركون
	قافية الجيم				
110	إنَّ الإِمَامَ المُسْتَعِينَ بِرَبِّهِ بَدْرٌ لِهَالاَتِ المَحَارِبِ والسُروجْ	السُروجْ	الكامل	5	المدح
128	إنَّ الإمَامَ مُحَمَّداً وَرِثَ العُلَى كَأَبِيهِ مَوْلاَنَا أَبِي الحَجَّاجِ	الحجَّاجِ	الكامل	3	نقش على طاق الباب
258	أمَا وصباحٍ من جبين تَبلَّجَا وَلَيْلٍ بهيمٍ للغدائر قد سَجَا	سَجَا	الطويل	11	مدح وغزل

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــرض
277	سَـــابــحُ البَــدْرِ لَجَّجَــا فـــي بِحَـــارٍ مــن الــدُّجَـــى	الدُّجَى	مجزوء الخفيف	19	وصف وغزل ومدح
309	أنا تاجٌ عُقِدْتُ في رأس تاج لنجوم السماءِ مني مُنَاجِ	مُنَاجِ	الخفيف	5	نقش في طاقة
310	لاَ وشَمْسِ الطَّلَى ببَدْرِ الزُّجَاجِ وَنُجُوم الحَبَابِ عَندَ المِزَاجِ	المِزَاجِ	الخفيف	5	مدح
309	لا وشمسِ الطَّلى ببدر الزُّجاجِ ونجوم الحَبابِ عند المِزَاجِ	المِزاجِ	الخفيف	5	مدح
317	وهـــو فـــي يـــوم ارْتِيَـــاحِ بَـــدْرُ تِـــمٌّ فـــي البـــروجِ	البُرُوج	مجزوء الرمل	12	التغزل
331	يا من به فَخُرَتْ ملوكُ زَمانِه بإمامها وسِرَاجِها الوَهَّاجِ	اْلوَهَّاجِ	الكامل	3	شكر عن طعام
	قافيــة الحــاء				
64	اِنْعَمْ صَبَاحاً بِثَانِي العِيدِ يَا مَلِكاً أيَّامُهُ كُلُّهَا عِيدٌ وأَفْرَاحُ	أَفْرَاحُ	البسيط	12	الصباحيات
67	كَيْفَ أَصْبَحْتَ لاَ بَرِحْتَ بخَيْرٍ أَنْتَ رُوحُ الحَيَاةِ في كُلِّ رُوحِ	رُوحِ	الخفيف	2	رسالة لقاضي الجماعة ابن الحسن
73	نَعِمْتَ صَبَاحاً وَمَنْ لِلْصَّبَاحِ بِوَجْهِكَ أَبْهَى الوُجُوهِ الصِّبَاحِ	الصِّبَاحِ	المتقارب	34	تحيّة ووصف

الصفحة	البيــــت (1)	القافيــة	البحر	عدد الأبيات	الغـــــرض
75	نَعِمْتَ كَمَا شَاءتْ حُلاَكَ صَبَاحَا وَلُقِّيتَ أيَّامَ السُّرورِ صِبَاحَا	صِبَاحَا	الطويل	4	تفاؤل براحة من مرض
75	أَنسِيمُ حَمْدٍ عَاطِرٌ نَفَّاحُ أمْ تُحْفَةٌ وَافَتْ بِهَا التُّفَّاحُ	التُّفَّاحُ	الكامل	4	شكر عن هديّة
78	إِنْعَـــمْ صَبَـــاحـــاً يَـــا صَبَـــاحْ وَاسْتَقْبِـــلِ الغُـــرَرَ الصِّبَـــاحْ	الصِّبَاحْ	الكامل	5	صباحيّة
81	دَامَتْ لَكَ الخَيْرَاتُ يَا بَدْرَ السَّمَاحْ فَلَطَالَمَا كُوِّنْتَ مِنْ بذْرٍ لِيَاحْ	لِيَاحْ	الكامل	20	وصف المجبَّنة
87	هِيَ خَضْرَةٌ تُهْدَى لَهَا الأَرْوَاحُ نَسَمَاتُهَا نَمَّتْ بِهَا التُّفَّاحُ	التُّفَّاحُ	الكامل	12	وصف زهر
89	مَعَانِيكَ في التَّوْحِيدِ أَجْلَى وَأَوْضَحُ وَقَدْرُكَ عِنْدَ اللهِ أَعْلَى وَأَرْجَحُ	أَرْجَحُ	الطويل	13	الشكر عن هديّة
112	اِنْعَمْ صَبَاحاً تَجَلَّى وَهْوَ ذُو خَجَلٍ لَمَّا رَأى وَجْهَكَ الوَضَّاحَ شَمْسَ ضُحَا	ضُحَا	البسيط	15	صباحية ووصف لبن
129	نَالَ ابْنُ نَصْرٍ بِهَذَا القَصْرِ مَا ٱقْتَرَحَا فَبَابُهُ لعَزِيزِ النَّصْرِ قَدْ فُتِحَا	فُتِحَا	البسيط	3	نقش في طاق
152	نَفَسَ الصَّبَا قد هِجْتَ لي تبريحا وَلَقَبْلُ كُنْتُ من الشُّجُون مُرِيحَا	مُرِيحَا	الكامل	2	تشوق
157	هذِهِ جَنَّةُ النَعِيمِ تَجَلَّتْ لَيْسَ عَنْهَا لِسَاكِنٍ مِنْ بَرَاحِ	بَرَاحِ	الخفيف	5	نقش على طاقة
185	وَسَجِّلْ هَذَا الحُكْمَ منك عَلاَمَةٌ تَخُطُّ بها يُمْنَاكَ مُنْعِمَةً صَحَا	صَحَا	الطويل	1	شكر

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
198	هنيئاً هنيئاً إنما الدينُ والدُّنَا تصحُ إذا المولى الخليفةُ قد صحَا	صَحَا	الطويل	2	تهنئة بإبلال
198	هنيئاً فهذا السُّقْمُ رَائِدُ صِحَّةٍ عَقَدْتَ مع الأيام من بعده صُلْحَا	صُلْحَا	الطويل	9	تهنئة بإبلال
210	متى يَقْضِي الزمانُ ديونَ مثلي ويَوْمِي في مناقضة اقْتِراحِ	اقْتِراحِ	الوافر	3	لابن جُزَي وقد زاره
217	أَمَا وسُكُونِ الليل مُنْسَدِلَ الجُنْحِ ومَسْرَى خَفُوق النّجم مِنْحَفِرَ السَّرْحِ	السَّرْحِ	الطويل	17	إجابة عن تهنئة
234	خُذْهُ كَقَلْبِكَ لَوْناً وَصَفْحَةِ البَدْرِ صَفْحَهْ	صَفْحَهْ	المجتث	2	ملغزاً في كاغذ
255	على رَوْضَةِ التَّعْرِيفِ عُجْتُ ركائبي فَوَاصَلْتُ فيها بالغبوق صَبُوحي	صَبُوحي	الطويل	1	في وصف كتاب «روضة التعريف» لابن الخطيب
274	لاَحَ مَنْشُورُ الصَّبَاحِ مُسْتَطِيراً في النُّوَاحِ	النُّواحِ	مجزوء الرمل	16	وصف وخمر ومدح
278	كَمْ شَكَاةٍ تَبُثُّها لِحَبِيبِ عَنْ مُحِبٍ لم تَدْرِ عنها اللَّواحِي	اللَّواحِي	الخفيف	4	تغزل
297	هذا الصباحُ وأنت غُرَّةُ وَجْهِهِ فانْعَمْ به مُتَوَاصِلَ الأفْرَاحِ	الأفْرَاحِ	الكامل	24	مدح الغني بالله وابن مرزوق

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــــرض
299	عِمْ صَبَاحاً فَأنتَ نورُ الصَّبَاحِ وآسْرِحِ اللحْظَ في الوجوه الصِّبَاحِ	الصِّبَاحِ	الخفيف	31	مدح الغني بالله وابن مرزوق
308	يا نَسِيماً يَهُبُّ عند الصباح رَاحَةُ الصَبِّ في انتشاق الرِّيَاحِ	آلرِّيَاحِ	الخفيف	5	كتب في قوس طاق
310	وقد لاح في ثوب السّماء لأنَّهُ من البدر أبهى أو من الشمس أمْلَحُ	أمْلَحُ	الطويل	11	الغزل
317	يا نَسيماً يَهُبُّ عند الصّباح راحة الصب في انتشاق الرِّيَاحِ	آلرِّيَاحِ	الخفيف	1	التغزّل
345	يَا مَنْ بِغُرَّة هَدْيِهِ أسْتَصْبِحُ وبودِّه في المُنْتَدى أَتَمَدَّحُ	أتَمَدَّحُ	الكامل	7	يخاطب الحاج ابن زيد
373	يـــا ابْـــنَ نَصْـرٍ لـك مُلْـكٌ ليــس تَعْــدُوه الفتــوحُ	الفتوحُ	مجزوء الرمل	2	النّقش
373	طَالَعْتُهَا دُونَ الصَّبَاحِ صَبَاحَا لَمَّا جَلَتْ غُرَرَ البَيَانِ صِبَاحَا	صِبَاحَا	الكامل	6	المراسلة
374	هِيَ في أَوْجُهِ النَّدَامَى عَقِيقٌ وَهْيَ مِثْلُ النُّضَارِ في الأَقْدَاحِ	الأَقْدَاحِ	الخفيف	3	التّذييل
374	لَكَ الخيرُ يا مولاي أبْشِرْ بِعِصْمَةٍ عَقَدْتَ مع الأيَّامِ في حِفْظِها صُلْحَا	صُلْحَا	الطويل	4	تمنّى الشّفاء

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــــرض
374	هذَا الصَّبَاحُ صباحُ الشيب قد وَضُحَا سَرْعانَ ما كَانَ ليلاً فاسْتنارَ ضُحَى	ضُحَى	البسيط	77	مولديّة
	قافيــة الخــاء				
257	يَضِنُّ على عَيْني الحبيبُ بنَظْرَةٍ وعيني بدُرِّ الدمع في حبه تَسْخُو	تَسْخُو	الطويل	13	غزل ومدح
315	إنْ رَمَــى لَحْــظُ هــاجــري عُقْــدَةَ الصبــر يَفْســخِ	يَفْسَخِ	مجزوء الخفيف	8	الغزل
	قافيــة الــدّال				
64	تَلاَ صِنْوُهُ مِنْهُ شِهَابٌ كَمِثْلِهِ فَلاَ زِلْتَ بَدْراً يَسْتَحِبُّ الفَرَاقِدَا	الفَرَاقِدَا	الطويل	1	مدح
72	مَوْلاَيَ يَا بَدْرَ السَّمَاحَةِ والهُدَى غَارَتْ سَحَابُ الجَوِّ مِنْ سُحْبِ النَّدَى	النَّدَى	الكامل	11	وصف شنّيل
85	أَمَوْلاَيَ جَاءَ العَبْدُ لِلْبَابِ سَائِلاً عَنِ الذَّاتِ ذَاتِ العِزِّ والفَخْرِ والمجْدِ	المَجْدِ	الطويل	6	الشكر عن هديّة
87	يَا مَنْ إذَا فَخَرَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ فَبِطَارِفٍ مِنْ مَجْدِهِ وَتَلِيدِ	تَلِيدِ	الكامل	5	شكر عن هديّة
102	ألاَ عِمْ صَبَاحاً أَنْتَ غُرَّةُ وَجْهِه بِهَا نَشَرَ الأَنْوَارَ فِي كُلِّ مَشْهَدِ	مَشْهَدِ	الطويل	9	شكر عن هديّة
103	ألاَ عِمْ صَبَاحاً رَاقَ في أُفْقِ السَّعْدِ وَجَاءَ مَعَ الصُّنْعِ الجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ	وَعْدِ	الطويل	8	مدح خطّ الغني بالله

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
104	أَنَــا فـــي الشَّكْــلِ هَــالَــةٌ فَــوْقَهَــا البَــدْرُ قَــدْ بَــدَا	بَدَا	مجزوء الخفيف	4	رقم في سرج
108	يَا غَزَالاً يَرْعَى بِرَوْضِ الفُؤَادِ فَهْوَ مِنْ مُقْلَتِي مَكَانُ السَّوَادِ	السَّوَادِ	الخفيف	37	غزل ومدح
114	إنَّ الخَلِيفَةَ لَمَّا أَنَّ مِنْ وَصَبٍ دَعَا القُلُوبَ إِلَى الأَشْجَانِ والكَمَدِ	الكَمَدِ	البسيط	2	الدعوة بالشفاء
119	لِمَقَــامِــكَ التَّــأْيِيــدُ وَالتــأْيِيــدُ ولَـكَ المُلُـوكُ كَمَـا تَشَـاءُ عَبِيـدُ	عَبِيدُ	الكامل	14	المدح ووصف الجيش
123	فاعْلَمْ وَعِلْمُكَ لاَ يُفَادُ غَرِيبَةً أَنَّ المُلُوكَ لِفَضْلِ مُلْكِكَ حُسَّدُ	حُسَّدُ	الكامل	23	المدح
132	هَنَاءٌ بِنَصْرِ الدِّينِ أَنْجَزَ مَوْعِدَا زَجَرْنَا بِهَا الطَّيْرَ المَيَامِينَ أَسْعُدَا	أَسْعُدَا	الطويل	121	المدح والتهنئة بمولود
156	هذه الدارُ جَنَّةٌ للخُلُودِ في سُرُورٍ مُوَاصَلٍ وسُعُودِ	سُعُودِ	الخفيف	5	نقش على طاقة
193	أَنَباتُ روضٍ أَمْ حِقَاقُ زَبَرْجَدِ في خُضْرَةٍ شِيبَتْ بصُفرةِ عَسْجَدِ	عَسْجَدِ	الكامل	15	شكر ووصف كُمَّثْرَى
197	بُشْرَى بهَا عَقْدُ الرِضَى يَتأَكَّدُ ومَوَاسِمُ الصنْعِ الجميل تُجَدَّدُ	تُجَدَّدُ	الكامل	21	تَهْنِئَة بإبلال
215	أَخَفَّاقَ الجناحِ إذا تَرُوُدُ لَعَلَّ سُرَاكَ طِيَّتُها زَرُودُ	زَرُودُ	الوافر	36	مراجعة عن عتب
223	صَبَا ما صَبَا نحو الصَّبَا كُلَّمَا هَفَتْ ولَفَّتْ أحاديثَ الأَحِبَّةِ في بُرْدِ	بُرْدِ	الطويل	42	في صدر رسالة لابن زيد

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــــرض
226	يَا نُكْتَةَ المَعْنَى وَيَا بَيْتَ القَصِيدْ يا مَفْخَرَ الدُّنْيَا ويا عَلَمَ الوُجودْ	آلوجُودْ	الكامل	6	شاكراً عن هدية
242	يا بَدْرَ تِمٍّ في سماء خِلاَفَةٍ يُهْدِي الضياءَ إلى النجوم فتَهْتَدِي	تَهْتَدِي	الكامل	20	في الشكر والمدح
244	آهْنَأْ بها من سُنَّةٍ نبويّة تلقاك بالبِرِّ المُعَجَّلِ والرَّشَدْ	آلرَّشَدْ	الكامل	5	تهنئة بافتِصَادْ
252	رَفَعْتَ قباباً من خِيامٍ أنيقةٍ تُجَاهَ قبابٍ للبناء مَشِيدِ	مَشِيدِ	الطويل	3	مدح
253	يا رَوْضَةَ الخَدّ فيهَا كُلُّ زَاهِرَةٍ مَنْصُورُ لَحْظَكِ يَحْمِي كُلَّ مَنْ وَرَدَا	وَردَا	البسيط	3	الغزل
254	عَلَى زَمَنِ اللَّذَاتِ مِنّي تَحِيَّةٌ وَيَا لَيْتَهُ لو عَادَ يُحْسِنُ رَدَّهَا	رَدَّهَا	الطويل	3	الشيب
265	قَدِمْتَ عَلَيْنَا قُدُومَ السُّعُودِ وَقَدْ عَجِبَ البَحْرُ مِنْ بَحْرِ جُودِ	جُودِ	المتقارب	5	تهنئة بمقدم
270	يَا لَيَالِي السُّعُودِ بالله عُودِي قَدْ ذَوى بِالفِرَاقِ بَعْدَكِ عُودِي	عُودِي	الخفيف	8	التغزّل
290	آلحَمْـــدُ للـــه وَحْـــدَهُ قَـــدْ أَنْجَـــزَ اللـــه وَعْـــدَهْ	وَعْدَهْ	المجتثّ	6	الهناء بالشفاء
300	يَا خَيْرَ مَنْ فَضَحَ الصَّبَاحَ بغُرَّةٍ مِنْ بِشْرِها أَنْوَارُهُ تَتَوقَّدُ	تَتَوَقَّدُ	الكامل	44	تهنئة بالإياب
308	خَلَّدَ اللهُ ذَا المَكَانَ السَّعِيدَا يَتَقَضَّى الزَمَانَ عِيداً فعيدا	فَعِيدَا	الخفيف	5	نقش على قبة

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
316	سَرْحَةَ البَانِ أَيْنَ فِيكِ عُهُودِي بَيْنَ ظِلٍّ يَنْدَى وَعَذْبٍ بَرُودِ	بَرُودِ	الخفيف	6	تغزّل
322	أَبَا فَارِسٍ يَهْنِيكَ مَوْلِدُ فَارِسٍ وَبُورِكَ مَوْلُوداً وَبُورِكْتَ وَالِدَا	وَالِدَا	الطويل	7	تهنئة أبي فارس بمولود
324	وَكَيْفَ وَقَدْ حَلَّتْكَ أَشرافُها الحُلَى وبَاهَتْ بك الأَعْلاَمُ بالعلَمِ الفَرْدِ	ٱلْفَرْدِ	الطويل	4	مدح
324	سَلِ البَارِقَ الخَفَّاقَ فِي عَلَمِيْ نَجْدِ تَبَسَّمَ فَاسْتَبْكَى جُفُونِي مِنَ الوَجْدِ	ٱلْوَجْدِ	الطويل	20	رسالة لتهنئة صديق
331	أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي مَا عَدَا بَعْدَ مَا بَدَا فِرَاقٌ عَلَيْنَا جَارَ في الحُكْمِ واعْتَدَى	اعتدى	الطويل	5	تخميس في رثاء حظيّة
340	[...] فِي كَفِّ نَاعِمَةٍ منَ البَنَانِ تُجَارِي السُّحْبَ فِي الجُودِ	ٱلْجُودِ	البسيط	2	وصف الكتاب
344	بِنَفْسِي مَنْ كَسَا جِسْمِي نُحُولاً وَوَكَّلَ النَّجْدِيَّ وَبِالسُّهَادِ	ٱلسُّهَادِ	الوافر	3	في النّحول
379	سَلُوا البَارِقَ النَّجْدِيَّ من عَلَمِيْ نَجْدِ تَبَسَّمَ فاسْتَبْكَى جفوني من الوَجْدِ	الوَجْدِ	الطويل	78	المدح
384	أَلاَئِمَتِي في الجُود والجودُ شِيمَتِي جُبِلْتُ على آثارِهَا يَوْمَ مَوْلِدِي	مَوْلِدِي	الطويل	2	الفخر
384	رَعَى اللهُ زَهْرَاً يَنْتَمِي لِقَرَنْفُلٍ حَكَى عَرْفَ من أَهْوَى وإِشْرَاقَ خَدِّهِ	خَدِّهِ	الطويل	4	الوصف
387	إِنَّ الإِمَـــامَ مُحَمَّـــدَا أَهْـــدَى الخَلِيفَـــةَ أَحْمَـــدَا	أَحْمَدَا	مجزوء الكامل	8	النقش

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
385	هَنِيئًا هَنِيئًا لا نَفَادَ لِعَدِّهِ وَبُشْرَى لدينِ الله إِنْجَازُ وَعْدِهِ	وَعْدِهِ	الطويل	9	التهنئة
386	عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ والطائرِ السَّعْدِ قَدِمْتَ مع الصُّنع الجميلِ عَلَى وَعْدِ	وَعْدِ	الطويل	2	المدح
386	أيُّ قَـــوْسٍ ذِي جَمَـــالِ سَهْمُـــه سهـــمُ سَعَـــادَهْ	سَعَادَهْ	مجزوء الرمل	3	النّقش
387	أنْظُـــرِ الأُفْـــقِ جَمَـــالِ فِيـــهِ الأبَـــارِيـــقُ تَصْعَـــدْ	تَصْعَدْ	مخلّع البسيط	5	المدح
387	مَا لِلْعَوَالِي جُمِّعَتْ في قُبَّةٍ قَدْ شَادَهَا كَرَمُ الإمَامِ مُحَمَّدِ	مُحَمَّدِ	الكامل	6	الشكر
388	ضَرِيحَ أَمِيرِ المُسْلِمين مُحَمَّدِ يَخُصُّكَ رَبِّي بالسّلاَمِ المُرَدَّدِ	المُرَدَّدِ	الطويل	39	الرثاء
390	مَنْزِلُ اليُمنِ والرّضَا والسُّعُودِ أُنجِزَتْ فيه صادقاتُ الوُعُودِ	الوُعُودِ	الخفيف	4	المدح
391	أكتيبةَ الكُتَّاب أُيِّدَ جَمْعُكُمْ بِعِنَايَةِ المَوْلَى الخَلِيفَةِ أَحْمَدِ	أَحْمَدِ	الكامل	4	استنجاز الوعد
391	أيَا عِلْيَةَ الكُتَّابِ دَعْوَةَ مُنْصِفٍ عَلَيْكُمُ بِكُمْ في مَقْطَعِ الحَقِّ يَستَعَدِي	يَسْتَعدِي	الطويل	3	استنجاز الوعد
391	مَا عُذْرُكُمْ أَنْ لَمْ تَجُودُوا بَعْدَمَا مُلِّكْتُمْ كَفَّ الخَلِيفَةِ أَحْمَدِ	أَحْمَدِ	الكامل	2	استنجاز الوعد
291	عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ والطَّالِعِ السَّعْدِ أَتَتْني مَعَ الصُّنْعِ الجَمِيلِ عَلَى وَعْدِ	وَعْدِ	الطويل	6	المراجعة

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
392	أَإِنْسَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا يَحُفُّكَ مِنْهُ طَائِرُ اليُمْنِ والسَّعْدِ	السَّعْدِ	الطويل	2	الوصف
393	وَصُبْحٍ حَكَى وَجْهَ الخَلِيفَةِ بَاهِراً تَجَسَّمَ مِنْ نُورِ الهُدَى وَتَجَسَّدَا	تَجَسَّدَا	الطويل	71 تخميسة	المدح في شكل تخميس
	قافيـــة الـــذال				
260	لَوْ كُنْتَ تَأْخُذُ في الصَّبَابَةِ مَأْخَذِي مَا كُنْتَ تَهْفُو عن جَوَانِحِ مُوقِدِ	مُوقِدِ	الكامل	12	الغزل والمدح
260	لَيْسَ إلاَّ مسرَّةً والْتِذَاذا نَفَثَ الجوُّ في الرياض الرَّذَاذا	الرَّذَاذا	الخفيف	8	الوصف والمدح
304	وَالَيْتَ مَا أَوْلَيْتَ يَا بَحْرَ النَّدَى وَوَحَقِّ جُودِكَ مَا رَأَيْتُ كَهَذِهِ	كَهذِهِ	الكامل	7	شكر نعمة
318	لَكَ الخَيْرُ قَدْ أَنْسَيْتَ ذِكْرى التعاوذِ بِفَاتِحَةٍ قَامَتْ مَقَام التَعَوُّذِ	التَعَوُّذِ	الطويل	11	مخاطبة ابن فركون
403	يَـــا إِمَـــامَـــا قَـــدْ تَخَـــذْ نَـــاهُ مِـــنَ الـــدَّهْـــرِ مَـــلاَذَا	مَلاَذَا	مجزوء الرمل	2	التفاؤل
	قافيـــة الـــراء				
43	بُشْرَى بِهَا أعْلاَمُ مُلْكِكَ تُنْشَرُ وَسُيُوفُ نَصْرِكَ في المَعَاقِلِ تُشْهَرُ	تُشْهَرُ	الكامل	116	عيدية مدحية
49	عَامَلْتَ وَجْهَ اللهِ فَارْقُبْ نَصْرَهُ فَهُوَ الجَزَاءُ لِقَوْلِهِ: «إِنْ تَنْصُرُوا»	تَنْصُرُوا	الكامل	8	مدحية
70	أَلاَ عِمْ صَبَاحًا ضَاءَ مِنْكَ جَبِينُهُ وَرَاقَ بِهِ الإِقْبَالُ واقْتَبَلَ البِشْرُ	البِشْرُ	الطويل	8	تحية

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
71	اِنْعَمْ صَبَاحاً بالبَشَائِرِ والسُّرُوزْ واحمَدْ بِفَضْلِ اللهِ عَاقِبَةَ الأُمُوزْ	الأموزْ	الكامل	14	صباحية وشكر عن هديّة
76	مَوْلاَيَ يَا فَخْرَ المُلُوكِ المُجْتَبَى مِنْ دَوْحَةٍ دينُ النَبِيِّ بِهَا انْتَصَرْ	انْتَصَرْ	الكامل	20	مدح
78	لِــواءُ صُبْــحٍ تَجَلَّــى يَحْكِــي لِــوَاءَ ابْــنِ نَصْــرِ	نَصْرِ	المجتثّ	4	صباحيّة
79	أَبَحْرَ نَوالٍ سَالَ فَيْضُ نَوَالِهِ وَلاَ عَجَبٌ سَيْلٌ يَفيضُ مِنَ البَحْرِ	البَحْرِ	الطويل	11	وصف صنهاجي
98	بَيْــنَ أَنْصَــارٍ وَنَصْــرِ لِلْهُــدَى عِــزُّ انْتِصَــارِ	انْتِصَارِ	مجزوءالرمل	3	رقم في طرز عمامة
103	أيَا مَنْ رَآنِي هَالَةً فَوْقَهَا البَدْرُ تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَيَنْشَرِحُ الصَّدْرُ	الصَّدْرُ	الطويل	4	رقم في سرج
105	عَجَباً لِوَادٍ كَانَ يُنْسَبُ لِلأَشَا فَإِذَا بِهِ قَدْ صَارَ يُنْسَبُ لِلبُدُورْ	لِلبُدُورْ	الكامل	5	المدح
111	وَبَيْضَاءَ مِنْ صِنْفِ الشَّرَابِ أَدَرْتُهَا وَلَمْ أَخْشَ إِثْماً لاَ ولاَ حَاكَ في صَدْرِي	صَدْرِي	الطويل	6	وصف لبن
112	مَوْلاَيَ أَهْدَيْتَ التِّي قَدْ أَطْلَعَتْ نَوْرًا تَجَسَّدَ لِلْعُيُونِ ونُورَا	نورَا	الكامل	8	وصف المجبّنة
115	هُوَ البَدْرُ أَوْ مِنْ دُونِ عَلْيَائِهِ البَدْرُ مَطَالِعُهُ مِنِّي الجَوَانِحُ والصَّدْرُ	الصَّدْرُ	الطويل	21	التهنئة بإبلال من مرض
117	فَأَجْرُكَ أَجْرُ الشَّاكِرِينَ وَلَمْ يَزَلْ يُزَادُ مِنَ النَّعْمَاءِ مَنْ كَانَ يَشْكُرُ	يَشْكُرُ	الطويل	26	الرثاء

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــــرض
138	بالله يَا لَمْيَاءُ مَا مَنَعَ الصَّبَا أَنْ لاَ يَهُبَّ نَسِيمُهَا المِعْطَارُ	المِعْطَارُ	الكامل	29	المدح
142	هَنِيئاً كَمَا افْتَرَّ الكِمَامُ عَنِ الزَّهْرِ وَنُمِّقَ رَوضُ الأفْقِ بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ	الزُّهْر	الطويل	29	المدح
174	هَلْ مِنْ مُعينٍ على الأشْجَانِ وَالفِكَرِ أوْ مُسْعِدٍ في قَضَاءِ اللَّيْلِ بِالسَّهَرِ	السَّهَرِ	البسيط	11	في الاعتذار
181	قَدْ كُنْتُ بَاقِلَ غُرْبَةٍ وَتَنقُّلٍ وَالآنَ صِرْتُ جُهَيْنَةَ التَّسْيَار	التَّسْيَارِ	الكامل	3	الآمَالُ والأسْفَارُ
185	لَعَهْدِي بِهَاتِيكَ اليَمِينِ نَدِيَّةً تُفَجِّرُ منها لِلسَّمَاحِ بُحُورا	بُحُورا	الطويل	2	مدح ومداعبة
193	هُوَ النَّجْمُ حَقًّا قد تَطَلَّعَ مِنْ بَدْرِ لِوَارِثِ أنصار النبوة في بَدْرِ	بَدْرِ	الطويل	7	تهنئة بمولود
203	تَبَارَكَ مَنْ زَانَ الكتابَةَ بالعُلَى وجلّل منها الأُفقَ بالأَنْجُمِ الزُّهْرِ	الزُّهْرِ	الطويل	9	مخاطبة شعراءالكتاب
203	سَلُوا فَلَكَ الأَزْرَارِ عن مَطْلَعِ البَدْرِ وهَلْ لاَحَ مِنْ بُعْدِ الغَمَامَةِ في خِدْرِ؟	خِدْرِ	الطويل	43	مراجعة القاضي أبي المعالي الشريف
222	أَنَظْمٌ أَتَانِي أَمْ حلالٌ مِن السِّحرِ؟ وزَهْرٌ بَدَا لِي أمْ بَدَتْ أَنْجُمُ الزُّهْرِ؟	الزُّهْرِ	الطويل	11	مجيباً ومعتذراً
240	ألاَ عِمْ صَبَاحاً جاء بالفتح والنَّصْرِ فَذَا أَوْرَثَ الأنْصَارَ فَخْرَ بني نصر	نَصْرِ	الطويل	7	صباحية وتحية
243	تَصَبَّرْ فَفِي أمثالها يُحْمَدُ الصَّبرُ وتُكْشَفُ شَمْسُ الأفقِ في الأفقِ وَالبَدْرُ	البَدْرُ	الطويل	21	تعزية في ولد

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
264	آنظُرْ إِلَى الخَيْرِيِّ قَدْ أَبْدى لَنا مُبْتَسِمَ الزَّهْرِ وَأَهْدَى خَيْرَهُ	خَيْرَهُ	الرجز	2	وصف (الخيري)
271	مَنْ لِي بِقَلْبٍ يَحْفَظُ الأَسْرَارَا وَالقَلْبُ مِنِّي في الرَّحَائِلِ سَارَا	سَارَا	الكامل	5	الغزل
276	بِنُسَيْمَـــــاتِ العَـــــرَارِ هَـــاجَ شَـوْقِـي وَادِّكَــارِي	اُدِّكَارِي	مجزوء الرمل	11	وصف وغزل ومدح
283	عَزَاءٌ فَفِي أَمْثَالِهِ يَعْزُبُ الصَّبْرُ هَنَاءٌ عَلى أَمْدَاحِهِ يَخْطُبُ الدَّهْرُ	الدَّهْرُ	الطويل	50	الرثاء
295	إِذَا اَحْتَفَلَ الأَقْوَامُ يَوْمَ مَشُورَةٍ وَتَضْطَرِبُ الآرَاءُ مِنْ كُلِّ ذِي حِجْرِ	حِجْرِ	الطويل	41	مدح للمغنيّ بالله ولابن مرزوق
305	أطَلَّ عَلَى أَعْلَى اليَفَاعِ مَنَارُ بِمَرْقَبِهِ زُهْرُ النّجومِ تَغَارُ	تَغَارُ	الطويل	22	وصف الدّشار
312	إنَّ مَـــنْ تَيَّـــمَ قَلْبِـــي فِــي المُلُــوكِ الصِّيـدِ مَـذْكُـورْ	مَذْكُورْ	مجزوء الرمل	2	مدح
328	وَمَا وَرِدَ الظَّمْآنُ أَنْقَعَ غُلّةً كَمَوْرِدِ وُدٍّ صَفْوُه لم يُكَدَّرِ	يُكَدَّرِ	الطويل	29	رسالة لِلأُلَيْرِّي
342	سَالَتْ عَوَارِضُ خَدِّهِ حَتَى بَدَا فِي رَوْضِ وَجْنَتِه غَدِيرٌ أَخْضَرُ	أَخْضَرُ	الكامل	3	متغزلاً في معذّر
354	أَلاَ أَيُّهَا الحَبْرُ الذي مِسْكُه الحِبْرُ سَأَلْتَ وَمِثْلِي بِالخَفَا مَالَهُ خُبْرُ	خُبْرُ	الطويل	30	مجيباً عن لغز مع مدح

الصفحة	البيــت (1)	القافيــة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
403	هِيَ نَفْحَةٌ هَبَّتْ من الأَنْصَارِ أَهْدَتْكَ فَتْحَ مَمَالِكِ الأمْصَارِ	الأَمْصَارِ	الكامل	102	المدح
409	هَبَّ النَّسيمُ على الرِّياضِ مع السَّحَرْ فاستيقظَتْ في الدَّوْحِ أجفانُ الزَّهَرْ	الزَّهَرْ	الكامل	61	المدح
412	مَوْلاَيَ يا اْبنَ السَّابقين إلى العُلَى والرّافعين لِوَاءهَا المَنْشُورَا	المَنْشُورَا	الكامل	11	المدح
413	حَيَّاكَ يَا دَارَ الهَوَى مِنْ دَارِ نَوْءُ السِّمَاكِ بِديمَةٍ مِدْرَارِ	مِدْرَارِ	الكامل	74	المدح
417	نَفْسِي الفِدَاءُ لِشَادِنٍ مَهْمَا خَطَرْ فَالقَلْبُ مِنْ سَهْمِ الجُفُونِ عَلى خَطَرْ	خَطَرْ	الكامل	47	المدح
320	يَا أَيُّهَا المَوْلَى الَّذي بَرَكَاتُه رَفَعَتْ لِواءَ للنَّدَى مَنْشُورَا	مَنْشُورَا	الكامل	5	المدح
420	طَعَامُكَ من دارِ النَّعيم بَعَثْتَه فشرَّفْتَني من حيثَ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي	أَدْرِي	الطويل	8	الشكر
421	يَا بَدْرَ تِمٍّ في سَمَاءِ خِلافَةٍ حَفَّتْ نجومُ السَّعْدِ هَالَةَ قَصْرِهِ	قصرِهِ	الكامل	7	الشكر
421	أَمَوْلاَيَ تَقْبِيلي لِيُمْنَاكَ شَاقَنِي وَلاَ يُنكِرُ الظمآنُ شَوْقاً إلى البَحْرِ	البَحْرِ	الطويل	3	الشكر
422	نَعَمْ قَرَّتِ العَيْنَان وانشرحَ الصّدرُ وَقَدْ لاحَ من وجه الإمَامِ لَنَا البَدْرُ	البَدْرُ	الطويل	4	التهنئة
422	أعْلاَمُك الحُمْرُ فوق السُّفْنِ خافقةٌ وريحُ سَعْدِكَ تُجْرِيهَا على قَدَرِ	قَدَرِ	البسيط	12	الوصف

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
423	لَكَ اللهُ مِن فَذِّ الجلالةِ أوْحَدِ تُطَاوِعُه الآمالُ في النَهْيِ وَالأمْرِ	الأمْرِ	الطويل	33	المدح
425	ذَرُونِي فإني بِالْعَلاَءِ خَبِيرُ أَسِير فَإِنَّ النَيِّرَاتِ تَسِيرُ	تَسِيرُ	الطويل	25	المدح
427	أضِيَاءُ هَدْيِ أم ضِيَاءُ نَهَارِ وشذا المَحَامِدِ أم شذا الأزْهَارِ	الأَزْهَارِ	الكامل	24	عيديّة
429	لَوْلاَ تَأَلُّقُ بارِق التَّذْكَارِ مَا صَابَ واكِفُ دَمْعِي المِدْرَارِ	المِدْرَارِ	الكامل	47	المدح
432	وَمُشْتَمِلٍ بالحُسْنِ أحْوَى مُهَفْهَفٍ قَضَى رَجْعُ طَرْفِي مِنْ مَحَاسِنِه الوَطَرْ	الْوَطَرْ	الطويل	5	الغزل
	قافيـة الـزّاي				
273	جسْـــمٌ بِغَـــرْبٍ مُقِيـــمٌ وَقَلْبُـــــهُ بِالحِجَـــازِ	الحِجَازِ	المجتث	13	غزل
	قافيـة السِّيـن				
61	يَا صَفْحَةَ الخَدِّ مِنْ وَرْدٍ ومِنْ آسِ فِيكَ الشِّفَاءُ ومِنْك المُمْرِضُ الآسِي	الآسِي	البسيط	42	عيديّة
87	يَا غَيْثَ كُلِّ مُهَلِّلٍ ومُكَبِّرٍ وَغَيَّاثَ كُلِّ مُوَحِّدٍ ومُقَدِّسٍ	مُقَدِّسٍ	الكامل	2	في الاشتياق
130	يَا مَنْ تَعَجَّبَ مِنْ مَحَاسِنِ مَجْلِسٍ سَبِّحْ وَنَزِّهْ مَا اسْتَطَعْتَ وقَدِّسِ	قَدِّسِ	الكامل	5	نقش على طاقة

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
209	خَلِيلِيَّ طَارِحْنِي الحَدِيثَ عَنِ الكَاسِ فَلَيْسَ عَلَى مَنْ يَطْرُدِ الهَمَّ مِنْ بَاسِ	بَاسِ	الطويل	29	مخاطبة الإمام بن جُزَيّ
214	ألاَ مَنْ لِجِسْمٍ بِغَرْنَاطَةٍ مُقِيمٍ وَقَلْبٍ بِأَرْجَاءِ فَاسِ	فَاسِ	المتقارب	12	في صدر رسالة شوق
238	أَنْكَرْتُ آسَ عِذَارٍ حَفَّ وجْنَتَه فَقَالَ: مَهْلاً فَمَا للآسِ من بَاسِ	بَاسِ	البسيط	2	مدح العِذار
239	أَنْكَرْتُ آسِ عِذارٍ حَفَّ وَجْنَتَه وَذَاكَ جَهْلٌ فما بالآسِ مِنْ بَاسِ	بَاسِ	البسيط	2	مدح العِذَار
432	أَدِرْهَا ثلاثاً من لِحَاظِكَ واحْبِسِ فَقَدْ غَالَ منها السُّكْرُ أَبْنَاءَ مَجْلِسِ	مَجْلِسِ	الطويل	31	التّهنئة
434	أَهْـــدِي أَبَـــا العَبَّـــاسِ مَلْـــكَ النَّـــدَى وَالبَـــاسِ	اَلْبَاسِ	مجزوءالكامل	14	النّقش
345	أَتَوْنِي بِنَوَّارٍ يَرُوقُ نَضَارَةً كَخَدِّ الذِي أَهْوَى وَطِيبِ تَنَفُّسِهْ	تَنَفُّسِهْ	الطويل	4	الوصف
435	أَيَا مَالِكاً لم يُبْدِ لِلْعَيْنِ حُسْنَهُ سِوَى مَلِكٍ قد حَلَّ مِنْ عَالَمِ القُدْسِ	القُدْسِ	الطويل	3	المدح
436	وَكَأَنَّ النُّجُومَ فِي غَسَقِ اللَّيْـ ـلِ جُمَانٌ يَلُوحُ فِي آبَنُوس	آبَنُوسِ	الخفيف	3	المدح
	قافيـــة الشيـــن				
157	خَلِيلَيَّ هُبَّا فارقُبَا أُفْقَ العُلَى فَقَدْ لاَحَ بَدْرُ التَمِّ مِن أُفْقِ بَلَّشِ	بَلَّشِ	الطويل	4	وصف

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
182	شَكَا إليّ بوجْهٍ رَوْضُ وَجْنَتِهِ لَوَى العِذَارَ حَفَافَيْهِ لَه حَنَشَا	حَنَشَا	البسيط	3	العِذَار
183	سَالَ العِذَارُ على خَدَّيهِ فانقَبَضَتْ نُفُوسُ أهلِ الهَوَى من حَيْرَةٍ دَهَشَا	دَهَشَا	البسيط	3	العِذَار
	قافيــة الصــاد				
246	مَوْلاَيَ قَوْمُكَ في الذِّكْرِ الحَكِيمِ لَهُمْ ذِكْرٌ يَقُصُّ لنا من جُودِهِم قَصَصا	قَصَصَا	البسيط	14	مدح ووصف صيداً أهداه
303	يَا مُخْجِلَ البَدْرِ بِبَدْرِ الهُدَى وَبِالحَرَا لو كان لن يَنْقُصَا	يَنْقُصَا	السريع	7	قول لقائد بعثه الأمير
	قافيــة الضّــاد				
206	يَا بَارِقاً بالجَزْعِ قَدْ أوْمَضَا قَلَّبْتَ قلبي بَيْنَ ذات الغَضَا	الْغَضَا	السريع	39	مجيباً لرسالة الفقيه أبي الحسن ابن حيان
220	لِيَ اللهُ عَلَّمْتُ النُّجومَ سُهَادَهَا عَلى أنني إنْ رَابَني صَاحِبٌ أُغْضِ	أُغْضِ	الطويل	6	الفخر بالذكاء والحلم
261	لَكَ الخيْرُ يا عَيْني نَعِمْتِ بنَظْرَةٍ وأتْبَعْتُها أُخْرَى حُرِمْتُ لَهَا غَمْضي	غَمْضي	الطويل	6	التغزل

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
262	أَيَا بُرَيْقاً بالعَقِيق أوْمَضَا وَنَحْوَ سُكَّانِ الغَضَى تَعَرَّضَا	تَعَرَّضا	الكامل	5	التغزل
275	يَـا نَسِيمـاً جَـرَّ ذَيْـلاً بَيْـنَ أَزْهَـارِ الـرِّيَـاضِ	الرِّيَاضِ	مجزوء الرمل	15	وصف ومدح
	قافيـة الطّـاء				
	مُسْتَعِيـنٌ بِـالإِلاَه زَادَهُ الـرَّحْمَـانُ بَسْطَـهْ	بَسْطَهْ	مجزوء الرمل	2	صباحية
335	وَفْدُ المشيبِ بفَوْدِ رأسي قد خطا مَا ضَرَّهُ لو أنه قَصَرَ الخُطَا	ألْخُطَا	الكامل	34	إجابة عن رسالة لابن فركون
	قافيـة الظّـاء				
97	عَجِبْتُ لِوَجْهٍ قَدْ ذَوَى وَرْدُ خَدِّهِ فَأسْقَطَ فِيهِ الطلُّ مِنْ نَرْجَسِ اللَّحْظِ	اللَّحْظِ	الطويل	2	في العذار
	قافيـة العين				
94	بأبِي مَنْ زَارَني مُكْتَتِما خائفاً من كل حِسٍّ جَزِعَا	جَزِعَا	الرمل	4	تخميس أبيات
95	بأبِي مَنْ زَارَني مكتتما خائفاً من كل حِسٍّ جَزِعَا	جَزِعَا	الرمل	3	تخميس أبيات

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــــرض
145	لكَ الخَيْرُ مَا أبْقَيْتَ لِلْمَجْدِ غَايَةٌ وَلَمْ تُبْقِ فِي سَبْقِ المَكَارِمِ مَطْمَعَا	مَطْمَعَا	الطويل	26	المدح
168	أمَوْلاَيَ إنّي قَدْ عَرَتْنِي زَمَانَةٌ أقمتُ لها نَجْلِي بمدحك سَاجِعَا	سَاجِعَا	الطويل	54	مدح وتهنئة بمولود
182	لَسْتُ أدْرِي مَاذَا أقُولُ وَلكنْ أبتغي من عَرِيض جَاهِكَ نَفْعَا	نَفْعَا	الخفيف	2	الشفاعة
194	عَسَى بَارِقٌ مِنْ بَاسِمِ الثَّغْرِ يَلْمَعُ وَشَمْسُ ضُحىً من مرقب الخِدر تَطْلَعُ	تَطْلَعُ	الطويل	53	تهنئة بإبلال
258	مَـــا لِلْبُـــروقِ اللُّمَّـــعِ تُـرْسِـــلُ غَيْــثَ الأَدْمُـعِ	الأدْمُعِ	مشطور الرجز	23	الغزل والمدح
267	مَا كُنْتُ أسْهَرُ للبُروقِ اللُّمَّعِ لو كَانَ مَنْ عَلِقَ الفُؤَادُ بِهِ مَعِي	مَعِي	الكامل	32	نسيب مع مدح
273	أسْمَعُوني الوَداعَ فَارْتَاعَ قَلْبِي وَثَقِيلٌ سَمَاعُ لَفْظِ الوَدَاعِ	الْوَدَاعِ	الخفيف	2	الغزل والوداع
282	ثَنَى عَزْمَه نحو المَتَاب وَازْمَعَا وَنَادَى بِهِ دَاعِي الرَّشَادِ فأسْمَعَا	أسْمَعَا	الطويل	9	حنين للشباب وتوديع له
311	قَلْبِـــي بِحُبِّـــكِ وَاثِـــقُ وَلأمْـــرِ حُسْنِـــكِ طَـــائِـــعُ	طَائِعُ	مجزوء الكامل	5	مدح
312	أيَا ظَبْيَ أُنسٍ في الجوانح يَرْتَعُ ويا قَمَراً من هالة القصر يطلَعُ	يَطْلَعُ	الطويل	2	مدح

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
312	مَنْ رَأى عِزِّي ومُلْكي أمْلِكُ الأمْلاَكَ أجْمَعْ	أجْمَعْ	مجزوء الرمل	3	مدح
314	مَنْ عَذِيرِي ومَا أرَى لي عذراً مِنْ فُؤَادٍ شَجٍّ ونفس شَعَاعِ	شَعَاعِ	الخفيف	2	غزل
436	مَــولاَيَ يَــومُ الجُمُعَــةْ سُعُــودُه مُجْتَمِعَــةْ	مُجْتَمِعَهْ	مجزوء الرّجز	14	الشّكر
437	لَكَ في الخِلاَفَةِ مَنْظرٌ لاَ يُفْرَعُ من دُونِ مَرْقَبِهِ النّجومُ الطُّلَّعُ	الطُّلَّعُ	الكامل	9	المدح
438	مَنْ رأى التّاجَ الرّفيعَا قد حَوى الشُّكْرَ البَدِيعَا	ألْبَدِيعَا	مجزوءالرمل	3	النّقش
438	وَمَسْرَى رِكَابٍ لِلصَّبَا قد وَنَتْ بِهِ نَجَائِبُ سُحْبٍ للتُّرَابِ نُزُوعُهَا	نُزُوعُهَا	الطويل	20	المدح
	قافيــة الفــاء				
227	حُوْجِيتَ يا عَلَمَ المَجَادَةِ والتُّقَى والمُنْتقَى من نُخْبة الأشْرَافِ	الأشْرَافِ	الكامل	26	مُلْغِزاً في جملٍ
236	الله يعلَمُ أنني قد أصْبحَتْ نفْسِي اللجوجُ كثيرةَ الإسراف	الإسرافِ	الكامل	9	معرض عتاب
313	مَنْ عَاذِرِي مِنْ مُنْصِفِ مِنْ حَاكِمٍ لَمْ يُنْصِفِ؟	يُنْصِفِ	مجزوء الكامل	16	مدح

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
313	يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ زِدْتِ حُسْناً وَلِلهَوَى حَوْلَكِ المَطَافُ	المَطَافُ	مخلع البسيط	4	تغزل
346	رَشَاً يَغَارُ البَدْرُ من أوْصَافِهِ وَيمِيسُ غصنُ البان من أعْطَافِهِ	أعْطَافِهِ	الكامل	12	النسيب
439	عَزاءً فَإنَّ الشَجْوَ قد كاد يُسْرِفُ وَبُشْرَى بها الدَاعِي على الفَوْزِ يُشْرِفُ	يُشْرِفُ	الطويل	53	الرثاء
443	يَقَرُّ بِعَيْنِي أن أَرَى الزَّهْرَ يانِعَا وَقَدْ نَازَعَ المَحْبُوبَ في الحُسْنِ وَصْفَه	وَصْفَهُ	الطويل	5	الوصف
443	لَقَدْ زَادَنِي وَجْداً وأغرى بي الجَوَى ذُبَالٌ بِأَذْيَالِ الظَّلَامِ قد التَفَّا	الْتَفَّا	الطويل	7	الوصف
444	كَأنّي بِلُطْفِ اللهِ قَدْ عَمَّ خَلْقَه وَعَافَى إمامَ المسلمين وَقَدْ شُفِي	شُفِي	الطويل	2	التمنّي بالشفاء
	قافيــــة القـــاف				
98	هَنِيئاً فَأَهْلُ الكُفْرِ مَاتَ عَمِيدُهُمْ وَأَصْبَحَتِ الأغْلَالُ في النَّارِ طَوْقَهُ	طَوْقَهُ	الطويل	4	تهنئة بموت طاغية النصارى
119	أَلِبَارِقٍ مِنْ ثَغْرِهِ المُتَأَلِّقِ يَهْفُو فُؤَادِي عَنْ جَوَانِحِ مُشْفِقِ	مُشْفِقِ	الكامل	27	المدح
121	مَوْلَايَ نُعْمَاكَ العَمِيمَةُ بَلَّدَتْ ذِهْنِي الصَّقِيلَ وَأَخْرَسَتْ مِنْ مَنْطِقِي	مَنْطِقِي	الكامل	7	الشكر

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
122	يَا لَيْتَ شِعْرِي ذِي النَّوى مِنْ بَعْدِهَا هَلْ نَلْتَقِي	نَلْتَقِي	مجزوء الكامل	13	المدح
220	أَقُولُ لِحُسَّادٍ عَلَيَّ تَكَاثَرُوا ومنهم مُدَاجٍ قَلْبُه ومُنَافِقُ	مُنَافِقُ	الطويل	5	الاعتماد على الله
256	أَصِيلٌ عَلِيلٌ مَدَّ فِي الرَّوْضِ يَسْتَلْقِي فتنفُثُ فيه سحبُه والصَّبَا تَرْقِي	تَرْقِي	الطويل	14	وصف ومدح
262	لَكَ فِي الكَمَالِ مَظَاهِرٌ لاَ تُلْحَقُ فَبِكُلِّ شَأْوٍ للمَكَارِمِ تَسْبِقُ	تَسْبِقُ	الكامل	45	مدح ووصف جنّة العريف
273	أَسْمَعُونِي الفِرَاقَ فازْتاع قلبي وثَقِيلٌ سَمَاعُ لَفْظِ الفِرَاقِ	الْفِرَاقِ	الخفيف	9	غزل وفراق
320	لِوَاءُ الصُّبْحِ من فوقي رِوَاقُ وَمِنْ زُهْرِ الكَواكب لي رِفَاقُ	رِفَاقُ	الوافر	33	إجابة عن عتب
325	عِنَانٌ بميدان البلاغَةِ أُطْلِقَا وغَيْثٌ على أرْضِ القَراطِيسِ أُطْبِقَا	أُطْبِقَا	الطويل	53	مخاطبة القاضي الشريف
340	قُلْ لِلَّذِيْ خَضَبَ المشِيبَ مَسَرَّةً لَمْ تَدْرِ جَهْلاً مَا اعْتَرَاكَ وَمَا اتَّفَقْ	اتَّفَقْ	الكامل	2	النسيب
343	إنّي إلَيْكَ مَعَ الأنْفَاسِ مُشْتَاقُ زُرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الأشْوَاقِ أَطْوَاقُ	أَطْوَاقُ	البسيط	18	تذييل بيت
347	لَوْلاَ النَّسِيمُ الَّذِي يهفو على الوَرَق لَكُنْتُ قَدَ ذبت من وجدي ومن حُرُقِي	حُرُقِي	البسيط	20	من غرامياته

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
444	أَغْرَى سُرَاةَ الحَيِّ بالإِطْرَاقِ نَبأٌ أَصَمَّ مَسَامِعَ الآفَاقِ	الآفَاقِ	الكامل	57	الرّثاء
	قافيــة الكــاف				
68	وَصَلْتَ عَلَى حُكْمِ السَّعَادَةِ دَارَكَا وَرَبُّكَ باللُّطْفِ المُوَاصَلِ دَارَكَا	دَاركَا	الطويل	10	في القدوم من سفر
88	لَكَ الخَيْرُ زَادَ اللهُ مُلْكَكَ عِزَّةً وَرَدَّ مُلُوكَ الأَرْضِ طَوْعَ اُحْتِكَاكَا	اُحْتِكَاكَا	الطويل	10	الشكر عن طعام
105	فَتْحُ الفُتُوحِ أَتَى بِأَوَّلِ مَنْزِلِ فَالسَّعْدُ مُتَّصِلٌ كَأَجْمَلِ عَادَتِكْ	عَادَتِكْ	الكامل	2	البشرى بالفتح
127	هَذِي القِسِيُّ تُشَابِهُ الأَفْلاَكَا مِنْ صُنْعِ مَنْ قَدْ شَرَّفَ الأَمْلاَكَا	الأَمْلاَكَا	الكامل	6	نقش على طاقين
213	مَتَى أَوْ عَسَى أَوْ كَيْفَ يَا أُمَّ مَالِكِ تُكَحِّلُ طَرْفِي لَمحَةٌ مِنْ جَمَالِكِ	جَمَالِكِ	الطويل	15	التصوف
240	أَنْعَــمَ اللــه صَبَـاحَــكْ بَلَّــغَ اللــه اُقْتِــرَاحَــكْ	اُقْتِرَاحَكْ	مجزوء الرمل	2	صباحية
312	مَــنْ رَأَى مِثْلِــي مَلِيكــاً مَالِكــاً بِالحُــبِّ يُمْلَــكْ	يُمْلَكْ	مجزوء الرمل	2	مدح
448	يَا خَيْرَ مَنْ مَلَكَ المُلُوكَ بِجُودِهِ وَبِفَضْلِه قد أَشْبَهَ الأَمْلاَكَا	الأَمْلاَكَا	الكامل	15	الشّكر

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
449	يَا خَيْرَ مَنَ مَلَكَ المُلُوكْ أَهْـدَيْتَنِـي حَـبَّ المُـلُوكْ	الْمُلُوكْ	مجزوء الكامل	6	الشكر
450	أقُولُ لِبَدْرِ التَّمِّ كيفَ هِلاَلُكَا نعِمْتَ صَباحاً بالسُّرُورِ وآلُكَا	آلُكَا	الطويل	3	الشكر
	قافيــة الـــلام				
50	أَوَجْهُكَ أَمْ وَجْهُ الصَّبَاحِ تَهَلَّلاَ تَجَلَّى عَلَى حَادِي الرَّكَابِ فَهَلَّلاَ؟	فَهَلَّلاَ	الطويل	111	مدحية
56	أَجُودٌ يُزَجِّي العَارِضَ المُتَهَلِّلاَ وَعِيدٌ بِهِ وَجْهُ الزَّمَانِ تَهَلَّلاَ؟	تَهَلَّلاَ	الطويل	14	المدح
57	إذَا ما وَجَدْتُ لِسَلْمَى سَبِيلاَ رَشَفْتُ رُضَاباً لَهَا سَلْسَبِيلاَ	سَلْسَبِيلاَ	المتقارب	8	النسب والمدح
67	يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَيمُونُ طَائِرُهُ وَمَنْ تَسَامَى عَنِ الأَمْلاَكِ والدُّوَلِ	الدُّوَلِ	البسيط	7	تهنئة
86	مُحيَّاكَ مِنْ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ أَجْمَلُ وَأَنْتَ مِنَ البَدْرِ المُكَمَّلِ أَكْمَلُ	أَكْمَلُ	الطويل	9	صباحيّة
91	إذَا جَلَّلَ اللهُ المَعَاهِدَ رَحْمَةً وَمَدَّ بِهَا ظِلَّ الأَمَانِ ظَلِيلاَ	ظَلِيلاَ	الطويل	23	الرثاء
98	حَيَّاكَ مِنِّي بِالغُدُوِّ وَبِالأَصِيلْ ثَغْرُ المُنَى يَفْتَرُّ عَنْ وُدٍّ أَصِيلْ	أَصِيلْ	الكامل	3	رقم في طرز عمامة

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
99	سَلاَ مَلِكَ الأَمْلاَكِ مُذْ حَلَّ فِي سَلاَ أَقَامَ عَلَى عَهْدِ الأَحِبَّةِ أَمْ سَلاَ؟	سَلاَ	الطويل	7	في الشوق
100	قَالَتْ وَقَامَتْ تُظِلُّ جِسْمِي مِنْ قُرْصَةِ الشَّمْسِ بِالمِظَلّ	المِظَلّ	مخلّع البسيط	2	إنشاد في النوم
101	يَا مَنْ لَهُ فَوْقَ الكَوَاكِبِ مَنْزِلُ وَبِفَخْرِهِ شَهِدَ الكِتَابُ المُنْزَلُ	الْمُنْزَلُ	الكامل	12	المدح
126	لِيَ المَرْقَبُ الأَسْمَى لِيَ المَظْهَرُ الأَعْلَى وَأَفْلَحَ فِي نَصِّ الكِتَابِ مَنِ اسْتَعْلَى	اسْتَعْلَى	الطويل	13	نقش حول طيقّان البهو
128	مَظَاهِرِيَ العُلْيَا طَرِيقَتِي المُثْلَى أَبَى الحُسْنُ أَنْ تُلْفِي لَهَا أَبَداً مِثْلاَ	مِثْلاَ	الطويل	7	نقش في القبّة الغربيّة
130	هَذِي المَنَارَةُ لِلسُّعُودِ مَنَازِلُ وَبِهَا يُبَلَّغُ مَا يَشَاءُ الآمِلُ	الآمِلُ	الكامل	5	نقش بالدشار
131	اُنْظُرْ لِرَوْضٍ مُحَلَّى مِثْلَ العَرُوسِ المُجَلَّى	المُجَلَّى	المجتث	5	نقش على طاقة
140	جِهَادٌ جَرَتْ سُفْنُ البِحَارِ بِذِكْرِهِ وَوَخْدٌ لأَنْضَاءِ السُّرَى وَذَمِيلُ	ذَمِيلُ	الطويل	12	المدح
140	أَلاَ هَكَذَا فَلْيَنْصُرِ اللهُ دِينَهُ وَيَهْزِمُ أَحْزَابَ الضَّلاَلِ وَيَخْذِلُ	يَخْذِلُ	الطويل	21	المدح
151	هَذِي الخِلاَفَةُ بُلِّغَتْ آمالاً تَجْلُو عَلَى أُفْقِ الجَمَالِ هِلاَلاَ	هِلاَلاَ	الكامل	3	مدح

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــــرض
152	لَيْلُ الضَّلاَلِ بِصُبْحِ سَيْفِكَ يَنْجَلِي فَالفَتْحُ بَيْنَ مُعَجَّل وَمُؤَجَّلِ	مُؤَجَّلِ	الكامل	2	مدح
153	يَا مَظْهَرَ المَلِكِ الهُمَامِ وَهَا لَةَ القَمَرِ الذِي مَا فَارَقَ التَّكْمِيلاَ	التَّكْمِيلاَ	الكامل	10	نقش في برطل القصر
155	أَنَــــا مَجْــــلاَةُ عَـــــروسٍ ذَاتُ حُسْــــــنٍ وَكَمَـــــالِ	كَمَالِ	مجزوء الرمل	5	نقش على طاقة
181	أُحَدِّثُ نَفْسِي باللِّقَاءِ تَعَلُّلاَ وَهَيْهَاتَ ما يُغْنِي المَشُوقَ التَّعَلُّلِ	التَعَلُّلِ	الطويل	2	تشوق وتعلل
185	بُشْرَى بِهَا وَجْهُ الرِّضَى يَتَهَلَّلُ فَمُكَبِّرٌ لِسَمَاعِهَا وَمُهَلِّلُ	مُهَلِّلُ	الكامل	40	شكر عن نعمة وتهنئة
226	أَصْبَحْتُ بَيْنَ جَلاَلِهِ وَجَمَالِهِ أَعْزُو لِبَدْرِ التمِّ بَعْضَ كَمَالِهِ	كَمَالِهِ	الكامل	7	قال يراجع نظماً كتب إليه به عبد العالي الشريف
237	وَبُلِيتُ مِنْ زَمَنِي بِلُبْسِ غِفَارَةٍ فَكَأَنَّهَا طَلَلٌ مِنَ الأَطْلاَل	الأَطْلاَلِ	الكامل	5	مُلْحَةٌ
238	أَلِفُ العِذَارِ وَلاَمُه فِي خَدِّهِ قَدْ زَادَ فِيهِ لِلْجَمَالِ جَمَالا	جَمَالاَ	الكامل	2	مدح العِذار
238	لاَمَ العِذَارَ أُنَاسٌ فَوْقَ وَجْنَتِهِ وَشَبَّهُوهُ بلَيْلٍ غَيْرِ مُنْتَقِلِ	مُنْتَقِلِ	البسيط	2	مدح العِذار

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
241	يَا مَنْ كَسَا الدَهْرَ مِنْ أَمْدَاحِهِ حُلَلاَ وَبَلَّغَ المُلْكَ مِنْ تَمهِيدِه الأَمَلاَ	الأَمَلاَ	البسيط	11	في الشكر عن مَلْفٍ
243	بَعَثْتَ بِأَمْثَالِ الأَنَامِلِ عِدَّةً تُعَوِّدُ مولاَنَا بِخَمْسِ أنَامِلِ	أنَامِلِ	الطويل	5	شكر عن إهداء (5 أقلام)
245	ألا عِمْ صَبَاحاً لاَ بَرِحْتَ مُنَعَّماً فَوَجْهُكَ صُبْحٌ نُورُهُ يَتَهَلَّلُ	يَتَهَلَّلُ	الطويل	18	شكر ووصف بطيخ وتين ولحم
249	أرى الرَّوْضَ مِنْ دُرّ الأَزَاهِرِ قَدْ حَلاَّ عَرَائِسَ دَوْحٍ في مِنَصَّتِهَا تُجْلا	تُجْلاَ	الطويل	17	تهاني بإبلال
254	أَنَا سَائِلٌ وَعِذَارُ خَدِّكَ سَائِلُ هَلاَّ سَمَحْتَ بِسَائِلٍ للسّائلِ	لِلسَّائِلِ	الكامل	2	الغزل
265	يَا مُلْبِسي حُلَلَ الرضا ألبَسْتَنِي أثْوَابَ عزٍّ تَبْلُغُ التَأْمِيلاَ	اَلتَأْمِيلاَ	الكامل	3	شاكراً عن كُسوة
280	لَكَ فِي الوُجُودِ مَحَاسِنٌ لاَ تُجْهَلُ فَمَتَى أُصِيخُ لما يقُولُ العُذَّلُ	العُذَّلُ	الكامل	40	الغزل
283	عَزَاءٌ فَعَفْوُ الله لِلْمَيْتِ شَامِلُ وَصَبْراً فَلُطْفُ الله لِلحَيِّ كَافِلُ	كَافِلُ	الطويل	6	الرثاء
292	شَرِبْنَا البُرْءَ كَأْساً سَلْسَبِيلاَ وَجَدْنَا لِلسّرُورِ به سَبِيلاَ	سَبِيلاَ	الوافر	4	الهناء بالشفا
303	حَيَّا الإِلاَهُ بِقَصْرِ رَيَّةَ أَوْجُهاً طَلَعَتْ بُدُوراً في سَمَاءِ جَمَالِ	جَمَالِ	الكامل	3	مدح

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
303	سُعودُكَ يَا مَوْلاَيَ تَأَتِيكَ بالذي تُؤَمِّلُ من رَبِّ السَّماءِ عَلَى عَجَلْ	عَجَلْ	الطويل	5	التهنئة بالمسرات
306	مَاذا عَسَى التَّشْبِيهُ والتَّمْثِيلُ واللهِ مَالِي في الوجود مَثِيلُ	مَثِيلُ	الكامل	25	نقش في بيت القصر
308	يَا إِمَامَ الهُدَى وفَخْرَ المَعَالِي مَظْهَرِي في المكانِ والحُسْنِ عَالِ	عَالِ	الخفيف	5	نقش في طاق
322	قَطَعْتُ لَيْلَ شَبَابِي في بُلَهْنِيَةٍ ونِحْلَتِي في التَّصَابِي أَكْرَمُ النحَلِ	اَلنِّحَلِ	البسيط	3	مما ضمنه في رسالة
323	اِهْنَأْ بِيَوْمٍ بِالبَشَائِرِ يُقْبِلُ وَأَنْعَمْ بِصُبْحٍ بِشْرُهُ مُتَهَلِّلُ	مُتَهَلِّلُ	الكامل	15	وصف دروع
332	غَرَامٌ عَلَى قَلْبِ العَمِيدِ قَدْ اَسْتَوْلَى بِمَنْ كَانَ لِي عَبْداً وكُنْتُ لَهُ مَوْلَى	مَوْلَى	الطويل	بيت واحد	رثاء جارية
339	لَمْ تَرْضَ عن سَنَنِ الوَفَاءِ عُدُولاً يَا عَاذِلاً في جُودِهِ مَعْذُولاً	مَعْذُولاً	الكامل	2	من رسالة لابن فَرْكُون
341	سَلُوا الحُسْنَ عَنْهُ إِذْ أَسَال عَوَارِضَا تَلَقَّفَهَا مِنْهُ أَغَرُّ أَسِيلُ	أَسِيلُ	الطويل	8	متغزلاً في مُعَذَّرٍ
342	عَجَباً أَيأْتِي زَوْجَه من خَلْفِهَا وأَمَامَها مَا إِنْ إِلَيهِ سَبِيلُ	سَبِيلُ	الكامل	3	متفكهاً
343	وَقَائِلٍ قَدْ رَمَاهُ الدَّهْرُ مِنْ كَثَبٍ وَسَدَّ عَنْهُ طريقَ الحَوْلِ والحِيَلِ	اَلحِيَلِ	البسيطُ	5	الغزل

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
350	سَرْحَةَ الحَيِّ وَالنَسِيمُ رَسُولُ هَلْ يُقضِّي لهائِمٍ مِنْكِ سُولُ	سُولُ	الخفيف	7	في التشوق
351	صَاحَ ثَوْبُ الشُحُوبِ فَوْقَ الأصِيل مُسْتَعَارٌ مِنْ رِقَّتِي وَنُحُولِي	نُحُولِي	الخفيف	13	في التشوق والمدح
352	وَجْهانِي طَيَّ النَّسِيمِ رَسُولاَ تَقْضِيَا لِي مِنَ الزِّيَارَةِ سُولاَ	سُولاَ	الخفيف	9	في التشوق والمدح
352	يَا عَلِيلَ النَّسِيمِ إنِّي عَلِيلُ هل [ ] (...) مُذْ أَلِفْتُ الهَوَى كَسَانِي النُّحُول	ٱلنُّحُولُ	الخفيف	3	تغزل
450	نُجومٌ أَمَدَّتْهَا بُدورٌ كوامِلُ لَهَا النُّورُ مِن شَمْسِ الخلافة شَامِلُ	شَامِلُ	الطويل	121	المدح والتهنئة بإعْذار
458	مَا لِلْحُمُولِ تَحِنُّ لِلأَطْلاَلِ وَيَشُوقُها ذكرُ الزَّمَانِ الخَالِي	ٱلْخَالِي	الكامل	69	المدح
462	بُشْرَى كَمَا وَضَحَ الصَّبَاحُ وَأَجْمَلُ يُعْشِي سَنَاهَا كُلُّ مَنْ يَتَأَمَّلُ	يَتَأَمَّلُ	الكامل	72	التهنئة
466	طَلَعَ الهِلاَلُ وأُفْقُه مُتَهَلِّلُ فَمُكَبِّرٌ لطُلُوعِهِ وَمُهَلِّلُ	مُهَلِّلُ	الكامل	109	التهنئة
472	يَا وَارِثَ الأَنْصَارِ وَهِيَ مِزِيَّةٌ بِفَخَارِهَا أَثْنَى الكِتَابُ المُنْزَلُ	ٱلْمُنْزَلُ	الكامل	5	الشكر
472	أَبَحْرَ سَمَاحٍ مَدَّ عَشْرَةَ أَبْحُرٍ تُفِيضُ غَمَامَ الجُودِ وَهْيَ الأَنَامِلُ	ألأَنَامِلُ	الطويل	5	المدح
473	أُسَاءِلُ بَدْرَ التَّمِّ كَيْفَ هِلاَلُهُ وَأدْعُو لَهُ الرَّحْمَانَ جَلَّ جَلاَلُهُ	جَلاَلُهُ	الطويل	3	في السؤال عن الحال

الصفحة	البيــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغــــرض
473	أَنَــــا تَـــاجٌ كَهِـــلاَلٍ أَنَــا كُـــرْسِـــيُّ الجَمَـــالِ	الْجَمَالِ	مجزوء الرمل	3	النّقش
473	رَفَعْـــتَ قَـــوْسَ سَمَـــاءٍ يُـــزْهَـــى بِتَاجِ الْهِـــلاَلِ	الْهِلاَلِ	مخلع البسيط	5	النّقش
474	بِمَا قَدْ حُزْتَ من كَرَمِ الخِلاَلِ بِمَا أَدْرَكْتَ مِنْ رُتَبِ ٱلْجَلاَلِ	ٱلْجَلاَلِ	الوافر	4	الاستعطاف
474	لَكَ غُرَّةٌ وَدَّ الصَّبَاحُ جَمَالَهَا وَمَحَاسِنٌ تَهْوَى البُدُورُ كَمَالَهَا	كَمَالَهَا	الكامل	7	المدح
475	لو كَنْتُ أُعْطَى مِن لِقَائِكَ سُولاَ لَمْ أَتَّخِذْ بَرْقَ الغَمَامِ رَسُولاَ	رَسُولاَ	الكامل	109	مولدية
480	يا من له الوجهُ الجميلُ إذا بدا فاقت محاسنُه البدورَ كمالا	كَمَالاَ	الكامل	14	المدح
481	أَمَوْلاَيَ يَا ٱبْنَ السَّابِقِينَ إِلَى العُلَى وَمَنْ نَصَرُوا الدِّينَ الحَنِيفِيَّ أَوَّلاَ	أَوَّلاَ	الطويل	11	المدح
482	أَزُورُ بِقَلْبِي مَعْهَدَ الأُنْسِ وَٱلْهَوَى وَأَنْهَبُ مِن أَيْدِي النَّسِيم رَسَائِلاَ	رَسَائِلاَ	الطويل	4	المراسلة
	قافيــة الميــم				
65	إِلَيْكَ أَبَا عُثْمَانَ مِنِّي تَحِيَّةً تَخَيَّرَ زُهْرُ الزَّهْرِ مِنْهَا كَمَائِمَا	كَمَائِمَا	الطويل	9	جواباً للألبِيْري

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
69	دَارُ الأَحِبَّةِ قَدْ بَدَتْ أَعْلاَمُهَا وَأَتَاكَ فِي عَرْفِ النَّسِيمِ سَلاَمُهَا	سَلاَمُهَا	الكامل	10	تهنئة من قدوم
69	عُدْتَ بالفَخْرِ والأُجُورِ الجِسَامِ فَادْخُلِ القَصْرَ آمِناً بِسَلاَمِ	سَلاَمِ	الخفيف	5	تهنئة من مقدم
79	أَيَا خَيْرَ مَنْ يُهْدِي العَبِيدَ نَعَائِمَا تَحُومُ عَلَيْهَا الشُّهْبُ حَتَّى النَعَائِمُ	النَّعَائِمُ	الطويل	11	شكر عن هديّة
89	يَا خَيْرَ مَنْ تَقِفُ المُلُوكُ بِبَابِهِ كَيْ يَفْتَحُوا بَابَ الرَّجَاءِ المُبْهَمِ	المُبْهَمِ	الكامل	23	شكر عن صيد أهداه
104	أَنَا السَّرْجُ فَوْقِي سِرَاجُ المُلُوكْ وَوُسْطَى السُّلُوكِ وَبَدْرُ التَّمَامْ	التَّمَامْ	المتقارب	5	رقم في سرج
104	مُحيَّاكَ بَدْرٌ بِالصَّبَاحِ مُعَمَّمُ وَطِرْفُكَ رِيحٌ بالكَوَاكِبِ مُلْجَمُ	مُلْجَمُ	الطويل	4	رقم في سرج
107	لِلْمُسْتَعِيـــنِ ابْـــنِ نَصْـــرِ أَعَـــزُّ مَـــوْلًـــى كَـــرِيـــمِ	كَرِيمِ	المجتثّ	6	رسم في طاقين
111	بَعَثْتَ بِهَا بَيْضَاءَ قَدْ دَرَّ رِسْلُهَا مِنَ الضَّرْعِ قَدْ شِيبَتْ بِمَاءِ الغَمَائِمِ	الغَمَائِمِ	الطويل	9	وصف لبن
114	اِنْعَمْ صَبَاحاً بِالبَشَائِرِ والنِّعَمْ وادْعُ الزَّمَانَ يَقُولُ مُبْتَهِجاً: نَعَمْ	نَعَمْ	الكامل	12	التهنئة بإبلال من مرض
145	مَدَدْتَ عَلَى الإسْلاَمِ ظِلَّ عِنَايَةٍ فَأَصْبَحَ فِيهَا سَاكِنَ الثَّغْرِ نَائِمَا	نَائِمَا	الطويل	8	المدح
152	تَبَارَكَ مَنْ وَلاَّكَ أَمْرَ عِبَادِهِ فَأَوْلَى بِكَ الإسْلاَمَ فَضْلاً وأَنْعَما	أَنْعَمَا	الطويل	12	نقش في برطل القصر

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
157	سَلاَمُ اللهِ يَا قَصْرَ السَّلاَمِ عَلَى أَرْجَائِكَ الغُرِّ الوِسَامِ	ٱلْوِسَامِ	الوافر	8	التشوُّق
158	وَجَادَ سَلاَ صَوْبُ العِهَادِ فَعَهْدُها كَرِيمٌ حَبَانَا بِالعَطَايَا الجَسَائِمِ	ٱلْجَسَائِمِ	الطويل	18	المدح
182	حَتَّى رَسُولُ البَرْقِ خَانَ أَمَانَتِي وَجَهْتُهُ أَبْكِي فَجَاءَكَ بَاسِمَا	بَاسِماً	الكامل	3	الغزل
188	بُشْرَى عَلَى صَفْحَةِ الإِصْبَاحِ تَرْتَسِمُ لِذَاكَ يُصْبِحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ يَبْتَسِمُ	يَبْتَسِمُ	البسيط	20	شكر عن نعمة ومدح
237	شَرِبْتُ دَمَ العُنْقُودِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَقَيِّضَ لِي الأَوْبَاشَ تَشْرَبُ مِنْ دَمِي	دَمِي	الطويل	3	على لسان شارب خمر أكثر البعوض من لسع وجهه
238	قَلَمُ العِذَارِ بِصَفْحِ خَدِّكَ قَدْ وَشَى خَطًّا تَحَارُ لِحُسْنِهِ الأَوْهَامُ	الأَوْهَامُ	الكامل	2	مدح العِذَارِ
239	لاَ يَسْتَوِي صُبْحُ وَجْهٍ رَاقَ نَاصِعُهُ وَذُو عِذَارٍ كَلَيْلٍ لَيْسَ يَنْصَرِمُ	يَنْصَرِمُ	البسيط	2	ذم العِذار مُضمَّناً
239	قَابَلْــتُ وَجْــهَ الإِمَــامِ قَابَلْــتُ بَــدْرَ التَّمَــامِ	التَّمَامِ	المجتث	2	ذم العِذار مُضَمَّناً
245	لَكَ الخَيْرُ يَا فَخْرَ المُلُوكِ وذُخْرَهَا فَنُعمَاكَ قَدْ عَمَّ المُلوكَ جَسِيمُها	جَسِيمُها	الطويل	5	شكر ووصف المجبَّنة
247	أَبْنَاءُ مَوْلاَيَ قد أَهْدَوا مَثَابَتَهُ قَصْدَ التَبَرُّكِ مَا اخْتَارُوا مِنَ النَّعَمِ	النَّعَمِ	البسيط	15	شكر عن هدية

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
253	بَرَاءَةُ مَوْلاَنَا أَتَتْ بِدُعَائِهِ وَمِسْكَتُهَا مَخْتُومَةً بِسَلاَمِهِ	سَلاَمِهِ	الطويل	2	شكر على رقعة
266	بِعَوْدِكِ هَذَا العِيدُ قَدْ رَاقَ مِيسَمَا وَهَشَّتْ لَهُ حَتَى الكَوَاكِبُ في السَّمَا	ٱلسَّمَا	الطويل	14	وصف شادي ومدح
269	سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الأَكْوَانَ مِنْ عَدَمِ وَجَادَهَا بِسَحَابِ الجُودِ وَالكَرَمِ	ٱلْكَرَمِ	البسيط	14	مدح
279	وَحَقِّكَ وَالحَقُّ مِنْ شِيَمِي لَمَا إِنْ كَسَبْتُ سِوَى النَّدَمِ	ٱلنَّدَمِ	المتقارب	13	الغزل
386	عَجِبْتُ لِبَرْقٍ يُوَالِي ٱبْتِسَامَهْ وَقَدْ سَلَّ جُنْحُ الظَّلَامِ حُسَامَهْ	حُسَامَهْ	المتقارب	58	غزل ومدح
289	بُشْرَى لَهَا ثَغْرُ الرِّضَا يَتَبَسَّمُ وَشَذَا القَبُولِ لِرَوْحِهَا يَتَنَسَّمُ	يَتَنَسَّمُ	الكامل	15	عيدية والهناء بالشفاء
330	أَبَا قَاسِمٍ وَالصِّدْقُ خيرُ سَجِيَّةٍ وَلَسْتَ لِسِرِّ الصِدْقِ فِيهَا بِكَاتِمِ	بِكَاتِمِ	الطويل	6	رسالة لابن حاتم
333	وَجُودا وَلَوْ لَيَّ الرِدَاءِ بِوَقْفَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِقْدَارُ لَيِّ العَمَائِمِ	العَمَائِمِ	الطويل	40	مدح أبي العباس
345	إِذَا البَرْقُ يُبْدِي إِلَيْكَ ٱبْتِسَامَا أَبُثُّكَ وَجْدِي فَأُبْكِي الغَمَامَا	الغَمَامَا	المتقارب	15	النسيب
348	يَا جِيرَةَ الحَيِّ فِي أَيَّامِنَا القُدُمِ مِنْكُمْ عَرَفْنَا ذِمَامَ المَجْدِ وَالكَرَمِ	الكَرَمِ	البسيط	31	النسيب
350	أَنْتُمْ مَعْنَى وُجُودِي أَنْتُمْ وَبِكُمْ أَشْكُو إِلَيْكُمْ مِنْكُمْ	مِنْكُمْ	الرمل	11	النسيب

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
353	يَا نَاظِراً كَحَّلَ الأَجْفَانَ بِالسَّقَمِ كَمْ ذَا تَنَامُ وَعَيْنُ الصَبِّ لَمْ تَنَمِ	تَنَمِ	البسيط	12	التغزل
483	أَلِلَمْحَةٍ مِنْ بَارِقٍ مُتَبَسِّمِ أَرْسَلْتَهُ دَمْعاً تَضَرَّجَ بِالدَّمِ	الدَّمِ	الكامل	87	المدح
487	هَنَاءٌ لَهُ ثَغْرُ الهُدَى يَتَبَسَّمُ وَبُشْرَى بِهَا عَرْفُ الرِضَى يَتَنَسَّمُ	يَتَنَسَّمُ	الطويل	52	المدح
490	تَأَمَّلَ أَطْلاَلَ الهَوَى فَتَأَلَّمَا وَسِيمَا الجَوَى والسُّقْمَ مِنْهُ تَعَلَّمَا	تَعَلَّمَا	الطويل	2	المدح
491	قِيَادِي قَدْ تَمَلَّكَهُ الغَرَامُ وَوَجْدِي لاَ يُطَاقُ وَلاَ يُرَامُ	يُرَامُ	الوافر	3	الغزل
491	تَوَّجْتَنِي بِعَمَامَهْ تُوِّجْتَ تَاجَ الكَرَامَهْ	الْكَرَامَهْ	مخلّع البسيط	2	الشكر
491	تَجَلَّى لَنَا المَوْلَى الامَامُ مُحَمَّدٌ عَلَى أَدْهَمٍ قَدْ رَاقَ حُسْنُ أَدِيمِهِ	أَدِيمِهِ	الطويل	2	المدح
492	لَكَ الخَيْرُ شَأْنُ الجَفْنِ يَحْرُسُ عَيْنَهُ وَهَذَا بِعَيْنِ اللهِ يُحْرَسُ دَائِمَا	دَائِمَا	الطويل	3	الشكر
492	رَضِيتُ بِمَا تَقْضِي عَلَيَّ وَتَحْكُمُ أَهَانُ فَأُقْصَى أَمْ أُعَزُّ فَأُكْرَمُ	فَأُكْرَمُ	الطويل	19	الغزل
	قافيـة النـون				
76	فِي طَالِعِ السَّعْدِ والطَّيْرِ المَيَامِينِ دَفَعْتَ جَفْنَكَ يَا خَيْرَ السَّلاَطِينِ	السَّلاَطِينِ	البسيط	3	دعاء

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
83	يَا مَنْزِلَ السَّعْدِ في أَرْضِ الجِهَادِ لَقَدْ حُزْتَ المَفَاخِرَ مِنْ دُنْيَا ومِنْ دِينِ	دِينِ	البسيط	10	شكر ودعاء
93	يَا مُشْبِهاً آبَاءَهُ الأَكْرَمِينْ حَاجَيْتَنِي بِٱسْمِ كَرِيمٍ مَكِينْ	مَكِينْ	السريع	10	جواب عن لغز
97	يَا ظَبْيَةً يَجْلُو الظَّلاَمَ إِذَا دَجَا مِنْهَا جَبِينٌ وَاضِحٌ وَلَبَانُ	لَبَانُ	الكامل	3	من المُلَحِ
100	حَلَلْتَ عَلَى حُكْمِ السُّعُودِ بِغَسَّانِ فَأَوْلَيْتَنَا فِي رَبْعِهِ كُلَّ إِحْسَانِ	إِحْسَانِ	الطويل	11	ثناء على نعم مهداة
150	أَلْبَسْتَنَا فَأَلْبَسْتَنَا ثَوْبَ الرِّضَا وَأَغْنَيْتَنَا	وَأَغْنَيْتَنَا	مجزوء الرجز	23	شكر ومدح
181	أَتُوبُ إِلَى حِلْمِي الكَفِيلِ بِسُلْوَانِ وَأُصْلِحُ مِنْ شَأْنِي وَإِنْ رَغِمَ الشَّانِي	الشَّانِي	الطويل	3	عتب النفس
183	عَذَّبَنِي وَالغَرَامُ عَذْبُ أَهْيَفُ كالغُصْنِ فِي التَّثَنِّي	ٱلتَّثَنِّي	مخلع البسيط	2	التغزل
184	أَفْدِي الغَزَالَ الذي في القَلْبِ مَسْكَنُهُ لَوْلاَهُ لَوْلاَهُ مَا آوَى إِلَى سَكَنِ	سَكَنِ	البسيط	3	تغزل
221	إذا غَابَ عَنْ عَيْنِي الحَبِيبُ تَفَجَّرتْ دُمُوعِي كَأَنَّ العَيْنَ تَغْرِفُ مِنْ عَيْنِ	عَيْنِ	الطويل	7	في صدر رسالة
228	يَا نُخْبَةَ الأَشْرَافِ والمَاجِدِينْ خُصِصْتَ بالتَّفْضِيلِ دُنْيَا وَدِينْ	دِينْ	السريع	66	مجيباً عن لغز في شمس

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
232	حَاجَيْتُكِ مَا اسْمٌ لَهُ مَنْزِلٌ فِي الْعَالَمِ العُلْوِيِ لِمَنْ يَسْتَبِينْ	يَسْتَبِينْ	السريع	17	ملغزاً في حوت
235	أُقْسِمُ بِالشُّهْبِ إذا مَا جَرَتْ وأَدْهَمُ اللَّيْلِ لَهَا فِي الكَمِينْ	الْكَمِينْ	السريع	31	مجيباً عن طلب حوت
248	عِيدٌ تَكَفَّلَ يُمْنُه بِأَمَانِهِ كَالعِقْدِ فُصِّلَ دُرُّهُ بِجُمَانِهِ	جُمَانِهِ	الكامل	24	مدح وعيدية
290	هَنِيئاً قَدْ ظَفِرْنَا بالأَمَانِي وَنِلْنَا العِزَّ فِي ظِلِّ الأَمَانِ	الأَمَانِ	الوافر	5	الهناء بالشفاء
291	لَكَ البُشْرَى أَمِيرَ المُسْلِمِينَا وَظِلُّ الله فَوْقَ العَالَمِينَا	الْعَالَمِينَا	الوافر	6	الهناء بالشفاء
318	عُذْراً إِلَيْكَ فَمَا الأَلْفَاظُ تُسْعِدُنِي وَلاَ العِبَارَةُ فِي التَّحْقِيقِ تُقْنِعُنِي	تُقْنِعُنِي	البسيط	7	التصوف
340	خَلِيلَيَّ مِنْ وَادِي العَقِيق أَعِينَا بِأَنْ تُرسِلاَ دَمْعَ العُيُونِ مَعِينَا	مَعِينَا	الطويل	5	الغزل والحنين
353	يَا غَزَالاً لَهُ الفُؤَادُ كِنَاسُ فِيكَ أَرْخَصْتُ كُلَّ عِلْقٍ ثمِينِ	ثَمِينِ	الخفيف	7	التغزل
356	دَعْهَا تَحِنُّ إلى العَقِيقِ وَبانِهِ فَظِلاَلُها رَقَّتْ عَلَى كُثْبَانِهِ	كُثْبَانِهِ	الكامل	30	عيدية وتهنئة
493	لَعَلَّ الصَّبَا إِنْ صَافَحَتْ رَوْضَ نُعْمَانِ تُؤَدِّي أَمَانَ القَلْبِ عَنْ ظَبْيَةِ الْبَانِ	الْبَانِ	الطويل	76	المدح
497	مَالِي بِحَمْلِ الهَوَى يَدَانِ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْوَزَ التَّدَانِي	التَّدَانِي	مخلّع البسيط	6	الغزل

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
498	يَا مَنْ بِهِ رُتَبُ الإِمَارَةِ تَعْتَلِي وَمَعَالِمُ الفَخْرِ الْمَشِيدَةِ تَبْتَنِي	تَبْتَنِي	الكامل	6	المدح
499	يَا خَيْرَ مَنْ وَرِثَ السَّمَاحَ عَنِ الأُلَى نَصَرُوا الهُدَى وَتَبَوَّؤوا الإِيمَانَا	الإِيمَانَا	الكامل	9	المدح
498	الحَمْدُ للهِ بَلَغْنَا المُنَى لَمَّا رَأَيْنَاكَ وَزَال العَنَا	اَلْعَنَا	الكامل	3	التّهنئة
	قافيـــة الهـــاء				
68	قُدُومُ السَّعَادَةِ والعَافِيَهْ وَبُشْرَاكَ بالصِّحَّةِ الوَافِيَهْ	الوَافِيَهْ	المتقارب	2	القدوم من سفر
70	انْعَمْ صَبَاحاً غَارَ مِنْكَ بِغُرَّةٍ ضَاءَتْ بِهَا الآفَاقُ مِثْلَ عَمُودِهِ	عَمُودِهِ	الكامل	20	صباحية
82	يَا خَيْرَ مَنْ نَصَرَ الإِلاَهَ وَدِينَهُ وَبِقَوْمِهِ انْتَصَرَ الرَّسُولُ وآلُهُ	آلُهُ	الكامل	9	شكر عن هبة
83	يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ بَعَثْتَ بالطَّيْرِ تَشْرِيفاً وَتَنْوِيهَا	تَنْوِيهَا	البسيط	14	شكر عن هديّة
84	لَمَّا أَتَى المَوْلَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ مِنْ وِجْهَةٍ تَقْضِي بِنَصْرِ لِوَائِهِ	لِوَائِهِ	الكامل	8	تهنئة ووصف
96	قُولُوا لِفَاتِكَةِ اللَّوَاحِظِ مَالَهَا قَدْ سَدَّدَتْ نَحْوَ القُلُوبِ نِبَالَهَا	نِبَالَهَا	الكامل	6	غزل
106	كَـمْ لِلنُّفُـوسِ بِبَسْطَـةْ مِـنْ ابْتِهَـاجٍ وَبَسْطَـةْ	بَسْطَةْ	المجتثّ	26	مدح

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
113	هَذِهِ عِدَّةُ الأَنَامِلِ خَمْسٌ كَاتِبَاتٌ لَنَا حُرُوفَ العَلامَهْ	العَلاَمَهْ	الخفيف	2	دعوة بشفاء
114	هَذِهِ خَمْسَةٌ تُعَوِّذُ مَوْلَى زَادَهُ اللهُ في الخِلافَةِ بَسْطَهْ	بَسْطَهْ	الخفيف	2	دعوة بشفاء
127	كُلُّ صُنْعٍ أَهْدَى إِلَيَّ جَمَالَهْ وَحَبَانِي بَهَاءَهُ وَكَمَالَهْ	كَمَالَهْ	الخفيف	8	نقش على قوس الطاقين
131	لِلَّـــهِ مَــرْقَــبُ تَــاجِــي مِنْ فَوْقِ تَاجِ السَّبِيكَهْ	السَّبِيكَهْ	المجتث	5	نقش على طاقة
144	فَانْعَمْ بِهَذَا الصُّنْعِ صُنْعِ إِمَارَةٍ قَدَّسْتَ مِنْ فَوْقِ النُّجُومِ جَلاَلَهَا	جَلاَلَهَا	الكامل	7	إعذارية
147	هُوَ السَّعْدُ يُعْطِيكَ الَّذِي أَنْتَ آمِلُهْ لِذَلِكَ مَا عَمَّ المَغَارِبَ شَامِلُهْ	شَامِلُهْ	الطويل	36	مدح
156	أَنَــا مِحْــرَابُ صَــلاَةٍ سَمْتُــهُ سَمْــتُ السَّعَــادَهْ	السَّعَادَهْ	مجزوء الرمل	5	نقش على طاقة
190	هَذِي الإِمَارَةُ بُلِّغَتْ آمَالَها تَجْلُو عَلَى أُفُقِ الجَمَالِ هِلاَلَها	هِلاَلَها	الكامل	68	تهنئة بمولود
199	إِنَّ الطُّلولَ يُجِدُّ الوَجْدَ عَافِيهَا فَلْيُعْفِ نَفْسَكَ مِنْهَا مَنْ يُعَافِيهَا	يُعَافِيهَا	البسيط	31	جواب عن رسالة
218	وَاكِــفُ الــدَّمْــعِ عَلَّهَــا وَالجَــوَى قَــدْ أَعَلَّهَــا	أَعَلَّهَا	مجزوء الخفيف	33	جواباً عن رسالة

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
500	يَا مَنْ يَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَنَادِيهَا غَرْنَاطَةٌ قَدْ ثَوَتْ نَجْدٌ بِوَادِيهَا	بِوَادِيهَا	البسيط	115	عيديّة
506	هَذِي العَوَالِمُ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ كُلٌّ يَقُولُ، إِذَا ٱسْتَنْطَقْتَهُ، اللَّهُ	ٱللَّهُ	البسيط	53	عيديّة
509	سَلاَمٌ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَنْ فِيهَا غَدَاةَ نَعَتْ شَمْسُ الخِلاَفَةِ مَنْ فِيهَا	فِيهَا	الطويل	55	الرّثاء
513	مَا تَرَى فِي الرِّيَاضِ أَشْبَاهِي يَسْحَرُ العَقْلَ حُسْنِيَ ٱلْبَاهِي	ٱلْبَاهِي	الخفيف	3	النّقش
513	لِلغنـــيّ باللّــــهِ قَصْـــرٌ لِلتَّهَـــانِـــي يَصْطَفِيــــــهِ	يَصْطَفِيه	مجزوء الرمل	3	النقش
	قافيــة الــواو				
342	أَمَوْلاَيَ قِطُّ الدَّارِ قَدْ بُحَّ صَوتُهُ لِكَثْرَةِ مَا قَدْ صَاحَ بِالبَابِ مِنْ مِيَوْ	مِيَوْ	الطويل	5	متفكهاً في قِطٍّ
	قافيــة اليــاء				
125	أَنَا الرَّوْضُ قَدْ أَصْبَحْتُ بِالحُسْنِ حَالِيَا تَأَمَّلْ جَمَالي تَسْتَفِدْ شَرْحَ حَالِيَا	حَالِيَا	الطويل	24	نقش في القبّة الكبرى
129	تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى الإِمَامَ مُحَمَّدَا مَعَانِيَ زَانَتْ بِالجَمَالِ المَغَانِيَا	المَغَانِيَا	الطويل	12	نقش في خصّة الرخام

الصفحة	البيـــت (1)	القافيـة	البحر	عدد الأبيات	الغـــرض
201	ذَكَرْتَ لَنَا أَيَّامَنَا وَاللَّيَالِيَا فَبَدَّدْتَ مِنْ عِقْدِ الدُّمُوعِ اللَّالِيَا	اللَّالِيَا	الطويل	18	يراجع قاضي الجماعة
211	سَلُوا البَرْقَ مَصْقُولَ الصَّفِيحِ يَمَانِيَا أَيُبْلِغ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ الأَمَانِيَا	الأَمَانِيَا	الطويل	37	التصوف
221	إِلَيْكَ أَبَا يَحْيَى انْتَهَى كُلُّ سُؤْدُدٍ فَبُورِكَ مَنْ سَمَّاكَ قُدْماً أَبَا يَحْيَى	يَحْيَى	الطويل	2	مخاطبة الفقيه ابن عاصم في صدر رسالة
293	هي النَّفْسُ مُعْتَلُّ النَّوَاسِمِ يُبْرِيهَا بِأَنْفَاسِهِ وَالشَّوْقُ قَدْ كَادَ يَبْرِيهَا	يَبْرِيهَا	الطويل	22	إجابة عن كتاب
313	قُـلْ لِمَنْصُـورٍ بِـأَنِّـي أَنَـا مَنْصُـورٌ عَلَيْـهِ	عَلَيْهِ	مجزوء الرمل	3	مدح
315	لَكَ الخَيْرُ قَدْ أَصْمَيْتَ قَلْبِي هَازِياً كَأَنَّكَ قَدْ جُهِّزْتَ لِلْحَرْبِ غَازِيَا	غَازِيَا	الطويل	6	تغزل
319	يَا ابْنَ زَيْدٍ وَأَنْتَ خَيْرُ وَلِيٍّ جَادَّةَ الفَضْلِ لَمْ يَزَلْ يَقْتَفِيهَا	يَقْتَفِيهَا	الخفيف	3	في صدر رسالة
341	أَتَجْنَحُ يَوْماً لِلْجِهَادِ بِهِمَّةٍ تُصَدِّقُ مَنْ سَمَّاكَ فِي المَهْدِ غَازِيَا؟	غَازِيَا	الطويل	7	تصدير كتاب
354	قَابِلْ بِصَفْحِكَ وَاقْبَلْ عُذْرَ مُعْتَرِفٍ بِالذَّنْبِ يَطْلُبُ فَضْلاً مِنْكَ تُولِيهِ	تُولِيهِ	البسيط	5	في الاعتذار
514	مَعَاذَ الهَوَى أَنْ أَصْحَبَ القَلْبَ سَالِيَا وَأَنْ يَشْغَلَ اللُّوَامُ بِالْعَذْلِ بَالِيَا	بَالِيَا	الطويل	85	المدح

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
519	سَلِ ٱلأُفْقَ بِالزُّهْرِ الكَوَاكِبِ حَالِيَا فَإِنِّيَ قَدْ أَوْدَعْتُهُ شَرْحَ حَالِيَا	حَالِيَا	الطويل	145	المدح
527	أَيَعْطِشُ أَوْلاَدِيَ وَأَنْتَ غَمَامَةٌ تَعُمُّ جَمِيعَ الخَلْقِ بِالنَّفْعِ والسُّقْيَا	ٱلسُّقْيَا	الطويل	9	التوسّل
527	كَتَبْتُ وَدَمْعِي بَلَّلَ ٱلرَّكْبَ قَطْرُهُ وَأَجْرَى بِهِ بَيْنَ الخِيَامِ السَّوَاقِيَا	ٱلسَّوَاقِيَا	الطويل	3	التشوّق
528	يُكَلِّفُنِي مَوْلاَيَ رَجْعَ جَوَابِهِ وَمَا لِتَعَاطِي المُعْجِزَاتِ وَمَالِيَا؟	مَالِيَا	الطويل	5	المراسلة
	لا قافيـــــــة				
91	[سقــوط القصيـــدة بــأكملهــا]				مدح بمناسبة أبنية جديدة
94	سقوط البيتين المخمّسين		البسيط	3	التخميس
	المــــــوشحـــات				
529	بِاللَّـــــهِ يَـــا قَــامَــةَ القَضِيــبِ وَمُخْجِــلَ الشَّمْـــسِ وَالْقَمَـــرْ	ٱلْقَمَرْ	مخلّع البسيط	37	المدح والتشوّق
531	نَسِيـــمُ غَـــرْنَـــاطَـــةٍ عَلِيـــلُ لَكِنَّـــهُ يُبْـــرِىءُ العَلِيـــلْ	ٱلْعَلِيلْ	مخلع البسيط	37	المدح

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
533	أَبْلِــغْ لِغَــرْنَــاطَــةِ السَّــلاَمْ وَصِــفْ لَهَــا عَهْــدِيَ السَّلِيــمْ	ٱلسَّلِيمْ	مخلع البسيط	37	المدح
536	نَــوَاسِــمُ البُسْتَــانْ تَنْثُــرُ سِلْــكَ الــزَّهَــرِ	ٱلزَّهَرِ	مجزوء الرّجز	47	المعارضة
538	رَيْحَــانَــةُ الفَجْــرِ قَــدْ أَطَــلَّــتْ خَضْــرَاءَ بِــالــزَّهْــرِ تُــزْهِــرُ	تُزْهِرُ	مخلّع البسيط	47	صبوحيّة
541	قَــدْ طَلَعَــتْ رَايَــةُ الصَّبَــاحِ وَآذَنَ اللَّيْــلُ بِــالــرَّحِيــلْ	ٱلرَّحِيلْ	مخلّع البسيط	37	المدح
543	فِي كُؤُوسِ الثَّغْرِ مِنْ ذَاكَ اللَّعَسْ رَاحَــــــــةُ ٱلأَرْوَاحْ	الأَرْوَاحْ	الرّمل	37	المدح
545	قَــدْ أَنْعَــمَ ٱللَّــهُ بِالشِّفَــاءِ وَاسْتَكْمَلَــتْ رَاحَــةُ الإِمَــامْ	ٱلإِمَامْ	مخلّع البسيط	27	التهنئة
547	عَلَيْــكَ يَــا رَبَّــةُ السَّــلاَمْ وَلاَ عَــدَا رَبْعُــكِ المَطَــرْ	ٱلْمَطَرْ	مخلّع البسيط	27	الوصف
548	قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ ٱنْتِظَامْ وَٱغْتَنَمَ ٱلأَحْبَابُ قُرْبَ الحَبِيبْ	ٱلْحَبِيبْ	مخلّع البسيط	27	الوصف

الصفحة	البيت (1)	القافية	البحر	عدد الأبيات	الغرض
550	فِـي طَـالِـعِ اليُمْـنِ وَالسُّعُـودِ قَـدْ كَمُلَـتْ رَاحَـةُ ٱلإِمَـامْ	ٱلإِمَامْ	مخلّع البسيط	27	التهنئة
551	وَجْـهُ هَـذَا ٱلْيَـوْمِ بَـاسِـمْ وَشَـذَا ٱلأَزْهَـارِ نَـاسِـمْ	نَاسِمْ	مجزوء الرمل	21	المدح
553	قَدْ نُظِمَ الشَّمْلُ أَتَمَّ ٱنْتِظَامْ وَلاَحَتْ الأَقْمَارُ بَعْدَ المَغِيبْ	ٱلْمَغِيبْ	مخلّع البسيط	27	التهنئة
555	لِلَّهِ مَا أَجْمَلَ رَوْضَ الشَّبَابْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْتَحَ زَهْرُ المَشِيبْ	ٱلْمَشِيبْ	مخلّع البسيط	25	الوصف
556	لَوْ تَرْجِعُ الأَيَّامُ بَعْدَ ٱلذَّهَابْ لَمْ تَقْدَحِ ٱلأَشْوَاقَ ذِكْرَى حَبِيبْ	حَبِيبْ	مخلّع البسيط	27	في مدح المصطفى ﷺ

2 ـ جدول إحصائي

لأكثر الأغراض تواتراً[1]

الغرض	عدد القصائد والمقطعات
1 ـ المدحيات والعيديات[2]	129
2 ـ التغزّل	51
3 ـ الشكر	46
4 ـ أشعار النقوش[3]	44
5 ـ الإخوانيات والمراسلات	39
6 ـ التّهنئة	36
7 ـ الوصف	33
8 ـ المُلَح والمداعبات	17
9 ـ الصباحيات[4]	14
10 ـ التغزّل بالمذكّر	11
11 ـ المراثي	10
12 ـ الأحاجي والألغاز	9
13 ـ الزهد والتصوّف	9
14 ـ المَوْلديات	5
15 ـ التّخميس	5
16 ـ التذييل	3
17 ـ الفخر	2
18 ـ خمرية	1
19 ـ هجائية	1
20 ـ طردية	1
21 ـ إعذارية	1
22 ـ معارضة	1

(1) هو إحصاء تقريبي لازدحام الأغراض في القصيدة الواحدة.

(2) العيدية هي مدحية تنشر في أحد العيدين الأضحى والفطر.

(3) لم نفرّق بين ما نُقش على الرخام والخشب أو ما رُسم على ثوب أو نحوه.

(4) الصباحيّة مدحيّة كذلك تُنشد في الصّباح.

3 ـ جدول إحصائي
لأكثر البُحور تواتراً

البحر	عدد القصائد والمقطعات	البحر	عدد القصائد والمقطعات
1 ـ الطويل	170	6 ـ الوافر	12
2 ـ الكامل	121	7 ـ المتقارب	10
3 ـ البسيط	62	8 ـ المجتث	9
4 ـ الخفيف	45	9 ـ الرّجز	7
5 ـ الرّمل	25	10 ـ السّريع	6

4 ـ جدول إحصائي

لأكثر الحروف تواتراً في الرويّ

الرويّ	عدد القصائد والمقطعات	الرويّ	عدد القصائد والمقطعات
1 ـ اللاّم	67	ـ الجيم	9
2 ـ الرّاء	55	ـ الفاء	9
3 ـ الدّال	52	17 ـ التاء	5
4 ـ الميم	46	ـ الذال	5
5 ـ الباء	35	ـ الضاد	5
6 ـ الحاء	34	20 ـ الثاء	4
7 ـ النون	25	21 ـ الشين	3
8 ـ الهاء	22	22 ـ الخاء	2
9 ـ العين	18	ـ الصاد	2
10 ـ الياء	16	ـ الطاء	2
11 ـ القاف	14	25 ـ الزاي	1
12 ـ الشين	12	ـ الظاء	1
13 ـ الكاف	10	ـ الواو	1
14ـ الهمزة	9		

5 ـ فهرس للنقوش والرّقوم وَالطّرُز [1]

المُحَلاة بأشعاره

(1) النقوش تكون في العادة على الرخام والخشب، أما الرقوم والطرز فتكون في الغالب على العمائم والسروج والثياب عامّة.

العيـــن

القــاف

الميـــم

6 ـ فهرس الأعلام[1]

(1) لم نعتبر في الترتيب: ابن، أبو، بنو؛ كما تجاوزنا الأعلام المذكورين في الهوامش.

الجيـــم

الحـــاء

الخـــاء

الـــدّال

الـــراء

الـــزّاي

السيـــن

الشيـــن

الصّـــاد

الطـــاء

العيـــن

الغيـــن

الفـــاء

القـــاف

الكـــاف

الـــلام

الميـــم

النّـــون

الهـــاء

الـــواو

اليـــاء

7 ـ فهرس الأماكن والبلدان[1]

(1) لم نُحص في هذا الفهرس ما ذُكر في الهوامش من أماكنَ وبلدانٍ.

الخـــاء

الـــدّال

الـــرّاء

الـــزآي

السّيـــن

الشّيـــن

الصّـــاد

العيـــن

الغيـــن

الفـــاء

القـــاف

الميـــم

النـــون

الـــواو

اليـــاء

8 ـ جـدول تاريخـي

لأهم الأحداث السياسية في عصر ابن زمرك

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	الحـادثـــة
733	1333	ـ في 14 شوال/ 19 جوان، مولد محمد بن يوسف الصريحي المعروف بابن زمرك في ربض البيّازين بغرناطة.
		ـ السلطان أبو الحجاج يوسف الأول من بني الأحمر يتولى الأمر في غرناطة.
741	1340	ـ هزيمة المسلمين في واقعة «ريو سالادو».
749	1349	ـ ابن زمرك يتولى خطة كاتب في ديوان السلطان يوسف الأول.
		ـ ابن الخطيب يتقلد خطة الكتابة الخاصة والوزارة للسلطان يوسف الأول.
		ـ مبادىء الطاعون الجارف بالمريّة.
750	1349	ـ تولي (بيار لوكريال) بطرة القاسي الأمر على رأس قوى الأسبان.
		ـ بناء دار العلم في غرناطة.
752	1351	ـ الرحالة ابن بطوطة يزور غرناطة.
755	1354	ـ اغتيال السلطان يوسف الأول في مسجد غرناطة.

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	الحـــادثـــة
		ـ السلطان الغني بالله محمد الخامس يتولى الأمر بعد أبيه يوسف الأول.
755	1354	ـ الغني بالله يكلف ابن زمرك بسعي من وزيره ابن الخطيب بمهمة في بلاطه.
760	1359	ـ خلع السلطان الغني بالله وانتصاب أخيه أبي الوليد إسماعيل الثاني.
		ـ السلطان الغني بالله يفر إلى المغرب وينزل ضيفاً على السلطان أبي سالم المريني في فاس، ويصحبه في جملة حاشيته ابن زمرك وابن الخطيب.
		ـ اغتيال السلطان إسماعيل الثاني بعد أشهر من توليته وانتصاب ابن عمه أبي عبدالله محمد السادس.
763	1362	ـ في 20 جمادى الثاني/ 17 افريل، السلطان الغني بالله يرجع إلى عاصمة ملكه غرناطة.
		ـ ابن زمرك يكلف بكتابة سر الغني بالله.
767	1365	ـ الغني بالله يبني مستشفى غرناطة.
770	1368	ـ موت (بيار لوكريال) بطرة القاسي أمير الإسبان.
774	1372	ـ الغني بالله يُعين أبا العباس المريني على استرجاع ملكه والدخول لفاس.
		ـ ابن الخطيب يفر إلى المغرب بعد النُّفْرة التي حصلت بينه وبين السلطان الغني بالله.
776	1374	ـ اغتيال ابن الخطيب بفاس.
		ـ تولّي ابن زمرك وزارة الغني بالله بعد موت أستاذه ابن الخطيب.
789	1387	ـ السلطان الغني بالله يُعِينُ أبا العباس المريني مرة ثانية على استرجاع ملكه والدخول للبلد الجديد.

التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	الحادثة
793	1391	ـ موت الغني بالله وتولي ابنه أبا الحجاج يوسف الثاني. ـ ابن زمرك يسجن بعد موت مولاه الغني بالله لجرأته وحِدّته وشراسته.
794	1392	ـ أبو الحجاج يوسف الثاني يطلق سراح ابن زمرك بعد أن بقي 22 شهراً مسجوناً في قصبة المَرِيَّةِ ويرجعه إلى خطة الوزارة. ـ موت السلطان يوسف الثاني وَتَولِّي ابنِه أبي عبدالله محمد السابع.
797	1395	ـ ابن زمرك ما زال على قيد الحياة يمدح السلطان محمد السابع بعد سفره لتفقد البلاد الشرقية.

9 ـ المصــادر والمـراجـع

المصــادر المخطــوطـة

ـ حفيد السلطان ابن الأحمر الغنيّ بالله: مخطوط فريد في مكتبة الجدّ الشيخ محمد النيفر هو نسخة من ديوان البقية والمدرك قمنا بتحقيقه في هذا العمل.

ـ الشيخ محمد النّيفر: مخطوط في جزئين يضم جملةً من أشعار ابن زمرك مرتّبة على حروف المعجم تمتزج فيها الأشعار المخطوطة بالمطبوعة والجمع غير تام.

المراجــــع

1 ـ باللغة العربية:

ـ ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف ت. 807 هـ): نثير فوائد الجُمان في نظم فحول الزمان ـ دراسة وتحقيق محمد رضوان الدّاية دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ المكتبة الأندلسية عدد 18 سنة 1967.

ـ ابن الأحمر (السلطان يوسف III حفيد الغنيّ بالله ت. 819 هـ): البقية والمدرك من شعر ابن زمرك، لم يبق من هذا الديوان إلا ما دوّنه المقري في أزهار الرياض ونفح الطيب.

ـ بلنثيا (إنجل غونزالز): تاريخ الفكر الأندلسي ـ ترجمة حسين مؤنس ط 1 مصر 1925.

ـ التنبكتي (أحمد بابا): نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج ـ ط 1 القاهرة 1329 هـ.

ـ الحصري (إبراهيم): زهر الآداب ـ تحقيق زكي مبارك، ضبط محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل ـ بيروت، ط 4 د.ت.

ـ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ـ ط 1 القاهرة 1319 هـ.
ـ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ـ تحقيق وتعليق إ. ل. بروفنسال ط 2، بيروت 1956.
ـ ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة ـ تحقيق إحسان عبّاس ط. دار الثقافة ـ بيروت 1936.
ـ ابن الخطيب: اللّمحة البدرية في الدولة النصرية ـ تحقيق محيي الدين الخطيب، القاهرة 1347.
ـ ابن خلدون: المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني، ط 3 بيروت 1967.
ـ ابن خلدون: تاريخ العبر ـ دار الكتاب اللبناني، بيروت 1908.
ـ ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ـ ط. دار الكتاب اللبناني ـ د. ت.
ـ ديوان ابن الخطيب المعروف بـ «الصيّب والجهام والماضي والكهام» تحقيق محمد الشريف قاهر، الجزائر 1973.
ـ ديوان المتنبي: تحقيق عبد الرحمان البرقوقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان 1407/1986.
ـ ديوان ملك غرناطة يوسف III ـ تحقيق عبدالله كانون ط 2 المكتبة الأنجلو مصرية ـ القاهرة 1965.
ـ ابن سعيد: المغرب في حلى المقرب ـ تحقيق شوقي ضيف ـ دار المعارف، مصر 1953.
ـ السّيوطي: بغية الوعاة ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مصر 1326 هـ.
ـ غرسيا (غومز): الشعر الأندلسي: بحث في تطوّره وخصائصه، ترجمة حُسين مؤنس، ط 2 القاهرة 1956.
ـ مؤنس (حسين): رحلة الأندلس (حديث الفردوس المفقود) ـ ط 1 القاهرة 1963.

المعـــاجـــم:

ـ الزركلي: الأعلام.
ـ الفيروزابادي: القاموس المحيط ط 3. بولاق 1302 هـ.
ـ القاموس الجديد: إسباني/ عربي، المعهد الإسباني العربي للثقافة ـ مدريد 1988.
ـ ابن منظور: لسان العرب.
: فهارس لسان العرب.
ـ ياقوت: معجم البلدان.

ـ المقّري: أزهار الرّياض ـ ط القاهرة 1358/ 1930.

ـ المقّري: نفح الطّيب ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ ط 1 القاهرة 1367/ 1949.

ـ النّاصري (السلاوي): الاستقصاء ـ الدار البيضاء 1954.

ـ النيفر (محمد توفيق): مقال «قصائد زجلية لابن زمرك الأندلسي» مجلة الحوليات ـ الجامعة التونسية عدد 23 سنة 1984.

ـ العجيمي (محمّد): مقال «الوزير الشاعر ابن زمرك» ـ ترجمة مقال ر. بلابشير. مجلة الحوليّات، عدد 25 سنة 1986.

2 ـ باللغـــة الأجنبيـــة:

- BLACHERE (R.): Le Vizir - poéte Ibn Zamrak et son oeuvre" dans AI.E.O.A. 1936.

- BROCKEL MANN (K.): G.A.L.
  1) GII/ 259.
  2) SII/ 370.

- COUR (A.): «Catalogue des manuscrits Arabes» Medersa de TLEMCEN. Alger 1907.

- DOZY: Supplément aux dictionnaires Arabes.

- GARCIA (G.): IBN ZAMRAK, el poéta de la Alhambra, and Cinco poétas musulmanes Madrid - Buones Aires 1944.

- MARCAIS (G.): $E.I_1$ article: MERINIDE PP 527 - 530.

- MATA (M.J. Rubèra): IBN ZAMRAK, Sir Biografo Ibn al - AHMAR Y Los Poémas Epigraficos de la AlHambra in AL - ANDALUS 1977.

- PERES (H.): La Poésie Andalouse en arabe clasique an XI[e] S.: ses aspects géneraux et sa valeur documentaire. Paris 1937.

- PROVENÇAL (E.L.): EI[el] art. Nasride PP 938 - 942.
  : EI[el] art. ANDALOUS, P 51.
  : L'Histoire de L'espagne Musulmane, Paris 1950.
  : La Civilisation Arabe d'espagne.
  : L'Espagne Musulmane au XI[e]S.
  : Inscriptions Arabes D'espagne. Leyde, Paris 1931.

- TERASSE (H.): EI[el] art. «GHARNATA» PP 1035 - 1043.

- DE - ZAMBOUR (E.): Manuel de généologie et de chronologie pour l'histoire de L'Islam Honorere 1927.

10- فهـرس المحتـوى

الموضوع | الصفحة

ceux éparpillés dans les oeuvres imprimées que j'ai déjà citées[1].

Le Manuscrit que nous possédons et qui nous intéresse ici n'est donc qu'une copie du "kitāb al - Mulūki". Cité par al - Maqqari.

Il comporte 160 feuillets recto - verso soit 320 pages contenant 345 pieces et poême totalisant prés de 4500 Vers. Il ne semble pas que ces pieces et poême soient classés suivant un ordre rigoureux: Ils sont classés soit siuvant leur théme dominant et se succédent parfois sans ordre.

Ce manuscrit est donc d'un intéret certain puisqu'il est, á notre connaissance, l'unique. C'est pour cela qu'il est la source essentielle pour l'étude d'I Z. et son oeuvre[2]. Il représente en outre un document trés important pour la connaissance de la société grenadine du VIIIe. SH. / XIV et s.j. C c'est à dire un siécle avant la chute de Grenade qui entraina la fin de la présence musulmane en Andalousie.

C'est ce qui fait que nous sommes heuruex d'en établir le texte et de le mettre entre les mains des lecteurs pour contribuer modestenant à faire connaitre davantage la poésie et les poétes andalous.

C'est dans ce but également, et afin d'établir le Diwan complet d'Ibn Zamrak que nous sommes attelé à recenser les poémes éparpillés dans les oeuvres imprimées, les classant par ordre alphabétique dans une seconde partie indépendante contenant 123 pieces totalisant plus de 3000 Vers. Ainsi, l'ensemble de l'oeuvre poétique d'Ibn Zamrak manuscrite et imprimée englobe en tout 468 poèmes et plus de 7500 Vers.

Tunis; Avril 1997
M. T. ENNAIFAR.

---

(1) Nous citons à titre d'exemple les poémes n° 116, 134, 147, 154, 155, 173, 267, 274.; dans le présent recueil.

(2) Surtout si on constate que les travaux modernes consacrés à I.Z. et son oeuvre se sont limités à la poésie d'I. Z conservés uniquement dans les ouvrages publiés.

La poésie d'I. Z. se trouve éparpilleé dans les sources anciennes, il n'ya pas, à notre connaissance de Diwan imprimé où est recensée sa poésie[1]. AL - Maqqari rapporte cependant dans "AZhār" et dans "Nafḥ" qu'il a vu à Telemcen un "diwān royal" (Kitab - Mulūkı), où est recensée un nombre considérable de ses poémes, intitulé "al - Baqıyya wa. L - Mudrak min Sir Ibn Zamrak" et composé par le petit fils (Ḥafid) d'al - Ğani Billah Muḥamad V.[2] c'est de ce livre qu'al Maqqari a tiré les piéces d'I. Z. qu'il a insérées dans la notice consacrée à ce poéte. Il semble que cet ouvrage volumineux est perdu puisqu'aucune des sources anciennes ne le mentionne et que les études modernes ne le citent pas.

Cependant le hasard a fait que je découvre dans la bibliothèque de mon grand - pére, le cheikh Muḥammad ENNAIFAR[3] un manuscrit contenant la poésie d'I.Z. j'ai été amené aprés mûre réflexion et aprés avoir étudié ce manuscrit qui ne porte ni titre ni nom d'auteur, à conclure qu'il s'agit sans doute de la recension citée et décrite par al - Maqqari ou d'une copie de cette recension. Les indices qui m'ont amené à tirer cette conclusion sont nombreux, j'en cite:

- le fait que la poésie panégyrique est toute à la louange d'al - Ğani billah et que cette recension contient tous les vers gravés et inscrits sur les murs, les coupoles et les arcs de L'Abhambra. Nous savons qu'I. Z. fut le poête d'al - Ğani billah et celui du palais d'el - Hamra.

- La similitude entre les caractéristiques et le style de la poésie contenue dans cette recension et ceux de la poésie d'I. Z.[4].

- La personnalité de l'auteur de cette recension qui n'est autre que le petit fils d'al - Ğani billah le sultant Yūsūf III[5].

- et surtout le fait que les vers, les pieces et les poémes contenus dans le manuscrit objet de cette étude sont complétement ou partiellement identiques à

(1) «Le Diwàn d'I. Z. n'a pas été conservée» selon les propos de F. de la Granja (E.I.), cf aussi l'article de Blachére.

(2) AZHAR: II p 11; NAfh: X p 22.

(3) Enseignant à la Zitouna, poéte et historien (m. 1330/1912) il a composé plusieurs ouvrages dont les plus connus sont: «Inwan al - Arib», «Husn al - LBayan».

(4) Voir pour plus de détails sur l'art poétique d'I. Z. la préface en Arabe.

(5) Pour plus de détails sur l'auteur de cette recension, voir la préface en Arabe.

déposé"[1]. Dans le domaine littéraire, il composa plusieurs poémes soit à la louange d'al Ğani billah[2] soit érotiques, soit pour décrire Ğarnaṭa et son palais "AL - Hamra"[3].

Les anciens aussi bien que les modernes se sont intéressés à sa poésie.

Parmi les anciens on peut citer Ibn al - Ḫaṭib dans "al - IḤAṬA"[4] et "al - Katība al - Kamina"[5], Ibn ḪALDŪN dans sa "Riḥla"[6], Ibn Saïd dans "al - Muğrib"[7]. et surtout al - Maqqari dans "Azhār ar - Riyāḍ"[8] et "Nafḥ at - Ṭib"[9].

Parmi les auteurs modernes qui ont étudié IBN ZAMRAK citons surtout les Orientalistes dont E.L. Provençal dans ses études relatives à L'Histoire et à la Civilisation andalouses[10] H. Pérés dans "La poésie andalouse"[11] E. Garcia Gomez dans son étude fondamentale sur I. Z.[12], Brockelman dans G.A.L[13]., Blachére dans un article consacré à I.Z[14], et F. De la Granja dans l'article consacré à I.Z. dans E.I. dans E.I[15].

---

(1) Sur les Nasrides ou les Bani - L - AHmar cf - Ibn ḪADŪN: Tāriḫ Vol IV pp 366 - 384.

(2) Il composa 66 poêmes à sa louange.

(3) Nous avons pu reunir prés de 30 Planches que nous nous proposons d'étudier Ultérieurement.

(4) Vol II. pp 221 - 240.

(5) PP 282 - 283.

(6) PP 282 - 298.

(7) Tome II livre 2 pp 102- 122.

(8) T. I pp 59 - 60, 63 - 64. 230; II pp 7 - 260.

(9) T. VI pp 350 - 354; VII pp 62 - 64, 95 - 107; VIII pp 184 - 190; X pp 4 - 126.

(10) On cite surtout:

L'Histoire de L'Espagne Musulmane; la civilisation arabe d'Espagne; Inscriptions arabes d'Espagne etc...

(11) La poésie andalouse en arabe classique au XI S: ses aspects généraux et sa valeur documentaire. Paris 1937.

(12) Ibn Zamrak, el poeta de la Alhambra dans Cinco poetas musulmanes, Madrid - Buones Aires 1944, 169 - 271.

(13) G II p 259; SII p 370.

(14) Son article cité in A.I.E.O.A.

(15) III. p 997.

Préface[1]

MUḤAMMAD b. YŪSUF AS - Sarihi, plus connu sous le nom d'IBN ZAMRAK (733 - aprés 797/ 1333 - aprés 1397), est l'une des grandes figures de la poésie andalouse du VIII SH. /XIV S J.C. Il fut l'élève d'IBN al - Ḫaṭib[2] et l'ami du célèbre historien IBN - ḪALDŪN[3].

Il reçut le titre de "al Wazir al Kātib"[4] (Le ministre et le secrétaire d'état), celui de "Poéte d'al Ğani billah"[5] et celui de "poéte de L'Alhambra"[6] et eut de ce fait une activité littéraire et politique. Dans le cadre de son activité politique il exerça les fonctions de "Katib as - Sirr" (secrétaire particulier) puis celles d'ambassadeur (Safir), puis celles de Ministre[7] du huitième sultan nasride Grenade, MUḤAMMAD V (755 - 793/ 1355 - 1393) surnommé al - Maḫlū" le

(1) Nous donnons ici un sommaire de la préface en arabe, s'y référe pour plus de détails.

(2) Lisan ad - Din (713 - 776/ 1313 - 1376) fut ministre d'abu - L - Haǧǧaǧ Yūsūf puis d'al - Ğani - billah MUḤAMMAD V, il fut en meme temps poête, écrivain et historien; cf brockelmann: G.A.L. II 260, sup II. 372.

(3) Avec il fut lié d'amitié et entretint une correspondance, cf. Ar - Riḥla PP 282 - 298.

(4) AL - Maqqari: Nafḥ. X P 4.

(5) Ibn - Zamrak aurait dit: «je l'ai servi durant 37 ans... pendant lesquelles j'ai déclamé en sa présence 66 poèmes Composés à l'occasion de 66 fêtes» (Al - Maqqari: AZHAR II PP 164).

(6) Il aurait dit aussi; «... Tous les inscriptions poétiques qui ornent les murs, les coupoles... de son palais sont de ma composition... (AL - Maqqari: Ibid).

(7) I. Zamrak est une grande influence sur la politique extérieure des Nasrides cf Blachére: article I. Z. Vizīr - poéte, dans A.I.O.A. anné 1936 PP 291 - 312.



دَار الغَرب الإسلامي

بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم: 304 / 2000 / 5 / 1997

التنضيد : كومبيوتايب للصف الطباعي الألكتروني

الطباعة : دار صادر ، ص . ب . 10 - بيروت

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
B. P. : 113-5787- BEYROUTH



DIWAN
IBN ZAMRAK AL-ANDALUSI

MUḤAMMED IBN YŪSŪF AṢ-ṢARIḤI

(733 - après 797H / 1333 - après 1395AD)

d'après un manuscrit unique

AL BAQIYYA AL-MUDRAQ MIN ŠI'R IBN ZAMRAK

Recueil de poèmes recensés par

YŪSŪF III

(810 - 820H / 1408 - 1417AD)

Petit fils de Muḥammed V al-Ğani billah
8 ème Sultan Nasride de Grenade

Texte établit et annoté par

D. MUḤAMMED TAOUFIK ENNAIFAR
Maître de conférence à l'Université de Tunis



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

DIWAN
IBN ZAMRAK AL-ANDALUSI